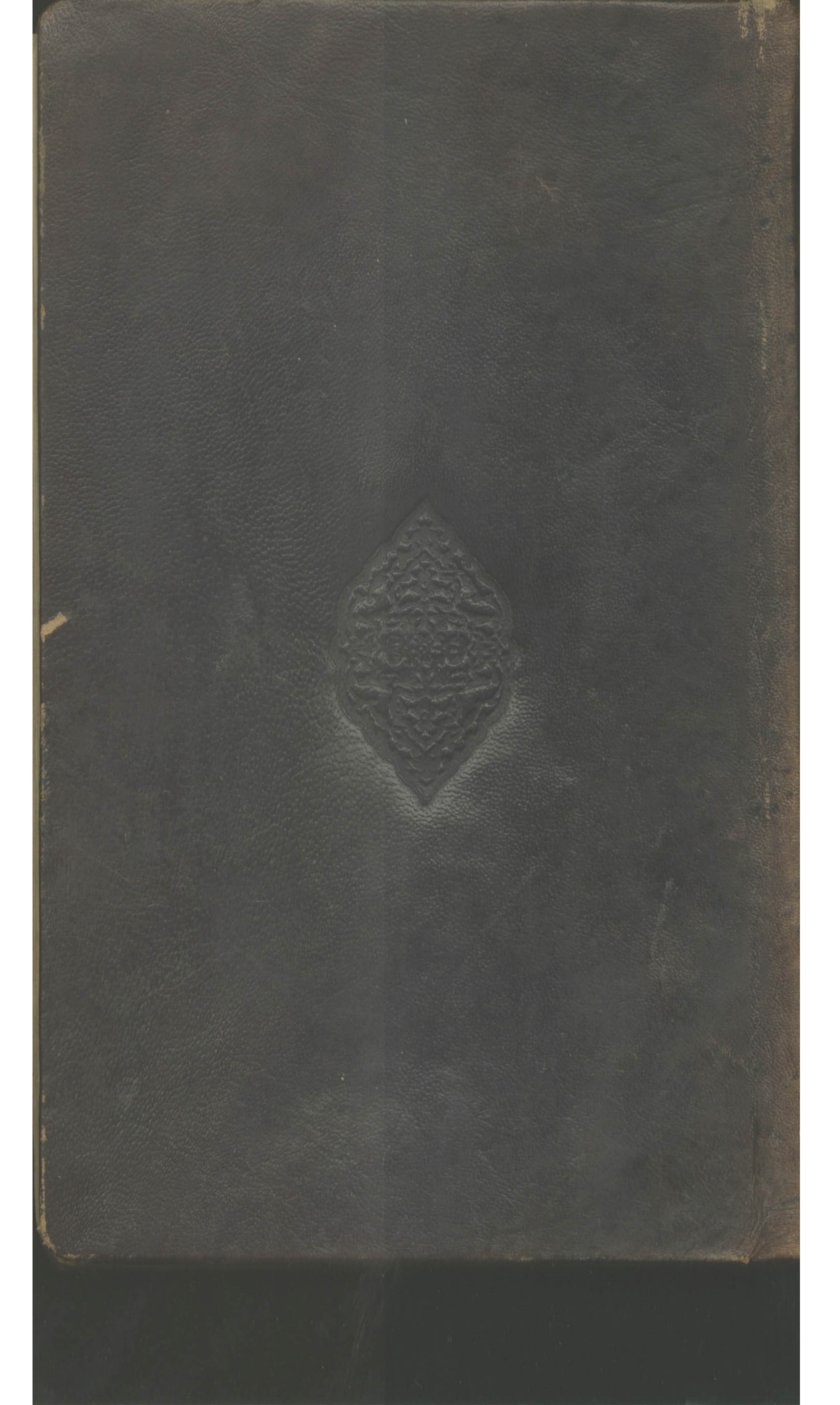
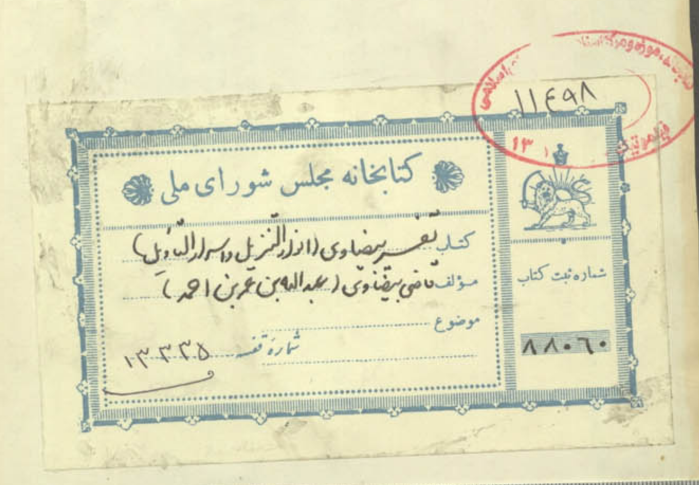
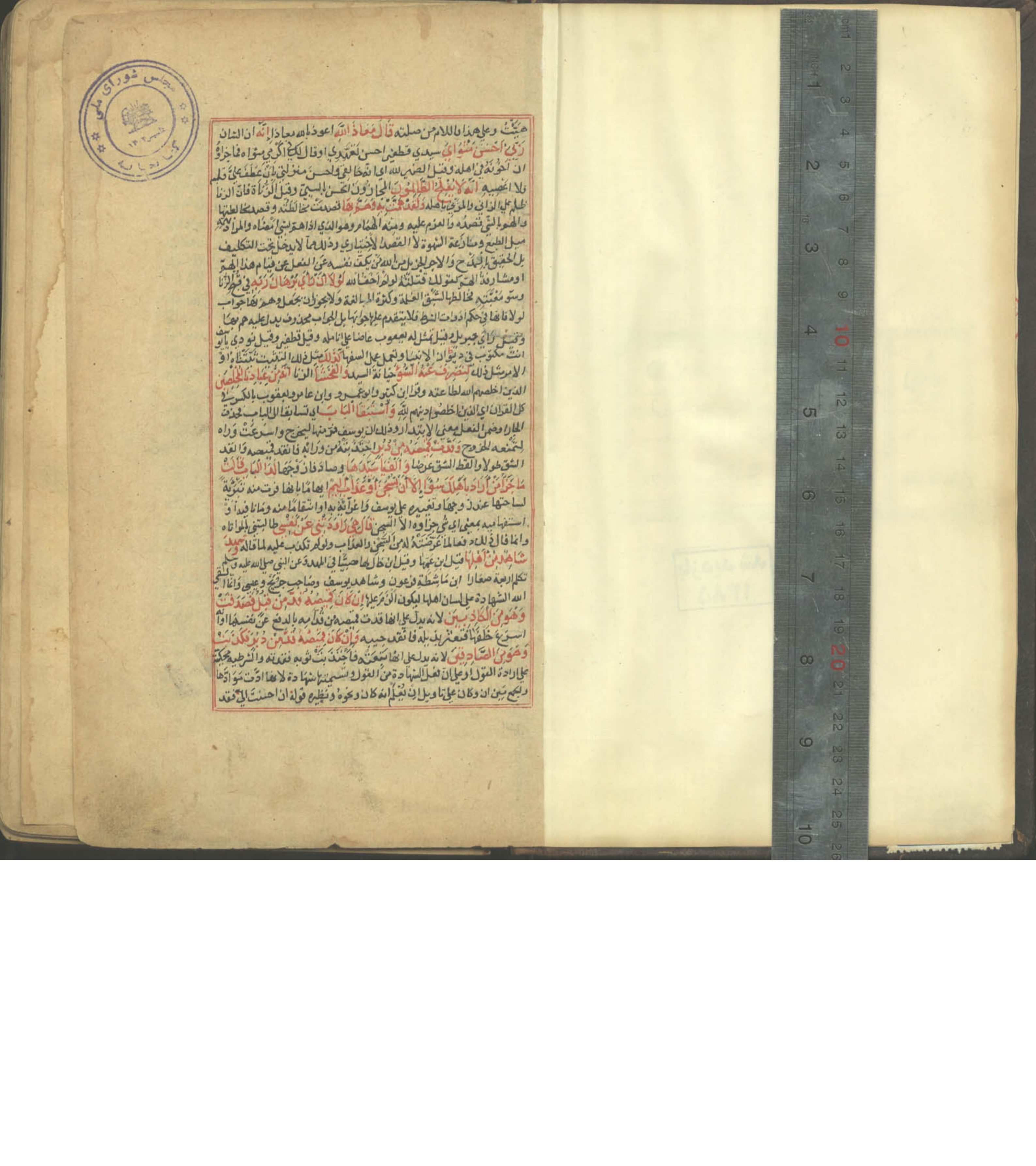


تفسير للبيضاوي از اول سوره يوسف تا آخر





هيت وعلى هذا فاللام من صلته قال معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشان
ربي احسن مثواي سيدي قطفير احسن تعهدي اذ قال لك اكرمي مثواه فما جزاؤه
ان اخونه في اهله وقيل الضمير لله اي انه خالقي واحسن منزلتي بان عطف علي قلبه
فلا اعصيه انه لا يفلح الظالمون المجازون الحسن بالسيئ وقيل الزناة فان الزنا
ظلم على الزاني والمزني باهله ولقد همت به وهم بها قصدت مخالطته وقصد مخالطتها
والهم بالشيء قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بشيء امضاه والمراد بهمه
ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف
بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم
او مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم اخف الله لولا ان راى برهان ربه في قبح الزنا
وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان يجعل وهم بها جواب
لولا فانها في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف يدل عليه وهم بها
وقيل راى جبريل وقيل تمثل له يعقوب عاضا على انامله وقيل قطفير وقيل نودي يا يوسف
انت مكتوب في ديوان الانبياء وتعمل عمل السفهاء كذلك مثل ذلك التثبيت ثبتناه او
الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا انه من عبادنا المخلصين
الذين اخلصهم الله لطاعته وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر في
كل القران اي الذين اخلصوا دينهم لله واستبقا الباب اي تسابقا الى الباب فحذف
الجار او ضمن الفعل معنى الابتدار وذلك ان يوسف فر منها ليخرج واسرعت وراءه
لتمنعه الخروج وقدت قميصه من دبر اجتذبته من ورائه فانقد قميصه والقد
الشق طولا والقط الشق عرضا والفيا سيدها وصادفا زوجها لدا الباب قالت
ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ايهاما بانها فرت منه تبرئة
لساحتها عند زوجها وتغييره على يوسف واغراءه به انتقاما منه وما نافية او
استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن قال هي راودتني عن نفسي طالبتني بالمواتاة
وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن والعذاب ولو لم تكذب عليه لما قاله وشهد
شاهد من اهلها قيل ابن عمها وقيل ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم
تكلم اربعة صغارا ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى وانما القى
الله الشهادة على لسان اهلها ليكون الزم عليها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت
وهو من الكاذبين لانه يدل على انها قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها او انه
اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه وان كان قميصه قد من دبر فكذبت
وهو من الصادقين لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته والشرطية محكية
على ارادة القول او على ان فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة لانها ادت مؤداها
والجمع بين ان وكان على تاويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك ان احسنت الي فقد

احسنت اليك من قبل فان معناه ان تمنن علي باحسانك امنن عليك باحساني السابق
وقري من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما
جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه
ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان هذا الامر من كيدكن من حيلتكن والخطاب لها
ولامثالها او لساير النساء ان كيدكن عظيم فان كيد النساء الطف واعلق بالقلب واشد
تاثيرا في النفس ولانه يواجههن به الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة يوسف حذف
منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث اعرض عن هذا اكتمه ولا تذكره واستغفري
لذنبك يا راعيل انك كنت من الخاطئين من القوم المذنبين من خطئ اذا اذنب
متعمدا والتذكير للتغليب وقال نسوة هي اسم لجمع امراة وتانيثه بهذا الاعتبار
غير حقيقي ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها في المدينة ظرف لقال اي
اشعن الحكاية في مصر او صفة لنسوة وكن خمسا زوجة الحاجب والساقي والخباز
والسجان وصاحب الدواب امرات العزيز تراود فتاها عن نفسه تطلب
مواقعة غلامها اياها والعزيز بلسان العرب الملك واصل فتى فتي لقولهم
فتيان والفتوة شاذ قد شغفها حبا شق شغاف قلبها وهو حجابه
حتى وصل الى فؤادها حبا ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقري شعفها
من شعف اذا هنأه بالقطران فاحرقه انا لنراها في ضلال مبين في ضلال عن
عن الرشد وبعد عن الصواب فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وانما سماه
مكرا لانهن اخفينه كما يخفي الماكر مكره او قلن ذلك لتريهن يوسف او لانها
استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت
اربعين امراة فيها الخمس واعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من الوسائد وآتت
كل واحدة منهن سكينا حتى يتكئن على السكاكين بايديهن فاذا خرج عليهن
يبهتن ويشتغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة
او يهاب يوسف مكرهن اذا خرج وحده على اربعين امراة في ايديهن الخناجر وقيل متكأ
طعاما او مجلس طعام فانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب قال جميل
∴ وظللنا بنعمة واتكأنا ∴ وشربنا الحلال من قلله ∴ وقيل المتكأ طعام يحز
حزا كان القاطع يتكئ عليه بالسكين وقري متكا بحذف الهمزة ومتكاء باشباع
الفتحة كمنتزاح او متكا وهو الاترج او ما يقطع من متك الشي اذا بتكه ومتكاء
من تكئ يتكأ اذا اتكأ وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه عظمنه وهبن حسنه
الفائق وعن النبي صلى الله عليه وسلم رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان
يرى تلألؤ وجهه على الجدران وقيل اكبرن بمعنى حضن من اكبرت المراة اذا حاضت
لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر او ليوسف على حذف اللام اي حضن له من شدة

نخ لتريهن

الشبق

يق

نخ العواتق

الشبق كما قال المتنبي ∴ خف الله واستر ذا الجمال ببرقع ∴ فان لحت حاضت في الخدور العوا
وقطعن ايديهن جرحنها بالسكين من فرط الدهشة وقلن حاش لله تنزيها له من صفات
العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله واصله حاشا كما قراه ابو عمرو في الدرج فحذفت
الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه
واللام للبيان كما في قولك سقيا لك وقري حاش الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشا
الله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية
وفاعله ضمير يوسف اي صار في ناحية لله مما يتوهم فيه ما هذا بشرا لان هذا الجمال
غير معهود للبشر وهو على لغة الحجاز في اعمال ما عمل ليس لمشاركتها في نفي الحال وقري
بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى اي بعبد مشترى لئيم ان هذا الا ملك كريم
فان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة او لان
جماله فوق جمال البشر ولا يفوقه فيه الا الملك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه اي هو
ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني فيه بالافتتان به قبل ان تتصورنه حق
تصوره ولو تصورتنه بما عاينتن لعذرتنني او فهذا الذي لمتنني فيه فوضع ذلك
موضع هذا رفعا لمنزلة المشار اليه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فامتنع
طلبا للعصمة اقرت لهن حين عرفت انهن يعذرنها كي يعاونها على الانة عريكته
ولئن لم يفعل ما آمره اي ما آمر به فحذف الجار او امري اياه بمعنى موجب امري فيكون
الضمير ليوسف ليسجنن وليكونا من الصاغرين الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر
صغرا وصغارا والصغير من صغر بالضم صغرا وقرئ ليكونن وهو يخالف خط
المصحف لان النون كتبت فيه بالالف كنسفعا على حكم الوقف وذلك بالخفيفة
لشبهها بالتنوين قال رب السجن وقرا يعقوب بالفتح على المصدر احب الي مما يدعونني
اليه اي آثر عندي من مؤاتاتها زنا نظرا الى العاقبة وان كان هذا مما تشتهيه النفس
وذلك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن خوفنه عن مخالفتها وزين
له مطاوعتها او دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلي بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى
به ان يسال الله العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسال الصبر
والا تصرف عني وان لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك الي وتحسينه عندي
بالتثبيت على العصمة اصب اليهن امل الى اجابتهن او الى انفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي
والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها وتميل اليها وقرئ اصب
من الصبابة وهي الشوق واكن من الجاهلين من السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه
فان الحكيم لا يفعل القبيح او من الذين لا يعملون بما يعلمون فانهم والجهال سواء فاستجاب له
ربه فاجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله والا تصرف فصرف عنه كيدهن
فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان

إنه هو السميع لدعاء الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم من بعد
ما رأوا الآيات ثم ظهر للعزيز من بعد ما رأى الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة
الصبي وقد القميص وقطع النساء أيديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره
ليسجننه حتى حين وذلك لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر
ما يكون منه او يحسب الناس انه المجرم فلبث في السجن سبع سنين وقرئ بالتاء على ان
بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم او العزيز ومن يليه وعتى بلغة هذيل ودخل معه
السجن فتيان اي ادخل يوسف السجن واتفق ان ادخل حينئذ آخران من عبيد الملك شرابيه
وخبازه للاتهام بانهما يريدان ان يسماه قال احدهما يعني الشرابي اني اراني في المنام
وهي حكاية حال ماضية اعصر خمرا اي عنبا وسماه بما يؤول اليه وقال الآخر اي الخباز
اني اراني احمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه تنهش منه نبئنا بتأويله انا نراك
من المحسنين من الذين يحسنون تأويل الرؤيا او من العالمين وانما قالا ذلك لانهما رأياه
في السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بتأويل
ما رأينا ان كنت تعرفه قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله اي
بتأويل ما قصصتما علي او بتأويل الطعام يعني بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه
تفسير المشكل كانه اراد ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما الى الطريق القويم قبل
ان يسعف الى ما سألاه منه كما هو طريقة الانبياء والنازلين منازلهم من العلماء
في الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة له من الاخبار بالغيب ليدلهما على
صدقه في الدعوة والتعبير قبل ان يأتيكما ذلكما ذلك التأويل مما علمني ربي بالالهام
والوحي وليس من قبيل التكهن والتنجيم اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة
هم كافرون تعليل لما قبله اي علمني ذلك لاني تركت ملة اولئك واتبعت ملة
آبائي ابرهيم واسحق ويعقوب او كلام مبتدأ لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت
النبوة ليقوي رغبتهما في الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل ان
يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتأكيد كفرهم
بالآخرة ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله من شيء اي شيء كان ذلك
اي التوحيد من فضل الله علينا بالوحي وعلى الناس وعلى سائر الناس ببعثنا لارشادهم
وتثبيتهم عليه ولكن اكثر الناس اي المبعوث عليهم لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون
عنه ولا ينتبهون او من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل وانزال الآيات ولكن
اكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها
يا صاحبي السجن اي يا ساكنيه او يا صاحبي فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله ٭
٭ يا سارق الليلة اهل الدار ٭ أأرباب متفرقون شتى متعددة متساوية الاقدام
خير ام الله الواحد المتوحد بالالوهية القهار الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه

غيره

غيره ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء سميتموها
انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان اي الا اشياء باعتبار اسامي اطلقتموها عليها من
غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكانكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة والمعنى انكم
سميتم ما لا يدل على استحقاقه الالهية عقل ولا نقل آلهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار
ما تطلقون عليها ان الحكم في امر العبادة الا لله لانه المستحق لها بالذات من حيث انه
الواجب لذاته الموجد للكل والمالك لامره امر على لسان انبيائه ان لا تعبدوا الا اياه
الذي دلت عليه الحجج ذلك الدين القيم الحق وانتم لا تميزون المعوج عن القويم وهذا
من التدرج في الدعوة والزام الحجة بين لهم اولا رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة
على طريق الخطابة ثم برهن على ان ما يسمونها آلهة ويعبدونها لا تستحق الالهية فان استحقاق
العبادة اما بالذات واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم
والدين المستقيم الذي لا يقتضي العقل غيره ولا يرتضي العلم دونه ولكن اكثر الناس لا يعلمون
فيخبطون في جهالاتهم يا صاحبي السجن اما احدكما يعني الشرابي فيسقي ربه خمرا كما كان
يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه واما الآخر يريد به الخباز فيصلب فتأكل الطير من رأسه
فقالا كذبنا فقال قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي قطع الامر الذي تستفتيان
فيه وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك وحده فانهما وان استفتيا في امرين لكنهما ارادا
استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال للذي ظن انه ناج منهما الظان يوسف ان
ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكره عن وحي فهو الناجي الا ان يؤول الظن باليقين اذكرني
عند ربك اذكر حالي عند الملك كي يخلصني فانساه الشيطان ذكر ربه فانسي الشرابي
ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر لملابسته له او على تقدير ذكر اخبار ربه او انسي
يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله عليه السلام رحم الله اخي يوسف لو لم يقل
اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد في كشف الشدائد
وان كانت محمودة في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الانبياء فلبث في السجن بضع سنين
البضع ما بين الثلث الى التسع من البضع وهو القطع وقال الملك اني ارى سبع
بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف لما دنى فرجه رأى الملك سبع بقرات سمان خرجن
من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان وسبع سنبلات خضر
قد انعقد حبها واخر يابسات وسبعا اخر يابسات قد ادركت فالتوت اليابسات
على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات واجرى
السمان على المميز دون المميز لان التمييز ووصف السبع الثاني بالعجاف لتعذر التمييز
بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفاء لكنه حمل على
سمان لانه نقيضه يا ايها الملأ افتوني في رؤياي عبروها ان كنتم للرؤيا تعبرون
ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهي الانتقال من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية

التي هي مثالها من العبور وهي المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا
واللام للبيان او لتقوية العامل فان الفعل لما اخر عن معموله ضعف فقوي
باللام كاسم الفاعل او لتضمين تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون
لعبارة الرؤيا قالوا اضغاث احلام اي هذه اضغاث احلام وهي تخاليطها جمع
ضغث واصله ما جمع من اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا
للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل او لتضمنه اشياء مختلفة
وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة اي ليس
لها تاويل عندنا وانما التاويل للمنامات الصادقة كانه مقدمة ثانية للعذر في جهلهم
بتاويله وقال الذي نجا منهما من صاحبي السجن وهو الشرابي وادكر بعد امة وتذكر يوسف
جماعة من الزمان مجتمعة اي مدة طويلة وقرئ إمة بكسر الهمزة وهي النعمة
اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وامه اي نسيان يقال امه يامه امها اذا نسي والجملة
اعتراض ومقول القول انا انبئكم بتاويله فارسلون الى من عنده علمه او الى السجن
يوسف ايها الصديق اي فارسل الى يوسف فجاء فقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق
وهو المبالغ في الصدق لانه جرب احواله وعرف صدقه في تاويل رؤياه ورؤيا
صاحبه افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات
خضر واخر يابسات اي في رؤيا ذلك لعلي ارجع الى الناس اعود الى الملك ومن عنده او
اهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه لعلهم يعلمون تاويلها او فضلك ومكانك
وانما لم يبت الكلام فيهما لانه لم يكن جازما بالرجوع فربما اخترم دونه ولا من
علمهم قال تزرعون سبع سنين دابا اي على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال
بمعنى دائبين او المصدر باضمار فعله اي تدأبون دابا وتكون الجملة حالا وقرا حفص
دأبا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب في العمل وقيل تزرعون امر اخرجه في صورة
الخبر مبالغة كقوله فما حصدتم فذروه في سنبله لئلا ياكله السوس وهو على نصيحة
خارجة عن العبارة الا قليلا مما تاكلون في تلك السنين ثم ياتي من بعد ذلك سبع
شداد ياكلن ما قدمتم لهن اي ياكل اهلهن ما ادخرتم لاجلهن فاسند اليهن على المجاز
تطبيقا بين المعبر والمعبر به الا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذور الزراعة ثم
ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس يمطرون من الغيث ويغاثون من القحط
من الغوث وفيه يعصرون ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون
الضروع وقرا حمزة والكسائي بالتاء على تغليب المستفتي وقرئ على بناء المفعول من عصره
اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبني للفاعل منه اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا او من
اعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض او بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة
بشرهم بها بعد ان اول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف

او جوا

واليابسات

تعبرون

تنتدبون

واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان باكل ما جمع في السنين المخصبة
في السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحي او بان انتهاء الجدب بالخصب او بان السنة الالهية ان
يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم وقال الملك ائتوني به بعد ما جاء الرسول بالتعبير فلما جاءه الرسول
ليخرجه قال ارجع الى ربك فاساله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن انما تانى
في الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص حالهن لتظهر براءة ساحته ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدر
الحاسد ان يتوسل به الى تقبيح امره وفيه دليل على انه ينبغي ان يجتهد في نفي التهم ويتقي
مواقعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت
الاجابة وانما قال فاساله ما بال النسوة ولم يقل فاساله ان يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث
وتحقيق الحال وانما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ
النسوة بضم النون ان ربي بكيدهن عليم حين قلن لي اطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن
والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى انه بريء مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن قال ما
خطبكن قال الملك لهن ما شانكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه اذ راودتن يوسف
عن نفسه قلن حاش لله تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه
من سوء من ذنب قالت امرات العزيز الآن حصحص الحق ثبت واستقر من حصحص البعير اذا
القى مباركه ليناخ قال فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوأة ثم صمما
او ظهر من حص شعره اذا استاصله بحيث ظهر بشرة راسه وقرئ على البناء للمفعول
انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي ذلك ليعلم
قاله يوسف لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن اي ذلك التثبت ليعلم العزيز اني لم
اخنه بالغيب بظهر الغيب وهو حال من الفاعل اي لم اخنه وانا غائب عنه او هو غائب عني
او ظرف اي بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة وان الله لا يهدي كيد الخائنين
لا ينفذه ولا يسدده او لا يهدي الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة
وفيه تعريض براعيل في خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه بقوله وما ابرئ
نفسي اي لا انزهها تنبيها على انه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما انعم
الله عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه لما قال ليعلم اني لم اخنه
بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت فقال ذلك ان النفس لامارة بالسوء من حيث انها بالطبع
مائلة الى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح في اثرها كل الاوقات الا ما رحم
ربي الا وقت رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة وقيل الاية حكاية قول راعيل والمستثنى
نفس يوسف واضرابه وعن ابن كثير ونافع بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الادغام ان
ربي غفور رحيم يغفر هم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة او يغفر للمستغفر لذنبه المعترف
على نفسه ما استغفره ويرحمه ما استرحمه مما ارتكبه وقال الملك ائتوني به استخلصه
لنفسي اجعله خالصا لنفسي فلما كلمه اي فلما اتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء قال انك

الجزء الثاني عشر

للطبع

او الا ما رحمه الله من النفوس فعصمه من ذلك وقيل الاستثنا منقطع اي ولكن رحمة ربي

ومنزل

اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة أمين مؤتمن على كل شي روي انه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسالك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرية فقال ما هذا اللسان قال لسان ابي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع رؤياي منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما راها واجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدها عذرا وولد منها افرائيم وميشا قال اجعلني على خزائن الارض ولني امرها والارض ارض مصر اني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها ولعله عليه السلام لما راى انه يستعمله في امره لا محالة آثر ما يتعمم فوائده وتجل عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار انه مستعد لها والتولي من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وعن مجاهد ان الملك اسلم على يديه وكذلك مكنا ليوسف في الارض اي ارض مصر يتبوأ منها حيث يشاء ينزل من بلادها حيث هوي وقرا ابن كثير نشاء بالنون نصيب برحمتنا من نشاء في الدنيا والاخرة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفي اجورهم عاجلا واجلا ولاجر الاخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون الشرك والفواحش لعظمه ودوامه وجاء اخوة يوسف روي انه لما استوزره الملك اقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشام ونواحيهما وتوجه اليه الناس فباعهم اولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شي منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب والضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الراي رايك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم وكان قد اصاب كنعان ما اصاب ساير البلاد فارسل يعقوب بنيه غير بنيامين اليه للميرة فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون اي عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم اياه في سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله التي عليها من حاله التي فارقوه وقلة تاملهم من حلاه من التهيب والاستعظام ولما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر ركائبهم بما جاءوا لاجله والجهاز ما يعد من الامتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة الى اخرى وما يزف به المراة الى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر قال ائتوني باخ لكم من ابيكم روي انه لما دخلوا عليه قال من انتم وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبيا اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب احدنا الى البرية فهلك قال فكم انتم هنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا عند ابينا يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا هنا من يشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان يعطي لكل نفر حملا فسالوا

حملا

حملا اذا بدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان ياتوه به ليعلم صدقهم الا ترون اني اوفي الكيل اتمه وانا خير المنزلين للضيف والمضيفين وكان احسن انزالهم وضيافتهم فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون اي ولا تقربوني ولا تدخلوا دياري وهو اما نهي او نفي معطوف على الجزا قالوا سنراود عنه اباه سنجتهد في طلبه من ابيه وانا لفاعلون ذلك لا نتوانى فيه وقال لفتيته لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرا حمزة والكسائي وحفص لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فانه وكل بكل رحل واحدا يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا من ان ياخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عندهم ما يرجعون به لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها او لكي يعرفوها اذا انقلبوا الى اهلهم وفتحوا اوعيتهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين فارسل معنا اخانا نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج اليه وقرا حمزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ اي يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالنا وانا له لحافظون عن ان يناله مكروه قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل وقد قلتم في يوسف وانا له لحافظون فالله خير حفظا فاتوكل عليه وافوض امري اليه وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا في قراءة حمزة والكسائي وحفص يحتمله والحال كقوله لله دره فارسا وقرئ خير حافظ وخير الحافظين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء نقلها في بيع وقيل قالوا يا ابانا ما نبغي ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا او لا نطلب وراء ذلك احسانا او لا نبغي في القول ولا نتزيد فيما حكينا لك من احسانه وقرئ ما تبغي على الخطاب اي اي شي تطلب وراء هذا من الاحسان او من الدليل على صدقنا هذه بضاعتنا ردت الينا استيناف لقولهم ما نبغي ونمير اهلنا معطوف على محذوف اي ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك ونحفظ اخانا عن المخاوف في ذهابنا وايابنا ونزداد كيل بعير وسق بعير باستصحاب اخينا ذلك كيل يسير اي مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك او يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم ويجوز ان يكون الاشارة الى كيل بعير اي ذلك شي قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل انه من كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شي يسير لا يخاطر لمثله بالولد قال لن ارسله معكم اذ رايت منكم ما رايت حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اي عهدا مؤكدا بذكره

لتأتنني به جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني به الا ان يحاط بكم الا ان
تغلبوا فلا تطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال
والتقدير لتأتنني به على كل حال الا حال الاحاطة بكم او من اعم العلل على ان قوله لتأتنني
به في تأويل النفي لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم لقولهم اقسمت بالله الا فعلت اي
لا اطلب الا فعلك فلما آتوه موثقهم عهدهم قال الله على ما نقول من طلب الموثق واتيانه
وكيل رقيب مطلع وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة
لانهم كانوا ذوي جمال وابهة مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف
عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا ولعله لم يوصهم بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا
مجهولين حينئذ وكان الداعي الى اخوته على بنيامين وللنفس آثار منها العين والذي
يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام في دعوته اللهم اني اعوذ بكلمات الله من كل هامة
وعين لامة وما اغني عنكم من الله من شيء مما قضى الله عليكم بما اشرت به اليكم فان
الحذر لا يمنع القدر ان الحكم الا لله يصيبكم لا محالة ان قضى عليكم سوءا ولا
ينفعكم ذلك عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين في عطف
الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كان الواو للعطف والفاء لافادة التسبب
فان فعل الانبياء سبب لان يقتدى بهم ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم
اي من ابواب متفرقة في البلد ما كان يغني عنهم رأي يعقوب واتباعهم له من الله
من شيء مما قضى عليهم كما قال يعقوب فسرقوا واخذ بنيامين بوجدان الصاع
في رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب الا حاجة في نفس يعقوب استثناء
منقطع اي ولكن حاجة في نفسه يعني شفقته عليهم وحرازته ان يعانوا قضاها اظهرها
ووصى بها وانه لذو علم لما علمناه بالوحي ونصب الحجج ولذلك قال وما اغني عنكم
من الله من شيء ولم يغتر بتدبيره ولكن اكثر الناس لا يعلمون سر القدر وانه لا يغني
عنه الحذر ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين على الطعام
او في منزله روي انه اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال
لو كان اخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه معه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين
بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات معه وقال له اتحب ان اكون اخاك بدل
اخيك الهالك قال ومن يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال اني انا
اخوك فلا تبتئس فلا تحزن افتعال من البؤس بما كانوا يعملون في حقنا فلما جهزهم
بجهازهم جعل السقاية المشربة في رحل اخيه قيل كانت مشربة جعلت صاعا
يكال به وقيل كانت تسقى الدواب بها ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب
وجعل على حذف جواب فلما تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن
نادى مناد ايتها العير انكم لسارقون لعله لم يقله بامر يوسف وكان تعيينه

السقاية

السقاية والنداء عليها برضا بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابيه او انكم لسارقون
والعير القافلة وهو اسم للابل التي كانت عليها الاحمال لانها تعير اي تتردد فقيل
لاصحابها كقوله عليه الصلاة والسلام يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير واصلها فعل
كسقف فنعل به ما فعل ببيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة قالوا واقبلوا
عليهم ماذا تفقدون اي شيء ضاع عنكم والفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف
مكانه وقيل يفتقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا قالوا نفقد صواع الملك
وقرئ صاع وصوع بالضم والفتح والعين والغين وصواغ من الصياغة ولمن
جاء به حمل بعير من الطعام جعلا له وانا به زعيم كفيل اؤديه الى من رده وفيه دليل
على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب والتاء
بدل من الباء مختصة باسم الله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين
استشهدوا بعلمهم على براءة انفسهم لما عرفوا منهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك
مما يدل على فرط امانتهم كرد البضاعة التي جعلت في رحالهم وكعم الدواب لئلا
تتناول زرعا او طعاما لاحد قالوا فما جزاؤه فما جزاء السارق او السرق والصاع
على حذف المضاف ان كنتم كاذبين في ادعائكم البراءة قالوا جزاؤه من وجد في
رحله فهو جزاؤه اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله واسترقاقه هكذا كان
شرع يعقوب وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له او خبر من والفاء لتضمنه
معنى الشرط او جواب لها على انها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه على اقامة الظاهر
فيها مقام الضمير كانه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو كذلك نجزي الظالمين
بالسرقة فبدأ باوعيتهم فبدأ المؤذن وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء اخيه
بنيامين نفيا للتهمة ثم استخرجها اي السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث
من وعاء اخيه وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كذلك مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف
بان علمناه اياه واوحينا اليه ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك ملك مصر لان
دينه الضرب وتغريم ضعف ما اخذ دون ان يسترق فهو بيان الكيد الا ان يشاء الله
ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا
لكن اخذه بمشيئة الله واذنه نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجته وفوق
كل ذي علم عليم ارفع درجة منه واحتج به من زعم انه تعالى عالم بذاته اذ لو
كان ذا علم لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذي علم من الخلائق لان الكلام
فيهم ولان العليم هو الله تعالى ومعناه الذي له العلم البالغ لغة ولانه لا فرق بينه
وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له
من قبل يعنون يوسف قيل ورثت عمته من ابيها منطقة ابراهيم وكانت تحضن
يوسف وتحبه فلما شب اراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة في وسطه

ثم اظهرت ضياعها فتحصوا عنها فوجدت محزومة عليه فصارت احق به في حكمهم وقيل
كان لابي امه صنم فسرقه وكسره والقاه في الجيف وقيل كان في البيت عناق او دجاجة فاعطى
السائل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم اكنها ولم يبدها ولم يظهرها لهم والضمير
للاجابة او المقالة او نسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة التفسير تفسيرها قوله
قال انتم شر مكانا فانه بدل من اسرها والمعنى قال في نفسه اي منزلة في السرقة لسرقتكم
اخاكم او في سوء الصنيع مما كنتم عليه وتانيثها باعتبار الكلمة او الجملة وفيه نظر اذ المفسر
بالجملة لا يكون الا ضمير الشان والله اعلم بما تصفون وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون
قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا في السن والقدر ذكروا له حاله استعطافا له
عليه فخذ احدنا مكانه بدله فان اباه ثكلان على اخيه الهالك مستانس به انا نراك من المحسنين
الينا فاتمم احسانك او من المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله ان ناخذ
الا من وجدنا متاعنا عنده فان اخذ غيره ظلم على فتواكم فلو اخذنا احدا مكانه انا اذا
لظالمون في مذهبكم هذا اوان مراده ان الله اذن ان اخذ من وجدنا الصاع في
رحله لمصلحته ورضاه عليه فلو اخذت غيره كنت ظالما فلما استياسوا منه يئسوا من يوسف
واجابته اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة خلصوا تفردوا واعتزلوا نجيا متناجين
وانما وحده لانه مصدر او بزنته كما قيل هم صديق وجمعه انجية كندي واندية
قال كبيرهم في السن وهو روبيل او في الراي وهو شمعون وقيل يهوذا الم تعلموا ان اباكم
قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا منه لانه باذن
منه وتاكيد من جهته ومن قبل ومن قبل هذا ما فرطتم في يوسف قصرتم في شانه وما مزيدة
ويجوز ان تكون مصدرية في موقع النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا باس بالفصل بين
العاطف والمعطوف بالظرف او على اسم ان وخبره في يوسف او من قبل او الرفع بالابتداء
والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل اذا كان خبرا او صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص
وان يكون موصولة اي ما فرطتموه بمعنى ما قدمتموه في حقه من الجناية ومحله ما تقدم
فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لي ابي في الرجوع او يحكم الله لي
او ينقضي لي بالخروج منها او بخلاص اخي منهم او بالمقاتلة معهم لتخليصه روي انهم كلموا
العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك لتتركنا او لاصيحن صيحة تضع منها الحوامل
ووقفت شعور جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه وكان
بنو يعقوب اذا غضب احدهم فمسه الاخر ذهب غضبه فقال روبيل من
هذا ان في هذا البلد لبزرا من بزر يعقوب وهو خير الحاكمين لان حكمه لا يكون
الا بالحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق على ما شاهدناه من
ظاهر الامر وقرئ سرق نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا بان راينا
ان الصاع استخرج من وعائه وما كنا للغيب حافظين فلا ندري انه سرق وذلك

ودس

ودس الصاع في رحله وما كنا للعواقب عالمين فلا ندري حين اعطيناك المواثيق انه
سيسرق او انك تصاب به كما اصبت في يوسف واسال القرية التي كنا فيها يعنون مصرا
او قرية بقربها لحقهم المنادي فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسالهم عن القصة والعير
التي اقبلنا فيها واصحاب العير التي توجهنا فيهم وكنا معهم وانا لصادقون تاكيد
في محل القسم قال بل سولت اي فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم اخوهم
قال بل سولت اي زينت وسهلت لكم انفسكم امرا اردتموه فقررتموه والا فما
ادرى الملك ان السارق يؤخذ بسرقته فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر
جميل اجمل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا بيوسف وبنيامين واخيهما الذي توقف
بمصر انه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم في تدبيرهم وتولى عنهم واعرض عنهم
كراهة لما صادف منهم وقال يا اسفى على يوسف اي يا اسفى تعال فهذا اوانك
والاسف اشد الحزن والحسرة والالف بدل من يا المتكلم وانما تاسف على يوسف
دون اخويه ورزؤه حادث لان رزاه كان قاعدة المصيبات وكان غضا آخذا بمجامع
قلبه ولانه كان واثقا بحياتهما دون حياته وفي الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا
اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم
يسترجع وقال يا اسفى وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه من الحزن كان
العبرة محقت سوادهما وقيل ضعف بصره وقيل عمي وقرئ من الحزن وفيه دليل
جواز التاسف والبكاء عند التفجع ولعل امثال ذلك لا يدخل تحت التكليف فانه قل من
يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابراهيم وقال القلب
يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون فهو كظيم مملوء
من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول لقوله تعالى وهو مكظوم
من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير جرته في جوفه قالوا تالله تفتا تذكر
يوسف اي لا تفتا ولا تزال تذكره تفجعا فحذف لا كما في قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا
لانه لا يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي حتى
تكون حرضا مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذي اذابه هم او مرض وهو في الاصل
مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف وقرئ به وبضمتين
كجنب او تكون من الهالكين من الميتين قال انما اشكو بثي وحزني همي الذي لا اقدر
الصبر عليه من البث بمعنى النشر الى الله لا الى احد منكم ولا من غيركم فخلوني وشكايتي
واعلم من الله من صنعه ورحمته وانه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجي اليه او من الله بنوع
من الالهام ما لا تعلمون من حيوة يوسف قيل راى ملك الموت في المنام فساله عنه فقال
هو حي وقيل علم من رويا يوسف انه لا يموت حتى تخر له اخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا
من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما والتحسس تطلب الاحساس

ولا تيأسوا من روح الله لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله اي من رحمته
التي يحيي بها العباد انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون بالله وصفاته
فانه لا يقنط المسلم من رحمته في شي من الاحوال فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز بعد
ما رجعوا الى مصر رجعة ثانية مسنا واهلنا الضر شدة الجوع وجئنا ببضاعة
مزجاة ردية او قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية
الزمان قيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل
الاقط وسويق المقل فاوف لنا الكيل فاتم لنا الكيل وتصدق علينا برد اخينا او
بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها واختلف في ان حرمة الصدقة
تعم الانبيا او تختص بنبينا عليه السلام ان الله يجزي المتصدقين احسن الجزا والتصدق
التفضل مطلقا ومنه قوله عليه السلام في القصر هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته
لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه
اي هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع
ان يكلمهم الا بعجز وذلة اذ انتم جاهلون قبحه فلذلك اقدمتم عليه او عاقبته وانما
قال ذلك تنصحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما راى من عجزهم وتمسكهم
لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب في تخليص بنيامين وذكروا له ما فيه من
الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال
او لانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين قالوا ائنك لانت يوسف استفهام تقرير
ولذلك حقق بان واللام عليه وقرا ابن كثير على الايجاب قيل عرفوه بروائه وعلامة بقرنه
وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن راسه فراوا
علامة بقرنه تشبه الشامة البيضا لسارة ويعقوب مثلها قال انا يوسف وهذا
اخي من ابي وامي ذكره تعريفا لنفسه به وتفخيما له وادخالا في قوله قد من الله علينا
اي بالسلامة والكرامة انه من يتق اي يتق الله ويصبر على البليات او على الطاعات
وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على ان
المحسن من جمع بين التقوى والصبر قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك علينا بحسن الصورة
وكمال السيرة وان كنا لخاطئين والحال ان شاننا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك قال
لا تثريب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي يغشى الكرش للازالة كالتجليد
فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب ما الوجه اليوم
متعلق بالتثريب او بالمقدر للجار الواقع خبرا للا تثريب والمعنى لا اثربكم
اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم بسائر الايام او بقوله يغفر الله لكم لانه صفح
عن جريمتهم حينئذ واعترفوا بها حينئذ وهو ارحم الراحمين فانه يغفر الصغاير
والكباير ويتفضل على التائب ومن كرم يوسف انهم لما عرفوه ارسلوا اليك تدعونا

المتصدقين

لا تثريب عليكم

بالبكرة

بالبكرة والعشي الى الطعام ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا
ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ
ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم
عليه السلام اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان عليه وقيل القميص المتوارث الذي
كان في التعويذ فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا يرجع بصيرا او ياتي الي وهو بصير
واتوني انتم وابي باهلكم اجمعين بنسائكم وذراريكم ومواليكم ولما فصلت العير
وخرجت من مصر وعمرانها قال ابوهم لمن حضره اني لاجد ريح يوسف اوجد
الله ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين اقبل اليه يهوذا من ثمانين فرسخا لولا ان
تفندون تنسبوني الى الفند وهو نقصان عقل يحصل من هرم ولذلك لا يقال
عجوز مفندة لان نقصان عقلها ذاتي وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتموني
او لقلت انه قريب قالوا اي الحاضرون تالله انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك
عن الصواب قدما بالافراط في محبة يوسف واكثار ذكره والتوقع للقائه فلما ان جاء
البشير يهوذا روي انه قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ اليه فافرحه بحمل هذا
القاه على وجهه طرح البشير القميص على وجه يعقوب او يعقوب نفسه فارتد بصيرا
عاد بصيرا لما انتعش فيه بصيره قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حياة
يوسف وانزال الفرج وقيل اني اعلم كلام مبتدا والقول لا تيأسوا من روح الله او
لاجد ريح يوسف قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق المعترف
بذنبه ان يصفح عنه ويسال له المغفرة قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور
الرحيم اخره الى السحر او الى صلاة الليل او الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة او
الى ان يستحل لهم من يوسف او يعلم انه عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة
ويؤيده ما روي انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما
اذلة خاشعين حتى نزل جبريل وقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم
بعده على النبوة وهو ان صح فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم
فلما دخلوا على يوسف روي انه وجه اليه رواحل واموالا ليتجهز اليه بمن معه واستقبله
يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا
وامراة وكانوا حين خرجوا مع موسى ستماية الف وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى
آوى اليه ابويه ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الام تنزيل العم منزلة
الاب في قوله واله اباءك ابراهيم واسمعيل واسحاق او لان يعقوب تزوجها بعد
امه والرابة تدعى اما وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين من القحط واصناف
والمشية متعلقة بالدخول المكيف بالامن والدخول الاول كان في موضع خارج
البلد استقبلهم ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا تحية وتكرمة له

المكاره

فان السجود كان عندهم يجري مجراها وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير
لله والواو لابويه واخوته والرفع مؤخر عن الخرور وان تقدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما
وقال يا ابت هذا تاويل رءياي من قبل رايتها ايام الصبي قد جعلها ربي حقا صدقا
وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا عليهم وجاء بكم من
البدو من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشي واهل البدو من بعد ان نزغ الشيطان
بيني وبين اخوتي افسد بيننا وحرش من نزغ الرائض الدابة اذا نخسها وحملها على الجري
ان ربي لطيف لما يشاء لطيف التدبير له اذ ما من صعب الا وتنفذ فيه مشيئته ويتسهل
دونها انه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم الذي يفعل كل شيء في وقته
وعلى وجه يقتضي الحكمة روي ان يوسف طاف بابيه عليهما السلام في خزائنه فلما دخل
خزانة القرطاس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي ثمان
مراحل قال امرني جبريل قال اوما تساله قال انت ابسط مني اليه فساله قال جبريل
الله امرني بذلك لقولك واخاف ان ياكله الذئب قال فهلا خفتني رب قد اتيتني
من الملك بعض الملك وهو ملك مصر وعلمتني من تاويل الاحاديث الكتب والرؤيا
ومن ايضا للتبعيض لانه لم يوت كل التاويل فاطر السموات والارض مبدعهما وانتصابه
على انه صفة المنادى او منادى براسه انت وليي ناصري او متولي امري في الدنيا
والاخرة اي الذي يتولاني بالنعمة فيهما توفني مسلما اقبضني والحقني بالصالحين
من ابائي او بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة روي ان يعقوب اقام معه اربعا
وعشرين سنة ثم توفي واوصى ان يدفن بالشام الى جنب ابيه ابراهيم فذهب به ودفنه
ثمة ثم عاد وعاش بعده ثلاثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى
الموت فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال فراوا ان
يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا
شرعا فيه ثم نقله موسى عليه السلام الى مدفن ابائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد
ولد له من راعيل افرائيم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امراة ايوب ذلك اشارة
الى ما ذكر من نبا يوسف والخطاب فيه للرسول وهو مبتدا من انباء الغيب نوحيه اليك خبر
ان له وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون كالدليل عليهما والمعنى ان هذا
انباء غيب لم تعرفه الا بالوحي لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ما هموا به من ان يجعلوه
في غيابة الجب وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذي لا يخفى على مكذبيك انك
ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف هذا الشق استغناء بذكره في غير هذه
القصة بقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا وما اكثر الناس ولو حرصت على
ايمانهم وبالغت في اظهار الايات عليهم بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسالهم
عليه على الانباء او القران من اجر جعل كما يفعله حملة الاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله
هو

للعالمين

بوجوه

للعالمين عامة وكاين من اية وكم من اية والمعنى وكاي عدد من الدلائل الدالة على وجود الصانع
وكمال قدرته وتوحيده في السموات والارض يمرون عليها على الايات يشاهدونها وهم عنها
معرضون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدا خبره يمرون
فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب ويطئون وقرئ والارض يمشون عليها اي يترددون فيها فيرون
الاثار الامم الهالكة وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون
بعبادة غيره او باتخاذ الارباب او نسبة التبني اليه او القول بالنور والظلمة او النظر الى الاسباب
ونحو ذلك وقيل الاية في مشركي مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب افامنوا ان
تاتيهم غاشية من عذاب الله عقوبة تغشاهم وتشملهم او تاتيهم الساعة بغتة
فجاة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلي يعني
الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله ادعوا الى الله وقيل هو
حال من الياء على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء انا تاكيد للمستتر في ادعو وعلى بصيرة
لانه حال منه او ابتداء خبره على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين
وانزهه تنزيها من الشركاء وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل
ملائكة وقيل معناه نفي استنباء النساء يوحى اليهم كما يوحى اليك ويمتازوا بذلك عن غيرهم
وقرا حفص نوحي في كل القران ووافقه حمزة والكسائي في سورة الانبياء من اهل القرى
لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم من المكذبين بالرسل والايات فيحذروا تكذيبك او من المشغوفين بالدنيا المتهالكين
عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الاخرة ولدار الحال او الساعة او الحياة الاخرة خير للذين اتقوا
الشرك والمعاصي افلا يعقلون يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرا نافع وابن
عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلي اي قل لهم افلا تعقلون حتى اذا
استياس الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام اي لا يغررهم تمادي ايامهم فان من قبلهم
امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او عن ايمانهم لانهماكهم في الكفر مترفهين
متمادين فيه من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم
بانهم ينصرون او كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم والثاني للرسل اي
الرسل كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للمرسل اليهم والثاني للرسل اي وظنوا ان الرسل
قد كذبوا واخلفوا فيما وعد لهم من النصر وخلط الامر عليهم وما روي عن ابن عباس ان الرسل
ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما يهجس في القلب على
طريق الوسوسة هنا وان المراد به المبالغة في التراخي والامهال على سبيل التمثيل وقرا
غير الكوفيين بالتشديد اي وظن الرسل ان القوم كذبوهم فيما اوعدوهم وقرئ
كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اي وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى
عنهم ولم يروا له اثرا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء النبي والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة

على انهم الذين يتأهلون ان نشا نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم وقرا ابن عامر وعاصم ويعقوب
على لفظ الماضي المبني للمفعول وقري فنجا ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين اذا نزل بهم وفيه
بيان المستثنين لقد كان في قصصهم في قصص الانبيا واممهم او في قصة يوسف واخوته
عبرة لاولي الالباب عبرة لذوي العقول المبراة عن شوائب الالف والركون الى الحس ما كان
حديثا يفترى ما كان القران حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب
الالهية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين ان ما من امر ديني الا وله سند من القران
بوسط او بغير وسط وهدى من الضلال ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون
يصدقونه وعن النبي صلى الله عليه وسلم علموا ارقاكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله
وما ملكت يمينه الا هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم المر قيل معناه الا قوله ويقول الذين كفروا الاية
انا الله اعلم وارى تلك ايات الكتاب يعني بالكتاب السورة وتلك اشارة الى اياتها اي تلك
الايات ايات السورة الكاملة او القران والذي انزل اليك من ربك هو القران كله ومحله
الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص او احد الصفتين على الاخرى او الرفع
بالابتدا وخبره الحق والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص
المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق
المنزل بحسن اتباعه ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لاخلالهم بالنظر والتامل فيه الله الذي
رفع السموات مبتدا وخبره ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر بغير عمد اساطين
جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم وقرى عمد كرسل ترونها صفة لعمد او
استيناف للاستشهاد برويتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان
ارتفاعها على ساير الاجسام المساوية لها في حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضي
ذلك لا بد وان يكون لمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته
وعلى هذا المنهاج ساير ما ذكر من الايات ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير وسخر
الشمس والقمر ذللهما لما اراد منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة تنفع في حدوث
الكاينات وبقاها كل يجري لاجل مسمى لمدة معينة يتم فيها دوره او لغاية مضروبة
ينقطع دونها سيره وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت يدبر الامر امر ملكوته من
الايجاد والاعدام والاحيا والاماتة وغير ذلك يفصل الايات ينزلها ويبينها مفصلة
او يحدث الدلايل واحدا بعد واحد لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكي تتفكروا فيها وتتحققوا
كمال قدرته فتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشيا وتدبيرها قدر على الاعادة والجزا وهو
الذي مد الارض بسطها طولا وعرضا ليثبت عليها الاقدام وينقلب عليها الحيوان وجعل فيها

وبينها

جبالا ثوابت من رسى الشي اذا ثبت جمع راسية والتا للتانيث على انه صفة اجبل وللمبالغة
وانهارا ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال اسباب لتولدها ومن كل
الثمرات متعلق بقوله جعل فيها زوجين اثنين اي وجعل فيها من جميع الانواع
الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير يغشي الليل
النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعد ما كان مضيا وقرا حمزة والكسائي وابو بكر يغشي
بالتشديد ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فيها فان تكونها وتخصيصها بوجه دون وجه
دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيا اسبابها وفي الارض قطع متجاورات بعضها
طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها يصلح للزرع دون الشجر
وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه لم يكن كذلك لاشتراك
تلك القطع في الطبيعة الارضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب
السماوية من حيث انها متضامة متشاركة في النسب والاوضاع وجنات من اعناب
وزرع ونخيل وبساتين فيها انواع الاشجار والزرع وتوحيد الزرع لانه مصدر في اصله
وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفا على وجنات صنوان
نخلات اصلها واحد وغير صنوان ومتفرقات مختلفة الاصول وقرا حفص بالضم وهي لغة
تميم كقنوان في جمع قنو يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل في الثمر شكلا
وقدرا ورايحة وطعما وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول
والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر مختار وقرا ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير
على تاويل ما ذكر وحمزة والكسائي يفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الامر ان في ذلك لايات لقوم يعقلون
يستعملون عقولهم بالتفكر وان تعجب وان تعجب يا محمد من انكارهم البعث فعجب قولهم حقيق
بان يتعجب منه فان من قدر على انشا ما قص عليك كانت الاعادة ايسر شي عليه والايات المعدودة كما هي دالة على وجود المبدا فهي دالة على امكان الاعادة من حيث انها تدل على كمال
قدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته ائذا كنا ترابا ائنا لفي خلق جديد بدل من قولهم او
مفعول له والعامل في اذا محذوف دل عليه ائنا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم
لانهم كفروا بقدرته على البعث واولئك الاغلال في اعناقهم مقيدون بالضلال لا يرجى
خلاصهم او يغلون يوم القيامة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها
وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل
العافية وذلك انهم استعجلوا بما هددوا من عذاب الدنيا استهزاء وقد خلت من قبلهم المثلات
عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح
الثا وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص وامثلت الرجل
من صاحبه اذا اقتصصته منه وقرى المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفا العين والمثلات
بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات على انها جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو
مغفرة للناس على ظلمهم مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة

ك

الاصول

كبر

ايسر شي عليه والايات المعدودة كما هي دالة على وجود المبدا فهي دالة على امكان الاعادة

والتقييد به دليل جواز العفو قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم
بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر او المغفرة بالستر والامهال **وان ربك لشديد العقاب**
للكفار او لمن شاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه لما هنا احد العيش ولولا
وعيده وعقابه لاتكل كل احد **ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه** لعدم اعتدادهم
بالآيات المنزلة عليه واقتراحا لنحو ما اوتي موسى وعيسى عليهما السلام **انما انت منذر** مرسل
للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما تصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك
ولكل قوم هاد نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم
الى الصواب او قادر على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته بما ينزل من الآيات
ثم اردف ذلك بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها على انه قادر
على انزال ما اقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانه قادر
على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر فقال **الله يعلم ما تحمل كل انثى**
اي حملها او ما تحمله على اي حال هو من الاحوال الحاضرة والمترقبة **وما تغيض الارحام
وما تزداد** وما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد واقصى مدة الحمل اربع
سنين عندنا وخمس عند مالك وسنتان عند ابي حنيفة روي ان الضحاك ولد لسنتين وهرم
ابن حيان لاربع سنين واعلى عدده لا حد له وقيل نهاية ما عرف اربع واليه ذهب
ابو حنيفة رضي الله عنه وقال الشافعي رضي الله عنه اخبرني شيخ باليمن ان امرأة ولدت
بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا
ولازما وكذا ازداد قال الله تعالى وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين تعين ان
يكون مصدرية واسنادهما الى الارحام على المجاز فانهما لله او لما فيها **وكل شيء عنده
بمقدار** بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه لقوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر فانه تعالى
خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيأ له اسبابا مسوقة اليه تقتضي ذلك وقرأ
ابن كثير هاد ووال وواق وما عند الله باق بالتنوين في الوصل فاذا وقف وقف بالياء في
هذه الاربعة احرف حيث وقعت لا غير والباقون يصلون بالتنوين ويقفون بغير يا
عالم الغيب الغائب عن الحس **والشهادة** الحاضر له **الكبير** العظيم الشأن الذي لا يخرج عن
علمه شيء **المتعال** المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن نعت المخلوقين وتعالى طالب
للخفا في مختبي بالليل عنه **سواء منكم من اسر القول** في نفسه **ومن جهر به** لغيره
ومن هو مستخف بالليل طالب للخفا في مختبي بالليل **وسارب بالنهار** بارز يراه كل احد
من سرب سروبا اذا برز وهو عطف على من او مستخف على ان من في معنى الاثنين
كقوله: تكن مثل من يا ذئب يصطحبان :. كانه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل
وسارب بالنهار والآية متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله **له** لمن اسر
او جهر واستخفى او سرب **معقبات** ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقب

مبالغة

الا ما يقترح

مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله
فيكتبونه او اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات
جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة على تعويض الياء من حذف احدى القافين
من بين يديه ومن خلفه من جوانبه او من اعماله ما قدم واخر **يحفظونه من امر الله** من باس
متى اذنب بالاستمهال او الاستغفار له او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل
امر الله وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات
الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه من توهمه من قضاء الله **ان الله لا يغير ما بقوم** من
العافية والنعمة **حتى يغيروا ما بانفسهم** من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة **واذا اراد الله
بقوم سوءا فلا مرد له** فلا راد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب **وما لهم من دونه من وال**
ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف مراد الله محال **هو الذي يريكم
البرق خوفا** من اذاه **وطمعا** في الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف
اي ارادة خوف وطمع او التأويل بالاخافة والاطماع او الحال من البرق او المخاطبين على
اضمار ذو او اطلاق المصدر بمعنى المفعول او الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره
ويطمع فيه من ينفعه **وينشئ السحاب** الغيم المنسحب في الهواء **الثقال** وهو جمع ثقيلة وانما
وصف به السحاب لانه اسم جنس في معنى الجمع **ويسبح الرعد** ويسبح سامعوه **بحمده** ملتبسين
به فيضجون سبحان الله والحمد لله او يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله وكمال قدرته ملتبسا
بالدلالة على فضله ونزول رحمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد
فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب **والملائكة من خيفته** من
خوف الله واجلاله وقيل الضمير للرعد **ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء** فيهلكه **وهم يجادلون
في الله** حيث يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يصفه من كمال العلم والتفرد بالالوهية
واعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو اما
لعطف الجملة على الجملة او للحال فانه روي ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخا لبيد
وفدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدين لقتله فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من
خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد
صاعقة فقتلته ورمي عامر بغدة فمات في بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير
وموت في بيت سلولية فنزلت **وهو شديد المحال** المماحلة والمكايدة لاعدائه من محل
بفلان اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى
القحط وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده
انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون
مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد **له دعوة الحق** الدعاء
الحق فانه الذي يحق ان يعبد ويدعى الى عبادته دون غيره او له الدعوة المجابة فان من دعاه

لايق اولو

قال ابن عباس رضي الله عنه من سمع صوت الرعد فقال سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فان اصابته صاعقة فعلي ديته نقل سعدي

لما بينهما من الملابسة او على
تأويل دعوة المدعو الحق
وقيل الحق هو الله
وكل دعا اليه

أجاب ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل وإضافة الدعوة إليه
دعوة الحق والمراد بالجملتين إن كانت الآية في عامر وأربد إن إهلاكهما من حيث لم يشعرا
به محال من الله وإجابة لدعوة رسوله أو دلالة على أنه على الحق وإن كانت عامة فالمراد
وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتهديدهم بإجابة
دعاء الرسول عليهم أو بيان ضلالهم وفساد رأيهم والذين يدعون أي والأصنام الذين
يدعوهم المشركون فحذف الراجع أو والمشركون الذين يدعون الأصنام فحذف المفعول
لدلالة من دونه عليه لا يستجيبون لهم بشيء من الطلبات إلا كباسط كفيه إلا استجابة
كاستجابة من بسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه يطلب منه أن يبلغه وما هو ببالغه لأنه
جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على إجابته والإتيان بغير ما جبل عليه وكذلك آلهتهم
وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها بمن أراد أن يغترف الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه
وقرئ تدعون بالتاء وباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين إلا في ضلال في ضياع وخسار
وباطل ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها يحتمل أن يكون السجود على حقيقته
فإنه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة كرها
حال الشدة والضرورة وظلالهم بالعرض وأن يراد به انقيادهم لإحداث ما أراده
فيهم شاءوا أو كرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه إياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا
وكرها بالحال أو العلة وقوله بالغدو والآصال ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام أو حال
من الظلال وتخصيص الوقتين لأن الامتداد والتقليص أظهر فيهما والغدو جمع غداة
كقنى وقناة والآصال جمع أصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر
ويؤيده أنه قرئ والإيصال وهو الدخول في الأصيل قل من رب السموات والأرض
خالقهما ومتولي أمرهما قل الله أجب عنهم بذلك إذ لا جواب لهم سواه ولأنه البين الذي
لا يمكن المراء فيه أو لقنهم الجواب به قل أفاتخذتم من دونه ثم ألزمهم بذلك أن
اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا
لا يقدرون أن يجلبوا إليها نفعا أو يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون إنفاع الغير
ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رأيهم في اتخاذهم أولياء
رجاء أن يشفعوا لهم قل هل يستوي الأعمى والبصير المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب
لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على أحوالكم
أم هل تستوي الظلمات والنور الشرك والتوحيد وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالياء أم
جعلوا لله شركاء بل أجعلوا والهمزة للإنكار وقوله خلقوا كخلقه صفة لشركاء داخلة
في حكم الإنكار فتشابه الخلق عليهم خلق الله وخلقهم والمعنى أنهم ما اتخذوا لله شركاء
خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة
كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر

عليه

عليه الخالق قل الله خالق كل شيء لا خالق غيره فيشاركه في العبادة وجعل الخلق موجب العبادة
ولازم استحقاقها ثم نفى من سواه ليدل على قوله وهو الواحد المتوحد بالألوهية القهار
الغالب على كل شيء أنزل من السماء ماء من السحاب أو من جانب السماء أو من السماء نفسها فإن المبادئ
منها فسالت أودية أنهار جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع
فيه واستعمل للماء الجاري فيه وتنكيرها لأن المطر يأتي على تناوب بين البقاع بقدرها
بمقدارها الذي علم الله أنه نافع غير ضار أو بمقدارها في الصغر والكبر فاحتمل السيل
زبدا رفعه والزبد وضر الغليان رابيا عاليا ومما توقدون عليه في النار يعم الفلزات
كالذهب والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون بها إظهارا لكبريائه ابتغاء حلية
طلب حلي أو متاع كالأواني وآلات الحرب والحرث والمقصود من ذلك بيان منها
زبد مثله أي ومما توقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن للابتداء أو التبعيض
وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالياء على أن الضمير للناس وإضماره للعلم به كذلك يضرب
الله الحق والباطل مثل الحق والباطل فإنه مثل الحق في إفادته وثباته بالماء الذي
ينزل من السماء فتسيل به الأودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به أنواع المنافع
ويمكث في الأرض بأن يثبت بعضه في منابعه ويسلك بعضه في عروق الأرض إلى العيون
والقنى والآبار وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ الحلي واتخاذ الأمتعة المختلفة
ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك بقوله
فأما الزبد فيذهب جفاء يجفأ به أي يرمي به السيل والفلز المذاب وانتصابه
على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد وأما ما ينفع الناس كالماء وخلاصة الفلز فيمكث
في الأرض ينتفع به أهلها كذلك يضرب الله الأمثال لإيضاح المشتبهات للذين
استجابوا للمؤمنين الذين استجابوا لربهم الحسنى الاستجابة الحسنى والذين لم يستجيبوا له
وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على أنه جعل ضرب المثل لشأن الفريقين ضرب
المثل لهما وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهو المثوبة والجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ
خبره لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به وهو على الأول كلام
مبتدأ لبيان مآل غير المستجيبين أولئك لهم سوء الحساب وهو المناقشة فيه بأن يحاسب
الرجل بذنبه لا يغفر منه شيء ومأواهم مرجعهم جهنم وبئس المهاد المستقر والمخصوص
بالذم محذوف أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق فيستجيب كمن هو أعمى عمي القلب لا يستبصر
فيستجيب والهمزة لإنكار أن يقع شبهة في تشابههما بعدما ضرب من المثل إنما يتذكر
أولوا الألباب ذوو العقول المبرأة عن مشايعة الإلف ومعارضة الوهم الذين يوفون
بعهد الله ما عقدوه على أنفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى أو ما عهد الله عليهم
في كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد وهو
تعميم بعد تخصيص والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين

ما

ت

فعها

والايمان بجميع الانبياء ويندرج في ذلك حقوق جميع الناس ويخشون ربهم وعيده عموما
ويخافون سوء الحساب خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا على ما
تكرهه النفس ويخالفه الهوى ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه لا لجزاء وسمعة ونحوهما واقاموا
الصلاة المفروضة وانفقوا مما رزقناهم بعضه الذي وجب عليهم انفاقه سرا لمن لم يعرف
بالمال وعلانية لمن عرف به ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعونها بها فيجازون الاساءة
بالاحسان او يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وما ينبغي ان
يكون مآل اهلها وهي الجنة والجملة خبر الموصولات ان رفعت بالابتداء وان جعلت صفات لاولي الالباب
فاستيناف بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات جنات عدن بدل من عقبى الدار او مبتدأ خبره يدخلونها
العدن الاقامة اي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح من آبائهم وازواجهم
وذرياتهم عطف على المرفوع في يدخلون وانما ساغ للفصل بالضمير الآخر او مفعول معه والمعنى
انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشانهم وهو دليل
على ان الدرجة تعلو بالشفاعة وان الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من
القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في انسهم وفي التقييد بالصلاح دلالة على ان مجرد الانساب
لا ينفع والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل او ابواب الفتوح والتحف قائلين
سلام عليكم بما صبرتم بشارة بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف اي هذا
بما صبرتم لا بسلام فان الخبر فاصل والباء للسببية او البدلية فنعم عقبى الدار وقرئ بفتح النون
والاصل نعم فسكن العين بنقل حركتها الى الفاء وبغيره والذين ينقضون عهد الله يعني
مقابلي الاولين من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه به من الاقرار والقبول ويقطعون
ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض بالظلم وتهييج الفتن اولئك لهم اللعنة
ولهم سوء الدار عذاب جهنم او سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار الله يبسط الرزق لمن
يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه وفرحوا اي اهل مكة بالحياة الدنيا بما بسط لهم في الدنيا وما الحياة
الدنيا في الآخرة في جنب الآخرة الا متاع الا متعة لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي
والمعنى انهم اشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة واغتروا بما هو في
جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل
ان الله يضل من يشاء باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات ويهدي اليه من اناب اقبل الى
الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجري مجرى التعجب من قولهم كانه قال قل لهم ما اعظم عنادكم
ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت كل آية ويهدي اليه
من اناب بما جئت به بل بادنى منه من الآيات الذين آمنوا بدل من من او خبر مبتدأ محذوف وتطمئن
قلوبهم بذكر الله انسا به واعتمادا عليه ورجاء منه او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته او بذكر
دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته او بكلامه يعني القرآن الذي هو اقوى المعجزات الا بذكر
الله تطمئن القلوب تسكن اليه الذين آمنوا وعملوا الصالحات خبره طوبى لهم وهو فعلى من

الطيب قلبت

الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة ما قبلها كموقن وموسر وطوبى كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب
ولذلك قرئ وحسن مآب بالنصب كذلك يعني مثل ذلك الارسال يعني ارسال الرسل قبلك ارسلناك في امة
قد خلت من قبلها تقدمتها امم ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليها لتتلو عليهم الذي
اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب الذي اوحيناه وهم يكفرون بالرحمن وحالهم انهم
يكفرون بالبليغ الرحمة الذي احاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحمته فلم يشكروا نعمه
وخصوصا ما انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن الذي هو مناط المنافع الدينية
والدنياوية عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن
قل هو ربي اي الرحمن خالقي ومتولي امري لا اله الا هو لا مستحق للعبادة سواه عليه توكلت
في نصرتي عليكم واليه متاب مرجعي ومرجعكم ولو ان قرآنا سيرت به الجبال شرط حذف
جوابه والمراد منه تعظيم شان القرآن او المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم اي ولو ان
كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها او قطعت به الارض تصدعت من خشية الله عند
قراءته او شققت فجعلت انهارا وعيونا او كلم به الموتى فتسمع فقرأته او تكلمت فتجيب عند قراءته
لكان هذا القرآن لانه الغاية في الاعجاز والنهاية في التذكير والانذار او لما آمنوا به
كقوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وقيل ان قريشا قالوا ان سرك ان نتبعك
فسير بقراءتك الجبال عنا حتى تتسع لنا فنتخذها بساتين وقطائع او سخر لنا به الريح لنركبها
ونتجر الى الشام او ابعث لنا به قصي بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت
وعلى هذا فتقطيع الارض قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون
بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقي بل
لله الامر جميعا بل لله القدرة على كل شيء وهو اضراب عما تضمنته لو من معنى النفي اي
بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الآيات لكن الارادة لم تتعلق بذلك لعلمه بانه
لا تلين شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله افلم ييأس الذين آمنوا عن ايمانهم مع ما رأوا من
احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه افلم يعلم لما روي ان عليا وابن عباس وجماعة من
الصحابة والتابعين قرأوا افلم يتبين وهو تفسيره وانما استعمل اليأس بمعنى العلم
لانه مسبب عن العلم فان المأيوس عنه لا يكون الا معلوما ولذلك علقه بقوله
ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فان معناه نفي هدى بعض الناس لعدم تعلق
المشية باهتدائهم وهو على الاول متعلق بمحذوف تقديره افلم ييأس الذين آمنوا
من ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا او بآمنوا ولا يزال الذين كفروا
تصيبهم بما صنعوا من الكفر وسوء الاعمال قارعة داهية تقرعهم وتقلقهم او تحل
قريبا من دارهم فيفزعون منها ويتطاير اليهم شررها وقيل الآية في كفار مكة فانهم
لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان لا يزال يبعث
السرايا فتغير حواليهم وتختطف مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون تحل خطابا للرسول

نا انه عليه الصلاة والسلام حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية حتى ياتي وعد الله
الموت او القيامة او فتح مكة ان الله لا يخلف الميعاد لامتناع الكذب في كلامه ولقد استهزئ
برسل من قبلك فامليت للذين كفروا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للمستهزئين به
والمقترحين عليه والاملاء ان يترك ملاوة من الزمان في دعة وامن ثم اخذتهم فكيف كان
عقاب اي عقابي اياهم افمن هو قائم على كل نفس رقيب عليها بما كسبت من خير او شر لا يخفى
عليه شيء من اعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك وجعلوا
لله شركاء استئناف او عطف على كسبت ان جعل ما مصدرية او لم يوحدوه وجعلوا عطف عليه
ويكون الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه على انه المستحق للعبادة وقوله قل سموهم تنبيه على
ان هؤلاء الشركاء لا يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة
ويستاهلون به الشركة ام تنبئونه بل اتنبئونه وقرئ تنبئونه بالتخفيف بما لا يعلم في
الارض بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم او بصفات لهم يستحقونها لاجلها لا يعلمها
وهو العالم بكل شيء ام بظاهر من القول ام تسمونها شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة
واعتبار معنى كتسمية الزنجي كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادي على نفسه
بالاعجاز بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا اباطيل ثم خالوها او كيدهم
للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل سبيل الحق وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر
وصدوا بالفتح اي وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين ومن يضلل الله
يخذله فما له من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب في الحياة الدنيا بالقتل والاسر وسائر
ما يصيبهم من المصائب ولعذاب الاخرة اشق لشدته ودوامه وما لهم من الله من
عذابه او من رحمته من واق حافظ مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي
هي مثل في الغرابة وهو مبتدا خبره محذوف عند سيبويه اي فيما قصصنا عليكم مثل
الجنة وقيل خبره تجري من تحتها الانهار على طريقة قولك زيد اسمر او حذف موصوف
اي مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار او على زيادة المثل وهو على قول سيبويه
حال من العائد المحذوف من الصلة اكلها دائم لا ينقطع ثمرها وظلها اي وظلها
كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس تلك اي الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا
مآلهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين النار لا غير وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين
واقناط للكافرين والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك يعني المسلمين
من اهل الكتاب كابن سلام واصحابه ومن امن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون
بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلثون بالحبشة او عامتهم فانهم كانوا يفرحون
بما يوافق كتبهم ومن الاحزاب يعني كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله بالعداوة ككعب بن الاشرف
واصحابه والسيد والعاقب واشياعهما من ينكر بعضه وهو ما يخالفهم او ما يوافق
ما حرفوه منها قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به جواب للمنكرين اي قل لهم اني امرت

تحزبون
عسكر

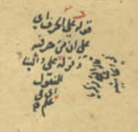
فيما انزل

فيما انزل الي بان اعبد الله واوحده وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم الى انكاره واما ما تنكرونه
لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع والكتب الالهية في جزئيات الاحكام وقرئ
ولا اشرك بالرفع على الاستئناف اليه ادعو لا الى غيره واليه مآب واليه مرجعي للجزاء لا الى
غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء فاما ما عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف
بالاعصار والامم فلا معنى لانكارهم المخالفة فيه وكذلك ومثل ذلك الانزال المشتمل على اصول
الديانات المجمع عليها انزلناه حكما يحكم في القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة عربيا
مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال ولئن اتبعت اهواءهم
التي يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلاة الى قبلتهم بعد ما حولت عنها بعد ما جاءك من العلم
بنسخ ذلك ما لك من الله من ولي ولا واق ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج
للمؤمنين على الثبات في دينهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك بشرا مثلك وجعلنا لهم
ازواجا وذرية نساء واولادا كما هي لك وما كان لرسول وما صح له ولم يكن في وسعه
ان ياتي باية يقترح عليه وحكم يلتمس منه الا باذن الله فانه المليء بذلك لكل اجل كتاب
لكل وقت وامد حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء
ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما تقتضيه حكمته وقيل يمحو سيئات التائب
ويثبت الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء ويترك غيره
مثبتا او يثبت ما رآه وحده في صميم قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت آخرين وقيل
يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويثبت
بالتشديد وعنده ام الكتاب اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو مكتوب
فيه وإما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك وكيفما دارت الحال اريناك بعض
ما اوعدناهم او توفيناك قبله فانما عليك البلاغ لا غير وعلينا الحساب للمجازاة لا
عليك فلا تحتفل باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلائعه اولم يروا
انا ناتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتحه على المسلمين منها والله يحكم
لا معقب لحكمه لا راد له وحقيقته الذي يعقب الشيء بالابطال ومنه قيل لصاحب الحق
معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار
وذلك كائن لا يمكن تغييره ومحل لا مع المنفي النصب على الحال اي يحكم نافذا حكمه وهو سريع
الحساب فيحاسبهم عما قليل في الآخرة بعد ما عذبهم بالقتل والاجلاء في الدنيا وقد مكر
الذين من قبلهم بانبيائهم والمؤمنين منهم فلله المكر جميعا اذ لا يؤبه بمكر دون مكره
فانه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره يعلم ما تكسب كل نفس فيعد جزاءها
وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار من الحزبين حيث ياتيهم العذاب المعد لهم وهم في
غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله بهم واللام تدل على ان المراد بالعقبى العاقبة
المحمودة مع ما في الاضافة الى الدار كما عرفت وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو

الكافر على ارادة الجنس وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله وسيعلم من
اعلمه اذا اخبره ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل المراد بهم رؤساء اليهود قل كفى بالله
شهيدا بيني وبينكم فانه اظهر من الادلة على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها ومن
عنده علم الكتاب علم القرآن وما الف عليه من النظم المعجز او علم التوراة وهو ابن سلام
واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو الله اي وكفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في
اللوح الا هو شهيدا بيننا فيخزي الكاذب منا ويؤيده قراءة من قرأ ومن عنده بالكسر
وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف فانه معتمد على الموصول ويجوز ان يكون مبتدأ والظرف
خبره وقرئ ومن عنده علم على الحرف والبناء للمفعول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة

وبعث يوم القيمة
مع الموفين بعهد الله

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب اي هو كتاب انزلناه اليك لتخرج
الناس بدعائك اياهم الى ما تضمنه من الظلمات من انواع الضلال الى النور الى الهدى باذن
ربهم بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج
او حال من فاعله او مفعوله الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل
او استئناف على انه جواب لمن يسأل عنه واضافة الصراط الى الله اما لانه مقصده او المظهر له
وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لا يذل سالكه ولا يخيب سائله الله الذي له ما في
السموات وما في الارض على قراءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبر او الله خبر محذوف والذي صفته
او على قراءة الباقين عطف بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق وويل
للكافرين من عذاب شديد وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل
نقيض الوأل وهو النجاة واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه لكنه رفع لافادة
الثبات الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة يختارونها عليها فان المختار للشيء يطلب من
نفسه ان يكون احب اليها من غيره ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس عن الايمان
وقرئ ويصدون من اصده وهو منقول من صد صدودا اذا تنكب وليس فصيحا لان
في صده مندوحة عن تكلف التعدية ويبغونها عوجا ويبغون لها زيغا ونكوبا عن
الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة
للكافرين والنصب على الذم والرفع على انه مبتدأ خبره اولئك في ضلال بعيد اي ضلوا عن
الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة او للامر
الذي به الضلال فوصف به لملابسته وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الا بلغة
قومه الذي هو منهم وبعث فيهم ليبين لهم ما امروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة
ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم اولى الناس اليه بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك



امر

امر النبي صلى الله عليه وسلم بانذار عشيرته اولا ولو نزل على من بعث الى امم مختلفة كتب على السنتهم
استقل ذلك بنوع من الاعجاز لكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد في تعلم
الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في اتعاب القرائح وكد النفس من القرب
المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة
وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم وان الله تعالى انزل الكتب
كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل او كل نبي بلغة المنزل عليهم وذلك ليس بصحيح يرده قوله ليبين
لهم فانه ضمير القوم والتوراة والانجيل ونحوهما لم ينزل لتبيين ما نزل للعرب فيضل
الله من يشاء فيخذله عن الايمان ويهدي من يشاء بالتوفيق له وهو العزيز فلا يغلب على مشيته
الحكيم الذي لا يضل ولا يهدي الا لحكمة ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني اليد والعصا وساير
معجزاته ان اخرج قومك من الظلمات الى النور بمعنى اي اخرج لان في الارسال معنى القول او بان
اخرج فان صيغ الافعال سواء في الدلالة على المصدر فيصح ان توصل بها ان الناصبة وذكرهم
بايام الله بوقائعه التي وقعت على الامم الدارجة وايام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه
ان في ذلك لايات لكل صبار شكور يصبر على بلائه ويشكر نعمائه فانه اذا سمع بما نزل على من قبله
من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل
مؤمن وانما عبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن واذ قال موسى لقومه اذكروا
نعمة الله عليكم اذ انجاكم من ال فرعون اي اذكروا نعمته وقت انجائه اياكم ويجوز ان ينتصب
بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا اريد بها العطية دون الانعام ويجوز
ان يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون
نساءكم احوال من ال فرعون او من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد في سورة البقرة
والاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثم ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو اما جنس
العذاب او استعبادهم واستعمالهم الاعمال الشاقة وفي ذلكم من حيث انه باقدار الله اياهم
وامهالهم فيه بلاء من ربكم عظيم ابتلاء منه ويجوز ان تكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء
النعمة واذ تأذن ربكم ايضا من كلام موسى وتأذن بمعنى اذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما في التفعل
من معنى التكلف والمبالغة لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل
الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ان عذابي لشديد فلعلي اعذبكم على الكفر عذابا
شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مقول قول مقدر
او مفعول تأذن على انه جرى مجرى قال لانه ضرب منه وقال موسى ان تكفروا انتم ومن
في الارض جميعا من الثقلين فان الله لغني عن شكركم حميد مستحق للحمد في ذاته محمود تحمده
الملائكة وينطق بنعمته ذرات المخلوقات فما ضررتم بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها
مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد الم يأتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود
من كلام موسى او كلام مبتدأ من الله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة وقعت اعتراضا او الذين

من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله ولذلك
قال ابن مسعود كذب النسابون جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم فعضوها
غيظا مما جاءت به الرسل كقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا
منه واستهزاء عليه كمن غلبه الضحك واسكاتا للانبياء وامرا لهم باطباق الافواه او اشاروا
بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها على ان لا جواب لهم سواه او ردوها في افواه
الانبياء يمنعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدي بمعنى الايادي اي ردوا ايادي
الانبياء التي هي مواعظهم وما اوحي اليهم من الحكم والشرائع في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم
يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم وانا لفي شك
مما تدعوننا اليه من الايمان وقرئ تدعونا بالادغام مريب موقع في الريبة او ذي ريبة
وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى الشيء قالت رسلهم افي الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف
لان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك اي انما ندعوكم الى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة
وظهور دلالتها عليه واشار الى ذلك بقوله فاطر السموات والارض اي يدعوكم الى المغفرة كقولك
دعوته لينصرني على اقامة المفعول له مقام المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم
وبينه فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل جيء بمن في خطاب الكفرة دون المؤمنين في
جميع القران تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار
مرتبة على الايمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي
ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه الله وجعله اخر
اعماركم قالوا ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله
ان يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس افضل تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا
بهذه الدعوة فاتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية او على صحة
ادعائكم النبوة كانهم لم يعتبروا ما جاءوا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم اية اخرى تعنتا
ولجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده سلموا مشاركتهم
في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنه عليهم على ان النبوة عطائية وان ترجح
بعض الجائزات على بعض بمشيئة الله تعالى وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله اي ليس لنا
الاتيان بالايات ولا تستبد به استطاعتنا حتى ناتي بما اقترحتموه وانما هو امر يتعلق
بمشيئة الله فيخص كل نبي بنوع من الايات وعلى الله فليتوكل المؤمنون فلنتوكل عليه في الصبر على
معاندتكم ومعاداتكم عمموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا
اوليا الا ترى قوله وما لنا الا نتوكل على الله اي اي عذر لنا في ان لا نتوكل وقد هدانا سبلنا
التي بها نعرفه ونعلم ان الامور كلها بيده وقرا ابو عمرو بالتخفيف ههنا وفي العنكبوت ولنصبرن
على ما اذيتمونا جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم
وعلى الله فليتوكل المتوكلون فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم وقال

وهو صفة او بدل او شبهه مرتفع بالظرف يدعوكم الى الايمان ببعثه ايانا ليغفر لكم

المتوكلون على ما استحدثوه

الذين كفروا

الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا حلفوا ان يكون احد الامرين اما
اخراجهم للرسل او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط
ويجوز ان يكون الخطاب لكل رسول ولمن امن معه فغلبوا الجماعات على الواحد فاوحى اليهم ربهم
اي الى رسلهم لنهلكن الظالمين على اضمار القول او اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه ولنسكننكم
الارض من بعدهم اي ارضهم وديارهم كقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى كقولك اقسم زيد ليخرجن
ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين لمن خاف مقامي موقفي وهو الموقف الذي يقيم
فيه العباد للحكومة يوم القيامة او قيامي عليه وحفظي لاعماله وقيل المقام مقحم وخاف وعيد
اي وعيدي بالعذاب او عذابي الموعود للكفار واستفتحوا سالوا الفتح على اعدائهم او القضاء
بينهم وبين اعاديهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف
على فاوحى والضمير للانبياء وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم سالوه ان ينصر المحق ويهلك
المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن وخاب كل جبار عنيد اي ففتح لهم فافلح المؤمنون
وخاب كل عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح اذ معنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من
الكفرة او من الفريقين كان اوقع من ورائه جهنم اي من بين يديه فانه مرصد بها
واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في الاخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى
عنك ويسقى من ماء عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء
صديد عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه وهو صفة
لماء او حال من الضمير في يسقى ولا يكاد يسيغه ولا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل
يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس وياتيه الموت
من كل مكان اي اسبابه من الشدائد فيحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من
شعره وابهام رجله وما هو بميت فيستريح ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اي
يستقبل في كل وقت عذابا اشد مما عليه وقيل هو الخلود في النار وقيل حبس الانفاس وقيل الاية
منقطعة عن قصة الرسل نازلة في اهل مكة طلبوا الفتح الذي هو المطر في سنيهم التي ارسل الله عليهم
بدعوة رسوله فخيب رجاءهم فلم يسقهم ووعدهم ان يسقيهم في جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار
مثل الذين كفروا بربهم مبتدا خبره محذوف اي فيما يتلى عليكم صفتهم التي هي مثل في الغرابة
او قوله اعمالهم كرماد وهي على الاول جملة مستانفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل
والخبر كرماد اشتدت به الريح حملته واسرعت الذهاب به وقرا نافع الرياح في يوم عاصف
العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه
صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم في
حبوطها وذهابها لبنائها على غير اساس من معرفة الله تعالى والتوجه بها اليه او اعمالهم للاصنام برماد
طيرته الريح العاصفة لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا على شيء لحبوطه فلا يرون له اثرا

سنابح

اي ستره اوربه

اي من اصول شعره

من الثواب وهو فذلكة التمثيل ذلك اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون هو الضلال البعيد
فانه الغاية في البعد عن طريق الحق الم تر خطاب للنبي والمراد به امته وقيل لكل واحد من الكفرة على
التلوين ان الله خلق السموات والارض بالحق بالحكمة والوجه الذي يحق ان يخلق عليه وقرا حمزة والكسائي
خالق السموات والارض ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا
للسموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم
بتبديل الصور وتغيير الطبايع قدر ان يبدلهم بخلق اخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال وما ذلك على الله
بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر بذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا
شانه كان حقيقا بان يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء وبرزوا لله جميعا
اي يبرزون من قبورهم يوم القيامة لامر الله ومحاسبته او على ظنهم فانهم كانوا يختفون اذا ارتكبوا
الفواحش ويظنون انها تخفى على الله فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند انفسهم وانما ذكر
بلفظ الماضي لتحقق وقوعه فقال الضعفاء الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الراي وانما
كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو للذين استكبروا لرؤسائهم
الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم
وهو جمع تابع كغايب وغيب او مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار مضاف فهل انتم مغنون
عنا دافعون عنا من عذاب الله من شيء من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض اي بعض
شيء هو بعض عذاب الله والاعراب ما سبق ويحتمل ان تكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اي
فهل انتم مغنون بعض العذاب بعض الاغناء قالوا اي الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع
واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم
اي اخترنا لكم ما اخترنا لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنيناه عنكم
كما عرضناكم له لكن سد دوننا طريق الخلاص سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع
والصبر ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب من المحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو يحتمل
ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين
ويؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا
نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا وقال الشيطان لما قضي الامر احكم وفرغ منه ودخل
اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا في الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق وعدا من
حقه ان ينجز او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم وعد الباطل وهو ان
لا بعث ولا حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه
وما كان لي عليكم من سلطان تسلط فالجيكم الى الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم اليهما
بتسويلي وهو ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز ان يكون
الاستثناء منقطعا فاستجبتم لي اسرعتم اجابتي فلا تلوموني بوسوستي فان من صرح
العداوة لا يلام بامثال ذلك ولوموا انفسكم حيث اطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم

يعني الاغناء

لما دعاكم

لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال هذه على استقلال العبد بافعاله وليس فيها ما يدل عليه اذ يكفي
لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو الكسب الذي يقوله اصحابنا ما انا بمصرخكم بمغيثكم
من العذاب وما انتم بمصرخي بمغيثي وقرا حمزة بكسر الياء على الاصل في التقاء الساكنين وهو
اصل مرفوض في مثله لما فيه من اجتماع ياءين وثلاث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا
لم تكسر وقبلها الالف فبالحري ان لا تكسر وقبلها ياء او على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء
لها مجرى الهاء والكاف في ضربته واعطيتكه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة اني كفرت بما اشركتمون من قبل
ما مصدرية ومن متعلقة باشركتموني اي كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا
بمعنى تبرات منه واستنكرته كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم او موصولة بمعنى من نحو
ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اي كفرت بالذي اشركتمونيه وهو
الله تعالى بطاعتكم اياي فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين
رددت امره بالسجود لادم واشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان ان الظالمين
لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من الله تعالى وفي حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ
لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم باذن الله وامره والمدخلون هم الملائكة وقرئ
ادخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله تحيتهم فيها سلام اي تحييهم الملائكة
بالسلام باذن ربهم الم تر كيف ضرب الله مثلا كيف اعتمده ووضعه كلمة طيبة
كشجرة طيبة اي جعل كلمة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان تكون كلمة
بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدا محذوف اي هي كشجرة وان تكون اولى مفعولي
ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء اصلها ثابت في الارض
ضارب بعروقه فيها وفرعها واعلاها في السماء ويجوز ان يريد وفروعها اي افنانها على الاكتفاء
بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت اصلها والاول على اصله ولذلك
قيل انه اقوى ولعل الثاني ابلغ تؤتي اكلها تعطي ثمرها كل حين وقته الله لاثمارها باذن ربها
بارادة خالقها وتكوينه ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة
افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني وادناء لها من الحس ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت
استؤصلت واخذت جثتها بالكلية من فوق الارض لان عروقها قريبة منه ما لها من قرار
استقرار واختلف في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقرآن
والكلمة الخبيثة بالاشراك بالله والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعم ذلك فالكلمة
الطيبة ما اعرب عن حق او دعا الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك وفسرت الشجرة
الطيبة بالنخلة وروي ذلك مرفوعا وبشجرة في الجنة والخبيثة بالحنظلة والكشوث ولعل المراد
بهما ايضا ما يعم ذلك يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في
قلوبهم في الحياة الدنيا فلا يزالون اذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمسون والذين فتنهم اصحاب الاخدود

ها

كمثل شجرة

د

وفي الآخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف ولا يدهشهم اهوال القيامة روي انه
عليه الصلاة والسلام ذكر قبض روح المؤمن فقال تعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه
في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي
من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين
الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن ويفعل الله
ما يشاء من تثبيت بعض واضلال اخرين من غير اعتراض عليه الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا
اي شكر نعمته كفرا بان وضعوه مكانه او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم
فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله واسكنهم حرمه وجعلهم قوام
بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين
واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء فبقوا مسلوبين النعمة موصوفين بالكفر وعن
عمر وعلي هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية اما بنو المغيرة فكفيتموهم
يوم بدر واما بنو امية فمتعوا حتى حين واحلوا قومهم الذين تبعوهم في الكفر دار البوار
دار الهلاك بحملهم على الكفر جهنم عطف بيان لها يصلونها حال منها او من القوم اي داخلين
مقاسين لحرها او مفسر بفعل يقدر ناصبا لجهنم وبئس القرار اي وبئس المقر جهنم
وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله الذي هو التوحيد وقرا ابن كثير وابو عمرو ورويس
عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم في اتخاذ الانداد ولكن لما كان
نتيجته جعل كالغرض قل تمتعوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات
التي يتمتع بها وفي التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه الى
المهدد به وان الامرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله فان مصيركم الى النار وان
المخاطب لانهماكه فيه كالمامور به من امر مطاع قل لعبادي الذين امنوا خصهم بالاضافة
تشريفا لهم وتنبيها على انهم المقيمون لحقوق العبودية ومفعول قل محذوف يدل
عليه جوابه اي قل لعبادي الذين امنوا اقيموا الصلاة وانفقوا يقيموا الصلاة وينفقوا
مما رزقناهم فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم للرسول بحيث لا ينفك فعلهم عن امره
وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدر بلام الامر ليصح تعلق القول بهم وانما حسن
ذلك هاهنا ولم يحسن في قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا
لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا مقامين مقامهما وهو ضعيف لانه لا بد
من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة الا اذا كان
الفاعل واحدا سرا وعلانية منتصبان على المصدر اي انفاق سر وعلانية او على
الحال اي ذوي سر وعلانية او على الظرف اي وقتي سر وعلانية والاحب اعلان الواجب
واخفاء المتطوع به من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره
او يفدي به نفسه ولا خلال ولا مخالة فيشفع لك خليل او من قبل ان ياتي يوم لا انتفاع فيه

بمبايعة

بمبايعة ولا مخالة ولا ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح
على النفي العام الله الذي خلق السموات والارض مبتدا وخبر وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات
رزقا لكم تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له
وحال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة او المصدر لان اخرج
في معنى رزق وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره بمشيئته الى حيث توجهتم وسخر لكم
الانهار فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها
وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدابان في سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحانه من المكونات
وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم واتاكم من كل ما سالتموه اي بعض جميع
ما سالتموه يعني من كل شيء سالتموه فان الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله ولعل المراد
بما سالتموه ما كان حقيقا بان يسال لاحتياج الناس اليه سئل او لم يسال وما يحتمل ان
تكون موصولة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين اي واتاكم
من كل شيء ما احتجتم اليه وسالتموه بلسان الحال ويجوز ان تكون ما نافية في موضع الحال واتاكم
من كل شيء غير سائليه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عد انواعها
فضلا عن افرادها فانها غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة
ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان كفار شديد
الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واذ قال ابراهيم رب
اجعل هذا البلد بلدة مكة امنا ذا امن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا
امنا ان المسؤول في الاول ازالة الخوف عنه وتصييره امنا وفي الثاني جعله من البلاد الامنة
واجنبني وبني بعدني واياهم ان نعبد الاصنام واجعلنا منها في جانب وقرئ واجنبني
وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء بتوفيق الله
وحفظه اياهم وهو بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد
اسماعيل لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار
ويقولون البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلته رب انهن اضللن كثيرا من الناس فلذلك
سالت منك العصمة واستعذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية
كقوله تعالى وغرتهم الحياة الدنيا فمن تبعني على ديني فانه مني اي بعضي لا ينفك عني في امر الدين
ومن عصاني فانك غفور رحيم تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة
وفيه دليل على ان كل ذنب فللله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعيد فرق بينه وبين غيره
ربنا اني اسكنت من ذريتي اي بعض ذريتي او ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهم
اسماعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم بواد غير ذي زرع يعني وادي
مكة فانها حجرية لا تنبت عند بيتك المحرم الذي حرمت التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما
ممنعا تهابه الجبابرة او منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا اي اعتق منه

ودعا بهذا الدعاء اول ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان او ما سيؤول اليه روي ان هاجر كانت
لسارة فوهبتها من ابرهيم عليه الصلاة والسلام فولدت منه اسمعيل فغارت عليهما فناشدته ان
يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم راوا ثم طيورا فقالوا
لا طير الا على الما فقصدوه فراوهما وعندهما عين فقالوا اشركينا في مائك نشركك في الباننا
ففعلت **ربنا ليقيموا الصلاة** اللام لام كي وهي متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع
من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلاة عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار
بانها المقصودة من اسكانهم ثمة والمقصود من الدعا توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو الدعا
لهم باقامة الصلاة كانه طلب منهم الاقامة وسال من الله ان يوفقهم لها **فاجعل افئدة من الناس**
من افئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت
اليهود والنصارى او للابتدا كقولك القلب مني سقيم اي افئدة ناس وقرئ آفدة وهو يحتمل ان
يكون اسم الفاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة
للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز ان يكون من افد **تهوي اليهم** تسرع
اليهم شوقا او ودادا وقرئ تهوى على البنا للمفعول من اهوى اليه غيره وتهوى من هوى
اذا احب وتعديته بالى لتضمين معنى النزوع **وارزقهم من الثمرات** مع سكناهم واديا لا نبات
فيه **لعلهم يشكرون** تلك النعمة فاجاب الله دعوته فجعله حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شي
حتى توجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد **ربنا انك تعلم ما نخفي وما
نعلن** تعلم سرنا وعلننا والمعنى انك اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا
الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا لعبوديتك وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وقيل
ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير الندا للمبالغة في التضرع
واللجا الى الله تعالى **وما يخفى على الله من شي في الارض ولا في السما** لانه العالم بعلم ذاتي يستوي نسبته
الى كل معلوم ومن للاستغراق **الحمد لله الذي وهب لي على الكبر** اي وهب لي وانا كبير آيس
من الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيه من الاية **اسمعيل واسحق**
روي انه ولد له اسمعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لماية وثنتي عشرة سنة **ان ربي لسميع الدعا**
اي لمجيبه من قولك سمع الملك كلامي اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل
الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله على اسناد السماع الى دعا الله على المجاز وفيه اشعار
بانه دعا ربه وسال منه الولد فاجابه ووهب له سؤله حين ما وقع الياس منه ليكون
من اجل النعم واجلاها **رب اجعلني مقيم الصلاة** معدلا لها مواظبا عليها **ومن ذريتي**
عطف على المنصوب في اجعلني والتبعيض لعلمه باعلام الله تعالى او استقرا عادته في الامم
الماضية انه يكون في ذريته كفار **ربنا وتقبل دعاء** واستجب دعائي او وتقبل عبادتي
ربنا اغفر لي ولوالدي وقرئ ولابوي وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل اراد بهما
ادم وحوا **وللمؤمنين يوم يقوم الحساب** يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت

البلقع

معدلا

لكوب

الحرب على ساق او يقوم اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه قيامهم مجازا **ولا تحسبن الله غافلا
عما يعمل الظالمون** خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به تثبيته على ما هو عليه من
انه مطلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه خافية والوعد بانه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة
او لكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد
للظالم **انما يؤخرهم** يؤخر عذابهم وعن ابي عمرو بالنون **ليوم تشخص فيه الابصار** اي تشخص
فيه ابصارهم لا تقر في اماكنها من هول ما ترى **مهطعين** مسرعين الى الداعي او مقبلين
بابصارهم لا يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشي **مقنعي رؤسهم** رافعيها
لا يرتد اليهم طرفهم بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا
الى انفسهم **وافئدتهم هوا** خلا اي خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال للاحمق
والجبان قلبه هوا اي لا راي فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان جؤجؤه هوا وقيل
خالية من الخير خاوية عن الحق **وانذر الناس** يا محمد **يوم ياتيهم العذاب** يعني يوم القيامة
او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول ثان لانذر **فيقول الذين ظلموا** بالتكذيب
والشرك **ربنا اخرنا الى اجل قريب** اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان
قريب او اخر اجالنا وابقنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك **نجب دعوتك ونتبع الرسل**
جواب للامر ونظيره لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين **اولم تكونوا
اقسمتم من قبل ما لكم من زوال** على ارادة القول وما لكم جواب القسم جا بلفظ الخطاب على
المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم اقسموا
بطرا وغرورا او دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون
الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا لا يزالون عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله واقسموا بالله
جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت **وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم** بالكفر
والمعاصي كعاد وثمود واصل سكن ان يعدى بفي كقر وغني واقام وقد يستعمل بمعنى
التبوي فيجرى مجراه كقولك سكنت الدار **وتبين لكم كيف فعلنا بهم** بما تشاهدونه
في منازلهم من اثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم **وضربنا لكم الامثال** من احوالهم
اي بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب او صفات ما فعلوا وفعل بهم التي هي
في الغرابة كالامثال المضروبة **وقد مكروا مكرهم** المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير
الباطل **وعند الله مكرهم** ومكتوب عند الله فعلهم فهو مجازيهم عليه او عندهم ما يمكرهم به
جزا لمكرهم وابطالا له **وان كان مكرهم** في العظم والشدة **لتزول منه الجبال** مسوى لازالة
الجبال وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم وعلى ان الجبال مثل لامر
النبي صلى الله عليه وسلم ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما
هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من ايات الله وشرائعه وقرا الكسائي لتزول بالفتح
والرفع على انها المخففة واللام هي الفاصلة ومعناها تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب

علي لغة من يفتح لام كي وقرئ وان كاد مكرهم **فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله** مثل قوله
انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثاني ايذانا
بانه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده احدا كيف يخلف
رسله **ان الله عزيز** غالب لا يماكر قادر لا يدافع **ذو انتقام** لاوليايه من اعدايه **يوم تبدل
الارض غير الارض** بدل من يوم يأتيهم او ظرف للانتقام او مقدر باذكر او لا يخلف وعده
ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده **والسموات** عطف علي الارض وتقديره
والسموات غير السموات والتبديل يكون في الذات كقولك بدلت الدراهم بالدنانير وعليه بدلناهم
جلودا غيرها وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وعليه قوله تعالي يبدل الله
سياتهم حسنات والاية تحتملهما فعن علي رضي الله عنه تبدل ارض من فضة وسموات من ذهب
وعن ابن مسعود وانس يحشر الناس علي ارض بيضا لم يخطي عليها احد خطيئة وعن ابن عباس
هي تلك الارض وانما تغير صفاتها ويدل عليه ما روي ابو هريرة انه عليه السلام قال تبدل الارض
غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا تري فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم علي الوجه الاول
ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسما علي الحقيقة ولا يبعد علي الثاني ان يجعل الله الارض
جهنم والسموات الجنة علي ما اشعر به قوله ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله ان كتاب الفجار لفي
سجين **وبرزوا** من اجداثهم **لله الواحد القهار** لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين
للدلالة علي ان الامر في غاية الصعوبة كقولك لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا
كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الي غيره ولا مستجار **وتري المجرمين
يومئذ مقرنين** قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقايد والاعمال كقوله واذا النفوس
زوجت او قرنوا مع الشياطين او مع ما اكتسبوا من العقايد الزايغة والملكات الباطلة او قرنت
ايديهم وارجلهم **في الاصفاد** متعلق بمقرنين او حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال
سلامة بن جندل • وزيد الخيل قد لاقا صفادا • يعض بساعد وبعظم ساق •
واصله الشد **سرابيلهم** قمصانهم **من قطران** وجا قطران لغتان فيه وهو ما يتحلب
من الابهل فيطبخ فتهنا به الابل الجربي فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن تشتعل
فيه النار بسرعة يطلي به جلود اهل النار حتي يكون طلاوه لهم كالقمص ليجتمع عليهم لذع
القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار في جلودهم علي ان التفاوت بين
القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات
الردية والهيات الوحشية فيجلب اليها انواعا من الغموم والالام وعن يعقوب قطرآن
والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني المتناهي حره والجملة حال ثانية من الضمير او من
وتغشي وجوههم النار اي وتتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الي الحق ولم يستعملوا في
تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لاجله كما تطلع علي افيدتهم لانها فارغة عن المعرفة
مملوة بالجهالات ونظيره قوله تعالي افمن يتقي بوجهه سو العذاب يوم القيامة وقوله تعالي

يوم

يوم يسحبون في النار علي وجوههم **ليجزي الله كل نفس** اي يفعل بهم ذلك ليجزي كل
نفس مجرمة **ما كسبت** او كل نفس مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين يعاقبون
لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون بطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا
ان الله سريع الحساب لانه لا يشغله حساب عن حساب **هذا** اشارة الي القران
او السورة او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله **بلاغ
للناس** كفاية لهم في الموعظة **ولينذروا به** عطف علي محذوف اي لينصحوا ولينذروا
به انزل او تلي وقرئ بفتح اليا بهذا البلاغ فتكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز
ان تتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل او تلي وقرئ بفتح اليا من نذر به
اذا علم واستعد له **وليعلموا انما هو اله واحد** بالنظر والتامل فيما فيه من الايات
الدالة عليه او المنبهة علي ما يدل عليه **وليذكر اولوا الالباب** فيرتدعوا عما يرديهم
ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم انه سبحانه وتعالي ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوايد هي
الغاية والحكمة في انزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمالهم القوة النظرية التي
منتهي كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية الذي هو التدرع بلباس التقوي
جعلنا الله من الفايزين بها وعن النبي صلي الله عليه وسلم من قرا سورة ابراهيم اعطي من
الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد **سورة الحجر مكية وهي
تسع وتسعون اية** بسم الله الرحمن الرحيم **الر تلك ايات الكتاب
وقران مبين** الاشارة الي ايات السورة والكتاب هو السورة وكذا القران وتنكيره
للتفخيم اي ايات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرانا يبين الرشد من الغي بيانا غريبا
ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر او حلول
الموت او يوم القيامة وقرا نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربما بالفتح والتخفيف وفيه
ثمان لغات ضم الراء وفتحه مع التشديد والتخفيف وبتا التانيث ودونها وما كافة
تكفه عن الجر فيجوز دخوله علي الفعل وحقه ان يدخل الماضي لكن لما كان المترقب في اخبار
الله تعالي كالماضي في تحققه اجري مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله •
• ربما تكره النفوس من الامر • له فرجة كحل العقال • ومعني التقليل فيه الايذان
بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه كل ساعة
وقيل تدهشهم اهوال يوم القيامة فان كانت منهم افاقة في بعض الاوقات تمنوا ذلك
والغيبة في حكاية ودادتهم كالغيبة في قولك حلف بالله ليفعلن **ذرهم** دعهم **ياكلوا
ويتمتعوا** بدنياهم **ويلههم الامل** ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال
عن الاستعداد للمعاد **فسوف يعلمون** سو صنيعهم اذا عاينوا جزاه والغرض اقناط
الرسول من ارعوايهم وايذانه بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال بما لا طايل
تحته وفيه الزام للحجة وتحذير من ايثار التنعم وما يودي اليه طول الامل **وما اهلكنا من قرية**

قبون
وا

إلا ولها كتاب معلوم اجل مقدر كتب في اللوح المحفوظ والمستثنى جملة واقعة صفة
لقرية والاصل ان لا يدخلها الواو كقوله الا لها منذرون لكن لما شابهت صورتها
صورة الحال ادخلت عليها تأكيدا للصوقها بالموصوف ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون
اي وما يستأخرون عنه وتذكير امة للحمل على المعنى وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر
نادوا به النبي صلى الله عليه وسلم على التهكم الا ترى الى ما نادوا له وهو قولهم إنك لمجنون
ونظير ذلك قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين
حتى تدعي ان الله نزل عليك الذكر اي القرآن لو ما تأتينا ركب لو مع ما كما ركب مع
لا لمعنيين امتناع الشيء لوجود غيره والتحضيض بالملائكة ليصدقوك ويعضدوك
على الدعوة لقوله لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او للعقاب على تكذيبنا لك
كما اتت الامم المكذبة قبل إن كنت من الصادقين في دعواك ما ننزل الملائكة بالياء
مسندا الى ضمير اسم الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون وابو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع
الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل إلا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحق اي بالوجه الذي قدره
واقتضته حكمته ولا حكمة في ان يأتيكم بصور تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا في
معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان وقيل الحق الوحي
والعذاب وما كانوا إذا منظرين اذا جواب لهم وجزاء الشرط مقدر اي ولو نزلنا ما كانوا
اذا منظرين إنا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه وقرره
بقوله وإنا له لحافظون من التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر
بحيث لا يخفى تغيير نظمه على اهل اللسان او نفي تطرق الخلل اليه في الدوام بضمان الحفظ
كما نفى ان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل الضمير في له للنبي صلى الله عليه وسلم ولقد أرسلنا
من قبلك في شيع الأولين في فرقهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب
من شاعه اذا اتبعه واصله الشياع وهو الحطب الصغار توقد به الكبار والمعنى نبأنا
رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون
كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وما للحال لا يدخل الا مضارعا بمعنى
الحال او ماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية كذلك نسلكه ندخله في
قلوب المجرمين والسلك ادخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون والضمير
للاستهزاء وفيه دليل على انه تعالى يوجد الباطل في قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الآخر
في قوله لا يؤمنون به له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر
في قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به او بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ
لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في المرجوع اليه ولا يتعين ان تكون الجملة حالا من الضمير
لجواز ان تكون حالا من المجرمين ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى الاول بل يقويه وقد
خلت سنة الأولين اي سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم او باهلاك من

كذب

كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكة ولو فتحنا عليهم على هؤلاء المقترحين بابا من السماء
فظلوا فيه يعرجون يصعدون اليها ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين او تصعد
الملائكة وهم يشاهدونهم لقالوا من غلوهم في العناد وتشكيكهم في الحق إنما سكرت أبصارنا
سدت عن الابصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف او حيرت من السكر
ويدل عليه قراءة من قرأ سكرت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور
غيره من الآيات وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل
ما خيل اليهم بنوع من السحر ولقد جعلنا في السماء بروجا اثني عشر مختلفة الهيئات والخواص
على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء وزيناها بالاشكال والهيئات البهية للناظرين
المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها من كل شيطان رجيم
فلا يقدر ان يصعد اليها ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها إلا من استرق السمع
بدل من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان
السموات لما بينهم من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه السلام
منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه
تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن من استرق
السمع فأتبعه فتبعه ولحقه شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة
وقد يطلق للكوكب والسنان لما فيهما من البريق والأرض مددناها بسطناها وألقينا
فيها رواسي جبالا ثوابت وأنبتنا فيها في الارض او فيها وفي الجبال من كل شيء موزون مقدر
بمقدار معين تقتضيه حكمته او مستحسن مناسب من قولهم كلام موزون او ما يوزن ويقدر او له وزن
في ابواب النعمة والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون بها من المطاعم والملابس
وقرئ بالهمز على التشبيه بشمائل ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم
ويريد به العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله يرزقهم
واياهم وفذلكة الآية الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الاجزاء
في الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك
على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد في الوهيته والامتنان على العباد بما انعم عليهم
في ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ في ذلك وقال وإن من شيء إلا عندنا خزائنه اي وما
من شيء الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف ما وجد منه فضرب الخزائن
مثلا لاقتداره او شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة التي لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد
وما ننزله من بقاع القدرة إلا بقدر معلوم حده الحكمة وتعلقت به المشيئة فان تخصيص بعضها
بالايجاد في بعض الاوقات مشتملا على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم وأرسلنا
الرياح لواقح حوامل شبه الريح التي جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون

كذلك بالعقيم او ملقحات للشجر ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله
ومختبط مما تطيح الطوائح وقرئ وارسلنا الريح على تاويل الجنس فانزلنا من السماء ماء
فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين قادرين متمكنين من اخراجه
نفى عنهم ما اثبته لنفسه او حافظين في الغدران والعيون والآبار وذلك يدل على المدبر
الحكيم كما تدل حركة الهوا في بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فان طبيعة
الما يقتضي الغور فوقوفه دون حده لا من سبب مخصص وانا لنحن نحيي بايجاد الحياة في بعض
الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها وقد اول الحياة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير
للدلالة على الحصر ونحن الوارثون اي الباقون اذا امات الخلايق كلها ولقد علمنا المستقدمين
منكم ولقد علمنا المستاخرين من استقدم ولادة وموتا ومن استاخر او من خرج من اصلاب
الرجال او لم يخرج بعد ومن تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة او تاخر لا يخفى
علينا شي من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل على
قدرته دليل على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصف الاول فازدحموا
عليه فنزلت وقيل ان امراة حسنا كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم
بعض القوم لئلا ينظر اليها وتاخر بعضهم ليبصرها فنزلت وان ربك هو يحشرهم لا محالة
للجزا وتوسط الضمير للدلالة على انه القادر والمتولي لحشرهم لا غير وتصدير
الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه على ان ما سبق من الدلايل على كمال قدرته
وعلمه وتفاصيل الاشيا يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله انه حكيم باهر الحكمة
متقن في افعاله عليم وسع علمه كل شي ولقد خلقنا الانسان من صلصال من طين
يابس يصلصل اي يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا انتن تضعيف صل
من حما طين تغير واسود من طول مجاورة الما وهو صفة صلصال اي كاين من حما
مسنون مصور من سنة الوجه او مصبوب يتصور كالجواهر المذابة تصب في القوالب
من السن وهو الصب كانه افرغ الحما فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس
حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه
او منتن من سننت الحجر بالحجر اذا حككته فان ما يسيل من بينهما يكون منتنا
ويسمى سننا والجان ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر
من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة
كان الجنس باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره خلقناه من قبل من قبل خلق
الانسان من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا يمتنع خلق الحياة في
الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المولفة
التي الغالب فيها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي الغالب فيها الجزء الارضي وقوله
من نار باعتبار الغالب كقوله تعالى خلقكم من تراب ومساق الاية كما هي للدلالة على

كمال قدرة

كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي
يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحيا واذ قال ربك واذكر وقت
قوله للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته
عدلت خلقته وهياته لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحي حتى جرى اثاره
في تجاويف اعضائه فحيي واصل النفخ اجرا الريح في تجويف جسم اخر ولما كان الروح
يتعلق اولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب ويفيض عليه القوة الحيوانية فيسري
حاملا لها في تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا واضافة الروح
الى نفسه لما مر في النسا فقعوا له فاسقطوا له ساجدين امر من وقع يقع فسجد
الملائكة كلهم اجمعون اكد بتاكيدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص وقيل اكد بالكل
للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان الامر
كذلك كان الثاني حالا لا تاكيدا الا ابليس ان جعل منقطعا اتصل به قوله ابى ان
يكون مع الساجدين اي ولكن ابليس ابى وان جعل متصلا كان استينافا على انه جواب
سايل قال هلا سجد قال يا ابليس ما لك الا تكون اي غرض لك في ان لا تكون مع الساجدين
لآدم قال لم اكن لاسجد لبشر جسماني كثيف واللام لتاكيد النفي اي لا يصح مني وينافي
حالي ان اسجد وانا ملك روحاني خلقته من صلصال من حما مسنون وهو اخس
العناصر وخلقتني من نار وهي اشرفها استنقص آدم باعتبار النوع والاصل وقد
سبق الجواب عنه في سورة الاعراف قال فاخرج منها من السما او الجنة او زمر الملائكة
فانك رجيم مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب
وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته وان عليك اللعنة هذا الطرد والابعاد الى
يوم الدين فانه منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام التكليف ومنه زمان الجزاء وما في
قوله تعالى فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى اخر تنسى عنده هذه
وقيل انما حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس او لانه يعذب فيه بما ينسى اللعن
معه فيصير كالزايل قال رب فانظرني فاخرني والفا متعلقة بمحذوف دل عليه
فاخرج منها فانك رجيم الى يوم يبعثون اراد ان يجد فسحة في الاغوا ونجاة من الموت
اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول دون الثاني قال فانك من المنظرين الى
يوم الوقت المعلوم المسمى فيه اجلك عند الله وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز
ان يكون المراد بالايام الثلثة يوم القيامة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات
فعبر عنه اولا بيوم الجزا لما عرفت وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع
التكليف واليأس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم من ذلك
ان لا يموت فلعله يموت اول اليوم ويبعث الخلايق في تضاعيفه وهذه المخاطبة وان
لم تكن بواسطة لم تدل على منصب ابليس لان خطاب الله له على سبيل الاهانة والاذلال قال رب

بما اغويتني البا للقسم وما مصدريه وجوابه لازينن لهم في الارض والمعني اقسم باغوايك
اياي لازينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله اخلد الي الارض وفي انعقاد القسم
بافعال الله تعالي خلاف وقيل للسببيه والمعتزلة اولوا الاغواء النسبة الي الغي او التسبب له
بامره اياه بالسجود لادم عليه الصلاة والسلام او بالاضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله له
وهو سبب لزيادة غيه وتسليط له علي اغوا بني ادم بان الله تعالي علم منه وممن تبعه انهم يموتون
علي الكفر ويصيرون الي النار امهل اولم يمهل وان في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب
وضعف ذلك لا يخفي علي ذوي الالباب ولاغوينهم اجمعين ولاحملنهم اجمعين علي الغواية
الا عبادك منهم المخلصين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوايب فلا يعمل فيهم كيدي وقرا
ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالكسر في كل القران اي الذين اخلصوا نفوسهم لله قال هذا صراط
علي حق علي ان اراعيه مستقيم لا انحراف عنه والاشارة الي ما تضمنه الاستثنا وهو تخلص المخلصين
من اغوايه او الاخلاص علي معني انه طريق علي يؤدي الي الوصول من غير اعوجاج واضلال وقري علي من علو الشرف
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين تصديق لابليس فيما استثناه
وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم
وتكذيب لهم فيما اوهم ان له سلطانا علي من ليس بمخلص من عباده فانه منتهي تزيينه التحريض
والتدليس كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وعلي هذا يكون الاستثنا
منقطعا وعلي الاول يدفع قول من شرط ان يكون المستثني اقل من الباقي لافضايه الي تناقض
الاستثنائين وان جهنم لموعدهم لموعد الغاوين والمتبعين اجمعين تاكيد للضمير او حال
والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا علي تقدير مضاف ومعني الاضافة ان جعلته اسم مكان
ومعني الاضافة ان جعلته فانه لا يعمل لها سبعة ابواب يدخلونها منها لكثرتهم
او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظي ثم الحطمة ثم السعير
ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات في
الركون الي المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية او لان اهلها سبع فرق
لكل باب منهم من الاتباع جزء مقسوم افرز له فاعلاها للموحدين العصاة والثاني
لليهود والثالث للنصاري والرابع للصابيين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع
للمنافقين وقرا ابو بكر جزء بالتثقيل وقري جز علي حذف الهمزة والقا حركتها
علي الزاي ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجري الوصل مجري الوقف ومنهم حال منه او من
المستكن في الظرف لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفه ان المتقين
من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة في جنات وعيون لكل واحد
جنة وعين او لكل عدة منها لقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما
جنتان وقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير اسن الاية وقرا نافع وابو عمرو
وحفص وهشام وعيون والعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين ادخلوها علي

ارادة القول وقري بقطع الهمزة وكسر الخا علي انه ماض فلا يكسر التنوين بسلام سالمين
او مسلما عليهم امنين من الافة والزوال ونزعنا في الدنيا بما الف بين قلوبهم او في الجنة بتطييب
نفوسهم ما في صدورهم من غل من حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون
وعثمن وطلحة والزبير منهم او من التحاسد علي درجات الجنة ومراتب القرب اخوانا
حال من الضمير في جنات او فاعل ادخلوها او الضمير في امنين او الضمير المضاف اليه والعامل
فيها معني الاضافة وكذا علي سرر متقابلين ويجوز ان يكون صفتين لاخوانا او حالين من
ضميره لانه بمعني متصافين او يكون متقابلين حالا من المستقر في علي سرر لا يمسهم فيها
نصب استيناف او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين وما هم منها بمخرجين
فان تمام النعمة بالخلود نبي عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم
فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة دليل علي انه لم يرد بالمتقين
من يتقي الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون
التعذيب ترجيح الوعد وتاكيده وفي عطف ونبيهم عن ضيف ابراهيم علي نبي عبادي
تحقيق لهما بما يعتبرون به اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمنا سلاما
قال انا منكم وجلون خائفون وذلك انهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت او لانهم امتنعوا
من الاكل والوجل اضطراب النفس لتوقع ما تكره قالوا لا توجل وقري لا تاجل ولا توجل من
اوجله ولا تواجل من واجله بمعني اوجله انا نبشرك استيناف في معني التعليل للنهي عن
الوجل فان المبشر لا يخاف منه وقرا حمزة نبشرك من البشر بغلام هو اسحاق لقوله
فبشرناها باسحاق عليم اذا بلغ قال ابشرتموني علي ان مسني الكبر تعجب من ان يولد له مع
الكبر اياه وانكار لان يبشر به في مثل هذه الحالة وكذلك قوله فبم تبشرون اي فباي
اعجوبة تبشرون فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء وقرا ابن كثير بكسر النون
مشددة في كل القران علي ادغام نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين في دلالة باقي النون
الوقاية علي الياء قالوا بشرناك بالحق بما يكون لا محالة او باليقين الذي لا لبس فيه
او بطريقة هي حق وهو قول الله وامره فلا تكن من القانطين من الايسين من ذلك فانه
تعالي قادر علي ان يخلق بشرا من غير الابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب
ابراهيم باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون
المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال تعالي انه لا يياس
من روح الله الا القوم الكافرون وقرا ابو عمرو والكسائي يقنط بالكسر وقري بالضم وماضيهما
قنط بالفتح قال فما خطبكم ايها المرسلون اي فما شانكم الذي ارسلتم لاجله سوي البشارة
ولعله علم ان كمال المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج الي العدد ولذلك
اكتفي بالواحد في بشارة زكريا ومريم او لانهم بشروه في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كان
تمام المقصود لابتدءوا بها قالوا انا ارسلنا الي قوم مجرمين يعني قوم لوط الا ال لوط ان كان استثنا

من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان استثناء من الضمير في مجرمين كان متصلا
والقوم والارسال شاملين للمجرمين ولنجي لوط ويدل عليه قوله انا لمنجوهم اجمعين اي مما نعذب جميعهم
القوم وهو استيناف اذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا
انقطع وعلى هذا جاز ان يكون قوله الا امرأته استثناء من آل لوط ومن ضميرهم وعلى الاول
لا يكون الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرئ حمزة
والكسائي لمنجوهم مخففا قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرا
ابو بكر قدرنا بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص افعال القلوب لتضمنه معنى العلم
ويجوز ان يكون قدرنا اجري مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول واصله جعل الشي
على مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص
فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة ان
تطرقوني بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله
بل جئناك بما يسرك ويشفي لك من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون
فيه وآتيناك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون فيما اخبرناك به فاسر باهلك
فاذهب بهم في الليل وقرا الحجازيون بوصل الالف من السري وهما بمعنى وقرئ فسر من السير
بقطع من الليل في طائفة من الليل وقيل في آخره. قال

افتحي الباب فانظري في النجوم ... كم علينا من قطع ليل بهيم

واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم ولا يلتفت منكم احد لينظر
ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه او فيصيبه ما اصابهم او لا ينصرف احدكم ولا يتخلف
لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا انفسهم على المهاجرة الى
حيث تؤمرون وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله بالمضي اليه وهو الشام
او مصر فعدي وامضوا الى حيث تؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع وقضينا اوحينا
اليه مقضيا ولذلك عدي بالى ذلك الامر مبهم تفسيره ان دابر هؤلاء مقطوع ومحله النصب
على البدل منه وفي ذلك تفخيم الامر وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستيناف والمعنى انهم
يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من
هؤلاء او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء في معنى مدبري
هؤلاء وجاء اهل المدينة سدوم يستبشرون باضياف لوط طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفي
فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسيء الى ضيفه فقد اسيء عليه واتقوا الله في ركوب
الفاحشة ولا تخزون ولا تذلوني بسببهم من الخزي وهو الهوان او ولا تخجلون
فيهم من الخزاية وهي الحياء قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا او تمنع
بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه وضيافة
الناس وانزالهم قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه

في ركوب الفاحشة

ذكرت

ذكرت في هود ان كنتم فاعلين قضاء الوطر وما اقول لكم لعمرك قسم بحياة المخاطب وهو
النبي صلى الله عليه وسلم وقيل لوط قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمي وهي لغة
في العمر يختص به القسم لايثار الاخف فيه لانه كثير الدور على السنتهم انهم لفي سكرتهم
لفي غوايتهم او شدة غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين خطائهم والصواب
الذي يشار به اليهم يعمهون يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش
والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة يعني صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبريل مشرقين
داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها عالي المدينة او عالي قراهم سافلها وصارت منقلبة
بهم وامطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب من السجل وقد تقدم مزيد بيان
لهذه القصة في سورة هود ان في ذلك لآيات للمتوسمين للمتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون
في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشي بسمته وانها وان المدينة او القرى لبسبيل مقيم ثابت
يسلكه الناس ويرون آثارها ان في ذلك لآية للمؤمنين بالله ورسوله وان كان اصحاب الايكة
لظالمين هم قوم شعيب كانوا يسكنون الغيضة فبعثه الله اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة
الشجرة المتكاثفة فانتقمنا منهم بالاهلاك وانهما يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين
فانه كان مبعوثا اليهما فكان ذكر احدهما منبها على الآخر لبامام مبين لبطريق واضح والامام
اسم لما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء واللوح لانها مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب
الحجر المرسلين يعني ثمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز ان يراد
بالمرسلين صالحا ومن معه من المؤمنين آيات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته كالناقة وسقبها
وشربها ودرها او ما نصب لهم من الادلة وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من
الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لفرط غفلتهم او حسبانهم ان
الجبال تحميهم منه فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة
واستكثار الاموال والعدد وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا
بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور فلذلك اقتضت الحكمة اهلاك هؤلاء وازاحة
فسادهم من الارض وان الساعة لآتية فينتقم الله لك فيها ممن كذبك فاصفح الصفح الجميل ولا
تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ بآية السيف
ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم العليم بحالك وحالهم فهو حقيق بان
تكل اليه ليحكم بينهم او هو الذي خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفي
مصحف عثمان وابي هو الخالق وهو يصلح للكثير والقليل والخلاق يختص بالكثير ولقد آتيناك
سبع آيات وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي الطوال وسابعتها الانفال والتوبة فانهما في
حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل سبع صحائف
وهي الاسباع من المثاني بيان للسبع والمثاني من التثنية او الثناء فان كل ذلك مثنى تكرر
قراءته او الفاظه او قصصه ومواعظه ومثنى عليه بالبلاغة والاعجاز ومثن على الله بما هو

والحجر واد بين المدينة والشام يسكنونها وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين يعني

الصيحة

سبعا

وقيل التوبة

اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القران او كتب الله كلها فيكون من للتبعيض **والقران العظيم** ان اريد بالسبع الايات او السور فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف احد الوصفين على الاخر **لا تمدن عينيك** لا تطمح ببصرك طموح راغب **الى ما متعنا به ازواجا منهم** اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة اليها او تيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القران فراى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه عليه الصلاة والسلام وافى باذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجوهر وساير الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتم سبع ايات هي خير من هذه القوافل السبع **ولا تحزن عليهم** انهم لم يومنوا وقيل انهم المتمتعون به **واخفض جناحك للمؤمنين** وتواضع لهم وارفق بهم **وقل اني انا النذير المبين** انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تومنوا **كما انزلنا على المقتسمين** مثل العذاب الذي انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول فاهلكهم الله يوم بدر او الرهط الذين اقتسموا اي تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام وقيل هي صفة مصدر محذوف يدل عليه ولقد اتيناك فانه بمعنى انزلنا عليك والمقتسمون اهل الكتاب **الذين جعلوا القران عضين** حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق التوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين واهل الكتاب امنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القران ما يقرؤونه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله لا تمدن الى اخره اعتراضا ممدا لهولاء الذين جعلوا القران عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل فعلة من عضهته اذا بهته وفي الحديث لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين او مبتدا خبره **فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون** من التقسيم او النسبة الى السحر فنجازيهم عليه وقيل عام في كل ما دخلوا في الكفر والمعاصي **فاصدع بما تؤمر** فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او افرق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اي بما تؤمر من الشرايع **واعرض عن المشركين** ولا تلتفت الى ما يقولون **انا كفيناك المستهزئين** بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وايل وعدي بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون في ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فقال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم

امرت

امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات • واومى الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات • واشار الى انف عدي بن قيس فامتخط قيحا فمات • والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح براسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات • والى عيني الاسود بن عبد المطلب فعمي **الذين يجعلون مع الله الها اخر فسوف يعلمون** عاقبة امرهم في الدارين **ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون** من الشرك والطعن في القران والاستهزاء بك **فسبح بحمد ربك** فافزع الى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق **وكن من الساجدين** من المصلين وعنه صلى الله عليه وسلم انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة • **واعبد ربك حتى ياتيك اليقين** اي الموت فانه متيقن لحاقه كل حي مخلوق والمعنى فاعبده ما دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم **اتى امر الله فلا تستعجلوه** كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول من قيام الساعة واهلاك الله اياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما يقولونه فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الاتي المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه **سبحانه وتعالى عما يشركون** تبرا وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرا حمزة والكسائي بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب او على ان الخطاب للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما روي انه لما نزلت اتى امر الله فوثب النبي ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه **ينزل الملائكة بالروح** بالوحي او القران فانه يحيي به القلوب الميتة بالجهل او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذي به علم الرسول ما تحقق موعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به • وقرا ابن كثير وابو عمرو ينزل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل • وقرا ابو بكر تنزل على المضارع المبني للمفعول من التنزيل **من امره** بامره او من اجله **على من يشاء من عباده** ان يتخذه رسولا **ان انذروا** بان انذروا اي اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته **انه لا اله الا انا فاتقون** ان الشان لا اله الا انا فاتقون او خوفوا اهل الكفر والمعاصي فانه لا اله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى

الوحي الدال على القول او مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض
او مخففة من الثقيلة والاية تدل على ان الوحي بواسطة الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد
الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذي هو اقصى كمالات القوة العملية وان النبوة
عطائية والايات التي بعدها دليل على وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد
لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع
خلق السموات والارض بالحق اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها
وخصصها بحكمته تعالى عما يشركون منها او مما يفتقر في وجوده او بقائه اليهما
ومما لا يقدر على خلقهما وفيه دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام خلق الانسان من نطفة
جماد لا حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل فاذا هو خصيم منطيق مجادل
مبين للحجة او خصيم مكافح لخالقه قايل من يحيي العظام وهي رميم روي ان ابي بن خلف
اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم وقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم
فنزلت والانعام الابل والبقر والغنم وانتصابها بفعل يفسره خلقها لكم او
بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ما خلق لاجله وما بعده تفصيل له فيها دفء ما يدفا
به فيقي البرد ومنافع نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول
عوضها ومنها تاكلون اي تاكلون ما يوكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقدم الظرف للمحافظة
على رؤوس الاي او لان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش واما الاكل في ساير الحيوانات
الماكولة فعلى سبيل التداوي او التفكه ولكم فيها جمال زينة حين تريحون تردونها
من مراعيها الى مراحها بالعشي وحين تسرحون تخرجونها من الغداة الى المراعي فان
الافنية تتزين بها في الوقتين ويجل اهلها في اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة
لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملاء البطون حافلة الضروع ثم تاوي الى الحظاير
حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصف له بمعنى تريحون فيه
وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه ان لم تكن فضلا
ان تحملوها على ظهوركم اليه الا بشق الانفس الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح
وهي لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه واصله الصدع والمكسور
بمعنى النصف كانه ذهب نصف قوته بالتعب ان ربكم لرؤوف رحيم حيث رحمكم بخلقها
لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام لتركبوها
وزينة اي لتركبوها وتتزينوا بها زينة وقيل هي معطوفة على محل لتركبوها وتغيير
النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب
واما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو على او مزينا بها واستدل بها
على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا
ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه ان الاية مكية وعامة المفسرين والمحدثين

على ان

على ان الحمر الاهلية حرمت يوم خيبر ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات التي يحتاج اليها
غالبا احتياجا ضروريا او غير ضروري اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق
ما لا علم لنا به وان يراد به ما خلق في الجنة والنار مما لا خطر على قلب بشر وعلى الله قصد السبيل
بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق او اقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا او عليه قصد السبيل
يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي
يقصده السالك لا يميل عنه والمراد من السبيل الجنس ولذلك اضاف اليه القصد وقال ومنها
جاير حايد عن القصد او عن الله وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله ان يبين طريق الضلال
ولان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجاير انما جا بالعرض وقري ومنكم
جاير اي عن القصد ولو شا لهداكم اجمعين اي ولو شا هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية
مستلزمة للاهتدا هو الذي انزل من السما من السحاب او من جانب السما ما لكم منه شراب
ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب
فيه ولا باس به لان مياه العيون والابار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه في الارض
ومنه شجر ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وقيل كل ما نبت على الارض شجر قال
يعلفها اللحم اذا عز الشجر والخيل في اطعامها اللحم ضرر فيه تسيمون ترعون من سامت
الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات ينبت
لكم به الزرع وقرا ابو بكر بالنون على التفخيم والزيتون والنخيل ومن كل الثمرات وبعض كلها اذ
لم ينبت الارض كل ما يمكن من الثمرات ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يوكل منه لانه سيصير غذا
حيوانيا هو اشرف الاغذية ومن هنا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلاثة وترتيبها
ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته فان من تامل ان الحبة تقع في
الارض ويصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجرة وينشق اسفلها
فيخرج منه عروقها ثم تنمو ويخرج منها الاوراق والازهار والاكمام والثمار وتشتمل كل
منها على اجسام مختلفة الاشكال والطباع مع اتحاد المواد ونسبة الطبايع السفلية
والتاثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الاضداد
والانداد ولعل فصل الاية لذلك وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم بان هياها لمنافعكم
مسخرات بامره حال من الجميع اي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله خلقها ودبرها كيف شا او لما
خلقن له بايجاده وتقديره او لحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى ان يقال ان المؤثر في تكوين النبات
حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا ممكنة الذات والصفات
واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور
والتسلسل او مصدر جمع لاختلاف الانواع وقرا حفص والنجوم مسخرات على الابتدا والخبر فيكون
تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا ان في ذلك لايات لقوم يعقلون
جمع الاية وذكر العقل لانها تدل على انواع من الدلالة ظاهرة لذوي العقول السليمة غير محوجة الى استيفا

وَالأَعنابِ صح

نكركا حوال النبات وما ذرأ لكم في الارض عطف على الليل اي وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان
ونبات مختلفا الوانه اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا ان في ذلك لاية لقوم يذكرون
ان في اختلافها في الطباع والهيات والمناظر ليس الا بصنع صانع وهو الذي سخر البحر
جعلها حيث يتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص لتاكلوا منه لحما
طريا هو السمك وصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم يسرع اليه الفساد فيسارع الى
اكله ولاظهار قدرته في خلقه عذبا رطبا في ماء زعاق وتمسك به مالك والثوري
على ان من حلف لا ياكل لحما حنث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف وهو
لا يفهم منه عند الاطلاق الا ترى ان الله سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على ان لا يركب دابة
بركوبه وتستخرجوا منه حلية تلبسونها كاللولو والمرجان اي تلبسها نساوكم فاسند اليهم
لانهن من جملتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه جواري
فيه تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل صوت جري الفلك ولتبتغوا من
فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اي تعرفون نعم الله
فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لانه اقوى في باب الانعام من حيث
انه جعل المهالك سببا للانتفاع والقى في الارض رواسي جبالا رواسي ان تميد بكم كراهة
ان تميل وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان يخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة
الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك وان تتحرك بادنى سبب للتحريك
فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز
فصارت كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة
ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وانهارا وجعل فيها انهارا لان
القى فيها معناه وسبلا لعلكم تهتدون لمقاصدكم او الى معرفة الله وعلامات معالم
تستدل بها السابلة من جبل وسهل وريح ونحو ذلك وبالنجم هم يهتدون بالليل في
البراري والبحر والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة وبالنجم بضمتين وضمة وسكون
على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا
كثيري الاسفار للتجارة ومشهورين بالاهتداء في مسايرهم بالنجوم واخراج الكلام عن
سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هولاء يهتدون
فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم افمن يخلق كمن لا يخلق انكار بعد
اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته
لان يساوي ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شي من ذلك بل على ايجاد شي ما وكان حق الكلام
افمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات العجزة
شبيها بها والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه اولوا العلم منهم او الاصنام
واجراوها مجرى اولي العلم لانهم سموها الهة ومن حق الاله ان يعلم او للمشاركة بينه وبين

من يخلق او للمبالغة فكانه قيل ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده
افلا تذكرون فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذي يحضر عنده بادنى تذكر
والتفات وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها فضلا ان تطيقوا القيام
بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده باستحقاق العبودية تنبيها على ان ما
وراء ما عدد نعم لا تنحصر وان حق عبادته غير مقدور ان الله لغفور حيث يتجاوز عن تقصيركم
في اداء شكرها رحيم لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله
يعلم ما تسرون وما تعلنون من عقائدكم واعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار
العلم والذين تدعون من دون الله اي والالهة الذين تعبدونهم من دون الله وقرا ابو بكر
يدعون بالياء وقرا حفص ثلثتها بالياء لا يخلقون شيئا لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق
بين انها لا تخلق شيئا ليتبين انهم لا يشاركونه ثم اكد ذلك بان اثبت لهم صفات تنافي الالوهية
فقال وهم يخلقون لانها ذوات ممكنة مفتقرة الى الوجود الى التخليق والاله ينبغي ان يكون
واجب الوجود اموات هم اموات لا تعتريهم الحياة او اموات حالا او مآلا غير احياء بالذات
ليتناول كل معبود والاله ينبغي ان يكون حيا بالذات لا يعتريه الممات وما يشعرون ايان
يبعثون ولا يعلمون وقت بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم
والاله ينبغي ان يكون عالما بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث
من توابع التكليف الهكم اله واحد تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج فالذين لا يومنون بالاخرة قلوبهم
منكرة وهم مستكبرون بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالاخرة
فان المومن بها يكون طالبا للدلائل متاملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون حاله
بالعكس وانكار قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى المالوف فانه
ينافي النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات اليه والاول هو العمدة
في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الاخرين لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون
فيجازيهم وهو في موضع الرفع بجرم لانه مصدر او فعل انه لا يحب المستكبرين فضلا عن
الذين استكبروا عن توحيده او اتباع الرسول واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير
الاولين اي ما تدعون نزوله او المنزل اساطير الاولين وانما سموه منزلا على التهكم او على تقدير
انه منزل فهو اساطير لا تحقيق فيه والقايلون له هم المقتسمون ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة
اي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم
نتيجة رسوخهم في الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو
حصة التسبب بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفايدة
الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل الا ساء
ما يزرون بيس شيئا يزرونه فعلهم قد مكر الذين من قبلهم اي سووا منصوبات ليمكروا بها
رسل الله فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتاها امره من جهة العمد التي بنوا عليها بان ضعضعت

القايل بعضهم على التهكم او الوافدون عليهم او المسلمون

فخر عليهم السقف من فوقهم وصار سبب هلاكهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون
لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى
الصرح ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد أمر السماء فأهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه
فهلكوا ثم يوم القيامة يخزيهم يذلهم أو يعذبهم بالنار كقوله ربنا إنك من تدخل النار
فقد أخزيته ويقول أين شركائي أضاف إلى نفسه استهزاء أو حكاية لإضافتهم زيادة في
توبيخهم الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون المؤمنين في شأنهم وقرأ نافع بكسر النون
بمعنى تشاقونني فإن مشاقة المؤمنين كمشاقة الله قال الذين أوتوا العلم أي الأنبياء والعلماء
الذين كانوا يدعونهم إلى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم أو الملائكة إن الخزي اليوم
والسوء الذلة والعذاب على الكافرين وفائدة قولهم إظهار الشماتة وزيادة الإهانة
وحكايته لأنه يكون لطفا لمن سمعه الذين تتوفاهم الملائكة وقرأ حمزة بالياء وقرئ بإدغام
التاء في التاء وموصوله يحتمل الأوجه الثلاثة ظالمي أنفسهم بأن عرضوها للعذاب المخلد
فألقوا السلم فسالموا وأخبتوا حين عاينوا العذاب ما كنا نعمل من سوء قائلين ما كنا نعمل
من سوء كفر وعدوان ويجوز أن يكون تفسيرا للسلم على أن المراد به القول الدال على الاستسلام
بلى أي فتجيبهم الملائكة بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وقوله قيل
فألقوا السلم إلى الآية استئناف ورجوع إلى شرح حالهم يوم القيامة وعلى هذا أول من
لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بأنا لم نكن في زعمنا واعتقادنا عاملين سوءا واحتمل
أن يكون الراد عليهم هو الله تعالى أو أولو العلم فادخلوا أبواب جهنم كل صنف بابها
المعد له وقيل أبواب أصناف عذابها خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين جهنم وقيل
للذين اتقوا يعني المؤمنين ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا أي أنزل خيرا وفي نصبه دليل على أنهم
لم يتلعثموا في الجواب وأطبقوه على السؤال معترفين بالإنزال على خلاف الكفرة روي أن أحياء
العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فإذا جاء الوفد المقتسمين
قالوا لهم ما قالوا وإذا جاء المؤمنين قالوا ذلك للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة مكافأة
في الدنيا ولدار الآخرة خير أي ولثوابهم في الآخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم
ويجوز أن يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على أنه منتصب بقالوا ولنعم
دار المتقين دار الآخرة فحذفت لتقدم ذكرها جنات عدن خبر مبتدأ محذوف ويجوز
أن يكون المخصوص بالمدح يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاؤون من أنواع المشتهيات
وفي تقديم الظرف تنبيه على أن الإنسان لا يجد جميع ما يريده إلا في الجنة كذلك يجزي الله المتقين
مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الأول الذين تتوفاهم الملائكة طيبين طاهرين من ظلم أنفسهم
وقيل فرحين ببشارة الملائكة إياهم بالجنة طيبين بقبض أرواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية إلى
حضرة القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون
حين تبعثون فإنها معدة لكم على أعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لأن الأمر بالدخول حينئذ

هل ينظرون

هل ينظرون ما ينتظر الكفار المار ذكرهم إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم وقرأ حمزة
والكسائي بالياء أو يأتي أمر ربك القيامة أو العذاب المستأصل كذلك مثل ذلك الفعل من
الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم فأصابهم ما أصابوا وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن
كانوا أنفسهم يظلمون بكفرهم ومعاصيهم فأصابهم سيئات ما عملوا أي جزاء سيئات أعمالهم على حذف
المضاف أو تسمية للجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون فأحاط بهم جزاؤه
والحيق لا يستعمل إلا في الشر وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا
آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء إنما قالوا ذلك استهزاء ومنعا للبعث والتكليف متمسكين
بأن ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع فما الفائدة فيهما أو إنكارا لقبح ما أنكر عليهم من الشرك
وتحريم البحائر ونحوها محتجين بأنها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم ولشاء
خلافه ملجئا إليه لا اعتذارا إذ لم يعتقدوا قبح أعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب
من الشبهتين كذلك فعل الذين من قبلهم فأشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله فهل
على الرسل إلا البلاغ المبين إلا الإبلاغ الموضح للحق وهو لا يؤثر في هدى من شاء الله
هداه لكنه يؤدي إليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه لا مطلقا بل بأسباب قدرها
له ثم بين أن البعثة أمر جرت السنة الإلهية في الأمم كلها سببا لهدى من أراد اهتداءه
وزيادة الضلال لمن أراد ضلاله كالغذاء الصالح فإنه ينفع المزاج السوي ويقويه
ويضر المنحرف ويفنيه بقوله ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت يأمر بعبادة الله واجتناب الطاغوت فمنهم من هدى الله وفقهم للإيمان بإرشادهم
ومنهم من حقت عليه الضلالة إذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة
الثانية لما فيه من الدلالة على تحقق الضلالة وثباته بفعل الله وإرادته من حيث
إنه قسيم من هدى الله وقد صرح به في الآية الأخرى فسيروا في الأرض يا معشر قريش
فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون إن تحرص يا محمد
على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل من يريد ضلاله وهو المعنى من حقت عليه الضلالة
وقرأ غير الكوفيين لا يهدى على البناء للمفعول وهو أبلغ وما لهم من ناصرين من ينصرهم بدفع
العذاب عنهم وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت عطف على وقال الذين
أشركوا إيذانا بأنهم كما أنكروا التوحيد أنكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت على فساده
ولقد رد الله عليهم أبلغ رد فقال بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لنفسه وهو ما دل عليه
بلى فإن يبعث موعد من الله عليه إنجازه لامتناع الخلف في وعده أو لأن البعث مقتضى
حكمته حقا صفة أخرى للوعد ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنهم يبعثون إما لعدم
علمهم بأنه من مواجب الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها وإما لقصور نظرهم بالمألوف
فيتوهمون امتناعه ثم إنه تعالى بين الأمرين فقال ليبين لهم أي يبعثهم ليبين
لهم الذي يختلفون فيه وهو الحق وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين

فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الى السبب الداعي الى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو المميز بين
الحق والباطل والمثاب والمعاقب ثم قال **إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون** وهو بيان
امكانه وتقريره ان تكوين الله بمحض قدرته ومشيئته لا توقف له على سبق المواد والمدد والا لزم
التسلسل وكما امكن له تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال امكن له تكوينها اعادة
بعده ونصب ابن عامر والكسائي فيكون عطفا على نقول او جوابا للامر **والذين هاجروا في
الله من بعد ما ظلموا** هو رسول الله واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة
ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة او المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله وهم بلال
وصهيب وخباب وعمار وعابس وابو جندل وسهيل وقوله في الله اي في حقه ولوجهه **لنبوئنهم
في الدنيا حسنة** مباءة حسنة وهي المدينة او تبوئة حسنة **ولاجر الآخرة اكبر** مما تعجل لهم في الدنيا
وما ادخر لهم في الآخرة افضل **لو كانوا يعلمون** الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين
خير الدارين لوافقوهم او للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم **الذين صبروا
وعلى ربهم يتوكلون** منقطعين الى الله مفوضين اليه الامر كله **وما ارسلنا من قبلك الا رجالا
نوحي اليهم** رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اي جرت السنة الالهية بان
لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحى اليه على السنة الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكر في سورة الانعام
فان شككتم فيه **فاسألوا اهل الذكر** اهل الكتاب او علماء الاخبار ليعلموكم **ان كنتم لا تعلمون**
وفي الآية دليل على انه تعالى لم يرسل امرأة ولا ملكا للدعوة العامة فاما قوله جاعل الملائكة
رسلا الى الملائكة او الى الانبيا وقيل لم يبعثوا الى الانبيا الا متمثلين بصورة الرجال ورد بما
روي انه صلى الله عليه وسلم راى جبريل صلوات الله عليه على صورته التي هو عليها مرتين وعلى وجوب
المراجعة الى العلماء فيما لم يعلم **بالبينات والزبر** اي ارسلناهم بالبينات والزبر اي المعجزات
والكتب كانه جواب قائل يقول بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا داخلا في الاستثناء
مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط او صفة لهم
اي رجالا ملتبسين بالبينات او بيوحى على المفعولية او الحال من القائم مقام فاعله على ان
قوله فاسئلوا اعتراض او بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام **وانزلنا اليك الذكر**
اي القران وانما سمي ذكرا لانه موعظة وتنبيه **لتبين للناس ما نزل اليهم** في الذكر بتوسط
انزاله اليك مما امروا به ونهوا عنه وعما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود
او يرشد الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل **ولعلهم يتفكرون** وارادة ان يتاملوا فيه
فيتنبهوا للحقائق **أفأمن الذين مكروا السيئات** اي المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك
الانبياء او الذين مكروا برسول الله وراموا صد اصحابه عن الايمان **ان يخسف الله بهم الارض**
كما خسف بقارون **او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون** بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم
لوط **او يأخذهم في تقلبهم** اي متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم **فما هم بمعجزين او يأخذهم
على تخوف** على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون او على تنقص

شيا

شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوفته اذا تنقصته روي ان عمر قال وهو على المنبر
ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل
تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا تخوف الرحل منها تامكا قردا كما
فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم
فان ربكم لرؤوف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة **أولم يروا الى ما خلق الله من شيء** استفهام
انكار اي قد رأوا امثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره
فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها **يتفيؤا ظلاله** اي اولم ينظروا الى المخلوقات التي لها
ظلال متفيئة **عن اليمين والشمائل** عن ايمانها وعن شمائلها اي عن جانبي كل واحد منها
استعارة من يمين الانسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل لاعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد
الضمير في ظلاله وجمعه في قوله **سجدا لله وهم داخرون** وهما حالان من الضمير في ظلاله
والمراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع او الاختيار يقال سجدت النخلة
اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طأطأ رأسه ليركب وسجدا حال من الظلال وهم
داخرون حال من الضمير والمعنى يرجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها
ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة
على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام في انفسها ايضا داخرة اي صاغرة
منقادة لافعال الله فيها وجمع داخرون بالواو لان من جملتها من يعقل او لان الدخور
من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان
الكواكب تظهر منه آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب الغربي المقابل له
فان الظلال في اول النهار تبتدي من المشرق واقعة على الربع الغربي المقابل له من
الارض وعند الزوال تبتدي من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الارض **ولله يسجد ما
في السموات وما في الارض** اي تنقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتأثيره طبعا والانقياد
لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض وقوله **من دابة** بيان لهما
لان الدبيب هي الحركة الجسمانية سواء كان في ارض او سماء **والملائكة** عطف على المبين به عطف
جبريل على الملائكة للتعظيم او عطف المجردات على الجسمانيات وبه احتج من قال ان الملائكة
ارواح مجردة او بيان لما في الارض والملائكة تكرير لما في السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما
والمراد به ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل من العقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله
من حيث اجتمع القبيلان اولى من تغليب العقلاء **وهم لا يستكبرون** عن عبادته **يخافون
ربهم من فوقهم** يخافونه ان يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر لقوله وهو
القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير في يستكبرون او بيان له وتقرير لان من خاف الله
لم يستكبر عن عبادته **ويفعلون ما يؤمرون** من الطاعة والتدبير وفيه دليل على ان الملائكة
مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء **وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين** ذكر العدد مع ان المعدود

تخوف عود النبعة السفن

رقها

له

يدل عليه دلالة على ان مساق النهي اليه او ايماء بان الاثنينية تنافي الالوهية او التنبيه على ان
الوحدة من لوازم الالوهية فاياي فارهبون نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة في الترهيب
وتصريحا بالمقصود كانه قال فانا ذلك الاله الواحد فاياي فارهبون لا غير وله ما في السموات
وما في الارض خلقا وملكا وله الدين اي الطاعة واصبا لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق
بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب اي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اي وله الجزاء دائما
لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال
وما بكم من نعمة فمن الله اي واي شيء اتصل بكم من نعمة فهو من الله وما شرطية او موصولة متضمنة
معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها
من الله لا لحصولها منه ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون فما تتضرعون الا اليه والجؤار
رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم
يشركون وهم كفارهم ليكفروا بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان
خاصا بالمشركين كان من للبيان كانه قال فاذا فريق وهو انتم ويجوز ان يكون من للتبعيض
على ان يعتبر بعضهم كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم
كانهم قصدوا بشركهم كفران النعمة او انكار كونها من الله فتمتعوا امر تهديد فسوف
تعلمون اغلظ وعيده وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا
جاز ان تكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب ويجعلون لما لا يعلمون اي
لآلهتهم التي لا علم لها لانها جماد والضمير لما او التي لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها
تنفعهم وتشفع لهم على ان العائد الى ما محذوف او لجهلهم انها مصدرية والمجعول له محذوف
للعلم به نصيبا مما رزقناهم من الزرع والانعام تالله لتسألن عما كنتم تفترون
من انها آلهة بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون لله البنات كانت خزاعة
وكنانة يقولون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له من قولهم او تعجب منه ولهم ما يشتهون
يعني البنين ويجوز في ما يشتهون الرفع بالابتداء والنصب بالعطف على البنات على ان الجعل
بمعنى الاختيار وهو وان افضى الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشيء واحد لكنه لا يبعد تجويزه
في المعطوف واذا بشر احدهم بالانثى اخبر بولادتها ظل وجهه صار او دام النهار
مسودا من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير وهو كظيم
مملوء غيظا من المرأة يتوارى من القوم يستخفي منهم من سوء ما بشر به عرفا ايمسكه
محدثا نفسه متفكرا في ان يتركه على هون ذل ام يدسه في التراب ام يخفيه ويئده
وتذكير الضمير للفظ وقرئ بالتأنيث فيهما الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون لمن تعالى عن
الولد ما هذا محله عندهم للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة
الى الولد المنادية للموت واستبقاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث ووأدهن خشية
الاملاق ولله المثل الاعلى وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة عن صفات

المخلوقين

المخلوقين وهو العزيز الحكيم المنفرد بكمال القدرة والحكمة ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بكفرهم
ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس والدابة عليها من
دابة قط بشؤم ظلمهم وعن ابن عباس كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم او من دابة
ظالمة وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى سماه لاعمارهم
او لعذابهم كي يتوالدوا فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بل هلكوا
او عذبوا حينئذ لا محالة ولا يلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم ان يكون كلهم ظالمين حتى
الانبياء عليهم السلام لجواز ان يضاف اليهم ما شاع فيهم وصدر عن اكثرهم ويجعلون
لله ما يكرهون اي ما يكرهونه لانفسهم من البنات والشركاء في الرياسة والاستخفاف بالرسل
واراذل الاموال وتصف السنتهم الكذب مع ذلك وهو ان لهم الحسنى عند الله كقوله
ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة لا جرم
ان لهم النار رد لكلامهم واثبات لضده وانهم مفرطون مقدمون الى النار من افرطته
في طلب الماء ومكسورا من التفريط في الطاعات تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك
فزين لهم الشيطان اعمالهم فاصروا على قبائحها وكفروا بالمرسلين فهو وليهم اليوم
في الدنيا وعبر باليوم عن زمانها او فهو وليهم حين كان يزين لهم او يوم القيامة على انه حكاية
حال ماضية او آتية ويجوز ان يكون الضمير لقريش اي زين الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم
وهو ولي هؤلاء اليوم يغريهم ويغويهم وان يقدر مضاف اي فهو ولي امثالهم والولي القرين
او الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ولهم عذاب اليم في القيامة وما انزلنا عليك
الكتاب الا لتبين لهم للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام
الافعال وهدى ورحمة لقوم يؤمنون معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف
التبيين والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها انبت فيها انواع النبات
بعد يبسها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون سماع تدبر وانصاف وان لكم في الانعام
لعبرة دلالة يعبر بها من الجهل الى العلم نسقيكم مما في بطونه استئناف لبيان العبرة وانما
ذكر الضمير ووحده هاهنا للفظ وانثه في سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك
عده سيبويه في المفردات المبنية على افعال كاخلاق واكياس ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير
للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها او لواحده او له على المعنى فان المراد به الجنس وقرأ نافع وابن
عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح هنا من بين فرث ودم لبنا فانه يخلق من بعض اجزاء
الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث وهي الاشياء المأكولة المنهضمة بعض الانهضام في الكرش
وعن ابن عباس ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا
واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي يغذي البدن
لانهما لا يتكونان في الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث
ثم يمسكها ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة

تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقي على الاعضاء بحسبها فيجري الى كل حقه على ما يليق به بتقدير الحكيم العليم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض بمجاورة لحومها الغددية البيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله في احداث الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة والقوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذي يبتدئ منه الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم او حال من لبنا قدم عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة **خالصا** صافيا لا يستصحبه لون الدم ولا رائحة الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه **سائغا للشاربين** سهل المرور في حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف **ومن ثمرات النخيل والاعناب** متعلق بمحذوف اي ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرهما وقوله **تتخذون منه سكرا** استئناف لبيان الاسقاء او تتخذون ومنه تكرير للظرف تاكيدا او خبر لمحذوف صفته تتخذون اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف الذي هو العصير او لان الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر سمي به الخمر **ورزقا حسنا** كالتمر والزبيب والدبس والخل والاية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة قيل السكر النبيذ وقيل الطعم قال جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون الرزق ما يحصل من اثمانه **ان في ذلك لاية لقوم يعقلون** يستعملون عقولهم بالنظر والتامل في الايات **واوحى ربك الى النحل** الهمها وقذف في قلوبها وقرئ النحل بفتحتين **ان اتخذي** بان اتخذي ويجوز ان يكون مفسرة لان في الايحاء معنى القول وتانيث الضمير على المعنى فان النحل مذكر وكل نحو وكلما يعرش من كرم او سقف ولا في كل مكان منها وانما سمي ما تبنيه لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا يقوى عليها حذاق المهندسين الا بالات وانظار دقيقة ولعل ذكره للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء للبناء وقرا ابن عامر وابو بكر يعرشون بكسر الراء **ثم كلي من كل الثمرات** من كل ثمرة تشتهينها مرها وحلوها **فاسلكي** ما اكلت **سبل ربك** في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس **ذللا** جمع ذلول وهي حال من السبل اي مذللة ذللها الله وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي وانت ذلل منقادة لما امرت به **يخرج من بطونها** عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه **شراب** يعني العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل تاكل الازهار والاوراق العطرة فيستحيل في بطنها عسلا ثم تلقي ادخارا للشتاء ومن زعم انها

تلتقط

تلتقط بافواهها اجزاء طيبة حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها في بيوتها ادخارا فاذا اجتمع في بيوتها شيء كثير منها كان العسل ثم قوله من بطونها الافواه **مختلف الوانه** ابيض واحمر واصفر واسود بحسب سن النحل والفصل **فيه شفاء للناس** اما بنفسه كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في سائر الامراض اذ قلما يكون معجون الا والعسل جزء منه مع ان التنكير مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فبرئ فكانما انشط من عقال وقيل الضمير للقرآن او لما بين الله من احوال النحل **ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون** فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لا بد له من قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه **والله خلقكم ثم يتوفاكم** باجال مختلفة **ومنكم من يرد** يعاد **الى ارذل العمر** اخسه يعني الهرم الذي تشابه الطفولية في نقصان القوة والعقل وقيل هو خمس وخمسون سنة وقيل خمس وسبعون **لكيلا يعلم بعد علم شيئا** ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان وسوء الفهم **ان الله عليم** بمقادير اعماركم **قدير** يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت اجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ **والله فضل بعضكم على بعض في الرزق** فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم موال يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك حالهم على خلاف ذلك **فما الذين فضلوا برادي رزقهم** بمعطي رزقهم **على ما ملكت ايمانهم** على مماليكهم فان ما يردون رزقهم الذي جعله الله في ايديهم **فهم فيه سواء** فالموالي والمماليك سواء في ان الله رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية او مقررة لها ويجوز ان تكون واقعة موقع الجواب كانه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فيستووا في الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله بعض مخلوقاته في الالوهية ولا يرضون ان يشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساووهم فيه **افبنعمة الله يجحدون** حيث يتخذون شركا فانه يقتضي ان يضاف اليهم بعض ما انعم عليهم ويجحدوا انه من عند الله او حيث انكروا امثال هذه الحجج بعد ما انعم عليهم بايضاحها والباء لتضمن الجحود معنى الكفر وقرا ابو بكر تجحدون بالتاء لقوله خلقكم وفضل بعضكم **والله جعل لكم من انفسكم ازواجا** من جنسكم لتانسوا بها ولتكون اولادكم مثلكم وقيل هو خلق حواء من آدم **وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة** واولاد اولاد او بنات فان الحافد هو المسرع في الخدمة والبنات يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات وقيل الربائب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين **ورزقكم من الطيبات** من اللذائذ او من الحلال ومن للتبعيض فان المرزوق في الدنيا انموذج منها **افبالباطل يؤمنون** وهو ان الاصنام تنفعهم

او ان من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحائر والسوائب **أفبنعمة الله هم يكفرون** حيث اضافوا نعمه الى الاصنام او حرموا ما احل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل اما للاهتمام او للايهام التخصيص مبالغة او للمحافظة على الفواصل **ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا** من مطر ونبات ورزقا ان جعلته مصدرا فشيئا منصوب به والا فبدل منه **ولا يستطيعون** ان يتملكوه اذ لا استطاعة لهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده في لا يملك لان ما مفرد في معنى الآلهة ويجوز ان يعود الى الكفار اي ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون شيئا من ذلك فكيف بالجماد **فلا تضربوا لله الامثال** فلا تجعلوا له مثلا تشركونه به او تقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال **ان الله يعلم** فساد ما تعولون عليه من القياس على ان عبادة عبيد الملك ادخل في التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون **وانتم لا تعلمون** ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه فهو تعليل للنهي او انه يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رايكم دون نصه ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال فانه يعلم كيف تضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف يضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال **ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون** مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف راسا ومثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الاصنام التي هي اعجز المخلوقات وبين الله الغني القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوك للتمييز من الحر فانه ايضا عبد الله وبسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والماذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان المملوك لا يملك والاظهر ان من موصوفة ليطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون لانه للجنسين فان المعنى هل يستوي الاحرار والعبيد **الحمد لله** كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولى النعم كلها **بل اكثرهم لا يعلمون** فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها **وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم** ولد اخرس لا يفهم **لا يقدر على شيء** من الصنائع والتدابير لنقصان عقله **وهو كل على مولاه** عيال وثقل على من يلي امره **اينما يوجهه** حيثما يرسله مولاه في امر وقرئ يوجه على البناء للمفعول ويوجه بمعنى يتوجه كقوله اينما اوجه القى سعدا وتوجه بلفظ الماضي **لا يات بخير** بنجح وكفاية مهم **هل يستوي هو ومن يامر بالعدل** ومن هو فهم منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الشامل الجامع للفضائل **وهو على صراط مستقيم** وهو على صراط مستقيم لا يتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعي وانما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين لانهما كمال ما يقابلهما وهذا تمثيل ثان ضربه الله لنفسه وللاصنام لابطال المشاركة بينه وبينها او للمؤمن والكافر **ولله غيب السموات والارض** يختص به علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا

وقيل

وقيل يوم القيامة في سرعته وسهولته **الا كلمح البصر** الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها **او هو اقرب** او امرها اقرب منه بان يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الآن الذي يبتدا فيه فانه تعالى يحيي الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان في آن واو للتخيير او بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخي فهو عند الله كالشيء الذي يقولون فيه هو كلمح البصر او هو اقرب مبالغة في استقرابه **ان الله على كل شيء قدير** فيقدر على ان يحيي الخلائق دفعة كما قدر ان احياهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال **والله اخرجكم من بطون امهاتكم** وقرا الكسائي بكسر الهمزة على انه لغة واتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها في اهراق **لا تعلمون شيئا** جهالا مستصحبين جهل الجمادية **وجعل لكم السمع والابصار والافئدة** اداة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرار الاحساس حتى تحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها **لعلكم تشكرون** كي تعرفوا ما انعم عليكم طورا بعد طور فتشكرونه **الم يروا الى الطير** قرا ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على انه خطاب للعامة **مسخرات** مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية له **في جو السماء** في الهواء المتباعد من الارض **ما يمسكهن** فيه **الا الله** فان ثقل جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها **ان في ذلك لآيات** تسخير الطير للطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها في الهواء على خلاف طبعها **لقوم يؤمنون** لانهم هم المنتفعون بها **والله جعل لكم من بيوتكم سكنا** موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول **وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا** هي القباب المتخذة من الادم ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فانها من حيث انها نابتة على جلودها يصدق عليها انها من جلودها **تستخفونها** تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها **يوم ظعنكم** يوم وقت ترحالكم ووضعها او ضربها **ويوم اقامتكم** وقت الحضر او النزول وقرا الحجازيان يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة **ومن اصوافها واوبارها واشعارها** الصوف للضائنة والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها من جملتها **اثاثا** ما يلبس ويفرش **ومتاعا** ما يتجر به **الى حين** الى مدة من الزمان فانها لصلابتها تبقى مدة مديدة او الى مماتكم او الى ان تقضوا منها اوطاركم **والله جعل لكم مما خلق** من الشجر والجبال والابنية وغيرها **ظلالا** تتقون به حر الشمس **وجعل لكم من الجبال اكنانا** مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن **وجعل لكم سرابيل** ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها **تقيكم الحر** خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين او لان وقايته الحركات اهم عندهم **وسرابيل تقيكم باسكم** يعني الدروع والجواشن والسربال يعم كل ما يلبس **كذلك** كاتمام هذه النعم التي تقدمت **يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون** اي تنظرون

في نعمه تؤمنون به او تنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون
من العذاب اي تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل من السلامة تسلمون من الجراح
بلبس الدروع فان تولوا اعرضوا ولم يقبلوا فانما عليك البلاغ المبين فلا يضرك فانما
عليك البلاغ وقد بلغت وهذا من اقامة السبب مقام المسبب يعرفون نعمة الله اي يعرف
المشركون نعمه التي عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبانها من الله ثم ينكرونها
بعبادتهم المنعم بها وقولهم انها بشفاعة الهتنا او بسبب كذا او باعراضهم عن اداء
حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا وذكر الاكثر اما لان
بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل او التفريط في النظر او لم يقم عليه الحجة لانه لم يبلغ
حد التكليف واما لانه يقام الكل كما في قوله بل اكثرهم لا يعلمون ويوم نبعث من كل امة
شهيدا وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار
اذ لا عذر لهم وقيل في الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن
الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلي على ما يمنون به من شهادة الانبياء عليهم ولا هم يستعتبون
ولا هم يسترضون من العتبى وهي الرضا وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم
او يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله واذا راى الذين ظلموا عذاب جهنم فلا يخفف عنهم اي العذاب
ولا هم ينظرون يمهلون واذا راى الذين اشركوا شركاءهم اوثانهم التي دعوها شركاء
او الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا
ندعوا من دونك نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين في ذلك او التماس
بان يشطر عذابهم فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اي اجابوهم بالتكذيب في انهم شركاء
لله او انهم ما عبدوهم حقيقة وانما عبدوا اهواءهم لقوله كلا سيكفرون بعبادتهم
ولا يمتنع انطاق الملايكة به في انهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه لقوله وما كان لي عليكم
من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي والقوا الى الله يومئذ السلم
الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا وضل عنهم وضاع عنهم وبطل ما كانوا يفترون
من ان الهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبروا منهم الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا لصدهم فوق العذاب
المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين بصدهم ويوم نبعث في كل امة شهيدا
عليهم من انفسهم يعني نبيهم فان نبي كل امة بعث منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء
على امتك ونزلنا عليك الكتاب استيناف او حال باضمار قد تبيانا بيانا بليغا لكل
شيء من امور الدين على التفصيل او الاجمال بالاحالة الى السنة او القياس وهدى ورحمة للجميع وانما
حرمان المحروم من تفريطه وبشرى للمسلمين خاصة ان الله يامر بالعدل بالتوسط في الامور
اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر
والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسط

بين البخل والتبذير

بين البخل والتبذير والاحسان احسان الطاعات وهو بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل
او بحسب الكيفية كما قال عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه
يراك وايتاء ذي القربى واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة
وينهى عن الفحشاء عن الافراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا فانه اقبح احوال الانسان
واشنعها والمنكر ما ينكر على متعاطيه في اثارة الغضبية والبغي والاستعلاء والاستيلاء
على الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة التي هي مقتضى القوة الوهمية ولا يوجد من الانسان
شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر بتوسط هذه القوى الثلث ولذلك قال
ابن مسعود هي اجمع اية في القران للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون
ولو لم يكن في القران غير هذه الاية لصدق عليه انه تبيان لكل شيء ورحمة للعالمين
ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه يعظكم بالامر والنهي
والتمييز بين الخير والشر لعلكم تذكرون تتعظون واوفوا بعهد الله يعني البيعة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل
امر يجب الوفاء به ولا يلايمه قوله اذا عاهدتم وقيل النذور وقيل الايمان بالله ولا
تنقضوا الايمان ايمان البيعة او مطلق الايمان بعد توكيدها بعد توثيقها بذكر الله
ومنه اكد بقلب الواو همزة وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا بتلك البيعة فان
الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون في نقض الايمان
والعهود ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد
قوة متعلق بنقضت اي نقضت غزلها من بعد ابرام انكاثا طاقات نكث فتلها
جمع نكث وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول الثاني لنقضت فانه بمعنى
صيرت والمراد تشبيه الناقض بمن هذا شانه وقيل هي ريطة بنت سعد بن تيم القرشية
فانها كانت خرقاء تفعل ذلك تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في ولا تكونوا
او في الحال الواقع موقع الخبر اي لا تكونوا متشبهين بامراة هذا شانها متخذي ايمانكم
مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان تكون امة هي اربى من امة
بان تكون جماعة ازيد عددا واوفر مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا بقوم لكثرتكم
وقلتهم او لكثرة منابذيهم وقوة قريش فانهم كانوا اذا راوا شوكة في اعادي حلفا
يهم
نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم انما يبلوكم الله به الضمير لان تكون امة لانه بمعنى
المصدر اي يختبركم بكونكم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله
ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للربا وقيل للامر
بالوفاء وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب
والعقاب ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن يضل من يشاء بالخذلان
ويهدي من يشاء بالتوفيق ولتسألن عما كنتم تعملون سؤال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا ايمانكم دخلا

بينكم

تصريح بالنهي عنه بعد التضمين عنه تاكيدا ومبالغة في قبح المنهي فتزل قدم اي عن محجة الاسلام
بعد ثبوتها عليها والمراد اقدامهم وانما وحد ونكر للدلالة على ان زلل قدم واحد عظيم فكيف باقدام
كثيرة وتذوقوا السوء العذاب في الدنيا بما صددتم عن سبيل الله بصدودكم عن الوفاء
او صدودكم غيركم عنه فان نقض البيعة وارتداد جعل ذلك سنة لغيره ولكم عذاب عظيم
في الآخرة ولا تشتروا بعهد الله ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله ثمنا قليلا عوضا
يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعفاء المسلمين ويشرطون لهم على الارتداد انما عند الله
من النصر والتغنيم في الدنيا والثواب في الآخرة هو خير لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون
ان كنتم من اهل العلم والتمييز ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد ينقضي وما عند الله
من خزائن رحمته باق لا ينفد وهو تعليل للحكم السابق ودليل على ان نعيم اهل الجنة
باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم على الفاقة واذى الكفار او مشاق التكليف
باحسن ما كانوا يعملون بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بجزاء
احسن من اعمالهم من عمل صالحا من ذكر او انثى تعميم بالنوعين دفعا للتخصيص وهو
مؤمن اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العذاب
فلنحيينه حياة طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر
وان كان معسرا كان يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الاجر العظيم
في الآخرة بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا لم يدعه الحرص
وخوف الفوات ان يتهنا بعيشه وقيل في الآخرة وليجزين الذين صبروا
باحسن ما كانوا يعملون من الطاعة فاذا قرأت القرآن اذا اردت قراءته
كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فاسأل الله ان يعيذك
من وساوسه لئلا يوسوسك في القراءة والجمهور انه للاستحباب وفيه دليل على ان
المصلي يستعيذ في كل ركعة لان الحكم المرتب على شرط تكرر بتكرره قياسا وتعقيبه
لذكر العمل الصالح والوعد عليه ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل
عن ابن مسعود قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالله السميع العليم من
الشيطان الرجيم فقال لي قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه جبريل عن القلم
عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين آمنوا وعلى
ربهم يتوكلون على اولياء الله المؤمنين به والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون
اوامره ولا يقبلون وساوسه الا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة
فذكر السلطنة بعد الاستعاذة لئلا يتوهم منه ان له سلطانا انما سلطانه على الذين
يتولونه يحبونه ويطيعونه والذين هم به مشركون بالله او بسبب الشيطان مشركون واذا بدلنا
آية مكان آية بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما والله اعلم
بما ينزل من المصالح فلعل ما يكون مصلحة في وقت يصير مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون

مصلحة حينئذ يكون مصلحة الآن فيثبته مكانه وقرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل بالتخفيف
قالوا اي الكفرة انما انت مفتر متقول على الله تأمر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب اذا
والله اعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز
ان يكون حالا بل اكثرهم لا يعلمون حكمة الاحكام ولا يميزون الخطأ من الصواب قل نزله
روح القدس يعني جبريل واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقرأ
ابن كثير روح القدس وفي ينزل ونزله تنبيه على ان انزاله مدرجا على حسب المصالح بما يقتضي
التنزيل من ربك بالحق ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين آمنوا على الايمان بانه كلامه وانه
اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم
وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا
وهداية وبشارة وفيه تعريض لحصول اضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ولقد
نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر يعنون جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا
ويسارا كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان الرسول يمر عليهما ويسمع
ما يقرآنه وقيل عائشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل
سلمان الفارسي لسان الذي يلحدون اليه اعجمي لغة الذين يميلون عن الاستقامة اليه
مأخوذ من لحد القبر وقرأ حمزة والكسائي يلحدون بفتح الياء والحاء لسان اعجمي غير بين وهذا
وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لابطال
طعنهم وتقريره ويحتمل وجهين احدهما ان ما يسمعه منه كلام اعجمي لا يفهمه هو ولا انتم
والقرآن عربي تفهمونه بادنى تأمل فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما هب انه تعلم منه المعنى
باستماع كلامه لكن لم يتلقف منه اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التي لا يمكن تعلمها الا بملازمة
معلم فائق في تلك العلوم مدة متطاولة فكيف تعلم جميع ذلك من غلام سوقي سمع منه
بعض اوقات مروره عليه كلمات اعجمية لعلهما لم يعرفا معناها وطعنهم في القرآن بامثال
هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يصدقون انها
من عند الله لا يهديهم الله الى الحق او الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة ولهم عذاب اليم في الآخرة
هددهم على كفرهم بالقرآن بعدما اماط شبههم ورد طعنهم فيه ثم قلب انما يفتري الكذب
الذين لا يؤمنون بآيات الله لانهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه واولئك اشارة الى الذين كفروا
او الى قريش هم الكاذبون اي الكاذبون على الحقيقة او الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات
الله والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب او الذين عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين
ولا مروءة او الكاذبون في قولهم انما انت مفتر انما يعلمه بشر من كفر بالله من بعد ايمانه
بدل من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض او من اولئك او من الكاذبين او مبتدأ خبره محذوف دل
عليه قوله فعليهم غضب ويجوز ان ينتصب بالذم وان تكون من شرطية محذوفة الجواب
الا من اكره على الافتراء او كلمة الكفر استثناء متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان

اشارة

وقلبه مطمئن بالإيمان لم تتغير عقيدته وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب **ولكن من شرح بالكفر صدرا** اعتقده وطاب به نفسا **فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم** اذ لا اعظم من جرمه روي ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووجي بحربة في قبلها وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملي ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله وهو يبكي فجعل رسول الله يمسح عينيه ويقول ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل ان يجتنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لما روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انت ايضا فخلاه وقال للاخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فاخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له **ذلك** اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد **بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة** بسبب انهم اثروها عليها **وان الله لا يهدي القوم الكافرين** اي الكافرين في علمه الى ما يوجب ثباتهم على الايمان ولا يعصمهم عن الزيغ **اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم** فابت عن ادراك الحق والتامل فيه **واولئك هم الغافلون** الكاملون في الغفلة اذ اغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب **لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون** اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد **ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا** اي لهم بالولاية والنصر وثم لتباعد حال هؤلاء عن حال اولئك وقرا ابن عامر فتنوا بالفتح اي بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا **ثم جاهدوا وصبروا** على الجهاد وما اصابهم من المشاق **ان ربك من بعدها** من بعد الهجرة والجهاد والصبر **لغفور** لما فعلوا قبل **رحيم** ينعم عليهم مجازاة ما صنعوا بعد **يوم تاتي كل نفس** منصوب برحيم او باذكر **تجادل عن نفسها** تجادل عن ذاتها وتسعى في خلاصها لا يهمها شان غيرها فتقول نفسي نفسي **وتوفى كل نفس ما عملت** جزاء ما عملت **وهم لا يظلمون** لا ينقصون اجورهم **وضرب الله مثلا قرية** اي جعلها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله نقمته او لمكة **كانت امنة مطمئنة** لا يزعج اهلها الخوف **ياتيها رزقها** اقواتها **رغدا** واسعا **من كل مكان** من نواحيها **فكفرت بانعم الله** بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتا كدرع وادرع او جمع نعم كبوس وابوس **فاذاقها الله لباس الجوع والخوف** استعار الذوق لادراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثير
غمر الردا اذا تبسم ضاحكا ... غلقت لضحكته رقاب المال
فانه استعار الردا للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الردا واضاف الغمر الذي هو

وصف

وصف المعروف والنوال وقد ينظر الى المستعار كقوله
ينازعني ردائي عبد عمرو ... رويدك يا اخا عمرو بن بكر
لي الشطر الذي ملكت يميني ... ودونك فاعتجر منه بشطر
استعار الردا للسيف ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار **بما كانوا يصنعون** بصنيعهم **ولقد جاءهم رسول منهم** يعني محمد صلوات الله عليه والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم **فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون** اي حال التباسهم بالظلم والعذاب ما اصابهم من الجدب الشديد ووقعة بدر **فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا** امرهم باكل ما احل وشكر ما انعم عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوايهم فقال **ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام** كما قالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الاية وسياق الكلام وتصدير الجملة بانما حرم حصر المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما دل عليه دليل كالسباع والحمر الاهلية وانتصاب الكذب بلا تقولوا هذا حلال وهذا حرام بدل منه او متعلق بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصف السنتكم فتقولوا هذا حلال وهذا حرام او وصفا لالسنتكم مبالغة في وصف كلامهم هذا ولذلك عد من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرى الكذب بالجر صفة لما والكذب جمع كذوب او الكذوب للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب **لتفتروا على الله الكذب** تعليل لا يتضمن **ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون** لما كان المفتري يفتري لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله **متاع قليل** اي ما يفترون لاجله او ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب **ولهم عذاب اليم** في الاخرة **وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك** اي في سورة الانعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر **من قبل** متعلق بقصصنا او بحرمنا **وما ظلمناهم** بالتحريم **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم كما يكون للمضرة تكون للعقوبة **ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة** بسببها او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافترا على الله وغيره **ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها** من بعد التوبة **لغفور** لذلك السوء **رحيم** يثيب على الانابة **ان ابراهيم كان امة** لكماله واستجماعه فضايل لا تكاد توجد الا متفرقة في اشخاص كثيرة كقوله
وليس من الله بمستنكر ... ان يجمع العالم في واحد
وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزايغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما احله او لانه كان وحده مومنا وكان ساير الناس كفارا وقيل هي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس يومونه للاستفادة ويقتدون بسيرته لقوله اني جاعلك للناس اماما **قانتا لله** مطيعا قايما باوامره **حنيفا** مايلا عن الباطل **ولم يك من المشركين**

واشكروا نعمت الله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم

عمرو بن بكر

كما زعموا لان قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة ابراهيم **شاكرا لانعمه** ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة **اجتباه** للنبوة **وهداه الى صراط مستقيم** في الدعوة الى الله **وآتيناه في الدنيا حسنة** بان حببه الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا في السعة والطاعة **وانه في الآخرة لمن الصالحين** لمن اهل الجنة كما ساله بقوله والحقني بالصالحين **ثم اوحينا اليك** يا محمد وثم اما لتعظيمه والتنبيه على ان اجل ما اوتي ابراهيم اتباع الرسول عليه السلام ملته او للتراخي ايامه **ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا** في التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلايل مرة بعد اخرى والمجادلة مع كل احد على حسب فهمه **وما كان من المشركين** بل كان قدوة الموحدين **انما جعل السبت** تعظيم السبت والتخلي فيه للعبادة **على الذين اختلفوا فيه** اي على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى عليه السلام ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا وقالوا نريد يوم السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم هنا لتهديد المشركين كذكر القرية التي كفرت بانعم الله **وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون** بالمجازاة على الاختلاف او بمجازاة كل فريق بما يستحقه **ادع** من بعثت اليهم **الى سبيل ربك** الى الاسلام **بالحكمة** بالمقالة المحكمة وهو الدليل الواضح للحق المزيح للشبهة **والموعظة الحسنة** الخطابات المقنعة والعبر النافعة فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقايق والثانية لدعوة عوامهم **وجادلهم** وجادل معانديهم **بالتي هي احسن** بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر والمقدمات التي هي اشهر فان ذلك انفع في تسكين لهبهم وتبيين شغبهم **ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين** اي انما عليك البلاغ والدعوة واما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا عليك بل الله اعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازي عليهما **وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به** لما امره بالدعوة وبين له طرقها اشار اليه والى من يتابعه بترك المخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم فان الدعوة لا تنفك عنه من حيث انها تتضمن رفض العادات وترك الشهوات والقدح في دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل انه صلى الله عليه وسلم لما راى حمزة وقد مثل به فقال والله لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وفيه دليل على ان للمقتص ان يماثل الجاني وليس له ان يجاوز وحث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه الآكد بقوله **ولئن صبرتم لهو** اي الصبر **خير للصابرين** من الانتقام للمنتقمين ثم صرح بالامر به بقوله **واصبر وما صبرك الا بالله** الا بتوفيقه وتثبيته **ولا تحزن عليهم** على الكافرين او المؤمنين وما فعل بهم **ولا تك في ضيق مما يمكرون** في ضيق صدرك من مكرهم وقرا ابن كثير في ضيق هنا وفي النمل بالكسر وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز ان يكون الضيق تخفيف ضيق **ان الله مع الذين اتقوا** المعاصي **والذين هم محسنون** في اعمالهم بالولاية والفضل او مع الذين اتقوا بتعظيم امره والذين هم محسنون بالشفقة

على

على خلقه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم الله عليه في الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

وقيل الا قوله وان كادوا ليستفزونك الى آخر الآيات

بسم الله الرحمن الرحيم **سبحان الذي اسرى بعبده ليلا** سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع عن الصرف قال قد قلت لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر وانتصابه بفعل متروك الاظهار وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز كما ذكره واسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفايدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسرا ولذلك قرئ من الليل بعضه كقوله ومن الليل فتهجد به **من المسجد الحرام** بعينه لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النايم واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق او من الحرم وسماه المسجد الحرام لانه كله مسجد او لانه محيط به ليطابق المبتدا المنتهى لما روي انه كان نايما في بيت ام هاني بعد صلاة العشا واسري به ورجع في ليلته وقص القصة عليها وقال مثل لي النبيون فصليت بهم ثم خرج الى المسجد واخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن امن به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق واستنعته طائفة سافروا الى بيت المقدس فجلي له وطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون الى الثنية فصادفوا العير كما اخبر ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف في انه في المنام او في اليقظة بروحه او بجسده والاكثر على انه اسري بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين كرة الارض مائة وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضعها الاعلى في اقل من ثانية وقد برهن في الكلام ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض والله قادر على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات **الى المسجد الاقصى** بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد **الذي باركنا حوله** ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبيا من لدن موسى ومحفوف بالانهار والاشجار **لنريه من آياتنا** كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الانبيا له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء **انه هو السميع** لاقوال محمد صلى الله عليه وسلم **البصير** بافعاله

فيكرمه ويقربه على حسب ذلك وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل ان
على ان لا يتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل وقرا ابو عمرو بالياء على ان لا يتخذوا من دوني وكيلا
ربا تكلون اليه اموركم غيري ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ ان لا تتخذوا
بالتاء او على انه مفعول اول لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله ولا تتخذوا
الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف او بدل من واو تتخذوا وذرية
بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله عليهم في انجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح في السفينة
انه ان نوحا عليه الصلاة والسلام كان عبدا شكورا يحمد الله تعالى على جميع حالاته وفيه ايماء
بان انجاءه ومن معه كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عليه
السلام وقضينا الى بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا في الكتاب في التوراة
لتفسدن في الارض جواب قسم محذوف او وقضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى
القسم مرتين افسادتين اولاهما مخالفة احكام التوراة وقتل شعيا وثانيهما قتل زكريا
ويحيى وقصد قتل عيسى عليه السلام ولتعلن علوا كبيرا ولتستكبرن عن طاعة الله او لتظلمن
الناس فاذا جاء وعد اولاهما وعد عقاب اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا بخت نصر عامل
لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزري وقيل سنحاريب من اهل نينوى
اولي باس شديد ذوي قوة وبطش في الحرب شديد فجاسوا ترددوا لطلبكم وقرئ
بالحاء وهما اخوان خلال الديار وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم
وحرقوا التوراة وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك اولوا البعث
بالتخلية وعدم المنع وكان وعدا مفعولا وكان وعد عقابهم لا بد ان يفعل ثم رددنا
لكم الكرة اي الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم وذلك ان الله القى
في قلب بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف بن لهراسف شفقة
عليهم فرد اسراهم الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع
بخت نصر او بان سلط داود على جالوت وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا
مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب
الى العدو ان احسنتم احسنتم لانفسكم لان ثوابه لها وان اسأتم فلها فان وبالها عليها
وانما ذكر باللام ازدواجا فاذا جاء وعد الآخرة وعد عقوبة المرة الآخرة ليسوءوا
وجوهكم اي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها فحذف
لدلالة ذكره اولا عليه وقرا ابن عامر وحمزة وابو بكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه
للوعد او للبعث او لله ويعضده قراءة الكسائي بالنون وقرئ لنسوءن بالنون والياء
والنون المخففة والمثقلة ولنسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه جواب اذا
واللام في قوله وليدخلوا المسجد متعلق بمحذوف وهو بعثناهم كما دخلوه اول
مرة وليتبروا ليهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا

وذلك

وذلك بان الله سلط عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز
وقيل خردوس قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم عنه
فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدأ الدم
ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى فقال لمثل هذا ينتقم
ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله
قبل ان لا ابقي احدا منهم فهدأ عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الآخرة وان عدتم
نوبة اخرى عدنا مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم
وقصد قتله فعاد الله بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بني النضير وضرب الجزية على الباقين
هذا في الدنيا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا لا يقدرون على الخروج منها
ابد الآباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم
للحالة او الطريقة التي هي اقوم الحالات او الطرق ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات
ان لهم اجرا كبيرا وقرا حمزة والكسائي ويبشر بالتخفيف وان الذين لا يؤمنون
بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر المؤمنين ببشارتين
ثوابهم وعقاب اعدائهم او على يبشر باضمار يخبر ويدع الانسان بالشر ويدعو
الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله او يدعو بما يحسبه خيرا وهو شر
دعاءه بالخير مثل دعائه بالخير وكان الانسان عجولا يسارع الى كل
ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته وقيل المراد آدم فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب
لينهض فسقط روي انه صلى الله عليه وسلم دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة فرحمته
لانينه فارخت اكتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال اللهم انما انا بشر
فمن دعوت عليه فاجعل دعائي رحمة له فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وبالدعاء
استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن الحارث اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان
هذا هو الحق من عندك فاجيب له فضرب عنقه صبرا يوم بدر وجعلنا الليل والنهار
آيتين تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بامكان غيره فمحونا
آية الليل اي الآية التي هي الليل بالاشراق والاضافة فيها للتبيين كاضافة العدد
الى المعدود وجعلنا آية النهار مبصرة مضيئة او مبصرة للناس من ابصره فبصر او مبصرا
اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل الآيتان القمر والشمس وتقدير الكلام
وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين او جعلنا الليل والنهار ذوي آيتين ومحونا آية
الليل التي هي القمر حيث جعلناها مظلمة في نفسها مطموسة النور او نقص نورها شيئا فشيئا
الى المحاق وجعلنا آية النهار التي هي الشمس مبصرة جعلناها ذات شعاع تبصر الاشياء بضوئها
لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا في بياض النهار اسباب معاشكم وتتوسلوا به الى
استبانة اعمالكم ولتعلموا باختلافهما او بحركاتهما عدد السنين والحساب وجنس الحساب

وكل شيء تفتقرون اليه في امر الدين والدنيا فصلناه تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس
وكل انسان الزمناه طائره عمله وما قدر له كانه طير اليه من عش الغيب ووكر القدر لما
كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشر من
قدر الله وعمل العبد ونخرج له يوم القيامة كتابا هي صحيفة عمله او نفسه المنتقشة
بآثار عمله فان الاعمال الاختيارية تحدث في النفس احوالا ولذلك يفيد تكريرها
لها ملكات ونصبها بانه مفعول او حال من مفعول محذوف وهو ضمير الطائر ويعضده
قراءة يعقوب ويخرج من خرج وقرئ ويخرج اي الله عز وجل يلقاه منشورا لكشف
الغطاء وهما صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرأ ابن عامر
يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا اقرأ كتابك على ارادة القول كفى بنفسك اليوم عليك
حسيبا اي كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه اما بمعنى الحاسب
كالصريم بمعنى الصارم او ضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي
فوضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره على ان الحساب والشهادة
مما يتولاه الرجال او على تأويل النفس بالشخص من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن
ضل فانما يضل عليها لا ينجي اهتداؤه غيره ولا يردي ضلاله سواه ولا تزر وازرة
وزر اخرى ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس اخرى بل انما تحمل وزرها وما كنا
معذبين حتى نبعث رسولا يبين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة وفيه دليل على
ان لا وجوب قبل الشرع واذا اردنا ان نهلك قرية واذا تعلقت ارادتنا باهلاك
قوم لانفاد قضائنا السابق او دنا وقته المقدر كقولهم اذا اراد المريض ان يموت
ازداد مرضه شدة امرنا مترفيها متنعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم
ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد في العصيان
فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله ففسقوا فيها كقولك
امرته فقرأ فانه لا يفهم منه الا الامر بالقراءة على ان الامر مجاز من الحمل عليه او التسبب له
بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق ويحتمل ان لا يكون له مفعول منوي
كقولهم امرته فعصاني وقيل معناه كثرنا لقولهم امرت الشيء فأمر وامر اذا كثرته
وفي الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة اي كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز من
معنى الطلب ويؤيده قراءة يعقوب آمرنا ورواية امّرنا عن ابي عمرو ويحتمل ان يكون
منقولا من امر امارة اي جعلناهم امراء وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم ولانهم
اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور فحق عليها القول يعني كلمة العذاب السابق بحلوله او
بظهور معاصيهم او بانهماكهم في المعاصي فدمرناها تدميرا اهلكناها باهلاك اهلها
وتخريب ديارها وكم اهلكنا وكثيرا اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له من بعد
نوح كعاد وثمود وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يدرك ظواهرها وبواطنها

فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من كان يريد العاجلة مقصورا عليها همه عجلنا له
فيها ما نشاء لمن نريد قيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والارادة لانه لا يجد كل متمن ما يتمناه
ولا كل واحد جميع ما يهواه وليعلم ان الامر بالمشيئة والهم فضل ولمن نريد بدل له بدل البعض
وقرئ ما يشاء والضمير فيه لله حتى يطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد به ذلك
وقيل الاية في المنافقين كانوا يراؤون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم
في الغنائم ونحوها ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله
ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو الاتيان بما امر والانتهاء عما نهي
لا التقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا
صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فانه العمدة فاولئك الجامعون للشرائط الثلاثة كان
سعيهم مشكورا من الله اي مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة
كلا كل واحد من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه نمد بالعطاء مرة بعد اخرى
ونجعل آنفه مددا لسالفه هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا من عطاء ربك من معطاه متعلق بنمد
وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا انظر كيف
فضلنا بعضهم على بعض في الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على الحال وللآخرة اكبر درجات
واكبر تفضيلا اي التفاوت في الآخرة اكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار
ودركاتها لا تجعل مع الله الها آخر الخطاب للرسول والمراد به امته او لكل احد فتقعد
فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة او فتعجز من قولهم قعد عن الشيء اذا
عجز عنه مذموما مخذولا جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله
ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا منصورا وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به الا تعبدوا
بان لا تعبدوا الا اياه لان غاية التعظيم لا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام
وهو كالتفصيل لسعي الآخرة ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا ناهية وبالوالدين احسانا وبان
تحسنوا او واحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز ان
يتعلق الباء بالاحسان لان صلته لا تتقدم عليه اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما
اما ان الشرطية زيدت عليها ما تأكيدا ولذلك صح لحوقها النون المؤكدة للفعل واحدهما
فاعل يبلغن ويدل على قراءة حمزة والكسائي من الف يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف
على احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون تأكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا في كنفه
وكفالته فلا تقل لهما اف فلا تضجر مما يستقذر منهما ويستثقل من مؤنهما وهو صوت
يدل على تضجر وقيل اسم الفعل الذي هو اتضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه
في قراءة نافع وحفص للتنكير وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به
منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير منون والنهي عن ذلك يدل على المنع من سائر انواع
الايذاء قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله

صلى الله عليه وسلم حذيفة من قتل ابيه وهو في صف المشركين نهى عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان
بهما **ولا تنهرهما** ولا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم اخوات
وقل لهما بدل التافيف والنهر **قولا كريما** جميلا لا شراسة فيه **واخفض لهما جناح الذل**
تذلل لهما وتواضع جعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله • وقد كشفت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال
زمامها • للشمال يدا وللقرة زماما • وامره بخفضها مبالغة والمراد جناحه كقوله
واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول
من الرحمة من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله اليهما **وقل رب**
ارحمهما وادع الله ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا
كافرين لان من الرحمة ان يهديهما **كما ربياني صغيرا** رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما
وارشادهما لي في صغري وفاء بوعدك للراحمين روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما
كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما **ربكم اعلم**
بما في نفوسكم من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر
لهما كراهة واستثقالا **ان تكونوا صالحين** قاصدين للصلاح **فانه كان للاوابين**
للتوابين **غفورا** ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد عظيم
ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه جناية اوليا لوروده
على اثره **وآت ذا القربى حقه** من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال ابو حنيفة
حقهم اذا كانوا محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل المراد بذي القربى اقارب الرسول **والمسكين**
وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا بصرف المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف
واصل التبذير التفريق وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لسعد وهو يتوضأ ما هذا
السرف فقال او في الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار **ان المبذرين كانوا اخوان**
الشياطين امثالهم في الشرارة فان التضييع والاتلاف شر او اصدقاءهم واتباعهم
لانهم يطيعونهم في الاسراف والصرف في المعاصي روي انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون
عليها ويبذرون اموالهم في السمعة فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بالانفاق في القربات
وكان الشيطان لربه كفورا مبالغة في الكفر به فينبغي ان لا يطاع **واما تعرضن عنهم** وان
اعرضت عن ذي القربى والمساكين حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا ينفعهم
على سبيل الكناية **ابتغاء رحمة من ربك ترجوها** لانتظار رزق من الله ترجوه ان ياتيك فتعطيه
او منتظرين له وقيل معناه لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه
لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب الذي هو قوله **فقل لهم قولا ميسورا** اي فقل لهم
قولا لينا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد الرجل
ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل اغناكم الله ورزقنا الله واياكم

ولاتجعل

ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر
نهى عنهما امرا بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم **فتقعد ملوما** فتصير ملوما عند الله وعند الناس
بالاسراف وسوء التدبير **محسورا** نادما او منقطعا بك لا شيء عندك من حسره السفر اذا بلغ
منه وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال
من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي
عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا للصلاة فلم
يخرج فانزل الله ذلك ثم سلاه بقوله **ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر** يوسعه
ويضيقه بمشيئته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الاضاقة الا لمصلحتك **انه كان**
بعباده خبيرا بصيرا يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يريد
ان البسط والقبض من امر الله العالم بالسرائر والظواهر فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا وانه
تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط
وان يكون تمهيدا لقوله **ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق** مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم
وادهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم ارزاقهم فقال **نحن نرزقهم واياكم**
ان قتلهم كان خطأ كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطأ
الاثم يقال خطئ خطأ كأثم اثما وقرأ ابن عامر خطأ وهو اسم من اخطأ يضاد الصواب
وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وقرأ ابن كثير خطاء بالمد والكسر وهو اما
لغة او مصدر خاطأ وهو وان لم يسمع لكنه جاء تخاطأ في قوله • تخاطأه حتى وجدته •
وخرطومه من منتقع الماء راسب • وهو مبني عليه وقرئ خطأ بالفتح والسكون وخطا بحذف
الهمزة مفتوحا ومكسورا **ولا تقربوا الزنا** بالعزم والاتيان بالمقدمات فضلا ان تباشروه
انه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح زائدته **وساء سبيلا** وبئس طريقا وهو الغصب
على الابضاع المؤدي الى قطع الانساب وهيج الفتن **ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق** الا باحدى
ثلث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا **ومن قتل مظلوما** غير
مستوجب للقتل **فقد جعلنا لوليه** للذي يلي امره بعد وفاته وهو الوارث **سلطانا** تسلطا
بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه او بالقصاص على القاتل فان قوله مظلوما يدل على ان القتل
عمد عدوان فان الخطأ لا يسمى ظلما **فلا يسرف** اي القاتل **في القتل** بان يقتل من لا يحل قتله
فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك او الولي بالمثلة وقتل غير القاتل ويؤيد الاول
قراءة ابي فلا تسرفوا وقرأ حمزة والكسائي فلا تسرف على خطاب احدهما **انه كان منصورا**
علة النهي على الاستيناف والضمير اما للمقتول فانه منصور في الدنيا بثبوت القصاص بقتله
وفي الاخرة بالثواب واما لوليه فان الله نصره حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته
واما للذي يقتله الولي اسرافا بايجاب القصاص والتعزير والوزر على المسرف **ولا تقربوا**
مال اليتيم فضلا ان تتصرفوا فيه **الا بالتي هي احسن** بالطريقة التي هي احسن **حتى يبلغ**

أشده غاية لجواز التصرف الذي دل عليه الاستثنا وأوفوا بالعهد بما عاهدكم الله من تكليفه
او ما عاهدتموه وغيره إن العهد كان مسئولا مطلوبا يطلب من العاهد أن لا يضيعه
ويفي به او مسئولا عنه يسال الناكث عليه او يسال العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما
يقال للموؤدة بأي ذنب قتلت فيكون تخييلا ويجوز أن يراد أن صاحب العهد كان مسئولا
وأوفوا الكيل إذا كلتم ولا تبخسوا فيه وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو رومي
عرب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لأن العجمي إذا استعملته العرب وأجرته مجرى كلامهم
في الإعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف
ذلك خير وأحسن تأويلا وأحسن عاقبة تفعيل من آل إذا رجع ولا تقف ولا تتبع
وقرئ ولا تقف من قاف أثره إذا قفاه ومنه القافة ما ليس لك به علم ما لم يتعلق به
علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه أن المراد بالعلم هو
الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان قطعا او ظنا واستعماله بهذا المعنى شائع
وقيل إنه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه السلام
من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج وقول الكميت
ولا أرمي البريء بغير ذنب ولا أقفو الحواصن إن قفينا إن السمع والبصر والفؤاد
كل أولئك أي كل هذه الأعضاء فأجراها مجرى العقلاء لما كانت مسئولة عن أحوالها شاهدة
على صاحبها هذا وإن أولا وإن غلب في العقلاء لكنه من حيث أنه اسم جمع لكذا وهو يعم
القبيلين جاء لغيرهم كقوله والعيش بعد أولئك الأيام كان عنه مسئولا في ثلاثتها ضمير كل أي
كان كل واحد منها مسئولا عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه ويجوز أن يكون الضمير في عنه
لمصدر لا تقف او لصاحب السمع والبصر وقيل مسئولا مسند إلى عنه كقوله غير المغضوب عليهم
والمعنى يسأل صاحبه عنه وهو خطأ لأن الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل على
أن العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم إبدالها
بالفتح ولا تمش في الأرض مرحا أي ذا مرح وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم
أبلغ وإن كان المصدر آكد من صريح النعت إنك لن تخرق الأرض لن تجعل فيها خرقا بشدة وطأتك
ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهي بأن الاختيال حماقة
مجردة لا تعود بجدوى ليس في التذلل كل ذلك إشارة إلى الخصال الخمس والعشرين المذكورة
من قوله ولا تجعل مع الله إلها آخر وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنها المكتوبة في ألواح
موسى كان سيئه يعني المنهي عنه فإن المذكورات مأمورات ومناهي وقرأ الحجازيان والبصريان سيئة
على أنها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك إشارة إلى ما نهي عنه خاصة وعلى هذا قوله عند ربك
مكروها بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فإنه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز أن
ينتصب مكروها على الحال من المستكن في كان او في الظرف على أنه صفة سيئة والمراد به
المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على أن الحوادث كلها واقعة بإرادته تعالى

ذلك

ذلك إشارة إلى الأحكام المتقدمة مما أوحى إليك ربك من الحكمة التي هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به
ولا تجعل مع الله إلها آخر كرره للتنبيه على أن التوحيد مبدأ الأمر ومنتهاه فإن من لا قصد له
بطل عمله ومن قصد بفعله او تركه غيره ضاع سعيه وأنه رأس الحكمة وملاكها ورتب عليه أولا
ما هو عائدة الشرك في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبى فقال فتلقى في جهنم ملوما
تلوم نفسك مدحورا مبعدا من رحمة الله أفأصفاكم ربكم بالبنين خطاب لمن قالوا الملائكة
بنات الله والهمزة والمعنى أفخصكم ربكم بأفضل الأولاد وهم البنون واتخذ من الملائكة إناثا
بنات لنفسه هذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم إنكم لتقولون قولا عظيما بإضافة
الأولاد إليه وهي خاصة بعض الأجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل أنفسكم عليه حيث
تجعلون له ما تكرهون ثم بجعل الملائكة الذين من أشرف خلق الله أدونهم ولقد صرفنا
كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير في هذا القرآن في مواضع منه ويجوز أن يراد بهذا
القرآن إبطال إضافة البنات إليه بتقدير ولقد صرفنا القول في هذا المعنى وأوقعنا
التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف ليذكروا ليتذكروا وما يزيدهم إلا نفورا عن الحق
وقلة طمأنينة إليه قل لو كان معه آلهة كما تقولون أيها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص بالياء
فيه وفيما بعده على أن الكلام مع الرسول ووافقهما نافع وابن عامر وابو عمرو وابو بكر ويعقوب
في الثانية على أن الأولى مما أمر الرسول أن يخاطب المشركين والثانية مما نزه به نفسه عن
مقالهم إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا إلى من هو
مالك الملك سبيلا بالمغالبة كما تفعل الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب إليه والطاعة لعلمهم
بقدرته وعجزهم كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة سبحانه ينزهه
تنزيها وتعالى عما يقولون علوا تعاليا كبيرا متباعدا غاية البعد عما يقولون فإنه
من خواص ما يمتنع بقاؤه وفي أعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ
الولد من أدنى مراتبه فإنه من خواص ما يمتنع بقاؤه تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن
وإن من شيء إلا يسبح بحمده ينزهه عما هو من لوازم الإمكان وتوابع الحدوث بلسان الحال
حيث تدل بإمكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته ولكن لا تفقهون تسبيحهم
أيها المشركون لإخلالكم بالنظر الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز أن يحمل التسبيح على المشترك
بين اللفظ والدلالة لإسناده إلى ما يتصور منه اللفظ وإلى ما لا يتصور منه وعليهما من جوز
إطلاق اللفظ على معنييه وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر يسبح بالياء إنه كان حليما غفورا
حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم غفورا لمن تاب منكم وإذا قرأت القرآن جعلنا
بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا يحجبهم عن فهم ما تقرؤه عليهم مستورا كقوله وعده
مأتيا وقولهم سيل مفعم او مستورا عن الحس او بحجاب آخر لا يفهمون ولا يفهمون نفي عنهم أن يفهموا
ما أنزل عليهم من الآيات بعدما نفى عنهم التفقه للدلالة المنصوبة في الأنفس والآفاق تقريرا له
وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح بقوله وجعلنا على قلوبهم أكنة تكنها وتحول دونها

عن ادراك الحق وقبوله أن يفقهوه كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه
قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه اي منعناهم ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا يمنعهم عن
استماعه ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى
وادراك اللفظ وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع
موقع الحال واصله يحد وحدة بمعنى واحدا وحده ولوا على أدبارهم نفورا هربا من استماع
التوحيد ونفرة او تولية ويجوز ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن أعلم بما يستمعون به
بسببه ولاجله من الهزء بك وبالقرآن إذ يستمعون إليك ظرف لاعلم وكذا وإذ هم نجوى
اي نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى
يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجي إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا
رجلا مسحورا مقدر باذكر او بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة
على ان تناجيهم بقولهم هذا والمسحور الذي سحر به فزال عقله وقيل الذي له سحر وهو الرئة
اي الا رجلا يتنفس وياكل ويشرب انظر كيف ضربوا لك الأمثال مثلوك بالشاعر
والساحر والكاهن والمجنون فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا
الى طعن توجه فيتهافتون ويخبطون كالمتحير في امره لا يدري ما يصنع او الى الرشاد
وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا وحطاما أإنا لمبعوثون خلقا جديدا على الانكار
والاستبعاد لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل
في اذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وخلقا مصدر
او حال قل جوابا لهم كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم اي مما
يكبر عن قبول الحياة لكونه ابعد شيء منها فان قدرته تعالى لا تقصر عن احيائكم لاشتراك
الاجسام في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة
بالحياة قبل والشيء اقبل لما عهد فيه مما لم يعهد فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم
أول مرة وكنتم ترابا وما هو ابعد منه من الحياة فسينغضون إليك رؤوسهم فيحركونها
نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا فان كل ما هو آت قريب وانتصابه
على الخبر او الظرف اي يكون في زمان قريب وان يكون اسم عسى او خبره والاسم مضمر يوم
يدعوكم فتستجيبون اي يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة
للتنبيه على سرعتهم وتيسر امرهما وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء
بحمده حال منهم اي حامدين لله على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤوسهم
ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين لبعثه انقياد الحامدين عليه وتظنون
إن لبثتم إلا قليلا وتستقصرون مدة لبثكم في القبور كالذي مر على قرية او مدة
حياتكم لما ترون من الهول وقل لعبادي يعني المؤمنين يقولوا التي هي أحسن الكلمة التي
هي احسن ولا يخاشنوا المشركين إن الشيطان ينزغ بينهم يهيج بينهم المراء والشر فلعل

الخاشنة

الخاشنة تفضي الى العناد وازدياد الفساد إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا ظاهر
العداوة ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم تفسير للتي هي احسن وما بينهما اعتراض
اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه يهيجهم على الشر مع ان
ختام امرهم غيب لا يعلمه الا الله وما أرسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الايمان
وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالاحتمال منهم روي ان المشركين افرطوا في
ايذائهم فشكوا الى رسول الله فنزلت وقيل شتم عمر رجل فهم به فامره الله بالعفو وربك أعلم بمن في
السماوات والأرض وباحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش
ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض
بالفضائل النفسانية والتبري عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع حتى داود
فان شرفه بما اوحي اليه من الكتاب لا بما اوتي من الملك قيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله وقوله
وآتينا داود زبورا تنبيه على وجه تفضيله وانه خاتم الانبياء وامته خير الامم المدلول عليه
بما كتب في الزبور لانه في الاصل فعول للمفعول كالحلوب او المصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة
بالضم وهو كالعباس والفضل او لان المراد وآتينا داود بعض الزبر او بعضا من الزبور فيه ذكر
الرسول قل ادعوا الذين زعمتم انها آلهة من دونه كالملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون
كشف الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلا ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم أولئك الذين
يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة هؤلاء الآلهة يبتغون الى الله القربة والطاعة أيهم
أقرب بدل من واو يبتغون اي يبتغي من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب ويرجون
رحمته ويخافون عذابه كسائر العباد فكيف تزعمون انهم آلهة إن عذاب ربك كان محذورا
حقيقا بان يحذره كل احد حتى الرسل والملائكة وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة
بالموت والاستئصال أو معذبوها عذابا شديدا بالقتل وانواع البلية كان ذلك في الكتاب
في اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا وما منعنا أن نرسل بالآيات وما صرفنا عن ارسال
الآيات التي اقترحها قريش إلا أن كذب بها الأولون الا تكذيب الاولين الذين هم امثالهم
في الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك واستوجبوا الاستئصال
على ما مضت به سنتنا وقد قضينا ان لا نستأصلهم لان فيهم من يؤمن ثم ذكر بعض الامم
المهلكة بتكذيب الآيات المقترحة فقال وآتينا ثمود الناقة بسؤالهم مبصرة بينة ذات
ابصار او بصائر او جاعلتهم ذوي بصائر وقرئ بالفتح فظلموا بها فكفروا بها او فظلموا
انفسهم بسبب عقرها وما نرسل بالآيات اي بالآيات المقترحة إلا تخويفا من نزول العذاب
المستاصل فان لم يخافوا نزل او بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن الا تخويفا بعذاب الآخرة
فان امر من بعثت اليهم مؤخر الى يوم القيامة والباء مزيدة او في موقع الحال والمفعول محذوف
وإذ قلنا لك واذكر اذ اوحينا اليك إن ربك أحاط بالناس فهم في قبضة قدرته او احاط بقريش
يعني اهلكهم من احاط بهم العدو فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه

(هامش) من ان الارض يرثها عبادي الصالحون وتنكيره هاهنا وتعريفه في قوله ولقد كتبنا

وما جعلنا الرؤيا التي أريناك ليلة المعراج وتعلق به من قال إنه كان في المنام ومن قال إنه
كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية أو عام الحديبية حين رأى أنه دخل مكة وفيه أن الآية مكية إلا أن
يقال رآها بمكة وحكاها حينئذ ولعل رؤياه رآها في وقعة بدر لقوله إذ يريكهم الله في منامك قليلا
ولما روي أنه ورد ماءه قال لكأني أنظر إلى مصارع القوم هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان
فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل رأى قوما من بني أمية يرقون منبره وينزون عليه
نزو القردة فقال هو حظهم من الدنيا يعطونه بإسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله إلا فتنة
للناس ما حدث في أيامهم والشجرة الملعونة في القرآن عطف على الرؤيا وهي شجرة الزقوم لما
سمع المشركون ذكرها قالوا إن محمدا يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول تنبت فيها الشجرة
ولم يعلموا أن من قدر أن يحمي وبر السمندل من أن تأكله النار وأحشاء النعامة من أذى الجمر
وقطع الحديد المحماة الحمر التي تبتلعها قدر أن يخلق في النار شجرة لا تحرقها النار ولعنها
في القرآن لعن طاعميها وصفت به على المجاز للمبالغة أو وصفها لأنها في أصل الجحيم فإنه
أبعد مكان من الرحمة أو بأنها مكروهة مؤذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا وقد
أولت بالشياطين وأبي جهل والحكم بن أبي العاص وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف أي
والشجرة الملعونة في القرآن كذلك ونخوفهم بأنواع التخويف فما يزيدهم إلا طغيانا
كبيرا إلا عتوا متجاوز الحد وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد
لمن خلقت طينا لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز أن يكون حالا من الراجع
إلى الموصول أي خلقته وهو طين أو منه أي أأسجد له وأصله طين وفيه على الوجوه الثلاثة
إيماء بعلة الإنكار قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي الكاف لتأكيد الخطاب لا محل له من
الإعراب وهذا مفعول أول والذي صفته والمفعول الثاني محذوف لدلالة صلته عليه
والمعنى أخبرني عن هذا الذي كرمته علي بأمري بالسجود له لئن أخرتن إلى يوم القيامة كلام مبتدأ
واللام موطئة للقسم وجوابه لأحتنكن ذريته إلا قليلا لأستأصلنهم بالإغواء إلا قليلا
لا أقدر أن أقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الأرض إذا جرد ما عليها أكلا مأخوذ من
الحنك وإنما علم أن ذلك يتسهل له إما استنباطا من قول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها
مع التقرير أو تفرسا من خلقه ذا وهم وشهوة وغضب قال اذهب امض لما قصدته
وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاؤك
وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب ويجوز أن يكون الخطاب للتابعين على الالتفات جزاء موفورا
مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه وانتصاب جزاء على المصدر بإضمار فعله أو بما في جزاؤكم من
معنى تجازون أو حال موطئة لقوله موفورا واستفزز واستخفف من استطعت منهم أن تستفزه
والفز الخفيف بصوتك بدعائك إلى الفساد وأجلب عليهم وصح عليهم من الجلبة وهي الصياح
بخيلك ورجلك بأعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه قوله عليه السلام يا خيل الله اركبي والرجل
اسم للراجل كالصحب والركب ويجوز أن يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار صوت على قوم

فاستفزهم

فاستفزهم من أماكنهم وأجلب عليهم جنده حتى استأصلهم وقرأ حفص ورجلك بالكسر وغيره بالضم
وهما لغتان كحذر وحذر ومعناه وجمعك الرجل وقرئ رجالك ورجالك وشاركهم في الأموال
بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي والأولاد بالحث على التوصل إلى
الولد بالسبب المحرم والإشراك فيه بتسميته عبد العزى والتضليل على الأديان الزائغة والحرف
الذميمة والأفعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة
الآباء وتأخير التوبة لطول الأمل وما يعدهم الشيطان إلا غرورا اعتراض لبيان مواعيده
والغرور تزيين الخطأ بما يوهم أنه صواب إن عبادي يعني المخلصين وتعظيم الإضافة
والتقييد في قوله إلا عبادك منهم المخلصين تخصيصهم ليس لك عليهم سلطان أي على إغوائهم
قدرة وكفى بربك وكيلا يتوكلون به في الاستعاذة منك على الحقيقة ربكم الذي يزجي هو
الذي يجري لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله الربح وأنواع الأمتعة التي لا تكون
عندكم إنه كان بكم رحيما حيث هيأ لكم ما تحتاجون إليه وسهل عليكم ما تعسر من أسبابه
وإذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون ذهب عن خواطركم كل من تدعونه
في حوادثكم إلا إياه وحده فإنكم حينئذ لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعون لكشفه إلا إياه
أو ضل كل من تعبدونه عن إعانتكم إلا الله فلما نجاكم من الغرق إلى البر أعرضتم عن التوحيد
وقيل اتسعتم في كفران النعمة كقول ذي الرمة • عطاء فتى تمكن في المعالي فأعرض في
وكان الإنسان كفورا كالتعليل للإعراض أفأمنتم الهمزة فيه للإنكار والفاء للعطف
على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الإعراض فإن من قدر أن يهلككم في البحر
بالغرق قادر أن يهلككم في البر بالخسف وغيره أن يخسف بكم جانب البر أن يقلبه الله وأنتم عليه
أو يقلبه بسببكم فبكم حال أو صلة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالنون فيه وفي الأربعة التي بعده
وفي ذكر الجانب تنبيه على أنهم لما وصلوا الساحل كفروا وأعرضوا وأن الجوانب والجهات في قدرته
سواء لا معقل يؤمن فيه من أسباب الهلاك أو يرسل عليكم حاصبا ريحا تحصب أي ترمي بالحصباء
ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك فإنه لا راد لفعله أم أمنتم أن يعيدكم فيه
في البحر تارة أخرى بخلق دواعي تلجئكم إلى أن ترجعوا فتركبوه فيرسل عليكم قاصفا من الريح
لا تمر بشيء إلا قصفته أي كسرته فيغرقكم وعن يعقوب بالتاء على إسناده إلى ضمير الريح
بما كفرتم بسبب إشراككم وكفرانكم نعمة الإنجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا يتبعنا
بانتصار أو صرف ولقد كرمنا بني آدم بحسن الصورة والمزاج الأعدل واعتدال القامة
والتمييز بالعقل والإفهام بالنطق والإشارة والخط والتهدي إلى أسباب المعاش والمعاد والتسلط
على ما في الأرض والتمكن من الصناعات وانسياق الأسباب والمسببات العلوية والسفلية
إلى ما يعود عليهم بالمنافع إلى غير ذلك مما يقف الحصر دون إحصائه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس
وهو أن كل حيوان يتناول طعامه بفيه إلا الإنسان فإنه يرفعه إليه بيده وحملناهم في البر والبحر
على الدواب والسفن من حملته حملا إذا جعلت له ما يركبه أو حملناهم فيهما حتى لم تخسف بهم الأرض

بهم

منك بيان

المكارم واستطالة •

ولم يرزقهم اياه ورزقناهم من الطيبات المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا بالغلبة والاستيلاء وبالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسئلة موضع نظر وقد أول الكثير بالكل وفيه تعسف يوم ندعو نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو ويدعى ويدعو على قلب الالف واوا في لغة من يقول افعو او على ان الواو علامة الجمع كما في قوله واسروا النجوى الذين ظلموا او ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو يقدر كما في يدعى كل اناس بامامهم بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا صاحب كتاب كذا اي تنقطع علقة وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع أم كخف وخفاف والحكمة في ذلك اجلال عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وان لا تفتضح اولاد الزنا فمن اوتي من المدعوين كتابه بيمينه اي كتاب عمله فاولئك يقرؤن كتابهم ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من اجورهم ادنى شئ وجمع اسم الاشارة والضمير لان من اوتي في معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب باليمين يدل على ان من اوتي كتابه بشماله اذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيا ما يحبس السنتهم عن القراءة فلذلك لم يذكرهم مع ان قوله ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى ايضا مشعر بذلك فان الاعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى من كان في هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان في الآخرة اعمى لا يرى طريق النجاة واضل سبيلا منه في الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الآلة والمهلة وقيل لان الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثاني للتفضيل من عمي بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه في حكم المتوسطة كما في اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقعة في الطرف لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء في التثنية وقد اما لهما حمزة والكسائي وابو بكر وان كادوا ليفتنونك نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك وان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان الشأن قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك في الفتنة بالاستنزال عن الذي اوحينا اليك من الاحكام لتفتري علينا غيره غير ما اوحينا اليك واذا لاتخذوك خليلا ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك وليا لهم بريا من ولايتي ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن

ادركتك

ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون فضلا من ان تركن اليه وهو صريح في انه عليه السلام ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه اذا لاذقناك اي لو قاربت لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما نعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير اخطر وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحياة الدنيا وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحياة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع العذاب عنك وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بمعاداتهم من الارض ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك الا قليلا الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته وقيل الآية نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا باذن على انه معطوف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد فان اذا لا تعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه قال ❊ عفت الديار خلافهم فكانما ❊ بسط الشواطب بينهن حصيرا ❊
سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر اي سن الله ذلك سنة وهو ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله واضافتها الى الرسل لانها من اجلهم ويدل عليه ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا اقم الصلاة لدلوك الشمس لزوالها ويدل عليه قوله عليه السلام اتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر وقيل لغروبها واصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فان الدالك لا تستقر يده وكذا ما تركب من الدال واللام كدلج ودلح ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك من الدلك لان الناظر اليها يدلك عينيه ليدفع شعاعها واللام للتأقيت مثلها في لثلاث خلون الى غسق الليل الى ظلمته وهو وقت العشاء الآخرة وقرآن الفجر وصلاة الصبح سميت قرآنا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز ان يكون التجوز لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في الصلاة الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب فيها ايضا وفي غيرها قياسا ان قرآن الفجر كان مشهودا يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذي اخو الموت بالانتباه او كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير والآية جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلوات الليل وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلاة صلاة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبدأ الوقت ومنتهاه واستدل به على ان الوقت يمتد الى غروب الشفق ومن الليل فتهجد به وبعض الليل فاترك الهجود للصلاة والضمير للقرآن نافلة لك فريضة زائدة لك على الصلوات

المفروضة او فضيلة لك لاختصاصها بك **عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا** مقاما يحمده القائم
فيه وكل من عرفه وهو مطلق يتضمن كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة انه
عليه السلام قال هو المقام الذي اشفع فيه وما ذاك الا مقام الشفاعة وانتصابه على الظرف
على اضمار فعله اي فيقيمك مقاما او بتضمين يبعثك معناه او الحال بمعنى ان يبعثك ذا مقام
وقل رب أدخلني في القبر **مدخل صدق** ادخالا مرضيا **وأخرجني** اي منه عند البعث **مخرج
صدق** اخراجا ملقى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة
ظاهرا عليها واخراجه منها امنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما
حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله في كل ما يلابسه من مكان او امر
واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا
واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا ينصر الاسلام على الكفر
فاستجاب له بقوله فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض
وقل جاء الحق الاسلام **وزهق الباطل** وذهب وهلك الشرك من زهق روحه اذا خرج
إن الباطل كان زهوقا مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود انه عليه الصلاة والسلام
دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرة في عين واحد واحد
فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة
وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره **وننزل من القرآن ما هو شفاء
ورحمة للمؤمنين** ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ومن
للبيان فانه كله كذلك وقيل للتبعيض والمعنى ان منه ما يشفي من المرض كالفاتحة وايات
الشفاء وقرأ البصري ننزل بالتخفيف **ولا يزيد الظالمين إلا خسارا** لتكذيبهم وكفرهم به
وإذا أنعمنا على الإنسان بالصحة والسعة **أعرض** عن ذكر الله **ونأى بجانبه** لوى عطفه
وبعد بنفسه عنه كانه مستغن مستبد بامره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من
عادة المستكبرين وقرأ ابن عامر وناء على القلب او على انه بمعنى نهض **وإذا مسه الشر** من مرض او فقر
كان يؤوسا شديد الياس من روح الله **قل كل يعمل على شاكلته** قل كل احد يعمل على طريقته التي تشاكل
حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه **فربكم أعلم بمن هو أهدى
سبيلا** اسد طريقا وابين منهجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين **ويسألونك
عن الروح** الذي يحيى به بدن الانسان ويدبره **قل الروح من أمر ربي** من الابداعيات الكائنة
تكن من غير مادة وتولد من اصل كاعضاء جسده او وجد بامره وحدث بتكوينه على ان السؤال
من قدمه وحدوثه وقيل مما استأثره بعلمه لما روي ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب
الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب
عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التوراة

وقيل

وقيل الروح جبريل وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القرآن ومن امر ربي معناه من وحيه **وما
أوتيتم من العلم إلا قليلا** تستفيدونه بطرق الحواس فان اكتساب العقل للمعارف النظرية
انما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد فقد علما ولعل
اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من احواله المعرفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح مما لا يمكن معرفة
ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى في جواب وما
رب العالمين بذكر صفاته روي انه عليه الصلاة والسلام لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا
الخطاب فقال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا
كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وما قالوه لسوء فهمهم لان
الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير والحق ما تسعه الطاقة البشرية بل ما ينتظم به معاشه
ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله التي لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالاضافة
اليه **ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك** اللام موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب
مناب جزاء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن المصاحف والصدور **ثم لا تجد
لك به علينا وكيلا** من يتوكل علينا استرداده مستورا محفوظا **إلا رحمة من ربك** فانها ان نالتك
فلعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته
غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة في تنزيله **إن فضله كان عليك كبيرا**
كارساله وانزال الكتاب عليه وابقائه في حفظه **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا
بمثل هذا القرآن** في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى **لا يأتون بمثله** وفيهم العرب العرباء
وارباب البيان واهل التحقيق وهو جواب قسم دل عليه اللام الموطئة ولولا هي لكان
جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير وان اتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب
مالي ولا حرم **ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله لم يذكر
الملائكة لان اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزة ولانهم كانوا وسائط في اتيانه ويجوز
ان تكون الاية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا **ولقد صرفنا** كررنا بوجوه مختلفة
زيادة في التقرير والبيان **للناس في هذا القرآن من كل مثل** من كل معنى هو كالمثل في غرابته
ووقوعه موقعا في الانفس **فأبى أكثر الناس إلا كفورا** الا جحودا وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت
الا زيدا لانه متأول بالنفي **وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا** تعنتا واقتراحا
بعدما لزمتهم الحجة ببيان اعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون ويعقوب
تفجر بالتخفيف والارض ارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب
من عب الماء اذا زخر **أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا** او يكون
لك بستان يشتمل على ذلك **أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا** من السماء يعنون قوله
تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وابو عمرو وحمزة
والكسائي ويعقوب في جميع القرآن الا في الروم وابن عامر الا في هذه السورة وابو بكر ونافع في

تاتي بالله

في غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو اما مخفف من المفتوح كسدر وسدرة او فعل بمعنى
مفعول كالطحن او تاتي بالله والملائكة قبيلا كفيلا بما تدعيه اي شاهدا على صحته ضامنا
لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال من الملائكة محذوفة لدلالتها
عليها كما حذف الخبر في قوله * فاني وقيار بها لغريب * او جماعة فيكون حالا من الملائكة او يكون
لك بيت من زخرف من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة او ترقى في السماء في معارجها
ولن نؤمن لرقيك وحده حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وكان فيه تصديقك قل سبحان ربي
تعجبا من اقتراحاتهم او تنزيها لله من ان ياتي او يتحكم عليه او يشاركه احد في القدرة هل كنت
الا بشرا كسائر الناس رسولا كسائر الرسل وكانوا لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم
على ما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الايات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله حتى تخيروها
على هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر في ايات اخر كقوله ولو نزلنا عليك كتابا
في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اي وما منعهم
الايمان بعد نزول الوحي وظهور الحق الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا الا قولهم
هذا والمعنى انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد والقران الا انكارهم ان
يرسل الله بشرا قل جوابا لشبهتهم لو كان في الارض ملائكة يمشون كما يمشي بنو ادم
مطمئنين ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا لتمكنهم من الاجتماع
به والتلقي منه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط
بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به
وكذلك بشرا والاول اوفق قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على اني رسول اليكم باظهار
المعجز على وفق دعواي او على اني بلغت ما ارسلت به اليكم او انكم عاندتم وشهيدا نصب
على الحال او التمييز انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم احوالهم الباطنة منها والظاهرة
فيجازيهم عليه وفيه تسلية للرسول وتهديد للكفار ومن يهد الله فهو المهتد ومن
يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه يهدونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم
يسحبون عليها او يمشون بها روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم
قال الذي امشاهم على اقدامهم قادر ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما
لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم
لانهم في دنياهم لم يستبصروا بالايات والعبر وتصاموا عن استماع الحق وابوا ان
ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار مؤوفي القوى
والحواس ماواهم جهنم كلما خبت سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم زدناهم
سعيرا توقدا بان نبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا
بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بان لا يزالوا على الاعادة والافناء واليه اشار
بقوله ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا

لمبعوثون خلقا جديدا لان الاشارة الى ما تقدمه من عذابهم اولم يروا اولم يعلموا ان الذي خلق
السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم فانهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة اصعب عليه من
الابداء وجعل لهم اجلا لا ريب فيه هو الموت او القيامة فابى الظالمون مع وضوح الحق
الا كفورا الا جحودا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي خزائن رزقه وسائر نعمه وانتم
مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني وفائدة هذا الحذف
والتفسير المبالغة والدلالة على الاختصاص اذا لامسكتم خشية الانفاق لبخلتم مخافة النفاد
بالانفاق اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو اثر غيره فانما يؤثره لعوض يفوقه
فهو اذن بخيل بالاضافة الى جود الله وكرمه هذا وان البخلاء اغلب منهم وكان الانسان قتورا
بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذله ولقد
اتينا موسى تسع ايات بينات هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار
الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بني اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات
مكان الثلاثة الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا سال النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لا تشركوا
بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا
الربا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف
وعليكم خاصة اليهود ان لا تعتدوا في السبت فقبل اليهودي يده ورجله فعلى هذا المراد
بالايات الاحكام العامة للملل الثابتة في كل الشرائع سميت بذلك لانها تدل على حال
من يتعاطى متعلقها في الاخرة من السعادة والشقاوة وقوله وعليكم خاصة اليهود
ان لا تعتدوا حكم مستانف زائد على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام فاسال
بني اسرائيل اذ جاءهم فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك او سلهم عن حال دينهم
ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال على لفظ المضي بغير همز وهو لغة قريش
واذ متعلق بقلنا او سال على هذه القراءة او فسل يا محمد بني اسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون
اذ جاءهم او عن الايات ليظهر للمشركين صدقك او لتتسلى نفسك او لتعلم انه تعالى لو اتى بما
اقترحوا لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة يوجب
قوة اليقين وطمانينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا باتينا او باضمار يخبروك على انه
جواب الامر او باضمار اذكر على الاستئناف فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا
سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت يا فرعون وقرا الكسائي بالضم على اخباره عن نفسه
ما انزل هؤلاء يعني الايات الا رب السموات والارض بصائر بينات تبصرك صدقي ولكنك
تعاند وانتصابه على الحال واني لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على
الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما صرفك او هالكا قارع ظنه بظنه وشتان ما بين
الظنين فان ظن فرعون كذب وظن موسى يحوم حول اليقين من تظاهر اماراته وقرئ
وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام الفارقة فاراد فرعون ان يستفزهم

ان يستخف موسى وقومه وينفيهم من الارض ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل والاستيصال
فاغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من
بعده من بعد فرعون واغراقه لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزكم منها فاذا
جاء وعد الاخرة الكرة او الحياة او الساعة او الدار الاخرة يعني قيام القيامة جئنا بكم لفيفا
مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداكم من اشقياكم واللفيف الجماعات من قبايل
شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل اي وما انزلنا القران الا ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله وما
نزل الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه وقيل وما انزلناه من السما الا محفوظا بالرصد من
الملايكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشيطان ولعله اراد نفي اعتوار البطلان
له اول الامر واخره لتقراه على الناس وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا
للعاصي من العقاب ولا عليك الا التبشير والانذار وقرانا فرقناه نزلناه مفرقا منجما
وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما في قوله ويوم شهدناه وقرئ بالتشديد
لكثرة نجومه فانه نزل في تضاعيف عشرين سنة لتقراه على الناس على مكث على مهل وتؤدة
فانه ايسر للحفظ واعون في الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث
قل امنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم بالقران لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصا
وقوله ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل له اي ان لم تؤمنوا به فقد امن به من هو
خير منكم وهم العلما الذين قروا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة
وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل او راوا نعتك وصفة ما انزل اليك في تلك الكتب ويجوز ان
يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كانه قيل تسل بايمان العلما عن ايمان الجهلة ولا تكترث
بايمانهم واعراضهم اذا يتلى عليهم القران يخرون للاذقان سجدا يسقطون على وجوههم
تعظيما لامر الله او شكرا لانجازه وعده في تلك الكتب ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم على فترة من
الرسل وانزال القران عليه ويقولون سبحان ربنا عن خلف الموعد ان كان وعد ربنا لمفعولا
انه كان وعده كاينا لا محالة ويخرون للاذقان يبكون كرره لاختلاف الحال والسبب فان الاول
للشكر عند انجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ القران حال كونهم باكين من خشية الله وذكر
الذقن لانه اول ما يلقى الارض من وجه الساجد واللام لاختصاص الخرور به ويزيدهم
سماع القران خشوعا لما يزيدهم علما ويقينا بالله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزلت
حين سمع المشركون رسول الله يقول يا الله يا رحمن وقد اكثر الله في التوراة والمراد على الاول
هو التسوية بين اللفظين بانهما يطلقان على ذات واحدة وان اختلف اعتبار اطلاقهما
والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق والافضا
الى المقصود وهو اجود لقوله ايا ما تدعوا فله الاسما الحسنى والدعا في الاية بمعنى التسمية
وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغنا عنه واو للتخيير والتنوين في ايا عوض من
المضاف اليه وما صلة لتاكيد ما في اي من الابهام والضمير في له للمسمى لان التسمية له لا للاسم

فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها اخر وقالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن

وكان

موضع

وكان اصل الكلام ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسما الحسنى للمبالغة والدلالة على ما
هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام ولا تجهر بصلاتك بقراة
صلاتك حتى لا تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها حتى
لا تسمع من خلفك من المومنين وابتغ بين ذلك بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد
في جميع الامور محبوب روي ان ابا بكر كان يخفت ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر كان
يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان
يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ
بين ذلك سبيلا بالمخافتة نهارا والجهر ليلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك
في الملك في الالوهية ولم يكن له ولي من الذل ولي يواليه من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته نفى
عنه ان يكون له ما يشاركه من جنسه او من غير جنسه اختيارا او اضطرارا وما يعاونه ويقويه ورتب
الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق جنس الحمد لانه الكامل الذات المتفرد بالايجاد المنعم على
الاطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله وكبره تكبيرا
وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في العبادة والتحميد
ينبغي ان يعترف بالقصور عن حقه في ذلك روي انه عليه الصلاة والسلام اذا افصح الغلام
من بني عبد المطلب علمه هذه الاية وعنه عليه الصلاة والسلام من قرا سورة بني اسرائيل فرق قلبه
عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومايتا اوقية والله سبحانه وتعالى اعلم

وقيل الا قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الاية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب يعني القران رتب
استحقاق الحمد على انزاله تنبيها على انه اعظم نعمايه وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد
والداعي الى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد ولم يجعل له عوجا شيا من العوج باختلال في
اللفظ وتناف في المعنى او انحراف من الدعوة الى جناب الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان
قيما مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط او قيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل
بعد وصفه بالكمال او على الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله قيما
او على الحال من الضمير في له او من الكتاب على ان الواو في ولم يجعل للحال دون العطف اذ لو كان
للعطف لكان المعطوف فاصلا بين ابعاض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتاخير وقرئ قيما
لينذر باسا شديدا اي لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول الاول اكتفا بدلالة
القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه من لدنه صادرا من عنده وقرا ابو بكر باسكان الدال
اسكان الباء من سبع مع الاشمام ليدل على اصله وكسر النون لالتقا الساكنين وكسر الهاء للاتباع
ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا هو الجنة ماكثين فيه في
الاجر ابدا بلا انقطاع وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا

بهم استعظام لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء بتقديم ذكره ما لهم به من علم اي
بالولد او باتخاذه او بالقول والمعنى انهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب او تقليد لما
سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذي ارادوا به فانهم كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى
المؤثر والاثر او بالله اذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ اليه ولا لآبائهم الذين تقولوه
بمعنى التبني كبرت كلمة عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام
احتياجه تعالى الى ولد يعينه ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع
على الفاعلية تخرج من افواههم صفة لها تفيد استعظاما لاجترائهم على اخراجها من افواههم
والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان كبر هاهنا بمعنى
بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الاشمام ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك قاتلها
على آثارهم اذا ولوا عن الايمان شبهه لما تداخله من الوجل على توليهم بمن فارقته اعزته
وهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك على الاضافة ان لم
يؤمنوا بهذا الحديث بهذا القرآن اسفا للتأسف عليهم او متأسفا عليهم والاسف فرط الحزن
والغضب وقرئ ان بالفتح على لان فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية انا جعلنا ما
على الارض من الحيوان والنبات والمعادن زينة لها ولاهلها لنبلوهم ايهم احسن عملا
في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع بما يزجي به ايامه وصرفه على ما ينبغي وفيه
تسكين لرسول الله وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا تزهيد فيه والجرز الارض التي قطع
نباتها من الجرز وهو القطع والمعنى انا لنعيد ما عليها من الزينة ترابا مستويا بالارض من
الاجناس ونجعله كصعيد املس لا نبات فيه ام حسبت بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم
في ابقاء حياتهم مدة مديدة كانوا من آياتنا عجبا وقصتهم بالاضافة الى خلق ما على الارض من
الانواع الفائتة للحصر على طبائع متباعدة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم ردها
اليها ليس بعجيب مع انه من آيات الله كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم الجبل
او الوادي الذي فيه كهفهم او اسم قريتهم او كلبهم قال امية بن ابي الصلت ليس بها الا الرقيم مجاورا
وصيدهم والقوم في الكهف همد • او لوح رصاصي او حجري رقمت فيه اسماؤهم وجعلت
على باب الكهف وقيل اصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لاهلهم فاخذتهم
السماء فأووا الى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه فقال احدهم اذكروا ايكم عمل حسنة لعل الله
يرحمنا ببركته فقال واحد استعملت اجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل في بقيته مثل
عملهم فاعطيته مثل اجرهم فغضب احدهم وترك اجره فوضعته في جانب البيت ثم مر بي
بقرة فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شاء الله فرجع الي بعد حين شيخا ضعيفا لا اعرفه
وقال ان لي عندك حقا وذكره حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك
لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى راوا الضوء وقال الآخر كان في فضل واصابت
الناس شدة فجاءتني امرأة فطلبت مني معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك فابت وعادت

ثم

ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت لزوجها فقال اجيبي له واغني عيالك فاتت وسلمت الي نفسها فلما
كشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت ما لك فقالت اخاف الله فقلت لها خفتيه في الشدة
ولم اخفه في الرخاء فتركتها واعطيتها ملتمسها اللهم ان فعلته لوجهك فافرج عنا فانصدعت
الصخرة حتى تعارفوا وقال الثالث كان لي ابوان همان وكان لي غنم وكنت اطعمهما واسقيهما
ثم ارجع الى غنمي فحبسني ذات يوم غيث فلم ارح حتى امسيت فاتيت اهلي واخذت محلبي فحلبت
فيه ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين فشق علي ان اوقظهما فوقفت جالسا ومحلبي على يدي حتى
ايقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا
وقد رفع ذلك نعمان بن بشير اذ اوى الفتية الى الكهف يعني فتية من اشراف الروم ارادهم
دقيانوس على الشرك فابوا وهربوا الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة توجب لنا
المغفرة والرزق والامن من العدو وهيئ لنا من امرنا من الامر الذي نحن عليه من مفارقة الكفار
رشدا نصير بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا كله رشدا كقولك رايت منك اسدا واصل
التهيئة احداث هيئة الشيء فضربنا على آذانهم اي ضربنا عليها حجابا يمنع السماع بمعنى انمناهم
انامة لا تنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول كما حذف في قولهم بنى على امرأته في
الكهف سنين ظرفان لضربنا عددا اي ذوات عدد ووصف السنين به يحتمل التكثير
والتقليل فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده ثم بعثناهم ايقظناهم لنعلم ليتعلق علمنا
تعلقا حاليا مطابقا لتعلقه اولا تعلقا استقباليا اي الحزبين المختلفين منهم او من غيرهم
في مدة لبثهم احصى لما لبثوا امدا ضبط امد الزمان لبثهم وما في اي من معنى الاستفهام
علق عنه لنعلم فهو مبتدأ واحصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعوله ولما لبثوا حال منه
او مفعول له وقيل انه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وامدا تمييز وقيل اسم تفضيل من الاحصاء
بحذف الزوائد كقولهم هو احصى للمال وافلس من ابن المذلق وامدا نصب بفعل دل عليه كقوله
واضرب منا بالسيوف القوانسا نحن نقص عليك نباهم بالحق بالصدق انهم فتية شباب
جمع فتى كصبي وصبية آمنوا بربهم وزدناهم هدى بالتثبيت وربطنا على قلوبهم
وقويناها بالصبر على هجر الوطن والاهل والمال والجراءة على اظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار
اذ قاموا بين يديه فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا
شططا والله لقد قلنا قولا ذا شطط اي ذا بعد عن الحق مفرط في الظلم هؤلاء مبتدأ قومنا عطف
بيان اتخذوا من دونه آلهة خبره وهو اخبار في معنى انكار لولا يأتون هلا يأتون عليهم على عبادتهم
بسلطان بين ببرهان ظاهر فان الدين لا يوجد الا به وفيه دليل على ان ما لا دليل عليه من الديانات
مردود وان التقليد فيه غير جائز فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشرك اليه واذ اعتزلتموهم
خطاب بعضهم لبعض وما يعبدون الا الله عطف على الضمير المنصوب اي واذ اعتزلتم القوم
ومعبوديهم الا الله فانهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الاصنام كسائر المشركين ويجوز ان
يكون ما مصدرية على تقدير واذ اعتزلتموهم وعبادتهم الا عبادة الله وان تكون نافية على انه

اخبارًا من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترضين اذ اوجوابه لتحقيق اعتزالهم فأووا إلى الكهف
ينشر لكم ربكم يبسط لكم ويوسع عليكم من رحمته في الدارين ويهيئ لكم من أمركم مرفقا ما
ترتفقون به اي تنتفعون وجزمهم بذلك لنصوع يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله وقرأ نافع
وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفا مصدر جاء شاذا كالمرجع فان قياسه الفتح وترى الشمس
لو رايتهم والخطاب لرسول الله او لكل احد اذا طلعت تزاور عن كهفهم تميل عنه ولا يقع
شعاعها فيؤذيهم لان الكهف كان جنوبيا او لان الله زورها عنهم واصله تتزاور فادغمت
التاء في الزاي وقرأ الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزورّ كتحمرّ وكلها من الزور بمعنى
الميل ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين واذا غربت تقرضهم
تقطعهم وتصرم عنهم ذات الشمال يعني يمين الكهف وشماله وهم في فجوة منه اي وهم في
متسع من الكهف يعني في وسطه بحيث ينالهم روح الهوا ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حر
الشمس وذلك لان باب الكهف في مقابلة بنات النعش واقرب المشارق والمغارب الى محاذاته
مشرق السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه
الايمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جنبيه
ويحلل عفونته وتعدل هواه ولا يقع عليهم فيؤذي اجسادهم ويبلي ثيابهم ذلك من
آيات الله اي شأنهم وايواؤهم الى الكهف كذلك او اخبارهم قصتهم او ازورار الشمس
وتقرضها طالعة وغاربة من آيات الله من يهد الله بالتوفيق فهو المهتدي الذي اصاب
الفلاح والمراد به اما الثنا عليهم او التنبيه على ان امثال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع
بها من وفقه الله للتأمل فيها والاستبصار ومن يضلل ومن يخذله فلن تجد له وليا مرشدا
من يليه ويرشده وتحسبهم ايقاظا لانفتاح عيونهم او لكثرة تقلبهم وهم رقود نيام ونقلبهم
في رقدتهم ذات اليمين وذات الشمال لئلا تأكل الارض ما يليها من ابدانهم على طول الزمان وقرئ
ويقلبهم باليا والضمير لله تعالى وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه وتحسبهم اي وترى
تقلبهم وكلبهم هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه فانطقه الله فقال انا احب احباء الله
فناموا وانا احرسكم او كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده قراءة من قرأ وكالبهم
اي وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل بالوصيد بفناء
الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة لو اطلعت عليهم فنظرت اليهم وقرئ لو اطلعت
بضم الواو لوليت منهم فرارا لهربت منهم وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية والعلة
والحال ولملئت منهم رعبا خوفا يملأ صدرك لما البسهم الله من الهيبة او لعظم اجرامهم
وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو
كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنه ليس لك ذلك قد منع الله تعالى
من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمع وبعث ناسا فلما دخلوا جاءت
ريح فاحرقتهم وقرأ الحجازيان لملّئت بالتشديد للمبالغة وابن عامر والكسائي ويعقوب رعبا

بالتثقيل

بالتثقيل وكذلك بعثناهم وكما انمناهم آية على كمال قدرتنا بعثناهم ليتساءلوا بينهم ليسأل بعضهم
بعضا فيتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله ويستبصروا امر
البعث ويشكروا ما انعم به عليهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم
بناء على غالب ظنهم لان النائم لا يحصي مدة نومه ولذلك احالوا العلم الى الله قالوا ربكم اعلم
بما لبثتم ويجوز ان يكون ذلك قول بعضهم وهذا انكار الآخرين عليهم وقيل انهم دخلوا
الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة فظنوا انهم في يومهم او اليوم الذي بعده قالوا ذلك فلما
نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا هذا ثم علموا ان الامر ملتبس لا طريق لهم الى
علمه اخذوا فيما يهمهم وقالوا فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة والورق
الفضة مضروبة كانت او غيرها وقرأ ابو بكر وحمزة وابو عمرو وروح عن يعقوب بالتخفيف
وقرئ بالتثقيل وادغام القاف في الكاف وبالتخفيف مكسور الواو مدغما او غير مدغم
ورد المدغم لالتقاء الساكنين على غير حده وحملهم له دليل على ان التزود راي المتوكلين
والمدينة طرسوس فلينظر ايها اي اهلها ازكى طعاما احل واطيب او اكثر وارخص
فليأتكم برزق منه وليتلطف وليتكلف اللطف في المعاملة حتى لا يغبن او في التخفي
حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا ولا يفعلن ما يؤدي الى الشعور انهم ان يظهروا
عليكم ان يطلعوا عليكم او يظفروا عليكم والضمير للاهل المقدر في ايها يرجموكم
يقتلوكم بالرجم او يعيدوكم في ملتهم او يصيروكم اليها كرها من العود بمعنى الصيرورة
وقيل كانوا اولا على دينهم فآمنوا ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم في ملتهم وكذلك اعثرنا
عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم اطلعنا عليهم ليعلموا ليعلم الذين
اطلعناهم على حالهم ان وعد الله بالبعث او الموعود الذي هو البعث حق لان نومهم
وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة آتية لا ريب فيها وان القيامة لا ريب
في امكانها فان من توفى نفوسهم وامسكها ثلاثمائة سنة حافظا ابدانها عن التحلل
والتفتت ثم ارسلها اليها قدر ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى ان يحشر ابدانها
اليها اذ يتنازعون ظرف لاعثرنا اي اعثرنا عليهم حين يتنازعون بينهم امرهم
امر دينهم وكان بعضهم يقولون تبعث الارواح مجردة وبعضهم يقول يبعثان معا
ليرتفع الخلاف وليتبين انهما يبعثان معا او امر الفتية حين اماتهم الله ثانيا بالموت
فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون ناموا نومهم اول مرة وقالت طائفة نبني عليهم بنيانا
يسكنه الناس ويتخذونه قرية وقال آخرون لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه كما قال
تعالى فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم
مسجدا وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض اما من الله ردا على الخائضين في امرهم من اولئك المتنازعين
فيهم على عهد الرسول او من المتنازعين للرد الى الله بعد ما تذاكروا في امرهم وتناقلوا الكلام
في انسابهم واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك وحكي ان المبعوث لما دخل السوق واخرج

الدرهم وكان عليه دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيا موحدا
فقص عليه القصص فقال بعضهم ان اباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم
هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك
نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك
في الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا
يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثم مسجدا **سيقولون** اي الخائضون في قصتهم
في عهد الرسول عليه السلام من اهل الكتاب والمؤمنين **ثلاثة رابعهم كلبهم** قاله النصارى
اي هم ثلاثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم قيل هو قول اليهود وقيل قول
السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا **ويقولون خمسة سادسهم كلبهم** قاله النصارى
او العاقب منهم وكان نسطوريا **رجما بالغيب** يرمون رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع
لهم عليه واتيانا به او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانما لم يذكر بالسين
اكتفاء بعطفه على ما هو فيه **ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم** انما قاله المسلمون باخبار
الرسول لهم عن جبريل عليهما السلام وايماء الله اليه بان اتبعه قوله **قل ربي اعلم بعدتهم ما
يعلمهم الا قليل** واتبع الاولين قوله رجما بالغيب وبان اثبت العلم بهم لطائفة بعد ما
حصر اقوال الطوائف في الثلاثة المذكورة فان عدم ايراد رابع في نحو هذا المحل دليل
العدم مع ان الاصل نفيه ثم رد الاولين بان اتبعهما قوله رجما بالغيب ليتعين الثالث
وبانه ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا عن المعرفة
لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت وعن علي رضي الله
عنه هم سبعة وثامنهم كلبهم اسماؤهم تمليخا ومكشلمينا ومشلمينا هؤلاء اصحاب
يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش اصحاب يساره وكان يستشيرهم
والسابع الراعي الذي وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس وقيل الاقوال الثلاثة
لاهل الكتاب والقليل منهم **فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا** فلا تجادل في شان الفتية
الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما في القرآن من غير تجهيل لهم والرد
عليهم **ولا تستفت فيهم منهم احدا** ولا تسأل احدا منهم عن قصتهم سؤال مسترشد فان
فيما اوحي اليك لمندوحة عن غيره مع انه لا علم لهم بها ولا سؤال متعنت يريد تفضيح المسؤول
وتزييف ما عنده فانه مخل بمكارم الاخلاق **ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء
الله** نهي تأديب للنبي حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذي القرنين
فسألوه فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحي بضعة عشر يوما حتى
شق عليه اني فاعله فيما يستقبل الا بان يشاء الله اي الا متلبسا بمشيته قائلا ان شاء الله
او الا وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى ان يأذن لك فيه ولا يجوز تعليقه بفاعل لان استثناء
اقتران المشيئة بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها دونه لا يناسب النهي **واذكر ربك**

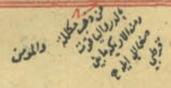
مشية ربك وقل ان شاء الله كما روي انه لما نزل قال عليه السلام ان شاء الله **اذا نسيت** اذا فرط
منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم تحنث ولذلك جوز تأخير الاستثناء
عنه وعامة الفقهاء على خلافه لانه لو صح ذلك لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم
صدق ولا كذب وليس في الاية والخبر ان الاستثناء المتدارك به من القول السابق بل هو من مقدر
مدلول به عليه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة
في الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك على التدارك او اذكره اذا
اعتراك النسيان ليذكرك المنسي **وقل عسى ان يهدين ربي** ليدلني **لاقرب من هذا رشدا**
لاقرب رشدا واظهر دلالة على اني نبي من نبأ اصحاب الكهف وقد هداه لاعظم ذلك كقصص
الانبياء المتباعد عنه اياما والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة
الى قيام الساعة او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسي **ولبثوا في كهفهم ثلث مائة سنين
وازدادوا تسعا** يعني لبثهم فيه احياء مضروبا على اذانهم وهو بيان لما اجمل قبل وقيل
انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال
بعضهم ثلاثمائة وقال بعضهم ثلاثمائة وتسع سنين وقرأ حمزة والكسائي ثلاثمائة سنين
بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه هاهنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف من
الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف ابدل السنين من ثلث **قل الله اعلم
بما لبثوا له غيب السموات والارض** له ما غاب عنها وخفي من احوال اهلها فلا يخفى عليه علما
ابصر به واسمع ذكر بصيغة التعجب للدلالة على ان امره في الادراك خارج عما عليه ادراك
السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي
وجلي والهاء تعود الى الله ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله
ابصر اي صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة
له او لزيادة الباء كما في قوله وكفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير
المأمور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة
ما لهم الضمير لاهل السموات والارض **من دونه من ولي** من يتولى امورهم **ولا يشرك في حكمه**
في قضائه **احدا** منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وقرأ ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء
والجزم على نهي كل احد عن الاشراك ثم لما دل اشتمال القرآن على قصة اهل الكهف من حيث
انها من المغيبات بالاضافة الى الرسول عليه الصلاة والسلام على انه وحي معجز امره بان يداوم
درسه ويلازم اصحابه **واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك** من القرآن ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن
غير هذا او بدله **لا مبدل لكلماته** لا احد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره **ولن تجد
من دونه ملتحدا** ملتجأ تعدل اليه ان هممت به **واصبر نفسك** احبسها وثبتها
مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي في مجامع اوقاتهم او في طرفي الليل والنهار وقرأ
ابن عامر بالغدوة وفيه ان غدوة علم في الاكثر فيكون اللام فيه على تأويل التنكير **يريدون وجهه**

رضا الله وطاعته ولا تعد عيناك عنهم ولا تجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى
نبا وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد من اعداه والمراد نهي الرسول ان يزدري بفقراء المسلمين وتعلو
عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى طراوة زي الاغنياء تريد زينة الحياة الدنيا حال من الكاف
في المشهورة ومن المستكن في الفعل في غيرها ولا تطع من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن
ذكرنا كامية بن خلف في دعائه الى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه على ان
الداعي له الى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه في المحسوسات حتى خفي عليه ان الشرف
بحلية النفس لا بزينة الجسد وانه لو اطاعه كان مثله في الغباوة والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال
الى الله قالوا انه مثل اجبنته اذا وجدته كذلك او نسبته اليه او من اغفل ابله اذا تركها
بغير سمة اي لم نسمه بالذكر كقلوب الذين كتبنا في قلوبهم الايمان واحتجوا على ان المراد ليس
بظاهر ما ذكروا بقوله واتبع هواه وجوابه ما مر غير مرة وقرئ واغفلنا باسناد الفعل
الى القلب على معنى حسبنا قلبه عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة وكان امره فرطا اي تقدما على الحق ونبذا
له وراء ظهره يقال فرس فرط اي متقدم للخيل ومنه الفرط وقل الحق من ربكم ما يكون من جهة الله
لا ما يقتضيه الهوى ويجوز ان يكون الحق خبر محذوف ومن ربكم حالا فمن شاء فليؤمن ومن شاء
فليكفر لا ابالي بايمان من امن وكفر من كفر وهو لا يقتضي استقلال العبد بفعله فانه وان كان بمشيته
فمشيته ليست بمشيته انا اعتدنا هيأنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها فسطاطها شبه
به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها
وقيل حائط من نار وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالجسد المذاب وقيل كدردي
الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب من فرط حرارته
وهو صفة ثانية لماء او حال من المهل او الضمير في الكاف بئس الشراب المهل وساءت
النار مرتفقا متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله وحسنت
مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من
احسن عملا خبر ان الاولى هي الثانية بما في حيزها والراجع محذوف تقديره من احسن منهم
عملا او مستغنى عنه بعموم من احسن عملا كما هو مستغنى عنه في قولك نعم الرجل زيد او
واقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا على الحقيقة لا يحسن اطلاقه الا على الذين امنوا
وعملوا الصالحات اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار وما بينهما اعتراض
وعلى الاول استئناف لبيان الاجر او خبر ثان يحلون فيها من اساور من ذهب من الاولى
للابتداء والثانية للبيان صفة لاساور وتنكيرها لتعظيم حسنها من الاحاطة وهو جمع
اسورة او اسوار في جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا لان الخضرة احسن الالوان واكثرها
طراوة من سندس واستبرق ما رق من الديباج وما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة
على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك على السرر كما هو هيئة
المتنعمين نعم الثواب الجنة ونعيمها وحسنت الارائك مرتفقا متكأ واضرب لهم مثلا للكافر

قرطبي

ماء جهنم اسود وهي سوداء وشجرها اسود واهلها سود وقال بعض المهل ضرب من القطران وقيل السم ويقطع الامعاء قال تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم

قرطبي
لكل واحد سوار من ذهب ... من لؤلؤ وسبب ذلك لما كانت الملوك تلبس في الدنيا الاساور وابتغى ان جعل ذلك لاهل الجنان
المنسوج بالذهب وتصنع ابرق



والمؤمن

والمؤمن رجلين حال رجلين مقدرين او موجودين هما اخوان من بني اسرائيل كافر اسمه قرطوس ومؤمن اسمه
يهوذا ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطرا فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا وصرفها
المؤمن في وجوه الخير والامر بهما الى ما حكاه الله وقيل الممثل لهما اخوان من بني مخزوم كافر وهو
الاسود بن عبد الاسد ومؤمن وهو ابو سلمة عبد الله زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
جعلنا لاحدهما جنتين بستانين من اعناب من الكروم والجملة بتمامها بيان التمثيل او صفة
للرجلين وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم
اذا طافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين حوله فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولهم غشيته بهم
وجعلنا بينهما زرعا وسطهما ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة
على الشكل الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين اتت اكلها ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا
وقرئ كل الجنتين اتى اكله ولم تظلم منه ولم تنقص من اكلها شيئا يعهد في سائر البساتين فان الثمار
تتم في عام وتنقص في عام غالبا وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما
وقرأ يعقوب وفجرنا بالتخفيف وكان له ثمر انواع من المال سوى الجنتين من ثمر ماله اذا كثره
فقال لصاحبه وهو يحاوره يراجعه في الكلام من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا
حشما واعوانا وقيل اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته بصاحبه يطوف
به فيها ويفاخره بها وافراد الجنة لان المراد ما هو جنته وما متع به من الدنيا تنبيها على انه
لا جنة له غيرها ولا حظ له في الجنة التي وعد المتقون او لاتصال كل واحدة من جنتيه بالاخرى
او لان الدخول يكون في واحدة واحدة وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال ما اظن
ان تبيد هذه ان تفنى هذه الجنة ابدا لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته وما اظن
الساعة قائمة كائنة ولئن رددت الى ربي بالبعث كما زعمت لاجدن خيرا منها من جنته
وقرأ الحجازيان والشامي منهما اي من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية
وانما اقسم على ذلك لاعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه لاستيهاله واستحقاقه اياه لذاته
وهو معه اينما يلقاه قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب لانه اصل
مادتك او مادة اصلك ثم من نطفة فانها مادتك القريبة ثم سواك رجلا ثم عدلك وكملك
انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله لان منشأه الشك في كمال قدرة الله
ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من تراب فان من قدر على خلقه منه قدر ان يعيده منه
لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا اصله لكن انا فحذفت الهمزة بنقل الحركة او دونه فتلاقت
النونان فكان الادغام وقرأ ابن عامر ويعقوب في رواية بالالف في الوصل لتعويضها
من الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لكن انا على الاصل وهو ضمير الشان وهو
بالجملة الواقعة خبرا له خبر انا او ضمير الله والله بدله وربي خبره والجملة خبر انا والاستدراك
من اكفرت كانه قال انت كافر بالله لكني مؤمن به وقد قرئ لكن هو الله ربي ولكن انا لا اله الا
هو ربي ولولا اذ دخلت جنتك قلت وهلا قلت عند دخولها ما شاء الله الامر ما شاء الله

او ما شاء الله كائن على ان ما موصولة او اي شيء شاء الله كان على انها شرطية والجواب محذوف اقرارا
بانها وما فيها بمشيئة الله ان شاء ابقاها وان شاء ابادها لا قوة الا بالله وقلت لا قوة الا بالله
اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله وان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها فبمعونته
واقداره وعن النبي صلى الله عليه وسلم من راى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره
ان ترن انا اقل منك مالا وولدا يحتمل ان يكون انا فصلا وان يكون تاكيدا للمفعول الاول
وقرئ اقل بالرفع على انه خبر انا والجملة مفعول ثان لترني وفي قوله وولدا دليل لمن فسر النفر
بالاولاد فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك في الدنيا او في الاخرة لايماني وهو جواب الشرط
ويرسل عليها على جنتك لكفرك حسبانا من السماء مرامي جمع حسبانة وهي الصواعق وقيل
هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به التقدير بتخريبها او عذاب حساب الاعمال السيئة
فتصبح صعيدا زلقا ارضا ملساء يزلق عليها باستئصال نباتها واشجارها او يصبح
ماؤها غورا غائرا في الارض مصدر وصف به كالزلق فلن تستطيع له طلبا للماء الغائر
ترددا في رده واحيط بثمره واهلك امواله حسب ما توقعه صاحبه وانذره منه
وهو ماخوذ من احاط به العدو فانه اذا احاط به غلبه واذا غلبه اهلكه ونظيره اتى عليه
اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن
تلهفا وتحسرا على ما انفق فيها في عمارتها وهو متعلق بيقلب لان تقليب الكفين كناية
عن الندم فكانه قيل فاصبح يندم او حال اي متحسرا على ما انفق فيها وهي خاوية ساقطة
على عروشها بان سقطت عروشها على الارض وسقطت الكروم عليها ويقول عطف على يقلب
او حال من ضميره يا ليتني لم اشرك بربي احدا كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه اتي من
قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه ويحتمل ان يكون توبة من الشرك
وندما على ما سبق منه ولم تكن له فئة وقرا حمزة والكسائي بالياء ينصرونه يقدرون
على نصره بدفع الاهلاك او رد المهلك او الاتيان بمثله من دون الله فانه القادر على ذلك وحده
وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله منه هنالك في ذلك المقام وتلك
الحال الولاية لله الحق النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره تقرير لقوله ولم تكن له فئة
ينصرونه او ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده
قوله هو خير ثوابا وخير عقبا لاوليائه وقرا حمزة والكسائي بالكسر ومعناها السلطان والملك
اي هنالك السلطان له لا يغلب ولا يمنع منه او لا يعبد غيره كقوله فاذا ركبوا في الفلك
دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك كان عن اضطرار وجزع
عما دهاه وقيل اشارة الى الاخرة وقرا حمزة والكسائي الحق بالرفع صفة للولاية وقرئ بالنصب على
المصدر المؤكد وقرا عاصم وحمزة عقبا بالسكون وقرئ عقبى وكلها بمعنى العاقبة واضرب لهم
مثل الحياة الدنيا اذكر لهم ما يشبه الحياة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها او صفتها الغريبة
كماء هو كماء ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير انزلناه من السماء

فاختلط

فاختلط به نبات الارض فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع في النبات
حتى روي ورف وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفا
بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته فاصبح هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه
وقرئ تذريه من اذرى والمشبه به ليس الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهي
حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كان لم يكن وكان الله على
كل شيء من الانشاء والافناء مقتدرا قادرا المال والبنون زينة الحياة الدنيا يتزين بها الانسان
في دنياه ويفنى عنه عما قريب والباقيات الصالحات واعمال الخير التي تبقى له ثمرتها ابد الاباد
ويندرج فيها ما فسرت به من الصلوات الخمس واعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر والكلام الطيب خير عند ربك من المال والبنين ثوابا عائدة وخير املا لان صاحبها
ينال بها في الاخرة ما كان يؤمل بها في الدنيا ويوم نسير الجبال واذكر يوم نقلعها ونسيرها
في الجو ونذهب بها بان نجعلها هباء منبثا ويجوز عطفه على عند ربك اي الباقيات الصالحات
خير عند الله يوم القيامة وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تسير بالتاء والبناء للمفعول وقرئ
تسير من سارت وترى الارض بارزة بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها مما في الجو
وقرئ ترى على بناء المفعول وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف ومجيئه ماضيا بعد نسير
وترى لتحقق الحشر او للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير ليعاينوا او ليشاهدوا ما وعد
لهم وعلى هذا تكون الواو للحال باضمار قد فلم نغادر فلم نترك منهم احدا يقال غادره واغدره
اذا تركه ومنه الغدر لترك الوفاء والغدير لما غادره السيل وقرئ بالياء وعرضوا على ربك
تشبيه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان لا ليعرفهم بل ليامر فيهم صفا مصطفين
لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا على اضمار القول على وجه يكون حالا او عاملا في يوم نسير كما
خلقناكم اول مرة عراة لا شيء معكم من المال والولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى او احياء كخلقتكم
الاولى كما خلقناكم اول مرة بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز الوعد بالبعث
والنشور وان الانبياء كذبوكم به وبل للخروج من قصة الى اخرى ووضع الكتاب صحائف
الاعمال في الايمان والشمائل او في الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب فترى المجرمين
مشفقين خائفين مما فيه من الذنوب ويقولون يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها من
بين الهلكات مال هذا الكتاب تعجبا من شانه لا يغادر صغيرة هنة صغيرة ولا كبيرة
الا احصاها الا عدها واحاط بها ووجدوا ما عملوا حاضرا مكتوبا في الصحائف ولا
يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يفعل او يزيد في عقابه الملائم لعمله واذ قلنا للملائكة
اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كرره في مواضع لكونه مقدمة للامور المقصود بيانها
في تلك المحال وهاهنا لما شنع على المفتخرين واستقبح صنيعهم قرر ذلك بانه من سنن ابليس
او لما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سببه الاغترار بها حب الشهوات وتسويل
الشيطان زهدهم اولا في زخارف الدنيا بانها عرضة الزوال والاعمال الصالحة خير وابقى

من انفسها واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا
مذهب كل تكرير كان من الجن حال باضمار قد كان او استيناف للتعليل كانه قيل ما له لم يسجد فقيل
كان من الجن ففسق عن امر ربه فخرج عن امره بترك السجود والفا للتسبب وفيه دليل على ان
الملك لا يعصي البتة وانما عصى ابليس لانه كان جنيا في اصله والكلام المستقصى فيه في سورة
البقرة افتتخذونه اعقيب ما وجد منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجب وذريته
اولاده واتباعه وسماهم ذريته مجازا اولياء من دوني فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل
طاعتي وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا من الله ابليس وذريته ما اشهدتهم خلق السموات
والارض ولا خلق انفسهم نفي احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض واحضار بعضهم
خلق بعض ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك كما صرح به بقوله وما كنت متخذ المضلين
عضدا اي اعوانا ردا لاتخاذهم اولياء من دون الله شركاء له في العبادة فان استحقاق
العبادة من توابع الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين
موضع الضمير ذما لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم
خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو امنوا اتبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت
الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين لديني ويعضده
قراءة من قرا وما كنت على خطاب الرسول وقرئ متخذا المضلين على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا
بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد من عضده اذا قواه ويوم يقول اي الله للكافرين وقرا
حمزة بالنون نادوا شركائي الذين زعمتم انهم شركائي او شفعاؤكم ليمنعوكم من عذابي
واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه وقيل ابليس وذريته فدعوهم
فنادوهم للاعانة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم وجعلنا بينهم بين الكفار والهتهم
موبقا مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة هي في شدتها هلاك كقول عمر رضي الله عنه لا يكن
حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان او مصدر من وبق يبق وبقا اذا هلك وقيل البين
الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيامة ورأى المجرمون النار فظنوا
فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها واقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا
او مكانا ينصرفون اليه ولقد صرفنا في هذا القران للناس من كل مثل من كل جنس يحتاجون اليه
وكان الانسان اكثر شيء يتاتى منه الجدل جدلا خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز
وما منع الناس ان يؤمنوا من الايمان اذ جاءهم الهدى وهو الرسول الداعي والقران
ويستغفروا ربهم ومن الاستغفار عن الذنوب من الذنوب الا ان تاتيهم سنة الاولين
الا طلب او انتظار او تقدير ان تاتيهم سنة الاولين وهو الاستيصال فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه او ياتيهم العذاب عذاب الاخرة قبلا عيانا وقرا الكوفيون قبلا بضمتين
وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى انواع وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلة
وقبلا وقبلا وقبلا وقبيلا وانتصابه على الحال من الضمير او العذاب وما نرسل المرسلين

الا مبشرين ومنذرين للمؤمنين والكافرين ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الايات بعد ظهور
المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به ليزيلوا بالجدال الحق عن
مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا
لو شاء الله لانزل ملائكة ونحوها واتخذوا اياتي يعني القران وما انذروا وانذارهم او والذي
انذروا به من العقاب هزوا استهزاء وقرئ هزءا وهو ما يستهزا به ومن اظلم ممن
ذكر بايات ربه بالقران فاعرض عنها ولم يتدبرها ولم يتذكر بها ونسي ما قدمت يداه
من الكفر والمعاصي فلم يتفكر في عاقبتهما انا جعلنا على قلوبهم اكنة تعليل لاعراضهم ونسيانهم
بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وتذكير الضمير وافراده للمعنى وفي
اذانهم وقرا يمنعهم ان يستمعوه حق استماعه وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا
تحقيقا ولا تقليدا لانهم لا يفقهون ولا يسمعون واذا كما عرفت جزاء وجواب للرسول على تقدير
قوله ما لي لا ادعوهم فان حرصه على اسلامهم يدل عليه وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة
الموصوف بالرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب استشهاد على ذلك بامهال قريش مع
افراطهم وعداوة رسول الله بل لهم موعد وهو يوم بدر او يوم القيامة لن يجدوا من دونه موئلا
منجا يقال وال اذا نجا ووال اليه اذا التجا اليه وتلك القرى يعني قرى عاد وثمود واضرابهم
وتلك مبتدا خبره اهلكناهم او مفعول مضمر يفسره والقرى صفته ولا بد من تقدير مضاف
في احدهما ليكون مرجع الضماير لما ظلموا كقريش بالتكذيب والمراء وانواع المعاصي وجعلنا لمهلكهم
موعدا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا بهم ولا يغتروا
بتاخر العذاب عنهم وقرا ابو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام وحفص بكسر اللام حملا على ما شذ من مصادر
يفعل كالمرجع والمحيض واذ قال موسى مقدر باذكر لفتاه يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف
عليهم السلام فانه كان يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتاه وقيل لعبده لا ابرح لا ازال
اسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله حتى ابلغ مجمع البحرين من حيث انها تستدعي
ذا غاية عليه ويجوز ان يكون اصله لا يبرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول عما
انا عليه من السير والطلب ولا افارقه فلا يستدعي الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحر فارس والروم مما
يلي المشرق وعد لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسى وخضر عليهما السلام فان موسى كان بحر علم
الظاهر وخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع
او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع او مضي الحقب او حتى ابلغ الا ان
امضي زمانا اتيقن معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون روي ان موسى
خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة بليغة فاعجب بها فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك
قال لا فاوحى الله اليه بل عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر في ايام افريدون وكان على مقدمة
ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى سال ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني

ولا ينسا في قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم
قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان
كان في عبادك اعلم مني فدلني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة
قال كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت
فاخبرني فذهبا يمشيان فلما بلغا مجمع بينهما اي مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه على
الاتساع او بمعنى الوصل نسيا حوتهما نسي موسى ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع ان يذكر له ما
راى من حياته ووقوعه في البحر روي ان موسى رقد فاضطرب الحوت المشوي ووثب في البحر
معجزة لموسى او الخضر وقيل توضا يوشع من عين الحياة فانتضح الما عليه فعاش ووثب في الما وقيل
نسيا تفقد امره وما يكون منه امارة على الظفر بالمطلوب فاتخذ سبيله في البحر سربا فاتخذ الحوت
طريقه في البحر مسلكا من قوله وسارب بالنهار وقيل امسك الله جرية الما على الحوت فصار كالطاق
عليه ونصبه على المفعول الثاني وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ فلما جاوزا
مجمع البحرين قال لفتاه اتنا غدانا ما نتغدى به لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قيل لم
ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسار الليلة والغد الى الظهر القى عليه الجوع والنصب وقيل لم
يعي موسى في سفر غيره ويويده التقييد باسم الاشارة قال ارايت اذ اوينا ارايت ما دهاني
اذ اوينا الى الصخرة يعني الصخرة التي رقد عندها موسى وقيل الصخرة التي دون نهر الزيت
فاني نسيت الحوت فقدته او نسيت ذكره بما رايت منه وما انسانيه الا الشيطان ان
اذكره اي وما انساني ذكره الا الشيطان فان ان اذكره بدل من الضمير وقرئ ان اذكره له وهو
اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه والحال وان كانت عجيبة لا ينسى مثلها
لكنه لما ضري بمشاهدة امثالها عند موسى والفها قل اهتمامه بها ولعله نسي ذلك
لاستغراقه في الاستبصار فعرا بانجذاب شراشره الى جناب القدس بما عراه من مشاهدة
الايات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه او لان عدم احتمال القوة للجانبين
واشتغالها باحدهما عن الاخر يعد من نقصان واتخذ سبيله في البحر عجبا سبيلا عجبا وهو
كونه كالسرب او اتخاذا عجبا والمفعول الثاني هو الظرف وقيل مصدر فعله المضمر اي قال في
اخر كلامه او موسى في جوابه عجبا تعجبا من تلك الحال وقيل الفعل لموسى اي اتخذ موسى سبيل الحوت
في البحر عجبا قال ذلك اي امر الحوت ما كنا نبغ نطلب لانه امارة المطلوب فارتدا على اثارهما
فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه قصصا يقصان قصصا اي يتبعان اثارهما اتباعا
او مقتصين حتى اتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا الجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان
وقيل اليسع وقيل الياس اتيناه رحمة من عندنا هو الوحي والنبوة وعلمناه من لدنا علما مما يختص
ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن اي على اذ تعلمني وهو
في موضع الحال من الكاف مما علمت رشدا علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرا البصريان
بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمني ومفعول علمت العايد محذوف

وكلاهما

وكلاهما منقولان من علم الذي له مفعول واحد ويجوز علة لاتبعك ومصدرا باضمار
فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا فان الرسول
ينبغي ان يكون اعلم ممن ارسل اليه فيما بعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى في
ذلك غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه واستاذن ان يكون تابعا له وسال منه ان
يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما انعم الله عليه قال انك لن تستطيع معي صبرا نفى عنه استطاعة
الصبر معه على وجوه التاكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله
وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا اي وكيف تصبر وانت نبي على ما اتولى من امور ظواهرها
مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك وخبرا تمييز او مصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبره قال
ستجدني ان شاء الله صابرا معك غير منكر عليك ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا اي ستجدني
صابرا وغير عاص او على ستجدني وتعليق الوعد بالمشية اما للتيمن واما لعلمه بصعوبة الامر
فان مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد بلا خلاف وفيه دليل على ان افعال
العباد واقعة بمشية الله قال فان اتبعتني فلا تسالني عن شي فلا تفاتحني بالسوال عن شي انكرته
مني ولم تعلم وجه صحته حتى احدث لك منه ذكرا حتى ابتدي ببيانه وقرا نافع وابن عامر
فلا تسالني بالنون الثقيلة فانطلقا على الساحل يطلبان السفينة حتى اذا ركبا في السفينة
خرقها اخذ الخضر فاسا فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها قال اخرقتها لتغرق
اهلها فان خرقها سبب لدخول الما فيها المفضي الى غرق اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد للتكثير
وقرا حمزة والكسائي ليغرق اهلها على اسناده الى الاهل لقد جئت شيئا امرا اتيت امرا عظيما
من امر الامر اذا عظم قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا تذكير لما ذكره قال لا تواخذني
بما نسيت بالذي نسيته او بشي نسيته يعني وصيته بان لا يعترض عليه او بنسياني اياها وهو
اعتذار بالنسيان اخرجه في معرض النهي عن المواخذة مع قيام المانع لها وقيل اراد بالنسيان الترك
اي لا تواخذني بما تركت من وصيتك اول مرة وقيل انه من معاريض الكلام والمراد شي اخر نسيه ولا
ترهقني من امري عسرا ولا تغشني عسرا بالمضايقة والمواخذة على المنسي فان ذلك يعسر علي
متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فانه يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه وقرئ عسرا
بضمتين فانطلقا اي بعدما خرجا من السفينة حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل فتل عنقه وقيل ضرب
براسه الحايط وقيل اضجعه فذبحه والفا للدلالة على انه لما لقيه قتله من غير تروّ واستكشاف
حال قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس اي طاهرة من الذنوب وقرا ابن كثير ونافع
وابو عمرو ورويس عن يعقوب زاكية والاول ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية التي لم تذنب قط
والزكية التي اذنبت ثم غفرت ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم
او انه لم يرها قد اذنبت ذنبا يقتضي قتلها او قتلت نفسا فتقاد بها نبه به على ان القتل
انما يباح حدا او قصاصا وكلا الامرين منتف ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها جزاء واعتراض
موسى هنا لها وفي الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان القتل اقبح والاعتراض

عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله **لقد جئت شيئا نكرا** وقرا نافع في رواية قالون وابن عامر ويعقوب وابو بكر بضمتين **قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا** زاد فيه لك مكافحة بالعتاب على رفض الوصية ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير اول مرة حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة **قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني** وان سألت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبني اي فلا تجعلني صاحبك **قد بلغت من لدني عذرا** قد وجدت عذرا من قبلي لما خالفتك ثلث مرات وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك لو ثبت مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرا نافع لدني بتحريك النون والاكتفاء بها عن نون الدعامة كقوله قدني من نصر الخبيبين قدي وابو بكر لدني بتحريك النون واسكان الدال اسكان الضاد من عضد **فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية** قرية انطاكية وقيل ابلة بصرة وقيل باجروان ارمينية **استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما** وقرئ يضيفوهما من اضافه اذا انزله ضيفا واضافه وضيفه اذا انزله ضيفا انزله واصل التركيب للميل يقال ضاف السهم فاستعيرت الارادة لما كما استعير لها الهم والعزم قال يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن دماء بني عقيل وقال ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان **وانقض** انفعل من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكواكب لهويه او افعل من النقض وقرئ ان ينقض وان ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت السن اذا انشقت طولا **فاقامه** بعمارته او بعمود عمد به وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه **قال لو شئت لتخذت عليه اجرا** تحريضا على اخذ الجعل لينتعشا به او تعريضا بانه فضول لما في لو من النفي كانه لما راى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه واتخذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرا ابن كثير والبصريان لتخذت واظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وادغمه الباقون **قال هذا فراق بيني وبينك** الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني او الى الاعتراض الثالث اي هذا الاعتراض سبب فراقنا او هذا الوقت وقته واضافة الفراق الى البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع وقد قرئ على الاصل **سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا** بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر **اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر** لمحاويج وهو دليل على ان المسكين يطلق على من يملك شيئا اذا لم يكفه وقيل سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك او لزمانتهم فانها كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر **فاردت ان اعيبها** ان اجعلها ذات عيب **وكان وراءهم ملك** قدامهم او خلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندي بن كركر وقيل منولة بن جلندي الازدي **ياخذ كل سفينة غصبا** من اصحابها وكان حق ان يتاخر قوله فاردت ان اعيبها عن قوله وراءهم ملك لان ارادة التعييب مسبب عن خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه على اقوى الجزئين وادعاهما وعقبه بالاخر على سبيل التقييد والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى عليها **واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما**

وانما قدم للعناية او لان السبب لما كان مجموع الامرين خوف الغصب

ان يغشيهما **طغيانا وكفرا** لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ وكافر او يعديهما بعلته فيرتدا باضلاله او بممالاته على طغيانه وكفره حبا وانما خشي ذلك لان الله اعلمه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان نجدة الحروري كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان كنت علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل وقرئ فخاف ربك اي فكره كراهة من خاف سوء عاقبة ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قول الله عز وجل **فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه** ان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه **زكاة** طهارة من الذنوب والاخلاق الردية **واقرب رحما** رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله به امة من الامم وقرا نافع وابو عمرو يبدلهما بالتشديد وابن عامر ويعقوب رحما بالتثقيل وانتصابه على التمييز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكاة **واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة** قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول جيسور **وكان تحته كنز لهما** من ذهب وفضة روي ذلك مرفوعا والذم على كنزهما في قوله والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكاتهما وما تعلق بهما من الحقوق وقيل كان لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يؤمن بالدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله **وكان ابوهما صالحا** تنبيه على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظ فيه سبعة اباء وكان سياحا واسمه كاشح **فاراد ربك ان يبلغا اشدهما** اي الحلم وكمال الراي **ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك** مرحومين من ربك ويجوز ان يكون علة او مصدرا لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف تقديره فعلت ما فعلت رحمة من ربك ولعل اسناد الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر للتعييب وثانيا الى الله والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله بدله وثالثا الى الله وحده لانه لا مدخل له في بلوغ الغلامين او لان الاول في نفسه شر والثالث خير والثاني ممتزج او لاختلاف حال العارف في الالتفات الى الوسايط **وما فعلته** وما فعلت ما رايته **عن امري** عن رايي وانما فعلته بامر الله عز وجل ومبنى ذلك على انه اذا تعارض ضرران يجب تحمل اهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل ممهد غير ان الشرايع في تفاصيله مختلفة **ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا** اي ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا من فوايد هذه القصة ان لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر الى انكار ما لا يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه وان يداوم على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعي الادب في المقال وان ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق اصراره ثم يهاجر عنه **ويسألونك عن ذي القرنين** يعني اسكندر الرومي ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمي ذا القرنين او لانه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها وقيل لانه انقرض في ايامه قرنان من الناس وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل كان لتاجه

وقيل من كتب العلم

زاد البغوي
انا الله لا اله الا انا وحدي لا شريك لي خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير واجريته على يديه والويل لمن خلقته للشر واجريته على يديه
رواه البغوي ايضا

ويحتمل انه لقب بذلك لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع كانه ينطح اقرانه واختلف في نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه والسائلون هم اليهود سألوه امتحانا او مشركوا مكة قل ساتلوا عليكم منه ذكرا خطاب للسائلين والهاء لذي القرنين وقيل لله انا مكنا له في الارض اي مكنا له امره من التصرف فيها كيف شاء فحذف المفعول وآتيناه من كل شيء اراده وتوجه اليه سببا وصلة توصله اليه من العلم والقدرة والآلة فاتبع سببا اي فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ذات حماة من حمئت البئر اذا صارت ذات حماة وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر حامية اي حارة ولا تنافي بينهما لجواز ان تكون العين جامعة للوصفين او حمية على ان ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسرة ما قبلها ولعله بلغ ساحل المحيط فراها كذلك اذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل ان ابن عباس سمع معاوية يقرا حامية فقال حمئة فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة ووجد عندها عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم او يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب اي بالقتل على كفرهم واما ان تتخذ فيهم حسنا بالارشاد وتعليم الشرائع وقيل خيره الله بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا اي فاختار الدعوة وقال اما من دعوته فظلم نفسه بالاصرار على كفره واستمر على ظلمه الذي هو الشرك فنعذبه انا ومن معي في الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله في الآخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله واما من آمن وعمل صالحا وهو ما يقتضيه الايمان فله في الدارين جزاء الحسنى فعلته الحسنى وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وحفص جزاء منونا منصوبا على الحال اي فله المثوبة الحسنى مجزيا بها او على المصدر لفعله المقدر حالا اي يجزي جزاء او التمييز وقرئ منصوبا غير منون على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على انه المبتدا والحسنى بدله ويجوز ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير اي ليكون شانك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن اصر على الكفر والثاني لمن تاب عنه ونداء الله اياه ان كان نبيا فبوحي وان كان غيره فبالهام او على لسان نبي وسنقول له من امرنا مما نامر به يسرا سهلا ميسرا غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين ثم اتبع سببا ثم اتبع طريقا يوصله الى المشرق حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعني الموضع الذي تطلع الشمس عليه اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف اي مكان مطلع الشمس فانه مصدر وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس او البناء فان ارضهم لا تمسك الابنية او انهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية كذلك اي امر ذي القرنين كما وصفناه في رفعة المكان

وبسط

وبسط الملك او امره كامره في اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم اي على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم وقد احطنا بما لديه من الجنود والآلات والعدد والاسباب خبرا علما تعلق بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير ثم اتبع سببا يعني طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين المبني بينهما سده وهما جبلا ارمينية واذربيجان وقيل جبلان في اواخر الشمال في منقطع ارض الترك منيف من ورائهما ياجوج وماجوج وقرا نافع وابن عامر والكسائي وابو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم لما خلقه الله والمفتوح لما عمله الناس لانه في الاصل مصدر سمي به حدث يحدثه الناس وقيل بالعكس وبين هاهنا مفعول به وهو من الظروف المتصرفة وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرا حمزة والكسائي يفقهون اي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم قالوا يا ذا القرنين اي قال مترجمهم وفي مصحف ابن مسعود قال الذين من دونهم ان ياجوج وماجوج قبيلتان من ولد يافث بن نوح وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل وهما اسمان اعجميان وقيل عربيان من اج الظليم اذا اسرع واصلهما الهمز كما قرا عاصم ومنع صرفهما للتعريف والتانيث مفسدون في الارض اي في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزرع قيل كانوا يخرجون الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا ياكلون الناس فهل نجعل لك خرجا جعلا نخرجه من اموالنا وقرا حمزة والكسائي خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج المصدر على ان تجعل بيننا وبينهم سدا يحجز دون خروجهم وقد ضمه من ضم السدين غير حمزة والكسائي قال ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون لي من الخراج ولا حاجة لي اليه وقرا ابن كثير مكنني على الاصل فاعينوني بقوة اي بقوة فعلة او بما اتقوى به من الآلات اجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا حصينا وهو اكبر من السد من قولهم ثوب مردم اذا كان رقاعا فوق رقاع آتوني زبر الحديد قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافي رد الخراج والاقتصار على المعونة لان الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة ابي بكر ردما ايتوني بكسر التنوين موصولة الهمزة على معنى جيئوني بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها في امرتك الخير ولان اعطاء الآلة من الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل حتى اذا ساوى بين الصدفين بين جانبي الجبلين بتنضيدها وقرا ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين وابو بكر بضم الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح الصاد وضم الدال وكلها لغات من الصدف وهو الميل لان كلا منهما منعزل عن الآخر ومنه التصادف للتقابل قال انفخوا اي قال للعملة انفخوا في الاكوار والحديد حتى اذا جعله جعل المنفوخ فيه نارا كالنار بالاحماء قال آتوني افرغ عليه قطرا اي آتوني قطرا اي نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه

وبه تمسك البصريون على اعمال الثاني من العاملين المتوجهين نحو عامل واحد اولياء ذلوكان
قطرا مفعول اتوني لاضمر مفعول افرغ حذرا من الالباس وقرا حمزة وابو بكر قال ائتوني موصولة
الالف فما اسطاعوا بحذف التاء حذرا من تلاقي المتقاربين وقرا حمزة بالادغام جامعا بين الساكنين
على غير حده وقرئ بقلب السين صادا ان يظهروه اي يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه
وما استطاعوا له نقبا لثخنه وصلابته قيل حفر للاساس حتى اذا بلغ الماء وجعله من
الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى ساوى الجبلين ثم وضع
المنافخ حتى صارت كالنار فصب النحاس المذاب عليه فاختلط بعضه ببعض وصار جبلا صلدا
وقيل بناه من الصخر مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها قال هذا
السد والاقدار على تسويته رحمة من ربي على عباده فاذا جاء وعد ربي وقت وعده بخروج
ياجوج وماجوج او بقيام الساعة بشارف يوم القيامة جعله دكا مدكوكا مبسوطا مسوى
بالارض مصدر بمعنى مفعول ومنه جمل ادك لمنبسط السنام وقرا الكوفيون دكاء بالمد اي مستوية
وكان وعد ربي حقا كائنا لا محالة وهو آخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا بعضهم
يومئذ يموج في بعض وجعلنا بعض ياجوج وماجوج حين يخرجون مما وراء السد يموجون
في بعض مزدحمين في البلاد او يموج بعض الخلق فيضطربون ويختلطون انسهم وجنهم
حيارى ويؤيده ونفخ في الصور لقيام الساعة فجمعناهم جمعا للحساب والجزاء وعرضنا
جهنم يومئذ للكافرين وابرزناها واظهرناها لهم الذين كانت اعينهم في
غطاء عن ذكري عن آياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم وكانوا لا يستطيعون
سمعا استماعا لذكري وكلامي لافراط صممهم عن الحق فان الاصم قد يستطيع السمع
اذا صيح به وهؤلاء كانهم اصمت مسامعهم بالكلية افحسب الذين كفروا افظنوا والهمزة
للاستفهام للانكار ان يتخذوا عبادي اتخاذهم الملائكة والمسيح من دوني اولياء معبودين
نافعهم او لا اعذبهم به فحذف المفعول الثاني كما يحذف الخبر للقرينة او سد ان يتخذوا
مسد مفعوليه وقرئ افحسب الذين كفروا اي افكافيهم في النجاة وان بما في حيزه مرتفع
بانه فاعل حسب فان النعت اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل او خبر له انا اعتدنا
جهنم للكافرين نزلا ما يقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على ان لهم وراءها من العذاب
ما يستحقر دونه قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز وجمع لانه من
اسماء الفاعلين او لتنوع اعمالهم الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ضاع وبطل لكفرهم
وعجبهم كالرهبانية فانهم خسروا دنياهم واخراهم ومحله الرفع على الخبر المحذوف فانه جواب
السؤال او الجر على البدل او النصب على الذم وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا لعجبهم
واعتقادهم انهم على الحق اولئك الذين كفروا بآيات ربهم بالقرآن او بدلائله المنصوبة على
التوحيد والنبوة ولقائه بالبعث على ما هو عليه او لقاء عذابه فحبطت اعمالهم بكفرهم
فلا يثابون عليها فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا

واعتبارا

واعتبارا او لا نضع لهم ميزانا يوزن به اعمالهم لانحباطها ذلك الامر ذلك وقوله جزاؤهم
جهنم جملة مبينة له ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف اي
جزاؤهم به او جزاؤهم بدله وجهنم خبره او جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا واتخذوا
آياتي ورسلي هزوا اي بسبب ذلك ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس
نزلا فيما سبق من حكم الله ووعده والفردوس اعلى درجات الجنة واصله البستان الذي يجمع
الكرم والنخل خالدين فيها حال مقدرة لا يبغون عنها حولا تحولا اذ لا يجدون اطيب منها
حتى تنازعهم اليها انفسهم ويجوز ان يراد به تاكيد الخلود قل لو كان البحر مدادا ما يكتب به
وهو اسم ما يمد به الشيء كالحبر للدواة والسليط للسراج لكلمات ربي لكلمات علمه وحكمته
لنفد البحر لنفد جنس البحر باسره لان كل جسم متناه قبل ان تنفد كلمات ربي فانها
غير متناهية لا تنفد كعلمه ولو جئنا بمثله بمثل البحر الموجود مددا زيادة ومعونة
لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل في الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا
للدلائل القاطعة على تناهي الابعاد والمتناهي ينفد قبل ان ينفد غير المتناهي لا محالة
وقرئ ينفد بالياء ومدادا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب ومدادا وسبب نزولها
ان اليهود قالوا في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتقرؤون وما اوتيتم من
[العلم] الا قليلا قل انما انا بشر مثلكم لا ادعي الاحاطة على كلماته يوحى الي انما الهكم اله واحد
وانما تميزت عنكم بذلك فمن كان يرجو لقاء ربه يامل حسن لقائه فليعمل عملا صالحا
يرتضيه الله ولا يشرك بعبادة ربه احدا بان يرائيه او يطلب منه اجرا روي ان جندب
ابن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال
ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وعنه صلى الله عليه وسلم اتقوا الشرك
الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء والآية جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما
التوحيد والاخلاص في الطاعة وعن النبي صلى الله عليه وسلم عند مضجعه كان له نورا
في مضجعه يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم فان كان
مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون
عليه حتى يستيقظ وعنه عليه السلام من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا
من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء والله اعلم بالصواب

الآية السجدة

كهيعص امال ابو عمرو الها لان الفات اسماء التهجي ياآت وابن عامر وحمزة اليا والكسائي وابو بكر كليهما
ذكر رحمة ربك خبر ما قبله ان اول بالسورة او القرآن فانه مشتمل عليه او خبر محذوف اي هذا
المتلو ذكر رحمة ربك او مبتدأ حذف خبره اي فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة على الماضي
وذكر على الامر عبده مفعول الرحمة او الذكر على ان الرحمة فاعله على الاتساع كقولك ذكرني

جود زبيد زكريا بدل منه او عطف بيان له اذ نادى ربه نداء خفيا لان الاخفا والجهر عند الله
سيان فالاخفا اشد اخباتا واكثر اخلاصا ولئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبر او لئلا
يطلع عليه مواليه الذين خافهم او لان ضعف الهرم اخفى صوته واختلف في سنه حينئذ
فقيل ستون وخمس وستون وسبعون وخمس وسبعون وثمانون قال رب اني وهن
العظم مني تفسير للندا والوهن الضعف وتخصيص العظم لانه دعامة البدن واصل بنائه
ولانه اصلب ما فيه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن وتوحيده لان المراد به الجنس وقرئ
وهن بالضم والكسر ونظيره كمل في الحركات الثلاث واشتعل الراس شيبا شبه
الشيب في بياضه وانارته بشواظ النار وانتشاره وفشوه في الشعر باشتعالها ثم
اخرج مخرج الاستعارة واسند الاشتعال الى الراس الذي هو مكان الشيب مبالغة وجعله
مميزا ايضاحا للمقصود واكتفى باللام عن الاضافة للدلالة على ان علم المخاطب بتعين المراد
يغني عن التقييد ولم اكن بدعائك رب شقيا بل كلما دعوتك استجبت لي وهو توسل
بما سلف معه من الاستجابة وتنبيه على ان المدعو له وان لم يكن معتادا فاجابته معتادة
وانه تعالى عوده بالاجابة واطمعه فيها ومن حق الكريم ان لا يخيب من اطمعه واني خفت
الموالي يعني بني عمه وكانوا اشرار بني اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته على امته ويبدلوا عليهم
دينهم من ورائي بعد موتي وعن ابن كثير بالمد والقصر بفتح اليا وهو متعلق بمحذوف او بمعنى الولاية
في الموالي اي خفت فعل الموالي والذين يلون الامر من ورائي وقرئ خفت الموالي من ورائي
اي قلوا وعجزوا عن اقامة الدين بعدي او خفوا ودرجوا قدامي فعلى هذا كان الظرف
متعلقا بخفت وكانت امراتي عاقرا لا تلد فهب لي من لدنك فان مثله لا يرجى الا من
فضلك وكمال قدرتك فاني وامراتي لا نصلح للولادة وليا من صلبي يرثني ويرث من آل يعقوب
صفتان له وجزمهما ابو عمرو والكسائي على انهما جواب الدعا والمراد وراثة الشرع والعلم فان
الانبيا لا يورثون المال وقيل يرثني الحبورة فانه كان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك وهو يعقوب
ابن اسحق عليهما الصلاة والسلام وقيل يعقوب كان اخا زكريا او عمران بن ماثان من نسل سليمان
وقرئ يرثني وارث آل يعقوب على الحال من احد الضميرين واو يرث بالتصغير لصغره ووارث
من آل يعقوب على انه فاعل يرثني وهذا يسمى التجريد في علم البيان لانه جرد عن المذكور اولا مع
انه المراد واجعله رب رضيا ترضاه قولا وعملا يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه
يحيى جواب لندائه ووعد باجابة دعائه وانما تولى تسميته تشريفا له لم نجعل له من
قبل سميا لم يسم احد بيحيى قبله وهو شاهد بان التسمية بالاسامي الغريبة تنويه للمسمى
وقيل سميا شبيها لقوله تعالى هل تعلم له سميا لان المتماثلين يتشاركان في الاسم والاظهر
انه اعجمي وان كان عربيا فمنقول عن فعل كيعيش ويعمر وقيل سمي به لانه حيي به رحم امه او لان دين
الله حيي بدعوته قال رب انى يكون لي غلام وكانت امراتي عاقرا وقد بلغت من الكبر
عتيا جساوة وقحولا في المفاصل واصله عتوو كقعود فاستثقلوا توالي الضمتين والواوين

فكسروا التاء فانقلبت الواو الاولى ياء ثم قلبت الثانية وادغمت وانما استعجب الولد من
شيخ فان وعجوز عاقر اعترافا بان المؤثر فيه كمال قدرته وان الوسائط عند التحقيق ملغاة
ولذلك قال اي الله او الملك المبلغ للبشارة تصديقا له كذلك الامر كذلك ويجوز ان يكون
الكاف منصوبة بقال في قال ربك وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو علي هين ويؤيد الاول
قراءة من قرا وهو علي هين اي الامر كما قلت او كما وعدت وهو علي ذلك يهون علي او كما وعدت
وهو علي هين لا احتاج فيما اريد ان افعله الى الاسباب ومفعول قال الثاني محذوف وقد
خلقتك من قبل ولم تك شيئا بل كنت معدوما صرفا وفيه دليل على ان المعدوم ليس بشيء
قال رب اجعل لي آية علامة اعلم بها وقوع ما بشرتني به قال آيتك الا تكلم الناس
ثلث ليال سويا سوي الخلق ما بك من خرس ولا بكم وانما ذكر الليالي هنا والايام
في آل عمران للدلالة على انه استمر عليه المنع من كلام الناس والتجرد للذكر والشكر ثلثة
ايام ولياليهن فخرج على قومه من المحراب من المصلى او من الغرفة فاوحى اليهم فاومى
اليهم لقوله الا رمزا وقيل كتب لهم على الارض ان سبحوا صلوا او نزهوا ربكم بكرة
وعشيا طرفي النهار ولعله كان مامورا بان يسبح ويامر قومه بان يوافقوه وان يحتمل
ان تكون مصدرية وان تكون مفسرة يا يحيى على تقدير القول خذ الكتاب التوراة بقوة بجد
واستظهار بالتوفيق وآتيناه الحكم صبيا يعني الحكمة وفهم التوراة وقيل النبوة احكم الله
عقله في صباه واستنباه وحنانا من لدنا ورحمة منا عليه او رحمة وتعطفا في قلبه على
ابويه وغيرهما عطفا على الحكم وزكاة وطهارة من الذنوب او صدقة اي تصدق الله به
على ابويه او مكنه ووفقه للتصدق على الناس وكان تقيا مطيعا متجنبا عن المعاصي وبرا
بوالديه وبارا بهما ولم يكن جبارا عصيا عاقا او عاصي ربه وسلام عليه من الله يوم ولد
من ان يناله الشيطان بما ينال به بني آدم ويوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من عذاب
النار وهول القيامة واذكر في الكتاب في القرآن مريم يعني قصتها اذ انتبذت اعتزلت
بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها او بدل الكل لان المراد
بمريم قصتها وبالظرف الامر الواقع فيه وهما واحد او ظرف لمضاف مقدر وقيل
اذ بمعنى ان المصدرية كقولك لا اكرمنك اذ لم تكرمني فتكون بدلا لا محالة من اهلها
مكانا شرقيا في شرقي بيت المقدس او شرقي دارها ولذلك اتخذ النصارى المشرق
قبلة ومكانا ظرف او مفعول لان انتبذت متضمنة معنى اتت فاتخذت من دونهم
حجابا سترا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قيل قعدت في مشرقة للاغتسال
من الحيض محتجبة بشيء يسترها وكانت تتحول من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت وتعود
اليه اذا طهرت فبينا هي في مغتسلها اتاها جبريل عليه السلام متمثلا بصورة شاب امرد
سوي الخلق لتستأنس بكلامه ولعله ليهيج شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها
قالت اني اعوذ بالرحمن منك من غاية عفافها ان كنت تقيا تتقي الله وتحتفل بالاستعاذة

وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله فاني عائذة منك فكيف اذا لم تكن كذلك قال انما
انا رسول ربك الذي استعذت به لاهب لك غلاما لاكون سببا في هبته بالنفخ في الدرع
ويجوز ان يكون حكاية لقوله تعالى ويؤيده قراءة ابي عمرو والاكثر عن نافع ويعقوب بالياء
زكيا طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح قالت
انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم يباشرني رجل بالحلال فان هذه الكنايات انما
تطلق فيه اما الزنا فانما يقال فيه خبث بها وفجر ونحو ذلك ويعضده عطف قوله
ولم اك بغيا عليه وهو فعول من البغي قلبت واوه ياء وادغمت ثم كسرت الغين اتباعا ولذلك
لم تلحقه التاء او فعيل بمعنى فاعل ولم تلحقه التاء لانه للمبالغة او للنسب كطالق قال
كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله اي ونفعل ذلك لنجعله اية او لنبين به قدرتنا
ولنجعله وقيل عطف على لنهب على طريقة الالتفات اية للناس علامة
لهم وبرهانا على كمال قدرتنا ورحمة منا على العباد يهتدون بارشاده وكان امرا
مقضيا تعلق به قضاؤه في الازل او قدر وسطر في اللوح او كان امرا حقيقا بان
يقضى ويفعل لكونه اية ورحمة فحملته بان نفخ في درعها فدخلت النفخة في جوفها
وكانت مدة حملها سبعة اشهر وقيل ستة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية
غيره وقيل ساعة كما حملته نبذته وسنها ثلث عشرة سنة وقيل عشر سنين
وقد حاضت حيضتين فانتبذت به فاعتزلت وهو في بطنها كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا
والجار والمجرور في موضع الحال مكانا قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار فاجاءها
المخاض فالجاها وهو في الاصل منقول من جاء لكنه خص به في الاستعمال كاتى في اعطى وقرئ
المخاض وهما مصدر مخضت المراة اذا تحرك الولد في بطنها للخروج الى جذع النخلة
لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة
لا راس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثم
غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها من اياتها ما يسكن
روعتها ويطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها قالت يا ليتني مت
قبل هذا استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرئ مت من مات يموت وكنت نسيا
ما من شانه ان ينسى ولا يطلب ونظيره الذبح لما يذبح وقرا حمزة وحفص بالفتح وهو لغة
فيه او مصدر سمي به وقرئ به وبالهمزة وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه اهله لقلته
منسيا منسي الذكر بحيث لا يخطر ببالهم وقرئ بكسر الميم على الاتباع فناداها من تحتها
عيسى وقيل جبريل كان يقبل الولد وقيل تحتها اسفل من مكانها وقرا نافع وحمزة والكسائي
وحفص ومن تحتها بالكسر والجر على ان في نادى ضمير احدهما وقيل الضمير في
تحتها للنخلة الا تحزني اي لا تحزني او بان لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا
جدولا هكذا روي مرفوعا وقيل سيدا من السرو وهو عيسى وهزي اليك بجذع النخلة

وامليه

واميليه اليك والباء مزيدة للتاكيد او افعلي الهز او هزي الثمرة بالهز والهز التحريك بجذب ودفع
تساقط عليك تتساقط عليك فادغمت التاء الثانية في السين وحذفها حمزة وقرا يعقوب بالياء
وحفص تساقط من ساقطت بمعنى اسقطت وقرئ تتساقط وتسقط ويسقط فالتاء للنخلة
والياء للجذع رطبا جنيا تمييز او مفعول روي انها كانت نخلة يابسة لا راس لها ولا ثمرة وكان الوقت
شتاء فهزتها فجعل الله تعالى لها راسا وخوصا ورطبا وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات
الدالة على براءة ساحتها فان مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش والمنبهة لمن راها على ان من
قدر ان يثمر النخلة اليابسة في الشتاء قدر ان يحبلها من غير فحل وانه ليس ببديع من شانها
مع ما فيه من الشراب والطعام ولذلك رتب عليه الامرين فكلي واشربي اي من الرطب وماء
السري او من عصير الرطب وقري عينا وطيبي نفسك وارفضي عنها ما احزنك وقرئ
بالكسر وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رات ما يسر النفس سكنت
اليه من النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك
يقال قرة العين للمحبوب وسخنتها للمكروه فاما ترين من البشر احدا فان تري ادميا وقرئ
ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج لتاخ بين الهمزة وحرف اللين فقولي اني نذرت للرحمن صوما
صمتا وقد قرئ به او صياما وكانوا لا يتكلمون في صيامهم فلن اكلم اليوم انسيا بعد ان اخبرتكم بنذري
وانما اكلم الملائكة واناجي ربي وقيل اخبرتهم بنذرها بالاشارة وامرها بذلك لكراهة المجادلة
والاكتفاء بكلام عيسى فانه قاطع في قطع الطاعن فاتت به قومها مع ولدها راجعة اليهم بعد
ما طهرت من النفاس تحمله حاملة اياه قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا بديعا منكرا من
فري الجلد يا اخت هرون يعنون هارون النبي وكانت من اعقاب من كان معه في طبقة الاخوة
وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح كان في زمانهم
شبهوها به تهكما او لما راوا قبل من صلاحها او شتموها به ما كان ابوك امرا سوء
وما كانت امك بغيا تقرير لان ما جاءت به فري وتنبيه على ان الفواحش من اولاد الصالحين
افحش فاشارت اليه الى عيسى اي كلموه ليجيبكم قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ولم نعهد
في المهد صبيا كلمه عاقل وكان زائدة والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن فيه او تامة
او دائمة كقوله وكان الله عليما حكيما او بمعنى صار قال اني عبد الله انطقه الله به اولا لانه اول
المقامات وللرد على من زعم ربوبيته اتاني الكتاب الانجيل وجعلني نبيا وجعلني مباركا
نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ الماضي اما باعتبار ما سبق في قضائه او بجعل المحقق
وقوعه كالواقع وقيل اكمل الله عقله واستنباه طفلا اينما كنت حيث كنت واوصاني امرني
بالصلاة والزكاة زكاة المال ان ملكته او تطهير النفس عن الرذائل ما دمت حيا وبرا بوالدتي
وبارا بها عطف على مباركا وقرئ بالكسر على انه مصدر وصف به او منصوب بفعل دل عليه
اوصاني اي وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلاة ولم يجعلني جبارا
شقيا عند الله من فرط تكبره والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا كما هو

على يحيى والتعريف للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدايه فانه لما جعل
جنس السلام على نفسه عرض بان ضده عليهم كقوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض
بان العذاب على من كذب وتولى ذلك عيسى ابن مريم اي الذي تقدم نعته هو عيسى ابن مريم
لا ما تصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه الابلغ والطريق البرهاني
حيث جعله الموصوف باضداد ما يصفونه ثم عكس الحكم قول الحق خبر محذوف اي هو قول
الحق الذي لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام القصة وقيل
صفة عيسى او بدله او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرا عاصم وابن عامر ويعقوب قول بالنصب
على انه مصدر مؤكد وقرئ قال الحق وهو بمعنى القول الذي فيه يمترون في امره فيكون
او يتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ بالتا على الخطاب
ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى وتنزيه لله عما بهتوه اذا قضى
امرا فانما يقول له كن فيكون تبكيت لهم بان من اذا اراد شيا اوجده بكن كان منزها
من شبه الخلق في الحاجة في اتخاذ الولد باحبال الاناث وقرا ابن عامر فيكون بالنصب
على الجواب وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم سبق تفسيره في سورة ال
عمران وقرا الحجازيان والبصري وان بالفتح على ولانه وقيل انه معطوف على الصلاة
فاختلف الاحزاب من بينهم اليهود والنصارى او فرق النصارى نسطورية قالوا انه
ابن الله ويعقوبية قالوا هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السما وملكانية قالوا هو عبد الله
ونبيه فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم من شهود يوم عظيم هوله وحسابه وجزاوه
وهو يوم القيامة او من وقت الشهود او من مكانه فيه او من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان تشهد
عليهم الملايكة والانبيا والسنتهم وايديهم وارجلهم بالكفر والفسوق او من وقت الشهادة
او من مكانها وقيل هو ما شهدوا به في عيسى وامه اسمع بهم وابصر تعجب معناه ان اسماعهم
وابصارهم يوم ياتوننا اي يوم القيامة جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صما عميا
في الدنيا او التهديد بما سيسمعون ويبصرون يوميذ وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم
مواعيد ذلك اليوم وما يحيط بهم فيه والجار والمجرور على الاول في موضع الرفع وعلى الثاني
في موضع النصب لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين اوقع الظالمين موقع الضمير اشعارا بانهم ظلموا
انفسهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حيث ينفعهم وسجل على اغفالهم بانه ضلال مبين
وانذرهم يوم الحسرة يوم يتحسر المسي على اسايته والمحسن على قلة احسانه اذ قضي الامر
فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار واذ بدل من اليوم او ظرف للحسرة
وهم في غفلة وهم لا يومنون حال متعلقة بقوله في ضلال مبين وما بينهما اعتراض او بانذرهم
غافلين غير مومنين فيكون حالا متضمنه للتعليل انا نحن نرث الارض ومن عليها لا يبقى لاحد
غيرنا وعليهم ملك ولا ملك او نتوفى الارض ومن عليها بالافنا والاهلاك توفي الوارث لارثه
والينا يرجعون يردون للجزا واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا ملازما للصدق كثير

التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالى واياته وكتبه ورسله نبيا استنباه الله
اذ قال بدل من ابراهيم وما بينهما اعتراض او متعلق بكان او بصديقا نبيا لابيه يا ابت
التا معوضة من يا الاضافة ولذلك لا يقال يا ابتي ولا يقال يا ابتا وانما يذكر للاستعطاف
ولذلك كررها لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويرى خضوعك
ولا يغني عنك شيا في جلب نفع ودفع ضر دعاه الى الهدى وبين ضلاله واحتج عليه ابلغ
احتجاج وارشده برفق وحسن ادب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي تدعوه
الى عبادة ما يستخف به العقل الصريح ويابى الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي غاية
التعظيم ولا تحق الا لمن له الاستغنا التام والانعام العام وهو الخالق الرازق المحيي
المميت المعاقب المثيب ونبه على ان العاقل ينبغي ان يفعل لغرض صحيح والشي لو كان حيا
مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضر ولكن كان ممكنا لاستنكف العقل القويم
عن عبادته وان كان اشرف الخلق كالملايكة والنبيين لما يراه مثله في الحاجة والانقياد
للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه
الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظا من العلم الالهي مستقلا بالنظر السوي
فقال يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم ياتك فاتبعني اهدك صراطا سويا
ولم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفايق بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون اعرف
بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بانه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر فانه في الحقيقة
عبادة الشيطان من حيث انه الامر به فقال يا ابت لا تعبد الشيطان استهجن ذلك
وبين وجه الضر فيه بان الشيطان مستعص على ربك المولي للنعم كلها بقوله ان الشيطان كان
للرحمن عصيا ومعلوم ان المطاوع للعاصي عاص وكل عاص حقيق بان يسترد منه النعم وينتقم
ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجره اليه فقال يا ابت اني اخاف ان يمسك
عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قرينا في اللعن والعذاب تليه ويليك او ثابتا في
موالاته فانه اكبر من العذاب اما للمجاملة او لخفا العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان
الشيطان من جناياته لارتقا همته في الربانية او لانه ملاكها او لانه من حيث انه نتيجة معاداته
لادم وذريته منبه عليها قال اراغب انت عن الهتي يا ابراهيم قابل استعطافه ولطفه
في الارشاد بالفظاظة وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني واخره
وقدم الخبر على المبتدا وصدره بالهمزة لانكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب كانها مما لا يرغب
عنها عاقل ثم هدده فقال لين لم تنته عن مقالك فيها او الرغبة عنها لارجمنك بلساني
يعني الشتم والذم او بالحجارة حتى تموت او تبعد مني واهجرني عطف على ما دل عليه لارجمنك اي
فاحذرني واهجرني مليا زمانا طويلا من الملاوة او مليا بالذهاب عني قال سلام عليك توديع
ومتاركة ومقابلة للسيية بالحسنة اي لا اصيبك بمكروه ولا اقول لك بعد ما يوذيك ولكن ساستغفر
لك ربي لعله يوفقك للتوبة والايمان فان حقيقة الاستغفار للكافر استدعا التوفيق لما يوجب

مغفرته وقد مر تقريره في سورة التوبة **إنه كان بي حفيا** بليغا في البر والإلطاف **وأعتزلكم وما تدعون من دون الله** بالمهاجرة بديني **وأدعو ربي** أعبده وحده **عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا** خائبا ضائع السعي مثلكم في دعاء آلهتكم وفي تصدير الكلام بعسى التواضع وهضم النفس والتنبيه على أن الإجابة والإثابة تفضل غير واجب وأن ملاك الأمر خاتمته وهو غيب **فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله** بالهجرة إلى الشام **وهبنا له إسحاق ويعقوب** بدل من فارقهم وقيل إنه لما قصد الشام أتى أولا حران وتزوج بسارة وولدت له إسحق وولد منه يعقوب ولعل تخصيصهما بالذكر لأنهما شجرتا الأنبياء أو لأنه أراد أن يذكر إسمعيل بفضله على الانفراد **وكلا جعلنا نبيا** وكلا منهما أو منهم **ووهبنا لهم من رحمتنا** النبوة والأموال والأولاد **وجعلنا لهم لسان صدق عليا** يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته واجعل لي لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به ولسان العرب لغتهم وإضافته إلى الصدق وتوصيفه بالعلو للدلالة على أنهم أحقاء بما يثنون عليهم وأن محامدهم لا تخفى على تباعد الأعصار وتحول الدول وتبدل الملل **واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا** موحدا أخلص عبادته عن الشرك والرياء أو أسلم لله وأخلص نفسه عما سواه وقرأ الكوفيون بالفتح على أن الله أخلصه **وكان رسولا نبيا** أرسله الله إلى الخلق فأنبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع أنه أخص وأعلى **وناديناه من جانب الطور الأيمن** من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى أو من جانبه الميمون من اليمن بأن تمثل له الكلام من تلك الجهة **وقربناه** تقريب تشريف شبهه بمن قربه الملك لمناجاته **نجيا** مناجيا حال من أحد الضميرين وقيل مرتفعا من النجوة وهو الارتفاع لما روي أنه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم **ووهبنا له من رحمتنا** من أجل رحمتنا أو بعض رحمتنا **أخاه** معاضدة أخيه وموازرته إجابة لدعوته واجعل لي وزيرا من أهلي فإنه كان أسن من موسى وهو مفعول أو بدل على تقدير أن يكون من للتبعيض **هرون** عطف بيان له **نبيا** حال منه **واذكر في الكتاب إسمعيل إنه كان صادق الوعد** ذكره بذلك لأنه المشهور والموصوف بأشياء في هذا الباب لم تعهد من غيره وناهيك أنه وعد الصبر على الذبح فقال ستجدني إن شاء الله من الصابرين فوفى **وكان رسولا نبيا** يدل على أن الرسول لا يلزم أن يكون صاحب شريعة فإن أولاد إبراهيم كانوا على شريعته **وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة** اشتغالا بالأهم وهو أن يقبل الرجل على نفسه ومن هو أقرب الناس إليه بالتكميل قال الله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين وأمر أهلك بالصلاة قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقيل أهله أمته فإن الأنبياء آباء الأمم **وكان عند ربه مرضيا** لاستقامة أقواله وأفعاله **واذكر في الكتاب إدريس** وهو سبط شيث وجد أبي نوح واسمه أخنوخ واشتقاق إدريس من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد أن يكون معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة درسه إذ روي أنه تعالى أنزل عليه ثلاثين صحيفة وأنه أول من خط بالقلم ونظر في

علم النجوم والحساب **إنه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا** يعني شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل الجنة وقيل السماء السادسة أو الرابعة **أولئك** إشارة إلى المذكورين في السورة من زكريا إلى إدريس **الذين أنعم الله عليهم** بأنواع النعم الدينية والدنيوية **من النبيين** بيان للموصول **من ذرية آدم** بدل منه بإعادة الجار ويجوز أن يكون من للتبعيض لأن المنعم عليهم أعم من الأنبياء وأخص من الذرية **وممن حملنا مع نوح** أي ومن ذرية من حملنا خصوصا وهم من عدا إدريس فإن إبراهيم كان من ذرية سام بن نوح **ومن ذرية إبراهيم** الباقون **وإسرائيل** عطف على إبراهيم أي ومن ذرية إسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على أن أولاد البنات من الذرية **وممن هدينا** ومن جملة من هدينا إلى الحق **واجتبينا** للنبوة والكرامة **إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا** خبر لأولئك إن جعلت الموصول صفته واستئناف إن جعلته خبرا لبيان خشيتهم من الله وإخباتهم له مع ما لهم من علو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى عند الله تعالى وعن النبي صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود جمع ساجد وقرئ يتلى بالياء لأن التأنيث غير حقيقي **فخلف من بعدهم خلف** فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء يقال خلف صدق بالفتح وخلف سوء بالسكون **أضاعوا الصلاة** تركوها أو أخروها عن وقتها **واتبعوا الشهوات** كشرب الخمر واستحلال نكاح الأخت من الأب والانهماك في المعاصي وعن علي رضي الله عنه في قوله واتبعوا الشهوات من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور **فسوف يلقون غيا** شرا كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما أو جزاء غي كقوله يلق أثاما أو غيا عن طريق الجنة وقيل هو واد في جهنم تستعيذ منه أوديتها **إلا من تاب وآمن وعمل صالحا** يدل على أن الآية في الكفرة **فأولئك يدخلون الجنة** وقرأ ابن كثير وأبو بكر ويعقوب على البناء للمفعول من أدخل **ولا يظلمون شيئا** ولا ينقصون شيئا من جزاء أعمالهم ويجوز أن ينتصب شيئا على المصدر وفيه تنبيه على أن كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص أجورهم **جنات عدن** بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها أو منصوب على المدح وقرئ بالرفع على أنه خبر محذوف وعدن علم لأنه المضاف إليه في العلم أو علم للعدن بمعنى الإقامة كبرة ولذلك صح وصف ما أضيف إليه بقوله **التي وعد الرحمن عباده بالغيب** أي وعدها إياهم وهي غائبة عنهم أو وهم غائبون عنها أو وعدهم بإيمانهم بالغيب **إنه كان وعده** الذي هو الجنة **مأتيا** يأتيها أهلها الموعود لهم لا محالة وقيل من أتى إليه إحسانا أي مفعولا منجزا **لا يسمعون فيها لغوا** فضول كلام **إلا سلاما** ولكن يسمعون قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة أو إلا تسليم الملائكة عليهم أو تسليم بعضهم على بعض على الاستثناء المنقطع أو على معنى أن التسليم إن كان لغوا فلا يسمعون لغوا سواه كقوله فلا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب أو على أن معناه الدعاء بالسلامة وأهلها أغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وإنما فائدته الإكرام **ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا** على عادة المتنعمين والتوسط بين الزهادة والرغابة وقيل المراد دوام الرزق ودروره **تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا** نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقى على

النور ثه والوراثة اقوى لفظ يستعمل في التمليك والاستحقاق من حيث انه لا يعقب بنقض ولا استرجاع ولا يبطل برد ولا اسقاط وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو اطاعوا زيادة في كرامتهم وعن يعقوب نورّث بالتشديد **وما نتنزل الا بامر ربك** حكاية قول جبرئيل حين استبطاه رسول الله لما سئل عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر ما يجيب ورجى ان يوحى اليه فابطا عليه خمسة عشر يوما وقيل اربعون يوما حتى قال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع نزّل وقد يطلق بمعنى النزول مطلقا كما يطلق نزّل بمعنى انزل والمعنى ما ننزل وقتا غب وقت الا بامر الله على ما تقتضيه حكمته وما يتنزل بالياء والضمير للوحي **له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك** وهو ما نحن فيه من الاماكن والاحايين لا ننتقل من مكان الى مكان ولا ننزل في زمان دون زمان الا بامره ومشيئته **وما كان ربك نسيا** تاركا لك اي ما كان عدم النزول الا لعدم الامر به ولم يكن ذلك عن ترك الله وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وانما كان لحكمة راها فيه وقيل اول الاية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة والمعنى ما ننزل الجنة الا بامر الله ولطفه وهو مالك الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله وقوله وما كان ربك نسيا لاعمال العاملين وما وعد لهم من الثواب عليها وقوله **رب السموات والارض وما بينهما** بيان لامتناع النسيان عليه وهو خبر محذوف او بدل من ربك **فاعبده واصطبر لعبادته** خطاب للرسول مرتب عليه اي لما عرفت ربك بانه لا ينبغي له ان ينساك او اعمال العمال فاقبل على عبادته واصطبر عليها ولا تتشوش بابطاء الوحي وهزء الكفرة وانما عدي باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك **هل تعلم له سميا** مثلا يستحق ان يسمى الها او احدا يسمى الله فان المشركين وان سموا الصنم الها لم يسموه الله قط وذلك لظهور احديته وتعالي ذاته عن المماثلة بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير للامر اي اذا صح ان لا احد مثله ولا يستحق العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لامره والاشتغال بعبادته والاصطبار على مشاقها **ويقول الانسان** المراد به الجنس باسره فان المقول مقول فيما بينهم وان لم يقل كلهم كقولك بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم او بعضهم المعهود وهم الكفرة او ابي بن خلف فانه اخذ عظاما بالية ففتها وقال يزعم محمد ان يبعث بعد ما يموت **ائذا ما مت لسوف اخرج حيا** من الارض او من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي هاهنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام في يا الله للتعويض فساغ اقترانها بحرف الاستقبال **اولا يذكر الانسان** عطف على يقول وتوسيط همزة الانكار بينه وبين العاطف مع ان الاصل ان تتقدمها للدلالة على ان المنكر بالذات هو المعطوف وان المعطوف عليه انما نشا منه فانه لو تذكر وتامل **انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا** بل كان عدما صرفا لم يقل ذلك فانه اعجب من جمع

المواد

المواد بعد التفريق وايجاد مثل ما كان فيهما من الاعراض وقرا نافع وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب يذكر من الذكر الذي يراد به التفكر وقرئ يتذكر على الاصل **فوربك لنحشرنهم** اقسم باسمه مضافا الى نبيه تحقيقا للامر وتفخيما لشان الرسول **والشياطين** عطف او مفعول معه لما روي ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم كل مع شيطانه في سلسلة وهذا وان كان مخصوصا بهم ساغ نسبته الى الجنس باسره فانهم اذا حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا جميعا معهم **ثم لنحضرنهم حول جهنم** ليرى السعداء ما نجاهم الله منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخر لمعادهم عدة فيزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم عليهم **جثيا** على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع او لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب واهل الموقف جاثون لقوله تعالى وترى كل امة جاثية على المعتاد في مواقف التقاول وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من الموقف الى شاطئ جهنم اهانة بهم او لعجزهم عن القيام لما عراهم من الشدة **ثم لننزعن من كل شيعة** من كل امة شاعت دينا **ايهم اشد على الرحمن عتيا** من كان اعصى واعتى منهم فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو كثيرا من اهل العصيان ولو خص ذلك بالكفرة فالمراد انه يميز طوائفهم اعتاهم فاعتاهم ويطرحهم في النار على الترتيب او يدخل كلا طبقتها التي تليق بهم وايهم مبني على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة واذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه منصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره اما بالابتداء على انه استفهامي وخبره اشد والجملة محكية وتقدير الكلام لننزعن من كل شيعة الذين يقال فيهم ايهم اشد او معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم او مستانفة والفعل واقع على كل شيعة على زيادة من او على معنى لننزعن بعض كل شيعة واما بشيعة لانها بمعنى تشيع وعلى للبيان او متعلق بافعل وكذا الباء في قوله **ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا** اي لنحن اعلم بالذين هم اولى بالصلي او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدهم عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم **وان منكم** وما منكم التفات الى الانسان ويؤيده انه قرئ وان منهم **الا واردها** الا واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه عليه السلام سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط فانه ممدود عليها **كان على ربك حتما مقضيا** كان ورودهم واجبا اوجبه الله على نفسه وقضى بان وعد به وعدا لا يمكن خلفه وقيل اقسم عليه **ثم ننجي الذين اتقوا** فيساقون الى الجنة وقرا الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف وقرئ ثم ننجي اي هناك **ونذر الظالمين فيها جثيا** منهارة بهم كما كانوا عليه وهو دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الفجرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الفجرة فيها منهارا بهم على هيأتهم **واذا تتلى عليهم اياتنا بينات** مرتلات الالفاظ

مبنيات المعاني بنفسها او ببيان الرسول او واضحات الاعجاز قال الذين كفروا للذين آمنوا
لاجلهم او معهم اي الفريقين المؤمنين والكافرين خير مقاما موضع قيام او مكانا وقرا
ابن كثير بالضم اي موضع اقامة ومنزل واحسن نديا مجلسا ومجتمعا والمعنى انهم لما
سمعوا الآيات الواضحات وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها اخذوا في الافتخار بما لهم
من حظوظ الدنيا والاستدلال بزيادة حظهم فيها على فضلهم وحسن حالهم عند الله تعالى
لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر من الحياة الدنيا فرد عليهم ذلك ايضا مع التهديد نقضا
بقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا كم مفعول اهلكنا ومن
قرن بيانه وانما سمي اهل كل عصر قرنا لانه يتقدم من بعدهم وهم احسن صفة لكم واثاثا
تمييز عن النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد منه والخرثي ما رث والرئي المنظر
فعل من الرؤية لما يرى كالطحن والخبز وقرا نافع وابن عامر ريا على قلب الهمزة وادغامها
من الري وهو النعمة وابو بكر رئيا على القلب وقرئ ريا بحذف الهمزة وزيا من الزي
وهو الجمع محاسن مجموعة ثم بين ان تمتيعهم استدراج وليس باكرام وانما المعيار على
الفضل والنقص ما يكون في الآخرة بقوله قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا فيمده
ويمهله بطول العمر والتمتع وانما اخرجه على لفظ الامر ايذانا بان امهاله مما ينبغي ان يفعله
استدراجا وقطعا للمعاذير كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما وكقوله اولم نعمركم ما يتذكر
فيه من تذكر حتى اذا راوا ما يوعدون غاية المد وقيل هو غاية قول الذين كفروا للذين آمنوا
اي الفريقين خير حتى اذا راوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة تفصيل للموعود فانه
اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما يوم القيامة
وما ينالهم فيه من الخزي والنكال فسيعلمون من هو شر مكانا من الفريقين بان عاينوا الامر
على عكس ما قدروه وعاد ما متعوا به خذلانا ووبالا عليهم وهو جواب الشرط والجملة محكية بعد
حتى واضعف جندا اي فئة وانصارا قابل به احسن نديا من حيث ان حسن النادي باجتماع
وجوه القوم واعيانهم بظهور شوكتهم واستظهارهم ويزيد الله الذين اهتدوا هدى
عطف على الشرطية المحكية بعد القول كانه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحياة الدنيا ليس
لفضله اراد ان يبين ان قصور حظ المؤمن ليس لنقصه بل لان الله تعالى اراد به ما هو خير
وعوضه منه وقيل عطف على فليمدد لانه في معنى الخبر كانه قيل من كان في الضلالة يمد له ويزيد المقابل
له هدايته والباقيات الصالحات الطاعات التي تبقى عائدتها ابد الآباد ويدخل فيها ما قيل
من الصلوات الخمس وقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير عند ربك ثوابا عائدة
مما متع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التي يفتخرون بها سيما ومآلها النعيم المقيم
ومآل هذه الحسرة والعذاب كما اشار اليه بقوله وخير مردا والخير هنا اما لمجرد الزيادة
او على طريقة قولهم الصيف احر من الشتاء اي ابلغ في حره منه في برده افرايت الذي
كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا نزلت في العاص بن وائل كان لخباب عليه مال

فتقاضاه فقال له لا حتى تكفر بمحمد قال لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين بعثت
قال فاني اذا بعثت جئتني فيكون لي ثم مال وولد فاعطيك
ولما كانت الرؤية اقوى سند الاخبار استعمل ارايت بمعنى الاخبار والفاء على اصلها والمعنى
اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك وقرا حمزة والكسائي ولدا وهو جمع ولد كاسد
او لغة فيه كالعرب والعرب اطلع الغيب اقد بلغ من عظمة شانه الى ان ارتقى الى علم الغيب
الذي توحد به الواحد القهار حتى ادعى ان يؤتى في الآخرة مالا وولدا وتالى عليه ام اتخذ
عند الرحمن عهدا ام اتخذ من عالم الغيب عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين
الطريقين وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فان وعد الله بالثواب عليهما كالعهد عليه
كلا ردع وتنبيه على انه مخطئ فيما تصوره لنفسه سنكتب ما يقول سنظهر له انا كتبنا
قوله اذ ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين اني لم تلدني لئيمة او سننتقم منه انتقام
من كتب جريمة العدو وحفظها عليه فان نفس الكتبة لا تتاخر عن القول لقوله تعالى
ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ونمد له من العذاب مدا ونطول له من العذاب
ما يستاهله او نزيد عذابه ونضاعف له لكفره وافترائه واستهزائه على الله ولذلك
اكده بالمصدر دلالة على فرط غضبه عليه ونرثه بموته ما يقول يعني المال والولد ويأتينا
يوم القيامة فردا لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا ان يؤتى ثم زائدا
وقيل فردا رافضا لهذا القول منفردا عنه واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا
ليتعززوا بهم حيث يكونوا لهم وصلة الى الله وشفعاء عنده كلا ردع وانكار لتعززهم
بها سيكفرون بعبادتهم ستجحد الآلهة عبادتهم ويقولون ما عبدتمونا لقوله اذ
تبرا الذين اتبعوا او سينكر الكفرة لسوء العاقبة انهم عبدوها لقوله ثم لم تكن فتنتهم
الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ويكونون عليهم ضدا يؤيد الاول اذ الضد يضاد
العز اي ويكونوا عليهم ذلا او يضادهم على معنى انها تكون معونة في عذابهم بان توقد
بها نيرانهم او جعل الواو للكفرة اي يكونوا كافرين بهم بعد ان كانوا يعبدونها
وتوحيده لوحدة المعنى الذي به مضادتهم فانهم بذلك كالشيء الواحد ونظيره قوله عليه
السلام وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بالتنوين على قلب الالف نونا في الوقف قلب
الف الاطلاق في قوله اقلي اللوم عاذل والعتابن او على معنى كل هذا الراي كلا وكلا
على اضمار فعل يفسره ما بعده اي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم الم تر انا ارسلنا
الشياطين على الكافرين بان سلطناهم عليهم او قيضنا لهم قرناء تؤزهم ازا تهزهم وتغريهم
على المعاصي بالتسويلات وتحبيب الشهوات والمراد تعجيب رسول الله من اقاويل الكفرة
وتماديهم في الغي وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على ما نطقت به الآيات
المتقدمة فلا تعجل عليهم بان تهلكوا حتى تستريح انت والمؤمنون من شرورهم وتطهر
الارض من فسادهم انما نعد لهم ايام آجالهم عدا والمعنى لا تعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم

الا ايام محسورة والانفاس معدودة يوم نحشر المتقين نجمعهم الى الرحمن الى ربهم الذي غمرهم برحمته ولاختيار هذا الاسم في هذه السورة شان ولعله لان مساق هذا الكلام لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها وفدا وافدين كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين لكراماتهم وانعامهم ونسوق المجرمين كما تساق البهائم الى جهنم وردا عطاشا فان من يرد الماء لا يرده الا لعطش او كالدواب التي ترد الماء لا يملكون الشفاعة الضمير فيه للعباد المدلول عليها بذكر القسمين وهو الناصب لليوم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا الا من تحلى بما يستعد به ويستاهل ان يشفع للعصاة من الايمان والعمل الصالح على ما وعد الله او الا من اتخذ من الله اذنا فيها كقوله لا تنفع الشفاعة عنده الا من اذن له الرحمن من قولهم عهد الامير فلان بكذا اذا امره ومحله الرفع على البدل من الضمير او النصب على تقدير مضاف اي الا شفاعة من اتخذ او على الاستثناء وقيل الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون الشفاعة فيهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يستعد به ان يشفع له بالاسلام وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الضمير يحتمل الوجهين لان هذا لما كان مقولا بين الناس جاز ان ينسب اليهم لقد جئتم شيئا ادا على الالتفات للمبالغة في الذم والتسجيل عليهم بالجراة على الله والاد بالفتح والكسر العظيم المنكر والادة الشدة وادني الامر وآدني اثقلني وعظم علي تكاد السموات وقرا نافع والكسائي بالياء يتفطرن منه يتشققن مرة بعد اخرى وقرا ابو عمرو وابن عامر وحمزة وابو بكر ويعقوب ينفطرن والاول ابلغ لان التفعل مطاوع فعل والانفعال مطاوع فعل ولان اصل التفعل للتكلف وتنشق الارض وتخر الجبال هدا تهد هدا او مهدودة او لانها تنهد اي تكسر وهو تقرير لكونه ادا والمعنى ان هول هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصور بصورة محسوسة لم تتحملها هذه الاجرام العظام وتفتتت من شدتها او ان فظاعتها مجلبة لغضب الله بحيث لولا حلمه لخرب العالم وبدد قوائمه غضبا على من تفوه بها ان دعوا للرحمن ولدا يحتمل النصب على العلة لتكاد او لهدا على حذف اللام وافضاء الفعل اليه والجر باضمار اللام او بالابدال من الهاء في منه والرفع على انه خبر محذوف تقديره الموجب لذلك ان دعوا او فاعل هدا اي هدها دعاء الولد للرحمن وهو من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين وانما اقتصر على المفعول الثاني ليحيط بكل ما دعي له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى الى فلان اذا انتسب اليه وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ولا يليق به اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب مثلا لانه مستحيل ولعل ترتيب الحكم بصفة الرحمانية للاشعار بان كل ما عداه نعمة ومنعم عليه فلا يجانس من هو مبدأ النعم كلها ومولي اصولها وفروعها فكيف يمكن ان يتخذه ولدا ثم صرح به في قوله ان كل من في السموات والارض اي وما منهم الا آتي الرحمن عبدا الا وهو مملوك له ياوي اليه بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن على الاصل لقد احصاهم حصرهم واحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوزة علمه وقبضة قدرته وعدهم عدا عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم فان كل شيء عنده بمقدار وكلهم آتيه يوم القيامة فردا منفردا عن الاتباع والانصار فلا يجانسه شيء من ذلك ليتخذه ولدا ولا يناسبه ليشرك به

ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا يقول لجبريل احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله تعالى احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له المحبة في الارض والسين اما لان السورة مكية وكانوا ممقوتين حينئذ بين الكفرة فوعدهم ذلك اذا جاء الاسلام او لان الموعود في القيامة حين تعرض حسناتهم على رؤوس الاشهاد فينزع ما في صدورهم من الغل فانما يسرناه بلسانك بان انزلناه بلغتك والباء بمعنى على او على اصله لتضمن يسرناه معنى انزلناه اي انزلناه بلغتك لتبشر به المتقين الصائرين الى التقوى وتنذر به قوما لدا اشداء الخصومة آخذين في كل لديد اي شق من المراء لفرط لجاجهم فبشر به وانذر وكم اهلكنا قبلهم من قرن تخويف للكفرة وتجسير للرسول على انذارهم هل تحس منهم من احد هل تشعر باحد منهم وتراه او تسمع لهم ركزا وقرئ تسمع من اسمعت والركز الصوت الخفي واصل التركيب الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا الله في الدنيا ومن لم يدع الله والله تعالى اعلم

سورة طه مكية وهي مائة واربع وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم طه فخمها ابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل وفخم الطاء وحده ابو عمرو لاستعلائه وامالهما الباقون وهما من اسماء الحروف وقيل معناه يا رجل على لغة عك فان صح فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار والاستشهاد بقوله ان السفاهة طاها من خلائقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين ضعيف لجواز ان يكون قسما كقوله حم لا ينصرون وقرئ طه على انه امر للرسول بان يطا الارض بقدميه فانه كان يقوم في تهجده على احدى رجليه وان اصله طا فقلبت همزته هاء او قلبت في يطا الفا كقوله لا هناك المرتع ثم بني عليه الامر وضم اليه هاء السكت وعلى هذا يحتمل ان يكون اصل طه طاها والالف مبدلة من الهمزة والهاء كناية الارض لكن يرد ذلك كتبتهما على صورة الحرف وكذا التفسير بيا رجل او اكتفي بشطري الكلمتين وعبر عنهما باسمهما ما انزلنا عليك القرآن لتشقى خبر طه ان جعلته مبتدا على انه مؤول بالسورة او القرآن والقرآن فيه واقع موقع العائد وجواب ان جعلته مقسما به ومنادى له ان جعلته نداء واستئناف ان كانت جملة فعلية او اسمية باضمار مبتدا او طائفة من الحروف محكية والمعنى ما انزلنا عليك القرآن لتتعب بفرط تاسفك على كفر قريش اذ ما عليك الا ان تبلغ او بكثرة الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق والشقاء شائع بمعنى التعب ومنه اشقى من رائض مهر وسيد القوم اشقاهم ولعله عدل اليه للاشعار بانه انزل عليه

ليسعد وقيل رد وتكذيب للكفرة فانهم لما راوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى بترك ديننا وان القران انزل عليك لتشقى به الا تذكرة لكن تذكيرا وانتصابها على الاستثناء المنقطع ولا يجوز ان يكون بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين ولا مفعولا له لانزلنا فان الفعل الواحد لا يتعدى الى علتين وقيل هو مصدر في موقع الحال من الكاف او القران او مفعول له على ان لتشقى متعلق بمحذوف هو صفة القران ما انزلنا عليك القران المنزل لتتعب بتبليغه الا تذكرة لمن يخشى لمن في قلبه خشية ورقة يتأثر بالانذار او لمن علم الله منه انه يخشى بالتخويف منه فانه المنتفع به تنزيلا نصب باضمار فعله او بيخشى او على المدح او البدل من تذكرة ان جعل حالا لا مفعولا له لفظا او معنى فان الشيء لا يعلل بنفسه ولا بنوعه ممن خلق الارض والسموات العلى مع ما بعده الى قوله له الاسماء الحسنى تفخيم لشان المنزل تعرض لتعظيم المنزل بذكر افعاله وصفاته على الترتيب الذي هو عند العقل فبدأ بخلق الارض والسموات التي هي اصول العالم وقدم الارض لانها اقرب الى الحس واظهر عنده من السموات العلى وهو جمع العليا تانيث الاعلى ثم اشار الى وجه احداث الكائنات وتدبير امرها بان قصد العرش فاجرى منه الاحكام والتقادير وانزل منه الاسباب على ترتيب ومقادير حسب ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيته فقال الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى ليدل بذلك على كمال قدرته وارادته ولما كانت القدرة تابعة للارادة وهي لا تنفك عن العلم عقبه ذلك باحاطة علمه تعالى بجليات الامور وخفياتها على سواء فقال وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى اي وان تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم انه غني عن جهرك فانه يعلم السر واخفى منه وهو ضمير النفس وفيه تنبيه على ان شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس لاعلام الله بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع والجؤار ثم لما ظهر بذلك ان المستجمع لصفات الالوهية بين انه المتفرد بها والمتوحد بمقتضاها فقال الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ومن في ممن خلق صلة لتنزيلا او صفة له والانتقال من التكلم الى الغيبة للتفنن في الكلام وتفخيم المنزل من وجهين اسناد انزاله الى ضمير الواحد العظيم الشان ونسبته الى المختص بصفات الجلال والاكرام والتنبيه على انه واجب الايمان به والانقياد له من حيث انه كلام من هذا شانه ويجوز ان يكون انزلنا حكاية كلام جبريل والملائكة النازلين معه وقرئ الرحمن على الجر صفة لمن خلق فيكون على العرش استوى خبر محذوف وكذا ان رفع الرحمن على المدح دون الابتداء ويجوز ان يكون خبرا ثانيا والثرى الطبقة الترابية من الارض وهي اخر طبقاتها والحسنى تانيث الاحسن وفضل اسماء الله تعالى على سائر الاسماء في الحسن لدلالتها على معان هي اشرف المعاني وافضلها وهل اتاك حديث موسى قفى تمهيد نبوته بقصة موسى ليأتم به في تحمل اعباء النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد فان هذه السورة من اوائل ما نزل اذ راى نارا ظرف للحديث لانه حدث

او مفعول لاذكر قيل انه استاذن شعيبا عليه الصلاة والسلام في الخروج الى امه وخرج باهله فلما وافى وادي طوى وفيه الطور ولد له ابن في ليلة شاتية مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته اذ راى من جانب الطور نارا فقال لاهله امكثوا اقيموا مكانكم اني انست نارا ابصرتها ابصارا لا شبهة فيه وقيل الايناس ابصار ما يؤنس به لعلي اتيكم منها بقبس بشعلة من النار وقيل جمرة او اجد على النار هدى هاديا يدلني على الطريق او يهديني ابواب الدين فان افكار الابرار مائلة اليها في كل ما يعن لهم ولما كان حصولهما مترقبا بنى الامر فيهما على الرجاء بخلاف الايناس فانه كان محققا ولذلك حققه لهم ليوطنوا نفوسهم عليه ومعنى الاستعلاء في على النار ان اهلها مشرفون عليها او مستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب منه فلما اتاها اي النار وجد نارا بيضاء تتقد في شجرة خضراء نودي يا موسى اني انا ربك فتحه ابن كثير وابو عمرو اي باني وكسره الباقون باضمار القول او اجراء النداء مجراه وتكرير الضمير للتاكيد والتحقيق قيل انه لما نودي قال من المتكلم قال اني انا الله فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله فاني اسمعه من جميع الجهات وبجميع الاعضاء وهو اشارة الى انه عليه السلام تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة فاخلع نعليك امره بذلك لان الحفوة تواضع وادب ولذلك طاف السلف حافين وقيل لنجاسة نعليه فانهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل والمال انك بالواد المقدس تعليل للامر باحترام البقعة والمقدس يحتمل المعنيين طوى عطف بيان للوادي ونونه ابن عامر والكوفيون بتاويل المكان وقيل هو كثنى من الطي مصدر لنودي او المقدس اي نودي نداءين او قدس مرتين وانا اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرا حمزة وانا اخترناك فاستمع لما يوحى للذي يوحى اليك او للوحي واللام يحتمل التعلق بكل من الفعلين انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني بدل مما يوحى دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى العلم والامر بالعبادة التي هي كمال العمل واقم الصلاة لذكري خصها بالذكر وافردها بالامر للعلة التي اناط بها اقامتها وهي تذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وقيل لذكري لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالثناء او لذكري خاصة لا تراءي بها ولا تشوبها بذكر غيري وقيل لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة او لذكر صلاتي لما روي انه عليه الصلاة والسلام قال من نام عن صلاة او نسيها فليقضها اذا ذكرها ان الله تعالى يقول اقم الصلاة لذكري ان الساعة اتية كائنة لا محالة اكاد اخفيها اريد اخفاء وقتها او اقرب ان اخفيها فلا اقول انها اتية ولولا ما في الاخبار باتيانها من اللطف وقطع الاعذار لما اخبرت به او اكاد اظهرها

من اخفاه اذا سلب خفاه ويؤيده القراءة بالفتح من خفاه اذا اظهره **لتجزى كل نفس بما تسعى** متعلق بآتية او باخفيها على المعنى الاخير **فلا يصدنك عنها** عن تصديق الساعة او عن الصلاة **من لا يؤمن بها** نهي الكافر ان يصد موسى عنها والمراد نهيه ان ينصد عنها كقوله لا ارينك ههنا تنبيها على ان فطرته السليمة لو خليت بحالها اختارها ولم يعرض عنها وانه ينبغي ان يكون راسخا في دينه فان صد الكافر انما يكون بسبب ضعفه فيه **واتبع هواه** ميل نفسه الى اللذات المحسوسة المخدجة فقصر نظره على غيرها **فتردى** فتهلك بالانصداد بصده **وما تلك** استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه فيها من العجائب **بيمينك** حال من الاشارة وقيل صلة تلك **يا موسى** تكرير لزيادة الاستيناس والتنبيه **قال هي عصاي** وقرئ عصي وهي لغة هذيل **اتوكأ عليها** اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على رأس القطيع **واهش بها على غنمي** واخبط بها الورق على رؤوس غنمي وقرئ اهش وكلاهما من هش الخبز اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين من الهس وهو زجر الغنم اي اخي على زاجرا لها **ولي فيها مآرب اخرى** حاجات اخر مثل ان كان اذا سار القاها على عاتقه تعلق بها ادواته وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشا وصله بها واذا تعرضت السباع لغنمه قاتل بها وكانه عليه الصلاة والسلام فهم ان المقصود من السؤال ان يذكر حقيقتها وما يرى من منافعها حتى اذا رآها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصائص اخرى خارقة للعادة مثل ان تشتعل شعبتاها بالليل كالشمع وتصيران دلوا عند الاستقاء وتطول بطول البئر وتحارب عنه اذا ظهر عدو وينبع الماء بركزها وينضب بنزعها وتورق وتثمر اذا اشتهى ثمره فركزها علم ان ذلك آيات باهرة ومعجزات قاهرة احدثها الله فيها لاجله وليست من خواصها فذكر حقيقتها ، ومنافعها مفصلا ومجملا على معنى انها من جنس العصا تنفع منافع امثالها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه **قال القها يا موسى فالقاها فاذا هي حية تسعى** قيل لما القاها انقلبت حية صفرا بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها جانا تارة نظرا الى المبدا وثعبانا مرة باعتبار المنتهى وحية اخرى بالاسم الذي يعم الحالين وقيل كانت في ضخامة الثعبان وجلادة الجان ولذلك قال كانها جان **قال خذها ولا تخف** فانه لما رآها حية تسرع وتبتلع الحجر والشجر خاف وهرب منها **سنعيدها سيرتها الاولى** هيئتها وحالتها المتقدمة وهي فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الخافض او على ان اعاد منقول من عاد بمعنى عاد اليه او على الظرف اي سنعيدها في طريقتها او على تقدير فعلها اي سنعيدها عصا تسير سيرتها الاولى فتنتفع بها قبل قيل لما قال ربه ذلك اطمأنت نفسه حتى ادخل يده في فمها واخذ بلحييها **واضمم يدك الى جناحك** اي جنبك تحت العضد يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر استعارة من جناحي الطائر سميا بذلك لانه يجنحهما عند الطيران **تخرج بيضاء** كانها مشعة **من غير سوء** من غير عاهة وقبح كني به عن البرص كما كني بالسوأة عن العورة لان الطباع

تعافه وتنفر عنه **آية اخرى** معجزة ثانية وهي حال من ضمير تخرج كبيضاء او من ضميرها او مفعول باضمار خذ او دونك **لنريك من آياتنا الكبرى** متعلق بهذا المضمر او بما دل عليه آية او القصة اي دللنا بها او فعلنا ذلك لنريك او فعلنا ذلك لنريك بها الكبرى صفة آياتنا او مفعول نريك ومن آياتنا حال **اذهب الى فرعون** بهاتين الآيتين وادعه الى العبادة **انه طغى** عصى وتكبر **قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري** لما امره بخطب عظيم وامر جسيم سأله ان يشرح صدره ويفسح قلبه لتحمل اعبائه والصبر على مشقته والتلقي لما ينزل عليه ويسهل الامر له باحداث الاسباب ورفع الموانع وفائدة لي ابهام المشروح والميسر اولا ثم رفعه بذكر الصدر والامر تاكيدا ومبالغة **واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي** فانما يحسن التبليغ من البليغ وكان في لسانه رتة من جمرة ادخلها فاه وذلك ان فرعون حمله يوما فاخذ لحيته ونتفها فغضب وامر بقتله فقالت آسية انه صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة ووضعها في فيه ولعل تبييض يده كان لذلك وقيل احترقت يده واجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنها واختلف في زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله قد اوتيت سؤلك يا موسى ومن لم يقل احتج بقوله هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين واجاب عن الاول بانه لم يسأل حل عقدة لسانه يحتمل ان يكون صفة عقدة وان يكون صلة احلل **واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي** يعينني على ما كلفتني واشتقاق الوزير اما من الوزر لانه يحمل الثقل عن اميره او من الوزر وهو الملجا لان الامير يعتصم برايه ويلتجئ اليه في اموره ومنه الموازرة وقيل اصله ازير من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس قلبت همزته واوا كقلبها في موازر ومفعولا اجعل وزيرا وهرون قدم ثانيهما للعناية به ولي صلة او حال او لي وزيرا وهرون عطف بيان للوزير او وزيرا من اهلي ولي تبيين كقوله ولم يكن له كفوا احد واخي على الوجوه بدل من هرون او مبتدا خبره **اشدد به ازري واشركه في امري** على لفظ الامر وقرأهما ابن عامر بلفظ الخبر على انهما جواب الامر **كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا** فان التعاون يهيج الرغبات ويؤدي الى تكاثر الخيرات وتزايدها **انك كنت بنا بصيرا** عالما باحوالنا وان التعاون مما يصلحنا وان هارون نعم المعين فيما امرتني به **قال قد اوتيت سؤلك يا موسى** اي سؤلك فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والماكول **ولقد مننا عليك مرة اخرى** انعمنا عليك في وقت آخر **اذ اوحينا الى امك** بالهام او في المنام او على لسان نبي في وقتها او ملك لا على وجه النبوة كما اوحي الى مريم **ما يوحى** ما لا يعلم الا بالوحي او مما ينبغي ان يوحى ولا يخل به لعظم شانه وفرط الاهتمام به **ان اقذفيه في التابوت** بان اقذفيه او اي اقذفيه لان الوحي بمعنى القول **فاقذفيه في اليم** والقذف يقال للالقاء وللوضع كقوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذا للرمي كقوله غلام رماه الله بالحسن يافعا **فليلقه اليم بالساحل** لما كان الالقاء

اياه الى الساحل امر واجب الحصول لتعلق الارادة به جعل البحر كانه ذو تمييز مطيع أمره بذلك
واخرج الجواب مخرج الامر والاولى ان تجعل الضماير كلها لموسى مراعاة للنظم والمقذوف في
البحر والملقى الى الساحل وان كان التابوت بالذات لموسى بالعرض يأخذه عدو لي وعدو له
جواب فليلقه وتكرير عدو للمبالغة او لان الاول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع
قيل انها جعلت في التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته والقته في اليم وكان يشرع منه
الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فاداه الى بركة في البستان وكان فرعون جالسا على رأسها
مع امرأته آسية بنت مزاحم فامر به فاخرج ففتح فاذا هو اصبح الناس وجها فاحبه
حبا شديدا كما قال وألقيت عليك محبة مني اي محبة كائنة مني قد زرعتها في القلوب
بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك فلذلك احبك فرعون ويجوز ان يتعلق مني بألقيت
اي احببتك ومن احبه الله احبته القلوب وظاهر اللفظ ان اليم القاه بساحله وهو شاطئه
لان الماء يحمله فيلتقط منه لكن لا يبعد ان يؤول الساحل بجنب فوهة نهره ولتصنع على عيني
ولتربى ويحسن اليك وانا راعيك وراقبك والعطف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك
او على الجملة السابقة باضمار فعل معلل مثل فعلت ذلك وقرئ ولتصنع بكسر اللام وسكونها
والجزم على انه امر ولتصنع بالنصب وفتح التاء اي وليكون عملك على عين مني لئلا تخالف به
عن امري اذ تمشي اختك ظرف لالقيت او لتصنع او بدل من اذ اوحينا على ان المراد بها
وقت متسع فتقول هل ادلكم على من يكفله وذلك انه كان لا يقبل ثدي المراضع فجاءت
اخته مريم متفحصة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها فقالت هل ادلكم
فجاءت بامه فقبل ثديها فرجعناك الى امك وفاء بقولنا انا رادوه اليك كي تقر عينها
بلقائك ولا تحزن هي بفراقك او انت بفراقها وفقد اشفاقها وقتلت نفسا نفس
القبطي الذي استغاثه عليه الاسرائيلي فنجيناك من الغم غم قتله خوفا من عقاب الله
واقتصاص فرعون بالمغفرة والامن منه بالهجرة الى مدين وفتناك فتونا وابتليناك ابتلاء
او انواعا من الابتلاء على انه جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز وبدور في
حجزة وبدرة فخلصناك مرة بعد اخرى وهو اجمال لما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة
الالاف والمشي راجلا على حذر وفقد الزاد واجر نفسه الى غير ذلك اوله ولما سبق ذكره
فلبثت سنين في اهل مدين لبثت فيهم عشر سنين قضاء لاوفى الاجلين ومدين على ثماني
مراحل من مصر ثم جئت على قدر قدرته لان اكلمك واستنبئك غير مستقدم وقته
المعين ولا مستأخر او على مقدار من السن يوحى فيه الى الانبياء يا موسى كرره عقيب
ما هو غاية الحكاية للتنبيه على ذلك واصطنعتك لنفسي واصطفيتك لمحبتي مثله فيما
خوله من الكرامة بمن قربه الملك واستخلصه لنفسه اذهب انت واخوك بآياتي
بمعجزاتي ولا تنيا ولا تفترا ولا تقصرا وقرئ تنيا بكسر التاء في ذكري لا تنسياني حيثما
تقلبتما وقيل في تبليغ ذكري والدعاء الي اذهبا الى فرعون انه طغى امر به اولا موسى وحده

وها هنا اياه واخاه فلا تكرير وقيل اوحي الى هارون ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله
فاستقبله فقولا له قولا لينا مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فانه دعوة
في صورة عرض ومشورة حذرا ان تحمله الحماقة على ان يسطو عليكما واحتراما لما له من حق
التربية وقيل كنياه وكان له ثلث كنى ابو العباس وابو الوليد وابو مرة وقيل عداه
شبابا لا يهرم بعده وملكا لا يزول الا بالموت لعله يتذكر او يخشى متعلق باذهبا او قولا
اي باشرا الامر على رجائكما وطمعكما انه يثمر ولا يخيب سعيكما فان الراجي مجتهد والآيس
متكلف والفائدة في ارسالهما والمبالغة عليهما في الاجتهاد مع علمه بانه لا يؤمن الزام الحجة
وقطع المعذرة واظهار ما حدث في تضاعيف ذلك من الآيات والتذكر للمتحقق والخشية
للمتوهم ولذلك قدم الاول اي ان لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر فلا اقل من ان يتوهمه فيخشى
قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا ان يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر الى تمام الدعوة
واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فرط يسبق الخيل وقرئ يفرط من افرطه
اذا حمله على العجلة اي نخاف ان يحمله حامل من استكبار او خوف على الملك او شيطان انسي
او جني على المعاجلة بالعقاب ويفرط من الافراط في الاذية او ان يطغى ان يزداد طغيانا فيتخطى
الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لجرأته وقساوته واطلاقه من حسن الادب قال لا تخافا
انني معكما بالحفظ والنصرة اسمع وارى ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فاحدث
في كل حال ما يصرف شره عنكما ويوجب نصرتي لكما ويجوز ان لا يقدر شيء على معنى انني حافظكما
سامعا مبصرا والحافظ اذا كان قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ فأتياه فقولا انا رسولا
ربك فارسل معنا بني اسرائيل اطلقهم ولا تعذبهم بالتكاليف الصعبة وقتل الولدان
فانهم كانوا في ايدي القبط يستخدمونهم ويتعبونهم في العمل ويقتلون ذكور اولادهم
في عام دون عام وتعقيب الاتيان بذلك دليل على ان تخليص المؤمنين من الكفرة اهم
من دعوتهم الى الايمان ويجوز ان يكون للتدريج في الدعوة قد جئناك بآية من ربك جملة
مقررة لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وانما وحد الآية وكان معه اثنتان
لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا الاشارة الى وحدة الحجة وتعددها وكذلك
قوله قد جئتكم ببينة فأت بآية او لو جئتك بشيء مبين والسلام على من اتبع الهدى وسلام
الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين او السلامة في الدارين لهم انا قد اوحي الينا ان العذاب
على من كذب وتولى ان عذاب المنزلين على المكذبين للرسل ولعل تغيير النظم والتصريح
بالوعيد والتأكيد فيه لان التهديد في اول الامر اهم وانجع والواقع اليق قال فمن
ربكما يا موسى اي بعد ما اتياه وقالا له ما امرا به ولعله حذف لدلالة الحال فان المطيع
اذا امر بشيء فعله لا محالة وانما خاطب الاثنين وخص موسى بالنداء لانه الاصل وهرون
وزيره وتابعه او لانه عرف ان له رتة ولاخيه فصاحة فاراد ان يفحمه ويدل عليه قوله
ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه من الانواع

صورته وشكله الذي يطابق كماله الممكن له او اعطى خليقته كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به
فقدم المفعول الثاني لانه المقصود بيانه وقيل اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة
زوجا وقرئ خلقه صفة للمضاف اليه او المضاف على شذوذ فيكون المفعول الثاني محذوفا اي
اعطى كل مخلوق ما يصلحه ثم هدى ثم عرفه كيف يرتفق بما اعطي وكيف يتوصل به الى بقائه
وكماله اختيارا او طبعا وهو جواب في غاية البلاغة لاختصاره واعرابه عن الموجودات باسرها على
مراتبها ودلالته على ان الغني القادر بالذات المنعم على الاطلاق هو الله تعالى وان جميع ما عداه مفتقر
اليه منعم عليه في حد ذاته وصفاته وافعاله ولذلك بهت الذي كفر وافحم عن الدخل عليه فلم ير
الا صرف الكلام عنه قال فما بال القرون الاولى فما حالهم بعد موتهم من السعادة والشقاوة
قال علمها عند ربي اي انه غيب لا يعلمه الا الله وانما انا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني به
في كتاب مثبت في اللوح المحفوظ ويجوز ان يكون تمثيلا لتمكنه في علمه بما استحفظه
العالم وقيده بالكتبة ويؤيده لا يضل ربي ولا ينسى والضلال ان تخطئ الشيء في مكانه فلم
تهتد اليه والنسيان ان تذهب عنه بحيث لا يخطر ببالك وهما محالان على العالم بالذات
ويجوز ان يكون سؤاله دخلا على احاطة قدرة الله تعالى بالاشياء كلها وتخصيصه ابعاضها
بالصور والخواص المختلفة بان ذلك يستدعي علمه بتفاصيل الاشياء وجزئياتها والقرون
الخالية مع كثرتهم وتمادي مدتهم وتباعد اطرافهم كيف احاط علمه بهم وباجزائهم
واحوالهم فيكون معنى الجواب ان علمه تعالى محيط بذلك كله وانه مثبت عنده لا يضل
ولا ينسى الذي جعل لكم الارض مهادا مرفوع صفة لربي او خبر لمحذوف او منصوب
على المدح وقرأ الكوفيون مهدا اي كالمهد تتمهدونها وهو مصدر سمي به والباقون
مهادا وهو اسم ما يمهد كالفراش او جمع مهد وسلك لكم فيها سبلا وحصل لكم فيها سبلا بين
الجبال والاودية والبراري تسلكونها من ارض الى ارض لتبلغوا منافعها وانزل من السماء
ماء مطرا فاخرجنا به عدل به من لفظ الغيبة الى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله تنبيها
على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء
المختلفة لمشيئته وعلى هذا نظائره كقوله الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات
مختلفا الوانها امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ازواجا
اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض من نبات بيان او صفة لازواجا
وكذلك شتى ويحتمل ان يكون صفة للنبات فانه من حيث انه مصدر في الاصل يستوي فيه
الواحد والجمع وهو جمع شتيت كمريض ومرضى في الصور والاعراض والمنافع يصلح بعضها
للناس وبعضها للبهائم فلذلك قال كلوا وارعوا انعامكم حال من ضمير فاخرجنا على ارادة
القول اي اخرجنا اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا والمعنى معديها لانتفاعكم
بالاكل والعلف آذنين فيه ان في ذلك لآيات لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن
اتباع الباطل وارتكاب القبائح جمع نهية منها خلقناكم فان التراب اصل خلقة اول آبائكم

واول مواد ابدانكم وفيها نعيدكم بالموت وتفكيك الاجزاء ومنها نخرجكم تارة اخرى
ولقد اريناه آياتنا بصّرناه اياها او عرفناه صحتها كلها تاكيد لشمول الانواع او
لشمول الافراد على ان المراد بآياتنا آيات معهودة وهي الآيات التسع المختصة بموسى او انه
عليه السلام اراه آياته وعدّ عليه ما اوتي غيره من المعجزات فكذب موسى من فرط عناده
وابى الايمان والطاعة لعتوه قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا ارض مصر
بسحرك يا موسى هذا تعلل وتحير ودليل على انه علم كونه محقا حتى خاف منه على ملكه فان
الساحر لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه فلنأتينك بسحر مثله مثل سحرك
فاجعل بيننا وبينك موعدا وعدا لقوله لا نخلفه نحن ولا انت فان الاخلاف
لا يلائم الزمان والمكان وانتصاب مكانا سوى بفعل دل عليه المصدر لا به فانه
موصوف او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه وعلى هذا يكون مطابقا للجواب
في قوله قال موعدكم يوم الزينة من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر
باجتماع الناس فيه في ذلك اليوم او باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو
على الاول او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ بالنصب وهو ظاهر في ان المراد بها
المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوي مسافته الينا واليك وهو في النعت
كقولهم قوم عدى في الشذوذ وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بالضم
وقيل يوم الزينة يوم عاشوراء او يوم النيروز او يوم عيد كان لهم في كل عام وانما عينه
ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤوس الاشهاد ويشيع ذلك في الاقطار وان يحشر الناس
ضحى عطف على اليوم او الزينة وقرئ على بناء الفاعل بالتاء على خطاب فرعون والياء
على ان فيه ضمير اليوم او ضمير فرعون على ان الخطاب لقومه فتولى فرعون فجمع
كيده ما يكاد به يعني السحرة وآلاتهم ثم اتى بالموعد قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا
على الله كذبا بان تدعوا آياته سحرا فيسحتكم بعذاب فيهلككم ويستاصلكم به وقرأ
حمزة والكسائي وحفص ويعقوب بالضم من الاسحات وهو لغة نجد وتميم والسحت
لغة الحجاز وقد خاب من افترى كما خاب فرعون فانه افترى واحتال ليبقي الملك عليه
فلم ينفعه فتنازعوا امرهم بينهم اي تنازعت السحرة في امر موسى حين سمعوا
كلامه فقال بعضهم ليس هذا من كلام السحرة واسروا النجوى بان موسى ان غلبنا اتبعناه
او تنازعوا واختلفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا في السر وقيل الضمير لفرعون
وقومه وقوله قالوا ان هذان لساحران تفسير لاسروا النجوى كانهم تشاوروا في تلفيقه
حذرا ان يغلبا فيتبعهما الناس وهذان اسم ان على لغة بلحارث بن كعب فانهم جعلوا
الالف للتثنية واعربوا المثنى تقديرا وقيل اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان لساحران
خبرها وقيل ان بمعنى نعم وساحران خبر محذوف الضمير وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف
وقرأ ابو عمرو ان هذين وهو ظاهر وابن كثير وحفص ان هذان على انها هي المخففة واللام هي

الفارقة او النافية واللام بمعنى الا يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بالاستيلاء عليها
بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى بمذهبكم الذي هو افضل المذاهب باظهار مذهبه
واعلاء دينه لقوله اني اخاف ان يبدل دينكم وقيل ارادوا اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل
فانهم كانوا ارباب علم فيما بينهم لقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه
القوم واشرافهم من حيث انهم قدوة لغيرهم فاجمعوا كيدكم فازمعوه واجعلوه مجمعا
عليه لا يتخلف عنه واحد منكم وقرا ابو عمرو فاجمعوا ويعضده قوله فجمع كيده والضمير
في قالوا ان كان للسحرة فهو قول بعضهم لبعض ثم ائتوا صفا مصطفين لانه اهيب في صدور
الرائين قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة وقد
افلح اليوم من استعلى فاز بالمطلوب من غلب وهو اعتراض قالوا يا موسى اما ان تلقي واما
ان نكون اول من القى اي بعدما اتوا مراعاة للادب وان بما بعده منصوب بفعل
مضمر او مرفوع بخبرية محذوف اي اختر القاءك اولا او القاءنا او الامر القاؤك او القاؤنا
قال بل القوا مقابلة ادب بادب وعدم مبالاة بسحرهم واسعافا الى ما اوهموا من الميل
الى البدء بذكر الاول في شقهم وتغيير النظم الى وجه ابلغ ولان يبرزوا ما معهم
ويستنفدوا اقصى وسعهم ثم يظهر الله سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه
فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى اي فالقوا فاذا حبالهم وهي للمفاجاة
والتحقيق انها ايضا ظرفية تستدعي متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها خصت
بان يكون المتعلق فعل المفاجاة والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجا موسى وقت
تخييل سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك انهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت
عليها الشمس اضطربت فخيل اليه انها تتحرك وقرا ابن عامر وروح تخيل بالتاء على اسناده
الى ضمير الحبال والعصي وابدال انها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ يخيل بالياء على اسناده
الى الله وتخيل بمعنى تتخيل فاوجس في نفسه خيفة موسى فاضمر فيها خوفا من
مفاجاته على ما هو مقتضى الجبلة البشرية او من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه قلنا
لا تخف ما توهمت انك انت الاعلى تعليل للنهي وتقرير لغلبته مؤكدا بالاستيناف
وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة
وصيغة التفضيل والق ما في يمينك ابهمه ولم يقل عصاك تحقيرا لها اي لا تبال بكثرة
حبالهم وعصيهم والق العويدة التي في يمينك او تعظيما لها اي لا تحتفل بكثرة هذه
الاجرام وعظمها فان في يمينك ما هو اعظم منها اثرا فالقه تلقف ما صنعوا
تبتلعه بقدرة الله تعالى واصله تتلقف فحذف احدى التائين وتاء المضارعة
تحتمل التانيث والخطاب على اسناد الفعل الى المسبب وقرا ابن عامر بالرفع على الحال
او الاستيناف وحفص بالجزم والتخفيف على انه من لقفته بمعنى تلقفته انما صنعوا
ان الذي زوروا وافتعلوا كيد ساحر وقرئ بالنصب على ان ما كافة وهو مفعول صنعوا

وقرا حمزة والكسائي سحر بمعنى ذي سحر او بتسمية الساحر سحرا على المبالغة او باضافة الكيد
الى السحر للبيان كقولهم علم فقه وانما وحد الساحر لان المراد به الجنس المطلق ولذلك
قال ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس وتنكير الاول لتنكير المضاف كقول العجاج
يوم ترى النفوس ما اعدت ... في سعي دنيا طالما قد مدت
كانه قيل ان ما صنعوا كيد سحري فالقي السحرة سجدا اي فالقي فتلقفت فتحقق عند السحرة انه ليس بسحر وانما
هو من ايات الله ومعجزة من معجزاته فالقاهم ذلك على وجوههم سجدا لله توبة عما صنعوا
واعتابا وتعظيما لما راوا قالوا امنا برب هرون وموسى قدم هرون لكبر سنه او لروي
الاية او لان فرعون ربى موسى في صغره فلو اقتصر على موسى او قدم ذكره فربما توهم
ان المراد فرعون وذكر هرون على الاستتباع روي انهم راوا في سجودهم الجنة ومنازلهم
فيها قال امنتم له اي لموسى واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع قبل ان اذن لكم في الايمان
له انه لكبيركم لعظيمكم في فنكم واعلمكم به او لاستاذكم الذي علمكم السحر وانتم تواطاتم
على ما فعلتم فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية
كان القطع ابتدا من مخالفة العضو العضو وهي مع المجرور بها في حيز النصب على الحال اي
لاقطعنها مختلفات وقرئ لاقطعن ولاصلبن بالتخفيف ولاصلبنكم في جذوع
النخل شبه تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف بالظرف وهو اول من صلب ولتعلمن
اينا يريد نفسه وموسى لقوله امنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله اراد به
توضيع موسى والهزء به فانه لم يكن من التعذيب في شيء وقيل رب موسى الذي امنوا به اشد
عذابا وابقى وادوم عقابا قالوا لن نؤثرك لن نختارك على ما جاءنا موسى به ويجوز ان يكون
الضمير فيه لما من البينات المعجزات الواضحات والذي فطرنا عطف على ما جاءنا او قسم فاقض
ما انت قاض ما انت قاضيه اي صانعه او حاكم به انما تقضي هذه الحياة الدنيا انما
تصنع ما تهواه او تحكم بما تراه في هذه الدنيا والاخرة خير وابقى فهو كالتعليل لما قبله والتمهيد
لما بعده وقرئ تقضى هذه الحياة الدنيا كقولك صيم يوم الجمعة انا امنا بربنا ليغفر لنا
خطايانا من الكفر والمعاصي وما اكرهتنا عليه من السحر في معارضة المعجزة روي انهم قالوا
لفرعون ارنا موسى نائما فوجدوه تحرسه العصا فقالوا ما هذا بسحر فان الساحر اذا نام
بطل سحره فابى الا ان يعارضوه والله خير وابقى جزاء او خير ثوابا وابقى عقابا انه ان الامر
من يات ربه مجرما بان يموت على كفره وعصيانه فان له جهنم لا يموت فيها فيستريح
ولا يحيى حياة مهناة ومن ياته مؤمنا قد عمل الصالحات في الدنيا فاولئك لهم الدرجات
العلى المنازل الرفيعة جنات عدن بدل من الدرجات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها حال والعامل فيها معنى الاشارة او الاستقرار وذلك جزاء من تزكى تطهر من ادناس الكفر
والمعاصي والايات الثلث يحتمل ان يكون من كلام السحرة وان يكون ابتداء كلام الله تعالى
ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي اي من مصر فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم من

لهم من ضرب له في ماله سهما او فاتخذ من ضرب اللبن اذا عمله في البحر يبسا يابسا مصدر وصف
به يقال يبس يبسا ويبسا او هو ما تخفف منه او وصف على فعل كصعب او جمع يابس كصحب وصف
به الواحد مبالغة كقوله كأن قتود رحلي حين ضمت حوالب غرزا ومعا جياعا او
او لتعدده معنى فانه جعل لكل سبط منهم طريقا لا تخاف دركا حال من المامور اي امنا من
ان يدرككم العدو او صفة ثانية والعائد محذوف وقرا حمزة لا تخف على جواب الامر ولا تخشى
استيناف اي وانت لا تخشى او عطف عليه والالف للاطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا
او حال بالواو والمعنى ولا تخشى الغرق فاتبعهم فرعون بجنوده وذلك ان موسى خرج بهم
اول الليل فاخبر فرعون بذلك فقص اثرهم والمعنى فاتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده
فحذف المفعول الثاني وقيل فاتبعهم بمعنى فتبعهم ويؤيده القراءة به والباء للتعدية وقيل
الباء مزيدة والمعنى فاتبعهم جنوده وزادهم خلفهم فغشيهم من اليم ما غشيهم الضمير
لجنوده او له ولهم وفيه مبالغة ووجازة اي غشيهم ما سمعت قصته ولا يعرف
الا الله وقرئ فغشاهم ما غشاهم اي غطاهم والفاعل هو الله او ما غشاهم او فرعون
لانه الذي ورطهم للهلاك واضل فرعون قومه وما هدى اي اضلهم في الدين وما هداهم
وهو تهكم به في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد واضلهم في البحر وما نجى يا بني اسرائيل
خطاب لهم بعدما انجاهم من البحر واهلك فرعون على اضمار قلنا او للذين منهم في عهد النبي
عليه الصلاة والسلام بما فعل بابائهم قد انجيناكم من عدوكم فرعون وقومه وواعدناكم
جانب الطور الايمن لمناجاة موسى وانزال التوراة عليه وانما عدى المواعدة اليهم وهي لموسى وله
وللسبعين المختارين للملابسة ونزلنا عليكم المن والسلوى يعني في التيه كلوا من طيبات
ما رزقناكم لذائذه وحلالاته وقرا حمزة والكسائي انجيتكم وواعدتكم ما رزقتكم على التاء
وقرئ ووعدتكم ووعدناكم والايمن بالجر على الجوار مثل جحر ضب خرب ولا تطغوا فيه فيما
رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدي لما حد الله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق فيحل
عليكم غضبي فيلزمكم عذابي ويجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى
فقد تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرا الكسائي يحل ويحلل بالضم من حل يحل اذا نزل
واني لغفار لمن تاب عن الشرك وامن بما يجب الايمان به وعمل صالحا ثم اهتدى ثم استقام
على الهدى المذكور وما اعجلك عن قومك يا موسى سؤال عن سبب العجلة يتضمن انكارها من
حيث انها نقيصة في نفسها انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظيم عليهم فلذلك اجاب موسى
الامرين وقدم جواب الانكار لانه اهم قال هم اولاء على اثري ما تقدمتهم الا بخطى
يسيرة لا يعتد بها عادة وليس بيني وبينهم الا مسافة قريبة يتقدم بها الرفقة بعضهم
بعضا وعجلت اليك رب لترضى فان المسارعة الى امتثال امرك والوفاء بعهدك يوجب
مرضاتك قال فانا قد فتنا قومك من بعدك ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من
بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل الا اثنا عشر

الفا واضلهم السامري باتخاذ العجل والدعاء الى عبادته وقرئ واضلهم اي اشدهم ضلالة
لانه كان ضالا مضلا وان صح انهم اقاموا على الدين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوها بايامها
اربعين وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل وان هذا الخطاب كان له عند مقدمه اذ ليس في
الاية ما يدل عليه كان ذلك اخبارا من الله له عن المترقب بلفظ الواقع على عادته فان اصل وقوع
الشيء ان يكون في علمه ومقتضى مشيئته والسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة
وقيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا فرجع موسى
الى قومه بعدما استوفى الاربعين واخذ التوراة غضبان عليهم اسفا حزينا بما فعلوا قال
يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا بان يعطيكم التوراة فيها هدى ونور افطال عليكم العهد
اي الزمان يعني زمان مفارقته لهم ام اردتم ان يحل عليكم يجب عليكم غضب من ربكم
بعبادة ما هو مثل في الغباوة فاخلفتم موعدي وعدكم اياي بالثبات على الايمان بالله
والقيام على ما امرتكم به وقيل هو من اخلفت وعده اذا وجدت الخلف فيه اي فوجدتم
الخلف في وعدي لكم بالعود بعد الاربعين وهو لا يناسب الترتيب على الترديد ولا على
الشق الذي يليه ولا جوابهم له قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا بان ملكنا امرنا اذ لو
خلينا وامرنا ولم يسول لنا السامري لما اخلفناه وقرا نافع وعاصم بملكنا بالفتح وحمزة
والكسائي بالضم وثلثتها في الاصل لغات في مصدر ملكت الشيء ولكنا حملنا اوزارا من
زينة القوم احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر
باسم العرس وقيل استعاروا لعيد كان لهم ثم لم يردوا عند الخروج مخافة ان يعلموا به وقيل هي ما القاه
البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوه ولعلهم سموها اوزارا لانها اثام فان الغنائم لم تكن
تحل بعد ولانهم كانوا مستامنين وليس للمستامن ان ياخذ مال الحربي فقذفناها اي في النار
فكذلك القى السامري اي ما كان معه منها فعلوا وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر
وروح حملنا بالفتح والتخفيف فاخرج لهم عجلا جسدا من تلك الحلي المذابة له خوار صوت
العجل فقالوا يعني السامري ومن افتتن به اول ما راوه هذا الهكم واله موسى فنسي اي
فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطور او فنسي السامري اي ترك ما كان عليه من اظهار الايمان
افلا يرون الا يرجع اليهم قولا انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم
جوابا وقرئ يرجع بالنصب وفيه ضعف لان الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين ولا يملك
لهم ضرا ولا نفعا ولا يقدر على انفاعهم واضرارهم ولقد قال لهم هرون من قبل
من قبل رجوع موسى او قول السامري كانه اول ما وقع عليه بصره حين طلع من الحفرة
توهم ذلك وبادر الى تحذيرهم يا قوم انما فتنتم به بالعجل وان ربكم الرحمن
لا غيره فاتبعوني واطيعوا امري في الثبات على الدين قالوا لن نبرح عليه على العجل
وعبادته عاكفين مقيمين حتى يرجع الينا موسى وهذا الجواب يؤيد الاول قال يا هرون
اي قال له موسى لما رجع ما منعك اذ رايتهم ضلوا بعبادة العجل الا تتبعني

اي تتبعني في الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به وان لا مزيدة او ما منعك ان تتبعني وتلحقني ولا مزيدة كما في قوله
ما منعك ان لا تسجد افعصيت امري بالصلابة في الدين والمحاماة عليه قال يا ابن ام خص الام
استعطافا وترقيقا وقيل لانه كان من الام والجمهور على انهما كانا من اب وام لا تاخذ بلحيتي
ولا برأسي ولا بشعر رأسي قبض عليهما يجره من شدة غيظه وفرط غضبه لله وكان عليه السلام
حديدا خشنا متصلبا في كل شيء فلم يتمالك حين راهم يعبدون العجل ولم ترقب قولي حين قلت
اخلفني في قومي واصلح فان الاصلاح كان في حفظ الدهماء والمداراة بهم الى ان ترجع اليهم
فتدارك الامر برأيك قال فما خطبك يا سامري اي ثم اقبل عليه وقال له منكرا ما خطبك اي
ما طلبك وما الذي حملك عليه وهو مصدر خطب الشيء اذا طلبه قال بصرت بما لم يبصروا به
وقرا حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب اي علمت بما لم تعلموه وفطنت لما لم تفطنوا له وهو
ان الرسول الذي جاءك روحاني محض لا يمس اثره شيئا الا احياه او رايت ما لم تروه وهو ان جبريل
عليه السلام جاءك على فرس الحياة قيل انما عرفه لان امه القته حين ولدته خوفا من فرعون وكان
جبريل يغذيه حتى استقل فقبضت قبضة من اثر الرسول من تربة موطئه والقبضة المرة
من القبض واطلق على المقبوض كضرب الامير وقرئ بالصاد والاول للاخذ بجميع الكف والثاني
للاخذ باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم والرسول جبريل ولعله لم يسمه لانه لم يعرف
انه جبريل او اراد ان ينبه على الوقت وهو حين ارسل اليه ليذهب به الى الطور فنبذتها
في الحلي المذابة او في جوف العجل حتى حيي وكذلك سولت لي نفسي زينته وحسنته لي قال
فاذهب فان لك في الحياة عقوبة على ما فعلت ان تقول لا مساس خوفا ان يمسك احد فتاخذك
الحمى ومن مسك فتحامى الناس ويحاموك وتكون طريدا وحيدا كالوحشي النافر وقرئ لا مساس
كفجار وهو علم للمسة وان لك موعدا في الآخرة لن تخلفه لن يخلفكه الله وينجزه لك بعد
ما عاقبك في الدنيا وقرا ابن كثير والبصريان بكسر اللام اي لن تخلف الواعد اياه وسيأتيك لا محالة
فحذف المفعول الاول لان المقصود هو الموعد ويجوز ان يكون من اخلفت الموعد اذا وجدته
خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا ظلت على عبادته
مقيما فحذف اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء على نقل حركة اللام اليها لنحرقنه اي بالنار
ويؤيده قراءة لنحرقنه او بالمبرد او مبرودا وقرئ بضم السين في اليم نسفا فلا يصادف
منه شيء والمقصود من ذلك زيادة عقوبته واظهار غباوة المفتتنين به لمن له ادنى نظر
انما الهكم المستحق لعبادتكم الله الذي لا اله الا هو اذ لا احد يماثله ويدانيه في كمال العلم
والقدرة وسع كل شيء علما وسع علمه كل ما يصح ان يعلم لا العجل الذي يصاغ ويحرق وان كان
حيا في نفسه كان مثلا في الغباوة وقرئ وسّع فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه وان
انتصب على التمييز في المشهورة لكنه فاعل في المعنى فلما عدي الفعل بالتضعيف الى
المفعولين صار مفعولا كذلك مثل ذلك الاقتصاص يعني اقتصاص قصة موسى نقص عليك من
انباء ما قد سبق من اخبار الامور الماضية والامم الدارجة تبصرة لك وزيادة في علمك وتكثيرا

لمعجزاتك وتنبيها وتذكيرا للمستبصرين من امتك وقد آتيناك من لدنا ذكرا كتابا مشتملا على
هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار والتنكير فيه للتعظيم وقيل ذكرا جميلا
وصيتا عظيما بين الناس من اعرض عنه عن الذكر وهو القرآن الجامع لوجوه السعادة والنجاة
وقيل عن الله فانه يحمل يوم القيامة وزرا عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه سماها
وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض
ظهره او وزرا اي اثما عظيما خالدين فيه في الوزر او في حمله والجمع فيه والتوحيد في اعرض للحمل
على المعنى واللفظ وساء لهم يوم القيامة حملا اي بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص
بالذم محذوف اي ساء حملا وزرهم واللام في لهم للبيان كما في هيت لك ولو جعلت ساء
بمعنى احزن والضمير الذي فيه للوزر اشكل امر اللام ونصب حملا ولم يفد مزيد معنى يوم ينفخ في
الصور وقرا ابو عمرو بالنون على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما له او للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة
على ان فيه ضمير الله او ضمير اسرافيل وان لم يجر ذكره لانه المشهور بذلك وقرئ في الصور وهو
جمع صورة وقد سبق بيان ذلك ونحشر المجرمين يومئذ وقرئ ويحشر المجرمون زرقا
زرق العيون وصفوا بذلك لان الزرقة اسوأ الوان العين وابغضها الى العرب لان الروم
كانوا اعدى اعدائهم وهم زرق ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق
العين او عميا فان حدقة الاعمى تزرق يتخافتون بينهم يخفضون اصواتهم لما يملأ
صدورهم من الرعب والهول والخفت خفض الصوت واخفاؤه ان لبثتم الا عشرا اي في
الدنيا يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم مدة الآخرة او لتأسفهم عليها
لما عاينوا الشدائد وعلموا انهم استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار واتباع الشهوات
او في القبر لقوله ويوم تقوم الساعة الى آخر الآيات نحن اعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم اذ يقول
امثلهم طريقة اعدلهم رأيا او عملا ان لبثتم الا يوما استرجاح لقول من يكون اشد
تقالا منهم ويسألونك عن الجبال عن مآل امرها وقد سأل عنه رجل من ثقيف فقل
ينسفها ربي نسفا يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها فيذرها فيذر
مقارها او الارض واضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها كقوله ما ترك على ظهرها من دابة
قاعا خاليا صفصفا مستويا كأن اجزاءها على صف واحد لا ترى فيها عوجا ولا امتا
اعوجاجا ولا نتوا ان تأملت فيها بالمقياس الهندسي وثلاثتها احوال مترتبة فالاولان
باعتبار الاحساس والثالث باعتبار المقياس ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو يخص المعاني والامت
هو النتوء اليسير وقيل لا ترى استئناف مبين للحالين يومئذ اي يوم اذ نسفت على
اضافة اليوم الى وقت النسف ويجوز ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيامة يتبعون الداعي
داعي الله الى المحشر قيل هو اسرافيل يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل اوب
الى صوبه لا عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت الاصوات للرحمن اي
خضعت لمهابته فلا تسمع الا همسا صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل و[illegible]

عنق اقدامهم وتقلها الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن الاستثنا
من الشفاعة اي لا تنفع الشفاعة الا من اذن او من اعم المفاعيل اي الا من اذن في ان يشفع له فان الشفاعة
تنفعه فمن على الاول مرفوع بالبدلية وعلى الثاني منصوب على المفعولية واذن يحتمل ان يكون من الاذن
او من الاذن ورضي له قولا اي ورضي لمكانه عند الله قوله في الشفاعة او رضي لاجله قول
الشافع في شانه او قوله لاجله وفي شانه يعلم ما بين ايديهم ما تقدمهم من الاحوال وما
خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه ولا يحيطون به علما ولا يحيط علمهم بمعلوماته
وقيل بذاته وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لم يعلموا جميع ذلك ولا تفصيل
ما علموا منه وعنت الوجوه للحي القيوم ذلت وخضعت له خضوع العناة وهم الاسارى
في يد الملك القهار وظاهرها يقتضي العموم ويجوز ان يراد بها وجوه المجرمين فيكون اللام بدل
الاضافة ويؤيده وقد خاب من حمل ظلما وهو يحتمل الحال والاستيناف لبيان ما لاجله
عنت وجوههم ومن يعمل من الصالحات بعض الطاعات وهو مؤمن اذ الايمان شرط
في صحة الطاعات وقبول الخيرات فلا يخاف ظلما منع ثواب مستحق بالوعد ولا هضما
منه بنقصان او جزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه وقرئ فلا يخف
على النهي وكذلك عطف على كذلك نقص اي مثل ذلك الانزال او مثل انزال هذه الآيات المتضمنة
للوعيد انزلناه قرآنا عربيا كله على هذه الوتيرة وصرفنا فيه من الوعيد مكررين فيه آيات الوعيد
لعلهم يتقون المعاصي فتصير التقوى لهم ملكة او يحدث لهم ذكرا عظة
واعتبارا حين يسمعونها فيثبطهم عنها ولهذه النكتة اسند التقوى اليهم والاحداث
الى القرآن فتعالى الله في ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين ولا يماثل كلامه كلامهم كما
لا يماثل ذاته ذاتهم الملك النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده
الحق في ملكوته يستحقه لذاته او الثابت في ذاته وصفاته ولا تعجل بالقرآن من
قبل ان يقضى اليك وحيه نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي من جبريل عليه السلام ومساوقته
في القراءة حتى يتم وحيه تبعا لما ذكر الانزال على سبيل الاستطراد وقيل نهي عن تبليغ ما
كان مجملا قبل ان ياتي بيانه ولقد عهدنا الى آدم ولقد امرناه يقال تقدم الملك اليه
واوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه اذا امره واللام جواب قسم محذوف وانما عطف
قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة على ان اساس بني آدم على العصيان وعرقه
راسخ في النسيان من قبل من قبل هذا الزمان فنسي العهد ولم يعن به حتى غفل عنه او ترك
ما وصي به من الاحتراز عن الشجرة ولم نجد له عزما تصميم رأي وثباتا على الامر اذ لو كان
ذا عزيمة وتصلب لم يزله الشيطان ولم يستطع تغريره ولعل ذلك كان في بدو امره قبل
ان جرب الامور وذاق شريها واريها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو وزنت احلام بني آدم
بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب لانه اخطا ولم يتعمد
ولم نجد ان كان من الوجود الذي بمعنى العلم فله عزما مفعولاه وان كان من الوجود المناقض للعدم

فله حال

فله حال من عزما او متعلق بنجد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم مقدر باذكر اي اذكر حاله
في ذلك الوقت ليتبين لك انه نسي ولم يكن من اولي العزيمة والثبات فسجدوا الا ابليس
قد سبق القول فيه ابى جملة مستانفة لبيان ما منعه من السجود وهو الاستكبار وعلى هذا
لا يقدر له مفعول مثل السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا لان معناه اظهر الاباء عن المطاوعة
فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما فلا يكونن سببا لاخراجكما
والمراد نهيهما عن ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما من الجنة فتشقى
افرده باسناد الشقاء اليه بعد اشراكهما في الخروج اكتفاء باستلزام شقائه شقاها
من حيث انه قيم عليها ومحافظة على الفواصل او لان المراد بالشقاء التعب في طلب
المعاش وذلك وظيفة الرجال ويؤيده قوله ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك
لا تظمأ فيها ولا تضحى فانه بيان وتذكير لما له في الجنة من اسباب الكفاية واقطاب
الكفاف التي هي الشبع والري والكسوة والكن مستغنيا عن اكتسابها والسعي في
تحصيل اعواض ما عسى ان ينقطع ويزول منها بذكر نقائضها ليطرق سمعه باصناف
الشقوة المحذر منها والعاطف وان ناب عن ان لكنه من حيث انه عامل لا من
حيث انه حرف تحقيق فلا يمتنع دخوله على ان امتناع دخول ان عليه فوسوس اليه الشيطان
فانهى اليه وسوسته قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد الشجرة التي من اكل منها خلد
ولم يمت اصلا فاضافها الى الخلد وهو الخلود لانها سببه بزعمه وملك لا يبلى لا يزول
ولا يضعف فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق
الجنة اخذا يلزقان الورق على سوآتهما للتستر وهو ورق التين وعصى آدم ربه فغوى
فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد باكل الشجرة او عن المامور به او عن الرشد
حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوي من غوي الفصيل اذا اتخم من اللبن وفي
النعي عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم للزلة وزجر بليغ لاولاده عنها
ثم اجتباه ربه اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق له من جبى الي كذا فاجتبيته
مثل جليت على العروس فاجتليتها واصل الكلمة الجمع فتاب عليه فقبل توبته وهدى
الى الثبات على التوبة والتشبث باسباب العصمة قال اهبطا منها جميعا
الخطاب لآدم وحوا او له ولابليس ولما كانا اصل الذرية خاطبهما مخاطبتهم فقال
بعضكم لبعض عدو لامر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب او لاختلال
حال كل من النوعين بواسطة الآخر ويؤيد الاول قوله فاما ياتينكم مني هدى كتاب
ورسول فمن اتبع هداي فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ومن اعرض عن ذكري
عن الهدى الذاكر لي والداعي الى عبادتي فان له معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصف به
ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان مجامع همته ومطامح
نظره تكون الى اعراض الدنيا متهالكا على ازديادها خائفا على انتقاصها بخلاف المؤمن

الطالب للآخرة مع انه تعالى قد يضيق بشؤم الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال وضربت
عليهم الذلة والمسكنة ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا
الآيات وقيل هو الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب القبر ونحشره وقرئ بسكون الهاء
على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة لانه جواب الشرط يوم القيامة أعمى
البصر او القلب ويؤيد الاول قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا وقد
امالهما حمزة والكسائي لان الالف منقلبة من الياء وفرق ابو عمرو بان الاولى راس الآية ومحل
الوقف فهو جدير بالتغيير قال كذلك اي مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال
أتتك آياتنا واضحة نيرة فنسيتها فعميت عنها وتركتها غير منظور اليها وكذلك
ومثل تركك اياها اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب وكذلك نجزي من أسرف بالانهماك
في الشهوات والاعراض عن الآيات ولم يؤمن بآيات ربه بل كذبها وخالفها ولعذاب
الآخرة وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار اي والنار بعد ذلك أشد وأبقى من ضنك
العيش او منه ومن العمى ولعله اذا دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله او مما فعله من
ترك الآيات والكفر كم أهلكنا قبلهم من القرون اي اهلاكنا اياهم والجملة بمضمونها
والفعل على الاولين معلق يجري مجرى اعلم ويدل عليه القراءة بالنون يمشون في
مساكنهم ويشاهدون آثار هلاكهم إن في ذلك لآيات لأولي النهى لذوي العقول
الناهية عن التغافل والتعامي ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة بتأخير عذاب
هذه الامة الى الآخرة لكان لزاما لكان مثل ما نزل بعاد وثمود لازما لهؤلاء الكفرة
وهو مصدر وصف به او اسم آلة سمي به اللازم لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم وأجل
مسمى عطف على كلمة اي ولولا العدة بتأخير العذاب واجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم وهو يوم
القيامة او يوم بدر لكان العذاب لزاما والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب
ويجوز عطفه على المستكن في كان اي كان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين له فاصبر على ما يقولون
وسبح بحمد ربك وصل وانت حامد لربك على هدايته وتوفيقه او نزهه عن الشرك وسائر
ما يضيفون اليه من النقائص حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا بانه المولى للنعم كلها قبل
طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لانهما في آخر النهار او العصر وحده
ومن آناء الليل ومن ساعاته جمع إني بالكسر والقصر وآناء بالفتح والمد فسبح يعني المغرب والعشاء
وانما قدم زمان الليل لاختصاصه بمزيد الفضل فان القلب فيه اجمع والنفس اميل
الى الاستراحة فكانت العبادة فيه احمز ولذلك قال الله تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطأ
واقوم قيلا وأطراف النهار تكرير لصلاتي الصبح والمغرب ارادة الاختصاص ومجيئه بلفظ
الجمع لأمن الالتباس كقوله ظهراهما مثل ظهور الترسين او امر بصلاة الظهر فانه
نهاية النصف الاول من النهار وبداية النصف الاخير وجمعه باعتبار النصفين او لان
النهار جنس او بالتطوع في اجزاء النهار لعلك ترضى متعلق بسبح اي سبح في هذه الاوقات

طمعا ان تنال عند الله ما به ترضى نفسك وقرأ الكسائي وابو بكر بالبناء للمفعول اي يرضيك ربك
ولا تمدن عينيك اي نظر عينيك الى ما متعنا به استحسانا له وتمنيا ان يكون لك مثله
أزواجا منهم اصنافا من الكفرة ويجوز ان يكون حالا من الضمير في به والمفعول منهم اي الى الذي متعنا به
وهو اصناف بعضهم وناسا منهم زهرة الحياة الدنيا منصوب بمحذوف دل عليه متعنا او به
لتضمينه معنى اعطينا او بالبدل من محل به او من ازواجا بتقدير مضاف ودونه او بالذم وهي الزينة
والبهجة وقرأ يعقوب بالفتح وهي لغة كالجهرة في الجهرة او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهروا الدنيا
لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد لنفتنهم فيه لنبلوهم ونختبرهم
فيه او لنعذبهم في الآخرة بسببه ورزق ربك وما ادخره لك في الآخرة او ما رزقك من الهدى
والنبوة خير مما منحهم في الدنيا وأبقى فانه لا ينقطع وأمر أهلك بالصلاة أمره بان يأمر اهل
بيته او التابعين له من امته بالصلاة بعدما امره بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم
ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة واصطبر عليها وداوم عليها
لا نسألك رزقا ان ترزق نفسك ولا اهلك نحن نرزقك واياهم ففرغ بالك لامر الآخرة
والعاقبة المحمودة للتقوى لذوي التقوى وروي انه عليه السلام اذا اصاب اهله ضر امرهم
بالصلاة وتلا هذه الآية وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه بآية تدل على صدقه في ادعاء النبوة او بآية
مقترحة انكارا لما جاء به من الآيات او للاعتداد به تعنتا وعنادا فالزمهم باتيانه بالقرآن
الذي هو ام المعجزات واعظمها وابقاها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من العلم
والعمل على وجه خارق للعادة ولا شك ان العلم اصل العمل واعلى منه قدرا وابقى اثرا فكذا ما
كان من هذا القبيل ونبههم ايضا على وجه ابين من وجوه اعجازه المختصة بهذا الباب أولم تأتهم
بينة ما في الصحف الأولى من التوراة والانجيل وسائر الكتب السماوية فان اشتماله على زبدة
ما فيها من العقائد والاحكام الكلية مع ان الآتي بها امي لم يرها ولم يتعلم ممن علمها اعجاز بين وفيه
اشعار بانه كما يدل على نبوته برهان لما تقدمه من الكتب من حيث انه معجز وتلك ليست كذلك
بل مفتقرة الى ما يشهد على صحتها وقرأ نافع وابو عمرو وحفص عن عاصم او لم تأتهم بالتاء وقرئ
الصحف بالتخفيف ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله من قبل محمد عليه السلام او البينة والتذكير
لانها في معنى البرهان او المراد بها القرآن لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك
من قبل أن نذل بالقتل والسبي في الدنيا ونخزى بدخول النار يوم القيامة وقد قرئ بالبناء للمفعول
قل كل اي كل واحد منا ومنكم متربص منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم فتربصوا وقد قرئ فتمتعوا
فستعلمون من أصحاب الصراط السوي المستقيم وقرئ السواء اي الوسط الجيد والسوء والسوأى
اي الشر والسوي وهو تصغيره ومن اهتدى من الضلالة ومن في الموضعين للاستفهام ومحلها
الرفع بالابتداء ويجوز ان تكون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد فتكون
معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب
او على الصراط على ان المراد به النبي عليه السلام عن النبي عليه السلام من قرأ سورة طه اعطي يوم القيامة ثواب

بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم بالإضافة

الى ما مضى او عند الله لقوله انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وقوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون او لان كل ما هو آت قريب وانما البعيد ما انقرض ومضى واللام صلة لاقترب او تاكيد للاضافة واصله اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم وخص الناس بالكفار لتقييدهم بقوله وهم في غفلة معرضون اي في غفلة من الحساب معرضون عن التفكر فيه وهما خبران للضمير ويجوز ان يكون الظرف حالا من المستكن في معرضون ما يأتيهم من ذكر ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة من ربهم صفة لذكر او صلة ليأتيهم محدث تنزيله ليكرر على اسماعهم التنبيه كي يتعظوا وقرئ بالرفع حملا على المحل الا استمعوه وهم يلعبون يستهزؤن به ويستسخرون منه لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب وهم يلعبون حال من الواو وكذلك لاهية قلوبهم اي استمعوه جامعين بين الاستهزاء والتلهي والذهول عن التفكر فيه ويجوز ان يكون من واو يلعبون وقرئت بالرفع على انه خبر آخر للضمير واسروا النجوى بالغوا في اخفائها او جعلوها بحيث خفي تناجيهم بها الذين ظلموا بدل من واو واسروا للايماء بانهم ظالمون فيما اسروا به او فاعل له والواو لعلامة الجمع او مبتدا والجملة المتقدمة خبره واصله وهؤلاء اسروا النجوى فوضع الموصول موضعه تسجيلا على فعلهم بانه ظلم او منصوب على الذم هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون باسره في موضع النصب بدلا من النجوى او مفعولا لقول مقدر كانهم استدلوا بكونه بشرا على كذبه في ادعاء الرسالة لاعتقادهم ان الرسول لا يكون الا ملكا واستلزموا منه ان ما جاء به من الخوارق كالقرآن سحر فانكروا حضوره وانما اسروا به تشاورا في استنباط ما يهدم امره ويظهر فساده للناس عامة قل ربي يعلم القول في السماء والارض جهرا كان او سرا فضلا عما اسروا به وهو آكد من قوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض ولذلك اختير هاهنا وليطابق قوله واسروا النجوى وقرأ حمزة والكسائي وحفص قال على الاخبار عن الرسول وهو السميع العليم فلا يخفى عليه ما يسرون ولا ما يضمرون بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط الاحلام ثم الى انه كلام افتراه ثم الى انه قول شاعر والظاهر ان بل الاولى لتمام حكاية والابتداء باخرى او للاضراب عن تحاورهم في شان الرسول وما ظهر عليه من الآيات الى تقاولهم في امر القرآن والثانية والثالثة لاضرابهم عن كونه اباطيل خيلت اليه وخلطت عليه الى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء نفسه ثم الى انه كلام شعري يخيل الى السامع معاني لا حقيقة لها ويجوز ان يكون الكل من الله تنزيلا لاقوالهم في درج الفساد لان كونه شعرا ابعد من كونه مفترى لانه مشحون بالحقائق والحكم وليس

فيه ما يناسب قول الشعراء وهو من كونه احلاما لانه مشتمل على مغيبات كثيرة طابقت الواقع والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الاحلام ولانهم جربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نيفا واربعين سنة وما سمعوا كذبا قط وهو من كونه سحرا لانه يجانسه من حيث انهما من الخوارق فليأتنا بآية كما ارسل الاولون اي كما ارسل به الاولون مثل اليد البيضاء والعصا وابراء الاكمه واحياء الموتى وصحة التشبيه من حيث ان الارسال يتضمن الاتيان بالآية ما آمنت قبلهم من قرية من اهل قرية اهلكناها باقتراح الآيات لما جاءتهم افهم يؤمنون لو جئتهم بها وهم اعتى منهم وفيه تنبيه على ان عدم الاتيان بالمقترح للابقاء عليهم اذ لو اتي به لم يؤمنوا استوجبوا عذاب الاستئصال كمن قبلهم وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم فامرهم ان يسألوا اهل الكتاب عن حال الرسل المتقدمة ليزول عنهم الشبهة والاحالة اليهم اما للالزام فان المشركين كانوا يشاورونهم في امر النبي عليه السلام ويثقون بقولهم او لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم وان كانوا كفارا وقرأ حفص نوحي بالنون وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين نفي لما اعتقدوا انها من خواص الملك عن الرسل تحقيقا لانهم كانوا ابشارا امثالهم وقيل جواب لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام وما كانوا خالدين تأكيد وتقرير له فان التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤدي الى الفناء وتوحيد الجسد لارادة الجنس او لانه مصدر في الاصل او على حذف المضاف او تأويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون ولذلك لا يطلق على الماء والهواء ومنه الجساد للزعفران وقيل جسم ذو تركيب لان اصله لجمع الشيء واشتداده ثم صدقناهم الوعد اي في الوعد فانجيناهم ومن نشاء يعني المؤمنين بهم ومن في ابقائه حكمة كمن سيؤمن هو او واحد من ذريته ولذلك حميت العرب من عذاب الاستئصال واهلكنا المسرفين في الكفر والمعاصي لقد انزلنا اليكم كتابا يعني القرآن فيه ذكركم صيتكم لقوله وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق افلا تعقلون فتؤمنون وكم قصمنا من قرية واردة من غضب عظيم لان القصم كسر يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم كانت ظالمة صفة لاهلها وصفت بها لما اقيمت مقامه وانشأنا بعدها بعد هلاك اهلها قوما آخرين مكانهم فلما احسوا بأسنا فلما ادركوا شدة عذابنا ادراك المشاهد المحسوس والضمير للاهل المحذوف اذا هم منها يركضون يهربون مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم من فرط اسراعهم لا تركضوا على ارادة القول اي قيل لهم استهزاء لا تركضوا اما بلسان الحال او المقال والقائل ملك او من ثم من المؤمنين وارجعوا الى ما اترفتم فيه من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة ومساكنكم التي كانت لكم لعلكم تسألون غدا عن اعمالكم او تعذبون فان السؤال من مقدمات العذاب او تقصدون للسؤال والتشاور في المهام والنوازل

قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين لما رأوا العذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم وقيل
إن أهل حضورا من قرى اليمن بعث إليهم نبي فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر فوضع السيف
فيهم فنادى منادٍ من السماء يا لثارات الأنبياء فندموا وقالوا ذلك فما زالت تلك دعواهم
فما زالوا يرددون ذلك وإنما سماه دعوى فإن المولول كأنه يدعو الويل ويقول يا ويل تعال
فهذا أوانك وكل من تلك ودعواهم يحتمل الاسمية والخبرية حتى جعلناهم حصيدا مثل الحصيد
وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع خامدين ميتين وهو من خمدت النار وهو مع
حصيدا بمنزلة المفعول الثاني كقولك جعلته حلوا حامضا إذ المعنى وجعلناهم جامعين
لمماثلة الحصد والخمود أو صفة له أو حال من ضميره وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما
لاعبين وإنما خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرة للنظار وتذكرة لذوي
الاعتبار وتسبيبا لما ينتظم به أمور العباد في المعاش والمعاد فينبغي أن يتسلقوا بها
إلى تحصيل الكمال ولا يغتروا بزخارفها فإنها سريعة الزوال لو أردنا أن نتخذ لهوا
ما يتلهى به ويلعب لاتخذناه من لدنا من جهة قدرتنا أو من عندنا مما يليق بحضرتنا
من المجردات لا من الأجسام المرفوعة والأجرام المبسوطة كعادتكم في رفع السقوف
وتزويقها وتسوية الفروش وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة
والمراد الرد على النصارى إن كنا فاعلين ذلك ويدل عليه جوابه الجواب المتقدم
وقيل إن نافية والجملة كالنتيجة للشرطية بل نقذف بالحق على الباطل إضراب عن اتخاذ اللهو
وتنزيه لذاته عن اللعب بل من شأننا أن نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل
الذي هو من عداده اللهو فيدمغه فيمحقه وإنما استعار لذلك القذف وهو الرمي
البعيد المستلزم لصلابة المرمي والدمغ الذي هو كسر الدماغ بحيث يشق غشاءه المؤدي
إلى زهوق الروح تصويرا لإبطاله ومبالغة فيه وقرئ فيدمغه بالنصب كقوله
سأترك منزلي لبني تميم ... وألحق بالحجاز فأستريحا ... ووجهه مع بعده الحمل
على المعنى والعطف على الحق فإذا هو زاهق أي هالك والزهوق ذهاب الروح
وذكره لترشيح المجاز ولكم الويل مما تصفون مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وهو موضع
الحال وما مصدرية أو موصولة أو موصوفة وله من في السموات والأرض خلقا وملكا ومن
عنده يعني الملائكة المنزلين لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك وهو معطوف على من
في السموات وإفراده للتعظيم أو لأنه أعم منه من وجه أو المراد به نوع من الملائكة متعال
عن التبوء في السماء والأرض أو مبتدأ خبره لا يستكبرون عن عبادته لا يتعظمون عنها
ولا يستحسرون ولا يعيون عنها وإنما جيء بالاستحسار الذي هو أبلغ من الحسور تنبيها
على أن عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بأن يستحسر منها ولا يستحسرون يسبحون
الليل والنهار ينزهونه ويعظمونه دائما لا يفترون حال من الواو في يسبحون وهو استئناف
أو حال من ضمير قبله أم اتخذوا آلهة بل اتخذوا والهمزة لإنكار اتخاذهم من الأرض صفة

للالهة

للالهة أو متعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون التخصيص هم ينشرون
الموتى وهم وإن لم يصرحوا به لكن يلزم ادعاؤهم لها الإلهية فإن من لوازمها الاقتدار
على جميع الممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم وللمبالغة في ذلك زيد الضمير الموهم
لاختصاص الإنشار بهم لو كان فيهما آلهة إلا الله غير الله وصف بإلا لما تعذر الاستثناء
لعدم شمول ما قبلها لما بعدها ودلالته على ملازمة الفساد لكون الآلهة فيهما دونه
والمراد ملازمته لكونها مطلقا أو معه حملا لها على غير كما استثني بغير حملا عليها ولا يجوز
الرفع على البدل لأنه متفرع على الاستثناء ومشروط بأن يكون في كلام غير موجب لفسدتا لبطلتا
لما يكون بينهما من الاختلاف والتمانع فإنها إن توافقت في المراد تطاردت عليه القدر
وإن تخالفت فيه تعاوقت عنه فسبحان الله رب العرش المحيط بجميع الأجسام الذي
هو محل التدابير ومنشأ المقادير عما يصفون من اتخاذ الشريك والصاحبة
والولد لا يسأل عما يفعل لعظمته وقوة سلطانه وتفرده بالألوهية والسلطنة الذاتية
وهم يسألون لأنهم مملوكون مستعبدون والضمير للآلهة أو للعباد أم اتخذوا من دونه
آلهة كرره استعظاما لكفرهم واستفظاعا لأمرهم وتبكيتا وإظهارا لجهلهم أو ضما
لإنكار ما يكون لهم سندا من النقل إلى إنكار ما يكون لهم دليلا
من العقل على معنى أوجدوا آلهة ينشرون الموتى فاتخذوهم آلهة لما وجدوا فيهم من
خواص الألوهية أو وجدوا في الكتب الإلهية الأمر بإشراكهم فاتخذوهم متابعة للأمر
ويعضد ذلك أنه على الأول رتب عليه ما يدل على فساده عقلا وعلى الثاني ما يدل على فساده نقلا
قل هاتوا برهانكم على ذلك إما من العقل أو من النقل فإنه لا يصح القول بما لا دليل عليه
كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا هذا ذكر من معي وذكر من قبلي من
الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها إلا الأمر بالتوحيد والنهي عن الإشراك
والتوحيد لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل وإنزال الكتب صح الاستدلال فيه
بالنقل ومن معي أمته ومن قبلي الأمم المتقدمة وإضافة الذكر إليهم لأنه عظتهم وقرئ
بالتنوين والإعمال وبه وبمن الجارة على أن مع اسم هو ظرف كقبل وبعد بل أكثرهم لا يعلمون الحق
ولا يميزون بينه وبين الباطل وقرئ الحق بالرفع على أنه خبر محذوف وسط للتأكيد بين
السبب والمسبب فهم معرضون عن التوحيد واتباع الرسول من أجل ذلك وما أرسلنا
من قبلك من رسول إلا يوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون تعميم بعد تخصيص فإن
ذكر من قبلي من حيث أنه خبر لاسم الإشارة مخصوص بالموجود بين أظهرهم وهو الكتب
الثلاثة وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله سبحانه
تنزيه له عن ذلك بل عباد بل هم عباد من حيث أنهم مخلوقون وليسوا بأولاد مكرمون
مقربون وفيه تنبيه على مدحض القوم وقرئ بالتشديد لا يسبقونه بالقول لا يقولون
شيئا حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين وأصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق

اليهم وجعل القول محله واداته تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله
ما لم يقله وانيب اللام عن الاضافة اختصارا وتجافيا عن تكرير الضمير وقرئ لا يسبقونه
بالضم من سابقته فسبقته اسبقه وهم بامره يعملون لا يعملون قط ما لم يامرهم به
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم لا يخفى عليه خافية مما قدموا واخروا وهو كالعلة لما قبله
والتمهيد لما بعده فانهم لاحاطته بذلك يضبطون انفسهم ويراقبون احوالهم ولا يشفعون
الا لمن ارتضى ان يشفع له مهابة منه وهم من خشيته عظامته ومهابته مشفقون مرتعدون
واصل الخشية الخوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق خوف مع اعتناء فان عدي
بمن فمعنى الخوف فيه اظهر وان عدي بعلى فبالعكس ومن يقل منهم من الملائكة او الخلائق
اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم يريد به نفي النبوة وادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد
المشركين بتهديد مدعي الربوبية كذلك نجزي الظالمين من ظلم بالاشراك وادعاء الربوبية
اولم ير الذين كفروا اولم يعلموا وقرا ابن كثير بغير واو ان السموات والارض كانتا رتقا
ذات رتق او مرتوقتين وهو الضم والالتئام والالتحام كانتا شيئا واحدا وحقيقة متحدة
ففتقناهما بالتنويع والتمييز او كانت السموات واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة
حتى صارت افلاكا وكانت الارضون واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها واحوالها طبقات
واقاليم وقيل كانتا بحيث لا فرجة بينهما ففرج وقيل كانتا رتقا لا تمطر ولا تنبت
ففتقناهما بالمطر والنبات فيكون المراد بالسموات سماء الدنيا وجمعها باعتبار الآفاق
او السموات باسرها على ان لها مدخلا ما في الامطار والكفرة وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون
من العلم به نظرا فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر واجب ابتداء او بوسط او استفسارا
من العلماء ومطالعة الكتب وانما قال كانتا ولم يقل كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض
وقرئ رتقا بالفتح على تقدير شيئا رتقا اي مرتوقا كالرفض بمعنى المرفوض وجعلنا من
الماء كل شيء حي وخلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه من
اعظم مواده ولفرط احتياجه اليه وانتفاعه به بعينه او صيرنا كل شيء حي بسبب من
الماء لا يحيى دونه وقرئ حيا على انه صفة كل ومفعول ثان والظرف لغو والشيء مخصوص
بالحيوان افلا يؤمنون مع ظهور الآيات وجعلنا في الارض رواسي ثابتات من رسا اذا
ثبت ان تميد بهم كراهة ان تميل بهم وتضطرب وقيل لان لا تميد فحذف لا
لامن الالتباس وجعلنا فيها في الارض او الرواسي فجاجا سبلا مسالك واسعة وانما
قدم فجاجا وهو وصف له ليصير حالا فيدل على انه حين خلقها خلقها كذلك او ليبدل
منها سبلا فيدل ضمنا على انه خلقها ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد لعلهم يهتدون
الى مصالحهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا عن الوقوع بقدرته او الفساد والانحلال
الى الوقت المعلوم بمشيئته او استراق السمع بالشهب وهم عن آياتها عن احوالها الدالة
على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهي حكمته التي يحس ببعضها ويبحث عن

بعضها في علم الطبيعة والهيئة معرضون غير متفكرين وهو الذي خلق الليل والنهار
والشمس والقمر بيان لبعض تلك الآيات كل في فلك اي كل واحد منهما والتنوين بدل المضاف
اليه والمراد بالفلك الجنس كقولهم كساهم الامير حلة يسبحون يسرعون على سطح الفلك
اسراع السابح على سطح الماء وهو خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها
لعدم اللبس والضمير لهما وانما جمع باعتبار المطالع وجعل واو العقلاء لان السباحة
فعلهم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون نزلت حين قالوا نتربص به
ريب المنون وفي معناه قوله شعر فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا
والفاء لتعلق الشرط بما قبله والهمزة لانكاره بعدما تقرر ذلك كل نفس ذائقة الموت
ذائقة مرارة مفارقتها جسدها وهو برهان على ما انكروه ونبلوكم ونعاملكم معاملة
المختبر بالشر والخير بالبلايا والنعم فتنة ابتلاء مصدر من غير لفظه والينا ترجعون
فنجازيكم حسب ما وجد منكم من الصبر والشكر وفيه ايماء بان المقصود من هذه الحياة الا
والتعرض للثواب والعقاب تقريرا لما سبق واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا
ما يتخذونك الا مهزوا به ويقولون اهذا الذي يذكر آلهتكم اي يقولون ذلك وانما اطلق
لدلالة الحال فان ذكر العدو لا يكون الا بسوء وهم بذكر الرحمن بالتوحيد او بارشاد الخلق
ببعث الرسل وانزال الكتب رحمة عليهم او بالقرآن هم كافرون منكرون فهم احق ان
يهزأ بهم وتكرير الضمير للتاكيد والتخصيص ولحيلولة الصلة بينه وبين الخبر خلق الانسان
من عجل كانه خلق منه مبالغة في لزومه له ولذلك قيل انه على القلب ومن عجلته مبادرته
الى الكفر واستعجال الوعيد روي انها نزلت في النضر بن الحارث حين استعجل ساوريكم
آياتي نقماتي في الدنيا كوقعة بدر وفي الآخرة عذاب النار فلا تستعجلون بالاتيان بها والنهي
عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها ويقولون متى هذا الوعد وقت وعد العذاب
او يوم القيامة ان كنتم صادقين يعنون النبي واصحابه لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون
عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون محذوف الجواب وحين مفعول يعلم اي
لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون منه بقولهم متى هذا الوعد وهو حين تحيط بهم النار من كل
جانب بحيث لا يقدرون على دفعها ولا يجدون ناصرا يمنعها لما استعجلوا ويجوز ان يترك
مفعول يعلم ويضمر لحين فعل بمعنى لو كان لهم علم لما استعجلوا يعلمون بطلان ما عليهم
حين لا يكفون وانما وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ما اوجب لهم ذلك بل تاتيهم
العدة او النار او الساعة بغتة فجاة مصدر او حال وقرئ بفتح الغين فتبهتهم فتغلبهم
او تحيرهم وقرئ الفعلان بالياء والضمير للوعد او الحين وكذا في قوله فلا يستطيعون
ردها لان الوعد بمعنى النار او العدة والحين بمعنى الساعة ويجوز ان يكون للنار او
البغتة ولا هم ينظرون يمهلون وفيه تذكير بامهالهم في الدنيا ولقد استهزئ
برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون

وعد له بان ما يفعلونه يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا يعني جزاءه قل
للمستهزئين من يكلؤكم يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن من باسه ان اراد بكم وفي لفظ الرحمن
تنبيه على ان لا كالئ غير رحمته العامة وان اندفاعه بمهلته بل هم عن ذكر ربهم معرضون
لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا باسه حتى اذا كلئوا منه عرفوا الكالئ وصلحوا للسؤال
ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا بل الهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا او من عذاب يكون
من عندنا والاضرابان عن الامر بالسؤال على الترتيب فانه عن المعرض الغافل عن الشيء بعيد وعن
المعتقد لنقيضه ابعد لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون استئناف
بابطال ما اعتقدوه فان ما لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من الله كيف ينصر غيره
بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر اضراب عما توهموا ببيان ما هو الداعي الى
حفظهم وهو الاستدراج والتمتيع بما قدر لهم من الاعمار او عن الدلالة على بطلانه
ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحياة الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم
فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وانه بسبب ما هم عليه ولذلك عقبه بما يدل على انه امل كاذب
فقال أفلا يرون انا نأتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بتسليط المسلمين
عليها وهو تصوير لما يجريه الله تعالى على ايدي المسلمين أفهم الغالبون رسول الله والمؤمنين
قل انما انذركم بالوحي بما يوحى الي ولا يسمع الصم الدعاء بما اوحي الي وقرأ ابن عامر
ولا تسمع على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ بالياء على ان فيه ضميره وانما سماهم الصم
ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على تصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون اذا ما ينذرون
منصوب بيسمع او بالدعاء والتقييد به لان الكلام في الانذار او للمبالغة في تصامهم
وتجاسرهم ولئن مستهم نفحة ادنى شيء وفيه مبالغات ذكر المس وما في النفحة من معنى القلة
فان اصل النفح هبوب رائحة الشيء والبناء الدال على المرة من عذاب ربك من الذي ينذرون
به ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين لدعوا على انفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم ونضع
الموازين القسط العدل يوزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد
الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال وافراد القسط لانه مصدر وصف به للمبالغة ليوم القيامة
لجزاء يوم القيامة او لاهله او فيه كقولك جئت لخمس خلون من الشهر فلا تظلم نفس شيئا من حقه
او من الظلم وان كان مثقال حبة من خردل اي وان كان العمل او الظلم مقدار حبة ورفع
نافع مثقال على كان التامة اتينا بها احضرناها وقرئ آتينا بها بمعنى جازينا بها من
الايتاء فانه قريب من اعطينا او من المؤاتاة فانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء واثبنا
من الثواب وجئنا والضمير للمثقال وتانيثه لاضافته الى الحبة وكفى بنا حاسبين اذ
لا مزيد على علمنا وعدلنا ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين اي
الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به في ظلمة الحيرة والجهالة
وذكرا يتعظ به المتقون او ذكر ما يحتاجون اليه من الشرائع وقيل الفرقان النصر وقيل فلق

البحر وقرئ ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان الذين يخشون ربهم صفة للمتقين او مدح
لهم منصوب او مرفوع بالغيب حال من الفاعل او المفعول وهم من الساعة مشفقون
خائفون وفي تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض وهذا ذكر يعني القرآن
مبارك كثير خيره انزلناه على محمد صلى الله عليه وسلم أفانتم له منكرون استفهام توبيخ ولقد
آتينا ابراهيم رشده الاهتداء لوجوه الصلاح واضافته ليدل على انه رشد مثله وان له
شأنا وقرئ رشده وهو لغة من قبل من قبل موسى وهارون او محمد عليهم السلام وقيل من قبل استنبائه
او بلوغه حين قال اني وجهت وكنا به عالمين علمنا انه اهل لما آتيناه او جامع لمحاسن الاوصاف
ومكارم الاخلاق وفيه اشارة الى انه تعالى مختار في افعاله وانه عالم بالجزئيات اذ قال لابيه
وقومه متعلق بآتينا او برشده او بمحذوف اي اذكر من اوقات رشده وقت قوله ما هذه التماثيل
التي انتم لها عاكفون تحقير لشأنها وتوبيخ على اجلالها فان التمثال صورة لا روح فيها
لا تضر ولا تنفع واللام للاختصاص لا للتعدية فان تعدية العكوف بعلى والمعنى انتم
فاعلون العكوف لها او تأويل لـ على او تضمين العكوف معنى العبادة قالوا وجدنا آباءنا
لها عابدين فقلدناهم وهو جواب عما لزم الاستفهام من السؤال عما اقتضى عبادتها وحملهم
عليها قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على عاقل
لعدم استناد الفريقين الى دليل والتقليد ان جاز فانما يجوز لمن علم في الجملة انه على حق قالوا أجئتنا
بالحق ام انت من اللاعبين كأنهم لاستبعادهم تضليل آبائهم ظنوا ان ما قاله انما قاله على وجه
الملاعبة فقالوا ابجد تقوله ام تلعب قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن
اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وهن للسموات والارض او للتماثيل وهو
ادخل في تضليلهم والزام الحجة عليهم وانا على ذلكم من الشاهدين من المتحققين
والمبرهنين عليه فان الشاهد من تحقق الشيء وحققه وتالله وقرئ بالباء وهي الاصل والتاء بدل من
الواو المبدلة منها وفيها تعجب لاكيدن اصنامكم لاجتهدن في كسرها ولفظ الكيد وما في التاء
من التعجب لصعوبة الامر وتوقفه على نوع من الحيل بعد ان تولوا مدبرين الى عيدكم ولعله قال
ذلك سرا فجعلهم جذاذا قطاعا فعال بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو القطع وقرأ الكسائي
بالكسر وهو لغة او جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ وجذذا
جمع جذة الا كبيرا لهم للاصنام كسر غيره واستبقاه وجعل الفأس على عنقه لعلهم اليه
يرجعون لانه غلب على ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لتفرده واشتهاره بعداوة آلهتهم فيحاجهم
بقوله بل فعله كبيرهم فيحجهم او انهم يرجعون الى الكبير فيسألونه عن كاسرها اذ من شأن
المعبود ان يرجع اليه في حل العقد فيبكتهم بذلك او الى الله تعالى اي يرجعون الى توحيده عند
تحققهم عجز آلهتهم قالوا حين رجعوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين بجرأته على
الآلهة الحقيقية بالاعظام او بافراطه في حطمها او بتوريط نفسه للهلاك قالوا سمعنا فتى
يذكرهم يعيبهم فلعله فعله ويذكر ثاني مفعولي سمع او صفة لفتى مصححة لان يتعلق به السمع

ولعله ابلغ في نسبة الذكر اليه يقال له ابراهيم هو ابراهيم فيجوز رفعه بالفعل لان المراد به الاسم التي
قالوا فأتوا به على أعين الناس مرئيا منهم بحيث يتمكن صورته في اعينهم تمكن الراكب على المركوب
لعلهم يشهدون بفعله او قوله او يحضرون عقوبتنا له قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا
يا إبراهيم حين احضروه قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون اسند
الفعل اليه تجوزا لان غيظه لما رأى من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته اياه او تقريرا
لنفسه مع الاستهزاء والتبكيت على اسلوب تعريضي كما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبته
بخط رشيق أأنت كتبت هذا فقلت بل كتبته او حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه وقيل انه في المعنى
متعلق بقوله ان كانوا ينطقون وما بينهما اعتراض او الى ضمير فتى او ابراهيم وقوله كبيرهم هو
هذا مبتدأ وخبر ولذلك وقف على فعله وما روي انه عليه السلام قال لابراهيم ثلث كذبات
تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورته فرجعوا إلى أنفسهم وراجعوا عقولهم
فقالوا فقال بعضهم لبعض إنكم أنتم الظالمون بهذا السؤال او بعبادة ما لا ينطق ولا يضر
ولا ينفع لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين ثم نكسوا على رؤوسهم انقلبوا الى المجادلة
بعدما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشيء مستعليا على اعلاه
وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا اي نكسوا انفسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف
تأمرنا بسؤالها وهو على ارادة القول قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم
انكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم بانها جمادات لا تنفع ولا تضر فانه ينافي الالوهية أف
لكم ولما تعبدون من دون الله تضجر منه على اصرارهم بالباطل وأف صوت المتضجر ومعناه
قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف له أفلا تعقلون قبح صنيعكم قالوا اخذوا في المضارة
لما عجزوا عن المحاجة حرقوه فان النار اهول ما يعاقب به وانصروا آلهتكم بالانتقام لها إن كنتم
فاعلين ان كنتم ناصرين لها نصرا مؤزرا والقائل فيهم رجل من اكراد فارس اسمه هيون خسف
به الارض وقيل نمرود قلنا يا نار كوني بردا وسلاما ذات برد وسلام اي ابردي بردا غير ضار
وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطيعة واقامة كوني ذات برد مقام ابردي
ثم حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله اي وسلمنا سلاما
عليه روي انهم بنوا حظيرة بكوثى وجمعوا فيها نارا عظيمة ثم وضعوه في المنجنيق مغلولا
فرموا به فيها فقال له جبريل هل لك حاجة فقال اما اليك فلا فقال فسل ربك فقال حسبي من
سؤالي علمه بحالي فجعل الله ببركة قوله الحظيرة روضة ولم يحترق منه الا وثاقه
فاطلع عليه نمرود من الصرح فقال اني مقرب الى الهك فذبح اربعة آلاف بقرة وكف
عن ابراهيم وكان اذ ذاك ابن ستة عشر سنة وانقلاب النار هواء طيبة ليس ببدع
غير ان الله هكذا على خلاف المعتاد فهو اذن من معجزاته وقيل كانت النار بحالها لكنه تعالى
دفع عنه اذيتها كما ترى في السمندل ويشعر به قوله على ابراهيم وأرادوا به كيدا مكرا
في اضراره فجعلناهم الأخسرين اخسر من كل خاسر عاد سعيهم برهانا قاطعا على انهم

على الباطل وابراهيم على الحق وموجبا لمزيد درجته واستحقاقهم اشد العذاب ونجيناه
ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين اي من العراق الى الشام وبركاته العامة ان
اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادي الكمالات والخيرات
الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روي انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة
وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة عطية وهي حال منهما
او ولد ولد او زيادة على ما سأل وهو اسحاق فتختص بيعقوب ولا بأس به للقرينة وكلا
يعني الاربعة جعلنا صالحين بان وفقناهم للصلاح وحملناهم عليه فصاروا كاملين
وجعلناهم أئمة يقتدى بهم يهدون الناس الى الحق بأمرنا لهم بذلك وارسالنا اياهم
حتى صاروا مكملين وأوحينا إليهم فعل الخيرات ليحثهم عليه فيتم كمالهم بانضمام
العمل الى العلم واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذا قوله
وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وهو من عطف الخاص على العام للتفضيل وحذف تاء الاقامة
المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامه وكانوا لنا عابدين موحدين
مخلصين في العبادة ولذلك قدم الصلة ولوطا آتيناه حكما حكمة او نبوة او فصلا
بين الخصوم وعلما بما ينبغي علمه للانبياء ونجيناه من القرية قرية سدوم التي كانت
تعمل الخبائث يعني اللواطة وصفها بصفة اهلها واسندها اليها على حذف المضاف واقامة
مقامه ويدل عليه إنهم كانوا قوم سوء فاسقين فانه كالتعليل له وأدخلناه في رحمتنا
في اهل رحمتنا او في جنتنا إنه من الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى ونوحا
إذ نادى اذ دعا الله على قومه بالهلاك من قبل من قبل المذكورين فاستجبنا له دعاءه
فنجيناه وأهله من الكرب العظيم من الطوفان او اذى قومه والكرب الغم الشديد
ونصرناه مطاوع انتصر اي جعلناه منتصرا من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء
فأغرقناهم أجمعين لاجتماع الامرين تكذيب الحق والانهماك في الشر ولم يجتمعا في
قوم الا واهلكهم الله وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث في الزرع وقيل في كرم تدلت
عناقيده إذ نفشت فيه غنم القوم رعته ليلا وكنا لحكمهم شاهدين لحكم الحاكمين
والمتحاكمين عالمين ففهمناها سليمان الضمير للحكومة او الفتوى وقرئ فافهمناها روي ان
داود حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بهما
بدفع الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بألبانها واولادها واشعارها والحرث الى ارباب الغنم
يقومون عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادان ولعلهما قالا اجتهادا والاول نظير قول ابي حنيفة
في العبد الجاني والثاني مثل قول الشافعي بغرم الحيلولة للعبد المغصوب اذا ابق وحكمه في شرعنا
عند الشافعي وجوب ضمان المتلف بالليل اذ المعتاد ضبط الدواب ليلا ولذلك قضى النبي صلى الله عليه وسلم
لما دخلت ناقة البراء حائطا وافسدته فقال على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها
بالليل وعند ابي حنيفة لا ضمان الا ان يكون معها حافظ لقوله صلى الله عليه وسلم جرح العجماء جبار

وكلا آتينا حكما وعلما على ان خطأ المجتهد لا يقدح فيه وقيل ان كل مجتهد مصيب وهو مخالف
مفهوم قوله تعالى ففهمناها ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله ففهمناها لاظهار ما تفضل
عليه في صغره وسخرنا مع داود الجبال يسبحن يقدسن الله معه اما بلسان الحال او بصوت يتمثل له
او يخلق الله فيها وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال او استيناف لبيان وجه التسخير ومع متعلقة
بسخرنا او بيسبحن والطير عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء او العطف على الضمير
على ضعف وكنا فاعلين لامثاله فليس ببدع منا وان كان عجيبا عندكم وعلمناه صنعة لبوس صنعة
الدرع وهو في الاصل اللباس قال البس لكل حالة لبوسها قيل كانت صفائح فحلقها وسردها لكم
متعلق بعلم او صفة للبوس لتحصنكم من بأسكم بدل منه بدل الاشتمال باعادة الجار والضمير لداود
او اللبوس وفي قراءة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة او اللبوس على تأويل الدرع وفي قراءة ابي بكر
ورويس بالنون لله عز وجل فهل انتم شاكرون ذلك امر اخرجه في صورة الاستفهام
للمبالغة او للتقريع ولسليمان الريح وسخرنا له ولعل اللام فيه دون الاول لان الخارق فيه
عائد الى سليمان نافع له وفي الاول امر يظهر في الجبال والطير مع داود وبالاضافة اليه عاصفة
شديدة الهبوب من حيث انها تبعد بكرسيه في مدة يسيرة كما قال غدوها شهر ورواحها شهر
وكانت رخاء في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب اراده تجري بامره
حال ثانية او بدل من الاولى او حال من ضميرها الى الارض التي باركنا فيها الى الشام رواحا بعد ما
سار منه بكرة وكنا بكل شيء عالمين فنجريه على ما تقتضيه الحكمة ومن الشياطين من يغوصون
في البحار ويخرجون نفائسه ومن عطف على الريح او مبتدأ خبره ما قبله وهي نكرة موصوفة
ويعملون عملا دون ذلك ويتجاوزون ذلك الى اعمال اخر كبناء المدن والقصور واختراع
الصنائع الغريبة كقوله يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وكنا لهم حافظين ان يزيغوا
عن امره او يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر بان
مسني الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه والضر بالفتح شايع في كل ضرر
وبالضم خاص بما في النفس كمرض وهزال وانت ارحم الراحمين وصف ربه بغاية الرحمة بعد ما ذكر
نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفا في السؤال وكان روميا من اولاد عيص بن
اسحاق استنبأه الله واكثر اهله وماله فابتلاه الله بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب
امواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلث عشرة سنة او سبعا او سبعة اشهر وسبع
ساعات روي ان امرأته ماخير بنت ميشا بن يوسف او رحمة بنت افراثيم بن يوسف قالت له
لو دعوت الله فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال استحي من الله ان ادعوه وما
بلغت مدة بلائي مدة رخائي فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر بالشفاء من مرضه
وآتيناه اهله ومثلهم معهم بان ولد له ضعف ما كان او احيي ولده وولد منهم نوافل رحمة من
عندنا وذكرى للعابدين رحمة على ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا
كما اثيب او لرحمتنا العابدين فانا نذكرهم بالاحسان ولا ننساهم واسمعيل وادريس وذا الكفل

يعني الياس وقيل يوشع وقيل زكريا سمي به لانه كان ذا حظ من الله او تكفل منه او ضعف عمل انبياء
زمانه وثوابهم والكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف كل من الصابرين على
مشاق التكاليف وشدائد النوب وادخلناهم في رحمتنا يعني النبوة او نعمة الآخرة
انهم من الصالحين الكاملين في الصلاح وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم عن كدر الفساد
وذا النون وصاحب الحوت يونس بن متى اذ ذهب مغاضبا لقومه لما برم بطول دعوتهم
وشدة شكيمتهم مهاجرا عنهم قبل ان يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب ولم يأتهم لميعادهم بتو
ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المبالغة او لانه اغضبهم بالمهاجرة
لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا فظن ان لن نقدر عليه لن نضيق عليه
او لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر ويعضده انه قرئ مثقلا او لن نعمل فيه قدرتنا
وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار
لامرنا او خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسميت ظنا للمبالغة وقرئ بالياء وقرئ يقدر
على البناء للمفعول وقرئ به مثقلا فنادى في الظلمات في الظلمة الشديدة المتكاثفة
او ظلمات بطن الحوت والبحر والليل ان لا اله الا انت بانه لا اله الا انت سبحانك ان
يعجزك شيء اني كنت من الظالمين لنفسي بالمبادرة الى المهاجرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من
مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له فاستجبنا له ونجيناه من الغم بان قذفه الحوت الى
الساحل بعد اربع ساعات كان في بطنه وقيل ثلثة ايام والغم غم الالتقام وقيل غم الخطيئة
وكذلك ننجي المؤمنين من غموم دعوا الله فيها بالاخلاص وفي الامام ننجي فلذلك اخفى الجماعة
النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم وقرأ ابن عامر وابو بكر بتشديد الجيم على ان اصله ننجي
فحذف النون الثانية كما حذف التاء الثانية في تظاهرون وهي وان كانت فاء فحذفها اوقع من حرف
المضارعة التي لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فان الداعي الى الحذف اجتماع
المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في تجافي لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول
اسند الى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا ورد بانه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضي
لا يسكن آخره وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وحيدا بلا ولد يرثني وانت
خير الوارثين فان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي به فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له
زوجه اي اصلحناها للولادة بعد عقرها او لزكريا بتحسين خلقها وكانت حردة انهم
يعني المتوالدين او المذكورين من الانبياء كانوا يسارعون في الخيرات يبادرون الى ابواب
الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا ذوي رغب ورهب او راغبين في الثواب راجين للاجابة او في
الطاعة وخائفين العقاب او المعصية وكانوا لنا خاشعين مخبتين او دائبين الوجل
والمعنى انهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال والتي احصنت فرجها من الحلال والحرام يعني مريم
فنفخنا فيها في عيسى فيها اي احييناه في جوفها وقيل فعلنا النفخ فيها من روحنا من
الروح الذي هو بامرنا وحده او من جهة روحنا يعني جبريل وجعلناها وابنها اي قصتهما

او جعلناهما ولذلك وحد قوله **آية للعالمين** فان من تأمل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالى **إن هذه أمتكم** ان ملة الاسلام ملتكم التي يجب ان تكونوا عليها فكونوا عليها **أمة واحدة** غير مختلفة فيما بين الانبياء او لا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع وقرئ امتكم بالنصب على البدل وامة بالرفع على الخبر وقرئ بالرفع على انهما خبران **وأنا ربكم** لا اله لكم غيري **فاعبدون** لا غير **وتقطعوا أمرهم بينهم** صرفه الى الغيبة التفاتا لينعى على الذين تفرقوا في الدين وجعلوا امره قطعا موزعة تقبيحا لفعلهم الى غيرهم **كل** من الفرق المتحزبة **إلينا راجعون** فنجازيهم **فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن** بالله ورسله **فلا كفران لسعيه** فلا تضييع لسعيه واستعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لاعطائه ونفي نفي الجنس للمبالغة **وإنا له** لسعيه **كاتبون** مثبتون في صحيفة عمله لا يضيع بوجه ما **وحرام على قرية** وممتنع على اهلها غير متصور منهم وقرا ابو بكر وحمزة والكسائي وحرم بكسر الحاء واسكان الراء وقرئ حرم **أهلكناها** حكمنا باهلاكها او وجدناها هالكة **أنهم لا يرجعون** رجوعهم الى التوبة او الحياة ولا صلة او عدم رجوعهم للجزاء وهو مبتدأ خبره حرام او فاعل له ساد مسد خبره او دليل عليه وتقديره توبتهم او حياتهم او عدم بعثهم او لانهم لا يرجعون ولا ينيبون وحرام خبر محذوف اي وحرام عليها ذلك وهو المذكور في الآية المتقدمة ويؤيده القراءة بالكسر وقيل حرام عزم وموجب عليهم انهم لا يرجعون **حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج** متعلق بحرام او بمحذوف دل عليه الكلام او بلا يرجعون اي يستمر الامتناع او الهلاك او عدم الرجوع الى قيام الساعة وظهور اماراتها وهو فتح سد يأجوج ومأجوج وهي حتى التي يحكى الكلام بعدها والمحكي هو الجملة الشرطية وقرا ابن عامر ويعقوب فتحت بالتشديد **وهم** يعني يأجوج ومأجوج او الناس كلهم **من كل حدب** نشز من الارض وقرئ كل جدث وهو القبر **ينسلون** يسرعون من نسلان الذئب وقرئ بضم السين **واقترب الوعد الحق** وهو يوم القيامة **فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا** جواب الشرط واذا للمفاجأة تسد مسد الفاء الجزائية كقوله اذا هم يقنطون فاذا جاءت معها تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد والضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار **يا ويلنا** مقدر بالقول واقع موقع الحال من الموصول **قد كنا في غفلة من هذا** لم نعلم انه حق **بل كنا ظالمين** لانفسنا بالاخلال بالنظر وعدم الاعتداد بالنذر **إنكم وما تعبدون من دون الله** يحتمل الاوثان وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم في حكم عبدتهم لما روي انه عليه الصلاة والسلام لما تلا الآية على المشركين قال له ابن الزبعرى قد خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا والمسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال عليه الصلاة والسلام بل عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وعلى هذا يعم الخطاب ويكون ما مؤولا بمن او بما يعمه ويدل عليه ما روي ان ابن الزبعرى قال هذا شيء لآلهتنا خاصة او لكل من عبد من دون الله فقال عليه الصلاة والسلام بل لكل من عبد من دون الله ويكون قوله ان الذين بيانا للتجوز او التخصيص متأخرا عن الخطاب

حصب جهنم ما يرمى به اليها وتهيج به من حصبه يحصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر **أنتم لها واردون** استئناف او بدل من حصب جهنم واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة على ان ورودهم لاجلها **لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها** لان المؤاخذ المعذب لا يكون الها **وكل فيها خالدون** لا خلاص لهم عنها **لهم فيها زفير** انين وتنفس شديد وهو من اضافة فعل البعض الى الكل للتغليب ان اريد بما يعبدون الاصنام **وهم فيها لا يسمعون** من الهول وشدة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم **إن الذين سبقت لهم منا الحسنى** الخصلة الحسنى وهي السعادة او التوفيق للطاعة او البشرى بالجنة **أولئك عنها مبعدون** لانهم يرفعون الى اعلى عليين روي ان عليا رضي الله عنه خطب وقرا هذه الآية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابن الجراح ثم اقيمت الصلاة فقام يجر رداءه ويقول **لا يسمعون حسيسها** بدل من مبعدون او حال من ضميره سيق للمبالغة في ابعادهم عنها والحسيس صوت يحس به **وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون** دائمون في غاية التنعم وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به **لا يحزنهم الفزع الأكبر** النفخة الاخيرة لقوله ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الارض او الانصراف الى النار او حين يطبق على النار او يذبح الموت **وتتلقاهم الملائكة** تستقبلهم مهنئين **هذا يومكم** هذا اليوم يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول **الذي كنتم توعدون** في الدنيا **يوم نطوي السماء** مقدر باذكر او ظرف لا يحزنهم او تتلقاهم او حال مقدرة من العائد المحذوف من توعدون والطي ضد النشر او المحو من قولك اطو عني هذا الحديث وذلك لانها نشرت مظلة لبني آدم فاذا انتقلوا قوضت عنهم وقرئ بالياء والتاء والبناء للمفعول **كطي السجل للكتاب** طيا كطي الطومار لاجل الكتابة او لما يكتب او كتب فيه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص على الجمع اي للمعاني الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل ملك يطوي كتب الاعمال اذا رفعت اليه او كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ السجل كالدلو والسجل كالعتل وهما لغتان فيه **كما بدأنا أول خلق نعيده** اي نعيد ما خلقناه مبتدأ اعادة مثل بدئنا اياه في كونهما ايجادا عن العدم او جمعا من الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على الابداء لشمول الامكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة القديمة لهما على السواء وما كافة او مصدرية واول مفعول لبدأنا او لفعل يفسره نعيد او موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اي نعيد مثل الذي بدأناه واول خلق ظرف لبدأنا او حال من ضمير الموصول المحذوف **وعدا** مقدر بفعله تأكيدا لنعيده او منتصب به لانه عدة بالاعادة **علينا** اي علينا انجازه **إنا كنا فاعلين** لا محالة **ولقد كتبنا في الزبور** كتاب داود **من بعد الذكر** اي التوراة وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة وبالذكر اللوح المحفوظ **أن الأرض** ارض الجنة او الارض المقدسة **يرثها عبادي الصالحون** يعني عامة المؤمنين او الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها او امة محمد صلى الله عليه وسلم **إن في هذا** اي فيما ذكر من الاخبار والو

لئلا غاً لكفاية او لسبب بلوغ البغية لقوم عابدين همهم العبادة دون العادة
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين لان ما بعثت به سبب لاسعادهم وموجب
لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفار امنهم به من الخسف والمسخ وعذاب
الاستيصال قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد اي ما يوحى الي الا انه لا اله الا الله
واحد وذلك لان المقصود الاصلي من بعثته مقصور على التوحيد فالاولى لقصر الحكم
على الشي والثانية لعكسه فهل انتم مسلمون مخلصون العبادة لله وقد عرفت ان
التوحيد مما يصح اثباته بالسمع فان تولوا عن التوحيد فقل اذنتكم اعلمتكم ما امرت
به او حربي لكم على سواء مستوين في الاعلام به او مستويا انا وانتم في العلم بما اعلمتكم به
او في المعاداة او ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم اني على سواء اي عدل واستقامة راي
بالبرهان النير وان ادري وما ادري اقريب ام بعيد ما توعدون من غلبة المسلمين
او الحشر لكنه كاين لا محالة انه يعلم الجهر من القول ما تجهرون به من الطعن في
الاسلام ويعلم ما تكتمون من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه وان ادري
لعله فتنة لكم وما ادري لعل تاخير جزايكم استدراج لكم او زيادة في افتتانكم
او امتحان لينظر كيف تعملون ومتاع الى حين وتمتع الى اجل مقدر تقتضيه مشيته
قل رب احكم بالحق اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضي لاستعجال العذاب
والتشديد عليهم وقرا حفص قال على حكاية قول رسول الله وقري رب بالضم واحكم
على بنا التفضيل واحكم من الاحكام وربنا الرحمن كثير الرحمة على خلقه المستعان المطلوب
منه المعونة على ما تصفون من الحال بان الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق
اياما ثم تسكن وان الموعد به لو كان حقا لنزل بهم فاجاب الله دعوة رسوله فخيب امانيهم
ونصر رسوله عليهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا
وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القران العظيم والكلام المجيد والله تعالى اعلم

سورة الحج مكية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة
تحريكها للاشيا على الاسناد المجازي او تحريك الاشيا فيها فاضيف اليها اضافة معنوية
بتقدير في او اضافة المصدر الى الظرف على اجرايه مجرى المفعول به وقيل هي زلزلة تكون
قبيل طلوع الشمس من مغربها واضافها الى الساعة لانها من اشراطها شي عظيم هايل
علل امره بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا انه لا يومنهم
سوى التدرع بلباس التقوى فيبقوا على انفسهم ويتقوها بملازمة التقوى يوم
ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت تصوير لهولها والضمير للزلزلة ويوم
منصوب بتذهل وقري تذهل وتذهل مجهولا ومعروفا اي تذهلها الزلزلة والذهول

الذهاب عن الامر بدهشة والمقصود الدلالة على ان هولها بحيث اذا دهشت التي القمت
الرضيع ثديها نزعته عن فيه وذهلت عنه وما موصولة او مصدرية وتضع كل ذات حمل حملها
جنينها وترى الناس سكارى كانهم سكارى وما هم بسكارى على الحقيقة ولكن عذاب الله
شديد فارهقهم هوله بحيث طير عقولهم واذهب تمييزهم وقري ترى من اريتك وانبتك
قايما بنصب الناس ورفعه على انه نايب الفاعل وتانيثه على تاويل الجماعة وافراده بعد
جمعه لان الزلزلة يراها الجميع واثر السكر انما يراه كل واحد على غيره وقرا حمزة والكسائي
سكرى كعطشى اجرا للسكر مجرى العلل ومن الناس من يجادل في الله بغير علم نزلت في النضر بن
الحارث وكان جدلا يقول الملايكة بنات الله والقران اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت وهي تعم
واضرابه ويتبع في المجادلة او في عامة احواله كل شيطان مريد متجرد للفساد واصله العري
كتب عليه على الشيطان انه من تولاه تبعه والضمير للشان فانه يضله خبر لمن او جواب
له والمعنى كتب عليه اضلال من تولاه لانه جبل عليه على تقدير فشانه انه يضله لا على العطف
فانه يكون بعد تمام الكلام وقري بالكسر في الموضعين على حكاية المكتوب او على اضمار
القول او تضمين الكتب معناه ويهديه الى عذاب السعير بالحمل على ما يودي اليه يا ايها الناس
ان كنتم في ريب من البعث من امكانه وكونه مقدورا وقري من البعث بالتحريك كالجلب
فانا خلقناكم اي فانظروا في بدء خلقكم من تراب اذ خلق ادم منه او الاغذية التي يتكون
منها المني ثم من نطفة مني من النطف وهو الصب ثم من علقة قطعة من الدم جامدة
ثم من مضغة قطعة من اللحم وهي في الاصل قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة مسواة لا نقص فيها ولا عيب
وغير مسواة او تامة او ساقطة او مصورة وغير مصورة لنبين لكم بهذا التدريج
قدرتنا وحكمتنا وان ما قبل التغير والفساد والتكون مرة قبلها اخرى وان من قدر
على تغييره وتصويره اولا قدر على ذلك ثانيا وحذف المفعول ايماء الى ان افعاله هذه
يتبين بها من قدرته وحكمته ما لا يحيط به الذكر ونقر في الارحام ما نشاء ان نقره
الى اجل مسمى هو وقت الوضع وادناه ستة اشهر واقصاه اربع سنين وقري ونقر
بالنصب وكذا قوله ثم نخرجكم طفلا عطفا على نبين كان خلقهم مدرجا لغرضين
تبيين القدرة وتقريرهم في الارحام حتى يولدوا ويبلغوا او يبلغوا حد التكليف وقري بالياء رفعا
ونصبا ويقر بالياء ونقر من قررت الماء اذا صببته وطفلا حال اجريت على كل واحد او الدلالة على الجنس
او لانه في الاصل مصدر ثم لتبلغوا اشدكم كمالكم في القوة والعقل جمع شدة كالانعم جمع النعمة
كانها شدة في الامور ومنكم من يتوفى عند بلوغ الاشد او قبله وقري يتوفى اي يتوفاه الله
ومنكم من يرد الى ارذل العمر الهرم والخرف وقري بسكون الميم لكيلا يعلم من بعد علم شيا
ليعود كهيئته الاولى في اوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر من عرفه
والاية استدلال ثان على امكان البعث بما يعتري الانسان في اسنانه من الامور المختلفة والاحوال
المتضادة فان من قدر على ذلك قدر على نظايره وترى الارض هامدة ميتة يابسة من همدت النار اذا

فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات وربت وانتفخت وقرئ ربأت اي ارتفعت
وانبتت من كل زوج من كل صنف بهيج حسن رائق وهذه دلالة ثالثة كررها الله تعالى في
كتابه لظهورها وكونها مشاهدة ذلك اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان في اطوار مختلفة
وتحويله على احوال متضادة واحياء الارض بعد موتها وهو مبتدأ خبره بان الله هو الحق اي بسبب انه
الثابت في نفسه الذي به تتحقق الاشياء وانه يحيي الموتى اي انه يقدر على احيائها والا لما احيا النطفة والارض الميتة
وانه على كل شيء قدير لان قدرته لذاته الذي نسبته الى الكل على سواء فلما دلت المشاهدة
على قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها وان الساعة آتية لا ريب فيها
فان التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه وان الله يبعث من في القبور بمقتضى وعده الذي
لا يقبل الخلف ومن الناس من يجادل في الله بغير علم تكرير للتاكيد ولما نيط به من الدلالة
بقوله ولا هدى ولا كتاب منير على انه لا سند له من استدلال او وحي او الاول في المقلدين
وهذا في المقلدين والمراد بالعلم العلم الفطري ليصح عطف الهدى والكتاب عليه
ثاني عطفه متكبرا وثني العطف كناية عن التكبر كلي الجيد او معرضا عن الحق
استخفافا به وقرئ بفتح العين على انه اعراضه عن الهدى المتمكن منه بالاقبال على
الجدال وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح العين اي مانع لعطفه ليضل عن سبيل الله
علة للجدال الباطل خروج من الهدى الى الضلال وانه من حيث انه مؤداه كالغرض له له في
الدنيا خزي وهو ما اصابه يوم بدر ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق المحرق وهو النار
ذلك بما قدمت يداك على الالتفات او ارادة القول اي يقال له يوم القيامة ذلك الخزي
والتعذيب بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي وان الله ليس بظلام للعبيد وانما هو
مجازيهم على اعمالهم والمبالغة لكثرة العبيد ومن الناس من يعبد الله على حرف على طرف
من الدين لا ثبات له فيه كالذي يكون على طرف الجيش فان احس بظفر قر والا فر فان اصابه خير
اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه روي انها نزلت في اعاريب قدموا المدينة
فكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر
ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر على خلافه
قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب فتشاءم
بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت خسر
الدنيا والآخرة بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب على الحال
والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع المضمر تنصيصا على خسرانه او على انه خبر محذوف
ذلك هو الخسران المبين اذ لا خسران مثله يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه
يعبد جمادا لا يضر بنفسه ولا ينفع ذلك هو الضلال البعيد عن المقصود مستعار من
ضلال من ابعد في التيه ضلالا يدعو لمن ضره بكونه معبودا لانه يوجب القتل في الدنيا
والعذاب في الآخرة اقرب من نفعه الذي يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل بها الى

الله واللام معلقة ليدعو من حيث انه بمعنى يزعم والزعم قول مع اعتقاد او داخلة على الجملة
الواقعة مقولا اجراء له مجرى يقول اي يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره به
او مستانفة على ان يدعو تكرير للاول ومن مبتدأ وخبره لبئس المولى الناصر ولبئس العشير
الصاحب ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار
ان الله يفعل ما يريد من اثابة الموحد الصالح وعقاب المشرك لا دافع له ولا مانع من كان
يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة كلام فيه اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله
في الدنيا والآخرة فمن كان يظن خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه وقيل المراد بالنصر الرزق
والضمير لمن فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فليستقص في ازالة غيظه او جزعه بان
يفعل كل ما يفعله الممتلئ غيظا او المبالغ جزعا حتى يمد حبلا الى سماء بيته فيختنق من قطع
اذا اختنق فان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه او فليمدد حبلا الى سماء الدنيا ثم ليقطع
به المسافة حتى يبلغ عنانه فيجتهد في دفع نصره وتحصيل رزقه وقرأ ورش وابو عمرو
وابن عامر ليقطع بكسر اللام فلينظر فليتصور في نفسه هل يذهبن كيده فعله ذلك
وسماه على الاول كيدا لانه منتهى ما يقدر عليه ما يغيظ غيظه او الذي يغيظه من نصر الله
وقيل نزلت في قوم مسلمين استبطؤا نصر الله لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين وكذلك ومثل ذلك
الانزال انزلناه انزلنا القرآن كله آيات بينات واضحات وان الله يهدي ولان الله يهدي
به او يثبت على الهدى من يريد هدايته او ثباته انزله كذلك مبينا ان الذين آمنوا والذين
هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة
بالحكومة بينهم واظهار المحق منهم عن المبطل والجزاء فيجازي كلا ما يليق به ويدخله المحل المعد له وانما دخلت
ان على كل واحد من طرفي الجملة لمزيد التاكيد ان الله على كل شيء شهيد عالم به مراقب لاحواله
الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض يتسخر لقدرته ولا يتأبى عن تدبيره
او يدل بذلته على عظمة مدبره ومن يجوز ان يعم اولي العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله
والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها
وقرئ والدواب بالتخفيف كراهة التضعيف او الجمع بين الساكنين وكثير من الناس عطف
عليها ان جوز اعمال اللفظ الواحد في كل واحد من مفهوميه واسناده باعتبار احدهما الى امر
وباعتبار الآخر الى آخر فان تخصيص الكثير يدل على خصوص المعنى المسند اليهم او مبتدأ خبره محذوف
دل عليه خبر قسيمه نحو حق له الثواب او فاعل فعل مضمر اي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة
وكثير حق عليه العذاب بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز ان يجعل وكثير تكريرا للاول
مبالغة في تكثير المحقوقين بالعذاب وان يعطف به على الساجدين بالمعنى العام موصوفا بما
بعده وقرئ حق بالضم وحقا باضمار فعله ومن يهن الله بالشقاوة فما له من مكرم يكرمه
بالسعادة وقرئ بالفتح بمعنى الاكرام ان الله يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة هذان
خصمان اي فوجان مختصمان ولذلك قال اختصموا حملا على المعنى ولو عكس جاز والمراد

بها المؤمنون والكافرون في ربهم في دينه او في ذاته وصفاته وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون
فقالت اليهود نحن احق بالله واقدم منكم وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا
فنزلت فالذين كفروا فصل لخصومتهم وهو المعني بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم
يوم القيامة قطعت لهم قدرت على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف ثياب من
نار نيران تحيط بهم احاطة الثياب يصب من فوق رؤسهم الحميم حال من الضمير
في لهم او خبر ثان والحميم الماء الحار يصهر به ما في بطونهم والجلود اي يؤثر من فرط
حرارته في باطنهم تأثيره في ظاهرهم فيذاب به احشاؤهم كما يذاب به جلودهم والجملة
حال من الحميم او من ضميرهم وقرئ بالتشديد ولهم مقامع من حديد سياط يجلدون
بها جمع مقمعة وحقيقتها ما يقمع به اي يكف بعنف كلما ارادوا ان يخرجوا منها
من النار من غم من غمومها بدل من الهاء باعادة الجار اعيدوا فيها اي فخرجوا اعيدوا
لان الاعادة لا تكون الا بعد الخروج وقيل يضربهم لهيب النار فيرفعهم الى اعلاها
فيضربون بالمقامع فيهوون فيها وذوقوا اي وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق اي
النار البالغة في الاحراق ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري
من تحتها الانهار غير الاسلوب فيه واسند الادخال الى الله تعالى واكده بان احمادا
لحال المؤمنين وتعظيما لشانهم يحلون فيها من حليت المرأة اذا لبست الحلي وقرئ بالتخفيف
والمعنى واحد من اساور صفة مفعول محذوف واساور جمع اسورة وهي جمع سوار
من ذهب بيان له ولؤلؤا عطف عليها لا على ذهب لانه لم يعهد السوار منه الا ان
يراد المرصعة به ونصبه نافع وعاصم عطفا على محلها او اضمار الناصب مثل ويؤتون
وروى حفص بهمزتين وترك ابو بكر والسوسي عن ابي عمرو الهمزة الاولى وقرئ
لؤلؤا بقلب الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم قلب الثانية ياء وليليا بقلبهما
ياءين ولول كادل ولباسهم فيها حرير غير اسلوب الكلام فيه للدلالة على ان الحرير
ثيابهم المعتادة او للمحافظة على هيئة الفواصل وهدوا الى الطيب من القول وهو
قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده او كلمة التوحيد وهدوا الى صراط الحميد المحمود نفسه
او عاقبته وهو الجنة او الحق او المستحق لذاته الحمد وهو الله تعالى وصراطه الاسلام ان الذين
كفروا ويصدون عن سبيل الله لا يريد به حالا ولا استقبالا وانما يريد استمرار الصد
منهم كقولهم فلان يعطي ويمنع ولذلك حسن عطفه على الماضي وقيل هو حال من فاعل كفروا
وخبر ان محذوف دل عليه اخر الاية اي معذبون والمسجد الحرام عطف على اسم الله تعالى
واوله الحنفية بمكة واستشهدوا بقوله الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد
اي المقيم والطارئ على عدم جواز بيع دورها واجارتها وهو مع ضعفه معارض بقوله
اخرجوا من ديارهم وشرى عمر رضي الله عنه دار السجن فيها من غير نكير خبر مقدم والجملة مفعول ثان
لجعلناه ويكون للناس حالا من الهاء والا فحال من المستكن فيه ونصبه حفص على انه المفعول

او الحال والعاكف مرتفع به وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس ومن يرد فيه مما ترك مفعوله
ليتناول كل متناول وقرئ بالفتح من الورود بالحاد عدول عن القصد بظلم بغير حق وهما
حالان مترادفان او الثاني بدل من الاول باعادة الجار او صلة له اي ملحدا بسبب الظلم كالاشراك
واقتراف الاثام نذقه من عذاب اليم جواب لمن واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت اي واذكر
اذ عيناه وجعلنا له مباءة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف اي واذ انزلناه فيه قيل رفع البيت
الى السماء وانطمس ايام الطوفان فاعلمه الله مكانه بريح ارسلها فكنست ما حوله فبناه على اسه
القديم ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود
ان مفسرة لبوأنا من حيث انه تضمن معنى تعبدنا لان التبوئة من اجل العبادة او مصدرية
موصولة بالنهي اي فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتي وتطهر بيتي من الاوثان والاقذار
لمن يطوف ويصلي فيه ولعله عبر عن الصلاة باركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل
باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء واذن في الناس ناد فيهم وقرئ واذن
بالحج بدعوة الحج والامر به روي انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه الله
من في اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه ان يحج وقيل
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر به في حجة الوداع يأتوك رجالا مشاة جمع راجل
كقائم وقيام وقرئ بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى وعلى كل ضامر اي وركبانا
على كل بعير مهزول اتعبه بعد السفر فهزله يأتين صفة لضامر محمولة على معناه وقرئ
يأتون صفة للرجال والركبان او استئناف فيكون الضمير للناس من كل فج طريق عميق اي
بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق ليشهدوا ليحضروا منافع لهم دينية
ودنيوية وتنكيرها لان المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة ويذكروا اسم الله
عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها [illegible] من المنافع وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين
لا ينفك عنه تنبيها على انه المقصود مما يتقرب به الى الله تعالى في ايام معلومات هي عشر
ذي الحجة وقيل ايام النحر على ما رزقهم من بهيمة الانعام علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة
تحريضا على التقرب وتنبيها على مقتضى الذكر فكلوا منها من لحومها امر بذلك اباحة وازاحة
لما عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او ندبا الى مواساة الفقراء ومساواتهم وهذا في
المتطوع به دون الواجب واطعموا البائس الذي اصابه بؤس اي شدة الفقير المحتاج والامر
فيه للوجوب وقد قيل به في الاول ثم ليقضوا تفثهم ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والاظفار
ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال وليوفوا نذورهم ما ينذرون من البر في حجهم وقيل
مواجب الحج وقرأ ابو بكر بفتح الواو وتشديد الفاء وليطوفوا طواف الركن الذي به تمام
التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق القديم
لانه اول بيت وضع للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه
فمنعه الله واما الحجاج فانما قصد اخراج ابن الزبير منه دون التسلط عليه ذلك

خبر محذوف اي الامر ذلك وهو وامثاله يطلق للفصل بين كلامين ومن يعظم حرمات الله
احكامه وسائر ما لا يحل هتكه او الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام
والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم فهو خير له فالتعظيم خير له عند ربه ثوابا واحلت لكم الانعام
الا ما يتلى عليكم الا المتلو عليكم تحريمه وهو ما حرم منها لعارض كالميتة وما اهل به لغير الله
فلا تحرموا منها غير ما حرمه الله كالبحيرة والسائبة فاجتنبوا الرجس من الاوثان فاجتنبوا
الرجس الذي هو الاوثان كما تجتنب الانجاس وهو غاية المبالغة في النهي عن تعظيمها
والتنفير عن عبادتها واجتنبوا قول الزور تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان رأس
الزور كانه لما حث على تعظيم الحرمات اتبعه ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر
والسوائب وتعظيم الاوثان والافتراء على الله بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روي
انه عليه الصلاة والسلام قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثلاثا وتلا هذه الاية والزور
من الزور وهو الانحراف كما ان الافك من الافك وهو الصرف فان الكذب منحرف مصروف
عن الواقع حنفاء لله مخلصين له غير مشركين به وهما حالان من الواو ومن يشرك بالله فكانما
خر من السماء لانه سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر فتخطفه الطير فان الاهواء المردية توزع
افكاره او تهوي به الريح في مكان سحيق بعيد فان الشيطان قد طوح به في الضلالة
واو للتخيير كما في قوله او كصيب او للتنويع فان من المشركين من لا خلاص له اصلا ومنهم من
يمكن خلاصه بالتوبة ولكن على بعد ويجوز ان يكون من التشبيهات المركبة فيكون المعنى ومن
يشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكا يشبه احد الهالكين وقرأ نافع فتخطفه بفتح الخاء
وتشديد الطاء ذلك ومن يعظم شعائر الله دين الله او فرائض الحج ومواضع نسكه او الهدايا
لانها من معالم الحج وهو اوفق لظاهر ما بعده وتعظيمها ان يختارها حسانا سمانا غالية
الاثمان روي انه عليه الصلاة والسلام اهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من
ذهب وان عمر اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فانها من تقوى القلوب فان
تعظيمها من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من وذكر القلوب
لانها منشأ التقوى والفجور والآمرة بهما لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق
اي لكم فيها منافع درها ونسلها وصوفها وظهرها الى ان تنحر ثم وقت نحرها منتهية الى
البيت اي ما يليه من الحرم وثم يحتمل التراخي في الوقت والتراخي في الرتبة اي لكم فيها
منافع دنيوية الى وقت النحر وبعده منافع دينية اعظم منها وهو على الاولين اما متصل
بحديث الانعام والضمير فيه لها والمراد على الاول لكم فيها منافع دينية تنتفعون بها
الى اجل مسمى هو الموت ثم محلها منتهية الى البيت الذي ترفع اليه الاعمال او يكون
فيه ثوابها وهو البيت المعمور او الجنة وعلى الثاني لكم فيها منافع دنيوية الى وقت
[illegible] التجارات في الاسواق الى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية الى الكعبة
بالاحلال بطواف الزيارة ولكل امة ولكل اهل دين جعلنا منسكا متعبدا او قربانا يتقربون

به الى الله وقرأ حمزة والكسائي بالكسر اي موضع نسك ليذكروا اسم الله دون غيره ويجعلوا نسكهم
لوجهه علل الجعل به تنبيها على ان المقصود من المناسك تذكر المعبود على ما رزقهم من بهيمة
الانعام عند ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان يجب ان يكون نعما فالهكم اله واحد فله
اسلموا اخلصوا التقرب او الذكر ولا تشوبوه بالاشراك وبشر المخبتين المتواضعين او المخلصين
فان الاخبات صفتهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم هيبة منه لاشراق اشعة جلاله
عليها والصابرين على ما اصابهم من الكلف والمصائب والمقيمي الصلاة في اوقاتها وقرئ
والمقيمين الصلاة على الاصل ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير والبدن جمع بدنة
كخشب وخشبة واصله الضم وقد قرئ به وانما سميت بها الابل لعظم بدنها ماخوذة
من بدن ولا يلزم من مشاركة البقر لها في اجزائها عن سبعة لقوله عليه السلام البدنة
عن سبعة والبقرة عن سبعة تناول اسم البدنة لها شرعا بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه
بفعل يفسره جعلناها لكم ومن رفعه جعله مبتدأ من شعائر الله من اعلام دينه التي شرعها الله
لكم فيها خير منافع دينية ودنياوية فاذكروا اسم الله عليها عند ذبحها الله اكبر لا اله
الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ
صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلاثة وطرف سنبك الرابعة لان البدنة تعقل احدى
يديها فتقوم على ثلاثة وصوافيا بابدال التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف وصوافي
اي خوالص لوجه الله وصواف على لغة من يسكن الياء مطلقا كقولهم اعط القوس باريها
فاذا وجبت جنوبها سقطت على الارض وهو كناية عن الموت فكلوا منها واطعموا القانع
الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسألة ويؤيده انه قرئ القنع او السائل من قنعت اليه
قنوعا اذا خضعت له في السؤال والمعتر والمعترض بالسؤال وقرئ والمعتري يقال عراه
واعتره واعتراه كذلك مثل ما وصفنا من نحرها قياما سخرناها لكم مع عظمها وقوتها
حتى تأخذوها منقادة فتعقلوها وتحبسوها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها
لعلكم تشكرون انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص لن ينال الله لن يصيب رضاه
ولن يقع منه موقع القبول لحومها المتصدق بها ولا دماؤها المهراقة بالنحر من حيث انها
لحوم ودماء ولكن يناله التقوى منكم ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم التي تدعوكم
الى تعظيم امر الله والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية اذا ذبحوا القرابين
لطخوا الكعبة بدمائها قربة الى الله فهم به المسلمون فنزلت كذلك سخرها لكم كرره تذكيرا
للنعمة وتعليلا له بقوله لتكبروا الله اي لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره
فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال او الذبح على ما هداكم ارشدكم الى طريق تسخيرها
والتقرب بها وما يحتمل المصدرية والخبرية وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر
وبشر المحسنين المخلصين فيما يأتونه ويذرونه ان الله يدافع عن الذين آمنوا غائلة المشركين
وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون يدافع اي يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه ان الله لا يحب

اساءة الله كفور للنعمة كمن يتقرب الى الاصنام بذبيحته فلا يرتضي فعلهم ولا ينصرهم أذن
رخص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي على البناء للفاعل وهو الله تعالى للذين يقاتلون المشركين
والمأذون فيه محذوف لدلالته عليه وقرأ نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء اي الذين يقاتلهم
المشركون بأنهم ظلموا بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب رسول الله كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه
من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم أومر بالقتال حتى هاجر
فانزلت وهي اول اية نزلت في القتال بعدما نهي عنه في نيف وسبعين اية وان الله على
نصرهم لقدير وعد لهم بالنصر كما وعد بدفع اذى الكفار عنهم الذين اخرجوا من ديارهم
يعني مكة بغير حق بغير موجب استحقوا به الا ان يقولوا ربنا الله على طريقة قول النابغة
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب وقيل منقطع ولولا دفع
الله الناس بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين لهدمت لخربت باستيلاء
المشركين على اهل الملل وقرئ دفاع ولهدمت بالتخفيف صوامع الرهبانية وبيع
وبيع النصارى وصلوات وكنائس اليهود وسميت بها لانها يصلى فيها وقيل اصلها صلوثا
بالعبرية فعربت ومساجد ومساجد المسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا صفة للاربع
او للمساجد خصت بها تفضيلا ولينصرن الله من ينصره من ينصر دينه وقد انجز
وعده بان سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرتهم
واورثهم ارضهم وديارهم ان الله لقوي على نصرهم عزيز فلا يمانعه شيء الذين ان مكناهم
في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وصف للذين اخرجوا
وهو ثناء قبل بلاء وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك غيرهم
من المهاجرين وقيل بدل ممن ينصره ولله عاقبة الامور فان مرجعها الى حكمه وفيه تأكيد
لما وعده وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم
لوط واصحاب مدين تسلية له بان قومه ان كذبوه فهو ليس باوحدي في التكذيب فان
هؤلاء قد كذبوا رسلهم قبل قومه وكذب موسى غير فيه النظم وبني الفعل للمفعول لان قومه
بنو اسرائيل ولم يكذبوه وانما كذبه القبط ولان تكذيبه كان اشنع وآياته كانت اعظم واشيع
فأمليت للكافرين فامهلتهم حتى انصرمت آجالهم المقدرة ثم اخذتهم فكيف كان نكير
انكاري عليهم بتغيير النعمة محنة والحياة هلاكا والعمارة خرابا فكأين من قرية اهلكناها
باهلاك اهلها وقرأ البصريان بغير لفظ التعظيم وهي ظالمة اي اهلها فهي خاوية على
عروشها ساقطة حيطانها على سقوفها بان تعطلت بنيانها فخرت سقوفها ثم
تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون
الجار متعلقا بخاوية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر اي هي خالية وهي على عروشها اي مظلة
عليها بان سقطت وبقيت الحيطان مائلة مشرفة عليها والجملة معطوفة على اهلكناها فان
رفعته بالابتداء فمحلها الرفع وبئر معطلة عطف على قرية اي وكم بئر عامرة في البوادي تركت

لا يستقى منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله وقصر مشيد مرفوع
او مجصص اخليناه عن ساكنيه وذلك يقوي ان معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء
عروشها وقيل المراد ببئر بئر في سفح جبل بحضرموت وبقصر قصر مشرف على قلته
كان لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله وعطلهما
افلم يسيروا في الارض حث لهم على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم
وان كانوا قد سافروا لم يسافروا لذلك فتكون لهم قلوب يعقلون بها ما يجب
ان يسمع من الوحي والتذكر بحال من شاهدوا آثارهم فانها اي الضمير للقصة او مبهم
يفسره الابصار وفي تعمى راجع اليه والظاهر اقيم مقامه لا تعمى الابصار ولكن تعمى
القلوب التي في الصدور عن الاعتبار اي ليس الخلل في مشاعرهم وانما ايفت عقولهم
باتباع الهوى والانهماك في التقليد وذكر الصدور للتأكيد ونفي التجوز وفضل
التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص البصر قيل لما نزلت ومن كان في
هذه اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في الدنيا اعمى افاكون في الآخرة اعمى فنزلت
ويستعجلونك بالعذاب المتوعد به ولن يخلف الله وعده لامتناع الخلف في خبره
فيصيبهم ما اوعدهم به ولو بعد حين لكنه صبور لا يعجل بالعقوبة وان يوما عند ربك
كالف سنة مما تعدون بيان لتناهي صبره وتأنيه حتى استقصر المدد الطوال او لتمادي
عذابه وطول ايامه حقيقة او من حيث ان ايام الشدائد مستطالة وقرأ ابن كثير وحمزة
والكسائي بالياء وكأين من قرية وكم من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه في الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل وانما عطف
الاولى بالفاء وهذه بالواو لان الاولى بدل عن قوله فكيف كان نكير وهذه في حكم ما تقدم
من الجملتين لبيان المتوعد به يحيق بهم لا محالة وان تأخر لعادته تعالى امليت لها
كما امهلتكم وهي ظالمة مثلكم ثم اخذتها بالعذاب والي المصير والى حكمي مرجع الجميع
قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين اوضح لكم ما انذركم به والاقتصار على الانذار
مع عموم الخطاب وذكر الفريقين لان صدر الكلام ومساقه للمشركين وانما ذكر المؤمنين
وثوابهم زيادة في غيظهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لما بدر منهم
ورزق كريم هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله والذين سعوا في
آياتنا بالرد والابطال معاجزين مسابقين مشاقين للساعين فيها بالقبول
والتحقيق من عاجزه واعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يطلب اعجاز
الآخر عن اللحاق به وقرأ ابن كثير وابو عمرو معجزين على انه حال مقدرة اولئك اصحاب
الجحيم النار الموقدة وقيل اسم دركة وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الرسول
من بعثه الله بشريعة مجددة يدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق
كانبياء بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى ولذلك شبه النبي عليه السلام علماء امته بهم

والنبي اعم من الرسول ويدل عليه انه عليه السلام سئل عن الانبيا فقال مائة الف وعشرون
الفا قيل فكم الرسل منهم فقال ثلثمائة وثلثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع الى
الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من ياتيه الملك
بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى اليه في المنام الا اذا تمنى اذا زور في نفسه ما يهواه القى
الشيطان في امنيته في تشهيه ما يوجب اشتغاله في الدنيا كما قال عليه السلام وانه
ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة فينسخ الله ما يلقي الشيطان
فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون اليه والارشاد الى ما يزيحه ثم يحكم الله
ثم يثبت اياته الداعية الى الاستغراق في امر الاخرة والله عليم باحوال الناس حكيم
فيما يفعله بهم قيل حدثت نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان
قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه
سورة النجم فاخذ يقراها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق
لسانه سهوا الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون
حتى شايعوه بالسجود لما سجد في اخرها بحيث لم يبق في المسجد مومن ولا مشرك الا
سجد ثم نبهه جبريل عليه السلام فاغتم به فعزاه الله بهذه الاية وهو مردود عند
المحققين وان صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى
قرا لقول الشاعر * تمنى كتاب الله اول مرة * تمنى داود الزبور على رسل *
وامنيته قراءته والقاء الشيطان فيها ان تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون
انه من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وقد رد بانه ايضا يخل بالوثوق على القران ولا يندفع
بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته لانه ايضا يحتمله والاية تدل على جواز
السهو على الانبيا وتطرق الوسوسة اليهم ليجعل ما يلقي الشيطان علة لتمكين الشيطان
منه وذلك يدل على ان الملقى امر ظاهر عرفه المحق والمبطل فتنة للذين في قلوبهم
مرض شك ونفاق والقاسية قلوبهم المشركين وان الظالمين يعني الفريقين
فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم لفي شقاق بعيد عن الحق او عن الرسول
والمومنين وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك ان القران هو الحق النازل من
عند الله او تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق الصادر من الله لانه مما جرت به عادته في
جنس الانس من لدن ادم فيؤمنوا به بالقران او بالله فتخبت له قلوبهم بالانقياد
والخشية وان الله لهاد الذين امنوا فيما اشكل الى صراط مستقيم وهو نظر صحيح
يوصلهم الى ما هو الحق فيه ولا يزال الذين كفروا في مرية في شك منه من القران او الرسول
او مما القى الشيطان في امنيته يقولون ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنها حتى تاتيهم الساعة
القيامة او اشراطها او الموت بغتة فجاة او ياتيهم عذاب يوم عقيم يوم حرب
يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان اولاد النسا يقتلون فيه فيصرن كالعقم او لان المقا

ابنا

ابنا الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما فوصف اليوم بوصفها اتساعا او لانه لا خير لهم فيه ومنه
الريح العقيم لما لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا او لانه لا مثل له لقتال الملائكة فيه او يوم
القيامة على ان المراد بالساعة غيره او على وضعه موضع ضميرها للتهويل
الملك يومئذ لله التنوين فيه ينوب عن الجملة التي دلت عليه الغاية اي يوم يزول
يحكم بينهم بالمجازاة والضمير يعم المومنين والكافرين لتفصيله بقوله فالذين امنوا
وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم
مهين وادخال الفا في خبر الثاني دون الاول تنبيه على ان اثابة المومنين بالجنات تفضل
الله وان عقاب الكافرين مسبب من اعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل هم في عذاب والذين
هاجروا في سبيل الله في الجهاد ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا الجنة ونعيمها
وانما سوى بين من قتل في الجهاد ومن مات حتف انفه في الوعد لاستوائهما في
القصد واصل العمل روي ان بعض اصحابه قالوا يا نبي الله هولاء الذين قتلوا قد علمنا
ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا فنزلت وان الله
لهو خير الرازقين فانه يرزق بغير حساب ليدخلنهم مدخلا يرضونه هو الجنة فيها ما
يحبونه وان الله لعليم باحوالهم واحوال معاديهم حليم لا يعاجل بالعقوبة ذلك
الامر ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ولم يزد في الاقتصاص وانما سمي الابتدا
بالعقاب الذي هو الجزا للازدواج او لانه سببه ثم بغي عليه بالمعاودة الى العقوبة
لينصرنه الله لا محالة ان الله لعفو غفور للمنتصر حيث اتبع هواه في الانتقام
واعرض عما ندب الله اليه بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وفيه تعريض
بالحث على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته وتعالي شانه لما كان يعفو ويغفر
فغيره بذلك اولى وتنبيه على انه قادر اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده
ذلك اي ذلك النصر بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل بسبب ان
الله قادر على تغليب بعض الامور على بعض جار عادته على المداولة بين الاشيا المتعاندة
ومن ذلك الايلاج احد الملوين في الاخر بان يزيد فيه ما ينقص منه او بتحصيل ظلمة الليل
في مكان ضوء النهار بتغييب الشمس وعكس ذلك باطلاعها وان الله سميع يسمع قول المعاقب
والمعاقب بصير يرى افعالهما فلا يهملهما ذلك الوصف بكمال القدرة والعلم بان
الله هو الحق الثابت في نفسه الواجب لذاته وحده فان وجوب وجوده ووحدته
يقتضيان ان يكون مبدا لكل ما يوجد سواه عالما بذاته وبما عداه او الثابت
الالهية ولا يصلح لها الا من كان قادرا عالما وان ما يدعون من دونه الها وقرا
ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر بالتا على مخاطبة المشركين وقرئ بالبنا للمفعول فتكون
الواو لما فانه في معنى الالهة هو الباطل المعدوم في حد ذاته او باطل الالوهية وان
الله هو العلي على الاشيا الكبير عن ان يكون له شريك لا شي اعلى منه شانا واكبر سلطانا الم تر ان

يتهم
عذاب
ندع
نب

ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء استفهام تقرير ولذلك رفع فتصبح الأرض مخضرة عطفا على أنزل إذ لو نصب
جوابا لدل على نفي الاخضرار كما في قولك ألم تر أني جئتك فتكرمني والمقصود إثباته وإنما
عدل به عن صيغة الماضي للدلالة على بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان إن الله لطيف يصل
علمه أو لطفه إلى كل ما جل ودق خبير بالتدابير الظاهرة والباطنة له ما في السموات وما في
الأرض خلقا وملكا وإن الله لهو الغني في ذاته عن كل شيء الحميد المستوجب للحمد بصفاته وأفعاله
ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض جعلها مذللة لكم معدة لمنافعكم والفلك عطف على ما أو
على اسم أن وقرئ بالرفع على الابتداء تجري في البحر بأمره حال منها أو خبر ويمسك السماء أن تقع
على الأرض من أن تقع أو كراهة أن تقع بأن خلقها على صورة متداعية إلى الاستمساك
إلا بإذنه إلا بمشيئته وذلك يوم القيامة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فإنها مساوية
لسائر الأجسام في الجسمية فتكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها إن الله بالناس لرؤوف
رحيم حيث هيأ لهم أسباب الاستدلال وفتح عليهم أبواب المنافع ودفع عنهم أبواب المضار
وهو الذي أحياكم بعد أن كنتم جمادا عناصر ونطفا ثم يميتكم إذا جاء أجلكم ثم يحييكم في الآخرة
إن الإنسان لكفور لجحود للنعم مع ظهورها لكل أمة أهل دين جعلنا منسكا متعبدا أو شريعة
تعبدوا بها وقيل عيدا هم ناسكوه ينسكونه فلا ينازعنك سائر أرباب الملل في الأمر
في أمر الدين أو النسائك لأنهم بين جهال وأهل عناد أو لأن أمر دينك أظهر من أن يقبل
النزاع وقيل المراد نهي الرسول عن الالتفات إلى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية
إلى نزاعهم فإنها إنما تنفع طالب الحق وهؤلاء أهل مراء أو عن منازعتهم كقولك لا يضاربك
زيد وهذا إنما يجوز في أفعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت في كفار خزاعة قالوا للمسلمين
ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله وقرئ فلا ينزعنك على تهييج الرسول والمبالغة
في تثبيته على دينه على أنه من نازعته فنزعته إذا غلبته وادع إلى ربك إلى توحيده وعبادته
إنك لعلى هدى مستقيم طريق إلى الحق سوي وإن جادلوك وقد ظهر الحق ولزمتهم الحجة فقل الله
أعلم بما تعملون من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها وهو وعيد فيه رفق الله يحكم بينكم
يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب والعقاب يوم القيامة كما فصل في الدنيا بالحجج والآيات
فيما كنتم فيه تختلفون من أمر الدين ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض فلا يخفى عليه شيء إن ذلك في
كتاب هو اللوح كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمنك أمرهم مع علمنا به وحفظنا له إن ذلك على الله
يسير لأن الإحاطة به وإثباته في اللوح والحكم بينكم على الله يسير لأن علمه مقتضى ذاته المتعلق
بكل المعلومات على سواء ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا حجة تدل على جواز عبادته
وما ليس لهم به علم حصل لهم من ضرورة العقل أو استدلال وما للظالمين وما للذين ارتكبوا
مثل هذا الظلم من نصير يقرر مذهبهم أو يدفع العذاب عنهم وإذا تتلى عليهم آياتنا من القرآن
بينات واضحات الدلالة على العقائد الحقة والأحكام الإلهية تعرف في وجوه الذين كفروا
المنكر لإنكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لأباطيل أخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة وللإشعار

بذلك

بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير أو ما مصدرية من الشر يكادون يسطون بالذين
يتلون عليهم آياتنا يثبون ويبطشون بهم قل أفأنبئكم بشر من ذلكم من غيظكم على التالين
وسطوتكم عليهم أو مما أصابكم من الضجر بسبب ما تلوا عليكم النار أي هو النار كأنه جواب سائل
قال ما هو ويجوز أن يكون مبتدأ خبرها وعدها الله الذين كفروا وقرئ بالنصب على الاختصاص
وبالجر بدلا من شر فتكون الجملة استئنافا كما لو رفعت خبرا أو حالا منها وبئس المصير النار يا أيها
الناس ضرب مثل بين لكم حال مستغربة أو قصة رائعة ولذلك سماها مثلا أو جعل لله مثل
أي مثل في استحقاق العبادة فاستمعوا له للمثل أو لشأنه استماع تدبر وتفكر إن الذين تدعون
من دون الله يعني الأصنام وقرأ يعقوب بالياء وقرئ به مبنيا للمفعول والراجع إلى الموصول
محذوف على الأولين لن يخلقوا ذبابا لا يقدرون على خلقه مع صغره لأن لن بما فيها من تأكيد
النفي دالة على منافاة بين المنفي والمنفي عنه والذباب من الذب لأنه يذب وجمعه أذبة وذبان
ولو اجتمعوا له بجوابه المقدر في موضع حال جيء به للمبالغة أي لا يقدرون على خلقه
مجتمعين له متعاونين عليه فكيف إذا كانوا منفردين وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه
منه جهلهم غاية التجهيل بأن أشركوا إلها قدر على المقدورات كلها وتفرد بإيجاد الموجودات
بأسرها تماثيل هي أعجز الأشياء وبين ذلك بأنها لا تقدر على خلق أقل الأحياء وأذلها
ولو اجتمعوا له بل لا يقوى على مقاومة هذا الأقل الأذل ويعجز عن ذبه عن نفسه واستنقاذ
ما يختطفه من عندها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الأبواب فيدخل
الذباب من الكوى فيأكله ضعف الطالب والمطلوب عابد الصنم ومعبوده أو الذباب يطلب
ما عن يسلب الصنم من الطيب والصنم يطلب الذباب منه السلب أو الصنم والذباب كأنه يطلبه
ليستنقذ منه ما يسلبه فلو حققت وجدت الصنم أضعف بدرجات ما قدروا الله
حق قدره ما عرفوه حق معرفته حيث أشركوا به إن الله لقوي على خلق الممكنات بأسرها
عزيز لا يغلبه شيء وآلهتهم التي يدعونها عجزة عن أقلها مقهورة من أذلها الله يصطفي
من الملائكة رسلا يتوسطون بينه وبين الأنبياء بالوحي ومن الناس يدعون سائرهم
إلى الحق ويبلغون إليهم ما نزل عليهم كأنه لما قرر وحدانيته في الألوهية ونفى أن يشاركه
غيره في صفاته بين أن له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل بإجابتهم والاقتداء بهم إلى
عبادة الله سبحانه وهو أعلى المراتب ومنتهى الدرجات لمن عداه من الموجودات تقريرا
للنبوة وتزييفا لقولهم ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى والملائكة بنات الله ونحو ذلك
إن الله سميع بصير مدرك للأشياء كلها يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم عالم بواقعها
ومترقبها وإلى الله ترجع الأمور وإليه مرجع الأمور كلها لأنه مالكها بالذات لا يسأل عما
يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسألون يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا في صلاتكم
أمرهم بها لأنهم ما كانوا يفعلونهما أول الإسلام أو صلوا وعبر عن الصلاة بهما لأنهما أعظم
أركانها أو اخضعوا لله وخروا له سجدا واعبدوا ربكم بسائر ما تعبدكم به وافعلوا الخير

وتحروا ما هو خير واصلح فيما تأتون وتذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم
الاخلاق لعلكم تفلحون اي افعلوا هذه كلها وانتم راجون الفلاح غير متيقنين له
واثقين على اعمالكم والاية آية سجدة عندنا لظاهر ما فيها من الامر بالسجود ولقوله عليه السلام
فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأها وجاهدوا في الله لله ومن اجله
اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عليه الصلاة والسلام
انه رجع عن غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر حق جهاده
اي جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم
واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا او لانه مختص بالله من حيث انه مفعول لوجهه ومن
اجله هو اجتباكم اختاركم لدينه ونصرته وفيه تنبيه على ان المقتضي للجهاد والداعي
اليه وفي قوله تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق بتكليف ما يشتد القيام
به عليكم اشارة الى انه مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه او الى الرخصة في اغفال بعض
ما امرهم حيث شق عليهم لقوله عليه السلام اذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم
وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم في المضايق وفتح عليهم باب التوبة
وشرع لهم الكفارات في حقوقه والاروش والديات في حقوق العباد ملة ابيكم
ابراهيم منتصبة على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف اي
وسع دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء او الاختصاص وانما جعله
اباهم لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه
سبب لحياتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الاخرة او لان اكثر
العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم هو سماكم المسلمين من قبل من قبل القرآن
في الكتب المتقدمة وفي هذا والضمير لله ويدل عليه انه قرئ الله سماكم او لابراهيم
وتسميتهم مسلمين في القرآن وان لم يكن منه كان بسبب تسميته من قبل في قوله ومن
ذريتنا امة مسلمة لك وقيل وفي هذا بيان لتسميته اياكم مسلمين ليكون الرسول
يوم القيامة متعلق بسماكم شهيدا عليكم بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه
اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع الله وعصيان من عصى وتكونوا شهداء على
الناس بتبليغ الرسل اليهم فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فتقربوا الى الله بانواع الطاعات
لما خصكم بهذا الفضل والشرف واعتصموا بالله وثقوا به في مجامع اموركم ولا تطلبوا
الاعانة والنصر الا منه هو مولاكم ناصركم ومتولي اموركم فنعم المولى ونعم النصير هو اذ
لا مثل له في الولاية والنصرة بل لا مولى ولا نصير سواه في الحقيقة عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الحج اعطي لحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

لم

بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المؤمنون قد فازوا بامانيهم
وقد تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه وتدل على ثباته اذا دخل الماضي ولذلك يقربه من الحال
ولما كان المؤمنون متوقعين ذلك من فضل الله صدرت بها بشارتهم وقرأ ورش عن نافع قد
افلح بالقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها وقرئ قد افلحوا على لغة اكلوني البراغيث او على الابهام
والتفسير وافلح اجتزاء بالضمة عن الواو وافلح على البناء للمفعول الذين هم في صلاتهم خاشعون
خائفون من الله متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم روي انه كان يصلي رافعا بصره
الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه رأى رجلا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب
هذا لخشعت جوارحه والذين هم عن اللغو عما لا يعنيهم من قول وفعل معرضون لما بهم من
الجد ما شغلهم عنه وهو ابلغ من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم
على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على
بعدهم عنه راسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان اصله ان يكون في عرض غير عرضه
وكذلك قوله والذين هم للزكاة فاعلون وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلاة
ليدل على انهم بلغوا الغاية في القيام على الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات
وسائر ما توجب المروءة اجتنابه والزكاة تقع على المعنى والعين والمراد الاول لان الفاعل
فاعل الحدث لا المحل الذي هو موقعه والثاني على تقدير مضاف والذين هم لفروجهم حافظون
لا يبذلونها الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم زوجاتهم او سرياتهم وعلى صلة
لحافظين من قولك احفظ على عنان فرسي او حال اي حفظوها في كافة الاحوال الا في حال
التزوج او التسري وانما قال ما اجراء للمماليك مجرى غير العقلاء اذ الملك اصل شايع فيه وافراد
ذلك بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو معرضون لان المباشرة اشهى الملاهي الى النفس واعظمها
فانهم غير ملومين الضمير لحافظون او لمن دل عليه الاستثناء اي فان بذلوها لازواجهم وامائهم
فانهم غير ملومين على ذلك فمن ابتغى وراء ذلك المستثنى فاولئك هم العادون الكاملون في
العدوان والذين هم لاماناتهم وعهدهم لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق والخلق
راعون قائمون بحفظها واصلاحها وقرأ ابن كثير هنا وفي المعارج لامانتهم على الافراد
لامن الالباس او لانها في الاصل مصدر والذين هم على صلواتهم يحافظون يواظبون عليها
ويؤدونها في اوقاتها ولفظ الفعل فيه لما في الصلاة من التجدد والتكرار ولذلك جمعه غير
حمزة والكسائي وليس ذلك تكريرا لما وصفهم به اولا فان الخشوع في الصلاة غير المحافظة عليها
وفي تصدير الاوصاف وختمها بامر الصلاة تعظيم لشأنها اولئك الجامعون لهذه الصفات
هم الوارثون الاحقاء بان يسموا وراثا دون غيرهم الذين يرثون الفردوس بيان لما يرثو
وتقييد للوراثة بعد اطلاقها تفخيما لها وتأكيدا وهي مستعارة لاستحقاقهم الفردوس من
اعمالهم وان كان بمقتضى وعده مبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها
على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار هم فيها خالدون انث الضمير لانه

يطون

اسم الجنة او لطبقتها الاعلى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من خلاصة سلت من بين الكدر
من طين متعلق بمحذوف لانه صفة السلالة او من بيانية او بمعنى سلالة لانها في معنى
مسلولة فيكون ابتدائية كالاولى والانسان ادم خلق من صفوة سلت من الطين
او الجنس فانهم خلقوا من سلالات جعلت نطفا بعد ادوار وقيل المراد بالطين ادم لانه
خلق منه والسلالة نطفته ثم جعلناه ثم جعلنا نسله فحذف المضاف نطفة بان
خلقناه منها او ثم جعلنا السلالة نطفة وتذكير الضمير على تاويل الجوهر او المسلول
او الماء في قرار مكين مستقر حصين يعني الرحم وهي في الاصل للمستقر وصف به المحل مبالغة
كما عبر عنه بالقرار ثم خلقنا النطفة علقة بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء
فخلقنا العلقة مضغة فصيرناها قطعة لحم فخلقنا المضغة عظاما بان صلبناها
فكسونا العظام لحما مما بقي من المضغة او مما انبتنا عليها مما يصل اليها واختلاف
العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها في الهيئة والصلابة وقرا ابن
عامر وابو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع وقرئ بافراد احدهما وجمع
الاخر ثم انشاناه خلقا اخر هو صورة البدن او الروح او القوى بنفخه فيه او المجموع
وثم لما بين الخلقين من التفاوت واحتج به ابو حنيفة رضي الله عنه على ان من غصب
بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق اخر فتبارك الله
فتعالى شانه في قدرته وحكمته احسن الخالقين المقدرين تقديرا فحذف المميز لدلالة
الخالقين عليه ثم انكم بعد ذلك لميتون لصايرون الى الموت لا محالة ولذلك ذكر النعت
الذي للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ به ثم انكم يوم القيامة تبعثون للمحاسبة
والمجازاة ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق سبع سموات لانها طورق بعضها فوق بعض
مطارقة النعل وكل ما فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرق الملائكة او الكواكب فيها
مسيرها وما كنا عن الخلق عن ذلك المخلوق الذي هو السموات او جميع المخلوقات
غافلين مهملين امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها حتى يبلغ
منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشية وانزلنا من
السماء ماء بقدر بتقدير يكثر نفعه ويقل ضرره او بمقدار ما علمنا من صلاحهم فاسكناه
فجعلناه ثابتا مستقرا في الارض وانا على ذهاب به على ازالته بالافساد او التصعيد
او التعميق بحيث يتعذر استنباطه لقادرون كما كنا قادرين على انزاله وفي تنكير
ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد به ولذلك جعل ابلغ من قوله قل
ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين فانشانا لكم به بالماء جنات من
نخيل واعناب لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة تتفكهون بها ومنها ومن الجنات
ثمارها وزروعها تاكلون تغذيا او ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم
فلان ياكل من حرفته ويجوز ان يكون الضميران للنخيل والاعناب

اي لكم في ثمراتها انواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعاما
تاكلونه وشجرة عطف على جنات وقرئ بالرفع على الابتداء اي ومما انشانا لكم به شجرة تخرج من طور
سيناء جبل موسى عليه السلام بين مصر وايلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طور سينين ولا
يخلو من ان يكون الطور للجبل وسيناء اسم بقعة اضيف اليها او المركب منهما علم له كامرئ
القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة او التانيث على تاويل البقعة لا للالف لانه فيعال
كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء من
السين اذ لا فعلاء بالف التانيث بخلاف سيناء على قراءة الكوفيين والشامي ويعقوب
فانه فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء لا فعلال اذ ليس في كلامهم وقد قرئ بالكسر والقصر
تنبت بالدهن اي تنبت بالدهن ملتبسا ومستصحبا له ويجوز ان يكون الباء صلة معدية
لتنبت كما في قولك ذهبت بزيد وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب في رواية تنبت وهو
اما من انبت بمعنى نبت كقول زهير رايت ذوي الحاجات عند بيوتهم قطينا لهم
حتى اذا انبت البقل او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول
وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن ويخرج بالدهن وتنبت بالدهان وصبغ
للاكلين معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفي الشيء على الاخر اي تنبت
بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اي
يغمس فيه للايتدام وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ وان لكم في الانعام لعبرة تعتبرون
وتستدلون بها نسقيكم مما في بطونها من الالبان او من العلف فان اللبن يتكون منه
فمن للتبعيض او للابتداء وقرا نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم بفتح النون ولكم
فيها منافع كثيرة في ظهورها واصوافها وشعورها ومنها تاكلون فتنتفعون باعيانها وعليها
وعلى الانعام فان منها ما يحمل عليه كالابل والبقر وقيل المراد الابل لانها هي المحمول عليها عندهم
والمناسب للفلك فانها سفاين البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها فيكون
الضمير فيه كالضمير في بعولتهن احق بردهن وعلى الفلك تحملون في البر والبحر ولقد ارسلنا
نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله الى اخر القصص مسوق لبيان كفران الناس ما عدد
عليهم من النعم المتلاحقة وما حاق بهم من زوالها ما لكم من اله غيره استيناف لتعليل الامر
بالعبادة وقرئ غيره بالجر على اللفظ افلا تتقون افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه فيهلككم
ويعذبكم برفضكم عبادته الى عبادة غيره وكفرانكم نعمه التي لا تحصونها فقال
الملا الاشراف الذين كفروا من قومه لعوامهم ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل
عليكم اي يطلب الفضل عليكم ويسودكم ولو شاء الله ان يرسل رسولا لانزل ملائكة رسلا
ما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين يعنون نوحا اي ما سمعنا به انه نبي او ما كلمهم به
من الحث على عبادة الله تعالى ونفي اله غيره او من دعوى النبوة وذلك اما من فرط عنادهم
او لانهم كانوا في فترة متطاولة ان هو الا رجل به جنة اي جنون ولاجله يقول ذلك فتربصوا

فاحتملوه وانتظروا حتى حين لعله يفيق من جنونه قال بعدما آيس من ايمانهم رب انصرني
باهلاكهم او بانجاز ما اوعدتهم من العذاب بما كذبون بدل من تكذيبهم اياي او بسببه
فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا بحفظنا نحفظه ان تخطئ فيه او يفسده عليك
مفسد ووحينا وامرنا وتعليمنا كيف تصنع فاذا جاء امرنا بالركوب او نزول العذاب
وفار التنور روي انه قيل لنوح اذا فار الماء من التنور اركب انت ومن معك فلما نبع الماء
منه اخبرته امرأته فركب ومحله في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وقيل
عين وردة من الشام وفيه وجوه اخر ذكرتها في هود فاسلك فيها فادخل فيها يقال سلك
فيه وسلك غيره قال الله ما سلككم في سقر من كل زوجين اثنين من كل امتي الذكر والانثى
واحدين مزدوجين وقرأ حفص من كلٍّ بالتنوين اي من كل نوع زوجين واثنين تاكيدا
واهلك واهل بيتك ومن امن معك الا من سبق عليه القول منهم اي القول من الله
باهلاكه لكفره وانما جيء بعلى لان السابق ضار كما جيء باللام حيث كان نافعا في قوله
ان الذين سبقت لهم الحسنى ولا تخاطبني في الذين ظلموا بالدعاء لهم بالانجاء انهم مغرقون
لا محالة لظلمهم بالاشراك والمعاصي ومن هذا شانه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف وقد
امره بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله فاذا استويت انت ومن معك على الفلك
فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا
والحمد لله رب العالمين وقل رب انزلني في السفينة او في الارض منزلا مباركا
يتسبب لمزيد الخير في الدارين وقرئ منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال وانت خير المنزلين
ثناء مطابق لدعائه امره بان يشفعه به مبالغة فيه وتوسلا به الى الاجابة وانما افرده
بالامر والمعلق به ان استوى هو ومن معه اظهارا لفضله واشعارا بان في دعائه مندوحة
عن دعائهم فانه يحيط بهم ان في ذلك فيما فعل بنوح وقومه لآيات يستدل بها
ويعتبر اولوا الاستبصار والاعتبار وان كنا لمبتلين لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم
او ممتحنين عبادنا بهذه الآيات وان هي المخففة واللام هي الفارقة ثم انشانا
من بعدهم قرنا آخرين هم عاد او ثمود فارسلنا فيهم رسولا منهم هو هود
او صالح وانما جعل القرن موضع الارسال ليدل على انه لم يأتهم من مكان غير مكانهم
وانما اوحي اليه بين اظهرهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره تفسير لارسلنا
اي قلنا لهم على لسان الرسول ان اعبدوا الله افلا تتقون عذاب الله وقال الملأ
من قومه الذين كفروا لعله ذكر بالواو لان كلامهم لم يتصل بكلام الرسول بخلاف
قول قوم نوح وحيث استؤنف به فعلى تقدير سؤال وكذبوا بلقاء الآخرة بلقاء ما فيها
من الثواب والعقاب او بمعاده الى الحياة الثانية بالبعث واترفناهم ونعمناهم
في الحياة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد ما هذا الا بشر مثلكم في الصفة والحال
ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثاني

منصوب

منصوب محذوف او مجرور حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم فيما
يامركم انكم اذا لخاسرون حيث اذللتم انفسكم واذا جزاء للشرط وجواب للذين قاولوهم
من قومه ايعدكم انكم اذا متم وكنتم عظاما مجردة عن اللحوم والاعصاب انكم
مخرجون من الاجداث او من العدم تارة اخرى الى الوجود وانكم تكرير للاول اكد به لما طال
الفصل بينه وبين خبره او انكم مخرجون مبتدا خبره الظرف المقدم او فاعل للفعل المقدر
جوابا للشرط والجملة خبر الاول اي انكم اخراجكم اذا متم او انكم متم فيقع اخراجكم ويجوز
ان يكون خبر الاول محذوفا لدلالة خبر الثاني عليه لا ان يكون الظرف لان اسمه جثة
هيهات هيهات بعد التصديق او الصحة لما توعدون اي بعد ما توعدون واللام
للبيان كما في هيت لك كانهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل فما له هذا الاستبعاد
قال لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدا خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا
للتنكير وبالضم منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين
وبالسكون على لفظ الوقف وبابدال التاء هاء ان هي الا حياتنا الدنيا اصله ان الحياة الا
حياتنا الدنيا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا عن التكرير واشعارا
بان تعينها مغن عن التصريح بها كقوله هي النفس ما حملتها تتحمل ومعناه لا حياة الا
هذه الحياة لان ان نافية دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فكانت مثل لا
التي تنفي ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيا يموت بعضنا ويولد بعض وما نحن بمبعوثين
بعد الموت ان هو اي ما هو الا رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من ارساله له وفيما
يعدنا من البعث وما نحن له بمؤمنين بمصدقين قال رب انصرني عليهم وانتقم لي منهم
بما كذبون بسبب تكذيبهم اياي قال عما قليل عن زمان قليل وما صلة لتوكيد معنى
القلة او نكرة موصوفة ليصبحن نادمين على التكذيب اذا عاينوا العذاب فاخذتهم
الصيحة صيحة جبريل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا واستدل
به على ان القرن قوم صالح بالحق بالوجه الثابت الذي لا دافع له او بالعدل من الله او
كقولك فلان يقضي بالحق او بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء شبههم في دمارهم بغثاء السيل
وهو حميله كقول العرب سال به الوادي لمن هلك فبعدا للقوم الظالمين يحتمل الاخبار
والدعاء وبعدا مصدر بعد اذا هلك من المصادر التي تنصب بافعال لا يستعمل اظهارها
واللام لبيان من دعي عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل ثم انشانا من
بعدهم قرونا آخرين يعني قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ما تسبق من امة اجلها
الوقت الذي حد لهلاكها ومن مزيدة للاستغراق وما يستاخرون الاجل ثم ارسلنا
رسلنا تترى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كتولج
وتيقور والالف للتانيث لان الرسل جماعة وقرا ابو عمرو وابن كثير بالتنوين على انه مصدر
بمعنى المتواتر وقع حالا كلما جاء امة رسولها كذبوه اضاف الرسول مع الارسال الى المرسل

ترابا

رسل

ومع المجي الى المرسل اليهم لان الارسال الذي هو مبدأ الامر منه والمجي الذي هو منتهاه اليهم
فاتبعنا بعضهم بعضا في الاهلاك وجعلناهم احاديث لم يبق منهم الا حكايات يسمر بها
وهو اسم جمع للحديث او جمع احدوثة وهو ما يتحدث به تلهيا فبعدا لقوم لا يؤمنون
ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا بالايات التسع وسلطان مبين وحجة واضحة
ملزمة للخصم ويجوز ان يراد به العصا وافرادها لانها اول المعجزات وانها تعلقت بها
معجزات شتى كانقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من
الحجر بضربهما بها وحراستها ومصيرها شمعة وشجرة خضرا مثمرة ورشا ودلوا وان يراد
به المعجزات وبالايات الحجج وان يراد بهما المعجزات فانها ايات للنبوة وحجة بينة على ما
يدعيه النبي عليه السلام الى فرعون وملايه فاستكبروا عن الايمان والمتابعة وكانوا قوما
عالين متكبرين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا ثنى البشر لانه مطلق للواحد كقوله بشرا
سويا كما يطلق للجمع كقوله فاما ترين من البشر احدا ولم يثن المثل لانه في حكم المصدر
وهذه القصص كما ترى تشهد بان قصارى شبهة المنكرين للنبوة قياس حال الانبيا
على احوالهم لما بينهم من المماثلة في الحقيقة وفساده يظهر للمستبصر بادنى تامل فان النفوس
البشرية وان تشاركت في اصل القوى والادراك لكنها متباينة الاقدام فيهما وكما ترى
في جانب النقصان اغبيا لا يعود عليهم الفكر برادة ان يكون في طرف الزيادة اغنيا
عن التفكر والتعلم في اكثر الاشيا واغلب الاحوال فيدركون ما لا يدرك غيرهم ويعلمون
ما لا ينتهي اليه علمهم واليه اشار بقوله قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد
وقومهما يعني بني اسرايل لنا عابدون خادمون منقادون كالعباد فكذبوهما فكانوا
من المهلكين بالغرق في بحر قلزم ولقد اتينا الكتاب يعني التورة لعلهم بني اسرايل
ولا يجوز عود الضمير الى فرعون وقومه لان التوراة نزلت بعد اغراقهم يهتدون الى المعارف
والاحكام وجعلنا ابن مريم وامه اية بولادتها اياه من غير مسيس فالاية امر واحد
مضاف اليهما او جعلنا ابن مريم اية بان تكلم في المهد وظهر منه معجزات اخر وامه اية بان
ولدت من غير مسيس فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها واويناهما الى ربوة ارض بيت المقدس
فانها مرتفعة او دمشق او رملة فلسطين او مصر فان قراها على الربا وقرا ابن عامر وعاصم
بفتح الرا وقري رباوة بالضم والكسر ذات قرار مستقر من ارض منبسطة وقيل ذات ثمار
وزروع فان ساكنيها يستقرون فيها لاجلها ومعين وما معين ظاهر جار فعيل
من معن الما اذا جرى واصله الابعاد في الشي او من الماعون وهو المنفعة لانه نفاع او مفعول
من عانه اذا ادركه بعينه لانه لظهوره مدرك بالعيون وصف ماوها بذلك لانه الجامع
لاسباب التنزه وطيب المكان يا ايها الرسل كلوا من الطيبات ندا وخطاب لجميع الانبيا
لا على انهم خوطبوا بذلك دفعة لانهم ارسلوا في ازمنة مختلفة بل على معنى ان كلا منهم خوطب
به في زمانه فيدخل تحته عيسى دخولا اوليا ويكون ابتدا كلام ذكر تنبيها على ان تهية اسباب التنعم

لم تكن له

لم تكن له خاصة وان اباحة الطيبات للانبيا شرع قديم واحتجاجا على الرهبانية في رفض
الطيبات حكاية لما ذكر لعيسى وامه عند ايوايهما الى الربوة ليقتديا بالرسل في تناول ما رزقا
وقيل الندا له ولفظ الجمع للتعظيم والطيبات ما يستلذ من المباحات وقيل الحلال الصافي القوام
فالحلال ما لا يعصى الله فيه والصافي ما لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل واعملوا
صالحا فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم اني بما تعملون عليم فاجازيكم عليه وان هذه اي
ولان هذه والمعلل به فاتقون او واعلموا ان هذه وقيل انه معطوف على ما تعملون وقرا ابن عامر
بالتخفيف والكوفيون بالكسر على الاستيناف امتكم امة واحدة ملتكم ملة واحدة اي متحدة في
العقايد واصول الشرايع او جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد في العبادة
ونصب امة على الحال وانا ربكم فاتقون في شق العصا ومخالفة الكلمة فتقطعوا امرهم بينهم
فتقطعوا امر دينهم وجعلوه اديانا مختلفة او فتفرقوا وتحزبوا امرهم منصوب بنزع الخافض
او التمييز والضمير لما عليه الاية من اربابها والها زبرا قطعا جمع زبور الذي بمعنى الفرقة
ويويده القراة بفتح البا فانه جمع زبرة وهو حال من امرهم او من الواو او مفعول ثان
لتقطعوا فانه متضمن معنى جعل وقيل كتبا من زبرت الكتاب فيكون مفعولا ثانيا
او حالا من امرهم على تقدير مثل كتب وقري بتخفيف البا كرسل ورسل كل حزب
من المتحزبين بما لديهم من الدين فرحون معجبون معتقدون انهم على الحق فذرهم
في غمرتهم في جهالتهم شبهها بالما الذي يغمر القامة لانهم مغمورون فيها او لاعبون
بها وقري في غمراتهم حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا ايحسبون انما نمدهم به
انما نعطيهم ونجعله مددا لهم من مال وبنين بيان لما وليس خبرا له فانه غير معاب
عليه وانما المعاب عليه اعتقادهم ان ذلك خير لهم فخبره نسارع لهم في الخيرات
والراجع محذوف والمعنى ايحسبون ان الذي نمدهم به نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم
بل لا يشعرون بل هم كالبهايم لا فطنة لهم ولا شعور ليتاملوا فيعلموا ان ذلك الامداد
استدراج لا مسارعة في الخير وقري يمدهم على الغيبة ولذلك يسارع ويسرع
ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممد به ويسارع مبني للمفعول ان الذين هم من خشية
ربهم مشفقون حذرون والذين هم بايات ربهم المنصوبة والمنزلة يؤمنون
بتصديق مدلولها والذين هم بربهم لا يشركون شركا جليا ولا خفيا والذين يؤتون
ما اتوا يعطون ما اعطوا من الصدقات وقري يأتون ما اتوا اي يفعلون ما فعلوا من
الطاعات وقلوبهم وجلة اي خايفة ان لا يقبل منهم وان لا يقع على الوجه اللايق فيواخذ به
انهم الى ربهم راجعون لان مرجعهم اليه او من ان مرجعهم اليه وهو يعلم ما يخفى عليهم
اوليك يسارعون في الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الاعمال بالمبادرة
اليها لقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا فيكون اثباتا لما نفي عن اضدادهم وهم لها
سابقون لاجلها فاعلون السبق او سابقون الناس الى الطاعة او الثواب او الجنة او سابقوها

اي ينالونها قبل الاخرة حيث عجلت لهم في الدنيا لقوله لها عاملون ولا نكلف نفسا الا وسعها
قدر طاقتها يريد به التحريض على ما وصف به الصالحين وتسهيله على النفوس ولدينا كتاب
يعني اللوح وصحيفة الاعمال ينطق بالحق بالصدق لا يوجد فيه ما يخالف الواقع وهم
لا يظلمون بزيادة عقاب او نقصان ثواب بل قلوبهم قلوب الكفرة في غمرة في غفلة
غامرة لها من هذا من الذي وصف به هولاء او من كتاب الحفظة ولهم اعمال خبيثة من دون
ذلك متجاوزة لما وصفوا به او متخطية عما هم عليه من الشرك هم لها عاملون معتادون
فعلها حتى اذا اخذنا مترفيهم متنعميهم بالعذاب يعني القتل يوم بدر او الجوع حين
دعا عليهم الرسول فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف
فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحترقة اذا هم يجارون فاجاوا الصراخ
بالاستغاثة وهو جواب الشرط والجملة مبتدا بعد حتى ويجوز ان يكون الجواب لا تجاروا
اليوم فانه مقدر بالقول اي قيل لهم لا تجاروا انكم منا لا تنصرون تعليل للنهي اي
لا تجاروا فانه لا ينفعكم اذ لا تمنعون منا ولا يلحقكم نصر ومعونة من جهتنا قد
كانت اياتي تتلى عليكم يعني القران فكنتم على اعقابكم تنكصون تعرضون مدبرين
عن سماعها وتصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى مستكبرين به الضمير
للتكذيب وشهرة استكبارهم وافتخارهم بانهم قوامه اغنت عن سبق ذكره او للايات
فانها بمعنى كتابي والبا متعلقة بمستكبرين لانه بمعنى مكذبين او لان استكبارهم
على المسلمين حدث بسبب استماعه او بقوله سامرا اي تسمرون بذكر القران او
الطعن وهو في الاصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعاقبة وقرئ سمرا جمع سامر تهجرون
من الهجر بالفتح اما بمعنى القطيعة او الهذيان اي تعرضون عن القران او تهذون
في شانه والهجر بالضم ويويد الثاني قراءة نافع تهجرون من اهجر وقرئ تهجرون
على المبالغة افلم يدبروا القول اي القران ليعلموا انه الحق من اعجاز لفظه
ووضوح مدلوله ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين من الرسول او الكتاب
او الامن من عذاب الله فلم يخافوا كما خاف اباؤهم الاقدمون كاسمعيل واعقابه فامنوا
به وبكتبه ورسله واطاعوه ام لم يعرفوا رسولهم بالامانة والصدق وحسن الخلق
وكمال العلم مع عدم التعلم الى غير ذلك مما هو صفة الانبيا فهم له منكرون دعواه
لاحد هذه الوجوه اذ لا وجه له غيرها فان انكار الشي قطعا او ظنا انما يتجه اذا
ظهر امتناعه بحسب النوع او الشخص او بحث عما يدل عليه اقصى ما يمكن فلم يوجد ام
يقولون به جنة فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون انه ارجحهم واثقبهم نظرا بل جاءهم
بالحق واكثرهم للحق كارهون لانه يخالف شهواتهم واهواءهم فلذلك انكروه
وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه او لقلة
فطنته وعدم فكرته لا كراهة للحق ولو اتبع الحق اهواءهم بان كان في الواقع الهتان

لفسدت

لفسدت السموات والارض ومن فيهن كما سبق تقريره في قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا
وقيل لو اتبع الحق اهواءهم وانقلب باطلا لذهب ما قام به العالم فلا يبقى او لو اتبع الحق الذي
جاء به محمد اهواءهم شركا لجاء الله بالقيامة واهلك العالم من فرط غضبه او لو اتبع الله اهواءهم
بان انزل ما يشتهونه من الشرك والمعاصي لخرج عن الالوهية ولم يقدر ان يمسك والارض
وهو على اصل المعتزلة بل اتيناهم بذكرهم بالكتاب الذي هو ذكرهم او وعظهم او وصيتهم او الذكر
الذي تمنوه بقوله لو ان عندنا ذكرا من الاولين وقرئ بذكراهم فهم عن ذكرهم معرضون
لا يلتفتون اليه ام تسألهم قيل انه قسيم قوله ام به جنة خرجا اجرا على اداء الرسالة فخراج ربك
رزقه في الدنيا او ثوابه في العقبى خير لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن عطائهم والخرج
بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك والخراج غالب في الضريبة على الارض ففيه اشعار
بالكثرة واللزوم فيكون ابلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله اياه وقرا ابن عامر خرجا فخرج وحمزة
والكسائي خراجا فخراج للمزاوجة وهو خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه وانك لتدعوهم الى صراط
مستقيم تشهد العقول السليمة على استقامته لا عوج فيه يوجب اتهامهم واعلم انه سبحانه
وتعالى الزمهم الحجة وازاح العلة في هذه الايات بان حصر اقسام ما يودي الى الانكار والاتهام
وبين انتفاءها ما عدا كراهة الحق وقلة الفطنة وان الذين لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط
السوي لناكبون لعادلون عنه فان خوف الاخرة اقوى البواعث على طلب الحق وسلوك طريقه
ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر يعني القحط للجوا لثبتوا واللجاج التمادي في الشي في طغيانهم
افراطهم في الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين يعمهون عن الهدى روي انهم قحطوا
حتى اكلوا العلهز فجاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انشدك الله والرحم الست تزعم
انك بعثت رحمة للعالمين قتلت الاباء بالسيف والابناء بالجوع ولقد اخذناهم بالعذاب يعني
القتل يوم بدر فما استكانوا لربهم وما يتضرعون بل اقاموا على عتوهم واستكبارهم واستكان
استفعل من الكون لان المفتقر انتقل من كون الى كون او افتعل من السكون اشبعت فتحته وليس
من عادتهم التضرع وهو استشهاد على ما قبله حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد يعني
الجوع فانه اشد من الاسر والقتل اذا هم فيه مبلسون متحيرون ايسون من كل خير حتى جاءك اعتاهم
يستعطفك وهو الذي انشا لكم السمع والابصار لتحسوا بها ما نصب من الايات والافئدة لتتفكروا
فيها وتستدلوا بها الى غير ذلك من المنافع الدينية والدنياوية قليلا ما تشكرون تشكرونها شكرا
قليلا لان العمدة في شكرها استعمالها فيما خلقت لاجله والاذعان لمانحها من غير اشراك وما صلة
للتاكيد وهو الذي ذراكم في الارض خلقكم وبثكم فيها بالتناسل واليه تحشرون تجمعون يوم القيمة
بعد تفرقكم وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار ويختص به تعاقبهما او انتقاص
احدهما وازدياد الاخر افلا تعقلون بالنظر والتامل ان الكل منا وان قدرتنا تعم الممكنات كلها
وان البعث من جملتها وقرئ بالياء على ان الخطاب السابق لتغليب المؤمنين بل قالوا اي كفار مكة مثل ما قال
الاولون اباؤهم ومن دان بدينهم قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون استبعادا

ولو تأملوا انهم كانوا قبل ذلك ترابا فخلقوا لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا من قبل ان هذا
الا اساطير الاولين الا اكاذيبهم التي كتبوها جمع اسطورة لانه يستعمل فيما يتلهى به كالاعاجيب
والاضاحيك جمع اسطورة اسطار جمع سطر قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم
او من العالمين بذلك فيكون استهانة بهم وتقريرا لفرط جهالتهم حتى جهلوا مثل هذا الجلي الواضح
والزاما بما لا يمكن لمن له مسكة من العلم انكاره ولذلك اخبر عن جوابهم قبل ان يجيبوا فقال
سيقولون لله لان العقل الصريح قد اضطرهم بادي نظر الى الاقرار بانه خالقها قل
فبعدما قالوه افلا تذكرون فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها ابتداء قدر على ايجادها ثانيا فان
بدء الخلق ليس اهون من اعادته وقرئ تتذكرون على الاصل قل من رب السموات السبع ورب العرش
العظيم فانها اعظم من ذلك سيقولون لله لان العقل الصريح قد اضطرهم وقرئ يعقوب وابو عمرو
بغير لام فيه وفيما بعده على ما يقتضيه لفظ السؤال قل افلا تتقون عقابه فلا تشركوا به
بعض مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته قل من بيده ملكوت كل شيء ملكه
غاية ما يمكن وقيل خزائنه وهو يجير يغيث من يشاء ويحرسه ولا يجار عليه ولا يغاث احد
ولا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل
فانى تسحرون فمن اين تخدعون فتصرفون عن الرشد مع ظهور الامر وتظاهر الادلة بل اتيناهم
بالحق من التوحيد والوعد بالنشور وانهم لكاذبون حيث انكروا ذلك ما اتخذ الله من ولد
لتقدسه عن مماثلة احد وما كان معه من اله يساهمه في الالوهية اذا لذهب كل اله
بما خلق ولعلا بعضهم على بعض جواب محاجتهم وجزاء شرط حذف لدلالة ما قبله عليه اي
لو كان معه الهة كما يقولون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الاخرين
ووقع بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء
واللازم باطل بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب
الوجود سبحان الله عما يصفون من الولد والشريك لما سبق من الدليل على فساده عالم الغيب
والشهادة خبر مبتدأ محذوف وقد جره ابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص على
وهو دليل اخر على نفي الشريك بناء على توافقهم في انه المتفرد بذلك ولهذا رتب عليه فتعالى الله
عما يشركون بالفاء قل رب اما تريني كان لا بد لامن ان تريني لان ما والنون للتاكيد
ما يوعدون من العذاب رب فلا تجعلني في القوم الظالمين قرينا لهم في العذاب وهو اما
لهضم النفس او لان شوم الظلمة قد يحيق بمن وراءهم لقوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين
ظلموا منكم خاصة عن الحسن انه تعالى اخبر نبيه ان له في امته نقمة ولم يطلعه على وقتها
فامره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل واحد من الشرط والجزاء به فضل تضرع وجؤار وانا
على ان نريك ما نعدهم لقادرون لكنا نؤخره علما بان بعضهم او بعض اعقابهم يؤمنون
او لانا لا نعذبهم وانت فيهم ولعله رد لانكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاء به وقيل
قد اراه وهو قتل بدر او فتح مكة ادفع بالتي هي احسن السيئة وهو الصفح عنها والاحسان في

مقابلتها

مقابلتها بحيث لم يؤد الى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والشرك وقيل هو الامر بالمعروف
والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنى السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل نحن
اعلم بما يصفون بما يصفونك به او بوصفهم اياك على خلاف حالك واقدر على جزائهم
فكل الينا امرهم وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين وساوسهم واصل الهمز
النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الراضة الدواب على المشي والجمع
للمرات او لتنوع الوسواس او لتعدد المضاف اليه واعوذ بك رب ان يحضرون
يحوموا حولي في شيء من الاحوال وتخصيص حال الصلاة وقراءة القران وحلول الاجل لانها
احرى الاحوال ان يخاف عليه حتى اذا جاء احدهم الموت متعلق بيصفون وما بينهما
اعتراض لتاكيد الاغضاء بالاستعاذة بالله عن الشيطان ان يزله عن الحلم ويغريه على
الانتقام او بقوله انهم لكاذبون قال تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة لما اطلع
على الامر رب ارجعون ردوني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعني
كما قيل في قفا واطرقا لعلي اعمل صالحا فيما تركت في الايمان الذي تركته لعلي
اتي بالايمان واعمل فيه وقيل في المال او في الدنيا وعنه عليه الصلاة والسلام اذا عاين
المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله
تعالى واما الكافر فيقول رب ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها
انها كلمة يعني قوله رب ارجعون الى اخره والكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها
مع بعض هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة عليه ومن ورائهم امامهم والضمير للجماعة
برزخ حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم يبعثون يوم القيامة وهو اقناط كلي عن الرجوع
اليها الا الى حياة تكون في الاخرة فاذا نفخ في الصور لقيام الساعة والقراءة بفتح الواو
وبه وبكسر الصاد يؤيد ان الصور ايضا جمع الصورة فلا انساب بينهم تنفعهم
لزوال التراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته
وبنيه او يفتخرون بها يومئذ كما يفعلون اليوم ولا يتساءلون ولا يسأل بعضهم
بعضا لاشتغاله بنفسه وهو لا ينافي قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون
لانه عند النفخة وذلك بعد المحاسبة ودخول اهل الجنة الجنة واهل النار النار فمن ثقلت
موازينه موزونات عقائده واعماله اي فمن كانت له عقائد واعمال صالحة يكون لها
وزن عند الله وقدر فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والدرجات ومن خفت
موازينه ومن لم يكن له ما يكون له وزن وهم الكفار لقوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا فاولئك
الذين خسروا انفسهم غبنوها حيث ضيعوا زمان استكمالها وابطلوا استعدادها
لنيل كمالها في جهنم خالدون بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك تلفح وجوههم
النار تحرقها واللفح كالنفح الا انه اشد تاثيرا وهم فيها كالحون من شدة الاحتراق
والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون الم تكن اياتي تتلى عليكم

ع
حبته
دها
اضمار القول

اي بعالم الرتكن فكنتم بها تكذبون تانيث وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب
لاجله قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ملكتنا بحيث صارت احوالنا مودية الى سوء
العاقبة وقرا حمزة والكسائي شقاوة بالفتح كالسعادة وقرئ بالكسر كالكتابة وكنا قوما
ضالين عن الحق ربنا اخرجنا منها من النار فان عدنا الى التكذيب فانا ظالمون لانفسنا
قال اخسئوا فيها اسكتوا سكوت هوان فانها ليست مقام سوال من خسات الكلب اذا زجرته
فخسا ولا تكلمون في رفع العذاب او لا تكلمون راسا قيل ان اهل النار يقولون الف سنة ربنا
ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فيقولون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم
بانه اذا دعي الله فيقولون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فيقولون
الفا ربنا اخرجنا فيجابون اولم تكونوا اقسمتم فيقولون الفا ربنا اخرجنا فيجابون اولم نعمركم
فيقولون الفا نعمل صالحا فيجابون اخسئوا فيها ثم لا يكون لهم الا زفير وشهيق وعوا
انه ان الشان وقرئ بالفتح اي لانه كان فريق من عبادي يعني المومنين وقيل الصحابة
وقيل اهل الصفة يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا
هزوا وقرا نافع وحمزة والكسائي بالضم وهما مصدرا سخر زيدت فيهما ياء النسب للمبالغة وعند الكوفيين
المكسور بمعنى الهزء والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية حتى انسوكم ذكري من فرط تشاغلكم
بالاستهزاء بهم فلم تخافوني في اوليائي وكنتم منهم تضحكون استهزاء بهم اني جزيتهم اليوم بما
صبروا على اذاكم انهم هم الفائزون فوزهم بمجامع مرادهم مخصوصين به وهو ثاني مفعولي
جزيتهم وقرا حمزة والكسائي على الامر للملك او لبعض روسا اهل النار قال كم لبثتم في الارض
احياء واموات في القبور عدد سنين تمييز لكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصار لمدة
لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم في النار او لانها كانت ايام سرورهم وايام السرور قصار او لانها
منقضية والمنقضي في حكم المعدوم فاسئل العادين الذين يتمكنون من عد ايامها ان اردت
تحقيقها فانا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها واحصائها والملائكة الذين يعدون
اعمار الناس ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم يقولون ما نقول والعادين
اي القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرون قال وفي قراءة الكوفيين قل ان لبثتم الا قليلا لو انكم
كنتم تعلمون تصديق لهم في مقالهم افحسبتم انما خلقناكم عبثا توبيخ على تغافلهم وعبثا حال
بمعنى عابثين او مفعول له اي لم نخلقكم تلهيا بكم وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم
وهو كالدليل على البعث وانكم الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم او عبثا وقرا حمزة والكسائي
ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم فتعالى الله الملك الحق الذي يحق له الملك مطلقا فان من عداه مملوك
بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه في حال دون حال لا اله الا هو فان ما عداه عبيده رب
العرش الكريم الذي يحيط بالاجرام وينزل منه محكمات الاقضية والاحكام ولذلك وصفه
بالكرم او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ بالرفع على انه صفة الرب ومن يدع مع الله الها اخر
يعبده لا برهان له به صفة اخرى لاله لازمة له فان الباطل لا برهان له به جي بها للتاكيد

وبنا الحكم

وبنا الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل على خلافه او اعتراض
بين الشرط والجزاء فانما حسابه عند ربه فهو مجازيه مقدار ما يستحقه انه لا يفلح الكافرون
اي الشان وقرئ بالفتح على التعليل او الخبر اي حسابه عدم الفلاح بدا السورة بتقرير فلاح
المومنين وختمها بنفي الفلاح عن الكافرين ثم امر رسوله بان يستغفره ويسترحمه فقال
وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المومنين
بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وعنه صلى الله عليه وسلم
قال لقد انزلت علي عشر ايات من اقامهن دخل الجنة ثم قرا قد افلح المومنون حتى ختم العشر وروي
ان اولها واخرها من كنوز الجنة من عمل بثلاث ايات من اولها واتعظ باربع من اخرها فقد نجا وافلح

بسم الله الرحمن الرحيم سورة اي هذه سورة او فيما اوحينا اليك سورة
انزلناها صفتها ومن نصبها جعله مفسرا لناصبها فلا يكون له محل الا اذا قدر اتل او دونك
او نحوه وفرضناها وفرضنا ما فيها من الاحكام وشدد ابن كثير وابو عمرو لكثرة فرائضها
او المفروض عليهم او للمبالغة في ايجابها وانزلنا فيها ايات بينات واضحات الدلالة
لعلكم تذكرون فتتقون المحارم وقرئ بتخفيف الذال الزانية والزاني اي فيما فرضنا
وانزلنا حكمهما وهو الجلد ويجوز ان يرفعا بالابتداء والخبر فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة
والفاء لتضمنهما معنى الشرط اذ اللام بمعنى الذي وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره
الظاهر وهو احسن من نصب سورة للامر والزان بلا ياء وانما قدم الزانية لان الزنا في الاغلب
يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه ولان مفسدته تتحقق بالاضافة اليها
والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص من ليس بمحصن لما دل على ان حد المحصن الرجم وزاد الشافعي
تغريب الحول لقوله عليه الصلاة والسلام البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وليس في الاية
ما يدفعه لينسخ احدهما بالاخر نسخا مقبولا او مردودا وله في العبد ثلاثة اقوال والاحصان بالحرية
والبلوغ والعقل والاصابة في نكاح صحيح واعتبرت الحنفية الاسلام ايضا وهو مردود لرجمه
عليه الصلاة والسلام يهوديين ولا يعارضه من اشرك بالله فليس بمحصن اذ المراد بالمحصن الذي
يقتص له من المسلم ولا تاخذكم بهما رافة رحمة في دين الله في طاعته واقامة حده فتعطلوه
او تسامحوا فيه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقرا
ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت بالمد على فعالة ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر فان
الايمان يقتضي الجد في طاعة الله والاجتهاد في اقامة احكامه وهو من باب التهييج وليشهد
عذابهما طائفة من المومنين زيادة في التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر مما ينكل التعذيب
والطائفة فرقة يمكن ان يكون حافة حول شيء من الطوف واقلها ثلاثة وقيل واحد او اثنان
والمراد جمع ما يحصل به التشهير الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك

اذ الغالب ان المايل الى الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح والمسافحة لا يرغب فيها الصلحاء فان المشاكلة علة
الالفة والتضام والمخالفة سبب النفرة والافتراق وكان حق المقابلة ان يقال والزانية لا تنكح
الا من زان او مشرك لكن المراد بيان احوال الرجال في الرغبة فيهن لان الاية نزلت في ضعفة المهاجرين
لما هموا ان يتزوجوا بغايا يكرين انفسهن لينفقن عليهم من اكسابهن على عادة الجاهلية
ولذلك قدم الزاني وحرم ذلك على المؤمنين لانه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب
لسوء المقالة والطعن في النسب وغير ذلك من المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة
وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه
او منسوخ بقوله وانكحوا الايامى منكم فانه يتناول المسافحات ويؤيده انه عليه الصلاة والسلام
سئل عن ذلك فقال اوله سفاح واخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح
الوطء فيؤول الى نهي الزاني عن الزنا الا بزانية والزانية ان يزني بها الا زان وهو فاسد
والذين يرمون المحصنات يقذفونهن بالزنا لوصف المقذوفات بالاحصان وذكرهن
عقيب الزواني واعتبار اربعة شهداء بقوله ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة
والقذف بغيره مثل يا فاسق ويا شارب الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن والاحصان ههنا
بالحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة عن الزنا ولا فرق فيه بين الذكر والانثى وتخصيص
المحصنات لخصوص الواقعة ولان قذف النساء اغلب واشنع ولا يشترط اجتماع الشهود
عند الاداء ولا يعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافا لابي حنيفة رضي الله تعالى عنه وليكن
ضربه اخف من ضرب الزنا لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده ولا تقبلوا لهم شهادة
اي شهادة كانت لانه مفتر وقيل شهادتهم في القذف ولا يتوقف ذلك على استيفاء الجلد خلافا
لابي حنيفة فان الامر بالجلد والنهي عن القبول سيان في وقوعهما جوابا للشرط لا ترتيب بينهما
فيترتبان عليه دفعة كيف وحاله قبل الجلد اسوأ مما بعده ابدا ما لم يتب وعند ابي حنيفة
الى اخر عمره واولئك هم الفاسقون المحكوم بفسقهم الا الذين تابوا من بعد ذلك عن القذف
واصلحوا اعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام للحد والاستحلال من المقذوف والاستثناء
راجع الى اصل الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذه الامور لا يلزمه سقوط الحد به كما قيل لان من تمام
التوبة الاستسلام والاستحلال ومحل المستثنى النصب على الاستثناء وقيل الى النهي ومحله الجر
على البدل من هم في لهم وقيل الى الاخير ومحله النصب لانه من موجب وقيل منقطع متصل
بما بعده فان الله غفور رحيم علة للاستثناء والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء
الا انفسهم نزلت في هلال بن امية راى رجلا على فراشه وانفسهم بدل من شهداء او صفة لهم
على ان الا بمعنى غير فشهادة احدهم اربع شهادات فالواجب شهادة احدهم او فعليهم شهادة احدهم
واربع نصب على المصدر وقد رفعه حمزة والكسائي وحفص على انه خبر شهادة بالله متعلق بشهادات
لانها اقرب وقيل بشهادة لتقدمها انه لمن الصادقين اي فيما رماها به من الزنا واصله على انه
فحذف الجار وكسرت وعلق العامل عنه باللام تاكيدا والخامسة والشهادة الخامسة ان لعنة الله

عليه

عليه ان كان من الكاذبين في الرمي وقرأ نافع ويعقوب بالتخفيف في الموضعين هذا لعان
الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه وحصول الفرقة بينهما بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله
عليه الصلاة والسلام المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وبتفريق الحاكم فرقة طلاق عند ابي حنيفة
ونفي الولد ان تعرض له فيه وثبوت حد الزنا على المرأة لقوله ويدرأ عنها العذاب
اي الحد ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به والخامسة
ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين في ذلك ورفع الخامسة بالابتداء وما بعدها
الخبر او بالعطف على ان تشهد ونصبها حفص عطفا على اربع وقرأ نافع ان غضب الله ولولا
فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم متروك الجواب للتعظيم اي لفضحكم وعاجلكم
بالعقوبة ان الذين جاؤوا بالافك بابلغ ما يكون من الكذب من الافك وهو الصرف لانه قول
مأفوك عن وجهه والمراد ما افك به على عائشة وذلك انه عليه الصلاة والسلام استصحبها
في بعض الغزوات فاذن ليلة في القفول بالرحيل فمشت لقضاء حاجة ثم عادت الى الرحل
فلمست صدرها فاذا عقد من جزع ظفار قد انقطع فرجعت لتلتمسه فظن الذي كان يرحلها
انها دخلت الهودج فرحله على مطيتها وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد ثمه احدا
فجلست كي يرجع اليها منشد وكان صفوان بن المعطل السلمي قد عرس وراء الجيش فادلج
فاصبح عند منزلها فعرفها فاناخ ناقته فركبتها فقادها حتى اتيا الجيش فاتهمت به
عصبة منكم جماعة منكم وهي من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة يريد عبد الله
ابن ابي وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن
ساعدهم وهي خبر ان وقوله لا تحسبوه شرا لكم مستأنف والخطاب للرسول وابي بكر
وعائشة وصفوان والهاء للافك بل هو خير لكم لاكتسابكم الثواب العظيم وظهور كرامتكم
على الله بانزال ثماني عشرة اية في براءتكم وتعظيم شأنكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء
على من ظن بكم خيرا لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض
فيه مختصا به والذي تولى كبره معظمه وقرأ يعقوب بالضم وهو لغة فيه منهم من الخائضين
وهو ابن ابي فانه بالتصريح به والذي بمعنى الذين له عذاب عظيم في الاخرة او في الدنيا
بان جلدوا وصار ابن ابي مطرودا مشهورا بالنفاق وحسان اعمى اشل اليدين ومسطح مكفوف
البصر لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا بالذين منهم
من المؤمنين والمؤمنات لقوله ولا تلمزوا انفسكم وانما عدل فيه من الخطاب الى الغيبة مبالغة
في التوبيخ واشعارا بان الايمان يقتضي ظن الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب
الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن انفسهم وانما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف
لانه منزل منزلته من حيث انه لا ينفك عنه ولذلك يتسع فيه ما لا يتسع في غيره وذلك
لان الظرف اهم فان التحضيض على ان لا يخلوا باوله وقالوا هذا افك مبين كما يقول
المستيقن المطلع على الحال لولا جاؤوا عليه باربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم

الكاذبون

من جملة المقول تقريرا لكونه كذبا فان ما لا حجة عليه فكذب عند الله اي في حكمه
ولذلك رتب الحد عليه ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة اي لولا هذه
لامتناع الشيء لوجود غيره والمعنى لولا فضل الله عليكم في الدنيا بانواع النعم التي من
جملتها الامهال للتوبة ورحمته في الآخرة بالعفو والمغفرة المقدران لكم لمسكم
عاجلا فيما افضتم خضتم فيه عذاب عظيم يستحقر دونه اللوم والجلد اذ ظرف لمسكم
او افضتم تلقونه بالسنتكم ياخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه يقال تلقى
القول وتلقفه وتلقنه وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه اذا لقفه وتلقونه
بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتالقونه من الولق والالق
وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته فوجدته وتقفونه اي تتبعونه وتقولون
بافواهكم ما ليس لكم به علم اي وتقولون كلاما مختصا بالافواه بلا مساعدة من القلوب لانه
ليس تعبيرا عن علم به في قلوبكم لقوله يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم وتحسبونه هينا سهلا
لا تبعة له وهو عند الله عظيم في الوزر واستجرار العذاب فهذه ثلاثة آثام مترتبة علق بها
مس العذاب العظيم تلقي الافك بالسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك
وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون ما ينبغي وما يصح لنا ان نتكلم
بهذا يجوز ان يكون الاشارة الى القول المخصوص وان يكون الى نوعه فان قذف احاد الناس محرم
شرعا فضلا عن تعرض الصديقة بنت الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحانك
تعجب ممن يقول ذلك واصله ان يذكر عند كل متعجب تنزيها لله تعالى من ان يصعب عليه مثله
ثم كثر واستعمل لكل متعجب او تنزيه من ان يكون حرمة نبيه فاجرة فان فجورها تنفر عنه
ويخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله هذا بهتان
عظيم لعظمة المبهوت عليه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها يعظكم الله
ان تعودوا لمثله كراهة ان تعودوا ابدا ما دمتم احياء مكلفين ان كنتم مؤمنين فان الايمان
يمنع عنه وفيه تهييج وتقريع ويبين الله لكم الآيات الدالة على الشرائع ومحاسن
الآداب ليتعظوا ويتادبوا والله عليم بالاحوال كلها حكيم في تدابيره ولا يجوز الكشخنة
على نبيه ولا تقريره عليها ان الذين يحبون يريدون ان تشيع ان تنتشر الفاحشة في الذين
آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة بالحد والسعير الى غير ذلك والله يعلم ما في الضماير
وانتم لا تعلمون فعاقبوا في الدنيا على ما دل عليه الظاهر والله سبحانه يعاقب على ما في القلوب
من حب الاشاعة ولولا فضل الله عليكم ورحمته تكرير للمنة بترك العاجلة بالعقاب للدلالة
على عظم الجريمة ولذا عطف قوله وان الله رؤوف رحيم على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف
الجواب وهو مستغنى عنه بذكره مرة يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان وقرأ نافع
والبزي وابو عمرو وابو بكر باسكان الطاء وقرئ بفتح الطاء وحمزة بسكونها ومن
يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشاء والمنكر بيان لعلة النهي عن اتباعه والفحشا

ما افرط

ما افرط قبحه والمنكر ما انكره الشرع ولولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيق التوبة الماحية
للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ما زكى ما طهر من دنسها منكم من احد ابدا آخر الدهر
ولكن الله يزكي من يشاء بحمله على التوبة وقبولها والله سميع لمقالهم عليم بنياتهم
ولا يأتل ولا يحلف افتعال من الالية او ولا يقصر من الالو والاول اوفق ولا يتال
وانه نزل في ابي بكر وقد حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين
اولوا الفضل منكم في الدين والسعة في المال وفيه دليل على فضل ابي بكر وشرفه ان يؤتوا على ان
لا يؤتوا وفي ان يؤتوا وقرئ بالتاء على الالتفات اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله
صفات لموصوف واحد اي ناسا جامعين لها لان الكلام فيمن كان كذلك او لموصوفات اقيمت
مقامها فيكون ابلغ في تعليل المقصود وليعفوا ما فرط منهم وليصفحوا بالاغماض عنه الا تحبون
ان يغفر الله لكم على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم والله غفور رحيم مع كمال قدرته
فتخلقوا باخلاقه روي انه عليه الصلاة والسلام قرأها على ابي بكر فقال بلى احب ورجع الى مسطح
نفقته ان الذين يرمون المحصنات العفايف الغافلات مما قذفن به المؤمنات بالله ورسوله
استباحة لعرضهن وطعنا في الرسول والمؤمنين كابن ابي لعنوا في الدنيا والآخرة لما طعنوا فيهن
ولهم عذاب عظيم لعظم ذنوبهم وقيل هو حكم كل قاذف ما لم يتب وقيل مخصوص بمن قذف
ازواج النبي ولذلك قال ابن عباس لا توبة له ولو فتشت وعيدات القرآن لم تجد اغلظ مما نزل
في افك عايشة يوم تشهد عليهم ظرف لما في لهم من معنى الاستقرار للعذاب لا له منصوب وقرأ حمزة
والكسائي بالياء للتقدم والفصل السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يعترفون بها بانطاق
الله اياها بغير اختيارهم او بظهور آثاره عليها وفي ذلك مزيد تهويل للعذاب يومئذ يوفيهم الله
دينهم الحق جزاءهم المستحق ويعلمون لمعاينتهم الامر ان الله هو الحق المبين الثابت بذاته الظاهر
الوهيته لا يشاركه في ذلك غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه او ذو الحق المبين اي العادل
الظاهر عدله ومن كان هذا شانه ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة الخبيثات للخبيثين والخبيثون
للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اي الخبائث يتزوجن الخباث
وبالعكس وكذلك اهل الطيب فيكون كالدليل على قوله اولئك يعني اهل بيت النبي او الرسول وعايشة
وصفوان مبرؤون مما يقولون اذ لو صدق لم تكن زوجته ولم يقرر عليه وقيل الخبيثات والطيبات
من الاقوال والاشارة الى الطيب والضمير في يقولون للآفكين اي مبرؤون مما يقولون فيهم او الخبيثين
والخبيثات اي مبرؤون من ان يقولوا مثل قولهم لهم مغفرة ورزق كريم يعني الجنة ولقد برأ الله اربعة
باربعة برأ يوسف عليه السلام بشاهد من اهلها وموسى من قول اليهود بالحجر الذي ذهب بثوبه ومريم
بانطاق ولدها وعايشة بهذه الآيات مع هذه المبالغات وما ذلك الا لاظهار منصب الرسول
واعلاء منزلته يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم التي تسكنونها فان الآجر والمعير ايضا
لا يدخلان الا باذن حتى تستانسوا تستاذنوا من الاستيناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء اذا
ابصره فان المستاذن مستعلم للحال مستكشف انه هل يراد دخوله او يؤذن له من الاستيناس

ق

الذي هو خلاف الاستيحاش فإن المستأذن مستوحش خائف أن لا يؤذن له فإذا أذن استأنس
أو تتعرفوا أنه أنسان من الإنسان وتسلموا على أهلها بأن تقولوا السلام عليكم أأدخل وعنه عليه الصلاة و
التسليم أن يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فإن أذن له دخل وإلا رجع ذلكم خير لكم أي الاستئذان
والتسليم خير لكم من أن تدخلوا بغتة أو على تحية الجاهلية كان الرجل منهم إذا دخل بيتا غير بيته
قال حييتم صباحا وحييتم مساء ودخل فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف وروي أن رجلا قال للنبي أستأذن
على أمي قال نعم قال لا خادم لها غيري أأستأذن كلما دخلت قال أتحب أن تراها عريانة قال لا
قال فاستأذن لعلكم تذكرون متعلق بمحذوف أي نزل عليكم أو قيل لكم هذا إرادة أن تذكروا
وتعملوا بما هو أصلح لكم فإن لم تجدوا فيها أحدا يأذن لكم فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم حتى يأتي
من يؤذن لكم فإن المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ما يخفيه الناس
عادة مع أن التصرف في ملك الغير بغير إذنه محظور واستثني ما إذا عرض فيه حرق أو غرق أو كان
فيه منكر ونحوها وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا هو أزكى لكم الرجوع أطهر لكم
عما لا يخلو عن الإلحاح والوقوف على الباب من الكراهة وترك المروءة وأنفع لدينكم ودنياكم
والله بما تعملون عليم فيعلم ما تأتون وما تذرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه ليس عليكم جناح أن
تدخلوا بيوتا غير مسكونة كالربط والخانات والحوانيت فيها متاع لكم استمتاع لكم كالاستكنان
من الحر والبرد وإيواء الأمتعة والجلوس للمعاملة وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت
المسكونة وغيرها والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد لمن دخل مدخلا لفساد أو تطلع على
عورات قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم أي ما يكون نحو محرم ويحفظوا فروجهم إلا على أزواجهم
أو ما ملكت أيمانهم ولما كان المستثنى منه كالشاذ النادر بخلاف الغض أطلقه وقيد الغض بحرف
التبعيض وقيل حفظ الفروج ههنا خاصة سترها ذلك أزكى لهم لما فيه من البعد عن الريبة
إن الله خبير بما يصنعون لا يخفى عليه إجالة أبصارهم واستعمال سائر حواسهم وتحريك
جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون وقل للمؤمنات يغضضن من
أبصارهن فلا ينظرن إلى ما لا يحل لهن النظر إليه من الرجال ويحفظن فروجهن بالتستر والتحفظ
عن الزنا وتقديم الغض لأن النظر بريد الزنا ولا يبدين زينتهن كالحلي والثياب والأصباغ
فضلا عن مواضعها لمن لا يحل أن تبدي له إلا ما ظهر منها عند مزاولة الأشياء كالثياب والخاتم
فإن في سترها حرجا وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف أو ما يعم المحاسن الخلقية
والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لأنها ليست بعورة والأظهر أن هذا في الصلاة
لا في النظر فإن كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر إلى شيء منها إلا لضرورة
كالمعالجة وتحمل الشهادة وليضربن بخمرهن على جيوبهن سترا لأعناقهن ولا يبدين زينتهن
كرره لبيان من يحل له الإبداء ومن لا يحل له إلا لبعولتهن فإنهم المقصودون بالزينة ولهم أن
ينظروا إلى جميع بدنهن حتى الفرج بكره أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن
أو إخوانهن أو بني إخوانهن لكثرة مداخلتهم عليهن واحتياجهن إلى مداخلتهم وقلة توقع الفتنة

من قبلهم لما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب ولهم أن ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة
والخدمة وإنما لم يذكر الأعمام والأخوال لأنهم في معنى الإخوان أو لأن الأحوط أن يتسترن
عنهم حذرا أن يصفوهن لأبنائهم أو نسائهن يعني المؤمنات فإن الكافرات لا يتحرجن
عن وصفهن للرجال أو النساء كلهن وللعلماء في ذلك خلاف أو ما ملكت أيمانهن يعم الإماء
والعبيد لما روي أنه عليه الصلاة والسلام أتى فاطمة عليها السلام بعبد وهبه لها وعليها ثوب
إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها وإذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها فقال عليه الصلاة
والسلام إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك وغلامك وقيل المراد بها الإماء وعبد المرأة كالأجنبي
أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أي أولي الحاجة إلى النساء وقيل هم الشيوخ الهم
والممسوحون وفي المجبوب والخصي خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم
ولا يعرفون شيئا من أمور النساء وقرأ ابن عامر وأبو بكر غير بالنصب على الحال أو الطفل
الذين لم يظهروا على عورات النساء لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع أو لعدم
بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة
الوصف ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ليتقعقع خلخالها فيعلم
أنها ذات خلخال فإن ذلك يورث ميلا في الرجال وهو أبلغ من النهي عن إظهار الزينة
وأدل على المنع من رفع الصوت وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون إذ لا يكاد يخلو أحدكم
من تفريط سيما في الكف عن الشهوات وقيل توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية فإنه
وإن جب بالإسلام لكنه يجب الندم عليه والعزم على الكف كلما يتذكر لعلكم تفلحون
بسعادة الدارين وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم لما نهى عما عسى
أن يفضي إلى السفاح المخل بالنسب المقتضي للألفة وحسن التربية ومزيد الشفقة المؤدية
إلى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه أمر بالنكاح الحافظ له والخطاب للأولياء
والسادة وفيه دليل على وجوب تزويج المولية والمملوك وذلك عند طلبها وإشعار بأن المرأة
والعبد لا يستبدان به إذ لو استبدا لما وجب على الولي والمولى وأيامى مقلوب أيايم كيتامى
وهو العزب ذكرا كان أو أنثى بكرا أو ثيبا قال

فإن تنكحي أنكح وإن تتأيمي ... وإن كنت أفتى منكم أتأيم

وتخصيص الصالحين لأن إحصان دينهم والاهتمام بشأنهم أهم وقيل المراد الصالحون
للنكاح والقيام بحقوقه إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله رد لما عسى يمنع من
النكاح والمعنى لا يمنعن فقر الخاطب أو المخطوبة من المناكحة فإن في فضل الله غنية عن
المال فإنه غاد ورائح أو وعد من الله بالإغناء لقوله عليه الصلاة والسلام اطلبوا
الغنى في هذه الآية لكنه مشروط بالمشيئة لقوله تعالى وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم
الله من فضله إن شاء والله واسع عليم ذو سعة لا تنفد نعمته إذ لا تنتهي قدرته
عليم يبسط الرزق ويقدر على ما تقتضيه حكمته وليستعفف الذين ليجتهدوا في العفة

وقمع الشهوة لا يجدون نكاحا اسبابه ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به وبالوجدان التمكن
منه حتى يغنيهم الله من فضله فيجدوا ما يتزوجون به والذين يبتغون الكتاب المكاتبة
وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من الكتاب لان السيد كتب على نفسه عتقه
اذا ادى المال او لانه مما يكتب لتاجيله ومن الكتب بمعنى الجمع لان العوض فيه يكون
منجما بنجوم ويضم بعضها الى بعض مما ملكت ايمانكم عبدا كان او امة والموصول بصلته مبتدا
خبره فكاتبوهم او مفعول لمضمر هذا تفسيره والفا لتضمن معنى الشرط والامر فيه للندب عند
اكثر العلما لان الكتابة معاوضة تتضمن الارفاق فلا تجب كغيرها واحتجاج الحنفية باطلاقه
على جواز الكتابة الحالة ضعيف لان المطلق لا يعم مع ان العجز عن الادا في الحال يمنع صحتها
كما في السلم فيما لا يوجد عند المحل ان علمتم فيهم خيرا امانة وقدرة على ادا المال بالاحتراف
وقد روي مثله مرفوعا وقيل صلاحا في الدين وقيل مالا وضعفه ظاهر لفظا وهو شرط
الامر فلا يلزم من عدمه عدم الجواز وآتوهم من مال الله الذي آتاكم امر للموالي كما قبله بان يبذلوا
لهم شيا من اموالهم وفي معناه حط شي من مال الكتابة وهو للوجوب عند الاكثر ويكفي اقل
ما يتمول وعن علي رضي الله تعالى عنه يحط الربع وعن ابن عباس الثلث وقيل ندب لهم
الى الانفاق عليهم بعد ان يودوا ويعتقوا وقيل امر لعامة المسلمين باعانة المكاتبين
واعطايهم سهمهم من الزكاة ويحل للمولى وان كان غنيا لانه لا ياخذه صدقة كالمداين
والمشتري ويدل عليه قوله عليه السلام في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية ولا تكرهوا
فتياتكم اماءكم على البغاء على الزنا كانت لعبد الله بن ابي ست جوار يكرههن على الزنا وضرب
عليهن الضرايب فشكى بعضهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ان اردن تحصنا
تعففا شرط للاكراه فانه لا يوجد دونه وان جعل شرطا للنهي لم يلزم من عدمه جواز
الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهي بامتناع المنهي عنه وايثار ان على اذا لان ارادة
التحصن من الاماء كالشاذ النادر لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله
من بعد اكراههن غفور رحيم لهن او له والاول اوفق للظاهر ولما في مصحف ابن مسعود
من بعد اكراههن لهن غفور رحيم ولا يرد عليه ان المكرهة غير اثمة فلا حاجة الى المغفرة لان
الاكراه لا ينافي المواخذة بالذات ولذلك حرم على المكره القتل واوجب عليه القصاص ولقد انزلنا اليكم
ايات مبينات يعني الايات التي بينت في هذه السورة واوضحت فيها الاحكام والحدود وقرا
ابن عامر وحمزة والكسائي بالكسر لانها واضحات تصدقها الكتب المتقدمة والعقول
السليمة او من بين بمعنى تبين او لانها بينت الاحكام والحدود ومثلا من الذين خلوا
من قبلكم ومثلا من امثال من قبلكم اي وقصة عجيبة مثل قصصهم وهي قصة عايشة رضي الله عنها
فانها كقصة يوسف ومريم وموعظة للمتقين يعني ما وعظ به في تلك الايات وتخصيص المتقين
لانهم المنتفعون بها وقيل المراد بالايات القران والصفات المذكورة صفاته الله نور
السموات والارض النور في الاصل كيفية تدركها الباصرة اولا وبواسطتها ساير المبصرات

كالكيفية

كالكيفية الفايضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه
على الله تعالى الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم او على تجوز اما بمعنى منور السموات والارض وقد
قري به فانه تعالى نورها بالكواكب وما يفيض عليها من الانوار وبالملايكة والانبيا او مدبرها
من قولهم للرييس الفايق في التدبير نور القوم لانهم يهتدون به في الامور او موجدها فان النور
ظاهر بنفسه مظهر لغيره واصل الظهور هو الوجود كما ان اصل الخفا هو العدم والله سبحانه موجود
بذاته موجد لما عداه والذي به يدرك ويدرك اهلها من حيث انه يطلق على الباصرة لتعلقها او
في توقف الادراك عليه ثم على البصيرة لانها اقوى ادراكا فانها تدرك نفسها وغيرها من
الكليات والجزييات الموجودات والمعدومات وتغوص في بواطنها وتتصرف فيها بالتركيب
والتحليل ثم ان هذه الادراكات ليست لذاتها والا لما فارقتها فهي اذن من سبب يفيضها عليها
وهو الله تعالى ابتدا او بتوسط من الملايكة والانبيا ولذلك سموا انوارا ويقرب منه قول ابن عباس
معناه هادي من فيهما فهم بنوره يهتدون واضافته اليهما للدلالة على سعة اشراقه او لاشتمالهما
على الانوار الحسية والعقلية وقصور الادراكات البشرية عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول عليهما
مثل نوره صفة نوره العجيبة الشان واضافته الى ضميره سبحانه دليل على ان اطلاقه عليه
لم يكن على ظاهره كمشكاة كصفة مشكاة وهي الكوة الغير النافذة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب
وقيل المشكاة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة المصباح في زجاجة
في قنديل من الزجاج الزجاجة كانها كوكب دري مضي متلالي كالزهرة في صفايه
وزهرته منسوب الى الدر او فعيل كمريق من الدر فانه يدفع الظلام بضوئه او بعض ضوئه
بعضا من لمعانه الا انه قلب همزته يا ويدل عليه قراءة حمزة وابي بكر على الاصل وقراءة ابي عمرو
والكسائي دري كشريب وقد قرئ به مقلوبا توقد من شجرة مباركة زيتونة اي ابتدا ثقوب
المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بان رويت ذبالته بزيتها وفي ابهام الشجرة ووصفها
بالبركة ثم ابدال الزيتونة عنها تفخيم لشانها وقرا نافع وابن عامر وحفص بالياء والبنا للمفعول
من اوقد وحمزة والكسائي وابو بكر بالتاء كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرئ
توقد وتوقد بحذف التاء لاجتماع زايدتين وهو غريب لا شرقية ولا غربية تقع الشمس عليها
بعد حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي تكون على قلة او صحرا واسعة فان ثمرتها تكون انضج
وزيتها اصفى او لا نابتة في شرق المعمورة وغربها بل في وسطها وهو الشام فان زيتونه اجود
الزيتون او لا في مضحى تشرق الشمس عليها دايما فتحرقها او مقناة تغيب عنها دايما فتتركها نيا وفي
الحديث لا خير في شجرة ولا نبات في مقناة ولا خير فيها في مضحى يكاد زيتها يضيء ولو لم
تمسسه نار اي يكاد يضيء بنفسه من غير نار لتلالوه وفرط وبيصه نور على نور نور
متضاعف فان نور المصباح زاد في انارته صفا الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة
لاشعته وقد ذكر في معنى التمثيل وجوه الاول انه تمثيل للهدى الذي دل عليه الايات
البينات في جلا مدلولها وظهور ما تضمنه من الهدى بالمشكاة المنعوتة او تشبيه للهدى

د
لمشاركتها
لهما
قب

من حيث يحفوف بظلمات اوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح وانما ولي الكاف المشكوة لاشتمالها
عليه والتشبيه به اوفق من تشبيهه بالشمس او تمثيل لما نور الله قلب المؤمن من المعارف والعلوم
بنور المشكاة المنبث فيها من مصابيحها ويويده قراءة ابي مثل نور المؤمن او تمثيل لما منح
الله عباده من القوى الدراكة الخمس المترتبة التي ينوط بها المعاش والمعاد وهي
الحساسة التي تدرك المحسوسات بالحواس الخمس والخيالية التي تحفظ صور تلك المحسوسات
لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت والعاقلة التي تدرك الحقائق الكلية والمفكرة
وهي التي تؤلف المعقولات لتستنتج منها علم ما لم تعلم والقوة القدسية التي يتجلى
فيها لوائح الغيب واسرار الملكوت المختصة بالانبيا والاوليا المعنية بقوله ولكن
جعلناه نهدي به من نشا من عبادنا بالاشيا الخمسة المذكورة في الاية وهي
المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت فان الحساسة كالمشكاة لان محلها
كالكوى ووجهها الى الظاهر لا يدرك ما وراها واضاءتها بالمعقولات لا بالذات
والخيالية كالزجاجة في قبول صور المدركات من الجوانب وضبطها الى الانوار العقلية
وانارتها بما يشتمل عليها من المعقولات والعاقلة كالمصباح لاضاءتها بالادراكات
الكلية والمعارف الالهية والمفكرة بالشجرة المباركة لتاديها الى الثمرات لا نهاية لها
والزيتونة المثمرة بالزيت الذي هو مادة المصباح التي لا تكون شرقية ولا غربية
لتجردها عن اللواحق الجسمية او لوقوعها بين الصور والمعاني متصرفة في القبيلين
من الجانبين والقوة القدسية كالزيت فانها لصفائها وشدة ذكائها يكاد تضيء
بالمعارف من غير تفكر ولا تعليم او تمثيل للقوة العقلية في مراتبها بذلك فانها
في بدء امرها خالية عن العلوم مستعدة لقبولها كالمشكاة ثم تنتقش بالعلوم الضرورية
بتوسط احساس الجزئيات بحيث تتمكن من تحصيل النظريات فتصير كالزجاجة متلالئة
في نفسها قابلة للانوار وذلك التمكن ان كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة
وان كان بالحدس فكالزيت وان كان بقوة قدسية فكالتي يكاد زيتها يضيء لانها تكاد تعلم
ولو لم يتصل بملك الوحي والالهام الذي مثله النار من حيث ان العقول تشتعل عنها
ثم اذا حصلت لها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها متى شاءت كان كالمصباح فاذا
استحضرها كان نورا على نور يهدي الله لنوره اي لهذا النور الثاقب من يشا
فان الاسباب دون مشيته لاغية اذ بها تمامها ويضرب الله الامثال للناس
ادنا للمعقول من المحسوس توضيحا وبيانا والله بكل شيء عليم معقولا كان او محسوسا
ظاهرا كان او خفيا وفيه وعد ووعيد لمن تدبرها ولمن لم يكترث لها في بيوت متعلق
بما قبله اي كمشكاة في بيوت او توقد في بيوت فيكون تقييدا للممثل به بما يكون
تحبيرا ومبالغة فان قناديل المساجد تكون اعظم او تمثيلا لصلاة المؤمنين او ابدانهم
بالمساجد بما له هذا الوصف بلا اعتبار ولا كثرة او بما بعده وهو يسبح وفيها تكرير

مؤكد

مؤكد لا تذكر لان الصفة ملايمها وقيل المساجد الثلاثة والتنكير للتعظيم اذن الله ان
ترفع بالبناء او التعظيم ويذكر فيها اسمه عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة في افعاله والمباحثة
في احكامه يسبح له فيها بالغدو والاصال يتنزهونه او يصلون له فيها بالغدوات والعشيات
والغدو مصدر اطلق للوقت ولذلك حسن اقترانه بالاصال وهو جمع اصيل وقرئ والايصال
وهو الدخول في الاصيل وقرا ابن عامر يسبح بالفتح على اسناده الى احد الظروف الثلاثة
ورفع رجال بما يدل عليه وقرئ بالتاء مكسورا لتانيث الجمع ومفتوحا على اسناده الى اوقات
الغدو رجال لا تلهيهم تجارة لا تشغلهم معاملة رابحة ولا بيع عن ذكر الله مبالغة بالتعميم
بعد التخصيص ان اريد مطلق المعاوضة او بافراد ما هو الاهم من قسمي التجارة فان الربح
يتحقق بالبيع ويتوقع بالشرا وقيل المراد بالتجارة الشرا فانه اصلها ومبداها وقيل الجلب
لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا اذا جلب وفيه ايما بانهم تجار واقام الصلاة
عوض فيه الاضافة من التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال كقوله واخلفوك عد الامر الذي
وايتاء الزكاة ما يجب اخراجه من المال للمستحقين يخافون يوما مع ما هم عليه من الذكر والطاعة
تتقلب فيه القلوب والابصار تضطرب وتتغير من الهول او تتقلب احوالها فتفقه القلوب
ما لم تكن تفقه وتبصر الابصار ما لم تكن تبصر او تتقلب القلوب من توقع النجاة وخوف
الهلاك والابصار من اي ناحية يوخذ بهم ويوتى كتابهم ليجزيهم الله متعلق بيسبح او لا
تلهيهم او يخافون احسن ما عملوا احسن جزاء ما عملوا الموعود لهم من الجنة ويزيدهم من
فضله اشياء لم يعدهم على اعمالهم ولم تخطر ببالهم والله يرزق من يشاء بغير حساب
تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشية وسعة الاحسان والذين كفروا
اعمالهم كسراب بقيعة والذين كفروا حالهم على ضد ذلك فان اعمالهم التي يحسبونها صالحة
نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيبة في العاقبة كالسراب وهو ما يرى في الفلاة
من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب اي يجري والقيعة بمعنى القاع
وهو الارض المستوية وقيل جمعه كجار وجيرة وقرئ بقيعات كديمات في ديمة
يحسبه الظمآن ماء اي العطشان وهو تخصيصه لتشبيه الكافر به في شدة الخيبة عند
مسيس الحاجة حتى اذا جاءه جاء ما توهمه ماء او موضعه لم يجده شيئا مما ظنه ووجد الله
عنده عقابه او زبانيته او وجده محاسبا اياه فوفاه حسابه استعراضا او مجازاة
والله سريع الحساب لا يشغله حساب عن حساب روي انها نزلت في عتبة بن ربيعة
ابن امية تعبد في الجاهلية والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر او كظلمات عطف على كسراب
واو للتخيير فان اعمالهم لكونها لاغية لا منفعة فيها كالسراب ولكونها خالية عن نور الحق
كالظلمات المتراكمة من لج البحر والامواج والسحاب او للتنويع فان اعمالهم ان كانت
حسنة فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات او للتقسيم باعتبار وقتين فانها كالظلمات
في الدنيا والسراب في الاخرة في بحر لجي عميق منسوب الى اللج وهو معظم الماء يغشاه يغشى البحر

وعدوا

موج من فوقه موج اي امواج مترادفة متراكمة من فوقه من فوق الموج الثاني سحاب
غطى النجوم وحجب انوارها والجملة صفة اخرى للبحر ظلمات اي هذه ظلمات بعضها فوق
بعض وقرا ابن كثير ظلمات بالجر على ابدالها من الاولى وباضافة السحاب اليها اذا اخرج
يده وهي اقرب ما ترى اليه لم يكد يراها لم يقرب ان يراها فضلا ان يراها كقوله
اذا غير الناي المحبين لم يكد . رسيس الهوى من حب مية يبرح
والضماير للواقع في البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه ومن لم يجعل الله له نورا
ومن لم يقدر له الهداية ولم يوفقه لاسبابها فما له من نور خلاف الموفق الذي له نور على نور
الم تر الم تعلم علما يشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة بالوحي او الاستدلال يسبح له
من في السموات والارض تنزه ذاته عن كل نقص وافة اهل السموات والارض ومن لتغليب العقلا
او الملائكة والثقلان بما يدل عليه من قال ودلالة حال والطير على الاول تخصيص لما فيها من الصنع
الظاهر والدليل الباهر ولذلك قيدها بقوله صافات فان اعطا الاجرام الثقيلة ما به
تقوى على الوقوف في الجو صافة باسطة اجنحتها بما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة
على كمال قدرة الصانع ولطف تدبيره كل واحد مما ذكر او من الطير قد علم صلاته وتسبيحه
اي قد علم الله دعاه وتنزيهه اختيارا او طبعا لقوله والله عليم بما يفعلون او علم كل
على تشبيه حاله في الدلالة على الحق والميل الى النفع على وجه يخصه بحال من علم ذلك مع انه
لا يبعد ان يلهم الله الطير دعا وتسبيحا كما الهمها علوما دقيقة في اسباب تعيشها لا تكاد
يهتدي اليه العقلا ولله ملك السموات والارض فانه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات
والافعال من حيث انها ممكنة واجبة الانتها الى الواجب والى الله المصير مرجع الجميع الم تر ان الله
يزجي سحابا يسوق ومنه البضاعة المزجاة فانها يزجيها كل احد ثم يؤلف بينه بان يكون
قزعا فيضم بعضه الى بعض وبهذا الاعتبار صح بينه اذ المعنى بين اجزايه ثم يجعله ركاما
متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق المطر يخرج من خلاله من فتوقه جمع خلل كجبال
في جبل وقرئ من خلله وينزل من السما وكلما علاك فهو سما من جبال فيها من قطع عظام
تشبه الجبال في عظمها او جمودها من برد بيان للجبال والمفعول محذوف او ينزل مبتديا
من السما من جبال فيها من برد بردا فيجوز ان يكون من الثانية او الثالثة للتبعيض واقعة
موقع المفعول وقيل المراد من السما المظلة وفيها جبال من برد كما في الارض جبال من حجر وليس في
العقل قاطع يمنعه والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة
الباردة من الهوى وقوي البرد هناك اجتمع وصار سحابا فان لم يشتد البرد تقاطر مطرا
وان اشتد فان وصل الاجزا البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهوى
بردا مفرطا وينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر او الثلج وكل ذلك لا بد وان يستند الى ارادة
الواجب الحكيم لقيام الدليل على انها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالها واوقاتها واليه اشار
بقوله فيصيب به من يشا ويصرفه عمن يشا والضمير للبرد يكاد سنا برقه ضوء برقه وقرئ بالمد على

العلو وبادغام الدال في السين وبرقه بفتح الرا وهو جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة
وبضمها للاتباع يذهب بالابصار بابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك
اقوى دليل على كمال القدرة من حيث توليد الضد من الضد وقرئ يذهب على زيادة
البا يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة وبنقص احدهما وزيادة الاخر وبتغير احدهما
بالحر والبرد والظلمة والنور او بما يعم ذلك ان في ذلك فيما تقدم ذكره لعبرة لاولي
الابصار لدلالة على وجود الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيته
وتنزهه عن الحاجة وما يفضي اليها لمن يرجع الى بصيرة والله خلق كل دابة حيوان
يدب على الارض وقرا حمزة والكسائي خالق كل دابة بالاضافة من ما هو جزء مادته
او ما مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل اذ من الحيوانات ما لا
عن النطفة وقيل من ما متعلق بدابة وليس صلة فمنهم من يمشي على بطنه كالحية
وانما سمي الزحف مشيا على الاستعارة للمشاكلة ومنهم من يمشي على رجلين كالا
والطير ومنهم من يمشي على اربع كالنعم والوحش ويندرج فيه ما له اكثر من اربع
كالعناكب فان اعتمادها اذا مشت على اربع وتذكير الضمير لتغليب العقلا
والتعبير عن الاصناف ليوافق التفصيل الجملة والترتيب لتقديم ما هو اعرف
في القدرة يخلق الله ما يشا مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا او مركبا على اختلاف الصور
والاعضا والهيئات والحركات والطبايع والقوى والافعال مع اتحاد العنصر
بمقتضى مشيته ان الله على كل شيء قدير فيفعل ما يشا لقد انزلنا ايات مبينات
للحقايق بانواع الدلايل والله يهدي من يشا بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها
الى صراط مستقيم هو دين الاسلام الموصل الى درك الحق ويقولون امنا بالله وبالرسو
نزلت في بشر المنافق دعاه الى كعب بن الاشرف وهو يدعوه الى النبي صلى الله عليه وسلم
وقيل في مغيرة بن وايل خاصم عليا في ارض فابى ان يحاكمه الى الرسول عليه الصلاة والسلام
واطعنا اي واطعناهما ثم يتولى بالامتناع عن قبول حكمه فريق منهم من بعد ذلك
بعد قولهم هذا وما اولئك بالمؤمنين اشارة الى القائلين باسرهم فيكون اعلاما من الله
بان جميعهم وان امنوا بلسانهم لم تؤمن قلوبهم او الى الفريق منهم وسلب الايمان عنهم
لتوليهم والتعريف فيه للدلالة على انهم ليسوا بالمومنين الذين عرفتهم وهم المخلصون
في الايمان او الثابتون عليه واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اي ليحكم النبي
عليه الصلاة والسلام فانه الحاكم ظاهرا والمدعو اليه وذكر الله لتعظيمه والدلالة على ان
حكمه في الحقيقة حكم الله اذا فريق منهم معرضون فاجا فريق منهم الاعراض اذا كان
الحق عليهم لعلمهم بانك لا تحكم لهم وهو شرح للتولي ومبالغة فيه وان يكن لهم الحق
اي الحكم لا عليهم ياتوا اليه مذعنين منقادين لعلمهم انه يحكم لهم والى صلة لياتوا
او لمذعنين وتقدمه للاختصاص افي قلوبهم مرض كفر او ميل الى الظلم ام ارتابوا

يتولد

نس

ل

بان راوا منك نعمة فزال شكهم ويقينهم بل ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله في الحكومة بل اولئك هم الظالمون اضراب عن القسمين الاخيرين واثبات القسم الاول ووجه التقسيم ان امتناعهم اما لخلل فيهم او في الحاكم والثاني اما ان يكون محققا عندهم او متوقعا وكلاهما باطل لان منصب نبوته وفرط امانته يمنعه فتعين الاول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف والفصل لنفي ذلك عن غيرهم سيما المدعو الى حكمه انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون على عادته تعالى في اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغي بعد انكاره لما لا ينبغي وقرئ قول بالرفع وليحكم على البناء للمفعول واسناده الى ضمير مصدره على معنى ليفعل الحكم ومن يطع الله ورسوله فيما يأمرانه في الفرائض والسنن ويخش الله على ما صدر عنه من الذنوب ويتقه فيما بقي من عمره وقرأ يعقوب وقالون عن نافع بلا يا وابو عمرو وابو بكر بسكون الها وحفص بسكون القاف فشبه تقه بكتف فخفف فاولئك هم الفائزون بالنعيم المقيم واقسموا بالله جهد ايمانهم انكار للامتناع عن حكمه لئن امرتهم بالخروج عن ديارهم واموالهم ليخرجن جواب لاقسموا على الحكاية قل لا تقسموا على الكذب طاعة معروفة اي المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمين والطاعة النفاقية المنكرة او طاعة معروفة امثل منها او لتكن طاعة وقرئ بالنصب على اطيعوا طاعة ان الله خبير بما تعملون فلا يخفى عليه سرائركم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول امر بتبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية مبالغة في تبكيتهم فان تولوا فانما عليه على محمد ما حمل من التبليغ وعليكم ما حملتم من الامتثال وان تطيعوه في حكمه تهتدوا الى الحق وما على الرسول الا البلاغ المبين التبليغ الواضح لما كلفتم به وقد ادى وانما بقي ما حملتم فان اديتم فلكم وان توليتم فعليكم وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات خطاب للرسول والامة او له ولمن معه ومن للبيان ليستخلفنهم في الارض ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الارض تصرف الملوك في مماليكهم وهو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او الوعد في تحققه منزل منزلة القسم كما استخلف الذين من قبلهم يعني بني اسرائيل استخلفهم في مصر والشام بعد الجبابرة وقرأ ابو بكر بضم التا وكسر اللام فاذا ابتدأ ضم الالف والباقون بفتحها واذا ابتدأوا كسروا الالف وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت وليبدلنهم من بعد خوفهم من الاعدا وقرأ ابن كثير وابو بكر بالتخفيف امنا منهم وكان رسول الله واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى انجز الله وعده فاظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم بلاد المشرق والمغرب وفيه دليل صحة النبوة للاخبار عن الغيب على ما هو به وعلى خلافة الخلفاء الراشدين اذ لم يجتمع الموعود والموعود عليه لغيرهم بالاجماع وقيل الخوف من العذاب والامن منه في الاخرة يعبدونني حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد او استئناف ببيان المقتضي للاستخلاف والامن لا يشركون بي شيئا حال من الواو اي يعبدونني غير مشركين ومن كفر ومن ارتد او كفر

هذه النعمة بعد ذلك بعد الوعد او حصول الخلافة فاولئك هم الفاسقون الكاملون في فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح هذه الايات او كفروا تلك النعمة العظيمة واقيموا الصلاة واتوا الزكاة واطيعوا الرسول في سائر ما امركم به ولا يبعد عطف ذلك على اطيعوا الله فان الفاصل وعد على المامور به فيكون تكرير الامر بطاعة الرسول للتاكيد وتعليق الرحمة او بالمعد رجعة هي فيه بقوله لعلكم ترحمون كما علق به الهدى لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض لا تحسبن يا محمد الكفار معجزين الله عن ادراكهم واهلاكهم وفي الارض صلة معجزين او ولا يحسبن الكفار في الارض احدا معجز الله فيكون معجزين في الارض مفعوليه او ولا يحسبونهم معجزين فحذف المفعول الاول لان الفاعل والمفعول لشي واحد واكتفي بذكر الاثنين عن الثالث وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء وهو كالاول في الاحتمالات ومأواهم النار عطف عليه من حيث المعنى كانه قيل الذين كفروا ليسوا بمعجزين ومأواهم النار لان المقصود من النهي عن الحسبان تحقيق نفي الاعجاز ولبئس المصير المأوى الذي يصيرون اليه يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم رجوع الى تتمة الاحكام السالفة بعد الفراغ عن الالهيات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الاحكام وغيره والوعد عليها والوعيد عن الاعراض عنها والمراد به خطاب الرجال والنساء غلب فيه الرجال لما روي ان غلام اسماء بنت ابي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصاري وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله تعالى نهى اباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا هذه الساعات علينا الا باذن ثم انطلق معه الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده وقد انزلت عليه هذه الاية والذين لم يبلغوا الحلم منكم والصبيان الذين لم يبلغوا من الاحرار فعبر عن البلوغ بالاحتلام لانه اقوى دلائله ثلاث مرات في اليوم والليلة مرة من قبل صلاة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب بدلا من ثلاث مرات او الرفع خبر المحذوف اي هي من قبل وحين تضعون ثيابكم اي ثيابكم لليقظة للقيلولة من الظهيرة بيان للحين ومن بعد صلاة العشاء لانه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف ثلاث عورات لكم اي هي ثلاث اوقات يختل فيها تستركم ويجوز ان يكون مبتدأ خبره ما بعده واصل العورة الخلل ومنه اعور المكان ورجل اعور وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالنصب بدلا من ثلاث مرات ~~بعضكم على بعض~~ ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن بعد هذه الاوقات في ترك الاستئذان وليس فيه ما ينافي اية الاستئذان فينسخها لانه في الصبيان ومماليك المدخول عليه وتلك في الاحرار البالغين طوافون عليكم اي هم طوافون استئنافا ببيان العذر المرخص في ترك الاستئذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا الفرق بين الاوقات الثلاثة وغيرها بانها عورات بعضكم على بعض

بعضكم طايف على بعض او يطوف بعضكم على بعض كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم الآيات
اي الاحكام والله عليم باحوالكم حكيم فيما يشرع لكم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا
كما استاذن الذين من قبلهم الذين بلغوا من قبلهم في الاوقات كلها واستدل به من اوجب استيذان
العبد البالغ على سيدته وجوابه ان المراد بهم المعهودون دون الذين جعلوا قسيما للمماليك فلا يندرجون
فيهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم كرره تاكيدا ومبالغة في الامر بالاستيذان
والقواعد من النساء العجائز اللاتي قعدن عن الحمل والحيض اللاتي لا يرجون نكاحا لا يطمعون فيه لكبرهن
فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن اي الثياب الظاهرة كالجلباب والفاء فيه لان اللام في
القواعد بمعنى اللاتي او لوصفها بها غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة مما امر باخفائه
في قوله ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف في اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة
لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء
الا انه خص بكشف المراة زينتها ومحاسنها للرجال وان يستعففن خير لهن من الوضع
لانه ابعد من التهمة والله سميع لمقالتهن للرجال عليم بمقصودهن ليس على الاعمى حرج ولا على
الاعرج حرج ولا على المريض حرج نفي لما كانوا يتحرجون من مواكلة الاصحاء حذرا من
استقذارهم او اكلهم من بيت من يدفع اليهم المفتاح ويبيح لهم التبسط فيه اذا خرج الى الغزو
وخلفهم على المنازل مخافة ان لا يكون ذلك عن طيبة قلب او اجابة من يدعوهم الى بيوت ابائهم او اولادهم
واقاربهم فيطعمونهم كراهة ان يكونوا كلا عليهم وهذا انما يكون اذا علم رضا صاحب البيت باذن
او قرينة او كان في اول الاسلام ثم نسخ بنحو قوله لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام
وقيل نفي للحرج عنهم في القعود عن الجهاد وهو لا يلايم ما قبله وما بعده ولا على انفسكم
ان تاكلوا من بيوتكم من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد لان بيت الولد
كبيته لقوله صلى الله عليه وسلم انت ومالك لابيك وقوله ان اطيب ما ياكل المؤمن من كسبه وان ولده من كسبه
او بيوت ابائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت
عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه وهو ما يكون تحت
ايديكم وتصرفكم من ضيعة او ماشية وكالة او حفظا وقيل بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وهو
ما يفتح به وقرئ مفتاحه او صديقكم او بيوت صديقكم فانهم ارضى بالتبسط في اموالهم وسرية
وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط هذا كله انما يكون اذا علم رضا صاحب البيت باذن او قرينة ولذلك
خصص هولاء فانه يعتاد التبسط بينهم او كان في اول الاسلام فنسخ فلا احتجاج للحنفية به
على ان قطع السرقة مال المحرم ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا مجتمعين او متفرقين
نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون ان ياكل الرجل وحده او في قوم من الانصار
اذا نزل بهم ضيف لا ياكلون الا معه او في قوم تحرجوا من الاجتماع على الطعام لاختلاف الطعام
في النزازة والنهمة فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت فسلموا على انفسكم على اهلها الذين هم منكم
دينا وقرابة تحية من عند الله ثابتة مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صلة للتحية فانه طلب

الحياة

الحياة وهي من عنده وانتصابها بالمصدر لانها بمعنى التسليم مباركة لانه يرجى بها زيادة الخير والثواب
طيبة تطيب بها نفس المستمع وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال متى لقيت احدا من امتي فسلم عليه
يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة
الابرار الاوابين كذلك يبين الله لكم الآيات كرره ثالثا لمزيد التاكيد وتفخيم الاحكام
المختتمة وفصل الاولين بما هو المقتضى لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال لعلكم تعقلون
اي الحق والخير في الامور انما المؤمنون اي الكاملون في الايمان الذين آمنوا بالله ورسوله
من صميم قلوبهم واذا كانوا معه على امر جامع كالجمعة والاعياد والحروب والمشاورة في
الامور ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع لم يذهبوا حتى يستاذنوه يستاذنوا
رسول الله فياذن لهم واعتباره في كمال الايمان لانه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه
عن المنافق فان ديدنه التسلل والفرار ولتعظيم الجرم في الذهاب عن مجلس رسول الله
بغير اذنه ولذلك اعاده مؤكدا على اسلوب ابلغ فقال ان الذين يستاذنونك اولئك الذين
يؤمنون بالله ورسوله فانه يفيد ان المستاذن مؤمن لا محالة وان الذاهب بغير اذن ليس كذلك
فاذا استاذنوك لبعض شانهم ما يعرض من المهام وفيه ايضا مبالغة وتضييق للامر
فاذن لمن شئت منهم تفويض للامر الى راي الرسول واستدل به على ان بعض الاحكام مفوضة
الى رايه ومن منع ذلك قيد المشية بان تكون تابعة لعلمه بصدقه وكان المعنى فاذن لمن علمت ان
له عذرا واستغفر لهم الله بعد الاذن فان الاستيذان ولو بعذر قصور لانه تقديم لامر
الدنيا على امر الدين ان الله غفور لفرطات العباد رحيم بالتيسير عليهم لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا لا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا في جواز الاعراض
والمساهلة في الاجابة والرجوع بغير اذن فان المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه
محرمة وقيل لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت والنداء
وراء الحجرة ولكن بلقبه المعظم مثل يا رسول الله ويا نبي الله مع التوقير والتواضع وخفض
الصوت او لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان
دعاءه مستجاب قد يعلم الله الذين يتسللون منكم يتسللون قليلا قليلا من الجماعة ونظير
تسلل تدرج وتدخل لواذا ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج او يلوذ بمن يؤذن فينطلق
معه كانه تابعه وانتصابه على الحال وقرئ بالفتح فليحذر الذين يخالفون عن امره
يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن لتضمنه معنى الاعراض
او يصدون عن امره دون المؤمنين من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول
لان المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله فان الامر له في الحقيقة او للرسول
فانه المقصود بالذكر ان تصيبهم فتنة محنة في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم في الآخرة
واستدل به على ان الامر للوجوب فانه يدل على ان ترك مقتضى الامر مقتض لاحد العذابين فان الامر بالحذر
عنه يدل على حسنه المشروط بقيام المقتضى له وذلك يستلزم الوجوب الا ان لله ما في السموات والارض

بعضكم على بعض فلا تبالوا بسخطه فان دعاءه موجب
او لا تجعلوا دعاءه كدعاء

تركه

قد يعلم ما انتم عليه ايها المكلفون المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص وانما اكد علمه
بقد لتاكيد الوعيد ويوم يرجعون اليه ويوم يرجع المنافقون اليه للجزا ويجوز ان يكون الخطاب
ايضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات وقرا يعقوب بفتح اليا وكسر الجيم فينبئهم بما عملوا
من سو الاعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه والله بكل شي عليم لا يخفى عليه خافية عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مومن
ومومنة فيما مضى وفيما بقي

سورة الفرقان مكية واىها سبع وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل الفرقان على عبده تكاثر
خيره من البركة وهي كثرة الخير او تزايد عن كل شي وتعالى عنه في صفاته وافعاله فان
البركة تتضمن معنى الزيادة وترتيبه على انزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير او لدلالته
على تعاليه وقيل دام من بروك الطير على الما ومنه البركة لدوام الما فيها وهو لا يتصرف
فيه ولا يستعمل الا لله تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما
سمي به القران لفصله بين الحق والباطل بتقريره او المحق والمبطل باعجازه او لكونه
مفصولا بعضه عن بعض في الانزال وقرى على عباده وهم رسول الله وامته لقوله لقد انزلنا
اليكم او الانبيا على ان الفرقان اسم جنس للكتب السماوية ليكون العبد او الفرقان
للعالمين للجن والانس نذيرا منذرا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار وهذه الجملة
وان لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها اجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة الذي له
ملك السموات والارض بدل من الاول او مدح مرفوع او منصوب ولم يتخذ ولدا كزعم
النصارى ولم يكن له شريك في الملك كقول الثنوية اثبت له الملك مطلقا ونفى ما يقوم
مقامه وما يقاومه فيه ثم نبه على ما يدل عليه فقال وخلق كل شي احدثه احداثا
مراعى فيه التقدير حسب ارادته كخلقه الانسان من مواد مخصوصة وصور واشكال
معينة فقدره تقديرا فقدره وهياه لما اراد منه من الخصايص والافعال كتهيئة
الانسان للادراك والفهم والنظر والتدبير واستنباط الصنايع المتنوعة ومزاولة
الاعمال المختلفة الى غير ذلك او فقدره للبقا الى اجل مسمى وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد
من غير نظر الى وجه الاشتقاق فيكون المعنى واوجد كل شي فقدره في ايجاده حتى
لا يكون متفاوتا واتخذوا من دونه الهة لما تضمن الكلام اثبات التوحيد
والنبوة اخذ في الرد على المخالفين فيهما لا يخلقون شيئا وهم يخلقون لان عبدتهم
ينحتونهم ويصورونهم ولا يملكون ولا يستطيعون لانفسهم ضرا دفع ضر
ولا نفعا ولا جلب نفع ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا ولا يملكون
اماتة احد واحياءه اولا وبعثه ثانيا ومن كان كذلك فبمعزل عن الالوهية
لعرايه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا

على

على البعث والجزا وقال الذين كفروا ان هذا الا افك كذب مصروف عن وجهه افتراه
اختلقه واعانه عليه قوم اخرون اي اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم وهو
يعبر عنه بعبارته وقيل جبر ويسار وعداس وقد سبق في قوله انما يعلمه بشر
فقد جاوا ظلما بجعل الكلام المعجز افكا مختلقا متلقفا من اليهود وزورا بنسبة
ما هو بري اليه وجا واتى يطلقان بمعنى فعل فيعديان تعديته وقالوا اساطير الاولين
ما سطره المتقدمون اكتتبها كتبها لنفسه او استكتبها وقرى على البنا للمفعول
لانه اي واصله اكتتبها كاتب له فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها
اياه كاتب ثم حذف الفاعل وبني الفعل للضمير فاستتر فيه فهي تملى عليه بكرة واصيلا
ليحفظها فانه امي لا يقدر ان يكرر من الكتاب او ليكتب قل انزله الذي يعلم السر في
السموات والارض لانه اعجزكم عن آخركم بفصاحته وتضمنه اخبارا عن مغيبات
مستقبلة واشيا مكنونة لا يعلمها الا عالم الاسرار فكيف يجعلونه اساطير الاولين
انه كان غفورا رحيما فلذلك لا يعجل في عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته
عليها واستحقاقكم ان يصب عليكم العذاب صبا وقالوا مال هذا الرسول ما لهذا
الذي يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم ياكل الطعام كما ناكل ويمشي في الاسواق
لطلب المعاش كما نمشي والمعنى ان صح دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا وذلك لعمههم
وقصور نظرهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية
وانما هو باحوال نفسانية كما اشار اليه بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي
انما الهكم اله واحد لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ليعلم صدقه بتصديق الملك
او يلقى اليه كنز فيستظهر به ويستغني عن تحصيل المعاش او تكون له جنة ياكل منها
هذا على سبيل التنزل اي ان لم يلق اليه كنز فلا اقل ان يكون له بستان كما للدهاقين
والمياسير فيتعيش بريعه وقرا حمزة والكسائي بالنون وقال الظالمون وضع الظالمون
موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوه ان تتبعون ما تتبعون الا رجلا مسحورا
سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهو الرية اي بشرا لا ملكا انظر كيف ضربوا لك
الامثال اي قالوا فيك الاقوال الشاذة واخترعوا لك الاحوال النادرة فضلوا عن الطريق
الموصل الى معرفة خواص النبي عليه السلام والمميز بينه وبين المتنبي فخبطوا خبط
عشوا فلا يستطيعون سبيلا الى القدح في نبوتك او الى الرشد والهدى تبارك الذي
ان شا جعل لك في الدنيا خيرا من ذلك مما قالوا ولكن اخره الى الاخرة لانه خير وابقى
جنات تجري من تحتها الانهار بدل من خيرا ويجعل لك قصورا عطف على محل الجزا
وقرا ابن كثير وابن عامر وابو بكر بالرفع لان الشرط اذا كان ماضيا جاز في جوابه
الجزم والرفع كقوله وان اتاه خليل يوم مسالة يقول لا غايب مالي ولا حرم
ويجوز ان يكون استينافا بوعد ما يكون له في الاخرة وقرى بالنصب على انه جواب

الذي ح

يتين

بالواو بل كذبوا بالساعة فقصرت انظارهم على الحطام الدنيوي وظنوا ان الكرامة انما هي بالمال
فطعنوا فيك لفقرك او فلذلك كذبوك لا بما تحملوا من المطاعن الفاسدة او فكيف يلتفتون
الى هذا الجواب و يصدقونك بما وعد الله لك في الآخرة او فلا تعجب من تكذيبهم اياك
فانه اعجب منه واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا نارا شديدة الاستعار وقيل هو اسم
لجهنم فيكون صرفه باعتبار المكان اذا رأتهم اذا كانت بمرأى منهم كقوله عليه الصلاة والسلام
لا تتراءى ناراهما اي لا تتقاربان بحيث يكون احدهما بمرأى من الاخرى على المجاز والتانيث
لانه بمعنى النار او جهنم من مكان بعيد هو اقصى ما يمكن ان يرى منه سمعوا لها تغيظا وزفيرا
صوت تغيظ شبه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا
وان الحياة لما لم تكن مشروطة بالبنية امكن ان يخلق الله فيها حياة فترى وتتغيظ وتزفر
وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسبت اليها على حذف المضاف واذا القوا منها مكانا في مكان
ومنها بيان تقدم فصار حالا ضيقا لزيادة العذاب فان الكرب مع الضيق والروح مع السعة
ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها السموات والارض مقرنين قرنت ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل
دعوا هنالك في ذلك المكان ثبورا هلاكا اي يتمنون الهلاك وينادونه فيقولون يا ثبوراه
تعالى فهذا حينك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا اي يقال لهم ذلك وادعوا ثبورا كثيرا لان عذابهم
انواع كثيرة وكل نوع منها ثبور لشدته او لانه يتجدد لقوله تعالى كلما نضجت جلودهم
بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب او لانه لا ينقطع فهو في كل وقت ثبور قل اذلك خير ام
جنة الخلد التي وعد المتقون الاشارة الى العذاب والاستفهام والتفضيل والترديد للتقريع
مع التهكم او الى الكنز والجنة والراجع الى الموصول محذوف واضافة الجنة الى الخلد للمدح او للدلالة
على خلودها او التمييز عن جنات الدنيا كانت لهم في علم الله او اللوح او لان ما وعد الله في
تحققه كالواقع جزاء على اعمالهم بالوعد ومصيرا ينقلبون اليه ولا يمنع كونها جزاء لهم ان يتفضل
بها على غيرهم برضاهم مع جواز ان يراد بالمتقين من يتقي الكفر والتكذيب لانهم في مقابلتهم
لهم فيها ما يشاؤون ما يشاؤونه من النعيم ولعله تقصر همم كل طائفة على ما يليق برتبته اذ الظاهر
ان الناقص لا يدرك شيئا والكامل بالتشهي وفيه دليل على ان كل المراد لا يحصل الا في الجنة خالدين
حال من احد ضمائرهم كان على ربك وعدا مسئولا الضمير في كان لما يشاؤون والوعد الموعود
اي كان ذلك وعدا حقيقيا بان يسال ويطلب او مسئولا يسأله الناس في دعائهم ربنا وآتنا ما
وعدتنا على رسلك او الملائكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن وما في على من معنى الوجوب لامتناع
الخلف في وعده ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب
للانجاز ويوم يحشرهم للجزاء وقرئ بكسر الشين وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء وما يعبدون
من دون الله يعم كل معبود سواه واستعمال ما اما لان وضعه اعم ولذلك يطلق لكل شبح
يرى ولا يعرف او لانه اريد به الوصف كانه قيل ومعبودهم او لتغليب الاصنام تحقيرا او اعتبارا
لغلبة عبادها او يخص الملائكة وعزيرا والمسيح بقرينة السؤال والجواب او الاصنام ينطقها الله

اوتيكلم

او تتكلم بلسان الحال كما قيل في كلام الايدي والارجل فيقول اي للمعبودين وهو على تلوين الخطاب وقرأ ابن عامر
بالنون أأنتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم
عن المرشد النصيح وهو استفهام تقريع وتبكيت للعبدة واصله اضللتم ام ضلوا فغير
النظم ليلي حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولي للفعل دونه لانه لا شبهة فيه
والا لما توجه العتاب وحذف صلة ضلوا اضل للمبالغة قالوا سبحانك تعجبا مما قيل لهم
لانهم اما ملائكة وانبياء معصومون او جمادات لا تقدر على شيء او اشعارا بانهم الموسومون
بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم اضلال عبيده او تنزيها لله عن الانداد ما كان ينبغي لنا
ما يصح لنا ان نتخذ من دونك من اولياء للعصمة او لعدم القدرة فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا
ان يتولى احدا دونك وقرئ نتخذ على البناء للمفعول من اتخذ الذي له مفعولان لقوله واتخذ
الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثاني من اولياء ومن للتبعيض وعلى الاول مزيدة لتاكيد النفي ولكن متعتهم
وآباءهم بانواع النعم فاستغرقوا في الشهوات حتى نسوا الذكر حتى غفلوا عن ذكرك او التذكر
لآلائك والتدبر في آياتك وهو نسبة الضلال اليهم من حيث انه بكسبهم واسناده الى ما فعل
بهم فحملهم عليه وهو عين ما ذهبنا اليه فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة وكانوا في قضائك
قوما بورا هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه الجمع والواحد او جمع بائر كعائذ وعوذ
فقد كذبوكم بما تقولون في قولكم انهم آلهة وهؤلاء اضلونا والباء بمعنى في او مع المجرور بدل من الضمير وعن
ابن كثير بالياء اي كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا فما تستطيعون اي المعبودون وقرأ
حفص بالتاء على خطاب العابدين صرفا دفعا للعذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف
اي يحتال ولا نصرا يعينكم عليه ومن يظلم منكم ايها المكلفون نذقه عذابا كبيرا هي النار
والشرط وان عم كل من كفر او فسق لكنه في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة
والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون
الطعام ويمشون في الاسواق اي الا رسلا انهم فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه
واقيمت الصفة مقامه كقوله وما منا الا له مقام معلوم ويجوز ان يكون حالا اكتفي فيها بالضمير
وهو جواب لقولهم مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق وقرئ يمشون اي
يمشيهم حوائجهم او الناس وجعلنا بعضكم ايها الناس لبعض فتنة ابتلاء ومن ذلك ابتلاء
الفقراء بالاغنياء والمرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة وايذائهم لهم
وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قالوه بعد نقضه وفيه دليل على القضاء والقدر
أتصبرون علة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة لنعلم ايكم يصبر ونظيره
قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا او حث على الصبر على ما افتتنوا به وكان ربك
بصيرا بمن يصبر او بالصواب فيما يبتلى به او غيره وقال الذين لا يرجون لا يأملون
لقاءنا بالخير لكفرهم بالبعث او لا يخافون لقاءنا بالشر على لغة تهامة واصل اللقاء الوصول
الى الشيء ومنه الرؤية فانه وصول الى المرئي والمراد الوصول الى جزائه ويمكن ان يراد به الرؤية

متعتهم

فقد كذبوكم التفات الى العبدة بالاحتجاج والالزام على حذف القول والمعنى فقد كذبوكم المعبودون

صول

على الاول لولا هلا انزل علينا الملائكة فيخبرنا بصدق محمد عليه السلام وقيل فيكونون رسلا
الينا او نرى ربنا فيامرنا بتصديقه واتباعه لقد استكبروا في انفسهم اي في شانها
حتى ارادوا لها ما يتفق للافراد من الانبيا الذين هم اكمل خلق الله في اكمل اوقاتها وما هو
اعلى من ذلك وعتوا وتجاوزوا في الظلم عتوا كبيرا بالغا اقصى مراتبه حيث عاينوا
المعجزات القاهرة فاعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامح
النفوس واللام جواب قسم محذوف وفي الاستئناف بالجملة حسن واشعار بالتعجب
من استكبارهم وعتوهم كقوله وجارة جساس ابانا بنابها كليبا علت ناب كليب بواؤها
يوم يرون الملائكة ملائكة الموت او العذاب ويوم نصب باذكر او بما دل عليه
لا بشرى يومئذ للمجرمين فانه بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ تكرير
او خبر وللمجرمين اوخبر ثان او ظرف لما تتعلق به اللام او البشرى ان قدرت منونة
غير مبنية مع لا فانها لا تعمل وللمجرمين اما عام يتناول حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم
من نفي البشرى لعامة المجرمين حينئذ نفي البشرى بالعفو والشفاعة في وقت اخر ولما
خاص وضع موضع ضميرهم تسجيلا على جرمهم واشعارا بما هو المانع للبشرى والموجب
بما يقابلها ويقولون حجرا محجورا عطف على المدلول اي ويقول الكفرة حينئذ هذه الكلمة
استعاذة وطلبا من الله ان الله يمنع لقاءهم وهي مما كانوا يقولون عند لقاء عدو او هجوم مكروه
او تقولها الملائكة بمعنى حراما محرما عليكم الجنة او البشرى وقرئ حجرا بالضم واصله الفتح
على انه لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك ولذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه
ووصفه بمحجورا للتاكيد كقولهم موت مائت وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء
منثورا اي وعمدنا الى ما عملوا في كفرهم من المكارم كقرى الضيف وصلة الرحم واغاثة
الملهوف فاحبطناه لفقد ما هو شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم واعمالهم بحال قوم
استعصوا سلطانهم فقدم الى اشيائهم فمزقها وابطلها ولم يبق لها اثرا والهباء غبار
يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهو الغبار ومنثورا صفته شبه به عملهم
المحبط في حقارته وعدم نفعه بالمنثور في الانتثار بحيث لا يمكن نظمه او تفرقه نحو اغراضهم
التي كانوا يتوجهون به نحوها او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر لقوله كونوا قردة
خاسئين اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا مكانا يستقر فيه في اكثر الاوقات
للتجالس والتحادث واحسن مقيلا مكانا يؤوى اليه للاسترواح بالازواج
والتمتع بهن تجوزا له من مكان القيلولة على التشبيه او لانه لا يخلو من ذلك غالبا اذ لا
نوم في الجنة وفي احسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الصور وغيره من التحاسين
ويحتمل ان يراد بهما المصدر او الزمان والتفضيل اما لارادة الزيادة مطلقا او بالاضافة
الى ما للمترفين في الدنيا روي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك فيقيل اهل الجنة في الجنة
واهل النار في النار ويوم تشقق السما واصله تتشقق فحذف التا وادغمها ابن كثير

ونافع وابن عامر ويعقوب بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور في قوله هل ينظرون الا
الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ونزل الملائكة تنزيلا في ذلك الغمام وهو الغمام بصحائف
اعمال العباد وقرا ابن كثير وننزل وقرئ نزلت وانزل ونزل الملائكة بحذف الكلمة الملك يومئذ
الحق للرحمن الثابت له لان كل ملك يبطل ملكه يومئذ ولا يبقى الا ملكه فهو الخبر وللرحمن صلته
او تبيين ويومئذ معمول الملك لا الحق لانه متاخر او صفة والخبر يومئذ او للرحمن وكان يوما على
الكافرين عسيرا شديدا ويوم يعض الظالم على يديه من فرط الحسرة وعض اليدين واكل البنان
وحرق الاسنان كنايات من الغيظ والحسرة لانها من روادفهما والمراد بالظالم الجنس وقيل
عقبة ابن ابي معيط كان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فدعى الى ضيافة فابى ان ياكل طعامه
حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه فقال صبات فقال لا
ولكن ابى ان لا ياكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال لا ارضى الا ان
تاتيه فتطا قفاه وتبزق في وجهه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال
عليه السلام لا القاك خارجا من مكة حتى علوت راسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر
عليا بقتله وطعن ابيا باحد في المبارزة الى مكة ومات يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول
سبيلا طريقا الى النجاة وطريقا واحدا وهو طريق الحق ولم تتشعب بي طريق الضلالة
يا ويلتى وقرئ بالياء على الاصل ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يعني من اضله وفلان كناية
عن الاعلام كما ان هنا كناية عن الاجناس لقد اضلني عن الذكر عن ذكر الله او كتابه او موعظة
الرسول او كلمة الشهادة بعد اذ جاءني وتمكنت منه وكان الشيطان يعني الخليل المضل
او ابليس لانه حمله على مخالته ومخالفة الرسول او كل من تشيطن من الجن والانس للانسان
خذولا يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه فعول من الخذلان وقال الرسول
محمد عليه الصلاة والسلام يومئذ او في الدنيا بثا الى الله يا رب ان قومي قريشا اتخذوا هذا القرآن
مهجورا بان تركوه وصدوا عنه وعنه عليه السلام من تعلم القران وعلق مصحفه لم يتعاهده
ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يا رب عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض
بيني وبينه او هجروا ولغوا فيه اذا سمعوه وزعموا انه هجر واساطير الاولين فيكون اصلها
مهجورا فيه فحذف الجار ويجوز ان يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول وفيه تخويف لقومه فان
الانبيا اذا شكوا الى الله قومهم عجل الله لهم العذاب وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين
كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا وفيه دليل على ان الله خالق الشر والعدو يحتمل الواحد والجمع
وكفى بربك هاديا ونصيرا لك عليهم وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن اي انزل عليه
كخبر بمعنى اخبر لئلا يناقض قوله جملة واحدة دفعة واحدة كالكتب الثلثة وهو اعتراض
لا طائل تحته لان الاعجاز لا يختلف بنزوله جملة او مفرقا مع ان للتفريق فوائد منها ما اشار
بقوله كذلك لنثبت به فؤادك اي كذلك انزلناه مفرقا لنقوي بتفريقه فؤادك على حفظه
وفهمه لان حاله تخالف حال موسى وداود وعيسى حيث كان اميا وكانوا يكتبون فلو القي اليه

جملة يعني بحفظه ولعله لم يستتب له فان التلقف لا يتأتى الا شيئا فشيئا ولان نزوله بحسب
الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص في المعنى ولانه اذا انزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون
عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه ولانه اذا نزل به جبريل حالا بعد حال يثبت به فؤاده ومنها
معرفة الناسخ والمنسوخ ومنها انضمام القرائن الحالية الى الدلالات اللفظية فانه يعين على
البلاغة وكذلك صفة مصدر محذوف والاشارة الى انزاله مفرقا فانه مدلول عليه بقوله لولا نزل
عليه القرآن جملة واحدة ويحتمل ان يكون من تمام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالا والاشارة
الى الكتب السالفة واللام على الوجهين متعلق بمحذوف ورتلناه ترتيلا وقرأناه عليك شيئا بعد شيء
على تؤدة وتمهل في عشرين سنة او ثلث وعشرين واصل الترتيل في الاسنان تفلجها
ولا يأتونك بمثل سؤال عجيب كانه مثل في البطلان يريدون به القدح في نبوتك الا
جئناك بالحق الدامغ له في جوابه واحسن تفسيرا وبما هو احسن بيانا او معنى من سؤالهم
او لا يأتونك بحال عجيبة يقولون هلا كانت هذه حالة الا اعطيناك من الاحوال ما يحق لك
في حكمتنا وما هو احسن كشفا لما بعثت به الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اي
مقلوبين او مسحوبين اليها او متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها وعنه عليه
السلام يحشر الناس يوم القيامة على ثلثة اصناف صنف على الدواب وصنف على الاقدام
وصنف على الوجوه وهو ذم منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره أولئك شر مكانا واضل سبيلا
والمفضل عليه هو الرسول على طريقة قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله
وغضب عليه كانه قيل ان حاملهم على هذه الاسولة تحقير مكانه وتضليل سبيله ولا يعلمون
حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا وقيل انه متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا
ووصف السبيل بالاضلال من الاسناد المجازي للمبالغة ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا
معه اخاه هرون وزيرا يوازره في الدعوة واعلاء الكلمة ولا ينافي ذلك مشاركته في النبوة
لان المتشاركين في الامر متوازرون عليه فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا يعني فرعون
وقومه بآياتنا فدمرناهم تدميرا اي فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم فاقتصر على حاشيتي القصة
اكتفاء بما هو المقصود منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم والتعقيب
باعتبار الحكم لا الوقوع وقرئ فدمرتهم على التأكيد بالنون الثقيلة وقوم نوح لما كذبوا الرسل
كذبوا نوحا ومن قبله او نوحا وحده ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل او بعثة الرسل
مطلقا كالبراهمة اغرقناهم بالطوفان وجعلناهم وجعلنا اغراقهم او قصتهم للناس آية
عبرة واعتدنا للظالمين عذابا اليما يحتمل التخصيص والتعميم فيكون وصفا للظاهر موضع المضمر
تظليما لهم وعادا وثمودا عطف على هم في جعلناهم او على الظالمين لان المعنى ووعدنا
الظالمين وقرئ وثمود على تأويل القبيلة واصحاب الرس قوم كانوا يعبدون الاصنام فبعث اليهم
شعيبا فكذبوه فبينا هم حول الرس وهي البئر الغير المطوية فانهارت فخسف بهم وبديارهم
وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل الاخدود

وقيل

وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان النبي ابتلاهم
الله بطير عظيم كان فيه من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال
له فتخ او دمخ فتنقض على صبيانهم فتخطفهم اذا اعوزهم الصيد ولذلك سميت مغربا
فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه فاهلكوا وقيل قوم كذبوا نبيهم ورسوه
اي دسوه في بئر وقرونا واهل اعصار قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون
بين ذلك اشارة الى ما ذكر كثيرا لا يعلمها الا الله وكلا ضربنا له الامثال بينا له القصص
العجيبة من قصص الاولين انذارا واعذارا فلما اصروا اهلكوا كما قال وكلا تبرنا تتبيرا فتتناه
تفتيتا ومنه التبر لفتات الذهب والفضة وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا كانذرنا
والثاني بتبرنا لانه فارغ ولقد اتوا يعني قريشا مروا مرارا في متاجرهم الى الشام على القرية
التي امطرت مطر السوء يعني سدوم عظمى قرى لوط امطرت عليها الحجارة افلم يكونوا
يرونها في مرار مرورهم فيتعظون بما يرون فيها من آثار عذاب الله بل كانوا لا يرجون نشورا
بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمروا بها كما مرت
ركابهم او لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون طمعا في الثواب او لا يخافون على اللغة التهامية
واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك الا موضع هزؤ او مهزوا به اهذا الذي
بعث الله رسولا محكي بعد قول مضمر والاشارة للاستحقار واخراج بعث الله رسولا في
معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكم واستهزاء ولولاه لقالوا اهذا الذي
زعم انه بعثه الله رسولا ان كاد انه كاد ليضلنا عن آلهتنا ليصرفنا عن عبادتها
بفرط اجتهاده في الدعاء الى التوحيد وكثرة ما يورد مما يسبق الى الذهن انها حجج ومعجزات
لولا ان صبرنا عليها ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا في مثله يقيد الحكم المطلق من حيث
المعنى دون اللفظ وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا كالجواب لقولهم ان
كاد ليضلنا فانه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب له وفيه وعيد ودلالة على انه لا يهملهم
وان امهلهم ارأيت من اتخذ الهه هواه بان اطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة
ولا يبصر دليلا وانما قدم المفعول الثاني للعناية افانت تكون عليه وكيلا حفيظا تمنعه
عن الشرك والمعاصي وحاله هذا فالاستفهام الاول للتقرير والتعجيب والثاني للانكار ام
تحسب بل تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون فتجدي لهم الآيات والحجج فتهتم بشأنهم
وتطمع في ايمانهم وهو اشد مذمة مما قبله حتى حق بالاضراب عنه اليه وتخصيص الاكثر لانه
كان منهم من آمن ومنهم من عقل الحق وكابر استكبارا وخوفا على الرياسة ان هم الا كالانعام في
عدم انتفاعهم بقرع الآيات آذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات
بل هم اضل سبيلا من البهائم لانها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسيء اليها
وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه من اساءة
الشيطان ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار

مية

ولانها ان لم تعتقد حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرا بخلاف هولاء ولان جهالتها
لا تضر بغيرها وجهالة هولاء تؤدي الى هيج الفتن وصد الناس عن الحق ولانها غير متمكنة من طلب
الكمال فلا تقصير منها ولا ذم وهولاء مقصرون مستحقون اعظم العقاب على تقصيرهم
الم تر الى ربك الم تنظر الى صنعه **كيف مد الظل** كيف بسطه او الم تنظر الى الظل
كيف مده ربك فغير النظم اشعارا بان المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة
حدوثه وتصرفه على الوجه النافع باسباب ممكنة على ان ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد
المرئي فكيف بالمحسوس منه او الم ينته علمك الى ان ربك مد الظل فيما بين طلوع الفجر والشمس
وهو اطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن
الجو ويبهر النظر ولذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود **ولو شاء لجعله ساكنا** ثابتا
من السكنى او غير متقلص من السكون بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد **ثم جعلنا الشمس**
عليه دليلا اي ازلناه بايقاع الشمس موقعه لما عبر عن احداثه بالمد بمعنى التسيير
عبر عن ازالته بالقبض الى نفسه وهو في معنى الكف **قبضا يسيرا** قليلا قليلا حسبما
ترتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح الكون ويتحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق وثم في
الموضعين لتفاضل الامور او لتفاضل مبادي اوقات ظهورها وقيل مد الظل
لما بنى السما بلا نير ودحا الارض تحتها فالقت عليها ظلها ولو شا لجعله ثابتا على تلك
الحالة ثم خلق الشمس عليه دليلا اي مسلطا عليه مستتبعا اياه كما يستتبع الدليل المدلول
او دليل الطريق من يهديه فانه يتفاوت بحركتها ويتحول بتحولها ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا
شيئا فشيئا الى ان ينتهي غاية نقصانه او قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض
اسبابه من الاجرام المظلة او المظل عليها **وهو الذي جعل لكم الليل لباسا** شبه ظلامه
باللباس في ستره **والنوم سباتا** راحة للابدان بقطع المشاغل واصل السبت
القطع او موتا كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل لانه قطع الحياة ومنه المسبوت للميت
وجعل النهار نشورا ذا نشور اي انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش او بعث من
النوم بعث الاموات فيكون اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور
وعن لقمان عليه السلام يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر **وهو الذي ارسل الرياح**
وقرا ابن كثير بالتوحيد على ارادة الجنس **نشرا** ناشرات للسحاب جمع نشور وقرا
ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائي به وبفتح النون على انه مصدر وصف به
وعاصم بشرا تخفيف بشر جمع بشور بمعنى مبشر **بين يدي رحمته** يعني قدام المطر
وانزلنا من السماء ماء طهورا مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود
لما يتوضأ به ويوقد به قال عليه السلام التراب طهور المؤمن طهور اناء احدكم اذا ولغ الكلب فيه ان
يغسل سبعا احداهن بالتراب وقيل بليغا في الطهارة وفعول وان غلب في المعنيين
لكنه جا للمفعول كالضبوب وللمصدر كالقبول وللاسم كالذنوب ووصف الما به اشعارا

ثم قبضناه الينا

بالنعمة

بالنعمة فيه وتتميما للمنة فيما بعده فان الما الطهور اهنى وانفع مما خالطه ما يزيل
طهوريته وتنبيها على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغي ان يطهروها فبواطنهم بذلك
اولى **لنحيي به بلدة ميتا** بالنبات وتذكير ميتا لان البلدة في معنى البلد ولانه
غير جار على الفعل كساير ابنية المبالغة فاجري مجرى الجامد **ونسقيه مما خلقنا**
انعاما واناسي كثيرا يعني اهل البوادي الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام
والاناسي وتخصيصهم لان اهل المدن والقرى يقيمون بقرب الانهار والمنابع وبها
حولهم من الانعام غنية عن سقيا السما وساير الحيوانات تبعد في طلب الما فلا يعوزها
الشرب غالبا مع ان مساق هذه الايات كما هو للدلالة على عظيم القدرة فهو لتعداد
انواع النعمة والانعام قنية الانسان وعامة منافعهم وعليه معايشهم منوطة بها
ولذلك قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احيا الارض فانه سبب لحياتها وتعيشها
وقرئ نسقيه وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسي
بحذف يا وهو جمع انسي او انسان كظرابي في ظربان على ان اصله اناسين فقلبت النون
يا **ولقد صرفناه بينهم** صرفنا هذا القول بين الناس في القران وساير الكتب
او المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة والصفات المتفاوتة من
وابل وطل وغيرهما وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عام امطر من عام ولكن الله قسم
ذلك بين عباده على ما شا وتلا هذه الاية او في الانهار والمنابع **ليذكروا** ويعرفوا كمال
القدرة وحق النعمة في ذلك ويقوموا بشكره او ليعتبروا بالصرف عنهم واليهم
فابى اكثر الناس الا كفورا الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها او جحودها بان
يقولوا مطرنا بنوء كذا ومن لا يرى الامطار الا من الانواء كان كافرا بخلاف من يرى
انها من خلق الله والانواء وسايط وامارات بجعله تعالى **ولو شئنا**
لبعثنا في كل قرية نذيرا نبيا ينذر اهلها فيخف عليك اعباء النبوة لكن قصرنا الامر
عليك اجلالا لك وتعظيما لشانك وتفضيلا لك على ساير الرسل فقابل ذلك بالثبات
والاجتهاد في الدعوة واظهار الحق **فلا تطع الكافرين** فيما يريدونك عليه وهو تهييج
لك وللمؤمنين **وجاهدهم به** بالقران او بترك طاعتهم الذي يدل عليه فلا تطع
والمعنى انهم يجتهدون في ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد في مخالفتهم وازاحة
باطلهم **جهادا كبيرا** لان مجاهدة السفها بالحجج اكبر من مجاهدة الاعدا بالسيف او لان
مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين اظهرهم مع عتوهم وظهورهم او لانه جهاد مع كل
الكفرة لانه مبعوث الى كافة القرى **وهو الذي مرج البحرين** خلاهما متجاورين
متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها **هذا عذب فرات** قامع
للعطش من فرط عذوبته **وهذا ملح اجاج** بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل ولعل
اصله مالح فخفف كبرد في بارد **وجعل بينهما برزخا** حاجزا من قدرته **وحجرا محجورا**

وتنافرا بليغا كان كلا منهما يقول للآخر ما يقوله المتعوذ عنه وقيل حدا محدودا وذلك
كدجلة تدخل البحر وتشقه في خلاله فراسخ لا تتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر
العظيم مثل النيل والبحر الملح الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض في الاصل واختلاف
الصفة مع ان مقتضى طبيعة اجزاء كل عنصر ان تضامت وتلاصقت وتشابهت في
الكيفية وهو الذي خلق من الماء بشرا يعني الذي خمر به طينة آدم او جعله جزءا من مادة
البشر ليجتمع وتسلس وتقبل الاشكال والهيئات بسهولة او النطفة فجعله نسبا وصهرا
اي قسمه قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن
كقوله فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا حيث خلق من مادة واحدة بشرا
ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة
توأمين ذكرا وانثى ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم يعني الاصنام او
كل ما عبد من دون الله اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر وكان الكافر على ربه ظهيرا
يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل وقيل هينا مهينا
لا وقع له عنده من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله ولا يكلمهم الله
ولا ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا للمؤمنين والكافرين قل ما اسألكم عليه
على تبليغ الرسالة الذي يدل عليه الا مبشرا ونذيرا من اجر الا من شاء الا فعل من شاء ان يتخذ الى
ربه سبيلا اي يتقرب اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصور ذلك بصورة
الاجر من حيث انه مقصود فعله واستثناه منه قلعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية
الشفقة حيث اعتد بانفاعك نفسك بالتعرض للثواب من حيث انها بدل الاجر
وقيل الاستثناء منقطع معناه لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وتوكل على الحي
الذي لا يموت في استكفاء شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون
الاحياء الذين يموتون فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وسبح بحمده ونزهه عن صفات
النقصان مثنيا عليه باوصاف الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابغه
وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن خبيرا مطلقا فلا عليك ان آمنوا او كفروا
الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش قد سبق الكلام فيه
ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقا بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق للكل والمتصرف
فيه وتحريض على الثبات والتأني في الامر فانه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ امره
في كل مراد خلق الاشياء على تؤدة وتدرج الرحمن خبر للذي ان جعلته مبتدأ او لمحذوف
ان جعلته صفة للحي او بدل من المستكن في استوى وقرئ بالجر صفة للحي فاسأل به
خبيرا فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى او جبريل او من وجده
في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله
فسل عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز

ان

ان يكون الرحمن مبتدأ والخبر ما بعده والسؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى التفتيش يعدى بالباء
لتضمنه معنى الاعتناء وقيل انه صلة خبيرا واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن
لانهم ما كانوا يطلقونه على الله او لانهم ظنوا انه اراد به غيره ولذلك قالوا انسجد لما تأمرنا اي
للذي تأمرناه يعني تأمرنا بسجوده او لامرك لنا من غير عرفان وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه
وهو قراءة حمزة والكسائي وقرأ الباقون بأمرنا بالياء على انه قول بعضهم لبعض وزادهم اي الامر
بسجود الرحمن نفورا عن الايمان تبارك الذي جعل في السماء بروجا يعني البروج الاثني عشر
سميت به وهي القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها واشتقاقه
من التبرج لظهوره وجعل فيها سراجا يعني الشمس لقوله وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا
وهي الشمس والكواكب الكبار وقمرا منيرا مضيئا بالليل وقرئ وقمرا اي ذا قمر وهي جمع
قمراء ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب وهو الذي جعل
الليل والنهار خلفة اي ذوي خلفة يخلف كل منهما الآخر بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان يعمل
فيه او بان يعتقبا كقوله واختلاف الليل والنهار وهي للحالة من خلف كالركبة والجلسة
لمن اراد ان يذكر ان يتذكر آلاء الله ويتفكر في صنعه فلا بد له من صانع حكيم واجب الذات
رحيم على العباد او اراد شكورا ان يشكر الله على ما فيه من النعم او ليكونا وقتين للمتذكر ين
والشاكرين من فاته ورده في احدهما تداركه في الآخر وقرأ حمزة والكسائي ان يذكر من
ذكر بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا وافقهما الكسائي فيه وعباد الرحمن مبتدأ خبره اولئك يجزون
الغرفة او الذين يمشون على الارض واضافتهم الى الرحمن للتخصيص والتفضيل او لانهم
الراسخون في عبادته على ان عباد جمع عابد كتاجر وتجار هونا هينين او مشيا هينا
مصدر وصف به والمعنى انهم يمشون بسكينة وتواضع واذا خاطبهم الجاهلون قالوا
سلاما تسلما منكم ومتاركة لكم لا خير بيننا ولا شر او سدادا من القول يسلمون فيه
من الايذاء والاثم ولا ينافيه آية القتال لتنسخه فان المراد به الاغضاء عن السفهاء وترك
مقابلتهم في الكلام والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما في الصلاة وتخصيص البيتوتة لان العبادة
بالليل احمز وابعد من الرياء وتأخير القيام للروي وهو جمع قائم او مصدر اجري مجراه والذين
يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما لازما ومنه الغريم
لملازمته وهو ايذان بانهم مع حسن مخالقتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق
وجلون [illegible] مبتهلون في صرفه عنهم لعدم اعتدادهم باعمالهم ووثوقهم على
استمرار [illegible] انها ساءت مستقرا ومقاما اي بئست وفيها ضمير مبهم يفسره
المميز والمخصوص بالذم محذوف به يرتبط الجملة باسم ان او احزنت وفيها ضمير اسم ان
ومستقرا حال او تمييز والجملة تعليل للعلة الاولى او تعليل ثان وكلاهما يحتملان الحكاية
والابتداء من الله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا حد الكرم ولم يقتروا وكان بين ذلك
قواما وسطا وعدلا سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر

ولم يقتروا ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق في المحارم والتقتير منع الواجب وقرأ الكوفيون ونافع وابن عامر بضم الياء من اقتر وقرئ بالتشديد والكل واحد

وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان او حال مؤكدة ويجوز ان يكون الخبر وبين
ذلك لغو وقيل انه اسم كان لكنه مبني لاضافته الى غير متمكن وهو ضعيف لانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار
بالشيء عن نفسه والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله اي حرمها بمعنى
حرم قتلها الا بالحق متعلق بالقتل المحذوف او بلا يقتلون ولا يزنون نفى عنهم امهات
المعاصي بعد ما اثبت لهم اصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بان الاجر المذكور موعود
للجامع بين ذلك وتعريضا للكفرة باضداده ولذلك عقبه الوعيد تهديدا لهم فقال ومن يفعل
ذلك يلق اثاما جزاء اثم او اثما باضمار الجزاء وقرئ اياما اي شدائد يقال يوم ذو ايام اي صعب
يضاعف له العذاب يوم القيامة بدل من يلق لانه بمعناه كقوله متى تأتنا تلمم بنا في
ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وقرأ ابو بكر بالرفع على الاستئناف او الحال وكذلك
ويخلد فيه مهانا وابن كثير ويعقوب نضعف بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد
وحذف الالف في نضعف وقرئ ويخلد على البناء للمفعول مخففا وقرئ مثقلا وتضعيف العذاب
ومضاعفة العذاب لانضمام المعصية الى الكفر ويدل عليه قوله الا من تاب وآمن وعمل
عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة
ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل ملكة المعصية في النفس بملكة الطاعة وقيل بان
يوفقه لاضداد ما سلف منه او يثيب على الحسنات وكان الله غفورا رحيما فلذلك يعفو
عن السيئات ويثيب على الحسنات ومن تاب عن المعاصي بتركها والندم عليها وعمل صالحا
يتلافى به ما فرط او خارج عن المعاصي ودخل في الطاعة فانه يتوب الى الله يرجع الى الله
بذلك متابا مرضيا عند الله ماحيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله الذي يحب
التائبين ويصطنع بهم او فانه يرجع الى الله او الى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص
والذين لا يشهدون الزور لا يقيمون الشهادة الباطلة او لا يحضرون محاضر الكذب فان
مشاهدة الباطل شركة فيه واذا مروا باللغو ما يجب ان يلغى ويطرح مروا كراما معرضين
عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح
عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به والذين اذا ذكروا بآيات ربهم بالوعظ
والقراءة لم يخروا عليها صما وعميانا لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين
بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بل اكبوا عليها سامعين باذان واعية مبصرين بعيون راعية
والمراد من النفي نفي الحال دون الفعل كقولك لا يلقاني زيد مسلما وقيل الهاء للمعاصي المدلول
عليها باللغو والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين بتوفيقهم للطاعة
وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا شاركه اهله في طاعة الله سر بهم قلبه وقرت بهم عينه لما يرى
من مساعدتهم له في الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة ومن ابتدائية او بيانية كقولك رايت
منك اسدا وقرأ حمزة وابو عمرو وابو بكر وذريتنا بغير الف وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة
تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم واجعلنا للمتقين

او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا

يقتدون

يقتدون بنا في امر الدين بافاضة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده اما لدلالته على الجنس وعدم اللبس كقوله
ثم يخرجكم طفلا او لانه مصدر في اصله او لان المراد واجعل كل واحد منا او لانهم كنفس واحدة
لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم وقيل جمع آم كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم
اولئك يجزون الغرفة اعلى مواضع الجنة وهي اسم جنس اريد به الجمع كقوله وهم في الغرفات
آمنون والقراءة بها وقيل هي من اسماء الجنة بما صبروا بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات
ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ويلقون فيها تحية وسلاما دعاء بالتعمير والسلامة
اي يحييهم الملائكة ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او تبقية دائمة وسلامة
من كل آفة وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر يلقون من لقي خالدين فيها لا يموتون فيها ولا يخرجون
حسنت مستقرا ومقاما مقابل ساءت مستقرا معنى ومثله اعرابا قل ما يعبأ بكم ربي
ما يصنع بكم من عبأت الجيش اذا هيأته او لا يعتد بكم لولا دعاؤكم لولا عبادتكم فان شرف
الانسان وكرامته بالمعرفة والطاعة والا فهو وسائر الحيوانات سواء وقيل ما يصنع بعذابكم
لولا دعاؤكم معه آلهة وما ان جعلت استفهامية فمحلها النصب على المصدر كانه قيل اي عبء يعبأ بكم
فقد كذبتم بما اخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال
اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون اي الكافرون منكم لان توجه الخطاب الى عامة
الناس بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب فسوف يكون لزاما يكون جزاء التكذيب
لازما يحيق بكم لا محالة او اثره لازما بكم حتى يكبكم في النار وانما اضمر من غير ذكر
للتهويل والتنبيه على انه اللزوم كالبينات والثبوت عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة الفرقان لقي الله يوم القيامة وهو مؤمن بان الساعة آتية لا ريب فيها وادخل الجنة
بغير نصب

بسم الله الرحمن الرحيم طسم قرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالامالة
ونافع بين بين كراهة العود الى الياء المهروب منها واظهر نونه حمزة لانه في الاصل
منفصل عما بعده تلك آيات الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحته والاشارة الى السورة
او القرآن على ما مر في اول البقرة لعلك باخع نفسك ~~لئلا يؤمنوا او منوا~~ او خيفة ان
قاتل نفسك واصل البخع ان يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى
حد الذبح وقرئ باخع نفسك بالاضافة ولعل للاشفاق اي اشفق على نفسك ان
تقتلها الا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا او خيفة الا يؤمنوا ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية
ملجئة الى الايمان او بلية قاسرة عليه فظلت اعناقهم لها خاضعين منقادين
واصله فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر
على اصله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء اجريت مجراهم وقيل المراد
بها الرؤساء او الجماعة من قولهم جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ خاضعة فظلت

عطف على تنزل عطف على اكن على ما صدق لانه لو قيل نزلنا بدله صح وما يأتيهم من ذكر
موعظة او طائفة من القرآن من الرحمن بوحيه الى نبيه محدث مجدد انزاله لتكرير
التذكير وتنويع التقرير الا كانوا عنه معرضين الا جددوا اعراضا واصرارا على ما كانوا
عليه فقد كذبوا اي بالذكر بعد اعراضهم وامعنوا في تكذيبه بحيث ادى بهم الاستهزا
به المخبر عنهم ضمنا في قوله فسيأتيهم اي اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيمة
انباء ما كانوا به يستهزءون من انه كان حقا ام باطلا وكان حقيقا بان يصدق ويعظم
قدره او يكذب ويستخف امره اولم يروا الى الارض اولم ينظروا الى عجايبها كم انبتنا
فيها من كل زوج صنف كريم محمود كثير المنفعة وهو صفة كل ما يحمد ويرضى وها هنا
يحتمل ان تكون مقيدة لما يتضمن الدلالة على القدرة وان تكون مبينة منبهة على انه
ما من نبت الا وله فائدة اما وحده او مع غيره وكل لاحاطة الازواج وكم لكثرتها
ان في ذلك اي انبات تلك الاصناف او في كل واحد لاية على ان منبتها تام القدرة
والحكمة سابغ النعمة والرحمة وما كان اكثرهم مؤمنين في علم الله تعالى وقضائه فلذلك
لا تنفعهم امثال هذه الايات العظام وان ربك لهو العزيز الغالب القادر على الانتقام من
الكفرة الرحيم حيث امهلهم او العزيز في انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وامن واذ نادى
ربك موسى مقدر باذكر او ظرف لما بعده ان ائت اي ائت او بان ائت القوم الظالمين
بالكفر واستعباد بني اسرائيل وذبح اولادهم قوم فرعون بدل من الاول او عطف بيان
له ولعل الاقتصار على القوم للعلم بان فرعون اولى بذلك الا يتقون استئناف اتبعه
ارساله اليهم زجرا لهم وغضبا عليهم وان كانوا غيبا حينئذ اجروا مجرى الحاضرين في كلام
المرسل من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبدا اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث
على التقوى لمن تدبره وتامل مورده وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن الاضافة ويحتمل ان
يكون بمعنى الا يا ناس اتقون كقوله الا يسجدوا قال رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق
صدري ولا ينطلق لساني فارسل الى هرون رتب استدعاء ضم اخيه اليه واشراكه
في الامر على الامور الثلثة وضيق القلب انفعال لا عندوازديا د الحبسة في اللسان بانقباض
الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة
الى معين يقوي قلبه وينوب منابه متى يعتريه حبسة حتى لا تختل دعوته ولا تنبتر
حجته وليس ذلك تعللا منه وتوقفا في تلقي الامر بل طلبا لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد
عذره وقرا يعقوب ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبوا فيكونان من جملة
ما خاف عنه ولهم علي ذنب اي وتبعة ذنب بحذف المضاف او سمي باسمه والمراد
قتل القبطي وانما سماه ذنبا على زعمهم وهذا اختصار القصة المبسوطة في مواضع
فاخاف ان يقتلون به قبل اداء الرسالة وهو ايضا ليس تعللا وانما هو استدفاع للبلية
المتوقعة كما ان ذاك استمداد واستظهار في امر الدعوة وقوله قال كلا فاذهبا باياتنا

اجابة له

اجابة له الى الطلبتين بوعده لدفع البلاء وردعه عن الخوف وضم اخيه في الارسال والخطاب في
فاذهبا الى تغليب الحاضر لانه معطوف على الفعل الذي يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما
تظن فاذهب انت والذي طلبته انا معكم يعني موسى وهرون وفرعون مستمعون سامعون لما
يجري بينكما وبينه فاظهركما عليه مثل نفسه تعالى بمن حضر مجادلة قوم استماعا لما يجري بينهم
وترقبا لامداد الاولياء منهم مبالغة في الوعد بالاعانة ولذلك تجوز بالاستماع الذي هو بمعنى
الاصغاء للسمع الذي هو مطلق ادراك الحروف والاصوات وهو خبر ثان او الخبر وحده ومعكم
معكم لغو فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين افراد الرسول لانه مصدر وصف
به فانه مشترك بين المرسل والرسالة قال الشاعر لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم
برسول ولذلك ثني تارة وافرد اخرى او لاتحادهما في الاخوة او لوحدة المرسل به
او لانه اراد ان كل واحد منا ان ارسل معنا بني اسرائيل اي ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال
المتضمن معنى القول والمراد خلهم يذهبوا معنا الى الشام قال اي فرعون لموسى بعدما اتيا
بما لا له الم نربك فينا في منازلنا وليدا طفلا سمي به لقربه من الولادة ولبثت
فينا من عمرك سنين قيل لبث فيهم ثلثين سنة ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم
عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلثين ثم بقي بعد الغرق خمسين وفعلت فعلتك التي فعلت
يعني قتل القبطي وبخه به معظما اياه بعد ما عدد عليه نعمته وقرئ فعلتك بالكسر لانها
كانت قتلة بالوكز وانت من الكافرين بنعمتي حيث عمدت الى قتل خواصي او ممن تكفرهم
الان فانه عليه السلام كان يعايشهم بالتقية فهو حال من احدى التائين ويجوز ان يكون
حكما مبتدا عليه بانه من الكافرين بالهه او بنعمته لما عاد عليه بالمخالفة او من الذين كانوا
يكفرون في دينهم قال فعلتها اذا وانا من الضالين من الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين
فعل اولي الجهل والسفه او من المخطئين لانه لم يتعمد قتله او الذاهبين عما يؤول اليه الوكز لانه
اراد به التاديب او الناسين من قوله ان تضل احديهما ففررت منكم لما خفتكم
فوهب لي ربي حكما حكمة وجعلني من المرسلين رد اولا بذلك ما وبخه به قدحا في نبوته
ثم كر على ما عد عليه من النعمة ولم يصرح برده لانه كان صدقا غير قادح في دعواه بل نبه
على انه كان في الحقيقة نقمة لكونه مسببا عنها فقال وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت
بني اسرائيل اي وتلك التربية نعمة تمنها علي بها ظاهرا وهي في الحقيقة تعبيدك بني اسرائيل
وقصدهم بذبح ابنائهم فانه السبب في وقوعي اليك وحصولي في تربيتك وقيل انه مقدر
بهمزة الانكار اي او تلك نعمة تمنها علي وهي ان عبدت وان عبدت في موضع الرفع على انه خبر محذوف
او بدل نعمة او الجر باضمار الباء او النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة
وان عبدت عطف بيانها والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وانما وحد الخطاب
في تمنها وجمع فيما قبله لان المنة كانت منه وحده والخوف والفرار كان منه ومن ملائه
قال فرعون وما رب العالمين لما سمع جواب ما طعن به فيه وراى انه لم يرعو بذلك

سلهم

يشرع في الاعتراض على دعواه فبدا بالاستفسار عن حقيقة المرسل قال رب السموات والارض وما بينهما فعرفه باظهار خواصه وآثاره لما امتنع تعريف الافراد الا بذكر الخواص والافعال واليه اشار بقوله ان كنتم موقنين اي ان كنتم موقنين الاشياء محققين لها علمتم ان هذه الاجرام المحسوسة ممكنة لتركبها وتعددها وتغير احوالها فلها مبدا واجب لذاته وذلك المبدا لابد وان يكون مبدا لسائر الممكنات ما يمكن ان يحس بها وما لا يمكن والا لزم تعدد الواجب او استغنا بعض الممكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه لاستحالة التركيب قال لمن حوله الا تستمعون جوابه سالته عن حقيقته وهو يذكر افعاله او يزعم انه رب السموات وهي واجبة متحركة لذواتها كما هو مذهب الدهرية او غير معلوم افتقارها الى موثر قال ربكم ورب آبائكم الاولين عدولا الى ما لا يمكن ان يتوهم فيه مثله ويشك في افتقاره الى مصور حكيم ويكون اقرب الى الناظر واوضح عند التامل قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون سأله عن شيء ويجيبني عن آخر وسماه رسولا على السخرية قال رب المشرق والمغرب وما بينهما تشاهدون كل يوم انه ياتي بالشمس من المشرق ويحركها على مدار اليوم الذي قبله حتى يبلغها الى المغرب على وجه نافع ينتظم به امور الكائنات ان كنتم تعقلون ان كان لكم عقل علمتم ان لا جواب لكم فوق ذلك لاينهم اولا ثم لما راى شدة شكيمتهم خاشنهم وعارضهم بمثل مقالهم قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين عدولا الى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع وهكذا ديدن المعاند المحجوج واستدل به على ادعائه الالوهية وانكاره للصانع وان تعجبه بقوله الا تستمعون من نسبة الربوبية الى غيره ولعله كان دهريا اعتقد ان من ملك قطرا او تولى امره لقوة طالعه استحق العبادة من اهله واللام في المسجونين للعهد اي ممن عرفت حالهم في سجوني فانه كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا فلذلك جعل ابلغ من لاسجننك قال اولو جئتك بشيء مبين اي اتفعل ذلك ولو جئتك بشيء مبين صدق دعواي يعني المعجزة فانها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدعي نبوته فالواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل قال فأت به ان كنت من الصادقين في ان لك بينة او في دعواك فان مدعي النبوة لابد له من حجة فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر ثعبانيته واشتقاق الثعبان من ثعبت الما فانثعب اذا فجرته فانفجر ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين روي ان فرعون لما راى الآية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده قال فما فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق قال للملا حوله مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال ان هذا لساحر عليم فائق في علم السحر يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تامرون بهره سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية الى مؤامرة القوم

وايتمارم

وائتمارهم وتنفيرهم عن موسى واظهار الاستشعار عن ظهوره واستيلائه على ملكه قالوا ارجه واخاه اخر امرهما احبسهما وابعث في المدائن حاشرين شرطا يحشرون السحرة ياتوك بكل سحار عليم يفضلون عليه في هذا الفن وامالها ابن عامر وابو عمرو والكسائي وقرئ بكل ساحر فجمع السحرة لميقات يوم معلوم لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة وقيل للناس هل انتم مجتمعون فيه استبطاء لهم في الاجتماع حثا على مبادرتهم كقوله • تأبط شرا هل انت باعث دينا لحاجتنا • او عبد رب اخا عون بن مخراق • اي ابعث احدهما الينا سريعا لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين لعلنا نتبعهم في دينهم ان غلبوا والترجي باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع ومقصودهم الاصلي ان لا يتبعوا موسى لا ان يتبعوا السحرة فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين التزم لهم الاجر والقربة عنده زيادة عليه ان غلبوا فاذا على ما يقتضيه من الجواب والجزاء وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون اي بعدما قالوا له اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ولم يرد به امرهم بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به الى اظهار الحق فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون اقسموا بعزته على ان الغلبة اعتقادهم في انفسهم ولاتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف تبتلع وقرا حفص تلقف بالتخفيف فالقي السحرة ساجدين لعلمهم بان مثله لا يتاتى بالسحر وفيه دليل على ان منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل شيئا لا حقيقة له وان السحرة اخذوا فطرحوا على وجوههم وانه تعالى القاهم بما خولهم من التوفيق قالوا آمنا برب العالمين بدل من القي بدل الاشتمال او حال باضمار قد رب موسى وهرون ابدال للتوضيح ودفع التوهم والاشعار على ان الموجب لايمانهم ما اجراه على ايديهما قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فعلمكم شيئا دون شيء ولذلك غلبكم او فواعدكم ذلك وتواطأتم عليه اراد به التلبيس على قومه لئلا يعتقدوا انهم آمنوا على بصيرة وظهور حق وقرا حمزة والكسائي وابو بكر وروح آمنتم بهمزتين فلسوف تعلمون وبال ما فعلتم وقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين بيان له قالوا لا ضير لا ضرر علينا في ذلك انا الى ربنا منقلبون ما توعدون به فان الصبر عليه محاء للذنوب موجب للثواب والقرب من الله او بسبب من اسباب الموت والقتل انفعها وارجاها انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا لان كنا اول المؤمنين من اتباع فرعون او من اهل المشهد والجملة في المعنى تعليل ثان لنفي الضير او تعليل للعلة المتقدمة وقرئ ان كنا على شرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة المدل بامره احسنت اليك فلا تنس حقي واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي ذلك

جتماع

المبين

ما يأفكون ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى او افكهم تسمية للمأفوك به مبالغة

بعد سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الايات فلم يزيدوا الا عتوا وفسادا
وقرا نافع وابن كثير ان اسر بكسر النون ووصل الالف من سرى وقرئ ان سر من السير
انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده وهو علة الامر بالاسرا اي اسر بهم حتى اذا
اتبعكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم الى البحر بل يكونون
على اثركم حين تلجون البحر فيدخلون مدخلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم فارسل فرعون حين
اخبر بسراهم في المدائن حاشرين العساكر ليتبعوهم ان هؤلاء لشرذمة قليلون
على ارادة القول وانما استقلهم وكانوا ستمائة وسبعين الفا بالاضافة الى جنوده
اذ روي انه خرج وكانت مقدمته سبعمائة الف والشرذمة الطائفة القليلة
ومنها ثوب شراذم لما بلي وتقطع وقليلون باعتبار انهم اسباط كل سبط منهم قليل
وانهم لنا لغائظون لفاعلون ما يغيظنا وانا لجميع حذرون من عادتنا الحذر
واستعمال الحزم في الامور اشار اولا الى عدم ما يمنع اتباعهم من شوكتهم ثم الى تحقق ما
يدعو اليه من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ في شانهم حثا عليه او اعتذر بذلك الى
اهل المدائن كيلا يظن به ما يكسر سلطانه وقرا ابن عامر والكوفيون حاذرون
والاول للثبات والثاني للتجدد وقيل الحاذر المؤدي بالسلاح وهو ايضا من الحذر
لان ذلك انما يفعل حذرا وقرئ بالدال حادرون اي اقويا قـــال •
احب الصبي السوء من اجل امه • وابغضه من بغضها وهو حادر • او تاموا السلاح فان
ذلك يوجب حدارة في اجسامهم فاخرجناهم بان خلقنا داعية الخروج بهذا
السبب فحملتهم عليه من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم يعني المنازل الحسنة
والمجالس البهية كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجنا فهو مصدر او مثل ذلك المقام
الذي كان لهم على انه صفة مقام او الامر كذلك فيكون خبر المحذوف واورثناها
بني اسرائيل فاتبعوهم وقرئ فاتبعوهم مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس
فلما تراءى الجمعان تقاربا بحيث راى كل منهما الاخر وقرئ تراءت الفئتان
قال اصحاب موسى انا لمدركون لملحقون وقرئ لمدركون من ادرك الشيء اذا تتابع
ففني اي لمتتابعون في الهلاك على ايديهم قال كلا لن يدركوكم فان الله وعدكم
الخلاص منهم بالحفظ والنصرة سيهدين طريق النجاة منهم روي ان مؤمن ال فرعون
كان بين يدي موسى فقال اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك ال فرعون قال
امرت بالبحر ولعلي اومر بما اصنع فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر
القلزم او النيل فانفلق اي فضرب فانفلق فصار اثني عشر فرقا بينها مسالك
فكان كل فرق كالطود العظيم كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها
كل سبط في شعب وازلفنا وقربنا ثم الاخرين فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم
مداخلهم وانجينا موسى ومن معه اجمعين بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا

ثم

ثم اغرقنا الاخرين باطباقه عليهم ان في ذلك لاية واية اية وما كان اكثرهم مؤمنين وما
تنبه عليها اكثرهم اذ لم يؤمن بها احد ممن بقي في مصر من القبط وبنو اسرائيل بعد ما نجوا
سالوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وان ربك
لهو العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه واتل عليهم على مشركي العرب نبا ابراهيم
اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون سالهم ليريهم ان ما يعبدونه لا يستحق العبادة
قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين فاطالوا جوابهم بشرح حالهم معه تبجحا
وافتخارا ونظل بمعنى ندوم وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قال هل يسمعونكم
يسمعون دعاءكم او يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة اذ تدعون عليه وقرئ يسمعونكم
اي يسمعونكم الجواب عن دعائكم ومجيئه مضارعا مع اذ على حكاية الحال الماضية استحضارا
لها او ينفعونكم على عبادتكم لها او يضرون من اعرض عنها قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك
يفعلون اضربوا عن ان يكون لهم سمع او يتوقع منه ضر او نفع التجاوا الى التقليد
قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فان التقدم لا يدل على الصحة
ولا ينقلب الباطل حقا فانهم عدو لي يريد انهم اعداء لعابديهم من حيث انهم يتضررون
من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه وان المغري بعبادتهم اعدى اعداء
وهو الشيطان لكنه صور الامر في نفسه تعريضا لهم فانه انفع في النصح من التصريح
واشعارا بانها نصيحة بدا بها نفسه ليكون ادعى للقبول وافراد العدو لانه في
الاصل مصدر او بمعنى النسب الا رب العالمين استثناء منقطع او متصل على ان
الضمير لكل معبود عبدوه وكان من ابائهم من عبد الله الذي خلقني فهو يهدين لانه
يهدي كل مخلوق لما خلق له من امور المعاش والمعاد كما قال والذي قدر فهدى هداية
مدرجة من مبدا ايجاده الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب المنافع ودفع المضار
مبداها بالنسبة الى الانسان هداية الجنين الى امتصاص دم الطمث من الرحم ومنتهاها
الهداية الى طريق الجنة والتنعم بلذائذها والفاء للسببية ان جعل الموصول مبتدا
او للعطف ان جعل صفة رب العالمين فيكون اختلاف النظم لتقدم الخلق واستمرار
الهداية والذي هو يطعمني ويسقين عطف على يطعمني ويسقين لانه من روادفهما
من حيث ان الصحة والمرض في الاغلب يتبعان الماكول والمشروب وانما لم ينسب المرض اليه
لان مقصوده تعديد النعم ولا ينتقض باسناد الاماتة اليه فان الموت من حيث انه لا
به لا ضرر فيه وانما الضرر في مقدماته وهي المرض ثم انه لاهل الكمال وصلة الى نيل المحاب
التي يستحقر دونها الحياة الدنيوية وخلاص من انواع المحن والبلية ولان المرض في
غالب الامر انما يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وبما بين الاخلاط
والاركان من التنافي والتنافر والصحة انما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال
المخصوص عليها قهرا وذلك بقدرة العزيز الحكيم والذي يميتني ثم يحيين في الاخرة والذي

أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ذكر ذلك هضما لنفسه وتعليما للامة ان
يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب لان يغفر لهم ما يفرط منهم واستغفارا لما عسى يندر
منه من الصغائر وحمل الخطيئة على كلماته الثلث اني سقيم بل فعله كبيرهم وقوله هي اختي
ضعيف لانها معاريض وليست خطايا رب هب لي حكما كمالا في العلم والعمل استعد به
خلافة الحق ورياسة الخلق والحقني بالصالحين ووفقني للكمال في العمل لانتظم به في
عداد الكاملين في الصلاح الذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيرة واجعل لي لسان
صدق في الآخرين جاها وحسن صيت في الدنيا يبقى اثره الى يوم الدين ولذلك ما من امة الا
وهم محبون له مثنون عليه او صادقا من ذريتي يجدد اصل ديني ويدعوا الناس الى ما كنت
ادعوهم اليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم واجعلني من ورثة جنة النعيم في الاخرة وقد
مر معنى الوراثة فيها واغفر لابي بالهداية والتوفيق للايمان انه كان من الضالين
طريق الحق وان كان هذا الدعا بعد موته فلعله كان لظنه انه كان يخفي الايمان تقية من
نمرود ولذلك وعده به او لانه لم يمنع بعد من الاستغفار للكفار ولا تخزني بمعاتبتي
على ما فرطت او بنقص رتبتي عن رتبة بعض الوراث او بتعذيبي لخفا العاقبة وجواز
التعذيب عقلا او بتعذيب والدي او ببعثه في اعداد الضالين وهو من الخزي بمعنى
الهوان او من الخزاية بمعنى الحيا يوم يبعثون الضمير للعباد لانهم معلومون او للضالين
يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم لا ينفعان احدا الا مخلصا
سليم القلب عن الكفر وميل المعاصي وسائر آفاته ولا ينفعان الا مال من هذا شانه وبنوه
من حيث انفق ماله في سبيل البر وارشد بنيه الى الحق وحثهم على الخير وقصد بهم ان
يكونوا عباد الله مطيعين شفعاء له يوم القيامة وقيل الاستثنا مما دل عليه المال والبنون
اي لا ينفع غنى الا غناه وقيل منقطع والمعنى ولكن سلامة من اتى الله بقلب سليم تنفعه
وأزلفت الجنة للمتقين بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون بانهم المحشورون اليها وبرزت
الجحيم للغاوين فيرونها مكشوفة ويتحسرون على انهم المسوقون اليها وفي اختلاف الفعلين
ترجيح لجانب الوعد وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله اين آلهتكم الذين
تزعمون انهم شفعاؤكم هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم أو ينتصرون بدفعه عن
انفسهم لانهم وآلهتهم يدخلون النار كما قال فكبكبوا فيها هم والغاوون اي الالهة
وعبدتهم والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه كان من القي في النار ينكب مرة بعد اخرى
حتى يستقر في قعرها وجنود إبليس متبعوه من عصاة الثقلين او شياطينه أجمعون
تاكيد للجنود ان جعل مبتدا خبره ما بعده والضمير وما عطف عليه وكذا الضمير المنفصل
وما يعود اليه في قوله قالوا وهم فيها يختصمون تالله إن كنا لفي ضلال مبين على ان الله
ينطق الاصنام فيخاصم العبدة ويؤيده الخطاب في قوله إذ نسويكم برب العالمين اي
في استحقاق العبادة ويجوز ان يكون الضماير للعبدة كما في قالوا والخطاب للمبالغة في التحسر

والندامة

والندامة والمعنى انهم مع تخاصمهم في مبدأ ضلالهم معترفون بانهماكهم في الضلالة متحسرون
عليها وما أضلنا إلا المجرمون فما لنا من شافعين من الملائكة والانبيا ولا صديق حميم
اذ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا صديق ممن نعدهم
شفعا واصدقا او وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق وجمع الشافع ووحدة
الصديق لكثرة الشفعا وقلة الصديق لان الصديق الواحد يسعى الشفعا او لاطلاق الصديق
على الجمع كالعدو ولانه في الاصل كالحنين والصهيل فلو أن لنا كرة تمن للرجعة واقيم فيه لو مقام
ليت لتلاقيهما في معنى التقدير او شرط حذف جوابه فنكون من المؤمنين جواب التمني او عطف
على كرة اي لو ان لنا ان نكر فنكون إن في ذلك فيما ذكر من قصة ابراهيم لآية لحجة وعظة لمن اراد
ان يستبصر بها ويعتبر فانها جاءت على انظم ترتيب واحسن تقرير يتفطن الناظر فيها لغزارة
علمه لما فيها من الاشارة الى اصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن
مخالقته معهم وكمال اشفاقه عليهم وتصوير الامر في نفسه واطلاق الوعد والوعيد على سبيل
الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون ادعى لهم الى الاستماع والقبول وما كان أكثرهم اكثر قومه مؤمنين به وإن
ربك لهو العزيز القادر على تعجيل الانتقام الرحيم بالامهال لكي يؤمنوا او احد من ذريتهم إذ
قال لهم أخوهم نوح لانه كان منهم ألا تتقون الله فتتركوا عبادة غيره إني لكم رسول
أمين مشهور بالامانة فيكم فاتقوا الله وأطيعون فيما امركم به من التوحيد والطاعة
لله وما أسألكم عليه من أجر على ما انا عليه من الدعا والنصح إن أجري إلا على رب العالمين
فاتقوا الله وأطيعون كرره للتاكيد والتنبيه على دلالة كل واحد من امانته وحسم طمعه
لوجوب طاعته فيما يدعوهم اليه فكيف اذا اجتمعا وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر وحفص
بفتح اليا في اجري في الكلمات الخمس قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون الاقلون جاها
ومالا جمع الارذل على الصحة وقرأ يعقوب واتباعك وهو جمع تابع كشاهد واشهاد
او تبع كبطل وابطال وهذا من سخافة عقلهم وقصور رايهم على الحطام الدنيوية حتى جعلوا
اتباع المقلين فيها مانعا عن اتباعهم وايمانهم بما يدعوهم اليه دليلا على بطلانه واشاروا
بذلك الى ان اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وانما هو لتوقع مال ورفعة فلذلك قال وما علمي بما
كانوا يعملون انهم عملوه اخلاصا او طمعا في طعمة وما علي الا اعتبار الظاهر إن حسابهم
إلا على ربي ما حسابهم الا على بواطنهم الا الله فانه المطلع عليها لو تشعرون لعلمتم ذلك
ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون وما أنا بطارد المؤمنين جواب لما اوهم قولهم من استدعا
طردهم وتوقيف ايمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله إن أنا إلا نذير مبين
كالعلة له اي ما انا الا رجل مبعوث لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصي سوا كانوا اعزا او اذلا فكيف
يليق بي طرد الفقرا لاستتباع الاغنيا وما علي الا انذارك انذارا بينا بالبرهان الواضح
فلا علي اطرادهم لاسترضائهم قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول لتكونن من المرجومين
من المشتومين او المضروبين بالحجارة قال رب إن قومي كذبون اظهارا لما يدعو عليهم لاجله وهو

تكذيب الحق لا تخويفهم له واستحقاقهم عليه فافتح بيني وبينهم فتحا فاحكم بيني وبينهم
من الفتاحة ونجني ومن معي من المؤمنين من قصدهم أو شؤم عملهم فأنجيناه ومن معه في
الفلك المشحون المملو ثم أغرقنا بعد بعد إنجائه الباقين من قومه إن في ذلك لآية
شاعت وتواترت وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد
المرسلين أنثه باعتبار القبيلة وهو في الأصل اسم أبيهم إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون
إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب
العالمين تصدير القصص بها دلالة على أن البعثة مقصورة على الدعاء إلى معرفة الحق والطاعة
فيما يقرب المدعو إلى ثوابه ويبعده عن عقابه وأن الأنبياء متفقون على ذلك وإن اختلفوا
في بعض التفاريع مبرؤون عن بعض المطامع الدنيئة والأغراض الدنيوية أتبنون بكل ريع
بكل مكان مرتفع ومنه ريع الأرض لارتفاعها آية علما للمارة تعبثون ببنائها إذ كانوا
يهتدون بالنجوم في أسفارهم فلا يحتاجون إليها أو بروج الحمام أو بنيانا تجتمعون إليه
للعبث بمن يمر عليهم أو قصورا يفتخرون بها وتتخذون مصانع مآخذ الماء وقيل قصورا
مشيدة وحصونا لعلكم تخلدون فتحكمون بنيانها وإذا بطشتم بسوط أو سيف
بطشتم جبارين متسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ونظر في العاقبة
فاتقوا الله بترك هذه الأشياء وأطيعون فيما أدعوكم إليه فإنه أنفع لكم واتقوا الذي
أمدكم بما تعلمون كرره مرتبا على إمداد الله إياهم بما يعرفونه من أنواع النعم تعليلا
وتنبيها على الوعد عليه بدوام الإمداد والوعيد على تركه بالانقطاع ثم فصل بعض تلك النعم
كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها إجمالا بالإنكار في ألا تتقون مبالغة في الإيقاظ
والحث على التقوى فقال أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون ثم أوعدهم
فقال إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم في الدنيا والآخرة فإنه كما قدر على الإنعام قدر على
الانتقام قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين فإنا لا نرعوي عما
نحن عليه وتغيير شق النفي عما يقتضيه المقابلة للمبالغة في قلة اعتدادهم بوعظه
إن هذا إلا خلق الأولين أي ما هذا الذي جئتنا به إلا كذب الأولين أو ما خلقنا
إلا خلقهم نحيا ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة
خلق بضمتين أي ما هذا الذي جئت به إلا عادة الأولين كانوا يلفقون مثله أو ما هذا
الذي نحن عليه من الدين إلا خلق الأولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون أو ما هذا الذي نحن
عليه من الحياة والموت إلا عادة قديمة لم يزل الناس عليها وما نحن بمعذبين على ما نحن عليه
فكذبوه فأهلكناهم بسبب التكذيب بريح صرصر إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم
مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح
ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر
إن أجري إلا على رب العالمين أتتركون في ما ها هنا آمنين إنكار لأن يتركوا كذلك

أو تذكير بالنعمة

أو تذكير بالنعمة في تخلية الله إياهم وأسباب تنعمهم آمنين ثم فسره بقوله في جنات
وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم لطيف لين للطف الثمرة أو لأن النخل
أنثى وطلع إناث النخل ألطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ
القنو أو متدل متكسر من كثرة الحمل وإفراد النخل لفضله على سائر أشجار الجنة
أو لأن المراد بها غيرها من الأشجار وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين بطرين
أو حاذقين من الفراهة وهي النشاط فإن الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرئ
فرهين وهو أبلغ فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين استعير الطاعة
التي هي انقياد الآمر لامتثال الأمر أو نسب حكم الآمر إلى أمره مجازا الذين يفسدون
في الأرض وصف موضح لإسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون على يفسدون دلالة على
خلوص فسادهم قالوا إنما أنت من المسحرين الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقلهم
أو من ذوي السحر وهي الرئة من الأناسي يأكلون ما أنت إلا بشر مثلنا تأكيد له فأت
بآية إن كنت من الصادقين في دعواك قال هذه ناقة أي بعدما أخرجها الله من
الصخرة بدعائه كما اقترحوها لها شرب نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ
من السقي والقوت وقرئ بالضم ولكم شرب يوم معلوم فاقتصروا
على شربكم ولا تزاحموها على شربها ولا تمسوها بسوء كضرب وعقر فيأخذكم
عذاب يوم عظيم عظم اليوم لعظم ما يحل فيه وهو أبلغ من تعظيم العذاب
فعقروها أسند العقر إلى كلهم لأن عاقرها إنما عقر برضاهم ولذلك أخذوا
جميعا فأصبحوا نادمين على عقرها خوفا من حلول العذاب لا توبة أو عند معاينة
العذاب ولذلك لم ينفعهم فأخذهم العذاب أي العذاب الموعود إن في ذلك لآية
وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم في نفي الإيمان عن أكثرهم
في هذا المعرض إيماء بأنه لو آمن أكثرهم أو شطرهم لما أخذوا بالعذاب وإن قريشا إنما
عصموا عن مثله ببركة من آمن منهم كذبت قوم لوط المرسلين إذ قال لهم أخوهم
لوط ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر
إن أجري إلا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين أي أتأتون
من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم أو أتأتون الذكران
من أولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الإناث فيهم كأنهن قد أعوزنكم فالمراد بالعالمين
على الأول كل من ينكح وعلى الثاني الناس وتذرون ما خلق لكم ربكم لأجل استمتاعكم
من أزواجكم لبيان ما إن أريد به جنس الإناث أو للتبعيض إن أريد به العضو المباح
منهن فيكون تعريضا بأنهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم أيضا بل أنتم قوم عادون
متجاوزون حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات أو مفرطون في المعاصي
وهذا من جملة ذاك أو أحقاء بأن توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة قالوا لئن لم

تنته يا لوط عما تدعيه او عن نهينا او تقبيح امرنا لتكونن من المخرجين من المنفيين
من بين اظهرنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوا على عنف وسوء حال قال اني لعملكم
من القالين من المبغضين غاية البغض لا اقف عن الانكار عليه بالايعاد وهو
ابلغ من ان يقول اني لعملكم قال لدلالته على انه معدود في زمرتهم مشهور بانه من
جملتهم رب نجني واهلي مما يعملون اي من شومه وعذابه فنجيناه واهله اجمعين
اهل بيته والمتبعين له على دينه باخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب بهم الا عجوزا
هي امراة لوط في الغابرين مقدرة في الباقين في العذاب اذ اصابها حجر في الطريق
فاهلكها لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقيل كانت فيمن بقي في القرية فانها
لم تخرج مع لوط ثم دمرنا الاخرين اهلكناهم وامطرنا عليهم مطرا قيل امطر الله
على شذاذ القوم حجارة فاهلكهم فساء مطر المنذرين اللام فيه للجنس حتى يصح
وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص محذوف وهو مطرهم ان في ذلك لاية
وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة
المرسلين الايكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة بقرب مدين تسكنها
طائفة فبعث الله اليهم شعيبا كما بعثه الى مدين وكان اجنبيا منهم فلذلك قال اذ قال
لهم شعيب الا تتقون ولم يقل اخوهم شعيب وقيل الايكة شجر ملتف وكان شجرهم
الدوم وهو المقل وقرا ابن كثير ونافع بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئت
كذلك مفتوحة على انها ليكة وهي اسم بلدهم وانما كتبت ها هنا وفي ص بغير الالف
اتباعا للفظ اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من
اجر ان اجري الا على رب العالمين اوفوا الكيل اتموه ولا تكونوا من المخسرين
حقوق الناس بالتطفيف وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو ان
كان عربيا فان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين والا ففعلال وقرا
حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوا شيئا
من حقوقهم ولا تعثوا في الارض مفسدين بالقتل والغارة وقطع الطريق واتقوا
الذي خلقكم والجبلة الاولين وذوي الجبلة الاولين يعني من تقدمهم من الخلائق
قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا اتوا بالواو للدلالة على انه
جامع بين الوصفين المنافيين للرسالة مبالغة في تكذيبه وان نظنك لمن الكاذبين
في دعواك فاسقط علينا كسفا من السماء قطعة منها ولعله جواب لما اشعر به
الامر بالتقوى من التهديد وقرا حفص بفتح السين ان كنت من الصادقين قال ربي
اعلم بما تعملون وبعذاب منزل عليكم ما اوجبه لكم عليه في وقته المقدر له لا محالة
فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة نحو ما اقترحوا بان سلط الله عليهم الحر سبعة ايام حتى
غلت انهارهم فاظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا انه كان

عذاب

عذاب يوم عظيم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
وهذا اخر القصص السبع المذكورة على سبيل الاختصار تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد
للمكذبين له واطراد نزول العذاب على تكذيب الامم بعد انذار الرسل واقتراحهم له استهزاء
وعدم مبالاة به يدفع ان يقال انه كان بسبب اتصالات فلكية او كان ابتلاء لهم لا مؤاخذة
على تكذيبهم وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك تقرير لحقيقة
تلك القصص وتنبيه على اعجاز القران ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان الاخبار عنها ممن
لم يتعلمها لا يكون الا وحيا من الله عز وجل والقلب ان اراد به الروح فذاك وان اراد به
العضو فتخصيصه لان المعاني الروحانية انما تنزل اولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب
لما بينهما من التعلق ثم تتصعد منه الى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة والروح الامين
جبريل فانه امين الله على وحيه وقرا ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائي بتشديد الزاي ونصب
الروح والامين لتكون من المنذرين عما يؤدي الى عذاب من فعل او ترك بلسان عربي
مبين واضح المعنى لئلا يقولوا ما نصنع بما لا نفهمه فهو متعلق بنزل ويجوز ان يتعلق
بالمنذرين اي لتكون ممن انذروا بلغة العرب وهو هود وصالح وشعيب ومحمد عليهم السلام
وانه لفي زبر الاولين وان ذكره او معناه لفي الكتب المتقدمة اولم يكن لهم اية
على صحة القران او نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ان يعلمه علماء بني اسرائيل ان يعرفوه
بنعته المذكور في كتبهم وهو تقرير لكونه دليلا وقرا ابن عامر تكن بالتاء واية بالرفع على
انها الاسم والخبر لهم وان يعلمه بدل او الفاعل وان يعلمه بدل ولهم حال او ان الاسم ضمير
القصة واية خبر ان يعلمه والجملة خبر كان ولو نزلناه على بعض الاعجمين كما هو زيادة في
اعجازه او بلغة العجم فقراه عليهم ما كانوا به مؤمنين لفرط عنادهم واستكبارهم او لعدم
فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والاعجمين جمع اعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة
كذلك سلكناه ادخلناه في قلوب المجرمين والضمير للكفر المدلول عليه بقوله ما كانوا به
مؤمنين فتدل الاية على انه بخلق الله وقيل للقران اي ادخلناه فيها فعرفوا معانيه واعجازه ثم
لم يؤمنوا به عنادا لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم الملجئ الى الايمان فياتيهم بغتة
في الدنيا والاخرة وهم لا يشعرون باتيانه فيقولوا هل نحن منظرون تحسرا وتاسفا
افبعذابنا يستعجلون فيقولون امطر علينا حجارة فاتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب
طلب النظرة افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما
كانوا يمتعون لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه وما اهلكنا من
قرية الا لها منذرون انذروا اهلها الزاما للحجة ذكرى تذكرة ومحلها النصب على العلة
او المصدر لانها في معنى الانذار والرفع على انها صفة منذرون باضمار ذوو او بجعلهم
ذكرى لامعانهم في التذكرة او خبر محذوف والجملة اعتراضية وما كنا ظالمين فنهلك غير
الظالمين وما تنزلت به الشياطين عما زعمه المشركون انه من قبيل ما يلقي الشيطان على

الكهنة

وما ينبغي وما يصح لهم ان يتنزلوا به وما يستطيعون وما يقدرون انهم عن السمع لكلام
الملائكة لمعزولون لانه مشروط بمشاركة في صفاء الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش
بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات لا تقبل ذلك والقران مشتمل على
حقائق ومغيبات لا يمكن تلقيها الا من الملائكة فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من
المعذبين تهييج لازدياد الاخلاص ولطف لساير المكلفين وانذر عشيرتك الاقربين
الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشانهم اهم روي انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم
فخذا فخذا حتى اجتمعوا عليه فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا قالوا نعم قال
فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين لين جانبك
لهم مستعار من خفض الطاير جناحه اذا اراد ان ينحط ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن
اتبع لدين او غيره او للتبعيض على ان المراد من المؤمنين المشارفون للايمان او المصدقون
باللسان فان عصوك ولم يتبعوك فقل اني بريء مما تعملون مما تعملونه او من اعمالكم
وتوكل على العزيز الرحيم الذي يقدر على قهر اعدايه او نصر اوليايه يكفك شر من يعصيك
منهم ومن غيرهم وقرا ابن عامر ونافع فتوكل على الابدال من جواب الشرط الذي يراك حين تقوم
الى التهجد وتقلبك في الساجدين وترددك في تصفح احوال المتهجدين كما روي انه
لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعتهم
فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع لها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة او تصرفك فيما بين
المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا اممتهم وانما وصفه الله تعالى بعلمه
بحاله التي بها يستاهل ولايته بعد وصفه بان من شانه قهر اعدايه ونصر اوليايه تحقيقا
للتوكل وتطمينا لقلبه انه هو السميع بما تقوله العليم بما تنويه هل انبيكم على من
تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم لما بين ان القران لا يصح ان يكون مما تنزلت به
الشياطين اكد ذلك بان بين ان محمدا عليه الصلاة والسلام لا يصح ان يتنزلوا عليه من وجهين احدهما
انه انما يكون على شرير كذاب كثير الاثم فان اتصال الانسان بالغايبات لما بينهما من التناسب
والتواد وحال محمد صلى الله عليه وسلم على خلاف ذلك وثانيهما قوله يلقون السمع واكثرهم
كاذبون اي الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا وامارات لنقصان
علمهم فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم اشياء لا يطابق اكثرها كما جاء في الحديث الكلمة يخطفها
الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من ماية كذبة ولا كذلك محمد صلى الله عليه وسلم فانه
اخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى وقد طابق كلها وقد فسر الاكثر بالكل لقوله كل افاك
والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم على معنى ان هولاء قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني
وقيل الضماير للشياطين اي يلقون السمع الى الملا الاعلى قبل ان رجموا فيختطفون منهم بعض
ويوحون به الى اوليايهم او يلقون مسموعهم منهم الى اوليايهم واكثرهم كاذبون فيما يوحون به
اليهم اذ يسمعونهم لا على نحو ما تكلمت به الملايكة لشرارتهم او لقصور فهمهم او ضبطهم او افهامهم

كنتم مصدقي

والشعرا

والشعراء يتبعهم الغاوون واتباع محمد صلى الله عليه وسلم ليسوا كذلك وهو استيناف ابطل
كونه شاعرا وقرره بقوله الم تر انهم في كل واد يهيمون لان اكثر مقدماتهم خيالات
لا حقيقة لها واغلب كلماتهم في النسيب بالحرم والغزل والابتهار وتمزيق الاعراض
والقدح في الانساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لا يستحقه والاطراء
فيه واليه اشار بقوله وانهم يقولون ما لا يفعلون وكانه لما كان اعجاز القران من جهة
المعنى واللفظ وقد قدحوا في المعنى بانه مما تنزلت به الشياطين وفي اللفظ بانه من جنس كلام
الشعراء تكلم في القسمين وبين منافاة القران لهما ومضادة حال الرسول لحال اربابهما
وقرا نافع يتبعهم على التخفيف وقرى بالتشديد وتسكين العين تشبيها لبعه بعضد
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا استثناء
للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله ويكون اكثر اشعارهم في التوحيد والثناء
على الله والحث على طاعته ولو قالوا هجوا ارادوا به الانتصار ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين
كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبين وكان عليه الصلاة والسلام يقول لحسان
قل وروح القدس معك وعن كعب بن مالك انه عليه السلام قال اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو
اشد عليهم من النبل وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون تهديد شديد لما في سيعلم
من الوعيد البليغ وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي اي منقلب ينقلبون اي بعد الموت
من الايهام والتهويل وقد تلا ابو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه وقرى اي منفلت
ينفلتون من الانفلات وهو النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله
وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الشعرا
كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابراهيم
وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلى الله عليهم وسلم والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

سورة النمل ثلث وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم طس تلك ايات القران وكتاب مبين الاشارة
الى اي السورة والكتاب المبين اما اللوح وابانته انه فيه ما هو كاين فهو يبينه للناظرين فيه واخره
باعتبار تعلق علمنا به وتقديمه في الحجر باعتبار الوجود او القران وابانته لما اودع فيه من الحكم
او لصحته باعجازه وعطف القران كعطف احدى الصفتين على الاخرى وتنكيره للتعظيم وقرى
وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه هدى وبشرى للمؤمنين حالان من
الايات والعامل فيهما معنى الاشارة او بدلان منها او خبران اخران او خبران لمحذوف الذين يقيمون الصلاة
ويؤتون الزكاة الذين يعملون الصالحات من الصلاة والزكاة وهم بالاخرة هم يوقنون من تتمة الصلة
والواو للحال او العطف وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباته وانهم الاوحدون فيه او جملة
اعتراضية كانه قيل وهولاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالاخرة فان تحمل المشاق

الصلاة

انما يكون لخوف العاقبة والوثوق على المحاسبة وتكرير الضمير للاختصاص إن الذين لا يؤمنون
بالآخرة زينا لهم أعمالهم زينا اعمالهم القبيحة بان جعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس او الاعمال
الحسنة التي وجبت عليهم ان يعملوها بترتيب المثوبات عليها فهم يعمهون عنها لا يدركون ما يتبعها
من ضر او نفع أولئك الذين لهم سوء العذاب كالقتل والاسر يوم بدر وهم في الآخرة هم
الأخسرون اشد الناس خسرانا لفوات المثوبة واستحقاق العقوبة وإنك لتلقى القرآن لتؤتاه
من لدن حكيم عليم اي حكيم واي عليم والجمع بينهما مع ان العلوم داخلة في الحكمة لعموم العلم ودلالة
الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان علوم القرآن منها ما هي حكمة كالعقائد والشرائع
ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار عن المغيبات ثم شرع في بيان بعض تلك العلوم
بقوله إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا اي اذكر قصته اذ قال ويجوز ان يتعلق بعليم سآتيكم منها
بخبر اي عن حال الطريق لانه قد ضله وجمع الضمير ان صح انه لم يكن معه غير امرأته لما كنى عنها
بالاهل والسين للدلالة على بعد المسافة او الوعد بالاتيان وان ابطأ أو آتيكم بشهاب قبس
شعلة نار مقبوسة واضافة الشهاب اليه لانه يكون قبسا وغير قبس ونونه الكوفيون ويعقوب
على ان القبس بدل منه او وصف لانه بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل الظن ولذلك عبر عنهما
بصيغة الترجي في طه والترديد للدلالة على انه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر
وثقة بعادة الله انه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده لعلكم تصطلون رجاء ان تستدفئوا
بها والصلاء النار العظيمة فلما جاءها نودي أن بورك فان النداء فيه معنى القول او بان بورك على انها
مصدرية او مخففة من الثقيلة والتخفيف وان اقتضى التعويض بلا او قد او السين او سوف
لكنه دعاء وهو يخالف غيره في احكام كثيرة من في النار ومن حولها من في مكان النار وهو البقعة
المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة ومن حول مكانها
والظاهر انه عام في كل من في تلك الوادي وحواليها من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث
الانبياء وكفاتهم احياء وامواتا وخصوصا تلك البقعة التي كلم الله فيها موسى وقيل المراد موسى والملائكة
الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضي له امر عظيم تنتشر بركاته في اقطار
الشام وسبحان الله رب العالمين من تمام ما نودي به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها
وللتعجب من عظمة ذلك الامر او تعجب من موسى لما دهاه من عظمته يا موسى إنه أنا الله الهاء للشان
وانا الله جملة مفسرة له او للمتكلم وانا خبره والله بيان له العزيز الحكيم صفتان لله ممهدتان
لما اراد ان يظهره يريد انا الله القوي القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل
كلما يفعله بحكمة وتدبير وألق عصاك عطف على بورك اي نودي ان بورك من في النار وان
الق عصاك ويدل عليه قوله وان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني انا الله بتكرير ان فلما
رآها تهتز تتحرك باضطراب ولى مدبرا ولم يعقب ولم يرجع من عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار
وانما رعب لظنه ان ذلك الامر اريد به ويدل عليه قوله يا موسى لا تخف اي من غيري ثقة
بي او مطلقا لقوله إني لا يخاف لدي المرسلون حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق فانهم اخوف

كأنها جان حية
خفيفة سريعة وقرئ
جأن على لغة من جد في
الهرب من التقاء الساكنين

الناس

الناس اي من الله او لا يكون لهم عندي سوء عاقبة فيخافون منه إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء
فإني غفور رحيم استثناء منقطع استدرك به ما يختلج في الصدر من نفي الخوف عن كلهم وفيهم
من فرطت منهم فرطة فانهم وان فعلوها اتبعوها ما يبطلها ويستحقون بها من الله مغفرة ورحمة وقصد
تعريض موسى بوكزه القبطي وقيل متصل وثم بدل مستأنف معطوف على محذوف اي من ظلم
ثم بدل ذنبه بالتوبة وأدخل يدك في جيبك لانه كان مدرعة صوف لا كم لها وقيل الجيب
القميص لانه يجاب اي يقطع تخرج بيضاء من غير سوء آفة كبرص في تسع آيات في جملتها
او معها على ان التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة
والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع ان يعد الاخيرين
واحدا ولا يعد الفلق لانه لم يبعث به الى فرعون او اذهب في تسع آيات على انه استئناف
بالارسال فيتعلق به إلى فرعون وقومه وعلى الاولين يتعلق بنحو مبعوثا ومرسلا
إنهم كانوا قوما فاسقين تعليلا للارسال فلما جاءتهم آياتنا بان جاءهم موسى بها مبصرة
بينة اسم فاعل اطلق للمفعول اشعارا بانها لفرط اجتلائها للابصار بحيث تكاد تبصر نفسها
لو كانت مما يبصر او ذات تبصر من حيث انها تهدي والعمي لا تهتدي فضلا ان تهدي
او مبصرة كل من نظر اليها وتأمل فيها وقرئ مبصرة اي مكانا يكثر فيه التبصر قالوا هذا
سحر مبين واضح سحريته وجحدوا بها وكذبوا بها واستيقنتها أنفسهم وقد استيقنتها
لان الواو للحال ظلما لانفسهم وعلوا ترفعا عن الايمان وانتصابهما على العلة من جحدوا
فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وهو الاغراق في الدنيا والاحراق في الآخرة ولقد
آتينا داود وسليمان علما طائفة من العلوم وهو علم الحكم والشرائع او علما اي علم وقالا
الحمد لله عطفه بالواو اشعارا بان ما قالاه بعض ما اتيا به في مقابلة هذه النعمة كانه
قال ففعلا شكرا له ما فعلا وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين يعني
من لم يؤت علما او مثل علمهما وفيه دليل على فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم
وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما اوتيا من الملك الذي لم يؤت غيرهما وتحريض
على ان يحمد الله على ما اتاه من فضله وعلى ان يتواضع ويعتقد انه وان فضل على كثير
فقد فضل عليه كثير وورث سليمان داود النبوة او العلم او الملك بان قام مقامه
في ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير
وأوتينا من كل شيء تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة
التي هي علم منطق الطير وغير ذلك من عظائم ما اوتيه والنطق والمنطق في المتعارف كل
لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا كان او مركبا وقد يطلق لكل ما يصوت به على التشبيه
او التبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد فان الاصوات
الحيوانية من حيث انها تابعة للتخيلات منزلة منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت
باختلاف الاغراض بحيث يفهمها من جنسه ولعل سليمان عليه السلام مهما سمع صوت

حيوان علو تقوة القدسية التخيل الذي صوته والغرض الذي توخاه به ومن ذلك ما
حكي انه مر ببلبل يصوت ويترقص فقال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفا وصاحت
فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا ولعله كان صوت البلبل عن شبع وفراغ بال
وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتألم قلب والضمير في علمنا واوتينا له ولابيه او له
وحده على عادة الملوك لمراعاة السياسة والمراد من كل شيء كثرة ما اوتي كقولك فلان يقصده
كل احد ويعلم كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين الذي لا يخفى على احد وحشر وجمع لسليمن
جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون يحبسون بحبس اولهم على اخرهم ليتلاحقوا حتى
اذا اتوا على واد النمل واد بالشام كثير النمل وتعدية الفعل اليه بعلى اما لان اتيانهم كان
من عال او لان المراد قطعه من قولهم اتى على الشيء اذا انفذه وبلغ اخره كأنهم ارادوا ان ينزلوا اخريات
الوادي قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم كأنها لما رأتهم متوجهين الى الوادي فرت
عنهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمل فتبعتها
فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك اجروا مجراهم مع انه لا يمتنع خلق الله فيها
العقل والنطق لا يحطمنكم سليمان وجنوده نهي لهم عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف
بحيث يحطمونها كقولهم لا ارينك هاهنا فهو استينافا او بدل من الامر لا جواب له فان
النون لا تدخله في السعة وهم لا يشعرون انهم يحطمونكم اذ لو يشعروا لم يفعلوا كأنها
شعرت عصمة الانبياء من الظلم والايذاء وقيل استيناف اي فهم سليمن والقوم لا يشعرون
فتبسم ضاحكا من قولها تعجبا من حذرها واهتدائها الى مصالحها او سرورا بما خصه الله
به من ادراك همسها وفهم غرضها ولذلك سأل توفيق شكره وقال رب اوزعني ان اشكر
نعمتك اجعلني ازع شكر نعمتك عندي اي اكفه وارتبطه بحيث لا ينفلت عني بحيث
لا انفك عنه وقرأ البزي وورش بفتح يا اوزعني التي انعمت علي وعلى والدي ادرج
فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة او تعميما لها فان النعمة عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع
نفعها اليهما سيما الدينية وان اعمل صالحا ترضاه تماما للشكر واستدامة للنعمة
وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين في عدادهم الجنة وتفقد الطير وتعرف الطير
فلم يجد فيها الهدهد فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين ام منقطعة كأنه لما لم
يره ظن انه حاضر ولا يراه لساتر او غيره فقال ما لي لا اراه ثم احتاط فلاح له انه غائب
فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غائب كأنه يسأل عن صحة ما لاح له لاعذبنه عذابا
شديدا كنتف ريشه والقائه في الشمس او حيث النمل تأكله او جعله مع ضده في قفص
او لاذبحنه ليعتبر به ابناء جنسه او ليأتيني بسلطان مبين بحجة تبين عذره والحلف
في الحقيقة على احد الاولين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع احد الامور
الثلاثة ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما وقرأ ابن كثير اوليأتينني بنونين الاولى
مفتوحة مشددة فمكث غير بعيد زمانا غير بعيد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه

خوفا

خوفا منه وقرأ عاصم بفتح الكاف فقال احطت بما لم تحط به يعني حال سبا وفي مخاطبته اياه
بذلك تنبيه له على ان في خلق الله من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر لديه
علمه وقرئ بادغام الطاء في التاء باطباق وغير اطباق وجئتك من سبا وقرأ ابن كثير
برواية البزي وابو عمرو غير مصروف على تأويل القبيلة او البلدة والقواس بهمزة ساكنة
بنبا يقين بخبر محقق روي انه عليه السلام لما اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج
فوافى الحرم واقام بها ما شاء ثم توجه الى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء ظهيرة
فاعجبته نزاهة ارضها فنزل بها ثم لم يجد الماء وكان الهدهد رائده لانه يحسن
طلب الماء فتفقده لذلك فلم يجده اذ حلق حين نزل سليمان فرأى هدهدا واقعا فانحط
اليه فتواصفا فطار معه لينظر ما وصف له ثم رجع بعد العصر وحكى ما حكى ولعل في
عجائب قدرة الله وما خص به عباده اشياء اعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها و
يستنكرها من ينكرها اني وجدت امرأة تملكهم يعني بلقيس بنت شراحيل
ابن مالك بن الريان والضمير لسبا او لاهلها واوتيت من كل شيء يحتاج اليه الملوك
ولها عرش عظيم عظمه بالنسبة اليها او الى عروش امثالها وقيل كان ثلاثين ذراعا
في ثلاثين عرضا وسمكا او ثمانين في ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر
وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله كأنهم كانوا يعبدونها وزين
لهم الشيطان اعمالهم عبادة الشمس وغيرها من مقابح اعمالهم فصدهم عن السبيل
سبيل الحق والصواب فهم لا يهتدون اليه الا يسجدوا لله فصدهم لئلا يسجدوا
او زين لهم ان لا يسجدوا على انه بدل من اعمالهم او لا يهتدون الى ان يسجدوا بزيادة لا
وقرأ الكسائي ويعقوب الا بالتخفيف على انها للتنبيه ويا للنداء ومناداه محذوف
اي الا يا قوم اسجدوا كقوله * وقالت الا يا اسمع نعظك بخطة * فقلت سميعا فا
وعلى هذا يصح ان يكون استينافا من الله تعالى او من سليمن والوقف على يهتدون ويكون
امرا بالسجود وعلى الاول ذما على تركه وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجود في الجملة
لا عند قراءتها وقرئ هلا بقلب الهمزة هاء والا تسجدون وهلا تسجدون على الخطاب
الذي يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما يخفون وما يعلنون وصفه له
بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم حثا على سجوده
وردا على من يسجد لغيره والخبء ما خفي في غيره واخراجه اظهاره وهو يعم اشراق الكواكب
وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء فانه اخراج ما في الشيء بالقوة الى الفعل
والابداع فانه اخراج ما في الامكان والعدم الى الوجوب والوجود ومعلوم انه يختص
بالواجب لذاته وقرأ حفص والكسائي ما تخفون وما تعلنون الله لا اله الا هو رب
العرش العظيم الذي هو اول الاجرام واعظمها والمحيط بجملتها فبين العظيمين بون بعيد
قال سننظر سنتعرف من النظر بمعنى التأمل اصدقت ام كنت من الكاذبين

كب

اي ام كذبت والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم ثم تنح عنهم الى مكان قريب يتوارى فيه فانظر ماذا يرجعون ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول قالت اي بعد ما القي اليها يا ايها الملأ اني القي الي كتاب كريم لكرم مضمونه او مرسله او لانه كان مختوما او لغرابة شانه اذ كانت مستلقية في بيت مغلقة الابواب فدخل الهدهد في كوة والقاه على نحرها بحيث لم تشعر به انه من سليمان استيناف كانه قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه اي ان الكتاب او العنوان من سليمن وانه وان المكتوب او المضمون وقرئ بالفتح على الابدال من الكتاب او التعليل لكرمه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي ان مفسرة او مصدرية فيكون بصلته خبر محذوف اي هو او المقصود ان لا تعلوا وبدل كتاب وأتوني مسلمين مؤمنين او منقادين وهذا كلام في غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته صريحا او التزاما والنهي عن الترفع الذي هو ام الرذائل والامر بالاسلام الجامع لامهات الفضائل وليس الامر فيه بالانقياد وقيل اقامة الحجة على رسالته حتى يكون استدعا للتعليل فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة من اعظم الادلة قالت يا ايها الملأ افتوني في امري اجيبوني في الفتى او اذكروا ما تستصوبون فيه ما كنت قاطعة امرا اي ما ابت امرا حتى تشهدون الا بمحضركم استعطفتهم بذلك ليمالئوها على الاجابة قالوا نحن اولوا قوة بالاجساد والعدد واولوا باس شديد نجدة وشجاعة والامر اليك موكول فانظري ماذا تامرين من المقاتلة والصلح نطعك ونتبع رايك قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها تزييف لما احست منهم من الميل الى المقاتلة بادعائهم القوة الذاتية والعرضية واشعار بانها ترى الصلح مخافة ان يتخطى سليمن خططهم الى افسادها يتلف ما يصادفونه من اموالهم وعمارتهم ثم ان الحرب سجال لا يدرى عاقبتها وجعلوا اعزة اهلها اذلة بنهب اموالهم وتخريب ديارهم الى غير ذلك من الاهانة والاسر وكذلك يفعلون تاكيدا لما وصفت من حالهم وتقرير بان ذلك من عاداتهم الثابتة او تصديق لها من الله تعالى واني مرسلة اليهم بهدية بيان لما ترى تقديمه في المصالحة والمعنى اني مرسلة رسلا بهدية ادفعه بها عن ملكي فناظرة بم يرجع المرسلون من حاله حتى اعمل بحسب ذلك روي انها بعثت منذر بن عمرو في وفد وارسلت معهم غلمانا على زي الجواري وجواري على زي الغلمان وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا فلما وصلوا الى معسكره وراوا عظمة شانه تقاصرت اليهم نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبريل بالحال فطلب الحق واخبر عما فيه فامر الارضة فاخذت شعرة ونفذت في الدرة وامر دودة بيضاء فاخذت الخيط ونفذت في الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما ياخذه

يضرب به

بضرب وجهه ثم رد الهدية فلما جاء سليمان اي الرسول وما اهدت اليه وقرئ فلما جاءوا قال اتمدونني بمال خطاب للرسول ومن معه او للرسول والمرسل على تغليب المخاطب وقرا حمزة ويعقوب بالادغام وقرئ بنون واحدة وبنونين وحذف الياء فما اتاني الله من النبوة والملك الذي لا مزيد عليه قرا نافع وابو عمرو وحفص باسكان الياء وباسقاطها الباقون وبامالتها الكسائي وحده خير مما اتاكم فلا حاجة الى هديتكم ولا وقع لها عندي بل انتم بهديتكم تفرحون لانكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فتفرحون لما يهدى اليكم حبا لزيادة اموالكم او بما تهدونه افتخارا على امثالكم والاضراب عن انكار الامداد بالمال عليه وتعليله الى بيان ما حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم في قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها ارجع اليهم ايها الرسول اليهم الى بلقيس وقومها فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة على مقابلتها وقرئ بهم ولنخرجنهم منها من سبا اذلة بذهاب ما كانوا فيه من العز وهم صاغرون اسراء مهانون قال يا ايها الملأ ايكم ياتيني بعرشها اراد بذلك ان يريها بعض ما خصه الله به من العجائب الدالة على عظيم القدرة وصدقه في دعوى النبوة ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فينظر اتعرفه ام تنكره قبل ان ياتوني مسلمين فانها اذا اتت مسلمة لم يحل اخذه الا برضاها قال عفريت من الجن بيان له لانه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر اقرانه وكان اسمه ذكوان او صخرا انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار واني عليه على حمله لقوي امين لا اختزل منه شيا ولا ابدله قال الذي عنده علم من الكتاب اصف بن برخيا وزيره او الخضر عليه السلام او جبريل او ملك ايده الله به او سليمن نفسه فيكون التعبير عنه بذلك للدلالة على شرف العلم وان هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب في انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك للعفريت كانه استبطاه فقال له ذلك او اراد اظهار معجزة في نقله فتحداهم اولا ثم اراهم انه يتاتى له ما لا يتهيا لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة او اللوح واتيك في الموضعين صالح للفعلية والاسمية والطرف تحريك الاجفان للنظر فوضع موضعه ولما كان يوصف بارسال الطرف كما في قوله ● وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا ● لقلبك يوما ا... وصف برد الطرف والطرف بالارتداد والمعنى انك ترسل طرفك نحو شي فقبل ان ترده احضر عرشها بين يديك وهذا غاية في الاسراع ومثل فيه فلما راه اي العرش مستقرا عنده حاصلا بين يديه قال تلقيا للنعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله هذا من فضل ربي تفضل به علي من غير استحقاق والاشارة الى التمكن من احضار العرش في مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه او غيره والكلام في امكان مثله قد مر في اية الاسرا ليبلوني ءاشكر بان اريه فضلا من الله بلا حول ولا قوة مني واقوم بحقه ام اكفر بان اجد نفسي في البين او اقصر في اداء مواجبه ومحلهما النصب على البدل من الياء ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه به يستجلب لها دوام النعمة ومزيدها ويحط عنها عب الواجب

ويحفظها عن وصمة الكفران ومن كفر فان ربي غني عن شكره كريم بالانعام عليه ثانيا قال
نكروا لها عرشها بتغيير هيئتها وشكلها ننظر جواب الامر وقري بالرفع على الاستئناف
أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون الى معرفته او الجواب للصواب وقيل الى الايمان
بالله ورسوله اذا رات تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة الابواب موكلة عليه الحراس
فلما جاءت قيل أهكذا عرشك تشبيها عليها زيادة في امتحان عقلها اذ ذكرت عنده
بسخافة العقل قالت كأنه هو ولم تقل هو لاحتمال ان يكون مثله وذلك من كمال عقلها
وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين من تتمة كلامها كأنها ظنت انه اراد بذلك اختبار
عقلها واظهار معجزة لها فقالت واوتينا العلم بكمال قدرة الله تعالى وصحة نبوتك
قبل هذه الحالة او المعجزة بما تقدم من الايات وقيل انه كلام سليمن وقومه وعطفوه على
جوابها لما فيه من الدلالة على ايمانها بالله ورسوله حيث جوزت ان يكون ذلك عرشها
تجويزا غالبا واحضاره ثمة من المعجزات التي لا يقدر عليها غير الله ولا يظهر الا على الانبيا
اي واوتينا العلم بالله وقدرته وصحة ما جا من عنده قبلها وكنا منقادين لحكمه لم نزل
على دينه ويكون غرضهم فيه التحدث بما انعم الله عليهم من التقدم في الاسلام وصدها الله عن
عبادتها بالتوفيق للايمان شكرا لله وصدها ما كانت تعبد من دون الله اي وصدها
عبادة الشمس عن التقدم الى الاسلام او وصدها الله عن عبادتها بالتوفيق للايمان انها كانت
من قوم كافرين وقري بالفتح على الابدال من فاعل صد على الاول اي نشوها بين اظهر الكفار
او التعليل له قيل لها ادخلي الصرح العقر وقيل عرصة الدار فلما رأته حسبته لجة
وكشفت عن ساقيها روي انه امر قبل قدومها فبني قصر صحنه من زجاج ابيض واجرى من
تحتها الما والقي فيه حيوانات البحر ووضع سريره في صدره فجلس عليه فلما ابصرته ظنته
ما راكدا فكشفت عن ساقيها وقرا ابن كثير برواية قنبل سأقيها بالهمز حملا على جمعه
سؤق واسؤق قال انه ان ما تظنينه ما صرح ممرد مملس من قوارير من الزجاج قالت
رب اني ظلمت نفسي بعبادة الشمس وقيل بظني بسليمان فانها حسبت انه يغرقها في اللجة
وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين فيما امر به عباده وقد اختلف في انه تزوجها
او زوجها من ذي تبع ملك همدان ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله
بان اعبدوه وقري بضم النون على اتباعها البا فاذا هم فريقان يختصمون
ففاجؤا التفرق والاختصام فامن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين قال يا قوم
لم تستعجلون بالسيئة بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا قبل الحسنة قبل التوبة فتؤخرونها
الى نزول العقاب فانهم كانوا يقولون ان صدق ايعاده تبنا حينئذ لولا تستغفرون الله قبل
نزوله لعلكم ترحمون بقبولها فانها لا تقبل حينئذ قالوا اطيرنا تشاءمنا بك وبمن
معك اذ تتابعت علينا الشدائد او وقع بيننا الافتراق منذ اخترعتم دينكم قال
طائركم سببكم الذي جا منه شركم عند الله وهو قدره او عملكم المكتوب عنده بل انتم قوم

تفتنون

تفتنون تختبرون بتعاقب السرا والضرا والاضراب من بيان طائرهم الذي هو مبدا ما يحيق
بهم الى ما ذكر ما هو الداعي اليه وكان في المدينة تسعة رهط تسعة انفس وانما وقع
تمييزا للتسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفر انه من الثلثة او السبعة الى العشرة
والنفر من الثلثة الى التسعة يفسدون في الارض ولا يصلحون اي شانهم الافساد
الخالص عن شوب الصلاح قالوا اي قال بعضهم لبعض تقاسموا بالله امر مقول او خبر وقع
بدلا او حالا باضمار قد لنبيتنه واهله لنباغتن صالحا واهله ليلا وقرا حمزة والكسائي
بالتا على خطاب بعضهم لبعض وقري باليا على ان تقاسموا خبر ثم لنقولن فيه القراات الثلث
لوليه لولي دمه ما شهدنا مهلك اهله فضلا ان تولينا اهلاكهم وهو يحتمل المصدر والزمان
والمكان وكذا مهلك في قراة حفص فان مفعلا قد جا مصدرا كمرجع وقرا ابو بكر بالفتح فيكون
مصدرا وانا لصادقون ونحلف انا لصادقون او والحال انا لصادقون فيما ذكرنا لان الشاهد
للشي غير المباشر له عرفا او لانا ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك ما رايته
رجلا بل رجلين ومكروا مكرا بهذه المواضعة ومكرنا مكرا بان جعلناها سببا لاهلاكهم
وهم لا يشعرون بذلك روي انه كان لصالح في الحجر مسجد في شعب يصلي فيه فقالوا زعم
انه يفرغ منا الى ثلث فنفرغ منه ومن اهله قبل الثلث فذهبوا الى الشعب ليقتلوه
فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت فم الشعب فهلكوا ثمة وهلك الباقون في اماكنهم بالصيحة
كما اشار اليه بقوله فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين
فكان ان جعلت ناقصة فخبرها كيف وانا دمرناهم استيناف او خبر محذوف لا خبر كان
لعدم العائد وان جعلتها تامة فكيف حال وقرا الكوفيون ويعقوب انا دمرناهم بالفتح
على انه خبر محذوف او بدل من اسم كان او خبر له وكيف حال فتلك بيوتهم خاوية خالية
من خوى البطن اذا خلا او ساقطة متهدمة من خوى النجم اذا سقط وهي حال عمل فيها
معنى الاشارة وقري بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف بما ظلموا بسبب ظلمهم ان في ذلك
لاية لقوم يعلمون فيتعظون وانجينا الذين امنوا صالحا ومن معه وكانوا يتقون
الكفر والمعاصي فلذلك خصوا بالنجاة ولوطا واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد
ارسلنا عليه اذ قال لقومه بدل على الاول وظرف على الثاني أتأتون الفاحشة وانتم
تبصرون تعلمون فحشها من بصر القلب واقتراف القبائح من العالم بقبحها اقبح او يبصرها
بعضكم من بعض لانهم كانوا يعلنون بها فيكون افحش أئنكم لتأتون الرجال شهوة
من دون النسا بيان لاتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه والتنبيه
على ان الحكمة في المواقعة طلب النسل لا قضا الوطر من دون النسا اللاتي خلقن لذلك بل
انتم قوم تجهلون تفعلون فعل من يجهل قبحها او يكون سفيها لا يميز بين الحسن والقبيح
او تجهلون العاقبة والتا فيه لكون الموصوف به في معنى المخاطب فما كان جواب قومه
الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون يتنزهون عن افعالنا ادعى

مهلك
هد

الا قدارا ويعدون فعلنا قدرا فانجيناه واهله الا امراته قدرناها من الغابرين قدرنا
كونها من الباقين في العذاب وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين مر مثله قل الحمد لله وسلام
على عباده الذين اصطفى امر رسوله عليه السلام بعد ما قص عليه القصص الدالة على كمال قدرته وعظم
شانه وما خص به رسله من الايات الكبرى والانتصار من العدى بتحميده والسلام على المصطفين
من عبيده شكرا على ما انعم عليهم وعلما بما جهل من احوالهم وعرفانا لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم
في الدين او لوطا بان يحمد على هلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة
من الهلاك آلله خير اما يشركون الزام لهم وتهكم بهم وتسفيه لرايهم اذ من المعلوم ان لا خير
فيما اشركوه راسا حتى يوازن بينه وبين من هو مبدا كل خير وقرا ابو عمرو وعاصم ويعقوب
بالياء امن بل امن خلق السموات والارض التي هي اصول الممكنات ومبادي المنافع وقرئ امن
بالتخفيف على انه بدل من الله وانزل لكم لاجلكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة
عدل به عن الغيبة الى التكلم لتاكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على ان انبات الحدائق البهية
المختلفة الانواع المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما اشار اليه
بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها شجر الحدائق وهي البساتين من الاحداق وهو الاحاطة
ءاله مع الله يقرن به ويجعل له شريكا وهو المتفرد بالخلق والتكوين وقرئ االها باضمار فعل
مثل تدعون او تشركون وبتوسيط مدة بين الهمزتين واخراج الثانية بين بين بل هم قوم
يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد امن جعل الارض قرارا بدل من امن خلق السموات وجعلها
قرارا بابداء بعضها من الماء وتسويتها بحيث يتاتى استقرار الانسان والدواب عليها وجعل
خلالها اوسطها انهارا جارية وجعل لها رواسي جبالا يتكون فيها المعادن وينبع من
حضيضها المنابع وجعل بين البحرين العذب والمالح او خليجي فارس والروم حاجزا برزخا
وقد مر بيانه في الفرقان ءاله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون الحق فيشركون به امن يجيب المضطر
اذا دعاه المضطر الذي احوجه شدة ما به الى اللجا الى الله من الاضطرار وهو افتعال من الضرورة
واللام فيه للجنس لا للاستغراق فلا يلزم منه اجابة كل مضطر ويكشف السوء ويدفع عن
الانسان ما يسوءه ويجعلكم خلفاء الارض خلفاء فيها بان ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن
قبلكم ءاله مع الله الذي حفكم بهذه النعم العامة والخاصة قليلا ما تذكرون اي تذكرون
الاءه تذكرا قليلا وما مزيدة والمراد بالقلة العدم او الحقارة المزيحة للفائدة وقرا ابو عمرو
وروح بالياء وحمزة وحفص والكسائي بالتاء وتخفيف الذال امن يهديكم في ظلمات البر والبحر
بالنجوم وعلامات الارض والظلمات ظلمات الليل اضافها الى البر والبحر للملابسة او مشتبهات
الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء للتي لا منار بها ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته
يعني المطر ولو صح ان السبب الاكثري في تكون الريح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة
الباردة لانكسار حرها وتموجها الهواء فلا شك ان الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك من خلق
الله والفاعل للسبب فاعل للمسبب ءاله مع الله يقدر على مثل ذلك تعالى الله عما يشركون

القادر

القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق امن يبدا الخلق ثم يعيده والكفرة وان انكروا الاعادة
فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها ومن يرزقكم من السماء والارض اي باسباب سماوية وارضية ءاله مع الله
يفعل ذلك قل هاتوا برهانكم على ان غيره يقدر على شيء من ذلك ان كنتم صادقين في اشراككم
فان كمال القدرة من لوازم الالوهية قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله لما بين
اختصاصه بالقدرة التامة الفائقة العامة اتبعه ما هو كاللازم له وهو التفرد بعلم الغيب
والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على انه تعالى ان كان ممن في السموات
والارض ففيها من يعلم الغيب مبالغة في نفيه عنهم او متصل على ان المراد ممن في السموات والارض
من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها فانه يعم الله تعالى واولي العلم من خلقه
وهو موصول او موصوف وما يشعرون ايان يبعثون في الاخرة متى ينشرون مركبة من اي
وآن وقرئ بكسر الهمزة والضمير لمن وقيل للكفرة بل ادرك علمهم في الاخرة لما نفى عنهم علم
الغيب واكد ذلك بنفي شعورهم بما هو مآلهم لا محالة بالغ فيه بان اضرب عنه وبين
ان ما انتهى وتكامل فيه اسباب علمهم من الحجج والايات وهو ان القيامة كائنة لا محالة لا يعلمونه
كما ينبغي بل هم في شك منها كمن تحير في امر لا يجد عليه دليلا بل هم منها عمون لا يدركون
دلائلها لاختلال بصيرتهم وهذا وان اختص بالمشركين ممن في السموات والارض نسب الى
جميعهم كما يسند فعل البعض الى الكل والاضرابات الثلاث تنزيل لاحوالهم وقيل الاول اضراب
عن نفي الشعور بوقت القيامة عنهم ووصفهم باستحكام علمهم في امر الاخرة تهكما
بهم وقيل ادرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم ادركت الثمرة لانها تلك غايتها التي
عندها تعدم وقرا ابن عامر ونافع وحمزة والكسائي وحفص بل ادارك بمعنى تتابع حتى
استحكم او تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك وابو بكر
ادرك واصله تفاعل وافتعل وقرئ اادرك بهمزتين وآادرك بالف بينهما وبل ادرك
وبل تدارك وبلى ادرك وبلى اادرك وام ادرك وام تدارك وما فيه استفهام صريح
او مضمن من ذلك فانكار وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك على التهكم وما
بعده اضراب عن التفسير مبالغة في نفيه ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل
انهم منها عمون او رد وانكار وقال الذين كفروا ءاذا كنا ترابا وآباؤنا اءنا لمخرجون
كالبيان لعمههم والعامل في اذا ما دل عليه اءنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون لان كلا من
الهمزة وان واللام مانعة من عمله فيما قبلها وتكرير الهمزة للمبالغة في الانكار والمراد بالاخراج
الاخراج من الاجداث او من حال الفناء الى حال الحياة وقرا نافع اذا كنا بهمزة واحدة
مكسورة وقرا ابن عامر والكسائي اننا لمخرجون بنونين على الخبر لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا
من قبل وعد محمد صلى الله عليه وسلم وتقديم هذا على نحن لان المقصود بالذكر هو البعث وحيث
اخر فالمقصود به المبعوث ان هذا الا اساطير الاولين التي هي كالاسمار قل سيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين تهديد لهم على التكذيب وتخويف بان ينزل بهم مثل ما نزل

ب

خراج

بالمكذبين قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفا للمؤمنين في ترك الجرايم ولا تحزن عليهم
على تكذيبهم واعراضهم ولا تكن في ضيق في حرج صدر وقرا ابن كثير بكسر الضاد
وهما لغتان وقرى ضيق اي امر ضيق مما يمكرون من مكرهم فان الله يعصمك
من الناس ويقولون متى هذا الوعد العذاب الموعود ان كنتم صادقين قل عسى
ان يكون ردف لكم تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتاكيد او الفعل مضمن معنى
فعل يعدى باللام مثل دنا وقرى بالفتح وهو لغة فيه بعض الذي تستعجلون حلوله
وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك كالجزم وانما يطلقونه اظهارا
لوقارهم واشعارا بان الرمز كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وعد الله ووعيده وان
ربك لذو فضل على الناس بتاخير عقوبتهم على المعاصي والفاضلة الفضل والافضال
وجمعها فضول وفواضل ولكن اكثرهم لا يشكرون لا يعرفون حق النعمة فيه فلا
يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم وقوعه وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم ما
تخفيه وقرى بفتح التاء من كننت اي سترت وما يعلنون من عداوتك فيجازيهم
عليه وما من غائبة في السماء والارض خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء
فيهما للمبالغة كما في الرواية او اسمان لما يغيب ويخفى كالتاء في عاقبة وعافية الا في
كتاب مبين بين او مبين ما فيه لمن يطالعه والمراد اللوح او القضاء على الاستعارة
ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون كالتشبيه والتنزيه
واحوال الجنة والنار وعزير والمسيح وانه لهدى ورحمة للمؤمنين فانهم المنتفعون
به ان ربك يقضي بينهم يقضي بين بني اسرائيل بحكمه بما يحكم به وهو الحق او بحكمته
ويدل عليه انه قرئ بحكمه وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم بحقيقة ما يقضي
فيه وحكمه فتوكل على الله ولا تبالي بمعاداتهم انك على الحق المبين وصاحب الحق حقيق بالوثوق
بحفظ الله ونصره انك لا تسمع الموتى تعليل اخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع
طمعه عن مشايعتهم ومعاضدتهم راسا وانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم
باستماع ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم في قوله ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا
مدبرين فان اسماعهم في هذه الحال ابعد وقرا ابن كثير ولا يسمع الصم وما انت
بهادي العمي عن ضلالتهم حيث الهداية لا تحصل الا بالبصر وقرا حمزة وحده
وما انت تهدي العمي ان تسمع اي ما يجدي اسماعك الا من يؤمن باياتنا من هو في علم
الله كذلك فهم مسلمون مخلصون من اسلم وجهه لله واذا وقع القول عليهم اذا دنا
وقوع معناه وهو ما وعدوا به من البعث والعذاب اخرجنا لهم دابة من الارض
وهي الجساسة روي ان طولها ستون ذراعا ولها قوايم وزغب وريش وجناحان
لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب وروي انه عليه الصلاة والسلام سئل عن مخرجها فقال من
اعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام تكلمهم من الكلام وقيل من الكلم اذ قرئ

تكلمهم

تكلمهم وروي انها تخرج ومعها عصى موسى وخاتم سليمان فتنكت بالعصا في مسجد المؤمن نكتة
بيضاء فيبيض وجهه وبالخاتم في انف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه ان الناس كانوا
باياتنا خروجها وساير احوالها فانها من ايات الله وقيل القران وقرا الكوفيون ان
الناس بالفتح لا يوقنون لا يتيقنون وهو حكاية معنى قولها او حكايتها لقول الله او علة
خروجها او كلمها على حذف الجار ويوم نحشر من كل امة فوجا يعني يوم القيامة ممن
يكذب باياتنا بيان للفوج اي فوجا مكذبين من الاولى للتبعيض لان امة كل نبي واهل
كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين فهم يوزعون يحبس اولهم على اخرهم ليتلاحقوا
وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد اطرافهم حتى اذا جاءوا الى المحشر قال اكذبتم
باياتي ولم تحيطوا بها علما الواو للحال اي اكذبتم بها بادي الراي غير ناظرين فيها
نظرا يحيط علمكم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او بالتكذيب او للعطف اي
اجمعتم بين التكذيب بها وعدم القاء الاذهان لتحققها اماذا كنتم تعملون ام اي
شيء كنتم تعملونه بعد ذلك وهو للتبكيت اذ لم تفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا
تقدرون ان تقولوا فعلنا غير ذلك ووقع القول عليهم حل بهم العذاب الموعود
وهو كبهم في النار بعد ذلك بما ظلموا بسبب ظلمهم وهو التكذيب بايات الله فهم لا ينطقون
باعتذار لشغلهم بالعذاب الم يروا ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم الى تجويز الحشر
وبعثة الرسل لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعين بذاته لا يكون
الا بقدرة قاهرة وان من قدر على ابدال الظلمة بالنور في مادة واحدة قدر على ابدال
الموت والحياة في مواد الابدان وان من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من اسباب معاشهم
لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم في معاشهم ومعادهم انا جعلنا الليل ليسكنوا
فيه بالنوم والقرار والنهار مبصرا فان اصله ليبصروا فيه فبولغ فيه بجعل الابصار
من احواله المجبول عليها بحيث لا ينفك عنها ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون لدلالتها
على الامور الثلثة ويوم ينفخ في الصور في الصور او القرن وقيل انه تمثيل لانبعاث
الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ في البوق ففزع من في السموات ومن في الارض من الهول
وعبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه الا من شاء الله اي لا يفزع بان يثبت قلبه قيل هم
جبريل وميكايل واسرافيل وعزرايل وقيل الحور والخزنة وحملة العرش وقيل الشهداء
وقيل موسى لانه صعق مرة ولعل المراد ما يعم ذلك وكل اتوه حاضرون الموقف بعد
النفخة الثانية او راجعون الى امره وقرا حمزة وحفص اتوه على الفعل وقرئ اتاه لتوحيد
لفظ الكل داخرين صاغرين وقرئ دخرين وترى الجبال تحسبها جامدة ثابتة في مكانها
وهي تمر مر السحاب في السرعة وذلك لان الاجرام الكبار اذا تحركت على سمت واحد لا يكاد
يتبين حركتها صنع الله مصدر مؤكد لنفسه وهو مضمون الجملة المتقدمة كقوله وعد الله
الذي اتقن كل شيء احكم خلقه وسواه على ما ينبغي انه خبير بما تفعلون عالم بظواهر

الاعمال وبواطنها فيجازيهم عليها كما قال من جاء بالحسنة فله خير منها اذ ثبت له الشريف
بالخسيس والباقي بالفاني وعشر امثالها بواحدة وقيل خير منها اي خير حاصل من جهتها وهو الجنة
وقرا ابن كثير وابو عمرو وهشام خبير بما يفعلون بالياء وهم من فزع يومئذ آمنون
يعني به خوف عذاب يوم القيامة وبالاول ما يلحق الانسان من التهيب لما يرى من الاهوال
والعظائم ولذلك يعم الكافر والمؤمن وقرا الكوفيون بالتنوين لان المراد فزع واحد
من افزاع ذلك اليوم وآمن يعدى بالجار وبنفسه كقوله افامنوا مكر الله وقرا الكوفيون
ونافع يومئذ بفتح الميم والباقون بكسرها ومن جاء بالسيئة قيل بالشرك فكبت وجوههم
في النار فكبوا فيها على وجوههم ويجوز ان يراد بالوجوه انفسهم كما اريدت بالايدي في
قوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة هل تجزون الا ما كنتم تعملون على الالتفات
او باضمار القول اي قيل لهم في ذلك انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها
امر الرسول ان يقول لهم ذلك بعد ما بين المبدا والمعاد وشرح احوال القيامة اشعارا
بانه قد اتم الدعوة وقد كملت وما عليه بعد الا الاشتغال بشانه والاستغراق في عبادة
ربه وتخصيص مكة بهذه الاضافة تشريف لها وتعظيم لشانها وقرئ التي حرمها
وله كل شيء خلقا وملكا وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين او الثابتين على ملة الاسلام
وان اتلو القرآن وان اواظب على قراءته لينكشف لي حقائقه في تلاوته شيئا فشيئا
او اتباعه وقرئ واتل عليهم وان اتل فمن اهتدى باتباعه اياي في ذلك فانما يهتدي
لنفسه فان منافعه عائدة اليه ومن ضل بمخالفتي فقل انما انا من المنذرين
فلا علي من وبال ضلاله شيء اذ ما على الرسول الا البلاغ وقد بلغت وقل الحمد لله على نعمة
النبوة او على ما علمني ووفقني للعمل به سيريكم آياته القاهرة في الدنيا كوقعة
بدر وخروج دابة الارض او في الآخرة فتعرفونها فتعرفون انها آيات الله ولكن حين
لا تنفعكم المعرفة وما ربك بغافل عما تعملون فلا تحسبوا ان تاخير عذابكم لغفلته
عن اعمالكم وقرئ في السبعة بالياء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة طس كان له من الاجر عشرة
حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وصالح وابراهيم وشعيب عليهم السلام
ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

سورة القصص ثمان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك
نقراه بقراءة جبريل عليه السلام ويجوز ان يكون بمعنى ننزله مجازا من نبا موسى وفرعون
بعض نباهما مفعول نتلو بالحق محقين لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون به ان فرعون علا
في الارض بيان لذلك البعض والارض ارض مصر وجعل اهلها شيعا فرقا يشيعونه فيما يريد
او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في استخدامه استعمل كل صنف في عمل او احزابا بان

واغرى بينهم العداوة كيلا يتفقوا عليه يستضعف طائفة منهم وهم بنو اسرائيل والجملة حال
من فاعل جعل او صفة لشيعا او استئناف وقوله يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم بدل
منها وكان ذلك لان كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وكان ذلك
من غاية حمقه فانه لو صدق لم يندفع بالقتل وان كذب فما وجهه انه كان من المفسدين
فلذلك اجترا على قتل خلق كثير من اولاد الانبياء لتخيل فاسد ونريد ان نمن على الذين استضعفوا
في الارض ان نتفضل عليهم بانقاذهم من باسه ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على
ان فرعون علا من حيث انهما واقعان تفسيرا للنبا او حال من يستضعف ولا يلزم مقارنة
الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له لجواز ان يكون تعلق الارادة به حينئذ تعلقا
استقباليا مع ان منة الله بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع منهم جاز ان تجري مجرى المقارن
ونجعلهم ائمة مقدمين في امر الدين ونجعلهم الوارثين لما كان في ملكه فرعون وقومه ونمكن
لهم في الارض ارض مصر والشام واصل التمكين ان تجعل للشيء مكانا يتمكن فيه ثم استعير
للتسليط واطلاق الامر ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم من بني اسرائيل ما كانوا
يحذرون من ذهاب ملكهم على يد مولود منهم وقرئ ويرى بالياء وفرعون وهامان وجنودهما
بالرفع واوحينا الى ام موسى بالهام او رؤيا ان ارضعيه ما امكنك اخفاؤه فاذا خفت عليه
بان تحس به فالقيه في اليم في البحر يريد النيل ولا تخافي ضيعه ولا شدة ولا تحزني
لفراقه انا رادوه اليك عن قريب بحيث تامنين عليه وجاعلوه من المرسلين روي انها لما
ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبالى بني اسرائيل فعالجتها فلما وقع موسى عليه
السلام على الارض هالها نور بين عينيه وارتعشت مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث
منعها من السعاية فارضعته ثلاثة اشهر ثم الح فرعون في طلب المواليد واجتهد
العيون فاخذت له تابوتا فقذفته في النيل فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا
وحزنا تعليل لالتقاطهم اياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيها له بالغرض الحامل عليه وقرا
حمزة والكسائي حزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين في كل شيء فليس ببدع
منهم ان قتلوا الوفا لاجله ثم اخذوا يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون او مذ
فعاقبهم الله بان ربى عدوهم على ايديهم فالجملة اعتراض لتاكيد خطاهم او لبيان
الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين تخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطا وقالت
امرات فرعون اي لفرعون حين اخرجته من التابوت قرت عين لي ولك هو قرة عين
لهما لانهما لما راياه اخرج من التابوت احباه او لانه كانت لهما ابنة برصاء وعالجها الا
بريق حيوان بحري يشبه الانسان فلطخت برصها بريقه فبرات وفي الحديث انه قال لك
لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله كما هداها لا تقتلوه خطاب بلفظ الجمع للتعظيم عسى
ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك لما رات من نور بين عينيه وارتضا
ابهامه لبنا وبرء البرصاء بريقه او نتخذه ولدا او نتبناه فانه اهل له وهم لا يشعرون

نبين
طبا
عه

حال من الملتقطين او القائلة والمقول له اي وهم لا يشعرون انهم على الخطا في التقاطه
او في طمع النفع منه والتبني له او من احد ضميري نتخذه على ان الضمير للناس اي وهو
انه لغيرنا وقد تبنيناه واصبح فؤاد ام موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها
من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله وافئدتهم هواء اي خلاء لا
عقول فيها ويؤيده انه قرئ فزعا من فزغا من قولهم دماؤهم بينهم فزغ اي هدرا او من الهم
لفرط وثوقها بوعد الله او لسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت
لتبدي به انها كادت لتظهر بموسى اي بامره وقصته من فرط الضجرة او الفرح
بتبنيه لولا ان ربطنا على قلبها بالصبر او الثبات لتكون من المؤمنين من المصدقين
بوعد الله او الواثقين بحفظه لا بتبني فرعون وعطفه وقرئ موسى اجراء للضمة
في جار الواو مجرى ضمتها في استدعاء همزها همزة واوه وعلة الربط وجواب لولا
محذوف دل عليه ما قبله وقالت لاخته مريم قصيه اتبعي اثره وتتبعي خبره فبصرت
به عن جنب عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب والمعنى واحد وهم لا يشعرون
انها تقص او انها اخته وحرمنا عليه المراضع ومنعناه ان يرتضع من المرضعات
جمع مرضع او مرضع وهو الرضاع او موضعه يعني الثدي من قبل قصصها اثره
فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم لاجلكم وهم له ناصحون
لا يقصرون في ارضاعه وتربيته روي ان هامان لما سمعه قال انها لتعرفه
واهلها خذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فامرها
فرعون بان تاتي بمن تكفله فاتت بامها وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلله فلما وجد
ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها من انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك
فقالت اني امراة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها
واجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وهو قوله فرددناه الى امه كي تقر
عينها بولدها ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق علم مشاهدة
ولكن اكثرهم لا يعلمون ان وعده حق فيرتابون فيه او ان الغرض الاصلي من الرد
علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد
فرعون ولما بلغ اشده مبلغه الذي لا يزيد عليه نشوه وذلك من ثلثين
الى اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروي انه لم يبعث نبي الا على راس الاربعين
واستوى قده وعقله آتيناه حكما وعلما بالدين او علم الحكماء والعلماء وسمتهم
قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه وهو اوفق لنظم القصة لانه استنبئ
بعد الهجرة في المراجعة وكذلك ومثل ذلك فعلنا بموسى وامه نجزي المحسنين على احسانهم
ودخل المدينة ودخل مصر آتيا من قصر فرعون وقيل منف او حابين او عين الشمس من
نواحيها على حين غفلة من اهلها في وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقعونه فيه

قيل كان

قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشائين فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته
وهذا من عدوه احدهما ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل والآخر من مخالفيه وهم القبط
والاشارة على الحكاية فوكزه موسى فضرب القبطي بجمع كفه وقرئ فلكزه موسى اي
فضرب بيده صدره فقضى عليه فقتله واصله انهى حياته من قوله وقضينا اليه
ذلك الامر قال هذا من عمل الشيطان لانه لم يؤمر بقتل الكفار او لانه كان مامونا فيهم فلم
يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ وانما عده من عمل الشيطان
وسماه ظلما واستغفر عنه على عادتهم في استعظام محقرات فرطت منهم انه عدو مضل
مبين ظاهر العداوة قال رب اني ظلمت نفسي بقتله فاغفر لي ذنبي فغفر له لاستغفاره
انه هو الغفور لذنوب عباده الرحيم بهم قال رب بما انعمت علي قسم محذوف الجواب
اي اقسم بانعامك علي بالمغفرة وغيرها لاتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين او استعطاف
اي بحق انعامك علي اعصمني فلن اكون معينا لمن ادت معاونته الى جرم وعن ابن عباس
لم يستثن فابتلي به مرة اخرى وقيل معناه بما انعمت علي من القوة اعين اولياءك
فلن استعملها في مظاهرة اعدائك فاصبح في المدينة خائفا يترقب يترصد الاستقادة
فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه يستغيثه مشتق من الصراخ قال له موسى انك
لغوي مبين بين الغواية لانك تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر فلما ان اراد ان يبطش
بالذي هو عدو لهما لموسى والاسرائيلي لانه لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بني اسرائيل
قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس قاله الاسرائيلي لانه سماه غويا
ظن انه يبطش عليه او القبطي فكانه توهم من قوله انه الذي قتل القبطي بالامس لهذا الا سرائيلي
ان تريد ما تريد الا ان تكون جبارا في الارض تطاول على الناس ولا تنظر العواقب
وما تريد ان تكون من المصلحين بين الناس فتدفع التخاصم بالتي هي احسن ولما قال
هذا انتشر الحديث وارتقى الى فرعون وملائه فهموا بقتله فخرج مؤمن آل فرعون وهو
ابن عمه ليخبره كما قال وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى يسرع صفة لرجل او حال
منه اذا جعل من اقصى المدينة صفة لا صلة لجاء لان تخصيصه بها يلحقه بالمعارف
قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك يتشاورون بسببك وانما سمي التشاور
ائتمارا لان كلا من المتشاورين يامر الآخر ويأتمر فاخرج اني لك من الناصحين اللام
للبيان وليس صلة الناصحين لان معمول الصلة لا يتقدم الموصول فخرج منها من المدينة خائفا
يترقب لحوق طالب قال رب نجني من القوم الظالمين خلصني منهم واحفظني من لحوقهم
ولما توجه تلقاء مدين قبالة مدين قرية شعيب سميت باسم مدين بن ابراهيم ولم
تكن في سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمان ليال قال عسى ربي ان يهديني
سواء السبيل توكلا على الله وحسن ظن به وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلث طرق فاخذ
في اوسطها وجاء الطلاب عقيبه فاخذوا في الآخرين ولما ورد ماء مدين وصل اليه

وهو بير كانوا يسقون منها وجد عليه وجد فوق شفيره أمة من الناس جماعة كثيرة
مختلفين يسقون مواشيهم ووجد من دونهم في مكان اسفل من مكانهم امرأتين
تذودان يمنعان اغنامهما عن الماء لئلا تختلط باغنامهم قال ما خطبكما ما شأنكما
تذودان قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء يصرف الرعاء مواشيهم عن الماء حذرا عن
مزاحمة الرجال وحذف المفعول لان الغرض بيان ما يدل على عفتهما ويدعوه الى السقي
لهما ثم دونه وقرأ ابو عمرو وابن عامر يصدر اي ينصرف وقرئ الرعاء بالضم وهو اسم
جمع كالرجال وابونا شيخ كبير كبير السن لا يستطيع ان يخرج للسقي فيرسلنا اضطرارا
فسقى لهما مواشيهما رحمة عليهما قيل كانت الرعاة يضعون على رأس البير حجرا لا يقله
الا سبعة رجال او اكثر فاقله وحده مع ما كان به من الوصب والجوع وجراحة القدم
وقيل كانت بيرا اخرى عليها صخرة فرفعها وسقى منها ثم تولى الى الظل فقال رب اني
لما انزلت الي لاي شيء انزلت من خير قليل او كثير وحمله الاكثرون على الطعام
فقير محتاج سائل ولذلك عدي باللام وقيل معناه اني لما انزلت الي من خير الدين
صرت فقيرا في الدنيا لانه كان في سعة عند فرعون والغرض منه اظهار التبجح والشكر
على ذلك فجاءته احداهما تمشي على استحياء اي مستحية متخفرة قيل كانت الصغرى منهما
وقيل الكبرى واسمها صفورا او صفرا وهي التي تزوجها موسى قالت ان ابي يدعوك
ليجزيك ليكافيك اجر ما سقيت لنا جزاء سقيك لنا ولعل موسى انما اجابها
ليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعا في الاجر بل روي انه لما جاءه
قدم اليه طعاما فامتنع عنه وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا حتى قال
شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا وهذا وان من فعل معروفا فاهدي بشيء
لم يحرم اخذه فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم
الظالمين يريد فرعون وقومه قالت احداهما يعني التي استدعته يا ابت
استأجره للرعي ان خير من استأجرت القوي الامين تعليل شائع يجري مجرى الدليل
على انه حقيق بالاستئجار وللمبالغة فيه جعل خيرا اسما وذكر الفعل بلفظ الماضي
للدلالة على انه امين مجرب معروف روي ان شعيبا قال لها وما اعلمك بقوته وامانته
فذكرت اقلال الحجر وانه صوب رأسه حتى بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه قال
اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني ان تأجر نفسك مني او تكون
لي اجيرا او تثيبني من اجرك الله ثماني حجج ظرف على الاولين ومفعول على الثالث باضمار
مضاف اي رعيه ثماني حجج فان اتممت عشرا عمل عشر حجج فمن عندك فاتمامه
تفضلا من عندك لا الزاما عليك وهذا استدعاء للعقد وكانت الاغنام للمزوجة مع انه
يمكن اختلاف الشرايع في ذلك وما اريد ان اشق عليك بالزام اتمام العشر والمناقشة
الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب عليك يشق عليك

احدى

لا نفسه فلعله جرى على سعيه ذمهر اخر وزعيم الاجل الاول ووعوله ان يوفي الاجران تيسيرا له قبل العقد

اعتقادك

اعتقادا وكيف طاقة ورايك في مزاولته ستجدني ان شاء الله من الصالحين في حسن
المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة قال ذلك بيني وبينك اي ذلك الذي عاهدتني
فيه قائم بيننا لا نخرج عنه ايما الاجلين اطولهما او اقصرهما قضيت وفيتك اياه
فلا عدوان علي لا تعتدى علي بطلب الزيادة وكما لا اطالب بالزيادة على العشرة لا
اطالب بالزيادة على الثماني او فلا اكون معتديا بترك الزيادة عليه كقولك لا اثم علي وهو
ابلغ في اثبات الخيرة وتساوي الاجلين في القضاء من ان يقال قضيت الاقصر فلا عدوان
علي وقرئ ايما كقوله: تنظرت نصرا والسماكين ايهما * علي من الغيث استهلت مواطره
واي الاجلين ما قضيت فيكون ما مزيدة لتأكيد الفعل اي اي الاجلين جردت عزمي
لقضائه وعدوان بالكسر والله على ما نقول من المشارطة وكيل شاهد حفيظ فلما
قضى موسى الاجل وسار باهله بامراته روي انه قضى اقصى الاجلين ومكث بعد ذلك عشرا
اخر ثم عزم الرجوع آنس من جانب الطور نارا ابصر من الجهة التي تلي الطور قال لاهله
امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر بخبر الطريق او جذوة عود غليظ سواء
كان في رأسه نار او لم يكن قال كثير: باتت حواطب ليلى يلتمسن لها * جزل الجذى غير خوار ولا دعر
والقى على قبس من النار جذوة * شديدا عليه حرها والتهابها ولذلك بينه بقوله
من النار وقرأ عاصم بالفتح وحمزة بالضم وكلها لغات لعلكم تصطلون تستدفئون
بها فلما اتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن اتاه النداء من شاطئ الايمن لموسى
في البقعة المباركة متصل بالشاطئ او صلة لنودي من الشجرة بدل من شاطئ بدل
الاشتمال لانها كانت نابتة على الشاطئ ان يا موسى اي يا موسى اني انا الله رب
العالمين هذا وان خالف ما في طه والنمل لفظا فهو طبقه في المقصود وان الق عصاك
فلما رآها فالقاها فصارت ثعبانا واهتزت فلما رآها تهتز كانها جان
في الهيئة والجثة او في السرعة ولى مدبرا منهزما من الخوف ولم يعقب ولم يرجع يا موسى
نودي يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين من المخاوف فانه لا يخاف لدي المرسلون
اسلك يدك في جيبك ادخلها تخرج بيضاء من غير سوء عيب واضمم اليك جناحك
يديك المبسوطتين تتقي بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى
وبالعكس او بادخالهما في الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر وهو ان يكون ذلك في وجه العدو
اظهار جرأة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب
العصا حية استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا امن واطمأن
ضمهما اليه من الرهب من اجل الرهب اي اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا
لنفسك وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر بضم الراء وسكون الهاء وقرئ بضمهما
وقرأ حفص بالفتح والسكون والكل لغات فذانك اشارة الى العصا واليد وشدده
ابن كثير وابو عمرو ورويس برهانان حجتان وبرهان فعلان لقولهم ابره الرجل

تتقي

اذا جا بالبرهان من قولهم ابره الرجل اذا ابيض ويقال برهاء وبرهرهة للمرأة البيضا وقيل
فعلان لقولهم يبرهن من ربك مرسلا الى فرعون وملايه انهم كانوا قوما فاسقين
فكانوا احقاء بان يرسل اليهم قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون بها
واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردا معينا وهو في الاصل اسم ما يعان
به كالدفء وقرا نافع ردا بالتخفيف يصدقني بتخليص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة اني
اخاف ان يكذبون ولساني لا يطاوعني عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم
لتقريره وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرا عاصم وحمزة يصدقني
بالرفع على انه صفة والجواب محذوف قال سنشد عضدك باخيك سنقويك به فان قوة الشخص
بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد ونجعل
لكما سلطانا غلبة او حجة فلا يصلون اليكما باستيلا او حجاج باياتنا متعلق
بمحذوف اي اذهبا باياتنا او بنجعل اي نسلطكما بها او بمعنى فلا يصلون اي يمتنعون
او قسم جوابه لا يصلون او بيان للغالبون في قوله انتما ومن اتبعكما الغالبون
بمعنى انه صلة لما بينه او صلة له على ان اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذي فلما جاهم
موسى باياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى سحر مختلق لم يفعل قبل او سحر
تعمله ثم تفتريه على الله او سحر موصوف بالافترا كساير انواع السحر وما سمعنا بهذا
يعنون السحر او ادعا النبوة في ابائنا الاولين كاينا في ايامهم وقال موسى ربي
اعلم بمن جا بالهدى من عنده فيعلم اني محق وانتم مبطلون وقرا ابن كثير قال بغير واو
لانه قال جوابا لمقالهم ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما
فيميز صحيحهما من الفاسد ومن تكون له عاقبة الدار العاقبة المحمودة فان المراد
بالدار الدنيا وعاقبتها الاصلية الجنة لانها خلقت مجازا الى الاخرة والمقصود منها
بالذات هو الثواب والعقاب انما قصد بالعرض وقرا حمزة والكسائي يكون بالياء انه
لا يفلح الظالمون لا يفوزون بالهدى في الدنيا وحسن العاقبة في العقبى وقال
فرعون يا ايها الملا ما علمت لكم من اله غيري نفى علمه باله غيره دون وجوده اذ لم
يكن عنده ما يقتضي الجزم بعدمه ولذلك امر ببنا الصرح ليصعد عليه فيطلع على الحال بقوله
فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى كانه توهم انه
لو كان لكان جسما في السما يمكن الترقي اليه واني لاظنه من الكاذبين او اراد ان يبني له رصدا يترصد
منها اوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولة وقيل المراد بنفي
العلم نفي المعلوم كقوله اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات والارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا
من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤه ولا
كذلك العلوم الانفعالية قيل اول من اتخذ الاجر فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه
يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظم ولذلك نادى هامان باسمه بيا في وسط الكلام واستكبر

هو وجنوده في الارض بغير الحق بغير استحقاق وظنوا انهم الينا لا يرجعون بالنشور
وقرا نافع وحمزة والكسائي بفتح اليا وكسر الجيم فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم كما
مر بيانه وفيه فخامة وتعظيم لشان الاخذ واستحقار للماخوذ كانه اخذهم مع كثرتهم
في كف فطرحهم في اليم ونظيره وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة
والسموات مطويات بيمينه فانظر يا محمد كيف كان عاقبة الظالمين وحذر قومك عن
مثلها وجعلناهم ايمة قدوة للضلال بالحمل على الاضلال وقيل بالتسمية كقوله وجعلوا
الملايكة الذين هم عباد الرحمن اناثا او بمنع الالطاف الصارفة عنه يدعون الى النار الى
موجباتها من الكفر والمعاصي ويوم القيامة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم واتبعناهم
في هذه الدنيا لعنة طردا عن الرحمة او لعن اللاعنين تلعنهم الملايكة والمومنون
ويوم القيامة هم من المقبوحين من المطرودين او ممن قبح وجوههم ولقد اتينا موسى
الكتاب التوراة من بعد ما اهلكنا القرون الاولى اقوام نوح وهود وصالح ولوط
بصاير للناس انوارا لقلوبهم يتبصر بها الحقايق وتميز بين الحق والباطل وهدى
الى الشرايع التي هي سبل الله ورحمة لانهم لو عملوا بها نالوا رحمة الله لعلهم يتذكرون
ليكونوا على حالة يرجى منهم التذكر وقد فسر بالارادة وفيه ما عرفت وما كنت بجانب
الغربي يريد الوادي او الطور فانه كان في شق الغرب من مقام موسى او الجانب الغربي منه
والخطاب لرسول الله اي ما كنت حاضرا اذ قضينا الى موسى الامر اذ اوحينا اليه الامر
الذي اردنا تعريفه وما كنت من الشاهدين لوحينا اليه او على الوحي اليه وهم السبعون
المختارون للميقات والمراد الدلالة على ان اخباره عن ذلك من قبيل الاخبار عن المغيبات
التي لا تعرف الا بالوحي ولذلك استدرك عنه بقوله ولكنا انشانا قرونا فتطاول
عليهم العمر اي ولكنا اوحيناه اليك لانا انشانا قرونا مختلفة بعد موسى فتطاولت
عليهم المدد فحرفت الاخبار وتغيرت الشرايع واندرست العلوم فحذف المستدرك
واقام سببه مقامه وما كنت ثاويا مقيما في اهل مدين شعيب والمومنين به تتلو
عليهم تقراه عليهم تعلما منهم اياتنا التي فيها قصتهم ولكنا كنا مرسلين اياك ومخبرين
لك بها وما كنت بجانب الطور اذ نادينا لعل المراد به وقت ما اعطاه التوراة
وبالاول حين ما استنباه لانهما المذكوران في القصة ولكن رحمة من ربك ولكن علمناك
وقرئت بالرفع على هي رحمة لتنذر قوما متعلق بالفعل المحذوف ما اتاهم من نذير
من قبلك لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي خمسماية وخمسون سنة او بينك وبين
اسمعيل على ان دعوة موسى وعيسى مختصة ببني اسرائيل وما حواليهم لعلهم يتذكرون
يتعظون ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت
الينا رسولا لولا الاولى امتناعية والثانية تحضيضية واقعة في سياقها لانها
مما اجيبت بها بالفاء تشبيها لها بالامر مفعول فيقولوا المعطوف على تصيبهم بالفاء المعطية

فوجب ارسالك اليهم فارسلناك مبينا ما لا يتحصل الا بالانبيا

يعني السيئة المبهمة على أن القول هو المقصود لأن يكون سببا لا لأنها ما يجاب به وأنه لا يصدر
عنهم حتى تلجئهم العقوبة والجواب محذوف لولا قولهم إذا أصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم
ربنا هلا أرسلت إلينا رسولا يبلغنا آياتك فنتبعها ونكون من المصدقين ما أرسلناك
أي إنما أرسلناك قطعا لعذرهم وإلزاما للحجة عليهم فنتبع آياتك يعني الرسول المصدق
بنوع من المعجزات ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل
ما أوتي موسى من الكتاب جملة واليد البيضاء والعصا وغيرهما اقتراحا وتعنتا أولم
يكفروا بما أوتي موسى من قبل يعني أبناء جنسهم في الرأي والمذهب وهم كفرة زمان موسى
وكان فرعون عربيا من أولاد عاد بإظهار تلك الخوارق أو بتوافق الكتابين قالوا ساحران
يعنون موسى وهرون أو موسى ومحمدا عليهم الصلاة والسلام تظاهرا تعاونا بإظهار تلك
الخوارق أو بتوافق الكتابين وقرأ الكوفيون سحران بتقدير مضاف أو جعلهما سحرين
مبالغة أو إسناد تظاهرهما إلى فعلهما دلالة على سبب الإعجاز وقرئ اظاهرا على الإدغام
وقالوا إنا بكل كافرون أي بكل منهما أو بكل الأنبياء قل فأتوا بكتاب من عند الله هو
أهدى منهما مما أنزل على موسى وعيسى وإظهارهما لدلالة المعنى وهو يؤيد أن المراد بالساحرين
موسى ومحمد أتبعه إن كنتم صادقين إنا ساحران مختلقان وهذا من الشروط التي يراد
بها الإلزام والتبكيت ولعل مجيء حرف الشك للتهكم به فإن لم يستجيبوا لك دعاءك إلى
الإتيان بالكتاب الأهدى فحذف المفعول للعلم به ولأن فعل الاستجابة يعدى
بنفسه إلى الدعاء وباللام إلى الداعي فإذا عدي إليه حذف الدعاء غالبا كقوله وداع دعا يا
من يجيب إلى الندا فلم يستجبه عند ذاك مجيب فاعلم أنما يتبعون أهواءهم إذ لو اتبعوا
حجة لأتوا بها ومن أضل ممن اتبع هواه استفهام بمعنى النفي بغير هدى من الله في
موضع الحال للتوكيد والتقييد فإن هوى النفس قد يوافق الحق إن الله لا يهدي القوم
الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بالانهماك في اتباع الشهوات ولقد وصلنا لهم القول
أتبعنا بعضه بعضا في الإنزال ليتصل التذكير أو في النظم لتتقرر الدعوة بالحجة والمواعظ
بالمواعيد والنصائح بالعبر لعلهم يتذكرون فيؤمنون ويطيعون الذين آتيناهم الكتاب
من قبله هم به يؤمنون نزلت في مؤمني أهل الكتاب أو في أربعين من أهل الإنجيل اثنان
وثلاثون جاؤوا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام والضمير من قبله للقرآن كالمستكن
وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به أي بأنه كلام الله إنه الحق من ربنا استئناف لبيان ما
أوجب إيمانهم به إنا كنا من قبله مسلمين استئناف آخر للدلالة على أن إيمانهم به ليس
مما أحدثوه حينئذ وإنما هو أمر تقادم عهده لما رأوا ذكره في الكتب المتقدمة وكونهم على
دين الإسلام قبل نزول القرآن أو تلاوته عليهم باعتقادهم صحته في الجملة أولئك
يؤتون أجرهم مرتين مرة على إيمانهم بكتابهم ومرة على إيمانهم بالقرآن بما صبروا
بصبرهم وثباتهم على الإيمانين بالقرآن قبل النزول وبعده أو على أذى من هاجرهم من

أهل

أهل دينهم ويدرؤون بالحسنة السيئة ويدفعون بالطاعة المعصية لقوله عليه السلام
أتبع الحسنة السيئة تمحها ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير وإذا سمعوا اللغو
أعرضوا عنه تكرما وقالوا للاغين لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم
متاركة لهم وتوديعا ودعاء لهم بالسلامة عما هم فيه لا نبتغي الجاهلين لا نطلب
صحبتهم ولا نريدها إنك لا تهدي من أحببت لا تقدر أن تدخله في الإسلام ولكن
الله يهدي من يشاء فيدخله في الإسلام وهو أعلم بالمهتدين بالمستعدين لذلك
والجمهور أنها نزلت في أبي طالب فإنه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا عم
قل لا إله إلا الله كلمة أحاج بها لك عند الله قال يا ابن أخي قد علمت أنك صادق
ولكني أكره أن يقال جزع عند الموت وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا
نخرج منها نزلت في الحرث بن عثمن بن نوفل بن عبد مناف أتى النبي عليه السلام فقال
نحن نعلم أنك على الحق لكنا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب وإنما نحن أكلة رأس أن
يتخطفونا من أرضنا فرد الله عليهم بقوله أولم نمكن لهم حرما آمنا أولم نجعل مكانهم
ذا أمن بحرمة البيت الذي فيه تتناحر العرب حوله وهم آمنون فيه يجبى إليه تحمل إليه
ويجمع فيه وقرأ نافع ويعقوب في رواية بالتاء ثمرات كل شيء من كل أوب رزقا من
لدنا فإذا كان هذا حالهم وهم عبدة الأصنام فكيف يعرضهم للخوف والتخطف إذا ضموا إلى
حرمة البيت حرمة التوحيد ولكن أكثرهم لا يعلمون جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون
ليعلموا وقيل إنه متعلق بقوله من لدنا أي قليل منهم يتدبرون فيعلمون أن ذلك رزق
من عند الله إذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على المصدر من معنى يجبى أو الحال من
الثمرات لتخصصها بالإضافة ثم بين أن الأمر بالعكس وأنهم أحقاء بأن يخافوا من بأس الله على
ما هم عليه بقوله وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها أي وكم من أهل قرية كانت حالهم
كحالكم في الأمن وخفض العيش حتى أشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم فتلك مساكنهم
خاوية لم تسكن من بعدهم من السكنى إذ لا يسكنها إلا المارة يوما أو بعض يوم أو لا يبقى
من يسكنها إلا قليلا من شؤم معاصيهم وكنا نحن الوارثين منهم إذ لم يخلفهم أحد
يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر متصرفاتهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض أو
بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظني مقيم أو بإضمار زمان مضاف إليه أو مفعولا على
تضمين بطرت معنى كفرت وما كان ربك وما كانت عادته مهلك القرى حتى يبعث في
أمها في أصلها التي هي أعمالها لأن أهلها تكون أفطن وأنبل رسولا يتلو عليهم آياتنا لإلزام
وأنبل
الحجة وقطع المعذرة وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون بتكذيب الرسل والعتو
في الكفر وما أوتيتم من شيء من أسباب الدنيا فمتاع الحياة الدنيا وزينتها تتمتعون
وتتزينون به مدة حياتكم المنقضية وما عند الله وهو ثوابه خير خير في نفسه من ذلك
لأنه لذة خالصة وبهجة كاملة وأبقى لأنه أبدي أفلا تعقلون فتستبدلون الذي هو أدنى

بالذي هو خير وقرأ ابو عمرو بالياء وهو ابلغ في الموعظة أفمن وعدناه وعدا حسنا وعدا بالجنة فانه
حسن الوعد بحسن الموعود فهو لاقيه مدركه لا محالة لامتناع الخلف في وعده ولذلك عطف
بالفاء المعطية معنى السببية كمن متعناه متاع الحياة الدنيا الذي هو مشوب بالآلام مكدر
بالمتاعب مستعقب بالتحسر على الانقطاع ثم هو يوم القيامة من المحضرين للحساب او العذاب
وثم للتراخي في الزمان او الرتبة وقرأ نافع في رواية والكسائي ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل
بالمتصل وهذه الآية كالنتيجة للتي قبلها ولذلك رتب عليها بالفاء ويوم يناديهم عطف على يوم القيامة او منصوب
باذكر فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون الذين كنتم تزعمونهم شركائي فحذف المفعولان
لدلالة الكلام عليهما قال الذين حق عليهم القول بثبوت مقتضاه وحصول مؤداه وهو قوله لاملأن
جهنم من الجنة والناس اجمعين ربنا هؤلاء الذين اغوينا اي هؤلاء الذين اغويناهم فحذف الراجع الى
الموصول اغويناهم كما غوينا اي اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا وهو استئناف للدلالة
على انهم غووا باختيارهم فانهم لم يفعلوا بهم الا وسوسة وتسويلا ويجوز ان يكون الذين
صفة واغويناهم الخبر لاجل ما اتصل به فافاده زيادة على الصفة وهو وان كان فضلة
لكنه صار من اللوازم تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر هوى منهم وهو تقرير
للجملة المتقدمة ولذلك خلت عن العاطف وكذا ما كانوا ايانا يعبدون اي ما كانوا يعبدوننا
وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بتبرأنا اي تبرأنا من عبادتهم ايانا
وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم من فرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم لعجزهم عن الاجابة والنصرة
ورأوا العذاب لازما بهم لو انهم كانوا يهتدون بوجه من الحيل يدفعون به العذاب او
الى الحق لما رأوا العذاب وقيل لو للتمني اي تمنوا انهم كانوا مهتدين ويوم يناديهم فيقول
ماذا اجبتم المرسلين عطف على الاول فانه تعالى يسأل عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم الرسل
فعميت عليهم الانباء يومئذ فصارت الانباء كالعمي عليهم لا تهتدي اليهم واصله فعموا عن
الانباء لكنه عكس مبالغة ودلالة على ان ما يحضر الذهن انما يفيض ويرد عليه من خارج فاذا اخطأه
لم يكن له حيلة الى استحضاره والمراد بالانباء ما اجابوا به الرسل او ما يعمها واذا كانت الرسل
يتعتعون في الجواب عن مثل ذلك من الهول ويفوضون الى علم الله فما ظنك بالضلال من اممهم
وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب
لفرط الدهشة او العلم بانه مثله فاما من تاب من الشرك وآمن وعمل صالحا وجمع بين الايمان
والعمل فعسى ان يكون من المفلحين عند الله وعسى تحقيق على عادة الكرام او ترج من التائب
بمعنى فليتوقع ان يفلح وربك يخلق ما يشاء ويختار لا موجب عليه ولا مانع له ما كان لهم الخيرة
اي التخير كالطيرة بمعنى التطير وظاهره نفي الاختيار عنهم راسا والامر كذلك عند التحقيق
فان اختيار العباد مخلوق باختيار الله تعالى منوط بدواع لا اختيار لهم فيها وقيل المراد انه
ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روي انه نزل في قولهم
لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقيل ما موصولة مفعول ليختار والراجع اليه

محذوف

محذوف والمعنى الذي كان لهم فيه الخيرة اي الخير والصلاح سبحان الله تنزيها له ان ينازعه
احد او يزاحم اختياره اختيار وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او مشاركة ما يشركونه به وربك
يعلم ما تكن صدورهم كعداوة الرسول وحقده وما يعلنون كالطعن فيه وهو الله المستحق
للعبادة لا اله الا هو لا احد يستحقها الا هو له الحمد في الاولى والآخرة لانه المولي للنعم
كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا بقوله الحمد لله الذي اذهب عنا
الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده وله الحكم القضاء النافذ
في كل شيء واليه ترجعون بالنشور قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا دائما من السرد
وهو المتابعة والميم مزيدة كميم دلامص الى يوم القيامة باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها
حول الافق الغائر من اله غير الله يأتيكم بضياء كان حقه هل اله فذكر بمن على زعمهم
ان غيره آلهة وقرأ ابن كثير بضئاء بهمزتين أفلا تسمعون سماع تدبر واستبصار قل ارأيتم
ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة باسكانها في وسط السماء او تحريكها
على مدار الافق من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه استراحة عن متاعب الاشغال
ولعله لم يصف الضياء بما يقابله لان الضوء نعمة في ذاته مقصود بنفسه ولا كذلك
الليل ولان منافع الضوء اكثر مما يقابله ولذلك قرن به افلا تسمعون وبالليل افلا تبصرون
لان استفادة العقل من السمع اكثر من استفادته من البصر ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار
لتسكنوا فيه في الليل ولتبتغوا من فضله في النهار بانواع المكاسب ولعلكم تشكرون ولكي
تعرفوا نعمة الله في ذلك فتشكروه عليها ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون
تقريع بعد تقريع للاشعار بانه لا شيء اجلب لغضب الله من الاشراك به او الاول لتقرير
فساد رأيهم والثاني لبيان انه لم يكن عن سند وانما كان محض تشه وهوى ونزعنا واخرجنا
من كل امة شهيدا وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه فقلنا للامم هاتوا برهانكم على
صحة ما كنتم تدعون فعلموا حينئذ ان الحق لله في الالهية لا يشاركه فيها احد وضل عنهم
وغاب عنهم غيبة الضائع ما كانوا يفترون من الباطل ان قارون كان من قوم موسى كان
ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوي وكان ممن آمن به فبغى عليهم فطلب الفضل عليهم وان يكونوا
تحت امره او تكبر عليهم او ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بني اسرائيل او حسدهم لما روي
انه قال لموسى لك الرسالة ولهارون الحبورة وانا في غير شيء الى متى اصبر وآتيناه من الكنوز من
الاموال المدخرة ما ان مفاتحه مفاتح صناديقه جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل
خزائنه وقياس واحدها المفتح لتنوء بالعصبة اولي القوة خبر ان والجملة صلة وهي ثاني
مفعولي آتى وناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة
واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ لينوء بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه اذ قال له قومه
منصوب بتنوء لا تفرح لا تبطر والفرح بالدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضا
بها والذهول عن ذهابها فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح كما قال

أشد الغم في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا ولذلك قال الله تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وعلل
النهي هاهنا بكونه مانعا من محبة الله تعالى فقال إن الله لا يحب الفرحين اي بزخارف الدنيا
وابتغ فيما آتاك الله من الغنى الدار الآخرة بصرفه فيما يوجبها لك فان المقصود منه ان يكون
وصلة اليها ولا تنس ولا تترك ترك المنسي نصيبك من الدنيا وهو ان تحصل بها آخرتك
او تاخذ منها ما يكفيك وأحسن الى عباد الله كما أحسن الله اليك فيما انعم عليك وقيل احسن
بالشكر والطاعة كما احسن اليك بالانعام ولا تبغ الفساد في الارض بامر يكون علة للظلم
والبغي إن الله لا يحب المفسدين لسوء افعالهم قال إنما أوتيته على علم عندي فضلت به
على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالجاه والمال وعلى علم في موضع الحال وهو علم
التوراة كان اعلمهم بها وقيل علم الكيميا وقيل علم التجارة والدهقنة وساير المكاسب
وقيل علم بكنوز يوسف عليه السلام وعندي صفة له او متعلق باوتيته كقولك
جاز هذا عندي اي في ظني واعتقادي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من
هو أشد منه قوة وأكثر جمعا تعجب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك
لانه قراه في التوراة وسمعه من حفاظ التواريخ او رد لادعايه العلم وتعظمه به بنفي هذا العلم
منه اي اعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين
ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سوال الاستعلام فانه تعالى مطلع عليها او معاتبة فانهم
يعذبون بغتة كانه لما هدد قارون بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا اقوى منه واغنى
اكد ذلك بان بين انه لم يكن مما يخصهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم معاقبهم
عليها لا محالة فخرج على قومه في زينته كما قيل انه خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان
وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة الاف على زيه قال الذين يريدون الحياة الدنيا على ما هو
عادة الناس من الرغبة يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون تمنوا مثله لا عينه حذرا عن
الحسد إنه لذو حظ عظيم من الدنيا وقال الذين أوتوا العلم باحوال الآخرة للمتمنين
ويلكم دعا بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرتضى ثواب الله في الآخرة خير لمن آمن وعمل
صالحا مما اوتي قارون بل من الدنيا وما فيها ولا يلقاها الضمير فيه للكلمة التي تكلم بها
العلما او الثواب فانه بمعنى المثوبة او للجنة او للايمان والعمل الصالح فانهما في معنى السيرة
والطريقة إلا الصابرون على الطاعات وعن المعاصي فخسفنا به وبداره الأرض روي
انه كان يؤذي موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكاة فصالحه عن
كل الف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى بين يدي بني اسرايل ليرفضوه فبرطل
بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى
غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قال ان
بني اسرايل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالله ان تصدق فقالت
فقالت جعل لي قارون جعلا على ان ارميك بنفسي فخر موسى شاكيا منه الى ربه فاوحى الله اليه

اعلم

ان يفضح

ان مر الارض بما شئت فقال يا ارض خذيه فاخذته الى ركبتيه ثم قال خذيه فاخذته الى
وسطه ثم قال خذيه فاخذته الى عنقه ثم قال خذيه فخسفت به فكان قارون يتضرع
اليه في هذه الاحوال فلم يرحمه فاوحى الله اليه ما افظك استرحمك مرارا فلم ترحمه وعزتي
لو دعاني مرة لاجبته ثم قال بنو اسرايل انما فعله ليرثه فدعا الله حتى خسف بداره وامواله
فما كان له من فئة اعوان مشتقة من فاوت راسه اذا ميلته ينصرونه من دون الله
فيدفعون عنه عذابه وما كان من المنتصرين الممتنعين من قولهم نصره من عدوه فانتصر
اذا منعه فامتنع وأصبح الذين تمنوا مكانه منزلته بالأمس منذ زمان قريب يقولون
ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر يبسط ويقتر بمقتضى مشيته لا لكرامة
يقتضي البسط ولا لهوان يوجب القبض وويكأن عند البصريين مركب من وي للتعجب وكأن
للتشبيه والمعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط وقيل من ويلك وان وتقديره ويلك اعلم ان الله لولا
أن من الله علينا فلم يعطنا ما تمنينا لخسف بنا لتوليده فينا ما ولده فيه فخسف به لاجله
وقرا حفص بفتح الخا والسين ويكأنه لا يفلح الكافرون لنعمة الله والمكذبون برسله وبما وعدوا
لهم من ثواب الآخرة تلك الدار الآخرة اشارة الى تعظيم كانه قال تلك التي سمعت خبرها وبلغك
صفتها والدار صفة والخبر نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض غلبة وقهرا ولا فسادا
ظلما على الناس كما اراد فرعون وقارون والعاقبة المحمودة للمتقين ما لا يرضاه الله من
جاء بالحسنة فله خير منها ذاتا وقدرا ووصفا ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا
السيئات وضع الظاهر فيه موضع المضمر تهجينا لحالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم إلا ما كانوا
يعملون اي الا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل واقام مقامه ما كانوا يعملون مبالغة
في المماثلة إن الذي فرض عليك القرآن اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه
لرادك إلى معاد اي معاد وهو المقام المحمود الذي وعدك ان يبعثك فيه او مكة التي اعتدت
بها على انه من المعادة ورده اليها يوم الفتح كانه لما حكم بان العاقبة للمتقين واكد ذلك
بوعد المحسنين ووعيد المسيئين وعده بالعاقبة الحسنى في الدارين روي لما بلغ جحفة
اشتاق الى مولده ومولد ابايه فنزلت قل ربي أعلم من جاء بالهدى وما يستحقه من الثواب
والنصر ومن منتصب بفعل يفسره اعلم ومن هو في ضلال مبين ما يستحقه من العذاب والاذلال
يعني به نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب
اي سيردك الى معادك كما القى اليك الكتاب وما كنت ترجوه إلا رحمة من ربك ولكن القاه رحمة
منه ويجوز ان يكون استثنا محمولا على المعنى كانه قال وما القى اليك الكتاب الا رحمة فلا تكونن ظهيرا
للكافرين بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم ولا يصدنك عن آيات الله عن قرا
والعمل بها بعد إذ أنزلت إليك وقرئ يصدنك من اصده وادع إلى ربك الى عبادته
وتوحيده ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم ولا تدع مع الله إلها هذا وما قبله للتهييج وقطع
اطماع المشركين عن مساعدته لهم لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه الا ذاته فان ما عداه

اعتدت

ب

قرا

ممكن هالك في حد ذاته معدوم له الحكم القضاء النافذ في الخلق واليه ترجعون للجزاء بالحق
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق موسى وكذب
ولم يبق في السموات والارض الا شهد له يوم القيامة انه كان صادقا والله تعالى اعلم

سورة العنكبوت تسع وستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الم سبق القول فيه ووقوع الاستفهام
بعده دليل استقلاله بنفسه او بما يضمر عليه احسب الناس الحسبان مما يتعلق بمضامين
الجمل للدلالة على جهة ثبوتها ولذلك اقتضى مفعولين متلازمين او ما يسد مسدهما كقوله
ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون فان معناه احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم
امنا فالترك اول مفعوليه وغير مفتونين من تمامه ولقولهم امنا هو الثاني كقولك حسبت
ضربه للتأديب او انفسهم متروكين غير مفتونين لقولهم امنا بل يمتحنهم الله بمشاق التكاليف
كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظايف الطاعات وانواع المصايب في الانفس والاموال
ليتميز المخلص من المنافق والثابت في الدين من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر عليها عوالي الدرجات
فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في العذاب روي انها نزلت
في ناس من الصحابة جزعوا من اذى المشركين وقيل في عمار عذب في الله وقيل في مهجع مولى عمر بن
الخطاب رماه عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله فجزع ابوه وامراته ولقد فتنا
الذين من قبلهم متصل باحسب او بلا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة جارية في
الامم كلها فلا ينبغي ان يتوقع خلافه فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين
فليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا ليتميز الذين صدقوا في الايمان والذين كذبوا فيه
وينوط بهما ثوابهم وعقابهم ولذلك قيل المعنى وليميزن وليجازين وقرئ وليعلمن من
الاعلام اي وليعرفنهم الناس او وليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيامة كبياض
الوجوه وسوادها ام حسب الذين يعملون السيئات الكفر والمعاصي فان العمل يعم افعال
القلوب والجوارح ان يسبقونا ان يفوتونا فلا نقدر ان نجازيهم على مساويهم وهو ساد مسد
مفعولي حسب وام منقطعة والاضراب فيها لان هذا الحسبان ابطل من الاول ولهذا عقبه
بقوله ساء ما يحكمون اي بئس الذي يحكمونه او حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف
المخصوص بالذم من كان يرجو لقاء الله في الجنة وقيل المراد بلقاء الله الوصول
الى ثوابه او الى العاقبة من الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل حاله بحال عبد
قدم على سيده بعد زمان مديد وقد اطلع السيد على احواله فاما ان يلقاه ببشر لما رضي
من افعاله او بسخط لما سخط منها فان اجل الله فان الوقت المضروب للقائه لات
لجاء واذا كان وقت اللقاء اتيا كان اللقاء كائنا لا محالة فليبادر ما يحقق امله ويصدق
رجاءه او ما يستوجب القربة والرضا وهو السميع لاقوال العباد العليم بعقائدهم واعمالهم

ومن

ومن جاهد نفسه بالصبر على مضض الطاعة والكف عن الشهوات فانما يجاهد لنفسه
لان منفعته لها ان الله لغني عن العالمين فلا حاجة الى طاعتهم وانما كلف عباده رحمة
عليهم ومراعاة لصلاحهم والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم
الكفر بالايمان والمعاصي بما يتبعها من الطاعات ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون
اي احسن جزاء اعمالهم ووصينا الانسان بوالديه حسنا بايتائه فعلا ذا حسن
او كانه في ذاته حسن لفرط حسنه ووصى يجري مجرى امر معنى وتصرفا وقيل هو بمعنى
قال اي وقلنا له احسن بوالديه حسنا وقيل حسنا منتصب بفعل مضمر على تقدير
للتوصية اي وقلنا اولهما او افعل بهما حسنا وهو اوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف
على بوالديه وقرئ حسنا واحسانا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم
بالالهية عبر عن نفيها بنفي العلم بها اشعارا بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه
وان لم يعلم بطلانه فضلا عما علم بطلانه فلا تطعهما في ذلك فانه لا طاعة لمخلوق في
معصية الخالق ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر قبل الي مرجعكم مرجع من امن منكم
ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق فانبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه والاية
نزلت في سعد بن وقاص وامه حمنة فانها لما سمعت باسلامه حلفت انها لا ينتقل من
الضح ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد ولبثت ثلثة ايام وكذا التي في لقمان والاحقاف
والذين امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين في جملتهم والكمال في الصلاح
منتهى درجات المؤمنين ومتمنى انبياء الله والمرسلين او في مدخلهم وهي الجنة ومن الناس
من يقول امنا بالله فاذا اوذي في الله بان عذبهم الكفرة على الايمان جعل فتنة الناس
ما يصيبهم من اذيتهم في الصرف عن الايمان كعذاب الله في الصرف عن الكفر ولئن جاء نصر
من ربك فتح وغنيمة ليقولن انا كنا معكم في الدين فاشركونا فيه والمراد المنافقون او قوم
ضعف ايمانهم فارتدوا من اذى المشركين ويؤيد الاول اوليس الله باعلم بما في صدور
العالمين من الاخلاص والنفاق وليعلمن الله الذين امنوا بقلوبهم وليعلمن المنافقين
فيجازي الفريقين وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا الذي نسلكه في ديننا
ولنحمل خطاياكم ان كان ذلك خطيئة او ان كان بعث ومؤاخذة وانما امروا انفسهم بالحمل
عاطفين على امرهم بالاتباع مبالغة في تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار
عنهم ان كان تشجيعا لهم عليه وبهذا الاعتبار رد عليهم وكذبهم بقوله وما هم بحاملين
من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون من الاولى للتبيين والثانية مزيدة والتقدير وما هم
بحاملين شيئا من خطاياهم وليحملن اثقالهم اثقال ما اقترفته انفسهم واثقالا مع
اثقالهم واثقالا اخر معها لما تسببوا له بالاضلال والحمل على المعاصي من غير ان ينقص من
اثقال من تبعهم شيء وليسألن يوم القيامة سؤال تقريع وتبكيت عما كانوا يفترون من
الاباطيل التي اضلوا بها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما

ح

فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما في ذكر الالف من تخييل طول المدة الى السامع

بعد المبعث اذ روي انه بعث على راس اربعين ودعا قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين
ولعل اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال العدد فان المقصود من القصة تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وتثبيت على ما يكابده من الكفرة واختلاف المميزين لما في التكرير من البشاعة فاخذهم الطوفان
طوفان الماء وهو لما طاف بكثرة من سيل او ظلام او نحوهما وهم ظالمون بالكفر فانجيناه اي نوحا
واصحاب السفينة ومن ركب معه من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل
عشرة نصفهم ذكور ونصفهم اناث وجعلناها اي السفينة او الحادثة آية للعالمين يتعظون
ويستدلون بها وابراهيم عطف على نوحا او نصب باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين
ابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله ظرف لارسلنا اي ارسلناه حين كمل عقله وتم نظره بحيث عرف
الحق وامر الناس به او بدل منه بدل الاشتمال ان قدر باذكر ذلكم خير لكم مما انتم عليه ان
كنتم تعلمون الخير والشر وتميزون ما هو خير مما هو شر او كنتم تنظرون في الامور بنظر العلم
دون نظر الجهل انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا وتكذبون كذبا في تسميتها
الهة وادعاء شفاعتها عند الله او تعملونها وتنحتونها للافك وهو استدلال على شرارة
ما هم عليه من حيث انه زور وباطل وقرئ وتخلقون من خلق للتكثير وتخلقون من تخلق
للتكلف وافكا على انه مصدر كالكذب او نعت بمعنى خلقا ذا افك ان الذين تعبدون من دون
الله لا يملكون لكم رزقا دليل ثان على شرارة ذلك من حيث انه لا يجدي بطائل ورزقا يحتمل
المصدر بمعنى لا يستطيعون ان يرزقوكم وان يراد المرزوق وتنكيره للتعميم فابتغوا عند الله
الرزق كله فانه المالك له واعبدوه واشكروا له متوسلين الى مطالبكم بعبادته
مقيدين لما حفكم من النعم بشكره او مستعدين للقائه بهما فانه اليه ترجعون
وقرئ بفتح اليا وان تكذبوا وان تكذبوني فقد كذب امم من قبلكم من قبلي من الرسل
فلم يضرهم تكذيبهم وانما ضروا انفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا
تكذيبهم وما على الرسول الا البلاغ المبين الذي زال معه الشك وما عليه ان يصدق
ولا يكذب والآية وما بعدها من جملة قصة ابراهيم الى قوله فما كان جواب قومه ويحتمل
ان يكون اعتراضا بذكر شان النبي عليه الصلاة والسلام وقريش وهدم مذهبهم والوعيد
على سوء صنيعهم توسط بين طرفي قصته من حيث ان مساقها لتسلية رسول الله والتنفيس
عنه بان اباه خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله
فيهم بحال ابراهيم في قومه اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق من مادة ومن غيرها وقرا
حمزة والكسائي وابو بكر بالتاء على تقدير القول وقرئ يبدأ ثم يعيده اخبار بالاعادة
بعد الموت معطوف على اولم يروا لا على يبدئ فان الرؤية غير واقعة عليه ويجوز ان
يأول الاعادة بان ينشئ في كل سنة مثل ما كان في السنة السابقة من النبات والثمار
ونحوها ان ذلك الاشارة الى الاعادة او الى ما ذكر من الامرين على الله يسير اذ لا يفتقر في فعله
الى شيء قل سيروا في الارض حكاية كلام الله لابراهيم او محمد عليهما الصلاة والسلام فانظروا

كيف

كيف بدأ الخلق على اختلاف الاجناس والاحوال ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد النشأة الاولى
التي هي الابداء فانه والاعادة نشأتان من حيث ان كلا اختراع واخراج من العدم والافصا
باسم الله مع ايقاعه مبتدأ بعد اضماره في بدأ والقياس الاقتصار عليه للدلالة على ان المقصود بيان
الاعادة وان من عرف القدرة على الاعادة لانها اهون والكلام في العطف ما مر وقرئ
النشاءة كالرافة ان الله على كل شيء قدير لان قدرته لذاته ونسبة ذاته الى كل الممكنات
على سواء فيقدر على النشأة الاخرى كما قدر على النشأة الاولى يعذب من يشاء تعذيبه
ويرحم من يشاء رحمته واليه تقلبون تردون وما انتم بمعجزين ربكم عن ادراككم في
الارض ولا في السماء ان فررتم من قضائه بالتواري في الارض او الهبوط في مهاويها والتحصن
في السماء او القلاع الذاهبة فيها وقيل ولا من في السماء كقول حسان فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه
وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يحرسكم عن بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء ويدفعه
عنكم والذين كفروا بآيات الله بدلائل وحدانيته او بكتبه ولقائه بالبعث اولئك يئسوا
من رحمتي اي ييأسون منها يوم القيامة فعبر عنه بالماضي للتحقيق والمبالغة او ايسوا في
الدنيا لانكار البعث والجزاء واولئك لهم عذاب اليم بكفرهم فما كان جواب قومه قوم ابراهيم
له وقرئ بالرفع على انه الاسم والخبر الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه وكان ذلك قول بعضهم
لبعض لكن لما قيل فيهم ورضي به الباقون اسند الى كلهم فانجاه الله من النار اي فقذفوه
فانجاه الله منها بان جعلها عليه بردا وسلاما ان في ذلك في انجائه منها لآيات هي حفظه من
اذى النار واخمادها مع عظمها في زمان يسير وانشاء روض مكانها لقوم يؤمنون
لانهم المنتفعون بالفحص عنها والتأمل فيها وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة
بينكم في الحياة الدنيا اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها ثاني
مفعولي اتخذتم محذوف ويجوز ان يكون مودة المفعول الثاني بتقدير مضاف او بتأويلها
بالمودودة اي اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر منونة
ناصبة بينكم والوجه ما سبق وابن كثير وابو عمرو والكسائي ورويس مرفوعة مضافة على انها
خبر مبتدأ محذوف اي هي مودودة او سبب مودة بينكم والجملة صفة اوثانا او خبر ان على ان
ما مصدرية او موصولة والعائد محذوف وهو المفعول الاول وقرئت مرفوعة منونة ومضا
بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم وقرئ انما مودة بينكم ثم يوم القيامة يكفر بعضكم
ببعض ويلعن بعضكم بعضا اي يقوم التناكر والتلاعن بينكم او بينكم وبين الاوثان
على تغليب العقلاء لقوله ويكونون عليهم ضدا وماواكم النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم
منها فآمن له لوط هو ابن اخته واول من آمن به وقيل انه آمن به حين راى النار لم تحرقه
وقال اني مهاجر من قومي الى ربي الى حيث امرني ربي انه هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي
الحكيم الذي لا يأمرني الا بما فيه صلاحي روي انه هاجر من كوثى من سواد الكوفة مع لوط
وامرأته سارة بنت عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم

ووهبنا

ح

وبنصب سواء

اي تقذفونه

فة

له اسحاق ويعقوب ولدا ونافلة حين ايس عن الولادة من عجوز وعاقر ولذلك لم يذكر
اسماعيل عليه السلام وجعلنا في ذريته النبوة فكثر منهم الانبياء والكتاب يريد به الجنس
ليتناول الكتب الاربعة وآتيناه اجره على هجرته الينا في الدنيا باعطاء الولد في غير
اوانه والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء عليه آخر الدهر
وانه في الآخرة لمن الصالحين لفي عداد الكاملين في الصلاح ولوطا عطف على ابراهيم
او على ما عطف عليه اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة الفعلة البالغة في القبح
وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص بهمزة مكسورة على الخبر والباقون على الاستفهام واجمعوا
على الاستفهام في الثاني ما سبقكم بها من احد من العالمين استيناف مقرر لفاحشتها
من حيث انها مما اشمازت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى اقدموا عليها لخبث
طينتهم ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتتعرضون للسابلة بالقتل واخذ
المال او بالفاحشة حتى انقطعت الطرق او تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن
الحرث واتيان ما ليس بحرث وتأتون في ناديكم في مجالسكم الغاصة ولا يقال النادي
الا لما فيه اهله المنكر كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها من القبائح عدم مبالاة
بها وقيل الخذف ورمي البنادق فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله
ان كنت من الصادقين في استقباح ذلك او في دعوى النبوة المفهومة من التوبيخ
قال رب انصرني بانزال العذاب على القوم المفسدين بابتداع الفاحشة وسنها
فيمن بعدهم ووصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب واشعارا بانهم احقاء بان يعجل لهم
العذاب ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى بالبشارة بالولد والنافلة قالوا انا
مهلكو اهل هذه القرية قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى الاستقبال ان
اهلها كانوا ظالمين تعليل لاهلاكهم باصرارهم وتماديهم في ظلمهم الذي هو الكفر
وانواع المعاصي قال ان فيها لوطا اعتراض عليهم بان فيها من لم يظلم او معارضة
للموجب بالمانع وهو كون النبي بين اظهرهم قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه
واهله تسليم لقوله مع ادعاء مزيد العلم به وانهم ما كانوا غافلين عنه وجواب
وجواب عنه بتخصيص الاهل بمن عداه واهله او تأقيت الاهلاك باخراجهم وفيه
تأخير البيان عن الخطاب الا امرأته كانت من الغابرين الباقين في العذاب
او في القرية ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم جاءته المساءة والغم بسببهم مخافة
ان يقصدهم قومه بسوء وان صلة لتأكيد الفعلين واتصالهما وضاق بهم ذرعا
وضاق بشأنهم وتدبير امرهم ذرعه اي طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه
رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا له وذلك ان طويل الذراع ينال ما لا يناله
قصير الذراع وقالوا لما رأوا فيه اثر الضجرة لا تخف ولا تحزن على تمكنهم منا
انا منجوك واهلك الا امرأتك كانت من الغابرين وقرأ حمزة والكسائي لننجينه ومنجوك

بالتخفيف

بالتخفيف ووافقهم ابو بكر وابن كثير في الثاني وموضع الكاف جر على المختار ونصب
اهلك باضمار فعل او بالعطف على محلها باعتبار الاصل انا منزلون على اهل هذه القرية
رجزا من السماء عذابا منها سمي بذلك لانه يقلق المعذب من قولهم ارتجز اذا ارتجس
اي اضطرب وقرأ ابن عامر منزلون بالتشديد بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم ولقد
تركنا منها آية بينة هي حكايتها او آثار الديار الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت
باقية بعده وقيل بقية انهارها المسودة والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا
اليوم الآخر وافعلوا ما ترجون به ثوابه فاقيم المسبب مقام السبب وقيل انه من الرجاء بمعنى
الخوف ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة الزلزلة الشديدة وقيل
صيحة جبريل لان القلوب ترجف بها فاصبحوا في دارهم في بلدهم او دورهم ولم يجمع لامن
اللبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمودا منصوبان باضمار اذكر او فعل دل عليه
ما قبله مثل اهلكنا وقرأ حمزة ويعقوب وحفص وثمود غير مصروف على تأويل القبيلة
وقد تبين لكم من مساكنهم اي تبين لكم بعض مساكنهم او اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم
اليها عند مروركم بها وزين لهم الشيطان اعمالهم من الكفر والمعاصي فصدهم عن السبيل
السوي وكانوا مستبصرين متمكنين من النظر والاستبصار لكنهم لم يفعلوا او متبينين ان
العذاب لاحق بهم باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا وقارون وفرعون وهامان
معطوفات على عاد وتقديم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات
فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين فائتين بل ادركهم امر الله من سبق طالبه
اذا فاته فكلا من المذكورين اخذنا بذنبه عاقبناه بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا
ريحا عاصفا فيها حصباء او ملكا رماهم بها كقوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة كمدين
وثمود ومنهم من خسفنا به الارض كقارون ومنهم من اغرقنا كقوم نوح وفرعون وقومه
وما كان الله ليظلمهم ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم اذ ليس ذلك من عادته
ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالتعريض للعذاب مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء
فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا فيما نسجته في الوهن والخور
بل ذاك اوهن فان لهذا حقيقة وانتفاعا ما او مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة
الى رجل بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والتاء فيه
كتاء طاغوت ويجمع على عناكيب وعكاب واعكب وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت
لا بيت اوهن واقل وقاية للحر والبرد منه لو كانوا يعلمون يرجعون الى علم لعلموا ان هذا
مثلهم او ان دينهم اوهن من ذلك ويجوز ان يكون المراد ببيت العنكبوت دينهم سماه
به تحقيقا للتمثيل فيكون المعنى وان اوهن ما يعتمد به في الدين دينهم ان الله يعلم ما يدعون
من دونه من شيء على اضمار القول اي قل للكفرة ان الله يعلم وقرأ عاصم وابو عمرو ويعقوب
بالياء حملا على ما قبله وما استفهامية منصوبة بيدعون ويعلم معلقة عنها ومن للتبيين

او نافية ومن مزيدة وشي مفعول تدعون او مصدرية وشي مصدر او موصولة مفعول ليعلم
ومفعول تدعون عايده المحذوف والكلام على الاولين تجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلى الاخيرين
وعيد لهم وهو العزيز الحكيم تعليل على المعنيين فان من فرط الغباوة اشراك ما لا يعد شيا
بمن هذا شانه وان الجماد بالاضافة الى القادر القاهر على كل شي البالغ في العلم واتقان الفعل
الغاية كالمعدوم وانه من هذا صفته قادر على مجازاتهم وتلك الامثال يعني هذا المثل ونظايره
نضربها للناس تقريبا لما بعد من افهامهم وما يعقلها ولا يعقل حسنها وفايدتها الا العالمون
الذين يتدبرون الاشيا على ما ينبغي وعنه عليه السلام انه تلا هذه الاية فقال العالم من عقل
عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات والارض بالحق محقا غير قاصد به
باطلا فان المقصود بالذات من خلقها افاضة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما اشار اليه
بقوله ان في ذلك لاية للمؤمنين لانهم المنتفعون بها اتل ما اوحي اليك من الكتاب تقربا
الى الله بقراءته وتحفظا لالفاظه واستكشافا لمعانيه فان القاري المتامل قد ينكشف
له بالتكرار ما لم ينكشف له اولا ما قرع سمعه واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء
والمنكر بان تكون سببا للانتهاء عن المعاصي حال الاشتغال بها وغيرها من حيث انها
تذكر الله وتورث للنفس خشية منه روي ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله الصلوات
ولا يدع شيا من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث ان تاب
ولذكر الله اكبر والصلاة اكبر من ساير الطاعات وانما عبر عنها به للتعليل فان اشتمالها
على ذكرها هي العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيات او ولذكر الله اياكم برحمته
اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون منه ومن ساير الطاعات فيجازيكم
بها احسن المجازات ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي
احسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح وقيل هو منسوخ باية
السيف اذ لا مجادلة اشد منه وجوابه انه اخر الدواء وقيل المراد ذو العهد منهم الا الذين ظلموا
منهم بالافراط في الاعتداء والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة او بنبذ العهد ومنع الجزية
وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم هو من المجادلة بالتي هي احسن وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وبكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم
وان قالوا حقا لم تكذبوهم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون مطيعون له خاصة وفيه تعريض
باتخاذهم احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك الكتاب
وحيا مصدقا لساير الكتب الالهية وهو تحقيق لقوله فالذين اتيناهم الكتاب يؤمنون به
هم عبد الله بن سلام واضرابه او من تقدم عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب ومن
هؤلاء ومن العرب او اهل مكة او ممن في عهد الرسول من الكتابيين من يؤمن به بالقران وما يجحد
باياتنا مع ظهورها وقيام الحجة عليها الا الكافرون الا المتوغلون في الكفر فان جزمهم به
يمنعهم عن التامل فيما يفيد لهم صدقها لكونها معجزة بالاضافة الى الرسول صلى الله عليه وسلم كما اشار اليه

بقوله وماكنت

وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك فان ظهور هذا الكتاب الجامع لانواع
ع العلوم
الشريفة على امي لم يعرف بالقراءة والتعلم خارق للعادة وذكر اليمين زيادة تصوير للمنفي ونفي للتجوز
في الاسناد اذا لارتاب المبطلون اي لو كنت ممن يخط ويقرا لقالوا لعله تعلمه او التقطه من
كتب الاقدمين وانما سماهم مبطلين لكفرهم او لارتيابهم بانتفاء وجه واحد من وجوه الاعجاز
المتكاثرة وقيل لارتاب اهل الكتاب لوجدانهم نعتك على خلاف ما في كتبهم فيكون ابطالهم
لهم
باعتبار الواقع دون المقدر بل هو بل القران ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم
يحفظونه لا يقدر احد تحريفه وما يجحد باياتنا الا الظالمون الا المتوغلون في الظلم
بالمكابرة بعد وضوح دلايل اعجازها حتى لم يعتدوا بها وقالوا لولا انزل عليه ايت
ايات ه
من ربه مثل ناقة صالح وعصا موسى وماىدة عيسى وقرا نافع وابن عامر والبصريان
وحفص قل انما الايات عند الله ينزلها كيف يشا لست املكها فاتيكم بما تقترحون وانما
انا نذير مبين ليس من شاني الا الانذار وابانته بما اعطيت من الايات اولم يكفهم
اية مغنية عما اقترحوه انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم تدوم تلاوته عليهم متحدى
به فلا يزال معهم اية ثابتة لا تضمحل بخلاف ساير الايات او يتلى عليهم يعني اليهود
بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك ان في ذلك في ذلك الكتاب الذي هو اية
مستمرة وحجة مبينة لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى لقوم يؤمنون وتذكرة لمن همه الايمان
دون التعنت وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله بكتف كتب فيها بعض ما تقوله اليهود
فقال كفى بها ضلالة لقوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت
قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا بصدقي وقد صدقني بالمعجزات او بتبليغي ما ارسلت
به اليكم ونصحي ومقابلتكم اياي بالتكذيب والتعنت يعلم ما في السموات والارض
فلا يخفى عليه حالي وحالكم والذين امنوا بالباطل وهو ما يعبد من دون الله وكفروا بالله
منكم اولئك هم الخاسرون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان ويستعجلونك
بالعذاب بقولهم امطر علينا حجارة من السما ولولا اجل مسمى لكل عذاب او قوم لجاءهم
العذاب عاجلا وليأتينهم بغتة فجاة في الدنيا كوقعة بدر او الاخرة عند نزول الموت
بهم وهم لا يشعرون باتيانه يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين
ستحيط بهم يوم ياتيهم العذاب او هي كالمحيطة الان لاحاطة الكفر والمعاصي التي توجبها
بهم واللام للعهد على وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب الاحاطة او للجنس
فيكون استدلالا بحكم الجنس على حكمهم يوم يغشاهم العذاب ظرف لمحيطة او مقدر
مثل كان كيت وكيت من فوقهم ومن تحت ارجلهم من جميع جوانبهم ويقول الله او بعض
ملايكته بامره وقرا ابن كثير وابن عامر والبصريان بالنون ذوقوا ما كنتم تعملون اي
جزاءه يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون اي اذا لم يتسهل
العبادة في بلدة ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتمشى لكم ذلك وعنه

عليه السلام من فرّ بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما
السلام والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضي واسعة ان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها في
غيرها كل نفس ذائقة الموت تناله لا محالة ثم الينا ترجعون للجزاء ومن هذا عاقبته ينبغي
ان يجتهد في الاستعداد له وقرأ ابو بكر بالياء والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم
لننزلنهم من الجنة غرفا علالي وقرأ حمزة والكسائي لنثوينهم اي لنقيمنهم من الثوى فيكون
انتصاب غرفا لاجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض او تشبيه الظرف المؤقت بالمبهم
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين وقرئ فنعم والمخصوص بالمدح محذوف
دل عليه ما قبله الذين صبروا على اذية المشركين والهجرة للدين الى غير ذلك من المحن والمشاق
وعلى ربهم يتوكلون ولا يتوكلون الا على الله وكأين من دابة لا تحمل رزقها لا تطيق
حمله لضعفها او لا تدخره وانما تصبح ولا معيشة عندها الله يرزقها واياكم ثم انها
مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في انه لا يرزقها واياكم الا الله لان رزق
الكل باسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا على معاشكم بالهجرة فانهم لما امروا بالهجرة قال
بعضهم لبعض كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت وهو السميع لقولكم هذا العليم
بضميركم ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر المسؤول عنهم اهل مكة ليقولن
الله لما تقرر في العقول انتهاء الممكنات الى واحد واجب الوجود فأنى يؤفكون يصرفون
عن توحيده بعد اقرارهم بذلك الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يحتمل ان يكون
الموسع له والمضيق عليه واحدا على ان البسط والقبض على التعاقب وان لا يكون على وضع الضمير
موضع من يشاء وابهامه لان من يشاء مبهم ان الله بكل شيء عليم يعلم مصالحهم ومفاسدهم ولئن
سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله معترفين بانه الموجد للممكنات
اصولها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يقدر على شيء من ذلك قل الحمد لله
على ما عصمك من مثل هذه الضلالة او على تصديقك واظهار حجتك بل اكثرهم لا يعقلون فيتناقضون
حيث يقرون بانه المبدأ لكل ما عداه ثم انهم يشركون به الصنم وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك
عند مقالهم وما هذه الحياة الدنيا اشارة تحقير وكيف لا وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة الا
لهو ولعب الا كما يلهى ويلعب به الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون به ثم يتفرقون متعبين
وان الدار الآخرة لهي الحيوان لهي دار الحياة الحقيقية لامتناع طريان الموت عليها او هي في ذاتها
حياة للمبالغة والحيوان مصدر حي سمي به ذو الحياة واصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا وهو
ابلغ من الحياة لما في بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحياة ولذلك اختير عليها هاهنا
لو كانوا يعلمون لم يؤثروا عليها الدنيا التي اصلها عدم الحياة والحياة فيها عارضة سريعة الزوال
فاذا ركبوا في الفلك متصل بما دل عليه شرح حالهم اي هم على ما وصفوا به من الشرك فاذا
ركبوا البحر دعوا الله مخلصين له الدين كائنين في صورة من اخلص دينه من المؤمنين حيث
لا يذكرون الا الله ولا يدعون سواه لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد الا هو فلما نجاهم الى البر اذا هم

يشركون

يشركون فاجؤوا المعاودة الى الشرك ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه لام كي اي يشركون ليكونوا
كافرين بشركهم نعمة النجاة وليتمتعوا باجتماعهم على عبادة الاصنام وتوادهم عليها او لام
الامر على التهديد ويؤيده قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون عن نافع وليتمتعوا بالسكون
فسوف يعلمون عاقبة ذلك حين يعاقبون اولم يروا يعني اهل مكة انا جعلنا حرما آمنا اي
جعلنا بلدهم مصونا عن النهب والتعدي آمنا اهله عن القتل والسبي ويتخطف الناس من حولهم
يختلسون قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب افبالباطل يؤمنون ابعد هذه النعمة
المكشوفة وغيرها مما لا يقدر عليه الا الله بالصنم او الشيطان يؤمنون وبنعمة الله يكفرون حيث اشركوا
به غيره وتقديم الصلتين للاهتمام او لايهام الاختصاص على طريق المبالغة ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
بان زعم ان له شريكا او كذب بالحق لما جاءه يعني الرسول او الكتاب وفي لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا
ولم يتأملوا قط حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب اول ما سمعوه أليس في جهنم مثوى للكافرين
تقرير لثوائهم كقوله الستم خير من ركب المطايا اي الا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا
الكذب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب او لاجترائهم اي الم يعلموا ان في جهنم مثوى للكافرين
حتى اجترؤوا هذه الجرأة والذين جاهدوا فينا في حقنا اطلق المجاهدة ليعم جهاد الاعادي
الظاهرة والباطنة بانواعه لنهدينهم سبلنا سبل السير الينا والوصول الى جنابنا
او لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وفي الحديث
من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وان الله لمع المحسنين بالنصر والاعانة قال عليه السلام
من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين والله اعلم

سورة الروم خمسون وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم في ادنى الارض
ارض العرب منهم لانها المعهودة عندهم او في ادنى ارضهم من العرب واللام بدل من الاضافة
وهم من بعد غلبهم من اضافة المصدر الى المفعول وقرئ غلبهم وهو لغة كالجلب والجلب سيغلبون
في بضع سنين روي ان فارس غزوا الروم فوافوهم باذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة وهي ادنى
ارض الروم من الفرس فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى
اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر
رضي الله عنه لا يقرر الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف كذبت
اجعل بيننا وبينك اجلا اناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعل الاجل ثلث
سنين فاخبر ابو بكر رسول الله فقال البضع ما بين الثلث الى التسع فزايده في الخطر ومادة في الاجل
فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله بعد قفوله من احد وظهرت الروم
على فارس يوم الحديبية فاخذ ابو بكر الخطر من ورثة ابي وجاء به الى رسول الله فقال تصدق به واستدل
به الحنفية على جواز العقود الفاسدة في دار الحرب واجيب بانه كان قبل تحريم القمار والآية من دلائل

النبوة لانها اخبار عن الغيب وقرئ غلبت الروم وسيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على
ريف الشام والمسلمون سيغلبونهم في السنة التاسعة من نزوله غزاهم المسلمون وفتحوا بعض
بلادهم وعلى هذا يكون اضافة الغلب الى الفاعل لله الامر من قبل ومن بعد من قبل كونهم غالبين
وهذا وقت كونهم مغلوبين ومن بعده وهو وقت كونهم غالبين اي له الامر حين غلبوا وحين
يغلبون ليس شيء منهما الا بقضائه وقرئ من قبل ومن بعد من غير تقدير مضاف اليه كانه قيل
قبلا وبعدا اي اولا واخرا ويومئذ ويوم يغلب الروم يفرح المؤمنون بنصر الله من له كتاب على
من لا كتاب له من انقلاب التفاول وظهور صدقهم فيما اخبروا به المشركين وغلبتهم في رهانهم
وازدياد يقينهم وثباتهم في دينهم وقيل بنصر الله المؤمنين باظهار صدقهم او بان ولى بعض اعدائهم
بعضا حتى تفانوا ينصر من يشاء فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء اخرى وهو العزيز الرحيم ينتقم من
عباده بالنصر عليهم تارة ويتفضل عليهم بنصرهم اخرى وعد الله وعده لا متناع
الكذب عليه ولكن اكثر الناس لا يعلمون وعده ولا صحة وعده لجهلهم وعدم تفكرهم يعلمون
ظاهرا من الحياة الدنيا ما يشاهدونه منها والتمتع بزخارفها وهم عن الاخرة التي
هي غايتها والمقصود منها هم غافلون لا يخطر ببالهم وهم الثانية تكرير للاولى
او مبتدا وغافلون خبره والجملة خبر الاولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن
الاخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة المبدلة من قوله لا يعلمون تقريرا لجهالتهم
وتشبيها لهم بالحيوانات المقصور ادراكها من الدنيا ببعض ظاهرها فان من العلم
بظاهرها معرفة حقايقها وصفاتها وخصايصها وافعالها واسبابها وكيفية
صدورها منها وكيفية التصرف فيها ولذلك نكر ظاهرا واما باطنها انها مجازا
للاخرة ووصلة الى نيلها وانموذج لاحوالها واشعار بانه لا فرق بين عدم العلم
الذي يخص بظاهر الدنيا اولم يتفكروا في انفسهم اولم يحدثوا التفكر فيها او ولم يتفكروا
في امر انفسهم فانها اقرب اليهم من غيرها ومراة يجتلى فيها للمستبصر ما يجتلى له في الممكنات
باسرها ليتحقق قدرة مبدعها على اعادتها قدرته على ابدائها ما خلق الله السموات
والارض وما بينهما اي اولم يتفكروا الا بالحق متعلق بقول او علم محذوف يدل
الكلام عليه واجل مسمى ينتهي عنده ولا يبقى بعده وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم
بلقاء جزاء ربهم عند انقضاء الاجل المسمى او قيام الساعة لكافرون جاحدون يحسبون
ان الدنيا ابدية وان الاخرة لا تكون اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم تقرير لسيرهم في اقطار الارض ونظرهم الى اثار المدمرين قبلهم
كانوا اشد منهم قوة كعاد وثمود واثاروا الارض وقلبوا وجهها لاستنباط المياه
واستخراج المعادن وزرع البذور وغيرها وعمروها وعمروا الارض اكثر مما عمروها
من عمارة اهل مكة اياها فانهم اهل واد غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيرها وفيه تهكم
بهم من حيث انهم مغترون بالدنيا مفتخرون بها وهم اضعف حالا فيها اذ مدار امرها على

البسط في البلاد والتسلط على العباد والتصرف في اقطار الارض بانواع العمارة وهم ملجؤن
الى واد لا نفع لها وجاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات والايات الواضحات فما كان الله
ليظلمهم ليفعل بهم ما يفعل الظلمة فيدمرهم من غير جرم ولا تذكير ولكن كانوا انفسهم
يظلمون حيث عملوا ما ادى الى تدميرهم ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى اي
ثم كان عاقبتهم العقوبة السوأى او الخصلة فوضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ما اقتضى
ان يكون تلك عاقبتهم وانهم جاؤا بمثل افعالهم والسوأى تانيث الاسوإ كالحسنى او مصدر
كالبشرى نعت به ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزؤن علة او بدل او عطف بيان
للسوأى مصدرا اساؤا او مفعوله بمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة ان طبع الله على
قلوبهم حتى كذبوا الايات واستهزؤا بها ويجوز ان يكون السوأى صلة الفعل وان كذبوا
تابعها والخبر محذوف للابهام والتهويل وان تكون مفسرة بالتكذيب والاستهزاء
كانت متضمنة معنى القول وقرا ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب على ان الاسم
السوأى وان كذبوا على الوجوه المذكورة الله يبدؤ الخلق ينشئهم ثم يعيده يبعثهم
ثم اليه ترجعون للجزاء والعدول الى الخطاب للمبالغة وقرا ابو بكر وابو عمرو وروح بالياء على
الاصل ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون يسكتون متحيرين ايسين يقال ناظرته
فابلس اذا سكت وايس من ان يحتج ومنه الناقة المبلاس التي لا ترغو وقرئ بفتح اللام
من ابلسه اذا اسكته ولم يكن لهم من شركائهم مما اشركوهم بالله شفعاء يجيرونهم من عذاب الله
ومجيئه بلفظ الماضي لتحققه وكانوا بشركائهم كافرين يكفرون بالهتهم حيث ايسوا منهم
وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب في المصحف شفعؤا بالواو والسوأى
بالالف اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها ويوم تقوم الساعة يومئذ
يتفرقون اي المؤمنون والكافرون لقوله فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم
في روضة ارض ذات انهار وازهار يحبرون يسرون سرورا تهللت له وجوههم
واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا ولقاء الاخرة فاولئك في العذاب محضرون مدخلون
لا يغيبون عنه فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض
وعشيا وحين تظهرون اخبار في معنى الامر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه في هذه
الاوقات التي تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته او دلالة على ان ما يحدث فيها من
الشواهد الناطقة بتنزيهه واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من اهل السموات والارض وتخصيص
التسبيح بالمساء والصباح لان اثار القدرة والعظمة فيهما اظهر وتخصيص الحمد بالعشي الذي
هو اخر النهار من عشي العين اذا نقص نورها والظهيرة التي هي وسطه لان تجدد النعمة فيها
اكثر ويجوز ان يكون عشيا معطوفا على حين تمسون وقوله وله الحمد في السموات والارض اعتراضا
وعن ابن عباس ان الاية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلاة المغرب والعشاء وتصبحون صلاة
الفجر وعشيا صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر ولذلك زعم الحسن انها مدنية لانه كان

يقول كان الواجب بمكة ركعتين في اي وقت اتفقت وانما فرضت الخمس بالمدينة والاكثر على انها
فرضت بمكة وعنه عليه السلام من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين
تمسون الآية وعنه قال من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون الى قوله وكذلك
تخرجون ادرك ما فاته من ليلته ومن قال حين يمسي ادرك ما فاته من يومه وقرئ
حينا تمسون وحين تصبحون اي تمسون فيه وتصبحون فيه يخرج الحي من الميت كالانسان
من النطفة والطاير من البيضة ويخرج الميت من الحي النطفة والبيضة او يعقب
الحياة والموت وبالعكس ويحيي الارض بالنبات بعد موتها يبسها وكذلك مثل
ذلك الاخراج تخرجون من قبوركم فانه ايضا تعقيب الحياة الموت ومن آياته ان
خلقكم من تراب اي في اصل الانشاء لانه خلق اصلهم منه ثم اذا انتم بشر
تنتشرون ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرون في الارض ومن آياته ان خلق
لكم من انفسكم ازواجا لان حوا خلقت من ضلع آدم وسائر النساء خلقن من نطف
الرجال او لانهن من جنسهم لا من جنس آخر لتسكنوا اليها لتميلوا اليها وتألفوا بها
فان الجنسية علة للضم والاختلاف سبب التنافر وجعل بينكم اي بين الرجال
والنساء او بين افراد الجنس مودة ورحمة بواسطة الزواج حال الشبق وغيرها
بخلاف سائر الحيوانات نظما لامر المعاش او بان تعيش الانسان متوقف على التعارف
والتعاون المحوج الى التوادد والتراحم وقيل المودة كناية عن الجماع والرحمة على الولد لقوله
ورحمة منا ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيعلمون ما في ذلك من الحكم ومن آياته خلق
السموات والارض واختلاف السنتكم لغاتكم بان علم كل صنف لغته او الهمه وضعها
واقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله فانك لا تكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفية
والوانكم بياض الجلد وسواده او تخطيطات الاعضاء وهيآتها والوانها وحلاها بحيث
وقع التمايز والتعارف حتى ان التوأمين مع اتفاق موادهما واسبابهما والامور الملاقية
لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة ان في ذلك لآيات للعالمين لا يكاد
يخفى على عاقل من ملك او انس او جن وقرأ حفص بكسر اللام ويؤيده قوله وما يعقلها الا العالمون
ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله منامكم في الزمانين لاستراحة
القوى النفسانية وقوة القوى الطبيعية وطلب معاشكم فيهما او منامكم بالليل
وابتغاؤكم بالنهار فلف وضم بين الزمانين والفعلين بعاطفين اشعارا بان
كلا من الزمانين وان اختص باحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة ويؤيده سائر الآيات
الواردة فيه ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع تفهم واستبصار فان الحكمة
فيه ظاهرة ومن آياته يريكم البرق مقدر بان كقوله الا ايها الزاجري
احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي والفعل فيه منزل منزلة
المصدر كقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه او صفة لمحذوف تقديره آية يريكم

بها البرق كقوله وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح خوفا من الصاعقة
وللمسافر وطمعا في الغيث وللمقيم ونصبهما على العلة لفعل يلزم المذكور فان اراءتهم تستلزم
رؤيتهم او له على تقدير مضاف نحو ارادة خوف وطمع وتأويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع
كقولك فعلته رغما للشيطان او على الحال مثل كلمته شفاها وينزل من السماء ماء وقرئ
بالتشديد فيحيي به الارض بالنبات بعد موتها يبسها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون
يستعملون عقولهم في استنباط اسبابها وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته
ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره قيامهما باقامته لهما وارادته لقيامهما في
حيزها المعينين من غير مقيم محسوس والتعبير بالامر للمبالغة في كمال القدرة والغنى عن الآلة
ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون عطف على ان تقوم على تأويل مفرد كانه
قيل ومن آياته قيام السموات والارض بامره ثم خروجكم من القبور اذا دعاكم دعوة واحدة فيقول
ايها الموتى اخرجوا والمراد تشبيه سرعة ترتب حصول ذلك على تعلق ارادته بلا توقف واحتياج
الى تجشم عمل بسرعة ترتب اجابة الداعي المطاع على دعائه وثم للتراخي زمانه او لعظم ما فيه
ومن الارض متعلق بدعا كقوله دعوته من اسفل الوادي فطلع الي يخرجون لان ما بعد اذا
لا يعمل فيما قبله واذا الثانية للمفاجأة ولذلك ناب مناب الفاء في جواب الاولى وله من في
السموات والارض كل له قانتون منقادون لفعله فيهم لا يمتنعون عليه وهو الذي يبدأ الخلق
ثم يعيده بعد هلاكهم وهو اهون عليه والاعادة اسهل عليه من الاصل بالاضافة الى قدركم والقياس
على اصولكم والا فهما عليه سواء ولذلك قيل الهاء للخلق ولذلك قيل اهون بمعنى هين وتذكير هو لاهون
هو او لان الاعادة بمعنى ان يعيد وله المثل الاعلى الوصف العجيب الشان كالقدرة العامة والحكمة التامة
ومن فسره بقول لا اله الا الله اراد به الوصف بالوحدانية الاعلى الذي ليس لغيره ما يساويه او يدانيه
في السموات والارض يصفه به ما فيهما دلالة ونطقا وهو العزيز القادر الذي لا يعجز عن ابداء ممكن
واعادته الحكيم الذي يجري الافعال على مقتضى حكمته ضرب لكم مثلا من انفسكم منتزعا
عن احوالها التي هي اقرب الامور اليكم هل لكم من ما ملكت ايمانكم من مماليككم من شركاء
فيما رزقناكم من الاموال وغيرها فانتم فيه سواء فتكونون انتم وهم فيه شرع يتصرفون فيه
كتصرفكم مع انهم بشر مثلكم وانها معارة لكم ومن الاولى للابتداء والثانية للتبعيض والثالثة
مزيدة لتأكيد الاستفهام والجاري مجرى النفي تخافونهم اي تستبدوا بتصرف فيه كخيفتكم انفسكم
كما يخاف الاحرار بعضهم من بعض كذلك مثل ذلك التفصيل نفصل الآيات نبينها فان التمثيل مما يكشف
المعاني ويوضحها لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في تدبر بل اتبع الذين ظلموا بالاشراك اهواءهم
بغير علم جاهلين لا يكفهم شيء فان العالم اذا اتبع هواه ربما ردعه علمه فمن يهدي من اضل
الله فمن يقدر على هدايته وما لهم من ناصرين يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم عن آفاتها
فاقم وجهك للدين حنيفا فقومه له غير ملتفت او ملتفت عنه وهو تمثيل للاقبال والاستقامة
عليه والاهتمام به فطرت الله خلقته نصب على الاغراء او المصدر بما دل عليه ما بعدها التي فطر الناس

خلقهم عليها وهي قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه او ملة الاسلام فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه ادى بهم اليها
وقيل العهد الماخوذ من ادم وذريته لا تبديل لخلق الله لا يقدر احد ان يغيره او ما ينبغي ان يغير ذلك
اشارة الى الدين المامور باقامة الوجه له او الفطرة ان فسرت بالملة الدين القيم المستوي الذي لاعوج فيه
لاعوج فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون استقامة لعدم تدبرهم منيبين اليه راجعين اليه من
اناب اذا رجع مرة بعد اخرى وقيل منقطعين اليه من الناب وهو حال من الضمير في الناصب المقدر
لفطرت الله او في اقم لان الاية خطاب للرسول والامة لقوله واتقوه واقيموا الصلاة ولا تكونوا
من المشركين غير انها صدرت بخطاب الرسول تعظيما له من الذين فرقوا دينهم بدل من المشركين وتفريقهم
اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف اهوايهم وقرا حمزة والكسائي فارقوا بمعنى تركوا دينهم الذي امروا
به وكانوا شيعا فرقا تشايع كل امامها الذي اضل دينها كل حزب بما لديهم فرحون مسرورون
ظنا بانه الحق ويجوز ان يجعل فرحون صفة كل على ان الخبر من الذين فرقوا واذا مس الناس ضر شدة
دعوا ربهم منيبين اليه راجعين اليه من دعا غيره ثم اذا اذاقهم منه رحمة خلاصا من تلك
الشدة اذا فريق منهم بربهم يشركون فاجا فريق منهم بالاشراك بربهم الذي عافاهم ليكفروا
بما اتيناهم اللام فيه للعاقبة وقيل للامر بمعنى التهديد لقوله فتمتعوا غير انه التفت فيه
مبالغة وقرئ وليتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء على ان تمتعوا ماض
ام انزلنا عليهم سلطانا حجة وقيل ذا سلطان اي ملكا معه برهان فهو يتكلم تكلم دلالة
كقوله كتابنا ينطق عليكم بالحق او الحق بما كانوا به يشركون باشراكهم وصحته او بالامر الذي
بسببه يشركون في الوهيته واذا اذقنا الناس رحمة نعمة من صحة وسعة فرحوا بها
بطروا بسببها وان تصبهم سيئة شدة بما قدمت ايديهم بشوم معاصيهم اذا هم يقنطون
فاجوا القنوط من رحمته وقرا ابو عمرو والكسائي بكسر النون اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن
يشاء ويقدر فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين ان في ذلك لايات لقوم
يؤمنون فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة فات ذا القربى حقه كصلة الرحم
واحتج الحنفية على وجوب النفقة للمحارم وهو غير مشعر به والمسكين وابن السبيل
ما وظف لهما من الزكاة والخطاب لرسول الله او لمن بسط له ولذلك رتب على ما قبله بالفاء ذلك
خير للذين يريدون وجه الله ذاته او جهته اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا او جهة
التقرب اليه لا جهة اخرى واولئك هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم وما
اتيتم من ربا زيادة محرمة في المعاملة او عطية يتوقع بها مزيد مكافاة وقرا ابن كثير بالقصر
بمعنى ما جيتم به من اعطاء ربا ليربوا في اموال الناس ليزيد ويزكوا في اموالهم فلا يربوا عند
الله فلا يزكوا عنده ولا يبارك فيه وقرا نافع ويعقوب لتربوا اي لتزيدوا او لتصيروا
ذا ربوا وما اتيتم من زكاة تريدون وجه الله تبتغون به وجهه خالصا فاولئك هم
المضعفون ذو الاضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار
او الذين ضعفوا ثوابهم واموالهم ببركة الزكاة وقرئ بفتح العين وتغييره عن سنن المقابلة

عبارة

عبارة ونظما للمبالغة والالتفات فيه للتعظيم كانه خاطب به الملائكة وخواص الخلق تعريفا
لحالهم او للتعميم كانه قال لمن تعلق ذلك فاولئك هم المضعفون الله الذي خلقكم ثم رزقكم
ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء اثبت له لوازم الالوهية
ونفاها راسا عما اتخذوه شركا له من الاصنام وغيرها موكدا بالانكار على ما دل عليه البيان
والبرهان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من ذلك تقدسه عن ان يكون له شركا فقال
سبحانه وتعالى عما يشركون ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط
من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية يفيدان شيوع الحكم في جنس الشركاء والافعال
والثالثة مزيدة لتعميم المنفي فكل منها مستقلة بتاكيد لتعجيز الشركاء وقرا حمزة والكسائي بالتاء
ظهر الفساد في البر والبحر كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق
البركات وكثرة المضار او الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرئ والبحور
بما كسبت ايدي الناس بشوم معاصيهم او بكسبهم اياه وقيل ظهر الفساد في البر بقتل
قابيل اخاه وفي البحر بان جلندى ملك عمان ياخذ كل سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذي
عملوا بعض جزائه فان تمامه في الاخرة واللام للعلة او للعاقبة وعن ابن كثير ويعقوب بالنون
لعلهم يرجعون عما هم عليه قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبل ليشاهدوا مصداق ذلك ويتحققوا صدقه كان اكثرهم مشركين استيناف للدلالة
على ان سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك وغلبته فيهم او كان الشرك في اكثرهم وما دونه
من المعاصي في قليل منهم فاقم وجهك للدين القيم البليغ الاستقامة من قبل ان ياتي
يوم لا مرد له لا يقدر ان يرده احد وقوله من الله متعلق بياتي ويجوز ان يتعلق بمرد
لانه مصدر على معنى لا يرده الا الله لتعلق ارادته القديمة بمجيئه يومئذ يصدعون
يتصدعون اي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير كما قال من كفر فعليه كفره اي وباله
وهو النار المؤبدة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون يسوون منزلا في الجنة وتقديم الظرف
في الموضعين للدلالة على الاختصاص ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات من فضله علة
ليمهدون او ليصدعون والاقتصار على جزاء المؤمنين للاشعار بانه المقصود بالذات والاكتفا
على فحوى قوله انه لا يحب الكافرين فان فيه اثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين وتاكيد
اختصاص الصلاح المفهوم من ترك ضميرهم الى التصريح بهم تعليل له وقوله من فضله دال
على ان الاثابة تفضل محض وتاويله بالعطاء او الزيادة على الثواب عدول عن الظاهر
ومن اياته ان يرسل الرياح الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة واما الدبور فريح
العذاب ومنه قوله عليه الصلاة والسلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرا ابن كثير
وحمزة والكسائي الريح على ارادة الجنس مبشرات بالمطر وليذيقكم من رحمته يعني المنافع
التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها او الروح الذي هو مع هبوبها
والعطف على علة محذوفة دل عليها مبشرات او عليها باعتبار المعنى او على يرسل باضمار فعل

معلل دل عليه ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من فضله يعني تجارة البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروا نعمة الله ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا بالتدمير وكان حقا علينا نصر المؤمنين اشعار بان الانتقام لهم اظهار لكرامتهم حيث جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم وعنه عليه الصلاة والسلام ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم ثم تلا ذلك وقد يوقف على حقا على انه متعلق بالانتقام الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه متصلا تارة في السماء في سمتها كيف يشاء سائرا او واقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك ويجعله كسفا قطعا تارة اخرى وقرا ابن عامر بالسكون على انه مخفف او جمع كسفة او مصدر وصف به فترى الودق المطر يخرج من خلاله في التارتين فاذا اصاب به من يشاء من عباده يعني بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون بمجي الخصب وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم المطر من قبله تكرير للتاكيد لمبلسين لآيسين فانظر الى اثر رحمة الله اثر الغيث من النبات والاشجار وانواع الثمار ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص كيف يحيي الارض بعد موتها وقرئ بالتاء على اسناده الى ضمير الرحمة ان ذلك يعني الذي قدر على احيا الارض بعد موتها لمحيي الموتى لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان في مواد الغوى البنا تيه هذا ومن المحتمل ما يكون من الكائنات الراهنة ما يكون من مواد ما تفتتت وتبددت من جنسها في بعض الاعوام السالفة وهو على كل شيء قدير لان نسبة قدرته الى جميع الممكنات على السوا ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا فراوا الاثر او الزرع فانه مدلول عليه بما تقدم وقيل السحاب لانه اذا كان لم يمطر واللام موطية للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله لظلوا من بعده يكفرون جواب سد مسد الجزا ولذلك فسر بالاستقبال وهذه الايات ناعية على الكفار بقلة تدبرهم وعدم تثبتهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكرهم وسوء رايهم فان النظر السوي يقتضي ان يتوكلوا على الله ويلتجئوا اليه بالاستغفار اذا احتبس القطر عنهم ولم ييأسوا من رحمته وان يبادروا الى الشكر والاستدامة بالطاعة اذا اصابتهم برحمته ولم يفرطوا بالاستبشار وان يصبروا على بلائه اذا ضرب زرعهم بالاصفرار ولم يكفروا نعمه فانك لا تسمع الموتى وهم مثلهم لما سدوا مشاعرهم عن الحق ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين قيد الحكم به ليكون اشد استحالة فان الاصم المقبل وان لم يسمع الكلام تفطن منه بواسطة الحركات شيئا وما انت بهاد العمي عن ضلالتهم سماهم عميا لفقدهم المقصود الحقيقي من الابصار او لعمى قلوبهم ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فان ايمانهم يدعوهم الى تلقي اللفظ وتدبر المعنى ويجوز ان يراد بالمؤمن المشارف للايمان فهم مسلمون لما يامرهم به الله الذي خلقكم من ضعف اي ابتداكم ضعفا وجعل الضعف اساس امركم كقوله خلق الانسان ضعيفا او خلقكم من اصل

ضعف

في بعد اذ ابيانهم من القوى ثم ان احيا الارض احداث لمثل ما كان

ضعف هو النطفة ثم جعل من بعد ضعف قوة وذلك اذا بلغتم الحلم وتعلق بابدانكم الروح ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة اذا اخذ منكم السن وفتح عاصم وحمزة الضاد في جميعها والضم اقوى لقول ابن عمر قراتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقرانيه من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتاخر ليس عين المتقدم يخلق ما يشاء من ضعف وقوة وشيبة وهو العليم القدير فان الترديد في الاحوال المختلفة مع امكان غيره دليل على العلم والقدرة ويوم تقوم الساعة القيامة سميت بها لانها تقوم في اخر ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وصارت علما لها بالغلبة كالكوكب للزهرة يقسم المجرمون ما لبثوا في الدنيا او في القبور او فيما بين فنا الدنيا والبعث او انقطاع عذابهم وفي الحديث ما بين فنا الدنيا والبعث اربعون وهو يحتمل الساعات والايام والاعوام غير ساعة استقلوا مدة لبثهم اضافة الى مدة عذابهم في الاخرة او نسيانا كذلك مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق كانوا يؤفكون يصرفون في الدنيا وقال الذين اوتوا العلم والايمان من الملائكة والانس لقد لبثتم في كتاب الله في علمه او قضائه او ما كتبه لكم اي اوجبه او اللوح او القران وهو قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون الى يوم البعث فهذا يوم البعث الذي انكرتموه ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم في النظر والفاء لجواب شرط محذوف تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه اي فقد تبين بطلان انكاركم فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم وقرا الكوفيون بالياء لان المعذرة بمعنى العذر او لان تانيثها غير حقيقي وقد فصل بينهما ولا هم يستعتبون لا يدعون الى ما يقتضي اعتابهم اي ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم استعتبني فاعتبته اي استرضاني فارضيته ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل ولقد وصفنا بانواع الصفات التي هي في الغرابة كالامثال مثل صفة المبعوثين يوم القيامة وما يقولون وما يقال لهم وما لا يكون لهم من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب او بينا لهم من كل مثل ينبههم على التوحيد والبعث وصدق الرسول ولئن جئتهم باية من ايات القران ليقولن الذين كفروا من فرط عنادهم وقساوة قلوبهم ان انتم يعنون الرسول والمؤمنين الا مبطلون مزورون كذلك مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون لا يطلبون العلم ويصرون على خرافات اعتقدوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق فاصبر على اذاهم ان وعد الله بنصرتك واظهار دينك على الدين كله حق لا بد من انجازه ولا يستخفنك ولا يحملنك على الخفة والقلق الذين لا يوقنون بتكذيبهم وايذائهم فانهم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك وعن يعقوب بتخفيف النون وقرئ لا يستحقنك اي لا يزيغنك فيكونوا احق بك من المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك يسبح الله بين السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته سورة لقمن مكية وقيل الا اية وهي الذين يقيمون الصلاة

يطلبون

ويؤتون الزكاة فان وجوبها بالمدينة وهو ضعيف لانه لا ينافي شرعيتهما بمكة وقيل الا ثلاثا من قوله ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وهي اربع او ثلاث وثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك آيات الكتاب الحكيم سبق بيانه في يونس هدى
ورحمة للمحسنين حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الإشارة ورفعهما حمزة على الخبر بعد الخبر أو الخبر
المحذوف الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون بيان لإحسانهم
أو تخصيص لهذه الثلاثة من شعبه لفضل اعتداد بها وتكرير الضمير للتأكيد ولما حيل بينه وبين
خبره أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون لاستجماعهم العقيدة الحقة والعمل الصالح
ومن الناس من يشتري لهو الحديث ما يلهي عما يعني كالأحاديث التي لا أصل لها والأساطير
التي لا اعتبار فيها والمضاحك وفضول الكلام والإضافة بمعنى من وهي تبيينية إن أراد بالحديث
المنكر وتبعيضية إن أراد به الأعم منه وقيل نزلت في النضر بن الحارث اشترى كتب الأعاجم
وكان يحدث بها قريشا ويقول إن كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فأنا أحدثكم بحديث
رستم واسفنديار والأكاسرة وكان يشتري القيان ويحملهن على معاشرة من أراد الإسلام
ومنعه عنه ليضل عن سبيل الله دينه أو قراءة كتابه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء بمعنى ليثبت
على ضلاله ويزيد فيه بغير علم بحال ما يشتريه أو بالتجارة حيث استبدل اللهو بقراءة القرآن
ويتخذها هزوا ويتخذ السبيل سخرية وقد نصبه حمزة والكسائي ويعقوب وحفص
عطفا على ليضل أولئك لهم عذاب مهين لإهانتهم الحق باستيثار الباطل عليه وإذا تتلى عليه
آياتنا ولى مستكبرا متكبرا لا يعبأ بها كأن لم يسمعها مشابها حاله حال من لم يسمعها كأن في
أذنيه وقرا مشابها من في أذنيه ثقل لا يقدر أن يسمع والأولى حال من المستكن في ولى أو مستكبرا
والثانية بدل منها أو حال من المستكن في لم يسمعها ويجوز أن يكونا استئنافين فبشره بعذاب
أليم أعلمه بأن العذاب يحيقه لا محالة وذكر البشارة على التهكم إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم جنات النعيم لهم نعيم جنات فعكس للمبالغة خالدين فيها حال من الضمير في لهم أو من جنات
والعامل ما تعلق به اللام وعد الله حقا مصدران مؤكدان الأول لنفسه والثاني لغيره لأن قوله
لهم جنات وعد وليس كل وعد حقا وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء فيمنعه عن إنجاز وعده ووعيده
الحكيم الذي لا يفعل إلا ما تستدعيه حكمته خلق السماوات بغير عمد ترونها تقدم في
الرعد وألقى في الأرض رواسي جبالا شوامخ أن تميد بكم كراهة أن تميد بكم فإن بساطة
أجزائها تقتضي تبدل أحيازها وأوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته أو لشيء من
لوازمه بحيز ووضع معينين وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج
كريم من كل صنف كثير المنفعة وكأنه استدل بذلك على عزته التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي
كمال العلم ومهد به قاعدة التوحيد وقررها بقوله هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين
من دونه هذا الذي ذكر مخلوقه فماذا خلق آلهتكم حتى استحقوا مشاركته وماذا نصب بخلق أو ما
مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته وأروني معلق عنه بل الظالمون في ضلال مبين إضراب عن تبكيتهم
إلى التسجيل عليهم بالضلال الذي لا يخفى على ناظر ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أنهم
ظالمون بإشراكهم ولقد آتينا لقمان الحكمة يعني لقمان بن باعورا من أولاد آزر ابن أخت أيوب

أو خالته وعاش حتى أدرك داود وأخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعثه والجمهور على أنه كان حكيما ولم يكن
نبيا والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الأفعال
الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته أنه صحب داود شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما أتمها لبسها
وقال نعم لبوس الحرب أنت فقال الصمت حكم وقليل فاعله وأن داود قال له يوما كيف أصبحت قال أصبحت
في يدي غيري وأنه أمره بأن يذبح شاة ويأتي بأطيب مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب ثم بعد أيام
أمره بأن يأتي بأخبث مضغتين منها فأتى بهما أيضا فسأله عن ذلك فقال هما أطيب شيء إذا طابا
وأخبث شيء إذا خبثا أن اشكر لله لأن اشكر أو أي اشكر فإن إيتاء الحكمة في معنى القول ومن يشكر
فإنما يشكر لنفسه لأن نفعه عائد إليها وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها ومن كفر فإن الله غني
لا يحتاج إلى الشكر حميد حقيق بالحمد وإن لم يحمد أو محمود نطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال
وإذ قال لقمان لابنه أنعم أو أشكم أو ماثان وهو يعظه يا بني تصغير إشفاق لا تشرك بالله
قيل كان كافرا فلم يزل به حتى أسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما إن الشرك لظلم عظيم
لأنه تسوية بين من لا نعمة إلا منه ومن لا نعمة منه ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه
وهنا ذات وهن أو تهن وهنا على وهن أي تضعف ضعفا فوق ضعف فإنها لا تزال
يتزايد ضعفها والجملة في موضع الحال وقرئ بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن
وهنا وفصاله في عامين وفطامه في انقضاء عامين وكانت ترضعه في تلك المدة
وقرئ وفصله وفيه دليل على أن أقصى مدة الرضاع حولان أن اشكر لي ولوالديك
تفسير لوصينا أو علة له أو بدل من والديه بدل الاشتمال وذكر الحمل والفصال في البين
اعتراض مؤكد للتوصية في حقها خصوصا ومن ثم قال عليه السلام لمن قال له من أبر
أمك ثم أمك ثم قال بعد ذلك أباك إلي المصير فأحاسبك على شكرك وكفرك وإن جاهداك
على أن تشرك بي ما ليس لك به علم باستحقاقه الإشراك تقليدا لهما وقيل أراد بنفي العلم
به نفيه فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما في الدنيا معروفا صحابا معروفا يرتضيه الشرع
ويقتضيه الكرم واتبع في الدين سبيل من أناب إلي بالتوحيد والإخلاص في الطاعة ثم إلي مر[جعكم]
مرجعك ومرجعهما فأنبئكم بما كنتم تعملون بأن أجازيك على إيمانك وأجازيهما على كفرهما
والآيتان معترضتان في تضاعيف وصية لقمان تأكيدا لما فيها من النهي عن الشرك كأنه قال
وقد وصينا بمثل ما وصى به وذكر الوالدين للمبالغة في ذلك فإنهما تلو الباري في استحقاق
التعظيم والطاعة لا يجوز أن يستحقا في الإشراك فما ظنك بغيرهما ونزولها في سعد بن أبي
وقاص وأمه مكثت لإسلامه ثلاثا لم تطعم فيها شيئا ولذلك قيل من أناب إليه أبو بكر فإنه
أسلم بدعوته يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل أي الخصلة من الإساءة أو الإحسان
إن تك مثلا في الصغر كحبة الخردل ورفع نافع مثقال على أن الهاء ضمير القصة وكان تامة
وتأنيثها لإضافة المثقال إلى الحبة كقول الشاعر كما شرقت صدر القناة من الدم أو لأن المراد
به الحسنة أو السيئة فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض في أخفى مكان وأحرزه أو أعلاه

يجذب السموات او اسفله كمقعر الارض وقرئ بكسر الكاف من وكن الطائر اذا استقر في وكنه
يات بها الله يحضرها فيحاسب عليها ان الله لطيف يصل علمه الى كل خفي خبير عالم بكنهه يا بني
اقم الصلاة تكميلا لنفسك وامر بالمعروف وانه عن المنكر تكميلا لغيرك واصبر على ما اصابك
من الشدائد سيما في ذلك ان ذلك الاشارة الى الصبر او الى كل ما امر به من عزم الامور مما عزمه
الله من الامور اي قطعه قطع ايجاب مصدر اطلق للمفعول ويجوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله
فاذا عزم الامر اي جد ولا تصعر خدك للناس ولا تمله عنهم ولا تولهم صفحة وجهك كما
يفعله المتكبرون من الصعر وهو الصيد داء يعتري البعير فيلوي عنقه وقرأ نافع وحمزة
والكسائي ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر والكل واحد مثل علاه واعلاه وعالاه ولا تمش
في الارض مرحا اي فرحا مصدر وقع موقع الحال او تمرح مرحا او لاجل المرح وهو البطر
ان الله لا يحب كل مختال فخور علة للنهي وتاخير الفخور وهو مقابل للمصعر خده والمختال
للماشي مرحا ليوافق رؤس الآي واقصد في مشيك توسط فيه بين الدبيب والاسراع
وعنه عليه الصلاة والسلام سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وقول عايشة كان اذا مشى
اسرع فالمراد ما فوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامي اذا سدد
سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك واقصر منه وانقص ان انكر الاصوات او
حشها لصوت الحمير والحمار مثل في الذم سيما نهاقه ولذلك يكنى عنه فيقال طويل
الاذنين وفي تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثم اخراجه مخرج الاستعارة مبالغة شديدة
وتوحيد الصوت لان المراد تفضيل الجنس في النكير دون الاحاد او لانه مصدر في الاصل
الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات بان جعله اسبابا محصلة لمنافعكم وما في الارض
بان مكنكم من الانتفاع به بوسط وبغير وسط واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة
محسوسة ومعقولة ما تعرفونه وما لا تعرفونه وقد مر شرح النعمة وتفصيلها
في الفاتحة وقرئ واصبغ بالابدال وهو جار في كل سين اجتمع مع الغين او الخاء او القاف
كصلخ وصقر وقرأ نافع وابو عمرو وحفص نعمه بالجمع والاضافة ومن الناس من
يجادل في الله في توحيده وصفاته بغير علم مستفاد من دليل ولا هدى راجع الى
رسول ولا كتاب منير انزله الله بل بالتقليد كما قال واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله
قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا وهو منع صريح من التقليد في الاصول اولو كان
الشيطان يدعوهم يحتمل ان يكون الضمير لهم ولابائهم الى عذاب السعير الى ما يؤول
اليه من التقليد او الاشراك وجواب لو محذوف مثل لاتبعوه والاستفهام للانكار
والتعجب ومن يسلم وجهه الى الله بان فوض امره اليه واقبل بشراشره عليه من اسلمت
المتاع الى الزبون ويؤيده القراءة بالتشديد وحيث عدي باللام فلتضمن معنى الاخلاص
وهو محسن في عمله فقد استمسك بالعروة الوثقى تعلق باوثق ما يتعلق به وهو
تمثيل للمتوكل المشتغل بالطاعة بمن اراد ان يترقى في شاهق جبل فتمسك باوثق عرى الحبل

المتدلي منه والى الله عاقبة الامور اذ الكل صائر اليه ومن كفر فلا يحزنك كفره فانه لا يضرك في
الدنيا والاخرة وقرئ فلا يحزنك من احزن وليس بمستفيض الينا مرجعهم في الدارين فننبئهم
بما عملوا بالاهلاك والتعذيب ان الله عليم بذات الصدور فمجاز عليه فضلا عما في الظاهر
نمتعهم قليلا تمتيعا او زمانا قليلا فان ما يزول بالنسبة الى ما يدوم قليل ثم نضطرهم
الى عذاب غليظ يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ او يضم الى الاحراق الضغط ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح الدليل المانع من اسناد الخلق الى غيره
بحيث اضطروا الى اذعانه قل الحمد لله على الزامهم والجائهم الى الاعتراف بما يوجب بطلان
معتقدهم بل اكثرهم لا يعلمون ان ذلك يلزمهم لله ما في السموات والارض لا يستحق العبادة
فيهما غيره ان الله هو الغني عن حمد الحامدين الحميد المستحق للحمد وان لم يحمد ولو ان ما
في الارض من شجرة اقلام ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وتوحيد شجرة لان المراد تفصيل
الاحاد والبحر يمده من بعده سبعة ابحر والبحر المحيط بسعته مدادا ممدود بسبعة ابحر
فاغنى عن ذكر المداد بمده لانه من مد الدواة وامدها ورفعه للعطف على محل ومعمولها او
حال والابتداء على انه مستانف او الواو للحال ونصبه البصريان بالعطف على اسم ان او
اضمار فعل يفسره يمده وقرئ تمده بالياء والتاء ما نفدت كلمات الله بكتبها بتلك
الاقلام بذلك المداد وايثار جمع القلة للاشعار بان ذلك لا يفي بالقليل فكيف
بالكثير ان الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته امر والاية جواب
لليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم او امروا وفد قريش ان يسألوه عن قوله وما اوتيتم
من العلم الا قليلا وقد نزلت التوراة وفيها علم كل شيء ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس
واحدة الا كخلقها وبعثها اذ لا يشغله شان عن شان لانه يكفي لوجود
الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية كما قال انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول
له كن فيكون ان الله سميع يسمع كل مسموع بصير يبصر كل مبصر لا يشغله ادراك
بعضها عن بعض فكذلك الخلق الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في
الليل وسخر الشمس والقمر كل من النيرين يجري في فلكه يجري الى اجل مسمى الى منتهى
معلوم الشمس الى اخر السنة والقمر الى اخر الشهر وقيل الى يوم القيامة والفرق بينه وبين
قوله لاجل مسمى ان الاجل ههنا منتهى الجري وثم غرضه حقيقة او مجازا وكلا المعنيين
حاصل في الغايات وان الله بما تعملون خبير عالم بكنهه ذلك اشارة الى الذي
ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص الباري بها بان الله هو
الحق بسبب انه الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته او الثابت الهيته وان ما يدعون
من دونه الباطل المعدوم في حد ذاته لا يوجد ولا يتصف الا بجعله او الباطل الهيته
وان الله هو العلي الكبير مترفع عن كل شيء ومتسلط عليه الم تر ان الفلك تجري في البحر
بنعمة الله باحسانه في تهيئة اسبابه وهو استشهاد اخر على باهر قدرته وكمال نعمته

وشمول انعامه والبا للصلة او الحال وقرئ الفلك بالتثقيل وبنعمات الله بسكون العين
وقد جوز في مثله الكسر والفتح والسكون ليريكم من آياته دلايله ان في ذلك لآيات
لكل صبار على المشاق يتعب نفسه بالتفكر في الآفاق والانفس شكور يعرف
النعم ويتعرف مانحها او للمؤمنين فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر
واذا غشيهم جمع ظلة كالظلل كقلة وقلل دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة
من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف والشدايد فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد
مقيم على الطريق القصد الذي هو التوحيد او متوسط في الكفر لانزجاره بعض الانزجار
وما يجحد باياتنا الا كل ختار غدار فانه نقض للعهد الفطري او لما كان في البحر والختر
اشد الغدر كفور للنعم ~~وقرئ لا يجزي من اجزا اذا اغنى والراجع الى الموصوف محذوف~~
اي لا يجزي فيه يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده
لا يقضي عنه وقرئ لا يجزي من اجزا اذا اغنى والراجع الى الموصوف محذوف اي لا يجزي فيه
ولا مولود عطف على والد او مبتدا خبره هو جاز عن والده شيئا وتغيير النظم
للدلالة على ان المولود اولى بان لا يجزي وقطع طمع من توقع من المؤمنين ان ينفع
اباه الكافر في الآخرة ان وعد الله بالثواب والعقاب حق لا يمكن خلفه فلا تغرنكم
الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بان يرجيكم التوبة والمغفرة
فيجسركم على المعاصي ان الله عنده علم الساعة علم وقت قيامها لما روي ان الحارث
ابن عمرو اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متى قيام الساعة واني قد القيت حباتي في
الارض فمتى السما تمطر وحمل امراتي ذكر او انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت
وعنه عليه السلام مفاتح الغيب خمسة وتلا هذه الآية وينزل الغيث في ابانه
المقدر له والمحل المعين له في علمه وقرا نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد ويعلم ما في الارحام
ذكر ام انثى اتام او ناقص وما تدري نفس ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما تعزم
على شي وتفعل خلافه وما تدري نفس باي ارض تموت كما لا تدري في اي وقت تموت
روي ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل
من هذا فقال ملك الموت فقال كانه يريدني فمر الريح ان تحملني وتلقيني بالهند ففعل
فقال الملك كان دوام نظري اليه تعجبا منه اذ امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك وانما
جعل العلم لله والدراية للعبد لان فيها معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين العلمين ويدل على انه
ان اعمل حيلة وانفذ فيها وسعه لم يعرف ما هو لاحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره
مما لم ينصب له دليل عليه وقرئ باية ارض وشبه سيبويه تانيثها بتانيث كل في كلتهن ان الله
عليم يعلم الاشيا كلها خبير يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها وعنه عليه السلام من قرا
سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة واعطي من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل
بالمعروف ونهى عن المنكر سورة السجدة مكية وهي ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون

بلم

الموصوف

الظلل

بسم الله الرحمن الرحيم الم ان جعل اسما للسورة او القرآن فمبتدا خبره تنزيل الكتاب
على ان التنزيل بمعنى المنزل وان جعل تعديدا للحروف كان تنزيل خبر محذوف او مبتدا خبره لا ريب فيه
فيكون من رب العالمين حالا من الضمير في فيه لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر ويجوز ان يكون خبرا
ثانيا ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير في فيه لمضمون الجملة ويؤيده قوله ام يقولون
افتراه فانه انكار لكونه من رب العالمين وقوله بل هو الحق من ربك فانه تقرير له ونظم الكلام على
هذا انه اشار اولا الى اعجازه ثم رتب عليه ان تنزيله من رب العالمين وقرر ذلك بنفي الريب عنه ثم
اضرب عن ذلك الى ما يقولون فيه على خلاف ذلك انكارا له وتعجبا منه فان ام منقطعة ثم اضرب
عنه الى اثبات انه الحق المنزل من الله وبين المقصود من تنزيله فقال لتنذر قوما ما اتاهم من نذير
من قبلك اذ كانوا اهل الفترة لعلهم يهتدون بانذارك اياهم الله الذي خلق السموات والارض
وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش مر بيانه في الاعراف ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع
ما لكم اذا جاوزتم رضى الله احد ينصركم ويشفع لكم او ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي
حد لكم يتولى مصالحكم وينصركم في مواطن نصركم على ان الشفيع متجوز به للناصر فاذا خذلكم
لم يبق لكم ولي ولا ناصر افلا تتذكرون بمواعظ الله يدبر الامر من السما الى الارض يدبر امر الدنيا
باسباب سماوية كالملائكة وغيرها نازلة اثارها الى الارض ثم يعرج اليه ثم يصعد اليه
ويثبت في علمه موجودا في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون في برهة من الزمان متطاولة
يعني بذلك استطالة ما بين التدبير والوقوع وقيل يدبر الامر باظهاره في اللوح فينزل به الملك
ثم يعرج اليه في زمان كالف سنة لان مسافة نزوله وعروجه مسيرة الف سنة فان ما بين السما
والارض مسيرة خمسمائة سنة وقيل يقضي قضا الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الالف
لالف آخر وقيل يدبر الامر الى قيام الساعة ثم يعرج اليه الامر كله يوم القيامة وقيل يدبر
المامور به من الطاعات منزلا من السما الى الارض بالوحي ثم لا يعرج اليه خالصا كما يرتضيه
الا في مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال الخلص وقرئ يعرج ويعدون ذلك عالم
الغيب والشهادة فيدبر امرهما على وفق الحكمة العزيز الغالب على امره الرحيم على العباد
في تدبيره وفيه ايما انه يراعي المصالح تفضلا واحسانا الذي احسن كل شي خلقه خلقه
موفرا عليه ما يستعده ويليق به على وفق الحكمة والمصلحة وخلقه بدل من كل بدل الاشتمال وقيل
علم كيف يخلقه من قولهم قيمة المرء ما يحسنه اي يحسن معرفته وخلقه مفعول ثان وقرا نافع
والكوفيون بفتح اللام على الوصف فالشي على الاول مخصوص بمنفصل وعلى الثاني بمتصل وبدا خلق
الانسان يعني ادم من طين ثم جعل نسله ذريته سميت به لانها تنسل منه اي تنفصل من
سلالة من ماء مهين ممتهن ثم سواه قومه بتصوير اعضائه على ما ينبغي ونفخ فيه من روحه
اضافه الى نفسه تشريفا واشعارا بانه خلق عجيب وان له شانا له مناسبة ما الى الحضرة
الربوبية ولاجله من عرف نفسه فقد عرف ربه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة
خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا قليلا ما تشكرون تشكرون شكرا قليلا وقالوا ائذا ضللنا

الأرض

اي صرنا ترابا مخلوطا بتراب لا نتميز منه او غبنا فيها وقرئ ضللنا بالكسر من ضل يضل وصللنا من صل اللحم اذا نتن وقرا ابن عامر اذا على الخبر والعامل فيه ما دل عليه ائنا لفي خلق جديد وهو نبعث او يجدد خلقنا وقرا نافع والكسائي ويعقوب انا على الخبر والقايل ابي بن خلف واسناده الى جميعهم لرضاهم به بل هم بلقاء ربهم بالبعث او بتلقي ملك الموت وما بعده كافرون جاحدون قل يتوفاكم يستوفي نفوسكم لا يترك منها شيا او لا يبقي منكم احدا والتفعل والاستفعال يلتقيان كثيرا كتقضيته واستقضيته وتعجلته واستعجلته ملك الموت الذي وكل بكم بقبض ارواحكم واحصا اجالكم ثم الى ربكم ترجعون للحساب والجزا ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم من الحيا والخزي ربنا قايلين ربنا ابصرنا ما وعدتنا وسمعنا منك تصديق رسلك فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا انا موقنون اذ لم يبق لنا شك بما شاهدنا وجواب لو محذوف تقديره لرايت امرا فظيعا ويجوز ان يكون للتمني والمضي فيها وفي اذ لان الثابت في علم الله بمنزلة الواقع ولا يقدر لترى مفعول لان المعنى لو يكون منك روية في هذا الوقت او يقدر ما دل عليه صلة اذ والخطاب للرسول او لكل احد ولو شينا لاتينا كل نفس هداها ما نهتدي به الى الايمان والعمل الصالح بالتوفيق له ولكن حق القول مني ثبت قضاي وسبق وعيدي وهو لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم المشية المسبب عن سبق الحكم بانهم من اهل النار ولا يدفعه جعل ذوق العذاب مسببا عن نسيانهم العاقبة وعدم تفكرهم فيها بقوله فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا فانه من الوسايط والاسباب المقتضية انا نسيناكم تركناكم من الرحمة او في العذاب ترك المنسي وفي استينافه وبنا الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون كرر الامر للتاكيد ولما نيط به من التصريح بمفعوله وتعليله بافعالهم المسببة من التكذيب والمعاصي كما علله بتركهم تدبر امر العاقبة والتفكر فيه دلالة على ان كلا منهما يقتضي ذلك انما يومن باياتنا الذين اذا ذكروا بها وعظوا بها خروا سجدا خوفا من عذابه وسبحوا نزهوه عما لا يليق به كالعجز عن البعث بحمد ربهم حامدين له شكرا على ما وفقهم للاسلام واتاهم الهدى وهم لا يستكبرون عن الايمان والطاعة كما يفعل من يصر مستكبرا تتجافى جنوبهم ترتفع وتتنحى عن المضاجع الفرش ومواضع النوم يدعون ربهم داعين اياه خوفا من سخطه وطمعا في رحمته وعن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه عليه الصلاة والسلام اذا جمع الله الاولين والاخرين جا مناد ينادي بصوت يسمع الخلايق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في الباسا والضرا فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب ساير الناس وقيل كان ناس من الصحابة يصلون من المغرب الى العشا ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير فلا تعلم نفس ما اخفي لهم لا ملك مقرب ولا نبي مرسل من قرة اعين مما

عن مجاهد دويت لملك الموت الارض وجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشا وعن قتادة يتوفاهم ومعه اعوان من الملايكة وقيل ملك الموت يدعو الارواح فتجيبه ثم يامر اعوانه بقبضها

قوله ويجوز ان يكون للتمني اولئك ... ترك

في الكشاف والمعنى فذوقوا هذا اي ما انتم فيه من نكس الروس والخزي والغم بسبب نسيان اللقا وذوقوا العذاب المخلد في جهنم بسبب ما عملتم من المعاصي والكباير الموبقة

عن ابن عباس ...

تقربه

تقر به عيونهم وعنه عليه السلام يقول الله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اقروا ان شيتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقرا حمزة ويعقوب اخفي لانه مضارع اخفيت وقرئ يخفي واخفي والفاعل للكل هو الله تعالى وقرات اعين لاختلاف انواعها وما موصول او استفهام معلق عنها الفعل جزا بما كانوا يعملون وجزوا جزا واخفى للجزا فان اخفاء لعلو شانه وقيل هذا القوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله ثوابهم افمن كان مومنا كمن كان فاسقا خارجا عن الايمان في الشرف والمثوبة لا يستوون تاكيد وتصريح والجمع للحمل على المعنى اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات الماوى فانها الماوى الحقيقي والدنيا منزل مرتحل عنها لا محالة وقيل الماوى جنة من الجنان نزلا سبق في ال عمران بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او على اعمالهم واما الذين فسقوا فماويهم النار مكان جنة الماوى للمومنين كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها عبارة عن خلودهم فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون اهانة لهم وزيادة في غيظهم ولنذيقنهم من العذاب الادنى عذاب الدنيا يريد ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر دون العذاب الاكبر عذاب الاخرة لعلهم لعل من بقي منهم يرجعون يتوبون عن الكفر روي ان الوليد بن عقبة فاخر عليا يوم بدر فنزلت هذه الايات ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها فلم يتفكر فيها وثم لاستبعاد الاعراض عنها مع فرط وضوحها وارشادها الى اسباب السعادة بعد التذكير بها عقلا كما في بيت الحماسة • لا يكشف الغما الا ابن حرة • يرى غمرات الموت ثم يزورها • انا من المجرمين منتقمون فكيف ممن كان اظلم من كل ظالم ولقد اتينا موسى الكتاب كما اتيناك فلا تكن في مرية في شك من لقايه من لقايك الكتاب كقوله وانك لتلقى القران فانا اتيناك من الكتاب مثل ما اتيناه فليس ذلك ببدع حتى ترتاب فيه او من لقا موسى الكتاب او من لقايك موسى وعنه عليه السلام رايت ليلة اسري بي موسى عليه السلام رجلا طوالا ادم جعدا كانه من رجال شنوة وجعلناه اي المنزل على موسى هدى لبني اسرايل وجعلنا منهم ايمة يهدون الناس الى ما فيه من الحكم والاحكام بامرنا اياهم به او بتوفيقنا له لما صبروا وقرا حمزة والكسائي ورويس لما صبروا اي لصبرهم على الطاعة او عن الطاعة وكانوا باياتنا يوقنون لامعانهم فيها النظر ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة يقضي فيميز الحق من الباطل بتمييز المحق من المبطل فيما كانوا فيه يختلفون من امر الدين اولم يهد لهم الواو للعطف على منوي من جنس المعطوف والفاعل ضمير ما دل عليه كم اهلكنا من قبلهم اي كثرة من اهلكناهم من القرون الماضية او ضمير الله بدليل القراة بالنون يمشون في مساكنهم يعني اهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وقرئ يمشون بالتشديد ان في ذلك لايات افلا يسمعون

سماع تدبر واتعاظ **أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز** التي جرز نباتها اي قطع وازيل لا التي لا تنبت **فنخرج به زرعا** وقيل اسم موضع باليمن **تأكل منه** من الزرع **أنعامهم** كالتبن والورق **وأنفسهم** كالحب والثمر **أفلا يبصرون** يستدلون به على كمال قدرته وفضله **ويقولون متى هذا الفتح** النصر او الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا **إن كنتم صادقين** في الوعد به **قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون** وهو يوم القيامة فانه يوم نصر المسلمين على الكفرة والفصل بينهم وقيل يوم بدر او يوم فتح مكة والمراد بالذين كفروا المقتولون منهم فيه فانه لا ينفعهم ايمانهم حال القتل ولا يمهلون وانطباقه جوابا على سوالهم من حيث المعنى باعتبار ما عرف من اعراضهم فانهم لما ارادوا به الاستعجال تكذيبا واستهزاء اجيبوا بما يمنع الاستعجال **فأعرض عنهم** ولا تبال بتكذيبهم وقيل هو منسوخ باية السيف **وانتظر إنهم منتظرون** الغلبة وقرئ بالفتح على معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم او ان الملائكة ينتظرونه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

سورة الاحزاب سبعون وثلث ايات

بسم الله الرحمن الرحيم **يا أيها النبي اتق الله** ناداه بالنبي وامره بالتقوى تعظيما لشانه التقوى والمراد به الامر بالثبات عليه ليكون مانعا له عما نهي عنه بقوله **ولا تطع الكافرين والمنافقين** فيما نعود بوهن في الدين روي ان ابا سفيان وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم ابن ابي ومعتب ابن قشير والجد بن قيس فقالوا له ارفض ذكر الهتنا وقل ان لها شفاعة وندعك وربك فنزلت **إن الله كان عليما** بالمصالح والمفاسد **حكيما** لا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة **واتبع ما يوحى إليك من ربك** كالنهي عن طاعتهم **إن الله كان بما تعملون خبيرا** فموح اليك ما يصلح به اعمالكم ومعن من الاستماع الى الكفرة وقرا ابو عمرو بالياء على ان الواو ضمير الكفرة والمنافقين اي ان الله خبير بمكايدهم فيدفعها عنك **وتوكل على الله** وكل امره الى تدبيره **وكفى بالله وكيلا** موكولا اليه الامور كلها **ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه** اي ما جمع قلبين في جوف لان القلب معدن الروح الحيواني المتعلق للنفس الانساني اولا ومنبع القوى باسرها وذلك يمنع التعدد **وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم** وما جمع الزوجية والامومية في امراة ولا الدعوة والبنوة في رجل والمراد رد ما كانت العرب تزعم ان اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابي معمر او جميل بن اسد الفهري ذو القلبين والزوجة المظاهر عنها كالام ودعي الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبي عتيق رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن محمد او المراد نفي الامومة والبنوة عن المظاهر عنها والمتبنى ونفي القلبين لتمهيد اصل يحملان عليه والمعنى كما لم يجعل الله قلبين في جوف لادائه

اي

الي تناقض وهو ان يكون كل منهما اصلا لكل القوى وغير اصل لم يجعل الزوجة والدعي الذين لا ولاده بينهما وبينه امه او ابنه اللذين بينهما وبينه ولادة وقرا ابو عمرو واللاي بالياء وحده على ان اصله اللائي بهمزة مخففة وعن الحجازيين مثله وعنهما وعن يعقوب بالهمز وحده واصل تظهرون تتظهرون فادغمت التاء الثانية في الظاء وقرا ابن عامر تظاهرون بالادغام وحمزة والكسائي بالحذف وعاصم تظاهرون من ظاهر وقرئ تظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظاهرون من الظهور ومعنى الظهار ان يقول للزوجة انت علي كظهر امي ماخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي الطلاق او الحرمة الى اداء الكفارة كما عدي ايلا بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن الذي هو عموده فان ذكره يقارب الفرج او للتغليظ في التحريم فانهم كانوا يحرمون ظهرها الى السماء والادعياء جمع دعي على الشذوذ وكانه شبه بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه **ذلكم** اشارة الى ما ذكر او الى الاخير **قولكم بأفواهكم** لا حقيقة له في الاعيان كقول الهاذي **والله يقول الحق** ماله حقيقة عينية مطابقة له **وهو يهدي السبيل** سبيل الحق **ادعوهم لآبائهم** انسبوهم اليهم وهو افراد للمقصود من اقواله الحقة وقوله **هو أقسط عند الله** تعليل له والضمير لمصدر ادعوا واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ في الصدق **فإن لم تعلموا آباءهم** فتنسبوهم اليهم **فإخوانكم في الدين** فهم اخوانكم في الدين **ومواليكم** واولياؤكم فيه فقولوا هذا اخي ومولاي بهذا التاويل **وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به** ولا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهي او على النسيان او سبق اللسان **ولكن ما تعمدت قلوبكم** ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم او ولكن ما تعمدت فيه الجناح **وكان الله غفورا رحيما** لعفوه عن المخطئ واعلم ان التبني لا عبرة به عندنا وعند ابي حنيفة رضي الله عنه يوجب عتق مملوكه ويثبت النسب لمجهوله الذي يمكن الحاقه به **النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم** في الامور كلها فانه لا يامرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس فلذلك اطلق عليهم فيجب ان يكون احب اليهم من انفسهم وامره انفذ فيهم من امرها وشفقتهم عليه اتم من شفقتهم عليها روي انه عليه السلام اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس نستاذن اباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم اي في الدين فان كل نبي اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحياة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة **وأزواجه أمهاتهم** منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك فكالاجنبيات ولذلك قالت عائشة لسنا امهات النساء **وأولو الأرحام** وذوو القرابات **بعضهم أولى ببعض في كتاب الله** فيما انزل وهو هذه الاية او اية المواريث او فيما فرض الله **من المؤمنين والمهاجرين** بيان لاولي الارحام او صلة لاولى اي واولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين والمهاجرين بحق الهجرة **إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا** استثناء من اعم ما تقدر الاولوية فيه من النفع

النصرة عليهم

اي لا تطع الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما شق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت

قوله واصله الاصل بفتح التاء والهاء وتشديد الظاء وبعد الظاء الف دون الفاء تتظهرون فادغم

بفتح التاء والهاء وتشديد الظاء مضارع تظاهر الاصل تتظاهرون بتائين فادغم

بضم التاء وكسر الهاء بعد الف مضارع ظاهر

والمراد بفعل المعروف التوصية او منقطع كان ذلك في الكتاب مسطورا كان ما ذكر في الآيتين
ثابتا في اللوح او القرآن وقيل في التوراة واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم مقدر باذكر وميثاقهم
عهودهم بتبليغ الرسالة والدعا الى الدين القيم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى
ابن مريم خصهم بالذكر لانهم مشاهير ارباب الشرايع وقدم نبينا تعظيما له واخذنا
منهم ميثاقا غليظا عظيم الشان او موكدا باليمين والتكرير لبيان هذا الوصف ليسئل
الصادقين عن صدقهم اي فعلنا ذلك ليسال الله يوم القيامة الانبيا الذين صدقوا
عهدهم عما قالوه لقومهم او تصديقهم اياهم تبكيتا لهم فان المصدقين لهم على تصديقهم
فان مصدق الصادق صادق او ليسال المومنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم
عن صدقهم عهدهم وشهادتهم فيشهد لهم الانبيا بانهم صدقوا عهدهم وشهادتهم وكانوا
مومنين واعد للكافرين عذابا اليما عطف على اخذنا من حيث ان بعثة الرسل واخذ
الميثاق منهم لاثابة المومنين او عطف على ما دل عليه ليسال كانه قال فاثاب المومنين
واعد للكافرين يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاتكم جنود يعني الاحزاب
وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر الفا فارسلنا عليهم
ريحا ريح الصبا وجنودا لم تروها الملائكة روي انه عليه السلام لما سمع باقبالهم ضرب
الخندق على المدينة ثم خرج اليهم في ثلاثة الالف والخندق بينه وبينهم ومضى على الفريقين
قريب شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى بعث الله عليهم صبا باردة
في ليلة شاتية فاحصرتهم وسفت التراب في وجوههم واطفات نيرانهم وقلعت خيامهم
وماجت الخيل بعضها في بعض وكبرت الملائكة في جوانب العسكر فقال طليحة بن خويلد الاسدي
اما محمد فقد بداكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا من غير قتال وكان الله بما تعملون
من حفر الخندق وقرا البصريان بالياء اي بما يعمل المشركون من التحزيب والمحاربة بصيرا
رائيا اذ جاؤكم بدل من اذ جاتكم من فوقكم من اعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان
ومن اسفل منكم من اسفل الوادي من قبل المغرب قريش واذ زاغت الابصار مالت
عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا وبلغت القلوب الحناجر رعبا فان الرية تنتفخ من
شدة الروع فترتفع بارتفاعها الى راس الحنجرة وهو منتهى الحلقوم مدخل الطعام
والشراب وتظنون بالله الظنونا الانواع من الظن فظن المخلصون الثبت القلوب
ان الله منجز وعده في اعلاء دينه او ممتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف
القلوب والمنافقون ما حكي عنهم والالف مزيدة في امثاله تشبيها للفواصل
بالقوافي عنه وقد اجرى نافع وابن عامر وابو بكر فيها الوصل مجرى الوقف ولم يزدها
ابو عمرو وحمزة ويعقوب مطلقا وهو القياس هنالك ابتلي المومنون اختبروا
فظهر المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا من شدة الفزع
وقرئ زلزالا بالفتح واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ضعف اعتقاد ما وعدنا

الله ورسوله

وفي سورة الشورى قدم نوحا لان الله
اوردها لوصف دين الاسلام بالاصالة
والاستقامة فكانه قال شرع لكم
الدين الاصيل الذي بعث عليه نوح
في القدم وبعث عليه محمد الآخر
وبعث عليه من توسط بينهما
من الانبيا المشاهير ح

فان مصدق الصادق صادق ح
اي لان من قال للصادق
صدقت كان صادقا في قوله

اي القلوب بارتفاع
الرية ح

اي في الوصل والوقف
فيقرؤون الظنون
بغير الف ح

الله ورسوله من الظفر واعلا الدين الا غرورا وعدا باطلا قيل قايله معتب بن قشير
قال يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد
غرور واذ قالت طايفة منهم يعني اوس بن قيظي واتباعه يا اهل يثرب اهل المدينة
وقيل هو اسم ارض وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لكم لا موضع قيام لكم ههنا
وقرا حفص بالضم على انه مكان او مصدر من اقام فارجعوا الى منازلكم هاربين
وقيل المعنى لا مقام لكم على دين محمد فارجعوا الى الشرك واسلموه لتسلموا او لا مقام لكم بيثرب
فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها ويستاذن فريق منهم النبي للرجوع يقولون
ان بيوتنا عورة غير حصينة واصلها الخلل ويجوز ان يكون تخفيف العورة
من عورت الدار اذا اختلت وقد قرئ بها وما هي بعورة بل هي حصينة ان يريدون
الا فرارا اي ما يريدون بذلك الا الفرار من القتال ولو دخلت عليهم دخلت عليهم
المدينة او بيوتهم من اقطارها من جوانبها وحذف الفاعل للايماء بان دخول
المتحزبين عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيان في اقتضا الحكم المرتب عليه
ثم سئلوا الفتنة اي الردة ومقاتلة المسلمين لآتوها لاعطوها وقرا الحجازيان
بالقصر بمعنى لجاووها وفعلوها وما تلبثوا بها بالفتنة او باعطائها الا يسيرا
ريثما يكون السوال والجواب وقيل وما لبثوا بالمدينة بعدها لارتداد الا يسيرا
ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار يعني بني حارثة عاهدوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حين فشلوا ثم تابوا ان لا يعودوا لمثله وكان
عهد الله مسئولا مسؤلا عن الوفا به مجازى عليه قل لن ينفعكم الفرار ان
فررتم من الموت او القتل فانه لا بد لكل شخص من حتف انف او قتل في وقت
معين سبق به القضا وجرى عليه القلم واذا لا تمتعون الا قليلا اي وان نفعكم
الفرار مثلا فمتعتم بالتاخير لم يكن ذلك التمتيع الا تمتيعا او زمانا قليلا قل من
ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة اي او يصيبكم بسوء
ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام كما في قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثاني
على الاول لما في العصمة من معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم
ولا نصيرا يدفع الضر عنهم قد يعلم الله المعوقين منكم المثبطين عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون والقائلين لاخوانهم من ساكني المدينة هلم
الينا قربوا انفسكم الينا وقد ذكر اصله في الانعام ولا ياتون الباس الا قليلا الا
اتيانا او زمانا او باسا قليلا فانهم يعتذرون ويثبطون ما امكن لهم او يخرجون مع
المومنين ولكن لا يقاتلون الا قليلا وقيل انه من تتمة كلامهم ومعناه ولا ياتي
اصحاب محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا اشحة عليكم بخلا عليكم
بالمعاونة او النفقة في سبيل الله او الظفر او الغنيمة جمع شحيح ونصبها على الحال

ولا يقاتلونهم ح

من فاعل يأتون او المعوقين او على الذم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم
في احداقهم كالذي يغشى عليه كنظر المغشي عليه او كدوران عينه او مشبهين به او مشبهة بعينه
من الموت من معالجة سكرات الموت خوفا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنايم
سلقوكم ضربوكم بألسنة حداد ذربة يطلبون الغنيمة والسلق البسط بقهر باليد او باللسان
اشحة على الخير نصب على الحال او الذم ويويده قراءه نافع وليس بتكرير لان كلا منهما مقيد
من وجه اولئك لم يؤمنوا اخلاصا فاحبط الله اعمالهم فاظهر بطلانها اذ لم يثبت لهم
الاعمال فيبطل او ابطل تصنعهم ونفاقهم وكان ذلك الاحباط على الله يسيرا هينا لتعلق
الارادة به وعدم ما يمنعه عنه يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اي هولاء لجبنهم ان
الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا ففروا الى داخل المدينة وان يأت الاحزاب كرة ثانية
يودوا لو انهم بادون في الاعراب تمنوا انهم خارجون الى البدو وحاصلون بين الاعراب
يسألون كل قادم من المدينة عن انبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة
ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا قليلا رياء وخوفا عن التعيير لقد كان لكم
في رسول الله اسوة حسنة خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة
الشدائد او هو في نفسه قدوة يحسن التأسي به كقولك في البيضة عشرون منا حديدا
اي هي في نفسها هذا القدر من الحديد وقرأ عاصم بضم الهمزة وهو لغة فيه لمن كان يرجو
الله واليوم الاخر اي ثواب الله ولقاءه ونعيم الاخرة او ايام الله واليوم الاخر خصوصا
وقيل هو كقولك ارجو زيدا وفضله فان اليوم الاخر يوم الله بحسب الحكم والرجا يحتمل
الامل والخوف ولمن كان صلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثر على ان ضمير
المخاطب لا يبدل منه وذكر الله كثيرا وقرن بالرجا كثرة الذكر المودية الى ملازمة الطاعة
فان المؤتسي بالرسول من كان كذلك ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله
ورسوله بقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الاية
وقوله عليه السلام سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله
عليه السلام انهم سائرون اليكم بعد تسع او عشر وقرأ حمزة وابو بكر بكسر الراء وفتح الهمزة
وصدق الله ورسوله وظهر صدق خبر الله ورسوله او صدقا في النصرة والثواب كما
صدقا في البلاء واظهار الاسم للتعظيم وما زادهم فيه ضمير لما رأوا اي الخطب او البلاء الا
ايمانا بالله ومواعيده وتسليما لاوامره ومقاديره من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه من الثبات مع الرسول والمقاتلة لاعلاء الدين من صدقني اذا قال لك الصدق فان
المعاهد اذا وفى بعهده فقد صدق فمنهم من قضى نحبه نذره بان قاتل حتى استشهد كحمزة
ومصعب بن عمير وانس بن النضر والنحب النذر واستعير للموت لانه كنذر لازم في رقبة كل
حيوان ومنهم من ينتظر الشهادة كعثمان وطلحة وما بدلوا العهد ولا غيروه تبديلا
شيئا من التبديل روي ان طلحة ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم احد حتى اصيبت يده فقال

عليه

عليه السلام اوجب طلحة وفيه تعريض لاهل النفاق ومرض القلب بالتبديل
وقوله ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم
تعليل للمنطوق والمعرض به فكان المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد
المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم او المراد
به التوفيق للتوبة ان الله كان غفورا رحيما لمن تاب ورد الله الذين كفروا يعني
الاحزاب بغيظهم متغيظين لم ينالوا خيرا غير ظافرين وهما حالان بتداخل او تعاقب
وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة وكان الله قويا على احداث ما يريده عزيزا
غالبا على كل شيء وانزل الذين ظاهروهم ظاهروا الاحزاب من اهل الكتاب يعني قريظة
من صياصيهم من حصونهم جمع صيصة وهي ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور
والظبي وشوكة الديك وقذف في قلوبهم الرعب الخوف وقرئ بالضم فريقا تقتلون
وتأسرون فريقا وقرئ بضم السين روي ان جبريل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب فقال انزعت لامتك والملائكة لم يضعوا
السلاح ان الله يأمرك بالمسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فاذن في الناس ان لا يصلوا
العصر الا ببني قريظة فحاصرهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين حتى جهدهم
الحصار فقال لهم تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد
بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت
بحكم الله فوق سبعة ارقعة فقتل منهم ستمائة او اكثر واسر منهم سبعمائة واورثكم ارضهم
وديارهم حصونهم واموالهم نقودهم ومواشيهم واثاثهم روي انه عليه السلام
جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الانصار فقال انكم في منازلكم وقال عمر اما تخمس
كما خمست يوم بدر فقال لا انما جعلت هذه لي طعمة وارضا لم تطؤوها كفارس والروم
وقيل كل ارض تفتح الى يوم القيامة وكان الله على كل شيء قديرا فيقدر على ذلك يا ايها النبي قل
لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا السعة والتنعم فيها وزينتها وزخارفها
فتعالين امتعكن اعطكن المتعة واسرحكن سراحا جميلا طلاقا من غير ضرار وبدعة
روي انهن سألنه ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعائشة رضي الله عنها
فخيرها فاختارت الله ورسوله ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل
الله لا يحل لك النساء من بعد وتعليق التسريح بارادتهن الدنيا وجعلها قسيما لارادتهن
الرسول يدل على ان المخيرة اذا اختارت زوجها لم تطلق خلافا لزيد والحسن ومالك واحدى
الروايتين عن علي ويؤيده قول عائشة رضي الله عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه
ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق وقيل لان
الفرقة كانت بارادتهن كاختيار المخيرة نفسها فانه طلقة رجعية عندنا وبائنة عند
الحنفية واختلف في وجوبه للمدخول بها وليس فيه ما يدل عليه وقرئ امتعكن واسرحكن بالرفع

قب

على الاستيناف وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن
أجرا عظيما تستحقر دونه الدنيا وزينتها ومن للتبيين لانهن كلهن محسنات يا نساء النبي
من يأت منكن بفاحشة مبينة بكبيرة مبينة ظاهر قبحها على قراءة ابن كثير وابي بكر والباقون
بالكسر يضاعف لها العذاب ضعفين ضعفي عذاب غيرهن اي مثليه لان الذنب منهن اقبح
فان زيادة قبحه تتبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفي
حد العبد وعوتب الانبيا بما لا يعاتب به غيرهم وقرا البصري يضعف وابن كثير وابن
عامر نضعف بالنون وبنا الفاعل ونصب العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لا يمنعه
عن التضعيف كونهن نسا النبي وكيف وهو سببه ومن يقنت منكن ومن يدم على
الطاعة لله ورسوله ولعل ذكر الله للتعظيم لقوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين
مرة على الطاعة ومرة على طلبهن رضى النبي صلى الله عليه وسلم فكيف وهو سببه بالقناعة
وحسن المعاشرة وقرا حمزة والكسائي ويعمل بالياء ايضا حملا على لفظ من ويؤتها على ان
فيه ضمير اسم الله واعتدنا لها رزقا كريما في الجنة زيادة على اجرها يا نساء النبي
لستن كاحد من النساء اصل احد بمعنى الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر
والمونث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل
ان اتقيتن مخالفة حكم الله ورضى رسوله فلا تخضعن بالقول فلا تجئن بقولكن
خاضعا لينا مثل قول المريبات فيطمع الذي في قلبه مرض فجور وقرى بالجزم عطفا
على محل النهي على انه نهي مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع وقلن قولا معروفا
حسنا بعيدا عن الريبة وقرن في بيوتكن من وقر يقر وقارا او من قر يقر حذفت الاولى
من راي اقررن اقر وهو لغة فيه ويحتمل ان يكون من قار يقار اذا اجتمع ولا تبرجن
ولا تتبخترن في مشيتكن تبرج الجاهلية الاولى تبرجا مثل تبرج النسا في ايام الجاهلية
القديمة وقيل هي ما بين ادم ونوح وقيل الزمان الذي ولد فيه ابراهيم كانت المراة تلبس
درعا من اللولو فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال والجاهلية الاخرى ما بين
عيسى ومحمد عليهما السلام وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى
جاهلية الفسوق في الاسلام ويعضده قوله عليه الصلاة والسلام لابي داود ان فيك جاهلية
كفر او اسلام قال بل جاهلية كفر واقمن الصلاة واتين الزكاة واطعن الله ورسوله
في سائر ما امركن به ونهاكن عنه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس الذنب المدنس
لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستيناف ولذلك عمم الحكم اهل البيت
نصب على النداء او المدح ويطهركم عن المعاصي تطهيرا واستعارة الرجس للمعصية
والترشيح بالتطهير للتنفير عنها وتخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما رضي الله
عنهم لما روي انه عليه السلام خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجلس
فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جا علي فادخله فيه ثم جا الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال

ونقلت كسرتها الى القاف
واستغني به عن همزة
الوصل ويؤيده قراءة نافع
وعاصم بالفتح من قررت

انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم
حجة لان التخصيص بهم لا يناسب ما قبل الاية وما بعدها والحديث يقتضي انهم اهل البيت لا انه
ليس غيرهم واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة من الكتاب الجامع بين الامرين
وهو تذكير بما انعم عليهن حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما يشاهدن
من برحا الوحي مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والايتمار فيما
كلفن به ان الله كان لطيفا خبيرا يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك خيركن ووعظكن
او يعلم ما يصلح لنبوته ومن يصلح ان يكون اهل بيته ان المسلمين والمسلمات الداخلين في
السلم المنقادين لحكم الله في القول والعمل والمؤمنين والمؤمنات المصدقين بما يجب ان يصدق به والقانتين
والقانتات المداومين على الطاعة والصادقين والصادقات في القول والعمل
والصابرين والصابرات عن الطاعة وعن المعاصي والخاشعين والخاشعات المتواضعين
لله بقلوبهم وجوارحهم والمتصدقين والمتصدقات بما وجب في مالهم والصائمين والصائمات
الصوم المفروض والحافظين فروجهم والحافظات عن الحرام والذاكرين الله كثيرا والذاكرات
بقلوبهم والسنتهم اعد الله لهم مغفرة لما اقترفوا من الصغاير لانهن مكفرات واجرا
عظيما على طاعتهم والاية وعد لهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال
روي ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير فما
فينا خير نذكر به فنزلت وقيل لما نزلت فيهن ما نزل قال نسا المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت
وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري وعطف الزوجين على الزوجين
لتغاير الوصفين فليس بضروري ولذلك ترك في قوله مسلمات مومنات وفائدته الدلالة
على ان اعداد المعد لهم للجمع بين هذه الصفات وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ما صح له اذا قضى الله
ورسوله امرا اي قضى رسول الله وذكر الله لتعظيم امره والاشعار بان قضاه قضا الله
لانه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم
لزيد بن حارثة فابت هي واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها للنبي
صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد ان يكون لهم الخيرة من امرهم ان يختاروا من امرهم شيئا
بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله ورسوله والخيرة ما يتخير وجمع الضمير الاول
لعموم مومن ومومنة من حيث انهما في سياق النفي وجمع الثاني للتعظيم وقرا الكوفيون
وهشام يكون بالياء ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا بين الانحراف عن الصواب
واذ تقول للذي انعم الله عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه وانعمت عليه
بما وفقك الله فيه وهو زيد بن حارثة امسك عليك زوجك زينب وذلك انه عليه السلام
ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب
بالتسبيحة فذكرت لزيد ففطن لذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي عليه السلام
قال اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شيء فقال لا والله ما رايت منها الا خيرا

ولكن لشرفها تتعظم على نفسك امسك عليك زوجك واتق الله في امرها فلا تطلقها ضرارا وتعللا
بتكبرها وتخفي في نفسك ما الله مبديه وهو نكاحها ان طلقها او ارادة طلاقها وتخشى الناس
تعييرهم اياك به والله احق ان تخشاه ان كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على
الاخفا وحده فانه حسن بل على الاخفا مخافة قالة الناس واظهار ما ينافي اضماره فان الاولى
في امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى ربه فلما قضى زيد منها وطرا حاجة بحيث
ملها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها وقيل قضاء الوطر كناية عن
الطلاق مثل لا حاجة لي فيك وقرئ زوجتكها والمعنى انه امر بتزويجها او جعلها زوجته
بلا واسطة عقد ويويده انها كانت تقول لسائر نساء النبي عليه السلام ان الله تعالى تولى نكاحي
وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل كان السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة
ايمانه لكي لا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا
علة للتزويج وهو دليل على ان حكمه وحكم الامة واحد الا ما خصه الدليل وكان امر الله
امره الذي يريده مفعولا مكونا لا محالة كما كان تزويج زينب ما كان على النبي من حرج
فيما فرض الله له قسم وقدر من قولهم فرض له في الديوان ومنه فروض العسكر لارزاقهم
سنة الله سن ذلك سنة في الذين خلوا من قبل من الانبيا وهو نفي الحرج عنهم فيما اباح
لهم وكان امر الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا الذين يبلغون رسالات
الله صفة للذين خلوا او مدح لهم منصوب او مرفوع وقرئ رسالة الله ويخشونه ولا يخشون
احدا الا الله تعريض بعد تصريح وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف او محاسبا فينبغي ان لا يخشى
الا منه ما كان محمد ابا احد من رجالكم على الحقيقة فيثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده
من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه ابا للطاهر والقاسم وابراهيم لانهم
لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم ولكن رسول الله وكل رسول ابو
امته لا مطلقا بل من حيث انه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم وزيد منهم ليس
بينه وبينه ولادة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف ولكن بالتشديد على حذف الخبر
اي ولكن رسول الله اب من غير ولادة لم يعش له ولد ذكر وخاتم النبيين وخاتمهم الذي
ختمهم او ختموا به على قراءة عاصم بالفتح ولو كان له ابن بالغ لاق بمنصبه ان يكون نبيا
كما قال عليه السلام في ابراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لانه
اذا نزل كان على دينه مع ان المراد انه اخر من نبي وكان الله بكل شيء عليما فيعلم من يليق ان يختم
النبوة وكيف ينبغي شانه يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا يغلب الاوقات
ويعم انواع ما هو اهله من التقديس والتحميد والتهليل والتمجيد وسبحوه بكرة واصيلا
اول النهار واخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر الاوقات
لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من جملة الاذكار لانه العمدة فيها وقيل الفعلان موجهان
اليهما وقيل المراد بالتسبيح الصلاة هو الذي يصلي عليكم بالرحمة وملائكته والاستغفار

لكم

لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد بالصلاة المشترك وهو العناية بصلاح امركم وظهور
شرفكم مستعار من الصلو وقيل الترحم والانعطاف المعنوي ماخوذ من الصلاة المشتملة على
الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمومنين ترحم
عليهم سيما وهو سبب للرحمة من حيث انهم مجابو الدعوات ليخرجكم من الظلمات الى النور
من ظلمات الكفر والمعصية الى نور الايمان والطاعة وكان بالمومنين رحيما حتى اعتنى
بصلاح امرهم واناقة قدرهم واستعمل في ذلك ملائكته المقربين تحيتهم من اضافة المصدر
الى المفعول اي يحيون يوم يلقونه يوم لقائه عند الموت او الخروج عن القبر او دخول
الجنة سلام اخبار بالسلامة واعد لهم اجرا كريما هي الجنة ولعل اختلاف النظم
لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو اهم يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على
من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو حال مقدرة ومبشرا
ونذيرا وداعيا الى الله الى الاقرار به وبتوحيده وما يجب الايمان به من صفاته
باذنه بتيسيره اطلق له من حيث انه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانه امر صعب
لا يتاتى الا بمعونة من جناب قدسه وسراجا منيرا يستضاء به عن ظلمات الجهالات
ويقتبس من نوره انوار البصائر وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا
على سائر الامم او على اجر اعمالهم ولعله معطوف على محذوف مثل فراقب احوال امتك
ولا تطع الكافرين والمنافقين تهييج له على ما هو عليه من مخالفتهم ودع اذاهم
ايذاءهم ولا تحتفل به او ايذاءك اياهم مجازاة او مواخذة على كفرهم ولذلك قيل انه منسوخ
وتوكل على الله فانه يكفيكهم وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامر في الاحوال كلها ولعله
تعالى لما وصفه بخمس صفات قابل كلا منها بخطاب يناسبه فحذف مقابل الشاهد
وهو الامر بالمراقبة لان ما بعده كالتفصيل وقابل المبشر بالامر ببشارة المومنين
والنذير بالنهي عن مراقبة الكفار والمبالاة باذاهم والداعي الى الله بتيسيره بالامر
بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفاء به فان من اناره الله برهانا على جميع خلقه كان
حقيقا بان يكتفي به عن غيره يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن تجامعوهن وقرا حمزة والكسائي بالف وضم التاء فما لكم عليهن
من عدة ايام يتربصن فيها بانفسهن تعتدونها تستوفون عددها من عددت
الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله او تعدونها والاسناد الى الرجال للدلالة
على ان العدة حق الازواج كما اشعر به فما لكم وعن ابن كثير تعتدونها مخففا على ابدال
احدى الدالين بالتاء او على انه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها وظاهره يقتضي وجوب العدة
بمجرد الخلوة وتخصيص المومنات والحكم عام للتنبيه على ان من شان المومن ان لا ينكح الا مومنة
تخيرا لنطفته وفائدة ثم ازاحة ما عسى ان يتوهم ان تراخي الطلاق ريثما يمكن الاصابة
كما يوثر في النسب يوثر في العدة فمتعوهن اي ان لم يكن مفروضا فان الواجب للمفوضة

عن كل مكروه وآفة

له

لها

نصف المفروض دون المتعة ويجوز ان يؤول التمتع بما يعمهما والامر بالمشترك بين الوجوب
والندب فان المتعة سنة للمفروض لها وسرحوهن اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن
عدة سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع حق ولا يجوز تفسيره بالطلاق السني لانه
مرتب على الطلاق والضمير لغير المدخول بهن يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي
آتيت أجورهن مهورهن لان المهر اجر على البضع وتقييد الاحلال له باعطائها معجلة
لا لتوقف الحل عليه بل لايثار الافضل له كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية بقوله
وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك فان المشتراة لا يتحقق بدء امرها وما جرى عليها
وتقييد القرائب بكونها مهاجرات معه في قوله وبنات عمك وبنات عماتك وبنات
خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه خاصة
ويعضده قول ام هانئ بنت ابي طالب خطبني رسول الله فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله
هذه الاية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها
للنبي نصب بفعل يفسره ما قبله او عطف على ما سبق ولا يدفعه التقييد بان التي للاستقبال
فان المعنى بالاحلال الاعلام بالحل اي اعلمناك حل امرأة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا
ان اتفق ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك والقائل به ذكر اربعا ميمونة بنت
الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرئ
ان بالفتح اي لان وهبت او مدة ان وهبت كقولك اجلس ما دام زيد جالسا إن أراد النبي
أن يستنكحها شرط للشرط الاول في استيجاب الحل فان هبتها نفسها منه لا يوجب لها
الا بارادته نكاحها فانها جارية مجرى القبول والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ
النبي مكررا ثم الرجوع اليه في قوله خالصة لك من دون المؤمنين ايذان بانه مما خص به
لشرف نبوته وتحقيق لاستحقاقه الكرامة لاجله واحتج به اصحابنا على ان النكاح لا ينعقد
بلفظ الهبة لان اللفظ تابع للمعنى وقد خص عليه السلام بالمعنى فيختص باللفظ والاستنكاح طلب
النكاح والرغبة فيه وخالصة مصدر مؤكد اي اخلص احلالها واحلال ما احللنا لك على القيود
المذكورة خلوصا لك او حال من الضمير في وهبت او صفة لمصدر محذوف اي هبة خالصة قد علمنا
ما فرضنا عليهم في أزواجهم من شرائط العقد ووجوب القسم والمهر بالوطي حيث لم يسم وما
ملكت أيمانهم بتوسيع الامر فيها كيف ينبغي ان يفرض عليهم اعتراض بين قوله لكيلا يكون عليك
حرج ومتعلقه وهو خالصة للدلالة على ان الفرق بينه وبين المؤمنين في نحو ذلك لا لمجرد قصد
التوسيع عليه بل لمعان تقتضي التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة وبالعكس اخرى وكان الله غفورا
لما يعسر التحرز عنه رحيما بالتوسعة في مظان الحرج ترجي من تشاء منهن تؤخرها وتترك
مضاجعتها وتؤوي إليك من تشاء وتضم اليك وتضاجعها او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء
وقرأ حمزة والكسائي وحفص ترجي بالياء والمعنى واحد ومن ابتغيت ممن عزلت طلبت بالرجعة
فلا جناح عليك في شيء من ذلك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن

كلهن ذلك التفويض الى مشيئتك اقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانه حكم كلهن
فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله
تعالى فتطمئن نفوسهن وقرئ تقر بضم التاء واعينهن بالنصب وتقر بالبناء للمفعول
وكلهن تاكيد نون يرضين وقرئ بالنصب تاكيدا لهن والله يعلم ما في قلوبكم فاجتهدوا في
احسانه وكان الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى لا يحل
لك النساء بالياء لان تانيث الجمع غير حقيقي وقرأ البصريان بالتاء من بعد من بعد التسع وهو في
حقه كالاربع في حقنا او من بعد اليوم حتى لو ماتت واحدة لا يحل له نكاح اخرى ولا أن تبدل
بهن من أزواج فتطلق واحدة وتنكح مكانها اخرى ومن مزيدة لتاكيد الاستغراق ولو أعجبك
حسنهن حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل دون مفعوله وهو من ازواج لتوغله في
التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن واختلف في ان الاية محكمة او منسوخة بقوله
ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء على المعنى الثاني فانه وان تقدمها قراءة فهو مسبوق
بها نزولا وقيل المعنى لا يحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتي نص على احلالهن لك
ولا ان تبدل بهن ازواجا من اجناس اخر إلا ما ملكت يمينك استثناء من النساء لانه يتناول
الازواج والاماء وقيل منقطع وكان الله على كل شيء رقيبا فتحفظوا امركم ولا تتخطوا
ما حد لكم يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم الا وقت ان يؤذن لكم
او الا ماذونا لكم إلى طعام متعلق بيؤذن لانه يتضمن معنى يدعى للاشعار بانه لا يحسن
الدخول على الطعام من غير دعوة وان اوذن كما اشعر به قوله غير ناظرين إناه غير
منتظرين وقته او ادراكه حال من فاعل لا تدخلوا او المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام
فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير وهو غير جائز عند البصريين وقد امال حمزة
والكسائي اناه لانه مصدر انى الطعام اذا ادرك ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم
فانتشروا تفرقوا ولا تمكثوا والاية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله فيدخلون
ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد ان يدخل بيوته
بالاذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لمهم ولا مستأنسين لحديث لحديث بعضكم
بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين او مقدر بفعل اي ولا تدخلوا او لا
تمكثوا مستأنسين إن ذلكم اللبث كان يؤذي النبي لتضييق المنزل عليه وعلى اهله واشتغاله
بما لا يعنيه فيستحيي منكم من اخراجكم لقوله والله لا يستحيي من الحق يعني ان اخراجكم حق
فينبغي ان لا يترك حياء كما لم يتركه الله ترك الحيي فامركم بالخروج وقرئ لا يستحي بحذف الياء الاولى
والقاء حركتها على الحاء وإذا سألتموهن متاعا شيئا يتمتع به فاسألوهن المتاع من وراء
حجاب ستر روي ان عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات
المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه السلام كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل
عائشة رضي الله عنها فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فنزلت ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن من

الخواطر الشيطانية المردودة وما كان لكم وما صح لكم أن تؤذوا رسول الله ان تفعلوا ما يكرهه
ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا من بعد وفاته او فراقه وخص التي لم يدخل بها لما روي ان
اشعث بن قيس تزوج المستعيذة في ايام عمر رضي الله عنه فهم برجمهما فاخبر بانه عليه السلام فارقها
قبل ان يمسها فترك من غير نكير إن ذلكم ايذاءه ونكاح نسائه كان عند الله عظيما ذنبا عظيما
وفيه تعظيم من الله لرسوله وايجاب لحرمته حيا وميتا ولذلك بالغ في الوعيد عليه فقال إن تبدوا
شيئا كنكاحهن على السنتكم أو تخفوه في صدوركم فإن الله كان بكل شيء عليما فيعلم ذلك فيجازيكم
به وفي هذا التعميم مع البرهان مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد لا جناح عليهن في آبائهن
ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن استثناء لمن لا يجب
الاحتجاب عنهم روي انه لما نزلت اية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله او
نكلمهن ايضا من وراء حجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك
سمي العم ابا في قوله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق ولانه ترك الاحتجاب عنهما مخافة ان
يصفا لابنائهما ولا نسائهن يعني النساء المؤمنات ولا ما ملكت أيمانهن من العبيد والاماء
وقيل من الاماء خاصة وقد مر في سورة النور واتقين الله فيما امرتن به إن الله كان على
كل شيء شهيدا لا يخفى عليه خافية إن الله وملائكته يصلون على النبي يعتنون باظهار
شرفه وتعظيم شانه يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه اعتنوا انتم ايضا فانكم اولى بذلك وقولوا
اللهم صل على محمد وسلموا تسليما وقولوا السلام عليك ايها النبي وقيل وانقادوا لاوامره
والآية تدل على وجوب الصلاة والسلام في الجملة وقيل تجب الصلاة كلما جرى ذكره لقوله
عليه السلام رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وقوله من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل
النار فابعده الله ويجوز الصلاة على غيره تبعا وتكره استقلالا لانه في العرف صار شعارا
لذكر الرسول ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا إن الذين يؤذون الله ورسوله
يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصي او يؤذون رسول الله بكسر رباعيته وقولهم
شاعر مجنون ونحو ذلك وذكر الله للتعظيم له ومن جوز اطلاق اللفظ على معنييه فسره بالمعنيين
المعمولين لعنهم الله ابعدهم من رحمته في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا يهينهم
مع الايلام والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا بغير جناية استحقوا بها
فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا ظاهرا قيل انها نزلت في منافقين يؤذون عليا رضي الله
وقيل في اهل الافك وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات يا أيها النبي قل لأزواجك
وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن يغطين وجوههن وابدانهن بملاحفهن
اذا برزن لحاجة ومن للتبعيض فان المراة ترخي بعض جلبابها وتتلفع ببعض ذلك أدنى أن
يعرفن يميزن عن الاماء والقينات فلا يؤذين فلا يؤذيهن اهل الريبة بالتعرض لهن
وكان الله غفورا لما سلف رحيما بعباده حيث يراعي مصالحهم حتى الجزئيات منها لئن لم
ينته المنافقون عن نفاقهم والذين في قلوبهم مرض ضعف ايمان وقلة ثبات او فجور عن تزلزلهم

في الذين

في الدين او فجورهم والمرجفون في المدينة يرجفون اخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها من ارجافهم
واصله التحريك من الرجفة وهي الزلزلة سمي به الاخبار الكاذبة لكونه متزلزلا غير ثابت لنغرينك
لنامرنك بقتالهم واجلائهم او ما يضطرهم الى طلب الجلاء ثم لا يجاورونك عطف على لنغرينك
وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة الرسول اعظم ما يصيبهم فيها في المدينة إلا قليلا زمانا او جوارا
قليلا ملعونين نصب على الشتم او الحال والاستثناء شامل له ايضا اي لا يجاورونك الا ملعونين
ويجوز ان ينتصب عن قوله أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل
فيما قبلها سنة الله في الذين خلوا من قبل مصدر مؤكد اي سن الله ذلك في الامم الماضية وهو
ان يقتل الذين نافقوا الانبياء وسعوا في وهنهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا ولن تجد
لسنة الله تبديلا لانه لا يبدلها ولا يقدر احد ان يبدلها يسألك الناس عن الساعة عن
وقت قيامها استهزاء وتعنتا وامتحانا قل إنما علمها عند الله لم يطلع عليها ملكا ولا نبيا
وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا شيئا قريبا او تكون الساعة عن قريب وانتصابه
على الظرف ويجوز ان يكون التذكير لان الساعة في معنى اليوم وفيه تهديد للمستعجلين
واسكات للمتعنتين إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا نارا شديدة الايقاد خالدين
فيها أبدا لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا يدفع العذاب عنهم يوم تقلب وجوههم في
النار تصرف من جهة الى جهة كاللحم يشوى بالنار او من حال الى حال وقرئ تقلب وتقلبه
ومتعلق الظرف يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا فلن نبتلى بهذا العذاب
وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرأ ابن عامر
ويعقوب ساداتنا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة فأضلونا السبيلا بما زينوا لنا ربنا
آتهم ضعفين من العذاب مثلي ما آتيتنا لانهم ضلوا واضلوا والعنهم
لعنا كبيرا كثير العدد وقرأ عاصم بالباء اي لعنا هو اشد اللعن يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا
كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا فاظهر براءته من مقولهم يعني مؤداه ومضمونه
وذلك ان قارون حرض امراة على قذفه بنفسها فعصمه الله كما مر في القصص او اتهمه ناس بقتل
هرون لما خرج معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به حتى راوه غير مقتول
وقيل احياه الله فاخبرهم ببراءته او قذفوه بعيب في بدنه من برص او ادرة لفرط تستره
حياء فاطلعهم الله على انه بريء منه وكان عند الله وجيها ذا قربة ووجاهة وقرئ وكان
عبد الله وجيها يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله
وقولوا قولا سديدا قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا والمراد النهي عن ضده كحديث
زينب من غير قصد يصلح لكم أعمالكم يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة
عليها ويغفر لكم ذنوبكم ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل ومن يطع الله ورسوله
في الاوامر والنواهي فقد فاز فوزا عظيما يعيش في الدنيا حميدا وفي الآخرة سعيدا إنا عرضنا
الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان

لنغرينك بهم

تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة وسماها امانة من حيث انها واجبة الاداء والمعنى انها
لعظم شانها بحيث لو عرضت على هذه الاجرام العظام وكانت ذات شعور وادراك لابين ان
يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لاجرم فان الراعي
لها والقائم بحقوقها بخير الدارين انه كان ظلوما حيث لم يف بها ولم يراع حقها جهولا
بكنه عاقبتها وهذا وصف للجنس باعتبار الاغلب وقيل المراد بالامانة الطاعة التي تعم الطبيعية
والاختيارية وبعرضها استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من
غيره وبحملها الخيانة والامتناع عن ادائها ومنه قولهم حامل الامانة ومحتملها لمن لم يؤدها
فيبرا ذمته فيكون الاباء عنه اتيانا بما يمكن ان يتاتى منه والظلم والجهالة للخيانة والتقصير
وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها اني فرضت فريضة وخلقت
الجنة لمن اطاعني فيها ونارا لمن عصاني فقلن نحن مسخرات على ما خلقتنا لا نحتمل فريضة
ولا نبغي ثوابا ولا عقابا ولما خلق آدم عرض عليه مثل ذلك فحمله فكان ظلوما لنفسه
بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته ولعل المراد بالامانة العقل والتكليف وبعرضها
عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وبابائهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة
والاستعداد وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه
من القوة الغضبية والشهوية وعلى هذا يحسن ان يكون علة للحمل عليه فان من فوائد العقل
ان يكون مهيمنا على القوتين حافظا لهما عن التعدي ومجاوزة الحد ومعظم مقصود
التكليف تعديلهما وكسر سورتهما ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين
والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات تعليل للحمل من حيث انه نتيجته
كالتاديب للضرب في ضربته تاديبا وذكر التوبة في الوعد اشعارا بان كونهم ظلوما جهولا
في جبلتهم لا يخليهم عن فرطات وكان الله غفورا رحيما حيث تاب عن فرطاتهم واثاب
بالفوز على طاعاتهم قال عليه السلام من قرا سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي
الامان من عذاب القبر

سورة سبأ مكية

وقيل الا قوله ويرى الذين اوتوا العلم الاية وايها خمس واربعون بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض خلقا ونعمة فله الحمد في الدنيا بكمال قدرته
وعلى تمام نعمته وله الحمد في الآخرة لان ما في الآخرة ايضا كذلك وليس هذا من عطف المقيد
على المطلق فان الوصف يدل على انه المنعم بالنعم الدنيوية قيد الحمد بها وتقديم الصلة
للاختصاص فان النعم الدنيوية قد تكون بواسطة من يستحق الحمد لاجلها ولا كذلك نعم
الآخرة وهو الحكيم الذي احكم امور الدارين الخبير ببواطن الاشياء يعلم ما يلج في الارض كالغيث
ينفذ في موضع وينبع في آخر وكالكنوز والدفائن والاموات وما يخرج منها كالحيوان
والنبات والفلزات وماء العيون وما ينزل من السماء كالملائكة والكتب والمقادير
والارزاق والانداء والصواعق وما يعرج فيها كالملائكة واعمال العباد والابخرة والادخنة

وهو

وهو الرحيم الغفور للمفرطين في شكر نعمته مع كثرتها او في الآخرة مع ما له من سوابق هذه النعم
الفائتة للحصر وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة انكار لمجيئها او استبطاء استهزاء بالوعد به قل بلى
رد لكلامهم واثبات لما نفوه وربي لتاتينكم عالم الغيب تكرير لايجابه مؤكدا بالقسم مقرر
لوصف المقسم به بصفات تقرر امكانه وتنفي استبعاده على ما مر وقرا حمزة والكسائي
علام الغيب للمبالغة ونافع وابن عامر ورويس عالم بالرفع على انه خبر محذوف او مبتدا خبره لا يعزب
عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وقرا الكسائي لا يعزب بالكسر ولا اصغر من ذلك
ولا اكبر الا في كتاب مبين جملة مؤكدة لنفي العزوب ورفعهما بالابتداء ويؤيده القراءة
بالفتح على نفي الجنس ولا يجوز عطف المرفوع على مثقال والمفتوح على ذرة بانه فتح في موضع الجر لامتناع
الصرف لان الاستثناء يمنعه اللهم الا اذا جعل الضمير في عنه للغيب وجعل المثبت في اللوح خارجا
عنه لظهوره على المطالعين له فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب شيء الا مسطورا في اللوح ليجزي
الذين آمنوا وعملوا الصالحات علة لقوله لتاتينكم وبيان لما يقتضي اتيانها ويرى الذين اوتوا
العلم ويعلم اولو العلم من الصحابة ومن شايعهم من الامة او مسلمي اهل الكتاب الذي انزل اليك
من ربك القرآن هو الحق ومن رفع الحق جعل هو مبتدا والحق خبره والجملة ثاني مفعولي يرى
وهو مرفوع مستانف للاستشهاد باولي العلم على الجهلة الساعين في الآيات وقيل منصوب معطوف
على ليجزي اي وليعلم اولو العلم عند مجيء الساعة انه الحق عيانا كما علموه الآن برهانا ويهدي الى صراط
العزيز الحميد الذي هو الاسلام والتدرع بلباس التقوى وقال الذين كفروا قال بعضهم لبعض هل ندلكم
على رجل يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم ينبئكم يحدثكم باعجب الاعاجيب اذا مزقتم كل ممزق انكم
لفي خلق جديد انكم تنشؤون خلقا جديدا بعد ان تمزق اجسادكم كل تمزيق وتفريق بحيث
تصير ترابا وتقديم الظرف على التعجب والمبالغة منه وعامله محذوف دل عليه ما بعده فان
ما قبله لم يقارنه وما بعده مضاف اليه او محجوب بينه وبينه بان وممزق يحتمل ان يكون مكانا
بمعنى اذا مزقتم وذهبت بكم السيول كل مذهب وطرحتكم كل مطرح وجديد بمعنى فاعل من جد
فهو جديد وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه افترى على الله كذبا ام به جنة
جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه واستدل بجعلهم اياه قسيم الافتراء غير معتقدين صدقه
على ان بين الصدق والكذب واسطة وهو كل خبر لا يكون عن بصيرة بالمخبر عنه
وضعفه بين لان الافتراء اخص من الكذب بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال
البعيد رد من الله عليهم ترديدهم واثبات ما هو افظع من القسمين وهو الضلال البعيد عن
الصواب بحيث لا يرجى الخلاص منه وما هو مؤداه من العذاب وجعله رسيلا له في الوقوع
ومقدما عليه في اللفظ للمبالغة في استحقاقهم له والبعد في الاصل صفة للضال ووصف الضلال
به على الاسناد المجازي افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم
الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال قدرة الله وما يحتمل فيه ازاحة
لاستحالتهم الاحياء حتى جعلوه افتراء وهذيانا وتهديدا عليها والمعنى اعموا فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم

اولئك لهم مغفرة ورزق كريم
لا تعب فيه ولا من عليه والذين
سعوا في آياتنا بالابطال وتزهيد
الناس فيها معاجزين مسابقين كي
يفوتونا وقرا ابن كثير وابو عمرو معجزين
اي مثبطين عن الايمان من اراده
اولئك لهم عذاب من رجز
من سيء العذاب اليم مولم
ورفعه ابن كثير ويعقوب
وحفص

من السما والارض ولم يتفكروا اهم اشد خلقا ام هي وانا ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط
عليهم كسفا لتكذيبهم بالايات بعد ظهور البينات وقرا حمزة والكسائي يشا ويخسف ويسقط
باليا لقوله افترى على الله والكسائي وحده بادغام الفا في البا وحفص كسفا بالتحريك ان في ذلك
النظر والفكر فيهما وما يدلان عليه لاية لدلالة لكل عبد منيب راجع الى ربه فانه يكون كثير
التامل في امره ولقد اتينا داود منا فضلا اي على سائر الانبيا وهو ما ذكر بعد او على سائر
الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن يا جبال اوبي معه رجعي
معه التسبيح اذا تامل فيها على الذنب او النوحة وذلك اما بخلق صوت مثل صوته فيها
او بحملها اياه على التسبيح اذا تامل فيها او سيري معه حيث سار وقرئ اوبي من الاوب
اي ارجعي في التسبيح كلما رجع فيه وهو بدل من فضلا او من اتينا باضمار قولنا او قلنا
والطير عطف على محل الجبال ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة
البنائية العارضة بالحركة الاعرابية او على فضلا او مفعول معه لاوبي او على هذا
يجوز ان يكون الرفع بالعطف على ضميره وكان الاصل ولقد اتينا داود منا فضلا تاويب
الجبال والطيور كالعقلا المنقادين لامره في نفاذ مشيته فيها والنا له الحديد
جعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشا من غير احما وطرق بالاته او بقوته ان اعمل
امرناه ان اعمل وان مفسرة او مصدرية سابغات دروعا واسعات وقرئ
صابغات وهو اول من اتخذها وقدر في السرد وقدر في نسجها بحيث تتناسب حلقها
وقدر مساميرها فلا تجعلها دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتخرق ورد بان دروعه لم تكن
مسمرة ويؤيده قوله والنا له الحديد واعملوا صالحا الضمير فيه لداود واهله انى بما تعملون
بصير فاجازيكم عليه ولسليمان الريح اي وسخرنا له وقرئ الريح بالرفع اي ولسليمان
الريح مسخرة غدوها شهر ورواحها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشي كذلك
وقرئ غدوتها وروحتها واسلنا له عين القطر النحاس المذاب اسال له من معدنه
فنبع منه نبوع الما من الينبوع ولذلك سماه عينا وكان ذلك باليمن ومن الجن من
يعمل بين يديه عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة او جملة من مبتدا وخبر باذن
ربه بامره ومن يزغ منهم ومن يعدل منهم عن امرنا عما امرناه من طاعة سليمان وقرئ
يزغ من ازاغه نذقه من عذاب السعير عذاب الاخرة يعملون له ما يشا من محاريب
قصورا حصينة ومساكن شريفة سميت بها لانها يذب عنها ويحارب عليها وتماثيل وصورا
وتماثيل للملائكة والانبيا على ما اعتادوا من العبادات ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم
وحرمة التصاوير شرع مجدد وروي انهم عملوا له اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه
فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما
وجفان وصحاف كالجواب كالحياض الكبار جمع جابية وهي من الصفات الغالبة كالدابة
وقدور راسيات ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود شكرا

بحركة الاعراب

حكاية

حكاية لما قيل لهم وشكرا علة اي اعملوا له واعبدوه شكرا او المصدر لان العمل له شكر
او الوصف له او الحال او المفعول به وقليل من عبادي الشكور المتوفر على ادا الشكر بقلبه
ولسانه وجوارحه اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه لان توفيقه للشكر نعمة تستدعي شكرا
اخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر فلما قضينا عليه الموت اي على
سليمان ما دلهم على موته ما دل الجن وقيل اله الا دابة الارض اي الارضة اضيفت الى فعلها وقرئ
بفتح الرا وهو تاثر الخشبة من فعلها يقال ارضت الارضة الخشبة فارضت ايضا مثل اكلت
القوادح الاسنان فاكلت اكلا تاكل منساته عصاه من نسات البعير اذا طردته لانها
يطرد بها وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا على غير قياس اذ القياس اخراجها
بين بين ومنساته على مفعاله كميضاة في ميضاة ومن ساته اي طرف عصاه مشتقا من
ساة القوس وفيه لغتان كما في قحة وقحة وقرا نافع وابو عمرو منساته بالف ساكنة بدلا من الهمزة
وابن ذكوان بهمزة ساكنة وحمزة اذا وقف جعلها بين بين فلما خر تبينت الجن علمت الجن
بعد التباس الامر عليهم ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين انهم لو كانوا يعلمون
الغيب كما يزعمون لعلموا موته حيثما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره الى ان خر وظهرت الجن
وان بما حيزه بدل منه اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب وذلك ان داود
عليه السلام اسس بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات عليه السلام قبل
تمامه فوصى به الى سليمان فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد اذ دنا اجله واعلم به فاراد ان يعمي
عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكيا على
عصاه فقبض روحه وهو متكي عليها فبقي كذلك حتى اكلتها الارضة فخر ثم فتحوا عنه وارادوا
ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك
فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلاثة عشر سنة
وابتدا عمارة بيت المقدس لاربع مضين من ملكه لقد كان لسبا لاولاد سبا بن يشجب
ابن يعرب بن قحطان ومنع الصرف عنه ابن كثير وابو عمرو لانه صار اسم القبيلة وعن
ابن كثير قلب همزته الفا ولعله اخرجه بين بين فلم يؤده الراوي كما وجب في مسكنهم
في مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مارب بينها وبين صنعا مسيرة ثلاث وقرا
حمزة وحفص بالافراد والفتح والكسائي بالكسر حملا على ما شذ من القياس كالمسجد والمطلع
اية علامة دالة على وجود الصانع المختار وانه قادر على ما يشا من الامور العجيبة مجاز
للمحسن والمسي معا ضميمة للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمان جنتان بدل من اية او خبر
محذوف تقديره الاية جنتان وقرئ بالنصب على المدح والمراد جماعتان من البساتين
عن يمين وشمال جماعة عن يمين بلدتهم وجماعة عن شمالها كل واحدة منها في تقاربها وتضامها
كانها جنة واحدة او بستانا لكل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كلوا من رزق ربكم واشكروا
له حكاية لما قال لهم نبيهم او لسان الحال او دلالة بانهم كانوا احقاء بان يقال لهم ذلك بلدة طيبة

مسكنهم

منها

وا

وربٌّ غفورٌ استئناف للدلالة على موجب الشكر اي هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي
رزقكم وطلب شكركم رب غفور فرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح وقيل
كانت اخصب البلاد واطيبها لم يكن فيها عاهة ولا هامة فاعرضوا عن الشكر فارسلنا عليهم
سيل العرم سيل الامر العرم اي الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب
او المطر الشديد او الجرذ اضاف اليه السيل لانه نقب عليهم سكرا ضربت لهم بلقيس فحقنت به
ماء الشجر وتركت فيه ثقبا على مقدار ما يحتاجون اليه او المسناة التي عقدت سكرا على انه جمع عرمة
وهي الحجارة المركومة وقيل اسم واد جاء السيل من قبله وكان ذلك بين عيسى ومحمد عليهما السلام
وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط ثمر بشع فان الخمط كل نبت اخذ طعما من
مرارة وقيل الاراك او كل شجر لا شوك له والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه في كونه بدلا او عطف بيان واثل وشيء من سدر قليل معطوفان على اكل لا على خمط فان
الاثل هو الطرفا ولا ثمر له وقرئا بالنصب عطفا على جنتين ووصف السدر بالقلة فان جناه
وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك يغرس في البساتين وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم
وقرا ابو عمرو ذواتي اكل بغير تنوين اللام وقرا الحرميان بتخفيف اكل ذلك جزيناهم بما
كفروا بكفرانهم النعمة او بكفرهم بالرسل اذ روي انه بعث اليهم ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم وتقديم
المفعول للتعظيم لا للتخصيص وهل نجازي الا الكفور وهل نجازي بمثل ما فعلنا بهم الا
البليغ في الكفران او الكفر وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وحفص نجازي بالنون والكفور بالنصب
وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها بالتوسعة على اهلها وهي قرى الشام قرى ظاهرة
متواصلة يظهر بعضها لبعض او راكبة متن الطريق ظاهرة لابناء السبيل وقدرنا فيها السير بحيث
يقيل الغادي في قرية ويبيت الرائح في قرية الى ان يبلغ الشام سيروا فيها على ارادة
القول بلسان القال او الحال ليالي واياما متى شئتم من ليل ونهار آمنين لا يختلف الامن فيها
باختلاف الاوقات او سيروا آمنين وان طالت مدة سيركم فيها او سيروا فيها ليالي اعماركم
وايامها لا يلقون فيها الا الامن فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا اشروا النعمة وملوا العافية
كبني اسرائيل وسالوا الله ان يجعل بينهم وبين الشام مفاوز ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل
وتزود الازواد فاجابهم بتخريب القرى المتوسطة وقرا ابن كثير وابو عمرو وهشام بعد
ويعقوب ربنا باعد بلفظ الخبر على انه شكوى منهم لبعد سفرهم افراطا في الترفه وعدم
الاعتداد بما انعم الله عليهم فيه ومثله قراءة من قرا ربنا بعد او بعد على النداء واسناد
الفعل الى بين وظلموا انفسهم حيث بطروا النعمة ولم يعتدوا بها فجعلناهم احاديث
يتحدث الناس بهم تعجبا وضرب مثل فيقولون تفرقوا ايدي سبا ومزقناهم كل ممزق وفرقناهم
غاية التفريق حتى لحق غسان منهم بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان
ان في ذلك فيما ذكر لآيات لكل صبار عن المعاصي شكور على النعم ولقد صدق عليهم ابليس ظنه
اي صدق في ظنه او صدق يظن ظنه مثل فعلته جهدك ويجوز ان يعدى الفعل اليه بنفسه كما في

صدق

صدق وعد لانه نوع من القول وشدده الكوفيون بمعنى حقق ظنه او وجده صادقا وقرئ بنصب
ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا والتخفيف بمعنى قال له ظنه الصدق حتى
خيله اغواءهم وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبا حين راى انهماكهم في
الشهوات او ببني آدم حين راى اباهم النبي ضعيف العزم او ما ركب فيهم من الشهوة والغضب او سمع
من الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها فقال لاضلنهم ولاغوينهم فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين
الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه وتقليلهم بالاضافة الى الكفار او الا فريقا من فرق المؤمنين
لم يتبعوه في العصيان وهم المخلصون وما كان له عليهم من سلطان تسلط واستيلاء بالوسوسة
والاستغواء الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك الا ليتعلق علمنا بذلك تعلقا
يترتب عليه الجزاء او ليتميز المومن من الشاك او ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد
من حصول العلم متعلقه مبالغة وفي نظم الصلتين نكتة لا تخفى وربك على كل شيء حفيظ محافظ
والزنتان متآخيتان قل ادعوا الذين زعمتم اي زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم حذف
الاول لطول صلته والثاني لقيام صفته مقامه ولا يجوز ان يكون هو مفعوله الثاني لانه لا يلتئم
مع الضمير كلاما ولا يملكونه لانهم لا يزعمونه من دون الله والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع
او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل
المكابرة فقال لا يملكون مثقال ذرة من خير او شر في السموات ولا في الارض في امر ما وذكرهما
للعموم العرفي او لان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب
القريبة للشر والخير سماوية وارضية والجملة استئناف لبيان حالهم وما لهم فيهما من شرك
من شركة لا خلقا ولا ملكا وما له منهم من ظهير يعينه على تدبير امرهما ولا تنفع الشفاعة عنده
فلا تنفعهم شفاعة ايضا كما يزعمون اذ لا تنفع الشفاعة عند الله الا لمن اذن له اذن له ان يشفع
او اذن له ان يشفع له لعلو شانه ولم يثبت ذلك واللام في الاول كاللام في قولك الكرم لزيد
وعلى الثاني كاللام في جئتك لزيد وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي اذن له بالضم حتى اذا فزع
عن قلوبهم غاية لمفهوم الكلام من ان ثم توقفا وانتظارا للاذن اي يتربصون فزعين حتى
اذا كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بالاذن وقيل الضمير للملائكة وقد تقدم
ذكرهم وقرا ابن عامر ويعقوب فزع على البناء للفاعل وقرئ فرغ اي نفي الوجل من فرغ الزاد
اذا فني قالوا قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم في الشفاعة قالوا الحق قالوا قال القول الحق وهو
الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون وقرئ بالرفع اي مقوله الحق وهو العلي الكبير ذو العلو
والكبرياء ليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه قل من يرزقكم من السموات والارض يريد به
تقرير قوله لا يملكون قل الله اذ لا جواب سواه وفيه اشعار بانهم ان سكتوا او تلعثموا في الجواب
مخافة الالزام فهم مقرون به بقلوبهم وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين اي وان احد
الفريقين من الموحدين المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية بالعبادة والمشركين به الجماد النازل
في ادنى المراتب الامكانية لعلى احد الامرين من الهدى والضلال المبينين وهو بعد ما تقدم من التقرير

ب

قوله فزع مبنيا للمفعول واقيم مقام الفاعل الجار والمجرور بعده اي ولو كان ضمير قلوبهم للكفار فالفاعل ضمير تقوبهم وان كان للشك فالفاعل ضمير اسم الله

قوله او اياكم عطف على اسم ان وخبر احدهما قيل هو المذكور الاول وحذف الثاني لدلالته عليه وقيل العكس ولا ينبغي حمل الحجين على ظاهرها لانه عليه الصلاة والسلام لم يشك انه على هدى وان الكفار على ضلال وهذا من الكلام المنصف للاستدراج

البالغ الدال على من هو على الهدى ومن هو في الضلال ابلغ من التصريح لانه في صورة الانصاف المسكت
للخصم المشاغب ونظيره قول حسان اتهجوه ولست له بكفوء * فشركما لخيركما الفداء * وقيل انه على
اللف والنشر وفيه نظر واختلاف الحرفين لان الهادي كمن صعد منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها
او ركب جوادا يركضه حيث يشاء والضال كانه منغمس في ظلام مرتبك لا يرى شيئا او محبوس في مطمورة
لا يستطيع ان يتفصى منها قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون هذا ادخل في
الانصاف وابلغ في الاخبات حيث اسند الاجرام الى انفسهم والعمل الى المخاطبين قل يجمع بيننا
ربنا يوم القيامة ثم يفتح بيننا بالحق يحكم ويفصل بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار
وهو الفتاح الحاكم الفيصل في القضايا المنغلقة العليم بما ينبغي ان يقضى به قل اروني
الذين الحقتم به شركاء لارى باي صفة الحقتموهم بالله في استحقاق العبادة وهو استفسار
عن شبهتهم بعد الزام الحجة عليهم زيادة في تبكيتهم كلا ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال
المقايسة بل هو الله العزيز الحكيم الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة وهؤلاء الملحقون متسمة
بالذلة متأبية عن قبول العلم والقدرة راسا والضمير لله او للشان وما ارسلناك الا كافة
للناس الا ارسالة عامة لهم من الكف فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم او
الا جامعا لهم في الابلاغ فهي حال من الكاف والتاء للمبالغة ولا يجوز جعلها حالا من الناس على المختار
بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيحملهم جهلهم على مخالفتك ويقولون من فرط جهلهم
متى هذا الوعد يعنون المبشر به والمنذر عنه او موعود بقوله يجمع بيننا ربنا ان كنتم صادقين
يخاطبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين قل لكم ميعاد يوم وعد يوم او زمان وعد
واضافته الى اليوم للتبيين ويؤيده انه قرئ يوم على البدل وقرئ يوما باضمار اعني لا تستأخرون
عنه ساعة ولا تستقدمون اذا فاجأكم وهو جواب تهديد جاء مطابقا لما قصدوه بسؤالهم
من التعنت والانكار وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولا بما تقدمه
من الكتب الدالة على البعث قيل ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب عن الرسول صلى الله عليه وسلم
فاخبروهم انهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه يوم القيامة
ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم اي في موضع المحاسبة يرجع بعضهم الى بعض القول
يتحاورون ويتراجعون القول يقول الذين استضعفوا يقول الاتباع للذين استكبروا
للرؤسا لولا انتم لولا اضلالكم وصدكم ايانا عن الايمان لكنا مؤمنين باتباع الرسل قال الذين
استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين انكروا
انهم كانوا صادين لهم عن الايمان واثبتوا انهم هم الذين صدوا انفسهم حيث اعرضوا عن الهدى
وآثروا التقليد عليه ولذلك بنوا الانكار على الاسم وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا
بل مكر الليل والنهار اضراب عن اضرابهم اي لم يكن اجرامنا الصاد بل مكركم لنا دائبا ليلا
ونهارا حتى اغرتم علينا رأينا اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا والعاطف يعطفه
على كلامهم الاول واضافة المكر الى الظرف على الاتساع وقرئ مكر الليل بالنصب على المصدر ومكرا

الليل

الليل بالتنوين ونصب الظرف ومكر الليل من الكرور واسروا الندامة لما رأوا العذاب واضمر
الفريقان الندامة على الضلال والاضلال واخفاها كل عن صاحبه مخافة التعيير او اظهروها
فانه من الاضداد اذ الهمزة تصلح للاثبات والسلب كما في اشكيته وجعلنا الاغلال في اعناق
الذين كفروا اي في اعناقهم فجاء بالظاهر تنويها بذمهم واشعارا بموجب اغلالهم هل يجزون الا
ما كانوا يعملون اي لا يفعل بهم ما يفعل الا جزاء على اعمالهم وتعديته يجزى اما لتضمين معنى
يقضي او لنزع الخافض وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها تسلية لرسول الله
مما مني به من التكذيب والكفر بما جاء به وغير ذلك من قومه وتخصيص المتنعمين بالتكذيب لان الداعي
المعظم الى التكبر والمفاخرة بزخارف الدنيا الانهماك في الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها
ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة الى التكذيب فقالوا انا بما ارسلتم به كافرون مقابلة الجمع
بالجمع وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا فنحن اولى بما تدعونه ان امكن وما نحن بمعذبين اما لان العذاب
لا يكون او لانه اكرمنا بذلك فلا يهيننا بالعقاب قل ردا لحسبانهم ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
قرئ بالتشديد والتخفيف ولذلك يختلف فيه الاشخاص المتماثلة في الخصائص والصفات ولو كان
ذلك لكرامة وهوان يوجبانه لم يكن بمشيئته ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيظنون ان كثرة الاموال
والاولاد للشرف والكرامة وكثيرا ما يكون للاستدراج كما قال وما اموالكم ولا اولادكم بالتي
تقربكم عندنا زلفى قربة والتي اما لان المراد وما جماعة اموالكم واولادكم او لانها صفة
محذوفة كالتقوى والخصلة وقرئ بالذي اي بالشيء الذي يقربكم الا من آمن وعمل صالحا
استثناء من مفعول تقربكم اي الاموال والاولاد لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي
ينفق ماله في سبيل الله ويعلم ولده الخير ويربيه على الصلاح او من اموالكم واولادكم على
حذف المضاف فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا ان يجازوا الضعف الى عشر فما فوقه
والاصل اضافة المصدر الى المفعول وقرئ بالاعمال على الاصل وعن يعقوب رفعهما على
ابدال الضعف من جزاء ونصب الجزاء على التمييز او المصدر لفعله الذي دل عليه لهم وهم
في الغرفات آمنون من المكاره وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرأ حمزة في الغرفة على ارادة الجنس
والذين يسعون في آياتنا بالرد والطعن فيها معاجزين مسابقين لانبيائنا او ظانين انهم يفوتوننا
اولئك في العذاب محضرون قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يوسع عليه تارة
ويضيق عليه اخرى فهذا في شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق في شخصين فلا تكرير وما انفقتم
من شيء فهو يخلفه عوضا اما عاجلا او آجلا وهو خير الرازقين فان غيره وسط في ايصال رزقه
لا حقيقة لرازقيته ويوم يحشرهم جميعا المستكبرين والمستضعفين ثم يقول للملائكة اهؤلاء
اياكم كانوا يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم واقناطا لهم عما يتوقعون من شفاعتهم وتخصيص
الملائكة لانهم اشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك واصله
وقرأ حفص بالياء فيهما قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم انت الذي نواليه من دونهم لا موالاة
بيننا وبينهم بل كانوا يعبدون الجن اي الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله وقيل كانوا يتمثلون

عي

جاءتكم اموالكم والاولاد

لهم وتخيلون اليهم انهم الملائكة فيعبدونهم اكثرهم بهم مؤمنون الضمير الاول للانس او للمشركين
والاكثر بمعنى الكل والثاني للجن فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا اذ الامر فيه كله له لان
الدار دار جزا وهو المجازي وحده ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون
عطف على لا يملك مبين للمقصود من تمهيده واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قالوا ما هذا يعنون محمدا
عليه السلام الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه وقالوا ما هذا
يعني القران الا افك لعدم مطابقة ما فيه الواقع مفترى باضافته الى الله سبحانه وتعالى وقال الذين
كفروا للحق لما جاءهم لامر النبوة او الاسلام او القران والاول باعتبار معناه وهذا باعتبار لفظه
واعجازه ان هذا الا سحر مبين ظاهر سحريته وفي تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما في اللامين
من الاشارة الى القايلين والمقول فيه وما في لما من المبادهة الى البت انكار عظيم
له وتعجب بليغ منه وما اتيناهم من كتب يدرسونها فيها دليل على صحة الاشراك وما ارسلنا اليهم
قبلك من نذير يدعوهم اليه وينذرهم على تركه وقد بان من قبل ان لا وجه له فمن اين وقع لهم هذه
الشبهة وهذا في غاية التجهيل لهم والتسفيه لرايهم ثم هددهم فقال وكذب الذين من قبلهم
كما كذبوا وما بلغوا معشار ما اتيناهم وما بلغ هولاء عشر ما اتينا اولئك من القوة وطول
العمر وكثرة المال او ما بلغ اولئك عشر ما اتينا هولاء من البينات والهدى فكذبوا رسلي فكيف كان
نكير فحين كذبوا رسلي جاءهم انكاري بالتدمير فكيف كان نكيري لهم فليحذر هولاء من مثله ولا
تكرير في كذب لان الاول للتكثير والثاني للتكذيب او الاول مطلق والثاني مقيد ولذلك
عطف عليه بالفا قل انما اعظكم بواحدة ارشدكم وانصح لكم بخصلة واحدة هي ما دل عليه ان تقوموا
لله وهو القيام من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم او الانتصاب في الامر خالصا لوجه الله معرضا
عن المرا والتقليد مثنى وفرادى متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش
الخاطر ويخلط القول ثم تتفكروا في امر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به لتعلموا حقيقته ومحله الجر
على البدل او البيان او الرفع او النصب باضمار هو او اعني ما بصاحبكم من جنة فتعلموا ما به جنون
يحمله على ذلك او استيناف على ان ما عرفوا من رجاحة عقله كاف في ترجح صدقه فانه لا يدعه
الى ان يتصدى لادعا امر خطير وخطب عظيم من غير تحقق ووثوق وبرهان فيفتضح على رؤوس الاشهاد
ويسلم ويلقي نفسه الى الهلاك فكيف وقد انضم اليه معجزات كثيرة وقيل ما استفهامية والمعنى
ثم تتفكروا اي شي به من اثار الجنون ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قدامه لانه مبعوث
في نسم الساعة قل ما سالتكم من اجر اي شي سالتكم من اجر على الرسالة فهو لكم والمراد نفي السؤال
عنه كانه جعل التنبي مستلزما لاحد الامرين اما الجنون واما توقع نفع دنيوي عليه لانه اما ان
يكون لغرض وغيره وايا ما كان يلزم احدهما ثم نفى كلا منهما وقيل ما موصولة مراد بها ما سالهم
بقوله ما اسالكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وقوله لا اسالكم عليه اجرا الا
المودة في القربى واتخاذ السبيل ينفعهم وقرباه قرباهم ان اجري الا على الله وهو على كل شي شهيد
مطلع يعلم صدقي وخلوص نيتي وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي وابو بكر باسكان اليا قل ان ربي يقذف بالحق

يلقيه وينزله

يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمي به الباطل فيدمغه او يرمي به الى اقطار الافاق فيكون
وعدا باظهار الاسلام وافشائه وقرا نافع وابو عمرو بفتح اليا علام الغيوب صفة محمولة على محل ان
واسمها او بدل من المستكن في يقذف او خبر ثان او خبر محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي او مقدر
باعني وقرا حمزة وابو بكر الغيوب بالكسر كالبيوت والباقون بالضم كالعشور وقرئ بالفتح على انه
مبالغة غايب قل جاء الحق اي الاسلام وما يبدئ الباطل وما يعيد وزهق الباطل اي الشرك بحيث
لم يبق له اثر ماخوذ من هلاك الحي فانه اذا هلك لم يبق له ابدا ولا اعادة قال
* اقفر من اهله عبيد * فاليوم لا يبدي ولا يعيد * وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا
ولا يعيده او لا يبدي خيرا لاهله ولا يعيده وقيل ما استفهامية منتصبة بما بعده قل ان ضللت
عن الحق فانما اضل على نفسي فان وبال ضلالي عليها لانه بسببها اذ هي الجاهلة بالذات والامارة
بالسوء وبهذا الاعتبار قابل الشرطية بقوله وان اهتديت فبما يوحي الي ربي فان الاهتداء بهدايته
وتوفيقه انه سميع قريب يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله وان اخفاه ولو ترى اذ فزعوا
عند الموت او البعث او يوم بدر وجواب لو محذوف مثل لرايت فظيعا فلا فوت فلا يفوتون الله
بهرب او تحصن واخذوا من مكان قريب من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف الى النار او من صحرا
بدر الى القليب والعطف على فزعوا او لا فوت ويؤيده انه قرئ واخذ عطفا على محله اي فلا فوت هناك
وهناك اخذ وقالوا امنا به بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد مر ذكره في قوله ما بصاحبكم وانى لهم التناوش
ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا من مكان بعيد فانه في حيز التكليف وقد بعد عنهم
وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالايمان بعد ما فات عنهم وبعد عنهم بحال من يريد ان يتناول الشي
من غلوة تناوله من ذراع في الاستحالة وقرا ابو عمرو والكوفيون غير حفص بالهمز على قلب الواو لضمتها
او انه من ناشت الشي اذا طلبته قال رؤبة * حار ابي الخاموش اليك * ناش العدو النوش * او من ناشت
اذا تاخرت ومنه قوله * تمنى نئيشا ان يكون اطاعني * وقد حدثت بعد الامور امور * فيكون
بمعنى التناول من بعد وقد كفروا به بمحمد صلى الله عليه وسلم او بالعذاب من قبل من قبل ذلك اوان التكليف
ويقذفون بالغيب ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم في الرسول صلى الله عليه وسلم من المطاعن
او في العذاب من البت على نفيه من مكان بعيد من جانب بعيد من امره وهو الشبه التي تمحلوها في امر
الرسول وحال الاخرة كما حكاه من قبل ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئا لا يراه من مكان
بعيد لا مجال للظن في لحوقه وقرئ ويقذفون على ان الشيطان يلقي اليهم ويلقنهم ذلك والعطف على وقد
كفروا على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوه من
الايمان في الدنيا وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان والنجاة به من النار وقرا ابو عمرو و
والكسائي باشمام الضم للحا كما فعل باشياعهم من قبل باشباههم من كفرة الامم الدارجة انهم كانوا في
شك مريب موقع في الريبة او ذي ريبة منقول من المشكك او الشاك نعت به الشك للمبالغة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة سبا لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا والله اعلم
سورة الملائكة مكية وايها خمس واربعون اية بسم الله الرحمن الرحيم

ونى

الحمد لله فاطر السموات والارض مبدعهما من الفطر بمعنى الشق كانه شق العدم باخراجهما منه والاضافة
محضة لانه بمعنى الماضي جاعل الملائكة رسلا وسايط بين الله وبين انبيائه والصالحين من عباده
يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام والرويا الصادقة او بينه وبين خلقه يوصلون اليهم
اثار صنعه اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع ذوي اجنحة متعددة متفاوتة بتفاوت ما لهم
من المراتب ينزلون بها ويعرجون ويسرعون بها نحو ما وكلهم الله عليه فيتصرفون فيه على ما
امرهم به ولعله لم يرد به خصوصية الاعداد ونفي ما زاد عليها لما روي انه عليه السلام راى جبريل
عليه السلام ليلة المعراج وله ستمائة جناح يزيد في الخلق ما يشاء استيناف للدلالة على ان تفاوتهم
في ذلك مقتضى مشيئته ومؤدى حكمته لا امر تستدعيه ذواتهم لان اختلاف الاصناف والانواع
بالخواص والفصول ان كان لذواتهم المشتركة لزم تنافي لوازم الامور المتفقة وهو محال والاية
متناولة زيادات الصور والمعاني كملاحة الوجه وحسن الصوت وحصافة العقل وسماحة النفس
ان الله على كل شيء قدير وتخصيص بعض الاشياء بالتحصيل دون بعض انما هو من جهة الارادة ما يفتح
الله للناس ما يطلق لهم ويرسل وهو من تجوز السبب للمسبب من رحمة بجنسها فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل
له بطلقه واختلاف الضميرين لان الموصول الاول مفسر بالرحمة والثاني مطلق يتناولها
والغضب وفي ذلك اشعار بان رحمته سبقت غضبه من بعده من بعد امساكه وهو العزيز
الغالب على ما يشاء ليس لاحد ان ينازعه فيه الحكيم لا يفعل الا بعلم واتقان ثم لما بين انه الموجد للملك والملكوت
والمتصرف فيهما على الاطلاق امر الناس بشكر انعامه فقال يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم
احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة مولاها ثم انكر ان يكون لغيره في ذلك مدخل
فيستحق ان يشرك به بقوله هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فانى
تؤفكون فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد الى اشراك غيره ورفع غير للحمل على محل من خالق بانه وصف
او بدل فان الاستفهام بمعنى النفي او لانه فاعل خالق او استيناف مفسر له او كلام مبتدا وعلى الاخير
يكون اطلاق هل من خالق مانعا من اطلاقه على غير الله وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك اي
فتاس بهم في الصبر على تكذيبهم فوضع فقد كذبت موضعه استغناء بالسبب عن المسبب وتنكير
رسل للتعظيم المقتضي زيادة التسلية والحث على المصابرة والى الله ترجع الامور فيجازيكم واياهم
على الصبر والتكذيب يا ايها الناس ان وعد الله بالحشر والجزاء حق لا خلف فيه فلا تغرنكم الحياة
الدنيا فيذهلكم التمتع بها عن طلب الاخرة والسعي لها ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بان
يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية فانها وان امكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول
السم اعتمادا على دفع الطبيعة وقرئ بالضم وهو مصدر او جمع كقعود ان الشيطان لكم عدو
عداوة عامة قديمة فاتخذوه عدوا في عقائدكم وافعالكم وكونوا على حذر منه في مجامع
احوالكم انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير تقرير لعداوته وبيان لغرضه في دعوة
شيعته الى اتباع الهوى والركون الى الدنيا الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين امنوا وعملوا
الصالحات لهم مغفرة واجر كبير وعيد لمن اجاب دعاءه ووعد لمن خالفه وقطع للاماني

وجره حمزة والكسائي حملا على لفظه وقد نصب على الاستثناء ويرد قولكم صفة لخالق صح

النفية

الفارغة

الفارغة وبناء للامر كله على الايمان والعمل الصالح وقوله افمن زين له سوء عمله فراه حسنا تقرير
له اي افمن زين له سوء عمله بان غلب وهمه وهواه على عقله حتى انتكس رايه فراى الباطل حقا
والقبيح حسنا كمن لم يزين له بل وفق حتى عرف الحق واستحسن الاعمال واستقبحها على ما هي عليه فحذف
الجواب لدلالة فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقيل تقديره افمن زين له سوء عمله ذهبت
نفسك عليهم حسرات على غيهم واصرارهم على التكذيب حسرة فحذف الخبر الجواب لدلالة فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات عليه ومعناه فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيهم واصرارهم على
التكذيب والفاآت الثلاث للسببية غير ان الاوليين دخلتا على السبب والثالثة دخلت على
المسبب وجمع الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه على احوالهم او كثرة مساوي افعالهم المقتضية
للتاسف وعليهم ليس صلة لها لان صلة المصدر لا تتقدمه بل صلة تذهب او بيان للمتحسر عليه
ان الله عليم بما يصنعون فيجازيهم عليه والله الذي ارسل الرياح وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي
الريح فتثير سحابا على حكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعية الدالة على
كمال الحكمة ولان المراد بيان احداثها بهذه الخاصية ولذلك اسنده اليها ويجوز ان يكون اختلاف
الافعال للدلالة على استمرار الامر فسقناه الى بلد ميت وقرا نافع وحمزة والكسائي وحفص بالتشديد
اليا فاحيينا به الارض بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكره او بالسحاب فانه سبب السبب
او الصاير مطرا بعد موتها بعد يبسها والعدول فيهما من الغيبة الى ما هو ادخل في الاختصاص
لما فيهما من مزيد الصنع كذلك النشور اي مثل احياء الموات نشور الاموات في صحة المقدورية
اذ ليس بينهما الا احتمال اختلاف المادة في المقيس والمقيس عليه وذلك لا مدخل فيها وقيل
في كيفية الاحياء فانه تعالى يرسل ماء من تحت العرش تنبت منه اجساد الخلق من كان يريد
العزة الشرف والمنعة فلله العزة جميعا اي فليطلبها من عنده فان كلها له فاستغنى
بالدليل عن المدلول اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه بيان لما تطلب به العزة
وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز عن قبوله اياهما او صعود الكتبة
بصحيفتهما والمستكن في يرفعه للكلم فان العمل لا يقبل الا بالتوحيد ويؤيده انه نصب وقرئ به
العمل او للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه او لله وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة
وقرئ يصعد على البناء للمفعول والمصعد هو الله تعالى او المتكلم به او الملك وقيل الكلم الطيب
يتناول الذكر والدعاء وقراءة القران وعنه عليه الصلاة والسلام هو سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا
لم يكن عمل صالح لم يقبل والذين يمكرون السيئات المكرات السيئات يعني مكرات قريش للنبي
صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وتداورهم الراي في احدى ثلاث حبسه وقتله واجلائه لهم
عذاب شديد لا يؤبه دونه بما يمكرون به ومكر اولئك هو يبور يفسد ولا ينفذ لان الامور
مقدرة لا تتغير به كما دل عليه بقوله والله خلقكم من تراب بخلق ادم منه ثم من نطفة
بخلق ذريته منها ثم جعلكم ازواجا ذكرانا واناثا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه

٣

نخ الاولين دخلا

نخ على غيهم

نخ داخل

الا معلومة له وما يعمر من معمر وما يمد في عمره من مصيره الى الكبر ولا ينقص من عمره من عمر المعمر
لغيره بان يعطى له عمر ناقص من عمره او لا ينقص من عمر المنقوص عمره بجعله ناقصا والضمير له
وان لم يذكر لدلالة مقابله عليه او للمعمر على التسامح فيه ثقة بفهم السامع كقولهم لا يثيب الله عبدا
ولا يعاقبه الا بحق وقيل الزيادة والنقصان في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت في اللوح
مثل ان يكتب ان حج عمرو فعمره ستون سنة والا فاربعون وقيل المراد بالنقصان ما يمضي من عمره وينقص
فانه يكتب في صحيفة عمره يوما فيوما وعن يعقوب ولا ينقص على البناء للفاعل الا في كتاب هو علم الله
او اللوح او الصحيفة ان ذلك على الله يسير اشارة الى الحفظ او الزيادة والنقص وما يستوي البحران
هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب مثل للمؤمن والكافر والفرات الذي يكسر العطش
والسائغ الذي يسهل انحداره والاجاج الذي يحرق بملوحته وقرئ سيغ بالتشديد والتخفيف وملح
على فعل ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها استطراد في صفة
البحرين وما فيهما من النعم او تمام التمثيل والمعنى كما انهما وان اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان
من حيث انهما لا يتساويان فيما هو المقصود بالذات من الماء فانه خالط احدهما ما افسده وغيره
عن كمال فطرته لا يتساوى المؤمن والكافر وان اتفق اشتراكهما في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة
لاختلافهما فيما هو الخاصية العظمى وبقاء احدهما على الفطرة الاصلية دون الاخر او تفضيل
للاجاج على الكافر بما يشارك العذب من المنافع والمراد بالحلية اللآلي واليواقيت وترى الفلك
فيه في كل مواخر تشق الماء بجريها لتبتغوا من فضله من فضل الله بالتفكر فيها واللام متعلقة بمواخر
ويجوز ان يتعلق بما دل عليه الافعال المذكورة ولعلكم تشكرون على ذلك وحرف الترجي باعتبار
ما يقتضيه ظاهر الحال يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل
مسمى هو مدة دوره او منتهاه او يوم القيامة ذلكم الله ربكم له الملك الاشارة الى الفاعل لهذه
الاشياء وفيها اشعار بان فاعليته لها موجبة لثبوت الاخبار المترادفة ويحتمل ان يكون له الملك كلاما
مبتدأ في قران والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير للدلالة على تفرده بالالوهية
والربوبية والقطمير لفافة النواة ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا على
سبيل الفرض ما استجابوا لكم لعدم قدرتهم على الانفاع او لتبريهم منكم مما تدعون لهم ويوم
القيامة يكفرون بشرككم باشراككم لهم يقرون ببطلانه او يقولون ما كنتم ايانا تعبدون
ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير به اخبرك وهو الله سبحانه فانه الخبير به على الحقيقة
دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به من حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم يا ايها الناس انتم
الفقراء الى الله في انفسكم وما يعن لكم وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كانهم لشدة
افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء وان افتقار سائر الخلائق بالاضافة الى فقرهم غير معتد
به ولذلك قال وخلق الانسان ضعيفا والله هو الغني الحميد المستغني على الاطلاق المنعم على سائر
الموجودات حتى استحق عليهم الحمد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد بقوم آخرين اطوع منكم
او بعالم آخر غير ما تعرفونه وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر ولا تزر وازرة وزر اخرى

ولا تحمل

ولا تحمل نفس ثمة اثم اخرى واما قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم ففي الضالين المضلين فانهم يحملون
اثقال اضلالهم مع اثقال ضلالهم وكل ذلك اوزارهم ليس فيها شيء من اوزار غيرهم وان تدع مثقلة اي
نفس اثقلها الاوزار الى حملها تحمل بعض اوزارها لا يحمل منه شيء لم تجب لحمل شيء منه نفى ان تحمل عنها ذنبها
كما نفى ان يحمل عليها ذنب غيرها ولو كان ذا قربى ولو كان المدعو ذا قرابتها فاضمر المدعو لدلالة ان تدع
عليه وقرئ ذو قربى على حذف الخبر وهو اولى من جعل كان التامة فانها لا تلائم نظم الكلام انما تنذر الذين
يخشون ربهم بالغيب غائبين عن عذابه او عن الناس في خلواتهم او غائبا عنهم عذابه واقاموا الصلاة فانهم
المنتفعون بالانذار لا غير واختلاف الفعلين لما مر ومن تزكى ومن تطهر عن دنس المعاصي فانما يتزكى لنفسه
اذ نفعه لها وقرئ ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلاة لانهما من جملة التزكي
والى الله المصير فيجازيهم على تزكيهم وما يستوي الاعمى والبصير الكافر والمؤمن وقيل هما مثلان للصنم
ولله عز وجل ولا الظلمات ولا النور ولا الباطل ولا الحق ولا الظل ولا الحرور ولا الثواب ولا العقاب
ولا لتاكيد نفي الاستواء وتكريرها على الشقين لمزيد التاكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم
وقيل السموم ما يهب نهارا والحرور ما يهب ليلا وما يستوي الاحياء ولا الاموات تمثيل اخر للمؤمنين والكافرين
ابلغ من الاول ولذلك كرر الفعل وقيل للعلماء والجهلاء ان الله يسمع من يشاء هدايته فيوفقه لفهم
آياته والاتعاظ بعظاته وما انت بمسمع من في القبور ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات
ومبالغة في اقناطه عنهم ان انت الا نذير فما عليك الا الانذار اما الاسماع فلا اليك ولا حيلة لك اليه
في المطبوع على قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى انا ارسلناك بالحق محقين او محقا او ارسالا مصحوبا
بالحق ويجوز ان يكون صلة لقوله بشيرا ونذيرا اي بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق وان
من امة اهل عصر الا خلا مضى فيها نذير من نبي او عالم ينذر عنه والاكتفاء بذكره للعلم بان النذارة
قرينة البشارة سيما وقد قرن به من قبل ولان الانذار هو المقصود الاهم من البعثة وان يكذبوك
فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم وبالزبر
وبصحف ابراهيم وبالكتاب المنير كالتوراة والانجيل على ارادة التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد
بها واحد والعطف لتغاير الوصفين ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير اي انكاري بالعقوبة
الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها اجناسها او اصنافها على
ان كلا منهما ذو اصناف مختلفة او هيآتها من الصفرة والخضرة ونحوهما ومن الجبال جدد اي
ذو جدد اي خطط وطرائق ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع
جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح بيض وحمر مختلف الوانها بالشدة
والضعف وغرابيب سود عطف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال ذو جدد مختلفة
اللون ومنها غرابيب متحدة اللون وهو تاكيد مضمر يفسره ما بعده فان الغرابيب تاكيد للاسود
ومن حق التاكيد ان يتبع المؤكد ونظير ذلك في الصفة قول النابغة والمؤمن العائذات الطير وفي مثله
مزيد تاكيد لما فيه من التكرير باعتبار الاضمار والاظهار ومن الناس والدواب والانعام مختلف
الوانه كاختلاف الثمار والجبال انما يخشى الله من عباده العلماء اذ شرط الخشية معرفة المخشي

كذلك

وقرئ بفتح يا الخطاب وكسر الميم
اسند الفعل الى ضمير الفعل
المحذوف

قوله مختلفا نعت لثمرات والوانها فاعل به
ولولا ذلك لقال مختلفة لكنه لما اسند الى جمع
تكسير غير عاقل جاز تذكيره ولو قيل مختلفة
كان وقد روي

قوله ونظير ذلك اي ان الضمير المؤكد قبل
ويكون الذي بعده تفسيرا لما اضمر قول
النابغة معناه انه اقسم بالذي
امن الطير العايذات بالحرم

Right page

والعلم بصفاته وافعاله فمن كان اعلم به فهو اخشى منه ولذلك قال عليه السلام اني اخشاكم لله واتقاكم
له ولذلك اتبعه بذكر افعاله الدالة على كمال قدرته وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو اخر
لانعكس الامر وقرئ برفع اسم الله ونصب العلماء على ان الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا
ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب
عن عصيانه ان الذين يتلون كتاب الله يداومون قراءته او متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم
وعنوانا والمراد بكتاب الله القرآن او جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص
حال المكذبين واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية كيف اتفق من غير قصد
اليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة يرجون تجارة تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر
ان لن تبور لن تكسد ولن تهلك بالخسران صفة للتجارة وقوله ليوفيهم اجورهم علة
لمدلوله اي ينتفي عنه الكساد وينفق عند الله ليوفيهم بنفاقها اجور اعمالهم او لمدلول ما عد من
امتثالهم نحو فعلوا ذلك ليوفيهم او عاقبة ليرجون ويزيدهم من فضله على ما يقابل اعمالهم
انه غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم اي مجازيهم عليها وهو علة للتوفية والزيادة او خبر
ان ويرجون حال من واو وانفقوا والذي اوحينا اليك من الكتاب يعني القرآن ومن للتبيين
او الجنس ومن للتبعيض هو الحق مصدقا لما بين يديه احقه مصدقا لما تقدمه من الكتب
السماوية حال مؤكدة لان حقيقته تستلزم موافقته اياه في العقائد واصول الاحكام ان الله
بعباده لخبير بصير عالم بالبواطن والظواهر فلو كان في احوالك ما ينافي النبوة لم يوح اليك
مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبير للدلالة على ان العمدة في ذلك
الامور الروحانية ثم اورثنا الكتاب حكمنا بتوريثه منك او نورثه فعبر عنه بالماضي
لتحققه او اورثناه من الامم السالفة والعطف على ان الذي والذي اوحينا اليك اعتراض
لبيان كيفية التوريث الذين اصطفينا من عبادنا يعني علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم
او الامة باسرهم فان الله اصطفاهم على سائر الامم فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير في العمل
ومنهم مقتصد يعمل به في اغلب الاوقات ومنهم سابق بالخيرات باذن الله بضم التعليم
والارشاد الى العمل وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم
والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيئ والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته
مكفرة وهو معنى قوله عليه السلام اما الذين سبقوا فاولئك يدخلون الجنة بغير حساب
واما الذين اقتصدوا فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون
في طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته وقيل الظالم الكافر على ان الضمير للعباد وتقديمه لكثرة
الظالمين ولان الظلم بمعنى الجهل والركون الى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد والسبق عارضان
ذلك هو الفضل الكبير اشارة الى التوريث او الاصطفاء او السبق جنات عدن يدخلونها مبتدأ وخبر
والضمير للثلاثة او للذين او للمقتصد والسابق فان المراد بهما الجنس وقرئ جنة عدن وجنات
منصوبة بفعل يفسره الظاهر وقرأ ابو عمرو يدخلونها على بناء المفعول يحلون فيها خبر ثان او حال مقدرة

Left page

وقرئ يحلون من حليت المرأة فهي حالية من اساور من ذهب من الاولى للتبعيض والثانية للتبيين
ولؤلؤا عطف على ذهب اي من ذهب مرصع باللؤلؤ او من ذهب في صفاء اللؤلؤ ونصبه نافع
وعاصم عطفا على محل من اساور ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن
همهم من خوف العاقبة او همهم من اجل المعاش وآفاته او من وسوسة ابليس وغيرها وقرئ
الحزن ان ربنا لغفور للمذنبين شكور للمطيعين الذي احلنا دار المقامة دار الاقامة من فضله
من انعامه وتفضله اذ لا واجب عليه لا يمسنا فيها نصب تعب ولا يمسنا فيها لغوب
كلال اذ لا تكليف فيها ولا كد اتبع نفي النصب نفي ما يتبعه مبالغة والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى
عليهم لا يحكم عليهم بموت ثان فيموتوا فيستريحوا ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على
يقضى كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها بل كلما خبت زيد استعارها
كذلك مثل ذلك الجزاء نجزي كل كفور مبالغ في الكفر او الكفران وقرأ ابو عمرو يجزى على بناء
المفعول واسناده الى كل وقرئ يجازى وهم يصطرخون فيها يستغيثون يفتعلون من
الصراخ وهو الصياح استعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته ربنا اخرجنا نعمل
صالحا غير الذي كنا نعمل باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه
من غير الصالح والاعتراف والاشعار بان استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبون انه صالح
والان تحقق لهم خلافه اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير جواب من الله وتوبيخ
لهم وما يتذكر فيه متناول لكل عمر تمكن المكلف فيه من التفكر والتذكر وقيل ما بين العشرين
الى الستين وعنه عليه السلام العمر الذي اعذر الله فيه ابن آدم ستون سنة والعطف على معنى اولم
نعمركم فانه للتقرير كانه قيل عمرناكم وجاءكم النذير وهو النبي او الكتاب وقيل العقل او الشيب او موت
الاقارب فذوقوا فما للظالمين من نصير يدفع عنهم العذاب ان الله عالم غيب السموات والارض
لا يخفى عليه خافية فلا يخفى عليه احوالهم انه عليم بذات الصدور تعليل له لانه اذا علم مضمرات
الصدور وهي اخفى ما يكون كان اعلم بغيرها هو الذي جعلكم خلائف في الارض يلقي اليكم مقاليد
التصرف فيها وقيل خلفا بعد خلف جمع خليفة والخلفاء جمع خليف فمن كفر فعليه كفره جزاء كفره
ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا
بيان له والتكرير للدلالة على ان اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين مستقل باقتضاء قبحه ووجوب
التجنب عنه والمراد بالمقت وهو اشد البغض مقت الله وبالخسار خسار الآخرة قل ارأيتم شركاءكم
الذين تدعون من دون الله يعني آلهتهم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء الله او لانفسهم فيما
يملكونه اروني ماذا خلقوا من الارض بدل من ارأيتم بدل الاشتمال لانه بمعنى اخبروني كانه قال
اخبروني عن هؤلاء الشركاء اي جزء من الارض استبدوا بخلقه ام لهم شرك في السموات ام لهم شركة
مع الله في خلق السموات فاستحقوا بذلك شركة في الالوهية ذاتية ام آتيناهم كتابا ينطق
على انا اتخذناهم شركاء فهم على بينة منه على حجة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز ان
يكون هم للمشركين لقوله ام انزلنا عليهم سلطانا وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب وابو بكر والكسائي على بينات

فيكون ايما الي ان الشرك خطير لابد فيه من تعاضد الدلايل بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا
لما نفي انواع الحجج في ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف الاخلاف او
الروسا الاتباع بانهم شفعا عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليهم ان الله يمسك السموات
والارض ان تزولا كراهة ان تزولا فان الممكن حال بقايه لابد له من حافظ او يمنعهما ان تزولا
لان الامساك منع ولين زالتا ان امسكهما ما امسكهما من احد من بعده من بعد الله
او من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين ومن الاولي زايدة والثانية للابتدا انه
كان حليما غفورا حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا كما قال تكاد السموات
يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا واقسموا بالله جهد ايمانهم لين جاءهم نذير
ليكونن اهدي من احدي الامم وذلك ان قريشا لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم
قالوا لعن الله اليهود والنصاري لو اتانا رسول لكنا اهدي من احدي الامم اي من واحدة
من الامم اليهود والنصاري وغيرهم او من الامة التي يقال فيها احدي الامم تفضيلا لها علي
غيرها في الهدي والاستقامة فلما جاءهم نذير يعني محمدا صلي الله عليه وسلم ما زادهم اي
النذير او مجيه علي التسبب الا نفورا تباعدا عن الحق استكبارا في الارض بدل من نفورا
او مفعول له ومكر السيء واصله وان مكروا المكر السيء فحذف الموصوف واستغني
بوصفه ثم بدل ان مع الفعل بالمصدر ثم اضيف وقرا حمزة وحده بسكون الهمزة في
الوصل ولا يحيق ولا يحيط المكر السيء الا باهله وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر وقري ولا
يحيق المكر اي لا يحيق الله فهل ينظرون ينتظرون الا سنة الاولين سنة الله فيهم
بتعذيب مكذبيهم فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا اذ لا يبدلها بجعله
غير التعذيب تعذيبا ولا يحولها بان ينقله من المكذبين الي غيرهم وقوله اولم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهاد عليه بما يشاهدونه في مسايرهم
الي الشام واليمن والعراق من اثار الماضين وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء ليسبقه
ويفوته في السموات ولا في الارض انه كان عليما بالاشيا كلها قديرا عليها ولو يواخذ الله
الناس بما كسبوا من المعاصي ما ترك علي ظهرها ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها بشوم معاصيهم
وقيل المراد بالدابة الانس وحده لقوله ولكن يوخرهم الي اجل مسمي هو يوم القيامة فاذا جاء
اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم علي اعمالهم عن النبي صلي الله عليه وسلم من قرا
سورة الملايكة دعته ثمانية ابواب الجنة اي ادخل من اي باب شيت والله تعالي اعلم

سورة يس ثمانون وثلث اية يدعي المعمة تعم صاحبها خير الدارين والدافعة والقاضية تدفع عنه
كل سوء وتقضي كل حاجة

بسم الله الرحمن الرحيم يس كالم في المعني
والاعراب وقيل معناه يا انسان بلغة طي علي ان اصله يا انيسين فاقتصر علي شطره لكثرة
النداء به كما قيل م الله في ايمن الله وقري بالكسر كجير وبالفتح علي البنا كاين والاعراب علي انه اسم

او باضمار حرف القسم والفتحة لمنع الصرف وبالضم بنا كحيث او اعرابا علي هذه ياسين وامال الياء حمزة
والكساي وابو بكر وروح وادغم النون في واو والقران الحكيم ابن عامر والكساي ويعقوب
وابو بكر وورش وهي واو القسم او العطف ان جعل يس مقسما به انك لمن المرسلين لمن الذين ارسلوا
علي صراط مستقيم وهو التوحيد والاستقامة في الامور ويجوز ان يكون علي صراط خبرا ثانيا
او حالا من المستكن في الجار والمجرور وفايدته وصف الشرع بالاستقامة صريحا وان دل عليه لمن المرسلين
التزاما تنزيل العزيز الرحيم خبر محذوف والمصدر بمعني المفعول وقرا ابن عامر وحمزة والكساي وحفص
بالنصب باضمار اعني او فعليه علي انه علي اصله وقري بالجر علي البدل من القران لتنذر قوما متعلق
بتنزيل او بمعني لمن المرسلين ما انذر اباؤهم قوما غير منذر اباوهم يعني اباءهم الاقربين لتطاول
مدة الفترة فيكون صفة مبينة لشدة حاجتهم الي ارسالك او الذي انذر به او شيا انذر به
اباوهم الابعدون فيكون مفعولا ثانيا لتنذر او انذار اباءهم علي المصدر فهم غافلون
متعلق بالنفي علي الاول اي لم ينذروا فبقوا غافلين او بقوله انك لمن المرسلين علي الوجوه الاخر اي
ارسلتك اليهم لتنذرهم فانهم غافلون لقد حق القول علي اكثرهم يعني قوله لاملان جهنم
من الجنة والناس اجمعين فانهم ممن علم انهم لا يؤمنون انا جعلنا في اعناقهم اغلالا تقرير
لتصميمهم علي الكفر والطبع علي قلوبهم بحيث لا تغني عنهم الايات والنذر بتمثيلهم بالذين غلت
اعناقهم فهي الي الاذقان فالاغلال واصلة الي اذقانهم فلا يخليهم يطاطيون رووسهم له فهم
مقمحون رافعون رووسهم غاضون ابصارهم في انهم لا يلتفتون لفت الحق ولا يعطفون
اعناقهم نحوه ولا يطاطيون رووسهم له وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فا
غشيناهم فهم لا يبصرون وبمن احاط بهم سدان فغطي ابصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم
ووراءهم في انهم محبوسون في مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر في الايات والدلايل وقرا حمزة والكساي
وحفص سدا بالفتح وهو لغة فيه وقيل ما كان بفعل الناس فبالفتح وما كان بخلق الله فبالضم وقري
فاعشيناهم من العشا وقيل الايتان في بني مخزوم حلف ابو جهل ان يرضخ راس النبي صلي الله عليه وسلم
فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الي عنقه ولزق الحجر بيده حتي فكوه
عنها بجهد فرجع الي قومه فاخبرهم فقال مخزومي اخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعمي الله وسواء
عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون سبق في البقرة تفسيره انما تنذر انذارا يترتب
عليه البغية المرومة من اتبع الذكر بالتامل فيه والعمل وخشي الرحمن بالغيب وخاف عقابه قبل
حلوله ومعاينة اهواله او في سريرته ولا يغتر برحمته فانه كما هو رحمن منتقم قهار فبشره
بمغفرة واجر كريم انا نحن نحيي الموتي اي الاموات بالبعث او الجهال بالهداية ونكتب ما قدموا
ما اسلفوا من الاعمال الصالحة والطالحة واثارهم الحسنة كعلم علموه وحبيس وقفوه والسيئة
كاشاعة باطل وتاسيس ظلم وكل شيء احصيناه في امام مبين يعني اللوح المحفوظ واضرب لهم ومثل
لهم من قولهم هذه الاشيا علي ضرب واحد اي مثال واحد وهو يتعدي الي مفعولين لتضمنه معني الجعل
وهما مثلا اصحاب القرية علي حذف مضاف اي اجعل لهم مثل اصحاب القرية مثلا ويجوز ان يقتصر

سلين

فهم لا يؤمنون

علي واحد وبجعل المقدر بدلا من الملفوظ او بيانا له والقرية انطاكية اذ جاءها المرسلون
بدل من اصحاب القرية والمرسلون رسل عيسي الي اهلها واضافته الي نفسه في قوله اذ ارسلنا اليهم
اثنين لانه فعل رسوله وخليفته وهما يحيي ويونس وقيل غيرهما فكذبوهما فعززنا
فقوينا وقرا ابو بكر مخففا من عزه اذا غلبه وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان المقصود
ذكر المعزز به بثالث هو شمعون فقالوا انا اليكم مرسلون وذلك انهم كانوا عبدة اصنام
فارسل اليهم عيسي عليه السلام اثنين فلما قربا من المدينة رايا حبيب النجار يرعي غنما فسالهما
فاخبراه فقال امعكما اية فقالا نشفي المريض ونبري الاكمه والابرص وكان له ولد مريض فمسحاه
فبرا فامن حبيب وفشي الخبر فشفي علي ايديهما خلق وبلغ حديثهما الي الملك فانس به فقال لهما
النا اله سوي الهتنا قالا نعم من اوجدك والهتك فقال حتي انظر في امركما فحبسهما ثم بعث
عيسي عليه السلام شمعون فدخل متنكرا وعاشر اصحاب الملك حتي استانسوا به واوصلوه
الي الملك فانس به فقال له يوما سمعت انك حبست رجلين فقال هل سمعت ما يقولانه قال
لا فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شي وليس له شريك فقال صفاه واوجزا
قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما ايتكما قالا ما يتمني الملك فدعا بغلام مطموس العينين
فدعوا الله حتي انشق له بصر واخذ بندقتين فوضعتا في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر
بهما فقال له شمعون ارايت لو سالت الهتك حتي تصنع مثل هذا حتي يكون لك وله الشرف
قال ليس لي عنك سر الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع ثم قال ان قدر الهكما علي احياء ميت
امنا به فدعوا بغلام مات منذ سبعة ايام فدعوا الله فقام وقال اني ادخلت سبعة اودية
من النار وانا احذركم ما انتم فيه فامنوا وقال فتحت ابواب السما فرايت شابا حسنا يشفع
لهولاء الثلاثة شمعون وهذين فلما راي شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فامن في جمع
ومن لم يومن صاح عليهم جبريل فهلكوا قالوا ما انتم الا بشر مثلنا لا مزية لكم علينا تقتضي
اختصاصكم بما تدعون ورفع لانتقاض النفي المقتضي اعمال ما بالا ان انتم الا تكذبون في دعوي
الرسالة قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون استشهدوا بعلم الله وهو يجري مجري القسم وزادوا
اللام المؤكدة لانه جواب عن انكارهم وما علينا الا البلاغ المبين الظاهر البين بالايات الشاهدة
بصحته وهو المحسن للاستشهاد فانه لا يحسن الا ببينة قالوا انا تطيرنا بكم تشامنا بكم
وذلك لاستغرابهم ما ادعوه واستقباحهم له وتنفرهم عنه لئن لم تنتهوا عن مقالتكم
لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم سبب شومكم معكم وهو سوء
عقيدتكم واعمالكم وقري طيركم ائن ذكرتم وعظتم وجواب الشرط محذوف مثل تطيرتم او توعدتم
وتشامتم بالرجم والتعذيب وقد زيد الف بين الهمزتين وبفتح ان بمعني
ان تطيرتم لان ذكرتم وان بغير استفهام واين ذكرتم بمعني طائركم معكم حيث ذكرتم وهو
ابلغ بل انتم قوم مسرفون قوم عادتكم الاسراف في العصيان فمن ثم جاءكم الشوم او في الضلال
ولذلك توعدتم وتشامتم بمن يجب ان يكرم ويتبرك به وجاء من اقصي المدينة رجل يسعي

هو

هو حبيب النجار وكان ينحت اصنامهم وهو ممن امن بمحمد صلي الله عليه وسلم وبينهما ستمائة
سنة وقيل كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل اظهر دينه قال يا قوم اتبعوا المرسلين
اتبعوا من لا يسالكم اجرا علي النصح وتبليغ الرسالة وهم مهتدون الي خير الدارين
وما لي لا اعبد الذي فطرني علي قراءة غير حمزة فانه يسكن الياء في الوصل تلطف في
الارشاد بايراده في معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراد لهم ما اراد لها
والمراد تقريعهم علي تركهم عبادة خالقهم الي عبادة غيره ولذلك قال واليه ترجعون
مبالغة في التهديد ثم عاد الي المساق الاول فقال ااتخذ من دونه الهة ان يردن
الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا لا تنفعني شفاعتهم ولا ينقذون بالنصر والمظاهرة
اني اذا لفي ضلال مبين فان ايثار ما لا ينفع ولا يدفع ضرا بوجه ما علي الخالق المقتدر
علي النفع والضر واشراكه به ضلال بين لا يخفي علي عاقل وقرا نافع وابو عمرو بفتح الياء
اني امنت بربكم الذي خلقكم وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو بفتح الياء فاسمعون فاسمعوا
ايماني وقيل الخطاب للرسل فانه لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحوهم قبل
ان يقتلوه قيل ادخل الجنة قيل له ذلك لما قتلوه بشري بانه من اهل الجنة او اكراما واذنا
في دخولها كسائر الشهداء او لما هموا بقتله رفعه الله الي الجنة علي ما قاله الحسن وانما لم يقل له لان
الغرض بيان المقول دون المقول له فانه معلوم والكلام استئناف في حيز الجواب عن السوال عن
حاله عند لقاء ربه بعد تصلبه في نصر دينه ولذلك قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي
وجعلني من المكرمين فانه جواب عن السوال عن قوله عند ذلك القول له وانما تمني علم قومه بحاله
ليحملهم علي اكتساب مثلها بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والطاعة علي داب الاولياء
في كظم الغيظ والترحم علي الاعداء او ليعلموا انهم علي خطا عظيم في امره وانه كان علي حق وقري
المكرمين وما خبرية او مصدرية والباء صلة يعلمون او استفهامية جاءت علي الاصل
والباء صلة غفر اي باي شي غفر لي يريد به المهاجرة عن دينهم والمصابرة علي اذيتهم
وما انزلنا علي قومه من بعده بعد اهلاكه او رفعه من جند من السماء لاهلاكهم كما ارسلنا
يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لاهلاكهم وايماء بتعظيم الرسول
عليه السلام وما كنا منزلين وما صح في حكمتنا ان ننزل جندا لاهلاك قومه اذ قدرنا لكل شي سببا
وجعلنا ذلك سببا لانتصارك من قومك وقيل ما موصولة معطوفة علي جند اي ومما كنا منزلين
علي من قبلهم من حجارة وريح وامطار شديدة ان كانت ما كانت الاخذة والعقوبة الا صيحة
واحدة صاح بها جبريل وقرئت بالرفع علي كان التامة فاذا هم خامدون ميتون شبهوا
بالنار رمزا الي ان الحي كالنار الساطعة والميت كرمادها كما قال لبيد وما المرء الا
كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع يا حسرة علي العباد تعالي فهذه
من الاحوال التي من حقها ان تحضري فيها وهي ما دل عليها ما ياتيهم من رسول الا كانوا به
يستهزئون فان المستهزئين بالناصحين المخلصين المنوط بنصحهم خير الدارين احقاء

بان يتحسروا او يتحسر عليهم وقد تلهف على احوالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين ويجوز ان يكون
تحسر من الله عليهم على سبيل الاستعارة لتعظيم ما جنوه على انفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا ونصبها
لطولها بالجار المتعلق بها وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة العباد
بالاضافة الى الفاعل او المفعول ويا حسرة على العباد باجراء الوصل مجرى الوقف الم يروا
الم يعلموا وهو معلق عن قوله كم اهلكنا قبلهم من القرون لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية
لان اصلها الاستفهام انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم على المعنى اي الم يروا كثرة اهلاكنا
من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستئناف وان كل لما جميع لدينا
محضرون يوم القيامة للجزاء وان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وما مزيدة
للتاكيد وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى الا فيكون ان نافية وجميع فعيل بمعنى
مفعول ولدينا ظرف له او لمحضرون وآية لهم الارض الميتة وقرأ نافع بالتشديد احييناها
خبر للارض والجملة خبر آية او صفة لها اذ لم يرد بها معينة وهي الخبر او المبتدأ والآية
خبرها او استئناف لبيان كونها آية واخرجنا منها حبا جنس الحب فمنه يأكلون قدم الصلة
للدلالة على ان الحب معظم ما يؤكل ويعاش به وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب من انواع النخيل والعنب
ولذلك جمعهما دون الحب لان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع
وذكر النخيل دون التمر ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار
الصنع وفجرنا فيها وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى
من العيون اي شيئا من العيون فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه او العيون ومن
مزيدة عند الاخفش ليأكلوا من ثمره ثمر ما ذكر وهو الجنات وقيل الضمير لله على طريقة الالتفات
والاضافة اليه لان الثمر بخلقه وقرأ حمزة والكسائي بضمتين وهو لغة فيه او جمع ثمار
وقرئ بضمة وسكون وما عملته ايديهم عطف على الثمر والمراد ما يتخذ منه كالعصير والدبس
ونحوهما وقيل ما نافية والمراد ان الثمر بخلق الله لا بفعلهم ويؤيد الاول قراءة الكوفيين
غير حفص بلا هاء فان حذفه من الصلة احسن من غيرها افلا يشكرون امر بالشكر
من حيث انه انكار لتركه سبحان الذي خلق الازواج كلها الانواع والاصناف مما تنبت
الارض من النبات والشجر ومن انفسهم الذكر والانثى ومما لا يعلمون وازواجا لم يطلعهم
الله عليه ولم يجعل لهم طريقا الى معرفته وآية لهم الليل نسلخ منه النهار نزيله ونكشفه
عن مكانه مستعار من سلخ الجلد والكلام في اعرابه ما سبق فاذا هم مظلمون داخلون
في الظلام والشمس تجري لمستقر لها لحد معين ينتهي اليه دورها فشبه بمستقر المسافر
اذا قطع مسيره او لكبد السماء فان حركتها فيه توجد ابطأ بحيث يظن ان لها
هناك وقفة قال والشمس حيرى لها بالجو تدويم او لاستقرار لها على نهج مخصوص او
لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فان لها في دورها ثلاثمائة وستين مشرقا
ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب في مغرب ثم لا يعود اليهما الى العام القابل او لمنقطع

جريها

جريها عند خراب العالم وقرئ الى مستقر لها ولا مستقر لها اي لا سكون فانها متحركة دائما
ولا مستقر على ان لا بمعنى ليس ذلك الجري على هذا التقدير المتضمن للحكم التي تكل الفطن عن
احصائها تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور العليم المحيط علمه بكل معلوم
والقمر قدرناه قدرنا مسيره منازل اي سيره في منازل وهي ثمانية وعشرون
الشرطين البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة
الزبرة الصرفة العوا السماك الغفر الزبانا الاكليل القلب الشولة النعايم البلدة
سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ
الدلو المؤخر الرشا وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر
عنه فاذا كان في اخر منازله وهو الذي فيه قبيل الاجتماع دق واستقوس وقرأ الكوفيون
وابن عامر والقمر بنصب الراء حتى عاد كالعرجون كالشمراخ المعوج فعلول من الانعراج
وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون القديم العتيق
وقيل ما مر عليه حول فصاعدا لا الشمس ينبغي لها يصح لها ويتسهل ان تدرك القمر في
سرعة سيره فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان او في آثاره ومنافعه او مكانه
بالنزول الى محله او سلطانه فيطمس نوره وايلاء حرف النفي الشمس للدلالة على انها مسخرة لا يتيسر
لها الا ما اريد بها ولا الليل سابق النهار يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما
آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا للاول وتبديل
الادراك بالسبق لانه الملايم لسرعة سيره وكل وكلهم والتنوين عوض عن المضاف اليه والضمير
للشموس والاقمار فان اختلاف الاحوال يوجب تعددا ما في الذات او الى الكواكب فان ذكرهما
مشعر بها في فلك يسبحون يسيرون فيه بانبساط وآية لهم انا حملنا ذريتهم اولادهم
الذين يبعثونهم الى تجاراتهم او صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم فان الذرية تقع عليهن
مزارعها وتخصيصهم لان استقرارهم في السفن وتماسكهم اعجب في الفلك المشحون المملوء
وقيل المراد فلك نوح عليه السلام وحمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها اباءهم الاقدمين
وفي اصلابهم ذرياتهم وتخصيص الذرية لانه ابلغ في الامتنان وادخل في التعجب
مع الايجاز وخلقنا لهم من مثله من مثل الفلك ما يركبون من الابل فانها سفائن البر
او من السفن والزوارق وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم فلا مغيث لهم يحرسهم عن
الغرق او فلا استغاثة لقولهم اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون ينجون من الموت به
الا رحمة منا ومتاعا الا لرحمة ولتمتيع بالحياة الى حين زمان قدر لآجالهم واذا قيل
لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم الوقايع التي خلت والعذاب المعد في الآخرة او نوازل
السماء ونوائب الارض كقوله افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض او عذاب
الدنيا وعذاب الآخرة او عكسه او ما تقدم من الذنوب وما تأخر لعلكم ترحمون لتكونوا
راجين رحمة الله وجواب اذا محذوف دل عليه قوله وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا

عنها معرضين

كانه قال واذا اتقوا العذاب اعرضوا لانهم اعتادوا وتمرنوا عليه واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله على محاويجكم قال الذين كفروا بالصانع يعني معطلة كانوا بمكة للذين آمنوا تهكما بهم من اقرارهم به وتعليقهم الامور بمشيته انطعم من لو يشاء الله اطعمه على زعمكم وقيل قاله مشركوا قريش حين استطعمهم فقرا المؤمنين ايهاما بان الله لما كان قادرا ان يطعمهم ولم يطعمهم فنحن احق بذلك وهذا من فرط جهالتهم فان الله يطعم باسباب منها حث الاغنياء على اطعام الفقرا وتوفيقهم له ان انتم الا في ضلال مبين حيث امرتمونا بما يخالف مشية الله ويجوز ان يكون جوابا من الله لهم او حكاية لجواب المؤمنين لهم ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين يعنون وعد البعث ما ينظرون الا صيحة واحدة هي النفخة الاولى تاخذهم وهم يخصمون يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم امرها كقوله فاخذتهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون واصله يختصمون فسكنت التاء وادغمت ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر بكسر الياء للاتباع وقرا ابن كثير وورش وهشام بفتح الخاء على القاء حركة التاء اليه وابو عمرو به مع الاختلاس وعن نافع الفتح فيه والاسكان وكانه جوز الجمع بين الساكنين اذا كان الثاني مدغما وقرا حمزة يخصمون من خصمه اذا جادله فلا يستطيعون توصية في شي من امورهم ولا الى اهلهم يرجعون فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم ونفخ في الصور اي مرة ثانية وقد سبق تفسيره في سورة المؤمنين فاذا هم من الاجداث من القبور جمع جدث وقرى بالفاء الى ربهم ينسلون يسرعون وقرى بالضم قالوا يا ويلنا وقرى يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا وقرى من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه من هبنا بمعنى اهبنا وفيه ترشيح ورمز واشعار بانهم لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما ومن بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر وسكت حفص وحده عليها سكتة لطيفة في الوقف عليها في ساير القران حسن هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون مبتدا وخبر وما مصدرية او موصولة محذوفة الراجع او هذا صفة لمرقدنا وما وعد خبر محذوف او مبتدا خبره محذوف اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق وهو من كلامهم وقيل جواب الملايكة او المؤمنين عن سوالهم معدول عن سننه تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها بان الذي يهمهم هو السوال عن البعث دون الباعث كانهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وارسل اليكم الرسل فصدقوكم وليس الامر كما تظنون فانه ليس بعث النايم فيهمكم السوال عن الباعث وانما هو البعث الاكبر ذو الاهوال ان كانت ما كانت الفعلة الا صيحة واحدة هي النفخة الاخيرة وقرئت بالرفع على كان التامة فاذا هم جميع لدينا محضرون بمجرد تلك الصيحة وفي كل ذلك تهوين امر البعث والحشر واستغناؤهما عن الاسباب التي ينوطان بها فيما يشاهدونه فاليوم لا تظلم نفس شيا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون حكاية لما يقال لهم حينيذ تصويرا للموعود وتمكينا له في النفوس وكذا قوله ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون متلذذون في النعمة من الفكاهة وفي تنكير شغل وابهامه تعظيم لما هم فيه من البهجة والتلذذ وتنبيه على انه اعلى ما يحيط به الافهام ويعرب عن كنهه الكلام وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو في شغل بالسكون ويعقوب في رواية فكهون للمبالغة وهما خبران لان

ويجوز

ويجوز ان يكون في شغل صلة لفاكهون وقرى فكهون بالضم وهو لغة كنطس ونطس وفاكهين وفكهين على الحال من المستكن في الظرف وشغل بفتحتين وفتحة وسكون والكل لغات هم وازواجهم في ظلال جمع ظل كشعاب او ظلة كقباب ويويده قراة حمزة والكسايي في ظلل على الارايك على السرر المزينة متكيون وهم مبتدا خبره في ظلال وعلى الارايك جملة مستانفة او خبر متكيون او خبر ثان او متكيون والجار ان صلتان له او تاكيد للضمير في شغل او فاكهون وعلى الارايك متكيون خبر آخر لان وازواجهم عطف على هم للمشاركة في الاحكام الثلاثة او في ظلال حال من المعطوف والمعطوف عليه لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون ما يدعون به لانفسهم يفتعلون به من الدعا كاشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه او ما يتداعونه كقولك ارتموه بمعنى تراموه او يتمنون من قولهم ادع علي ما شيت بمعنى تمنه علي او ما يدعونه في الدنيا من الجنة ودرجاتها وما موصولة او موصوفة مرتفعة بالابتدا ولهم خبرها وقوله سلام بدل منها او صفة اخرى ويجوز ان يكون خبرها او خبر محذوف او مبتدا محذوف الخبر اي ولهم سلام وقرى بالنصب على المصدر او الحال اي لهم مرادهم خالصا قولا من رب رحيم اي يقول الله او يقال لهم قولا كاينا من جهته والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملايكة او بغير واسطة تعظيما لهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم ويحتمل نصبه على الاختصاص وامتازوا اليوم ايها المجرمون وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين يسار بهم الى الجنة كقوله ويوم تقوم الساعة يوميذ يتفرقون وقيل اعتزلوا عن كل خير او تفرقوا في النار فان لكل كافر بيتا ينفرد به لا يرى ولا يرى الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان من جملة ما يقال لهم تقريعا والزاما للحجة وعهده اليهم ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الامرة بعبادته الزاجرة عن عبادة غيره وجعلها عبادة الشيطان لانه الامر بها والمزين لها وقرى اعهد بكسر حرف المضارعة واحهد واحد على لغة بني تميم انه لكم عدو مبين تعليل للمنع عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه وان اعبدوني عطف على ان لا تعبدوا هذا صراط مستقيم اشارة الى ما عهد اليهم او الى عبادته والجملة استيناف لبيان المقتضي للعهد بشقيه او بالشق الاخر والتنكير للمبالغة والتعظيم او للتبعيض فان التوحيد سلوك بعض الطريق المستقيم ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون رجوع الى بيان معاداة الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح اضلاله لمن له ادنى عقل ورأي والجبل الخلق وقرا يعقوب بضمتين وابن كثير وحمزة والكسايي بهما مع تخفيف اللام وابن عامر وابو عمرو بضم وسكون مع التخفيف والكل لغات وقرى جبلا جمع جبلة كخلقة وخلق وجيلا واحد الاجيال هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ذوقوا حرها اليوم بكفركم في الدنيا اليوم نختم على افواههم نمنعها عن الكلام وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون بظهور آثار المعاصي فيها ودلالتها على افعالها

لها

او بانطاق الله تعالى اياها وفي الحديث انهم يجحدون ويخاصمون فيختم على افواههم
وتتكلم ايديهم وارجلهم ولو نشاء لطمسنا على اعينهم لمسحنا اعينهم حتى تصير
ممسوحة فاستبقوا الصراط فاستبقوا الى الطريق الذي اعتادوا سلوكه
وانتصابه بنزع الخافض او بتضمين الاستباق معنى الابتدار او جعل المسبوق
اليه مسبوقا على الاتساع او بالظرف فانى يبصرون الطريق وجهة السلوك فضلا
عن غيره ولو نشاء لمسخناهم بتغيير صورهم وابطال قواهم على مكانتهم مكانهم بحيث
يجمدون فيه وقرا ابو بكر مكاناتهم فما استطاعوا مضيا ذهابا ولا يرجعون ولا
رجوعا فوضع الفعل موضعه للفواصل وقيل ولا يرجعون عن تكذيبهم وقرئ مضيا
باتباع الميم الضاد المكسورة لقلب الواو ياء كالعتي والعتي ومضيا كصبي والمعنى
انهم بكفرهم ما عهد اليهم احقاء بان يفعل بهم ذلك لكنا لم نفعل لشمول الرحمة
لهم واقتضاء الحكمة امهالهم ومن نعمره ومن نطل عمره ننكسه في الخلق نقلبه
فيه فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاص بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدء امره وقرا عاصم
وحمزة ننكسه من التنكيس وهو ابلغ والنكس اشهر افلا يعقلون ان من قدر على ذلك
قدر على الطمس والمسخ فانه مشتمل عليهما وزيادة غير انه على تدرج وقرا نافع وابن عامر
ويعقوب بالتاء لجري الخطاب قبله وما علمناه الشعر رد لقولهم ان محمدا شاعر
اي وما علمناه الشعر بتعليم القران فانه مقفى ولا موزون وليس معناه ما يتوخاه
الشعراء من التخييلات المرغبة والمنفرة ونحوها وما ينبغي له وما يصح له الشعر ولا
يتأتى له ان اراد قرضه على ما اختبرتم طبعه نحوا من اربعين سنة وقوله انا النبي لا كذب
انا ابن عبد المطلب وقوله هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت اتفاقي من غير
قصد وتكلف منه الى ذلك وقد يقع مثله كثيرا في تضاعيف المنثورات على ان الخليل
ما عد المشطور من الرجز شعرا هذا وقد روي انه حرك الباءين وكسر التاء الاولى بلا اشباع
وسكن الثانية وقيل الضمير للقران اي وما يصح للقران ان يكون شعرا ان هو الا ذكر
عظة وارشاد من الله وقران مبين وكتاب سماوي يتلى في المعابد ظاهر انه ليس من كلام
البشر لما فيه من الاعجاز لينذر من كان حيا القران او الرسول ويؤيده قراءة نافع وابن
عامر ويعقوب بالتاء ويحق القول وتجب كلمة العذاب على الكافرين المصرين على الكفر
وجعلهم في مقابلة من كان حيا اشعار بانهم لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم تأملهم
اموات في الحقيقة اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا مما تولينا احداثه
ولم يقدر على احداثه غيرنا وذكر الايدي واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة
في الاختصاص والتفرد بالاحداث انعاما خصها بالذكر لما فيها من بدائع الفطرة
وكثرة المنافع فهم لها مالكون متملكون بتمليكنا اياهم او متمكنون من ضبطها والتصرف
فيها بتسخيرنا اياها لهم قال اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا

ونقضهم

وذللناها

وذللناها لهم وصيرناها منقادة لهم فمنها ركوبهم مركوبهم وقرئ ركوبتهم وهي بمعناه
كالحلوب والحلوبة وقيل جمعه وركوبهم اي ذو ركوبهم او فمن منافعها ركوبهم ومنها يأكلون اي يأكلون لحمه
ولهم فيها منافع من الجلود والاصواف والاوبار ومشارب من اللبن جمع مشرب بمعنى الموضع
او المصدر افلا يشكرون نعم الله في ذلك اذ لولا خلقه لها وتذليله اياها كيف امكن التوسل
الى تحصيل هذه المنافع المهمة واتخذوا من دون الله آلهة اشركوها به في العبادة بعدما
راوا منه تلك القدرة الباهرة والنعم المتظاهرة وعلموا انه المتفرد بها لعلهم ينصرون
رجاء ان ينصروهم فيما حزبهم من الامور والامر بالعكس لانه لا يستطيعون نصرهم وهم لهم
لآلهتهم جند محضرون معدون لحفظهم والذب عنهم او محضرون اثرهم في النار فلا يحزنك
فلا يهمنك وقرئ بضم الياء من احزن قولهم في الله بالالحاد والشرك او فيك بالتكذيب والتهجين
انا نعلم ما يسرون وما يعلنون فنجازيهم عليه وكفى ذلك ان تتسلى به وهو تعليل
للنهي على الاستئناف ولذلك لو قرئ انا بالفتح على حذف لام التعليل جاز اولم ير الانسان
انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه بالنسبة
الى انكارهم الحشر وفيه تقبيح بليغ لانكاره حيث عجب منه وجعله افراطا في الخصومة بينا
ومنافاة لجحود القدرة على ما هو اهون مما عمله في بداية خلقه ومقابلة النعمة
التي لا مزيد عليها وهي خلقه من اخس شيء وامهنه شريفا مكرما بالعقوق والتكذيب
روي ان ابي بن خلف اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم بال يفتته بيده وقال اترى الله يحيي
هذا بعد ما رم فقال عليه السلام نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت وقيل معنى فاذا
هو خصيم مبين فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا مميزا منطيق قادر على الخصام معرب عما
في نفسه وضرب لنا مثلا امرا عجيبا وهو نفي القدرة على احياء الموتى وتشبيهه بخلقه بوصفه
بالعجز عما عجزوا عنه ونسي خلقه خلقنا اياه قال من يحيي العظام وهي رميم منكرا اياه
مستبعدا له والرميم ما بلي من العظام ولعله فعيل بمعنى فاعل من رم الشيء صار اسما بالغلبة
ولذلك لم يؤنث او بمعنى مفعول من رممته وفيه دليل على ان العظام ذو حياة فيؤثر فيه
الموت كساير الاعضاء قل يحييها الذي انشاها اول مرة فان قدرته كما كانت لامتناع
التغير فيه والمادة على حالها في القابلية اللازمة لذاتها وهو بكل خلق عليم
يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية خلقها فيعلم اجزاء الاشخاص المتفتتة المتبددة
اصولها وفصولها ومواقعها وطريق تمييزها وضم بعضها الى بعض على النمط السابق واعادة
الاعراض والقوى التي كانت فيها او احداث مثلها الذي جعل لكم من الشجر الاخضر
كالمرخ والعفار نارا بان يسحق المرخ على العفار وهما خضراوان يقطر منهما الماء
فينقدح منه النار فاذا انتم منه توقدون لا تشكون في انها نار تخرج منه فمن
قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته
كان اقدر على اعادة الغضاضة فيما كان غضا فيبس وبلي وقرئ من الشجر الخضر

على المعنى كقوله فما ليون منها البطون أوليس الذي خلق السموات والارض مع كبر جرمهما
وعظم شانهما بقادر على ان يخلق مثلهم في الصغر والحقارة بالاضافة اليهما او مثلهم في
اصول الذات وصفاتها وهو المعاد وعن يعقوب يقدر بلى جواب من الله تعالى لتقرير ما
بعد النفي مشعر بانه لا جواب سواه وهو الخلاق العليم كثير المخلوقات والمعلومات
انما امره انما شانه اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فهو يكون اي يحدث وهو
تمثيل لتاثير قدرته في مراده بامر المطاع للمطيع في حصول المامور من غير امتناع وتوقف
وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال الة قطعا لمادة الشبهة وهو قياس من قدرة الله على
قدرة الخلق ونصبه ابن عامر والكسائي عطفا على يقول فسبحان الذي بيده ملكوت كل
شيء تنزيه عما ضربوا له وتعجيب عما قالوا فيه معللا بكونه مالك الملك كله قادرا على كل
شيء واليه ترجعون وعد ووعيد للمقرين والمنكرين وقرا يعقوب بفتح التاء وعن ابن
عباس كنت لا اعلم ما روي في فضل يس كيف خصت به فاذا انه لهذه الاية وعنه
عليه السلام ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس من قراها يريد بها وجه الله غفر الله له
واعطاه من الاجر كانما قرا القرآن اثنين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل
ملك الموت يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون
عليه ويشهدون دفنه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته
ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرا يس وهو في سكرات الموت لم يقبض
ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من
حياض الانبيا حتى يدخل وهو ريان والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

(في الهامش: حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض روحه نـ)

سورة الصافات وهي مائة وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات
ذكرا اقسم بالملائكة الصافين في مقام العبودية على مراتب باعتبارها تفيض عليهم الانوار
الالهية منتظرين لامر الله الزاجرين الاجرام العلوية والسفلية بالتدبير المامور فيها
او الناس عن المعاصي بالهام الخير او الشياطين عن التعرض لهم التالين ايات الله وجلايا قدسه
على انبيائه واوليائه او بطوائف الاجرام المترتبة كالصفوف المرصوصة والارواح المدبرة لها
او الجواهر القدسية المستغرقة في بحار القدس يسبحون الليل والنهار لا يفترون او بنفوس العلماء
الصافين الزاجرين عن الكفر والفسوق بالحجج والنصائح التالين آيات الله وشرائعه او بنفوس
الغزاة الصافين في الجهاد الزاجرين الخيل او العدو التالين ذكر الله لا يشغلهم عنه مبارزة
العدو والعطف لاختلاف الذوات او الصفات والفا لترتيب الوجود كقوله يا لهف زيابة
للحارث الصابح فالغانم فالايب فان الصف كمال والزجر تكميل بالمنع عن الشر او الاساقة
الى قبول الخير والتلاوة افاضة او الرتبة كقوله عليه السلام رحم الله المحلقين فالمقصرين غير انه

(في الهامش: في العبادات خ)

يفضل

يفضل المتقدم على المتاخر وهذا للعكس وادغم ابو عمرو وحمزة التاءات فيما يليها لتقاربها فانها
من طرف اللسان واصول الثنايا ان الهكم لواحد جواب القسم والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتاكيد
المقسم عليه على ما هو المالوف في كلامهم واما تحقيقه فبقوله رب السموات والارض وما بينهما
ورب المشارق فان وجودها وانتظامها على الوجه الاكمل مع امكان غيره دليل على وجود الصانع
الحكيم ووحدته على ما مر غير مرة ورب بدل من واحد او خبر ثان او خبر محذوف وما بينهما يتناول
افعال العباد فيدل على انها من خلقه والمشارق مشارق الكواكب او مشارق الشمس في السنة وهي
ثلثمائة وستون مشرقا كل يوم في واحد وبحسبها تختلف المغارب ولذلك اكتفى بذكرها
مع ان الشروق ادل على القدرة وابلغ في النعمة وما قيل انها مائة وثمانون انما يصح لو لم تختلف
اوقات الانتقال انا زينا السماء الدنيا القربى منكم بزينة الكواكب بزينة هي الكواكب والاضافة
للبيان ويعضده قراءة حمزة ويعقوب وحفص بتنوين زينة وجر الكواكب على ابدالها منه
او بزينة هي لها كاضوائها واوضاعها او بان زينا الكواكب فيها على اضافة المصدر الى المفعول
فانها كما جاءت اسما كالليقة جاءت مصدرا كالنسبة ويؤيده قراءة ابي بكر بالتنوين والنصب
على الاصل او بان زينتها الكواكب على اضافتها الى الفاعل وركوز الثوابت في الكرة الثامنة
وما عدا القمر من السيارات في الست المتوسطة بينها وبين السماء الدنيا ان تحقق لم يقدح
في ذلك فان اهل الارض يرونها باسرها كجواهر مشرقة متلالئة على سطحها الازرق
باشكال مختلفة وحفظا منصوب باضمار فعله او العطف على زينة باعتبار المعنى كانه
قال انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من كل شيطان مارد خارج من الطاعة برمي
الشهب لا يسمعون الى الملا الاعلى كلام مبتدا لبيان حالهم بعد ما حفظ السماء عنهم
ولا يجوز جعله صفة لكل شيطان فانه يقتضي ان يكون الحفظ من شياطين لا يسمعون
ولا علة للحفظ على حذف اللام كما في جئتك ان تكرمني ثم حذف ان واهدارها كقوله الا
ايها الزاجري احضر الوغى فان اجتماع ذلك منكر والضمير لكل باعتبار المعنى وتعدية السماع
بالى لتضمنه معنى الاصغاء مبالغة لنفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي
وحفص بالتشديد من التسمع وهو تطلب السماع والملا الاعلى الملائكة واشرافهم ويقذفون
ويرمون من كل جانب من جوانب السماء اذا قصدوا صعوده دحورا علة اي للدحور وهو الطرد
او مصدر لانه والقذف متقاربان او حال بمعنى مدحورين او منزوع عنه الباء جمع دحور وهو
ما يطرد به ويقويه القراءة بالفتح وهو يحتمل ايضا ان يكون مصدرا كالقبول او صفة له
اي قذفا دحورا ولهم عذاب اي عذاب اخر واصب دائم او شديد وهو عذاب الآخرة
الا من خطف الخطفة استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه فاتبعه شهاب الخطف
الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة ولذلك عرف الخطفة وقرئ خطف بالتشديد
مفتوح الخاء ومكسورها واصلهما اختطف واتبع بمعنى تبع والشهاب ما يرى كانه كوكب انقض
وما قيل انه بخار يصعد الى الاثير فيشتعل فتخمين ان صح لم ينافي ذلك اذ ليس فيه ما يدل

(في الهامش: شرق خ)

حتي انه ينقض من الفلك ولا في قوله انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين
فان كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لاهل الارض وزينة للسماء من حيث انه يرى كانه
على سطحه ولا يبعد ان يصير الحادث كما ذكر في بعض الاوقات رجما للشياطين يتصعد الى قرب
الفلك للتسمع وما روي ان ذلك حدث بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم ان صح فلعل المراد كثرته
او وقوعه او مصيره دحورا واختلف في ان المرجوم يتأذى به فيرجع او يحترق به لكن قد
يصيب الصاعد مرة وقد لا يصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون عنه راسا
ولا يقال ان الشيطان من النار فلا يحترق لانه ليس من النار الصرف كما ان الانسان ليس
من التراب الخالص مع ان النار القوية اذا استولت على الضعيفة استهلكتها
ثاقب مضيء كانه يثقب الجو بضوئه فاستفتهم فاستخبرهم والضمير لمشركي مكة او لبني آدم
أهم أشد خلقا أم من خلقنا يعني ما ذكر من الملائكة والارض وما بينهما والمشارق
والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء ويدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك وقراءة
من قرأ امن عددنا وقوله انا خلقناهم من طين لازب فان الفارق بينهم وبينها
لا بينهم وبين من قبلهم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم والامر
فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سوا وتقريره ان استحالة ذلك اما لعدم قابلية المادة
ومادتهم الاصلية هي الطين اللازب الحاصل من ضم الجزء المائي الى الجزء الارضي وهما باقيان قابلان
للانضمام بعد وقد علموا ان الانسان الاول انما تولد منه اما لاعترافهم بحدوث العالم او بقصة
آدم وشاهدوا تولد كثير من الحيوانات منه بلا توسط مواقعة فلزمهم ان يجوزوا اعادتهم
كذلك واما لعدم قدرة الفاعل ومن قدر على خلق هذه الاشياء قدر على ما لا يعتد به بالاضافة
اليها سيما ومن ذلك بداهم اولا وقدرته ذاتية لا تتغير بل عجبت من قدرة الله وانكارهم
للبعث ويسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث وقرا حمزة والكسائي بضم التاء اي بلغ كمال
قدرتي وكثرة خلائقي اني تعجبت منها وهؤلاء بجهلهم يسخرون منها او عجبت من ان ينكر
البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يجوزه والتعجب من الله اما على الفرض والتخييل
او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري الانسان عند استعظامه الشيء وقيل انه
مقدر بالقول اي قل يا محمد بل عجبت واذا ذكروا لا يذكرون معجزة تدل على صدق القائل به
يستسخرون يبالغون في السخرية ويقولون انه سحر او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر
منها وقالوا ان هذا يعنون ما يرونه الا سحر مبين ظاهر سحريته أئذا متنا وكنا ترابا
وعظاما أئنا لمبعوثون اصله انبعث اذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا
الظرف وكرروا الهمزة مبالغة في الانكار واشعارا بان البعث مستنكر في نفسه
وفي هذه الحالة اشد استنكارا فهو ابلغ من قراءة ابن عامر بطرح الهمزة الاولى وقراءة نافع
والكسائي ويعقوب بطرح الثانية أوآباؤنا الاولون عطف على محل ان واسمها
او على الضمير في مبعوثون فانه مفصول عنه بهمزة الاستفهام لزيادة الاستبعاد لبعد

والسادس

واذا وعظوا الشيء لا يتعظون به او اذا ذكر لهم ما يدل على صحة الحشر لا ينتفعون به لبلادتهم وقلة فكرهم
واذا راوا اية

الخامس

زمانهم

زمانهم وسكن نافع برواية قالون وابن عامر الواو على معنى الترديد قل نعم وانتم داخرون
وانما اكتفى في الجواب لسبق ما يدل على جوازه وقيام المعجز على صدق المخبر عن وقوعه وقرئ قال اي الله او الرسول
وقرأ الكسائي وحده نعم بالكسر وهو لغة فيه فانما هي زجرة واحدة جواب شرط مقدر اي
اذا كان ذلك فانما البعثة زجرة اي صيحة واحدة هي النفخة الثانية من زجر الراعي غنمه
اذا صاح عليها وامرها في الاعادة كامر كن في الابداء ولذلك رتب عليها فاذا هم
ينظرون فاذا هم قيام ينظرون من مراقدهم احياء يبصرون او ينتظرون ما يفعل بهم
وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين اليوم الذي نجازى باعمالنا وقد تم به كلامهم وقوله
هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون جواب الملائكة وقيل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض
احشروا الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل منه الى الجحيم وازواجهم واشباههم عابد
الصنم مع عبدة الصنم وعابد الكوكب مع عبدته كقوله وكنتم ازواجا ثلاثة او نساءهم
اللاتي على دينهم او قرناءهم من الشياطين وما كانوا يعبدون من دون الله من الاصنام
وغيرها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم وهو عام مخصوص بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية
وفيه دليل على ان الذين ظلموا هم المشركون فاهدوهم الى صراط الجحيم فعرفوا طريقها ليسلكوها
وقفوهم احبسوهم في الموقف انهم مسؤولون عن عقائدهم واعمالهم والواو لا توجب
الترتيب مع جواز ان يكون موقفهم متعددا ما لكم لا تناصرون لا ينصر بعضكم بعضا بالتخليص
وهو توبيخ وتعريض وتقريع بل هم اليوم مستسلمون منقادون لعجزهم وانسداد الحيل عليهم
واصل الاستسلام طلب السلامة او متسالمون كانه يسلم بعضهم بعضا ويخذله واقبل
بعضهم على بعض يعني الرؤساء والاتباع او الكفرة والقرناء يتساءلون يسأل بعضهم
بعضا للتوبيخ ولذلك فسر بيتخاصمون قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين عن
اقوى الوجوه واليمن او عن الدين او الخير كانكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم
وهلكنا مستعار من يمين الانسان الذي هو اقوى الجانبين واشرفه وانفعه ولذلك
سمي يمينا وتيمن بالسانح او عن القوة والقهر فتقسروننا على الضلال او عن الحلف
فانهم كانوا يحلفون لهم انهم على الحق قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من
سلطان بل كنتم قوما طاغين اجابهم الرؤساء اولا بمنع اضلالهم بانهم كانوا ضالين في انفسهم
وثانيا بانهم ما اجبروهم على الكفر اذ لم يكن لهم عليهم تسلط وانما جنحوا اليه لانهم كانوا قوما
مختارين الطغيان فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم انا كنا غاوين ثم
بينوا ان ضلال الفريقين ووقوعهم في العذاب كان امرا مقضيا لا محيص لهم عنه وان
غاية ما فعلوا بهم انهم دعوهم الى الغي لانهم كانوا على الغي فاحبوا ان يكونوا مثلهم وفيه
ايماء بان غوايتهم في الحقيقة ليست من قبلهم اذ لو كان كل غواية لاغواء فمن اغواهم فانهم
فان الاتباع والمتبوعين يومئذ في العذاب مشتركون كما كانوا مشتركين في الغواية انا
كذلك مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين بالمشركين لقوله انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون

صاغرون

اي عن كلمة التوحيد او على من يدعوهم اليه ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون
يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم بل جاء بالحق وصدق المرسلين رد عليهم بان ما جاء به من
التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون انكم لذائقوا العذاب الاليم بالاشراك
وتكذيب الرسول وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وهو
ضعيف في غير المحلى باللام وقرئ لذائقون على الاصل وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا
الا مثل ما عملتم الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع الا ان يكون الضمير في تجزون الا ان
يكون الضمير في تجزون لجميع المكلفين فيكون استثناؤهم عنه باعتبار المماثلة فان ثوابهم مضاعف
والمنقطع ايضا بهذا الاعتبار اولئك لهم رزق معلوم خصائصه من الدوام او تمحض اللذة
ولذلك فسر بقوله فواكه فان الفاكه ما يقصد للتلذذ دون التقوت والتغذي بالعكس واهل
الجنة لما اعيدوا على خلقة محكمة محفوظة عن التحلل كانت ارزاقهم فاكهة خالصة
وهم مكرمون في نيله يصل اليهم من غير تعب وسؤال كما عليه رزق الدنيا في جنات
النعيم في جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف او حال من المستكن في مكرمون او خبر ثان لاولئك
وكذلك على سرر يحتمل الحال والخبر فيكون متقابلين حالا من المستكن فيه او في مكرمون
وان يتعلق بمتقابلين فيكون حالا من ضمير مكرمون يطاف عليهم بكأس باناء فيه خمر او خمر
كقوله وكأس شربت على لذة من معين من شراب معين او نهر معين اي ظاهر للعيون
او خارج من العيون وهو صفة للماء من عان الماء اذا نبع وصف به خمر الجنة لانها تجري كالماء
او للاشعار بان يكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب من انواع الاشربة لكمال اللذة
ولذلك قوله بيضاء لذة للشاربين وهما ايضا صفتان لكأس ووصفها بلذة اما
للمبالغة او لانها تانيث لذ بمعنى لذيذ كطب ووزنه فعل قال ولذ كطعم الصرخدي
تركته بارض العدى من خشية الحدثان لا فيها غول غائلة كما في خمر الدنيا كالخمار من
غاله يغوله اذا افسده ومنه الغول ولا هم عنها ينزفون يسكرون من نزف الشارب
ونزف اذا ذهب عقله افرده بالنفي وعطف على ما يعمه لانه من عظيم فساده كانه جنس
براسه وقرا حمزة والكسائي بكسر الزاي وتابعهما عاصم في الواقعة من انزف الشارب اذا نفد
عقله او شرابه واصله للنفاد يقال نزف المطعون اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى
نزفتها وعندهم قاصرات الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن عين نجل العيون
جمع عيناء كانهن بيض مكنون شبههن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء
والبياض المخلوط بادنى صفرة فانه احسن الوان الابدان فاقبل بعضهم على بعض
يتساءلون معطوف على يطاف عليهم اي يشربون فيتحادثون على الشراب قال وما
بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام والتعبير عنه بالماضي للتاكيد فيه
فانه الذ تلك اللذات الى العقل وتساؤلهم عن المعارف والفضائل وما جرى لهم وعليهم في
الدنيا قال قائل منهم في مكالمتهم اني كان لي قرين جليس في الدنيا يقول أئنك لمن المصدقين

يوبخني

يوبخني على التصديق بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق أئذا متنا وكنا
ترابا وعظاما أئنا لمدينون لمجزيون من الدين بمعنى الجزاء قال اي ذلك القائل هل انتم مطلعون
الى النار لاريكم ذلك القرين وقيل القائل هو الله او بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا
على اهل النار لاريكم ذلك القرين فتعلموا اين منزلتكم من منزلتهم وعن ابي عمرو مطلعون
فاطلع بالتخفيف وكسر النون وضم الالف على انه جعل اطلاعهم سبب اطلاعه من حيث
ان ادب المجالسة تمنع الاستبداد به او خاطب الملائكة على وضع المتصل موضع المنفصل
كقوله هم الآمرون الخير والفاعلونه او شبه اسم الفاعل بالمضارع فاطلع عليهم
فرآه قرينه في سواء الجحيم وسطه قال تالله ان كدت لتردين لتهلكني بالاغواء وقرئ
لتغوين وان هي المخففة واللام هي الفارقة ولولا نعمة ربي بالهداية والعصمة
لكنت من المحضرين معك فيها أفما نحن بميتين عطف على محذوف اي انحن مخلدون منعمون
فما نحن بميتين اي بمن شانه الموت وقرئ بمائتين الا موتتنا الاولى التي كانت في
الدنيا وهي متناولة لما في القبر بعد الاحياء للسؤال ونصبها على المصدر من اسم الفاعل
وقيل على الاستثناء المنقطع وما نحن بمعذبين كالكفار وذلك تمام كلامه لقرينه
تقريعا له او معاودة الى مكالمة جلسائه تحدثا بنعمة الله وتبجحا بها وتعجبا منها
وتعريضا للقرين بالتوبيخ ان هذا لهو الفوز العظيم يحتمل ان يكون من كلامهم وان يكون
كلام الله لتقرير قوله والاشارة الى ما هم عليه من النعمة والخلود والامن من العذاب لمثل هذا
فليعمل العاملون اي لنيل مثل هذا يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالآلام
السريعة الانصرام وهو ايضا يحتمل الامرين أذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم شجرة
ثمرها نزل اهل النار وانتصاب نزلا على التمييز او الحال وفي ذكره دلالة على ان ما
ذكر من النعيم لاهل الجنة بمنزلة ما يقام للنازل ولهم ما وراء ذلك ما تقصر عنه الافهام
وكذلك الزقوم لاهل النار وهو اسم شجرة صغيرة الورق ذفرة مرة تكون بتهامة
سميت به الشجرة الموصوفة انا جعلناها فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الآخرة او ابتلاء
لما سمعوا انها في النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر على خلق حيوان يعيش
في النار ويلتذ بها فهو اقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق انها شجرة
تخرج في اصل الجحيم منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها طلعها
حملها مستعار من طلع التمر لمشاركته اياه في الشكل او الطلوع من الشجر كانه رؤوس
الشياطين في تناهي القبح والهول وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك
وقيل الشياطين حيات هائلة قبيحة المنظر لها اعراف ولعلها سميت بها لذلك فانهم
لآكلون منها من الشجرة او من طلعها فمالئون منها البطون من غلبة الجوع او الجبر على اكلها
ثم ان لهم عليها اي بعدما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم ويجوز ان يكون ثم
لما في شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة لشوبا من حميم لشرابا من غساق او صديد مشوبا

بما حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم ما يشاب به والاول مصدر سمي به ثم إن مرجعهم مصيرهم
لإلى الجحيم الى دركاتها او الى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الحميم
خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يوردون
اليه كما تورد الابل الماء ثم يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم إنهم ألفوا
آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد بتقليد الآباء
في الضلال والاهراع الاسراع الشديد كأنهم يزعجون على الاسراع على آثارهم وفيه
اشعار بانهم بادروا الى ذلك من غير توقف على نظر وبحث ولقد ضل قبلهم قبل قومك أكثر
الأولين ولقد أرسلنا فيهم منذرين انبياء انذروهم من العواقب فانظر كيف كان عاقبة
المنذرين من الشدة والفظاعة إلا عباد الله المخلصين الا الذين تنبهوا بانذارهم فاخلصوا
دينهم لله وقرئ بالفتح اي الذين اخلصهم الله لدينه والخطاب مع الرسول والمقصود خطاب
قومه فانهم ايضا سمعوا اخبارهم وراوا آثارهم ولقد نادانا نوح شروع في تفصيل القصص
بعد اجمالها اي ولقد دعانا حين آيس من قومه فلنعم المجيبون اي اجبناه احسن الاجابة
فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف منها ما حذف لقيام ما يدل عليه ونجيناه واهله من الكرب
العظيم من الغرق او اذى قومه وجعلنا ذريته هم الباقين اذ هلك من عداهم وبقوا
متناسلين الى يوم القيامة اذ روي انه مات كل من كان معه في السفينة غير بنيه وازواجهم
وتركنا عليه في الآخرين من الامم سلام على نوح هذا الكلام جيء به على الحكاية والمعنى يسلمون
عليه تسليما وقيل هو سلام من الله عليه ومفعول تركنا محذوف مثل الثناء في العالمين متعلق
بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية في الملائكة والثقلين جميعا إنا كذلك
نجزي المحسنين تعليل لما فعل بنوح من التكرمة بانه مجازاة على احسانه إنه من عبادنا المؤمنين
تعليل لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدره واصالة امره ثم أغرقنا الآخرين يعني كفار
قومه وإن من شيعته ممن شايعه في الايمان واصول الشريعة لإبراهيم ولا يبعد اتفاق
شرعهما في الفروع او غالبا وكان بينهما الفان وستمائة واربعون سنة وكان بينهما
نبيان هود وصالح إذ جاء ربه متعلق بما في الشيعة من معنى المشايعة او بمحذوف هو اذكر
بقلب سليم من آفات القلوب او من العلائق خالص لله او مخلص له وقيل حزين من السليم بمعنى اللديغ
ومعنى المجيء به ربه اخلاصه له كانه جاء به متحفا اياه إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون
بدل من الاول او ظرف لجاء او سليم أئفكا آلهة دون الله تريدون اي تريدون آلهة دون الله افكا
فقدم المفعول للعناية ثم المفعول له لان الاهم ان يقرر افكهم على الباطل ومبنى امرهم على الافك ويجوز
ان يكون افكا مفعولا به وآلهة بدل منه على انها افك في نفسها للمبالغة او المراد بها عبادتها
بحذف المضاف او حالا بمعنى آفكين فما ظنكم برب العالمين بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا
للعالمين حتى تركتم عبادته او اشركتم به غيره او امنتم من عذابه والمعنى انكار ما يوجب ظنا
فضلا عن قطع يصد عن عبادته او يجوز الاشراك به او يقتضي الامن من عقابه على طريقة الالزام

اي وان ممن شايعه على دينه حين جاء ربه قال الشيخ لا يجوز لان فيه الفصل بين العامل والمعمول باجنبي وهو لابراهيم وايضا انه الابتدا يمتنع ان يعمل ما قبلها فيما بعدها

أئفكا مفعول لاجله ودون ظرف لتريدون

وهو

وهو كالحجة على ما قبله فنظر نظرة في النجوم فرأى مواقعها واتصالاتها او في علمها او كتابها
ولا منع منه مع ان قصده ايهامهم وذلك حين سألوه ان يعيد معهم فقال إني سقيم اراهم
انه استدل بها لانهم كانوا منجمين على انه مشارف للسقم لئلا يخرجوه الى معيدهم فانه كان
اغلب اسقامهم الطاعون وكانوا يخافون العدوى او اراد اني سقيم القلب لكفركم
او خارج المزاج عن الاعتدال خروجا قل من يخلو منه او بصدد الموت ومنه المثل كفى بالسلامة
داء وقول لبيد: فدعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحني فاذا السلامة داء فتولوا
عنه مدبرين هاربين مخافة العدوى فراغ إلى آلهتهم فذهب اليها في خفية من
روغة الثعلب واصله الميل بحيلة فقال للاصنام استهزاء ألا تأكلون يعني الطعام
الذي كان عندهم ما لكم لا تنطقون بجوابي فراغ عليهم فمال عليهم مستخفيا
والتعدية بعلى للاستعلاء وان الميل لمكروه ضربا باليمين مصدر لراغ عليهم لانه في
معنى ضربهم او لمضمر تقديره فراغ عليهم يضربهم ضربا وتقييده باليمين للدلالة على قوته
فان قوة الآلة تستدعي قوة الفعل وقيل باليمين بسبب الحلف وهو قوله تالله لأكيدن
اصنامكم فأقبلوا إليه الى ابراهيم بعد ما رجعوا فرأوا اصنامهم مكسورة وبحثوا عن كاسرها
وظنوا انه هو كما شرحه في قوله من فعل هذا بآلهتنا الآية يزفون يسرعون من زفيف
النعام وقرأ حمزة على بناء المفعول من ازفه اي يحملون على الزفيف وقرئ يزفون اي يزف
بعضهم بعضا ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كأن
بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه قال أتعبدون ما تنحتون ما تنحتونه من الاصنام
والله خلقكم وما تعملون اي وما تعملونه فان جوهرها بخلقه وشكلها وان كان
بفعلهم ولذلك جعل من اعمالهم فباقداره اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم
من الدواعي والعدد او عملكم بمعنى معمولكم ليطابق ما تنحتون او انه بمعنى الحدث فان
فعلهم اذا كان بخلق الله فيهم كان مفعولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك وهذا المعنى
تمسك به اصحابنا على خلق الاعمال ولهم ان يرجحوه على الاولين لما فيهما من حذف
او مجاز قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم في النار الشديدة من الجحمة وهي شدة
التأجج قصدوا والتعذيب به بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم فجعلناهم الأسفلين الاذلين
بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شانه حيث جعل النار عليه بردا وسلاما وقال
إني ذاهب إلى ربي الى حيث امرني ربي وهو الشام او حيث اتجرد فيه لعبادته سيهدين
الى ما فيه صلاح ديني او الى مقصدي وانما بت القول لسبق وعده او لفرط توكله او للبناء
على عادته تعالى معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حين قال عسى ربي ان يهديني
سواء السبيل فلذلك ذكر بصيغة التوقع رب هب لي من الصالحين بعض الصالحين يعينني على
الدعوة والطاعة ويؤنسني في الغربة يعني الولد لان لفظ الهبة غالب فيه ولقوله
فبشرناه بغلام حليم بشره بالولد وانه ذكر يبلغ اوان الحلم فان الصبي لا يوصف بالحلم ويكون

صنام

واللام بدل الاضافة اي جحيم ذلك البنيان
فارادوا به كيدا

حليما واي حلم مثل حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح وهو مراهق فقال ستجدني ان شا الله من
الصابرين وقيل ما نعت الله نبيا بالحلم لعزة وجوده غير ابراهيم وابنه عليهما السلام
وحالهما المذكورة تشهد عليه فلما بلغ معه السعي اي فلما وجد وبلغ ان يسعى معه في
اعماله ومعه متعلق بمحذوف دل عليه السعي لا به لان صلة المصدر لا تتقدمه ولا ببلغ
فان بلوغهما لم يكن معا كانه قال فلما بلغ السعي فقيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان
الاب اكمل في الرفق والاستصلاح له فلا يستسعيه قبل اوانه ولانه استوهبه
لذلك وكان له يومئذ ثلاث عشرة سنة قال يا بني وقرا حفص وحده بفتح اليا اني ارى
في المنام اني اذبحك يحتمل انه راى ذلك وانه راى ما هو تعبيره وقيل انه راى ليلة التروية
ان قايلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك فلما اصبح روّى انه من الله او من الشيطان فلما
امسى راى مثل ذلك فعرف انه من الله ثم راى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره وقال له
ولهذا سميت الايام الثلاثة بالتروية وعرفة والنحر والاظهر ان المخاطب اسمعيل لانه الذي
وهب له اثر الهجرة ولان البشارة باسحق بعد معطوفة على البشارة بهذا الغلام ولقوله عليه السلام
انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والاخر ابوه عبد الله فان جده عبد المطلب نذر ان
يذبح ولدا ان سهل الله له حفر زمزم او بلغ بنوه عشرا فلما سهل خرج السهم على عبد الله
ففداه بماية من الابل ولذلك سنت الدية ماية ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين
بالكعبة حتى احترقا معها في ايام ابن الزبير ولم يكن اسحاق ثمة ولان البشارة باسحاق
كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبهما الامر بذبحه مراهقا وما روي انه
عليه السلام سيل اي النسب اشرف فقال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرايل الله ابن اسحاق ذبيح
الله ابن ابراهيم خليل الله فالصحيح انه قال يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم والزوايد
من الراوي وما روي ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرا ابن كثير ونافع
وابو عمرو بفتح اليا فيهما فانظر ماذا ترى من الراي وانما شاوره فيه وهو حتم ليعلم ما
عنده فيما نزل من بلا الله فيثبت قدمه ان جزع ويامن عليه ان سلم وليوطن نفسه
عليه ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله وقرا حمزة والكسائي ماذا ترى بضم التا
وكسر الرا خالصة والباقون بفتحها وابو عمرو يميل فتحة الرا وورش بين بين
والباقون باخلاص فتحها قال يا ابت وقرا ابن عامر بفتح التا افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به
فحذفا دفعة او على الترتيب كما عرفت او امرك على ارادة المامور به والاضافة الى المامور ولعله
فهم من كلامه انه راى انه يذبحه مامورا به او علم ان رويا الانبيا حق وان مثل ذلك لا يقدمون
عليه الا بامر ولعل الامر به في المنام دون اليقظة ليكون مبادرتهما الى الامتثال ادل
على كمال الانقياد والاخلاص وانما ذكر بلفظ المضارع لتكرر الرويا ستجدني ان شا الله من
الصابرين على الذبح او على قضا الله وقرا نافع بفتح اليا فلما اسلما استسلما لامر الله او سلما
لامر الله او سلما الذبيح نفسه وابراهيم ابنه وقد قرئ بهما واصلها سلم هذا لفلان اذا خلص

بعون

النسب

له فانه سلم من ان ينازع فيه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض وهو احد
جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته ليلا يرى فيه تغيرا يرق له فلا يذبحه وكان ذلك
عند الصخرة بمنى او في الموضع المشرف على مسجده او المنحر الذي ينحر فيه اليوم وناديناه
ان يا ابراهيم قد صدقت الرويا بالعزم والاتيان بالمقدمات وقد روي انه امر السكين
بقوته على حلقه مرارا فلم تقطع وجواب لما محذوف تقديره كان ما كان مما ينطق
به الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما لله تعالى على ما انعم عليهما من دفع البلا
بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق غيرهما لمثله واظهار فضلهما على العالمين مع احراز الثواب
العظيم الى غير ذلك انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لافراج تلك الشدة عنهما باحسانهما
واحتج به من جوز النسخ قبل وقوعه فانه عليه السلام كان مامورا بالذبح لقوله
افعل ما تومر ولم يحصل ان هذا لهو البلا المبين الابتلا البين الذي يتميز فيه المخلص من
غيره او المحنة البينة الصعوبة فانه لا اصعب منها وفديناه بذبح بما يذبح بدله
فيتم به الفعل عظيم عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لانه يفدي الله به نبيا ابن نبي
واي نبي من نسله سيد المرسلين قيل كان كبشا من الجنة وقيل وعلا اهبط عليه من ثبير
وروي انه هرب منه عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فصارت سنة و
الفادي على الحقيقة ابراهيم وانما قال وفديناه لانه المعطي له والامر به على التجوز
في الفدي او الاسناد واستدل به الحنفية على ان من نذر ذبح ولده لزمه ذبح شاة وليس
فيه ما يدل عليه وتركنا عليه في الاخرين سلام على ابراهيم سبق بيانه في قصة نوح
كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المومنين لعله طرح عنه انا اكتفا بذكره مرة في هذه
القصة وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين مقضيا نبوته مقدرا كونه من الصالحين
وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذي
الحال غير شرط بل الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار المعنى بالحال فلا حاجة
الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحاق اي بان يوجد اسحاق
نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين مقدرين
خلودهم وقت الدخول واسحاق لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حيث يوجد ومن فسر
الذبيح باسحاق جعل المقصود من البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم
لشانه وايما بانه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق وباركنا
عليه على ابراهيم في اولاده وعلى اسحاق بان اخرجنا من صلبه انبيا بني اسرايل وغيرهم كايوب
وشعيب او افضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقرئ وبركنا ومن ذريتهما محسن في عمله
او على نفسه بالايمان والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعاصي مبين ظاهر ظلمه وفي
ذلك تنبيه على ان النسب لا اثر له في الهدى والضلال وان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما
بنقيصة وعيب ولقد مننا على موسى وهرون انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية

والدنياوية

ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم من تعذيب فرعون او الغرق ونصرناهم الضمير لهما مع القوم
فكانوا هم الغالبين على فرعون وقومه وآتيناهما الكتاب المستبين البليغ في تبيانه وهو
التوراة وهديناهما الصراط المستقيم الطريق الموصل الى الحق والصواب وتركنا عليهما في
الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين
سبق مثله وان الياس لمن المرسلين هو الياس بن ياسين سبط هرون اخي موسى عليهما السلام
بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ ادريس وادراس مكانه وفي حرف ابي ايليس وقرأ ابن ذكوان
مع خلاف عنه بحذف همزة الياس اذ قال لقومه الا تتقون عذاب الله اتدعون بعلا
اتعبدونه او تطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك من الشام وهو البلد الذي
يقال له الآن بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن والمعنى اتدعون بعض البعول وتذرون
احسن الخالقين وتتركون عبادته وقد اشار به الى المقتضي للانكار المعني بالهمزة ثم
صرح به بقوله الله ربكم ورب آبائكم الاولين وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص بالنصب
على البدل فكذبوه فانهم لمحضرون اي في العذاب وانما اطلقه اكتفاء بالقرينة او لان
الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا الا عباد الله المخلصين مستثنى من الواو لا من
المحضرين لفساد المعنى وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين لغة في الياس
كسينا وسينين وقيل جمع له مراد به هو واتباعه كالمهلبين لكن فيه ان العلم
اذا جمع يجب تعريفه باللام او للمنسوب اليه بحذف يا النسب كالاعجمين وهو قليل
ملبس وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب على اضافة آل الى ياسين لانهما في المصحف مفصول
فيكون ياسين ابا الياس وقيل محمد صلى الله عليه وسلم او القرآن او غيره من كتب
الله والكل لا يناسب نظم سائر القصص ولا قوله انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا
المؤمنين اذ الظاهر ان الضمير لالياس وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين
الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين سبق بيانه وانكم يا اهل مكة لتمرون عليهم
على منازلهم في متاجركم الى الشام فان سدوم في طريقه مصبحين داخلين في الصباح
وبالليل اي ومساء او نهارا وليلا ولعلها وقت قريب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا
والقاصد لها مساء افلا تعقلون افليس فيكم عقل تعتبرون به وان يونس لمن المرسلين
وقرئ بكسر النون اذ ابق هرب واصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه
بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه الى الفلك المشحون المملو فساهم فقارع اهله فكان
من المدحضين فصار من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق عن مقام الظفر روي انه لما
وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يأمره الله تعالى به فركب السفينة فوقفت
فقالوا هاهنا عبد ابق فاقترعوا فخرجت القرعة فقال انا الآبق ورمى بنفسه في الماء
فالتقمه الحوت فابتلعه من اللقمة وهو مليم داخل في الملامة او آتٍ بما يلام عليه او
مليم بالتسبيح نفسه وقرئ بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب فلولا انه كان من المسبحين

الذاكرين

الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره او في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من
الظالمين وقيل من المصلين للبث في بطنه الى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا وفيه حث على اكثار
الذكر وتعظيم لشانه ومن اقبل عليه في السراء اخذ بيده عند الضراء فنبذناه بان حملنا الحوت
على لفظه بالعراء بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر او نبت روي ان الحوت سار مع السفينة
رافعا رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح حتى انتهوا الى البر فلفظه واختلف في مدة لبثه فقيل
بعض يوم وقيل ثلاثة ايام وقيل سبعة وقيل عشرون وقيل اربعون وهو سقيم مما ناله قيل
صار بدنه كبدن الطفل حين يولد وانبتنا عليه اي فوقه مظلة عليه شجرة من يقطين
من شجر ينبسط على وجه الارض ولا يقوم على ساقه يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به والاكثر على
انها كانت الدباء غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه ويدل عليه انه قيل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل التين وقيل الموز تغطى بورقه
واستظل باغصانه وافطر على ثماره وارسلناه الى مائة الف هم قومه الذين هرب عنهم وهم
اهل نينوى والمراد به ما سبق من ارساله او ارسال ثان اليهم او الى غيرهم او يزيدون في
مرأى الناظر اي اذا نظر اليهم الناظر قال انهم مائة الف او اكثر والمراد الوصف بالكثرة وقرئ بالواو
فآمنوا فصدقوه او جددوا الايمان به بمحضره فمتعناهم الى حين الى اجلهم المسمى ولعله
انما لم يختم قصته وقصة لوط بما ختم به سائر القصص تفرقة بينهما وبين ارباب الشرائع
الكبر واولي العزم من الرسل او اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة
فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون معطوف على مثله في اول السورة امر رسوله اولا
باستفتاء قريش عن وجه انكارهم البعث وساق الكلام في تقريره جارا لما يلائمه من القصص
موصولا بعضها ببعض ثم امر باستفتائهم عن وجه القسمة حيث جعلوا لله البنات ولا
البنين في قولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء زادوا على الشرك ضلالات اخر التجسيم وتجويز
البنات على الله تعالى فان الولادة مخصوصة بالاجسام الكائنة الفاسدة وتفضيل
انفسهم عليه حيث جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما لهم واستهانتهم بالملائكة حيث
انثوهم ولذلك كرر الله تعالى انكار ذلك وابطاله في كتابه مرارا وجعله مما تكاد السموات
يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا والانكار هاهنا مقصور على الاخيرين لاختصاص
هذه الطائفة بهما او لان فسادهما مما تدركه العامة بمقتضى طباعهم حيث جعل
المعادل للاستفهام عن وجه التقسيم ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون وانما خص
علم المشاهدة لان امثال ذلك لا يعلم الا بها فان الانوثة ليست من لوازم ذاتهم لتمكن معرفته
بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزاء والاشعار بانهم لفرط جهلهم يبتون به كانهم قد
شاهدوا خلقهم الا انهم ليقولون ولد الله لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه وانهم لكاذبون
فيما يتدينون به وقرئ ولد الله اي الملائكة ولده فعل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد والجمع
والمذكر والمؤنث اصطفى البنات على البنين استفهام انكار واستبعاد والاصطفاء اخذ

نفسهم

من افكهم ح

بن

منفوة التي وعن نافع كسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام لدلالة ام بعدها عليها
او على الاثبات باضمار القول اي لكاذبون في قولهم اصطفى او ابدال من ولد الله ما لكم كيف
تحكمون بما لا يقتضيه عقل افلا تذكرون الذي انزل عليكم ان كنتم صادقين في دعواكم
وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا يعني الملائكة ذكرهم باسم جنسهم وضعا منهم ان يبلغوا هذه
المرتبة وقيل قالوا ان الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا الله والشيطان اخوان
ولقد علمت الجنة انهم ان الكفرة او الانس او الجن ان فسرت بغير الملائكة لمحضرون في العذاب
سبحان الله عما يصفون من الولد والنسب الا عباد الله المخلصين استثناء من المحضرين
منقطع او متصل ان فسر الضمير بما يعمهم وما بينهما اعتراض او من يصفون فانكم وما تعبدون
عود الى خطابهم ما انتم عليه على الله بفاتنين مفسدين الناس بالاغواء الا من هو صال
الجحيم الا من سبق في علمه انه من اهل النار ويصلاها لا محالة وانتم ضمير لهم ولآلهتهم غلب
فيه المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون وما تعبدون لما فيه من معنى المقارنة سادا
مسد الخبر اي انكم وآلهتكم قرناء لا تزالون تعبدونها ما انتم على ما تعبدونه بفاتنين باعثين
على طريق الفتنة الا ضالا مستوجبا للنار مثلكم وقرئ صال بالضم على انه
جمع محمول على معنى من ساقط واوه لالتقاء الساكنين او تخفيف صايل على القلب كشاك
في شائك او المحذوف كالمنسي كما في قولهم ما باليت به بالة فان اصلها بالية كعافية
وما منا الا له مقام معلوم حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية للرد على عبدتهم
والمعنى ما احد منا الا له مقام معلوم في المعرفة والعبادة والانتهاء الى امر الله في
تدبير العالم ويحتمل ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله من كلامهم ليتصل
بقوله ولقد علمت الجنة كانه قال ولقد علم الملائكة ان المشركين معذبون بذلك وقالوا
سبحان الله تنزيها له عنه ثم استثنوا المخلصين تبرئة لهم منه ثم خاطبوا الكفرة
بان الافتتان بذلك للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت مراتبهم
فيه لا يتجاوزونها فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وانا لنحن الصافون في
الطاعة ومنازل الخدمة وانا لنحن المسبحون المنزهون عما لا يليق به ولعل الاول
اشارة الى درجاتهم في الطاعة وهذا في المعارف وما في ان واللام وتوسط الفصل
من التاكيد والاختصاص لانهم المواظبون على ذلك دايما من غير فترة دون غيرهم
وقيل هو من كلام النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والمعنى وما منا الا له مقام معلوم في الجنة
او بين يدي الله في القيامة وانا لنحن الصافون في الصلاة والمنزهون له عن السوء وان
كانوا ليقولون اي مشركو قريش لو ان عندنا ذكرا من الاولين كتابا من الكتب التي نزلت
عليهم لكنا عباد الله المخلصين لاخلصنا العبادة له ولم نخالف مثلهم فكفروا به
اي لما جاءهم الذكر الذي هو اشرف الاذكار والمهيمن عليها فسوف يعلمون عاقبة كفرهم
ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين اي وعدنا لهم بالنصر والغلبة وهو قوله انهم لهم

ام لكم سلطان مبين حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بناته فأتوا بكتابكم الذي انزل عليكم

المنصورون

المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وهو باعتبار الغالب والمقضي بالذات وانما سماه
كلمة وهي كلمات لانتظامها في معنى واحد فتول عنهم فاعرض عنهم حتى حين هو الموعد
لنصرك عليهم وهو يوم بدر وقيل يوم الفتح وابصرهم على ما ينالهم حينئذ والمراد
بالامر الدلالة على ان ذلك كائن قريب كانه قدامه فسوف يبصرون ما قضينا لك من
التاييد والنصرة والثواب في الآخرة وسوف للوعيد لا للتبعيد افبعذابنا يستعجلون
روي انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزلت فاذا نزل بساحتهم فاذا
نزل العذاب بفنائهم شبهه بجيش هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة وقيل الرسول وقرئ
نزل على اسناده الى الجار والمجرور ونزل اي العذاب فساء صباح المنذرين فبئس صباح
صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب
فلما كثرت الهجوم والغارة في الصباح سموا الغارة صباحا وان وقعت في وقت
اخر وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون تاكيد الى تاكيد واطلاقه بعد تقييد للاشعار
بانه يبصر وانهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من اصناف المسرة وانواع المساءة او الاول
لعذاب الدنيا والثاني لعذاب الآخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون عما قاله
المشركون فيه على ما حكي في السورة واضافة الرب الى العزة لاختصاصها به اذ لا عزة
الا له او لمن اعزه وقد ادرج فيه جملة صفاته السلبية والثبوتية مع الاشعار
بالتوحيد وسلام على المرسلين تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم والحمد لله رب
العالمين على ما افاض عليهم وعلى من اتبعهم من النعم وحسن العاقبة ولذلك اخره عن التسليم
والمراد تعليم المؤمنين كيف يحمدونه ويسلمون على رسله وعن علي رضي الله عنه من احب ان
يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه من مجلسه سبحان ربك رب العزة
عما يصفون الى آخر السورة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا والصافات اعطي من الاجر
عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الجن والشياطين وبرئ من
الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة انه كان مؤمنا بالمرسلين والله تعالى اعلم

سورة ص وهي ثمانون وخمس ايات

بسم الله الرحمن الرحيم ص قرئ بالكسر لالتقاء الساكنين وقيل انه امر
من المصاداة بمعنى المعارضة ومنه الصدى فانه يعارض الصوت الاول اي عارض القرآن
بعملك وبالفتح لذلك او لحذف حرف القسم وايصال فعله اليه او اضماره والفتح في موضع
الجر فانها غير مصروفة لانها علم السورة وبالجر والتنوين على تاويل الكتاب والقرآن
ذي الذكر الواو للقسم ان جعل صاد اسما للحرف او مذكورا للتحدي او للرمز بكلام مثل صدق
محمد او للسورة خبرا لمحذوف او لفظ الامر والعطف ان جعل مقسما به والجواب محذوف
دل عليه ما في ص من الدلالة على التحدي او الامر بالمعادلة اي انه لمعجز او لواجب العمل به او ان محمدا لصادق

او مح
ق
دق

او قوله بل الذين كفروا اي ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا به في عزة وشقاق
خلاف لله ولرسوله ولذلك كفروا به وعلى الاول الاضراب ايضا من الجواب المقدر ولكن
من حيث اشعاره بذلك والمراد بالذكر العظة او الشرف او الشهرة او ذكر ما يحتاج اليه
في الدين من العقايد والشرايع والمواعيد والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما
وقرئ في غرة اي غفلة عما يجب عليهم النظر فيه كم اهلكنا من قبلهم من قرن وعيد لهم
على كفرهم به استكبارا وشقاقا فنادوا استغاثة او توبة واستغفارا ولات حين
مناص اي ليس الحين حين مناص ولا هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث للتاكيد كما زيدت
على رب وثم وخصت بلزوم الاحيان وحذف احد المعمولين وقيل هي النافية للجنس
اي ولا حين مناص لهم وقيل للفعل والنصب باضماره اي ولات ارى حين مناص وقرئ
بالرفع على انه اسم لا او مبتدا محذوف الخبر اي ليس حين مناص حاصلا لهم او لا حين
مناص كاين لهم وبالكسر كقوله طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا ان لات حين بقاء
اما لان لات تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضماير في نحو قوله لولاك في هذا العام
لم احجج او لان اوان شبه باذ لانه مقطوع عن الاضافة اذ اصله اوان صلح
ثم حمل عليه مناص تنزيلا لما اضيف اليه الظرف منزلته لما بينهما من الاتحاد اذ اصله
حين مناصهم ثم بني الحين لاضافته الى غير متمكن ولات بالكسر كجير وتقف
الكوفية عليها بالهاء كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال وقيل التاء مزيدة على حين
لاتصالها به في الامام ولا يرد عليه لان خط المصحف خارج عن القياس اذ مثله
لم يعهد فيه والاصل اعتباره الا فيما خصه الدليل ولقوله العاطفون تحين
ما من عاطف والمطعمون زمان ما من مطعم والمناص المنجا من ناصه ينوصه اذا
فاته وعجبوا ان جاءهم منذر منهم بشر مثلهم او امي من عدادهم وقال الكافرون
وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وذما لهم واشعارا بان كفرهم جسرهم
على هذا القول هذا ساحر فيما يظهره معجزة كذاب فيما يقول على الله اجعل الالهة
الها واحدا بان جعل الالوهية ان هذا لشيء عجاب بليغ في العجب فانه خلاف ما اطبق
عليه اباونا وما نشاهده من ان الواحد لا يفي علمه وقدرته بالاشيا الكثيرة وقرئ
مشددا وهو ابلغ ككرام وكرام روي انه لما اسلم عمر شق ذلك على قريش فاتوا ابا طالب
وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هولاء السفهاء وانا جيناك لتقضي
بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هولاء قومك
يسالونك السوال فلا تمل كل الميل عليهم فقال عليه السلام ماذا تسالونني قالوا ارفضنا
وارفض ذكر الهتنا وندعك والهك فقال ارايتم ان اعطيتكم ما سالتم اتعطونني انتم
كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال قولوا
لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك وانطلق الملا منهم وانطلق اشراف قريش من مجلس ابي طالب

استكبار عن الحق

التي كانت لهم الواحد

ارفضنا

بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امشوا قايلين بعضهم لبعض امشوا واصبروا واثبتوا
على الهتكم على عبادتها فلا ينفعكم مكالمته وان هي المفسرة لان الانطلاق عن مجلس التقاول
يشعر بالقول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع وقرئ يمشون ان اصبروا ان هذا لشيء
يراد ان هذا الامر لشيء من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له او ان هذا الذي يدعيه من
التوحيد او يقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى او يريده كل احد
او ان دينكم لشيء يطلب ليوخذ منكم ويغلب عليه ما سمعنا بهذا بهذا الذي يقوله
في الملة الاخرة في الملة التي ادركنا عليها اباءنا او في ملة عيسى التي هي اخر الملل فان النصارى
يثلثون ويجوز ان يكون حالا من هذا اي ما سمعنا من اهل الكتاب ولا الكهان بالتوحيد
كائنا في الملة المترقبة ان هذا الا اختلاق كذب اختلقه اانزل عليه الذكر من بيننا انكار
لاختصاصه بالوحي وهو مثلهم او ادون منهم في الشرف والرياسة كقولهم لولا نزل
هذا القران على رجل من القريتين عظيم وامثال ذلك دليل على ان مبدا تكذيبهم لم يكن
الا الحسد وقصور النظر على الحطام الدنيوي وقرئ ااانزل وهذا الاولية تليين الثانية
شبه واو وكذلك ابن كثير وابو عمرو واسمعيل الا انهم يقصرونها بل هم في شك من ذكري
من القران او الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن الدليل وليس في عقيدتهم ما يبتون
به من قولهم هذا ساحر كذاب ان هذا الا اختلاق بل لما يذوقوا عذاب بل لم يذوقوا
عذابي بعد فاذا ذاقوا زال شكهم والمعنى انهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب فيلجيهم
الى تصديقه ام عندهم خزاين رحمة ربك بل اعندهم خزاين رحمته وفي تصرفهم حتى
يصيبوا بها من شاءوا ويصرفوها عمن شاءوا فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى
ان النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده لا مانع له فانه العزيز
اي الغالب الذي لا يغلب الوهاب الذي له ان يهب كل ما يشاء لمن يشاء ثم رشح ذلك فقال
ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما كانه لما انكر عليهم التصرف في نبوته بان ليس عندهم
خزاين رحمته التي لا نهاية لها اردف ذلك بانه ليس لهم مدخل في امر هذا العالم الجسماني الذي
هو جزء يسير من خزاينه فمن اين لهم ان يتصرفوا فيها فليرتقوا في الاسباب جواب شرط محذوف
اي ان كان لهم ذلك فليصعدوا في المعارج التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه
ويدبروا امر العالم فينزلوا الوحي الى من يستصوبون وهو غاية التهكم بهم والسبب
في الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها اسباب الحوادث السفلية جند
ما هنالك مهزوم من الاحزاب اي هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم
مكسور عما قريب فمن اين لهم التدابير الالهية والتصرف في الامور الربانية او فلا تكترث بما
يقولون وما مزيدة للتقليل كقولك اكلت شيئا ما وقيل للتعظيم على الهزء وهو بلايم لما
بعده وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل هذا القول
كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد ذو الملك الثابت بالاوتاد كقوله

في القول وامشوا من مشت المراة اذا كثرت ولادتها وفت الماشية اي اجتمعوا

ءانزل عليه

العزيز الوهاب

ولقد غنوا فيها بانعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد ماخوذ من ثبات البيت المطنب
باوتاده او ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد البنا
وقيل نصب اربع سوار وكان يمد يدي المعذب ورجليه اليها ويضرب عليها اوتادا
ويتركه حتى يموت وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة واصحاب الغيضة وهم قوم شعيب
وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر ليكة اولئك الاحزاب يعني المتحزبين على الرسل الذي جعل الجند
المهزوم منهم ان كل الا كذب الرسل بيان لما اسند اليهم من التكذيب على الابهام يشتمل على
انواع من التاكيد ليكون تسجيلا على استحقاقهم للعذاب ولذلك رتب عليه فحق عقاب
وهو اما مقابلة الجمع بالجمع او جعل تكذيب الواحد منهم تكذيب جميعهم وما ينظر هؤلاء
وما ينتظر قومك او الاحزاب فانهم كالحضور لاستحضارهم بالذكر او حضورهم في علم الله
الا صيحة واحدة هي النفخة ما لها من فواق من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين
او رجوع وترداد فانه يرجع اللبن الى الضرع وقرا حمزة والكسائي بالضم وهما لغتان
وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قسطنا من العذاب الذي توعدنا به او الجنة التي تعد للمؤمنين
وهو من قطه اذا قطعه ويقال الصحيفة الجائزة ويقال للصحيفة الجائزة قط لانها قطعة
من القرطاس وقد فسر بها اي عجل لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها قبل يوم الحساب استعجلوا ذلك استهزاء
اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود واذكر لهم قصته تعظيما للمعصية في اعينهم فانه
مع علو شانه واختصاصه بعظائم النعم والمكرمات لما اتى صغيرة نزل عن منزلته ووبخه الملائكة
بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه واناب فما الظن بالكفرة واهل الطغيان او تذكر
قصته وصن نفسك ان تزل فيلقاك ما لقيه من المعاتبة على اهماله عنان نفسه ادنى اهمال
ذا الايد ذا القوة يقال فلان ايد وذو ايد واياد بمعنى انه اواب رجاع الى مرضات الله
وهو تعليل للايد على ان المراد به القوة في الدين وكان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف
الليل انا سخرنا الجبال معه يسبحن قد مر تفسيره ويسبحن حال وضع موضع مسبحات لاستحضار
الحال الماضية والدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال بالعشي والاشراق ووقت الاشراق
وهو حين تشرق الشمس اي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها
يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هانئ انه عليه السلام صلى صلاة الضحى وقال هذه صلاة
الاشراق وعن ابن عباس ما عرفت صلاة الضحى الا بهذه الاية والطير محشورة اليه من كل جانب
وانما لم يراع المطابقة بين الحالين لان الحشر جملة ادل على القدرة منه مدرجا وقرئ
والطير محشورة بالابتداء والخبر كل له اواب كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى
التسبيح والفرق بينه وبين ما قبله انه يدل على الموافقة في التسبيح وهذا على المداومة
عليها او كل منهما ومن داود مرجع لله التسبيح وشددنا ملكه وقويناه بالهيبة والنصرة
وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة وقيل ان رجلا ادعى بقرة على اخر وعجز عن البيان
فاوحي اليه ان اقتل المدعى عليه فاعلمه فقال صدقت اني قتلت اباه غيلة واخذت البقرة فعظم

لذلك

دليله

لذلك هيبته وآتيناه الحكمة النبوة او كمال العلم واتقان العمل وفصل الخطاب وفصل الخصام
بتمييز الحق عن الباطل او الكلام المخلص الذي ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس يراعى فيه
مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف والاضمار والاظهار والحذف والتكرار ونحوها
وانما سمي به اما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق مقدمة له من الحمد والصلاة وقيل هو الخطاب
القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل كما جاء في وصف كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فصل لا نزر ولا هذر وهل اتاك نبا الخصم استفهام معناه التعجب والتشويق الى استماعه
والخصم في الاصل مصدر ولذلك اطلق للجمع اذ تسوروا المحراب اذ تصعدوا سور الغرفة
تفعل من السور كتسنم من السنام واذ متعلق بمحذوف اي نبا تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبا
على ان المراد به الواقع في عهد داود وان اسناد اتى اليه على حذف مضاف اي قصة نبا
الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الفعل لا باتى لان اتيانه الرسول لم يكن حينئذ اذ دخلوا على داود
بدل من الاولى او ظرف لتسوروا ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق في يوم الاحتجاب
والحرس على الباب لا يتركون من يدخل عليه فانه كان عليه السلام جزا زمانه يوما للعبادة
ويوما للقضاء ويوما للوعظ ويوما للاشتغال بخاصته فتسور عليه ملائكة على صورة الانسان
في يوم الخلوة قالوا لا تخف خصمان نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما
بغى بعضنا على بعض وهو على الفرض وقصد التعريض ان كانوا ملائكة وهو المشهور فاحكم
بيننا بالحق ولا تشطط ولا تجر في الحكومة وقرئ ولا تشطط ولا تبعد عن الحق ولا تشاطط
والكل من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد واهدنا الى سواء الصراط اي الى وسطه وهو
العدل ان هذا اخي بالدين او الصحبة له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة هي الانثى
من الضان وقد يكنى بها عن المراة والكناية والتمثيل فيما يساق للتعريض ابلغ في المقصود
وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرا حفص بفتح يا لي نعجة فقال اكفلنيها
ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي وقيل اجعلها كفلي اي نصيبي
وعزني في الخطاب وغلبني في مخاطبته اياي محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر على رده
او في مغالبته اياي في الخطبة يقال خطبت المراة وخطبها هو فخاطبني خطابا حيث زوجها
دوني وعازني اي غالبني وعزني على تخفيف عزني قال لقد ظلمك بسؤال
نعجتك الى نعاجه جواب قسم محذوف اريد به المبالغة في انكار فعل خليطه وتهجين
طمعه ولعله قال ذلك بعد اعترافه او على تقدير صدق المدعي والسؤال مصدر مضاف
الى مفعوله وتعديته الى مفعول اخر بالى لتضمنه معنى الاضافة وان كثيرا من الخلطاء
الشركاء الذين خلطوا اموالهم جمع خليط ليبغي ليتعدى بعضهم على بعض وقرئ بفتح اليا
على تقدير نون التوكيد الخفيفة وحذفها كقوله اضرب عنك الهموم طارقها وحذف
اليا اكتفاء بالكسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم اي وهم قليل وما مزيدة
للابهام والتعجب من قلتهم وظن داود انما فتناه اي ابتليناه بالذنب او امتحناه بتلك

للحكومة

على تنبيه بها فاستغفر ربه لذنبه وخر راكعا ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبدأه
او خر للسجود راكعا اي مصليا كانه احرم بركعتي الاستغفار وأناب ورجع الى الله تعالى
بالتوبة واقصى ما في هذه القضية الاشعار بانه عليه السلام ود ان يكون له ما لغيره وكان
له امثاله فنبهه الله بهذه القصة فاستغفر واناب عنه وما روي ان بصره وقع على امرأة
فعشقها وسعى حتى تزوجها وولدت منها سليمان ان صح فلعله خطب مخطوبته او استنزله
عن زوجته وكان ذلك معتادا فيما بينهم وقد واسى الانصار المهاجرين بهذا المعنى وما
قيل انه ارسل اوريا الى الجهاد مرارا وامر ان يتقدم حتى قتل فتزوجها هزؤ وافتراء ولذلك
قال علي رضي الله عنه من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وقيل
ان قوما قصدوا ان يقتلوه فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا
بهذا التحاكم فعلم غرضهم وقصد ان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء من الله له فاستغفر ربه مما هم
واناب فغفرنا له ذلك اي ما استغفر عنه وان له عندنا لزلفى لقربة بعد المغفرة وحسن
مآب مرجع في الجنة يا داود انا جعلناك خليفة في الارض استخلفناك على الملك
فيها او جعلناك خليفة ممن قبلك من الانبياء القائمين بالحق فاحكم بين الناس بالحق بحكم
الله
ولا تتبع الهوى ما تهوى الانفس وهو يؤيد ما قيل ان ذنبه المبادرة الى تصديق المدعي
وتظليم الاخر قبل مسألته فيضلك عن سبيل الله دلائله التي نصبها على الحق ان الذين
يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب بسبب نسيانهم وهو
ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضي ملازمة الحق ومخالفة الهوى وما خلقنا
السماء والارض وما بينهما باطلا خلقا باطلا لا حكمة فيه او ذوي باطل بمعنى مبطلين عابثين
كقوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين او للباطل الذي هو متابعة الهوى
بل للحق الذي هو مقتضى الدليل من التوحيد والتدرع بالشرع لقوله وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون على وضعه موضع المصدر مثل هنيئا ذلك ظن الذين كفروا الاشارة الى
خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون فويل للذين كفروا من النار بسبب هذا الظن ام نجعل الذين
آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين ام منقطعة والاستفهام فيها لانكار التسوية
في الارض م
بين الحزبين التي هي من لوازم خلقها باطلا ليدل على نفيه وكذا التي في قوله ام نجعل
المتقين كالفجار كانه انكر التسوية اولا بين المؤمنين والكافرين ثم بين المتقين من
المؤمنين والمجرمين منهم ويجوز ان يكون تكريرا للانكار الاول باعتبار وصفين آخرين يمنعان
التسوية من الحكيم الرحيم والآية تدل على صحة القول بالحشر فان التفاضل بينهما اما ان
يكون في الدنيا والغالب فيها عكس ما تقتضي الحكمة فيه او في غيرها وذلك يستدعي ان يكون
لهم حال اخرى يجازون فيها كتاب انزلناه اليك مبارك نفاع وقرئ بالنصب على الحال
ليدبروا آياته ليتفكروا فيها فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة
والمعاني المستنبطة وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا اي انت وعلماء امتك وليتذكر

اولوا الالباب وليتعظ به ذوو العقول السليمة او ليستحضروا ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم
من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية بيان لما لا يعرف الا من الشرع وارشاد
الى ما لا يستقل به العقل ولعل التدبر للمعلوم الاول والتذكر للثاني ووهبنا لداود سليمان
نعم العبد اي نعم العبد سليمان اذ ما بعده تعليل للمدح وهو من حاله انه اواب رجاع الى الله
بالتوبة او الى التسبيح مرجع له اذ عرض عليه ظرف لاواب او لنعم والضمير لسليمان عند الجمهور
بالعشي بعد الظهر الصافنات الصافن من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو
من الصفات المحمودة في الخيل لا يكاد يكون الا في العراب الخلص الجياد جمع جواد او جود
وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود في الركض وقيل جمع جيد الخيل روي انه عليه السلام
السلام
غزا دمشق ونصيبين واصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها منه فاستعرضها
ضا
فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد كان له فاغتم لما فاته فاستردها
فعقرها تقربا لله فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي اصل احببت ان يعدى بعلى
لانه بمعنى آثرت لكن لما انيب مناب انبت عدي بعن وقيل هو بمعنى تقاعدت
من قوله مثل بعير السوء اذ احبا اي برك وحب الخير مفعول له والخير المال الكثير والمراد
به الخيل التي شغلته ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال عليه السلام الخيل معقود
بنواصيها الخير الى يوم القيامة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بفتح الياء حتى توارت بالحجاب
اي غربت الشمس شبه غروبها بتواري المخبأة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليها
ردوها علي الضمير للصافنات فطفق مسحا فاخذ يمسح السيف مسحا بالسوق والاعناق
اي بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اذا ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده اعناقها
وسوقها حبا لها وعن ابن كثير بالسؤق على همز الواو لضمة ما قبلها كمؤقن وعن ابي عمرو بالسؤوق
كا[illegible] وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس ولقد فتنا سليمان والقينا
على كرسيه جسدا ثم اناب واظهر ما قيل فيه ما روي مرفوعا لاطوفن على سبعين امرأة تأتي كل
واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة جاءت بشق رجل
فوالذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على
قتله فعلم ذلك فكان يغذوه في السحاب فما شعر به الا ان القي على كرسيه ميتا فتنبه على خطائه
بان لم يتوكل على الله وقيل انه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها واصاب ابنته جرادة فاحبها
وكان لا يرقا دمعها جزعا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت المرأة تغدو اليها
وتروح مع ولائدها يسجدون لها كعادتهن في ملكه فاخبره آصف فكسر الصورة وضرب المرأة وخرج
ج
الى الفلاة باكيا متضرعا وكانت له ام ولد اسمها امينة اذا دخل للطهارة اعطاها خاتمه وكان ملكه
فيه فاعطاها يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع
عليه الخلق ونفذ حكمه في كل شيء الا فيه وفي نسائه وغير سليمان عن هيئته فاتاها لطلب الخاتم فطردته
فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف حتى مضى اربعون يوما عدد ما عبدت الصورة

في بيته فطار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يده فبقر بطنها فوجد الخاتم
فتختم به وخر ساجداً لله وعاد اليه الملك فعلى هذا الجسد صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه لانه كان
متمثلاً بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عن حال اهله لان اتخاذ التماثيل كان جائزاً حينئذ وسجود الصنم
بغير علمه لا يضره قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لاحد من بعدي لا يتسهل له ولا يكون
ليكون معجزة لي مناسبة لحالي او لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني بعد هذه السلبة او لا يصح لاحد من بعدي
لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة لا ان لا يعطى احد مثله
فيكون منافسة وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين ووجوب تقديم ما يجعل
الدعاء بصدد الاجابة وقرأ نافع وابو عمرو بفتح الياء انك انت الوهاب المعطي ما تشاء لمن تشاء فسخرنا له
الريح فذللناها لطاعته اجابة لدعوته وقرئ الرياح تجري بامره رخاء لينة من الرخاوة لا
تزعزع او لا تخالف ارادته كالمامور المنقاد حيث اصاب اراد من قولهم اصاب الصواب فاخطأ
الجواب والشياطين عطف على الريح كل بناء وغواص بدل منه وآخرين مقرنين في الاصفاد عطف
على كل كانه فصل الشياطين الى عملة استعملهم في الاعمال الشاقة كالبناء والغوص ومردة قرن بعضهم مع بعض
في السلاسل ليكفوا عن الشر ولعل اجسامهم شفافة صلبة فلا ترى ويمكن تقييدها هذا او الاقرب
ان المراد تمثيل كفهم عن الشر والاقران بالصفد وهو القيد وسمي به العطاء لانه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا
بين فعليهما فقالوا اصفده قيده واصفده اعطاه عكس وعد واوعد وفي ذلك نكتة هذا عطاؤنا اي
هذا الذي اعطيناك من الملك والبسطة والتسلط على ما لم يسلط به غيرك عطاؤنا فامنن او امسك فاعط
من شئت او امنع من شئت بغير حساب حال من المستكن في الامر اي غير محاسب على منه وامساكه لتفويض
التصرف فيه اليك او من العطاء او صلة له وما بينهما اعتراض والمعنى انه عطاء جم لا يكاد يمكن حصره وقيل
الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك اطلاقهم وابقاؤهم في القيد وان له عندنا لزلفى
في الآخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا وحسن مآب هو الجنة واذكر عبدنا ايوب هو ابن عيص
ابن اسحاق وامرأته ليا بنت يعقوب اذ نادى ربه بدل من عبدنا وايوب عطف بيان له اني مسني
باني مسني وقرأ حمزة باسكان الياء واسقاطها في الوصل الشيطان بنصب بتعب وعذاب الم وهو
حكاية لكلامه الذي ناداه به ولولاه لقال انه مسه والاسناد الى الشيطان اما لان الله مسه به
لما فعل بوسوسته كما قيل انه اعجب بكثرة ماله او استغاثه مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية
كافر فداهنه ولم يغزه او لسؤاله امتحاناً لصبره فيكون اعترافاً بالذنب او مراعاة للادب او لانه
وسوس الى اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم او لان المراد من النصب والعذاب ما كان
يوسوس اليه في مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الجزع وقرأ يعقوب بالفتح على
المصدر وقرئ بفتحتين وهو لغة فيه كالرشد والرشد وبضمتين للتثقيل اركض برجلك حكاية لما
اجيب به اي اضرب برجلك الارض هذا مغتسل بارد وشراب اي فضربها فنبعت عين فقيل
هذا مغتسل تغتسل منه وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وقيل نبعت عينان حارة وباردة
فاغتسل من الحارة وشرب من الاخرى ووهبنا له اهله بان جمعناهم عليه بعد تفرقهم واحييناهم

بعد

بعد موتهم وقيل وهبنا له مثلهم ومثلهم معهم حتى كان له ضعف ما كان رحمة منا لرحمتنا
عليه وذكرى لاولي الالباب وتذكيراً لهم لينتظروا الفرج بالصبر واللجأ الى الله فيما يحيق بهم
وخذ بيدك ضغثاً عطف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه فاضرب
به ولا تحنث روي ان زوجته ليا بنت يعقوب وقيل رحمة بنت افرايم بن يوسف ذهبت
لحاجة فابطأت فحلف ان برئ ضربها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك وهي رخصة باقية في الحدود انا
وجدناه صابراً فيما اصابه في النفس والاهل والمال ولا يخل به شكواه الى الله من الشيطان فانه لا يسمى
جزعاً كتمني العافية وطلب الشفاء مع انه قال ذلك خيفة ان يفتنه او قومه في الدين نعم العبد
ايوب انه اواب مقبل بشراشره على الله واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب وقرأ
ابن كثير عبدنا وضع الجنس موضع الجمع على انه ابراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان له واسحق
ويعقوب عطف عليه اولي الايدي والابصار اولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين او اولي
الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدي عن الاعمال لان اكثرها بمباشرتها وبالابصار عن
المعارف لانها اقوى مباديها وفيه تعريض بالبطلة الجهال انهم كالزمنى والعماة انا اخلصناهم
بخالصة جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة لا شوب فيها هي ذكرى الدار تذكرهم للآخرة دائماً
فان خلوصهم في الطاعة بسببها وذلك لان مطمح نظرهم فيما يأتون ويذرون جوار الله والفوز
بلقائه وذلك في الآخرة واطلاق الدار للاشعار بانها الدار الحقيقية والدنيا معبر واضاف
نافع بخالصة الى ذكرى للبيان او لانه مصدر بمعنى الخلوص فاضيف الى فاعله وانهم عندنا
لمن المصطفين الاخيار لمن المختارين من امثالهم المصطفين عليهم في الخير جمع خير كشر واشرار
وقيل جمع خير او خير على تخفيفه كاموات في جمع ميت او ميت واذكر اسماعيل واليسع هو
ابن اخطوب استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم استنبئ واللام كما في قوله رأيت الوليد بن
اليزيد مباركاً وقرأ حمزة والكسائي والليسع تشبيهاً بالمنقول من ليسع من اللسع وذا الكفل ابن عم يسع
او بشر بن ايوب واختلف في نبوته ولقبه فقيل فر اليه مائة من بني اسرائيل من القتل فآواهم
وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلاة وكل اي وكلهم من الاخيار
هذا اشارة الى ما تقدم من امورهم ذكر شرف لهم او نوع من الذكر وهو القرآن ثم شرع
في بيان ما اعد لهم ولامثالهم فقال وان للمتقين لحسن مآب مرجع جنات عدن
عطف بيان لحسن مآب وهو من الاعلام الغالبة لقوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده
وانتصب عنها مفتحة لهم الابواب على الحال والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل
وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر او انهما خبران لمحذوف متكئين فيها يدعون فيها
بفاكهة كثيرة وشراب حالان متعاقبان او متداخلان من الضمير في لهم لا من
المتقين للفصل والاظهر ان يدعون استئناف لبيان حالهم فيها ومتكئين حال من
ضميره وعندهم قاصرات الطرف لا ينظرن الى غير ازواجهن اتراب اتراب لهم فان
التحاب بين الاقران اثبت او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه

مقبل

كشر

من التراب لانه يمسه في وقت واحد هذا ما توعدون ليوم الحساب لاجله فان الحساب
علة الوصول الى الجزاء وقرا ابن كثير وابو عمرو بالياء ليوافق ما قبله ان هذا لرزقنا ما له من نفاد
انقطاع هذا اي الامر هذا او هذا كما ذكر او خذ هذا وان للطاغين لشر مآب جهنم
اعرابه ما سبق يصلونها حال من جهنم فبئس المهاد المهد والمفرش مستعار من فراش
النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم كقوله لهم من جهنم مهاد هذا فليذوقوه اي
ليذوقوا هذا فليذوقوه او العذاب هذا فليذوقوه ويجوز ان يكون مبتدا خبره حميم وغساق
وهو على الاولين خبر محذوف اي هو حميم والغساق ما يغسق من صديد اهل النار من غسقت
العين اذا سال دمعها واخر اي مذوق او عذاب اخر اي مذوقات او انواع عذاب
من شكله من مثله هذا المذوق او العذاب في الشدة وتوحيد الضمير على انه لما ذكر او للشراب
السائل الحميم والغساق او للغساق وقرئ بالكسر وهي لغة ازواج اجناس خبر اخر
او صفة له او للثلاثة او مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم هذا فوج مقتحم معكم
حكاية ما يقال للرؤسا الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج تبعهم في الضلال
والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها لا مرحبا بهم دعاء من المتبوعين على اتباعهم او صفة
لفوج او حال اي مقولا فيهم لا مرحبا اي ما اتوا رحبا وسعة انهم صالوا النار داخلو
النار باعمالهم مثلنا قالوا اي الاتباع للرؤسا بل انتم لا مرحبا بكم بل انتم احق بما قلتم او قيل
لنا لضلالكم واضلالكم كما قالوا انتم قدمتموه لنا قدمتم العذاب او الصلي لنا باغوائنا
على ما قدمتم من العقائد الزائغة والاعمال القبيحة فبئس القرار فبئس المقر جهنم
قالوا اي الاتباع ايضا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا مضاعفا اي ذا
ضعف وذلك ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب
وقالوا اي الطاغون ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المسلمين الذين
يسترذلونهم ويسخرون بهم اتخذناهم سخريا صفة اخرى لرجالا وقرا الحجازيان وابن
عامر وعاصم بهمزة الاستفهام على انه انكار على انفسهم وتانيب لها في الاستسخار
منهم وقرا نافع وحمزة والكسائي سخريا بالضم وقد سبق مثله في المومنين ام زاغت مالت
عنهم الابصار فلا نراهم وام معادلة لما لا نرى على ان المراد نفي رؤيتهم لغيبتهم كانوا
يقولون ليسوا هاهنا ام زاغت عنهم الابصار او لاتخذناهم على القراءة الثانية بمعنى
اي الامرين فعلنا بهم الاستسخار ام تحقيرهم فان زيغ الابصار كناية عنه على معنى
انكارهم على انفسهم او منقطعة والمراد الدلالة على ان استرذالهم والاستسخار منهم
كان لزيغ ابصارهم وقصور انظارهم على رثاثة حالهم ان ذلك الذي حكينا عنهم
لحق لا بد ان يتكلموا به ثم بين ما هو فقال تخاصم اهل النار وهو بدل من حق او خبر
محذوف وقرئ بالنصب على البدل من ذلك قل يا محمد للمشركين انما انا منذر انذركم عذاب الله
وما من اله الا الله الواحد الذي لا يقبل الشركة والكثرة في ذاته القهار لكل شيء رب السموات

في النار

والارض وما بينهما منه خلقها واليه امرها العزيز لا يغلب اذا عاقب الغفار الذي يغفر
ما يشاء من الذنوب لمن يشاء وفي هذه الاوصاف تقرير للتوحيد ووعد ووعيد للموحدين والمشركين
وتثنية ما يشعر بالوعيد وتقديمه لان المدعو به هو الانذار قل هو اي ما انباكم به من عقوبة
من هذه صفته وانه واحد في الوهيته وقيل ما بعده من نبا ادم نبا عظيم انتم عنه معرضون
لتمادي غفلتهم فان العاقل لا يعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه الحجج الواضحة اما على التوحيد
فما مر واما على النبوة فقوله ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون فان اخباره
عن تقاول الملائكة وما جرى بينهم على ما ورد في الكتب المتقدمة من غير سماع ومطالعة كتاب
لا يتصور الا بالوحي واذ متعلق بعلم او محذوف اذ التقدير من علم بكلام الملا الاعلى ان يوحى
الي الا انما انا نذير مبين اي لانما كانه لما جوز ان الوحي ياتيه بين بذلك ما هو المقصود به
تحقيقا لقوله انما انا منذر فيجوز ان يرتفع باسناد يوحى اليه وقرئ انما بالكسر على الحكاية
اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين بدل من اذ يختصمون مبين له فان القصة
التي دخلت اذ عليها مشتملة على تقاول الملائكة وابليس في خلق ادم واستحقاقه للخلافة
والسجود على ما مر في البقرة غير انها اختصرت اكتفاء بذلك واقتصارا على ما هو المقصود
هاهنا وهو انذار المشركين على استكبارهم على النبي صلى الله عليه وسلم بمثل ما حاق بابليس على
استكباره على ادم هذا ومن الجائز ان يكون مقاولة الله اياهم بواسطة ملك وان يفسر
الملا الاعلى بما يعم الله والملائكة فاذا سويته عدلت خلقته ونفخت فيه من روحي
واحييته بنفخ الروح فيه واضافته الى نفسه لشرفه وطهارته فقعوا له فخروا له
ساجدين تكرمة وتبجيلا له وقد تقدم الكلام فيه في البقرة فسجد الملائكة كلهم اجمعون
الا ابليس استكبر تعظم وكان وصار من الكافرين باستكباره عن امر الله او استكباره عن
المطاوعة او كان منهم في علم الله قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي
خلقته بنفسي من غير توسط كاب وام والتثنية لما في خلقه من مزيد القدرة واختلاف
الفعل وقرئ على التوحيد وترتيب الانكار عليه للاشعار بانه المستدعي للتعظيم او
لانه الذي تشبث به في تركه وهو لا يصلح مانعا اذ للسيد ان يستخدم بعض عبيده لبعض
سيما وله مزيد اختصاص استكبرت ام كنت من العالين تكبرت من غير استحقاق
او كنت ممن علا واستحق التفوق وقيل استكبرت الان ام لم تزل كنت من المستكبرين
وقرئ استكبرت بحذف الهمزة لدلالة ام عليها او بمعنى الاخبار قال انا خير منه ابدا المانع
وقوله خلقتني من نار وخلقته من طين دليل عليه وقد سبق الكلام فيه قال فاخرج
منها من الجنة او السما او من الصورة الملكية فانك رجيم مطرود من الرحمة ومحل الكرامة وان
عليك لعنتي الى يوم الدين قال رب فانظرني الى المنظرين الى يوم الوقت المعلوم مرتبا
في الحجر قال فبعزتك فبسلطانك وقهرك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين الذين
اخلصهم الله لطاعته وعصمهم من الضلالة واخلصوا قلوبهم لله على اختلاف القراءتين قال

قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين

فالحق والحق اقول اي فانا الحق او قوله وقيل الحق الاول اسم الله تعالى ونصبه بحذف حرف
القسم كقوله ان عليك الله ان تبايعا وجوابه لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين
وما بينهما اعتراض وهو على الاول جواب محذوف والجملة تفسير للحق المقول وقرا عاصم وحمزة
برفع الاول على الابتداء اي الحق يميني او قسمي او الخبر اي انا الحق وقريا مرفوعين على حذف الضمير
من اقول كقوله كله لم اصنع ومجرورتين على اضمار حرف القسم على الاول وحكاية لفظ المقسم به
في الثاني للتوكيد وهو سائغ فيه اذا شارك الاول وبرفع الاول وجره بنصب الثاني وتخريجه
على ما ذكرنا والضمير في منهم للناس اذ الكلام فيهم والمراد عنك من جنسك ليتناول الشياطين
وقيل للثقلين واجمعين تاكيد له او للضميرين قل ما اسألكم عليه من اجر اي على القران او تبليغ
الوحي وما انا من المتكلفين المتصنعين بما لست من اهله على ما عرفتم من حالي فانتحل النبوة
واتقول القران ان هو الا ذكر عظة للعالمين للثقلين ولتعلمن نباه وهو ما فيه من الوعد
والوعيد او صدقه باتيانه ذلك بعد حين بعد الموت او يوم القيامة او عند ظهور الاسلام وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة صاد كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر
حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغيرا او كبير

سورة زمر وهي خمس وسبعون ايه

الا قوله قل يا عبادي الاية بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب
خبر محذوف مثل هذا او مبتدا خبره من الله العزيز الحكيم وهو على الاول صلة التنزيل
او خبر ثان او حال عمل فيها معنى الاشارة او التنزيل والظاهر ان الكتاب على الاول السورة
وعلى الثاني القران وقرئ تنزيل بالنصب على اضمار فعل نحو اقرا او الزم انا انزلنا اليك
الكتاب بالحق ملتبسا بالحق او بسبب اثبات الحق واظهاره وتفصيله فاعبد الله مخلصا
له الدين ممحضا له الدين من الشرك والرياء وقرئ برفع الدين على الاستئناف لتعليل الامر وتقديم
الخبر لتاكيد الاختصاص المستفاد من اللام كما صرح به موكدا واجراه مجرى المعلوم المقرر
لكثرة حججه وظهور براهينه فقال الا لله الدين الخالص اي الا هو الذي وجب اختصاصه بان يخلص له الطاعة فانه المنفرد بصفات الالوهية والاطلاع على الاسرار والضماير والذين اتخذوا من دونه اولياء يحتمل المتخذين من
الكفرة والمتخذين من الملائكة وعيسى والاصنام على حذف الراجع واضمار المشركين من غير
ذكر لدلالة المساق عليهم وهو مبتدا خبره على الاول ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
باضمار القول او ان الله يحكم بينهم وهو متعين على الثاني وعلى هذا يكون القول المضمر
بما في حيزه بدلا من الصلة وزلفى مصدر او حال وقرئ قالوا ما نعبدهم وما نعبدكم الا
ليقربونا حكاية لما خاطبوا به الهتهم ونعبدهم بضم النون اتباعا فيما هم فيه يختلفون
من الدين بادخال المحق الجنة والمبطل النار والضمير للكفرة ومقابليهم وقيل لهم ولمعبودهم
فانهم يرجون شفاعتهم وهم يلعنونهم ان الله لا يهدي لا يوفق للاهتداء الى الحق من هو
كاذب كفار فانهما فاقدا البصيرة لو اراد الله ان يتخذ ولدا كما زعموا لاصطفى مما يخلق
ما يشاء اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوقه لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبين ووجوب

اسناد فاعل الواجب اليه ومن البين ان المخلوق لا يماثل الخالق فيقوم مقام الولد ثم قرر ذلك بقوله
سبحانه هو الله الواحد القهار فان الالوهية الحقيقية تتبع الوجود المستلزم للوحدة
الذاتية وهي تنافي المماثلة فضلا عن التوالد لان كل واحد من المثلين مركب من الحقيقة المشتركة
والتعين المخصوص والقهارية المطلقة تنافي قبول الزوال المحوج الى الولد ثم استدل على ذلك بقوله
خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل يغشي كل واحد
منهما الاخر كانه يلف عليه لف اللباس باللابس او يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة
او يجعله كارا عليه كرورا متتابعا تتابع اكوار العمامة وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل
مسمى هو منتهى دوره او منقطع حركته الا هو العزيز القادر على كل ممكن الغالب على كل شيء
الغفار حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنائع من الرحمة وعموم المنفعة
خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها نوع استدلال اخر وحده في العالم السفلي
مبدوا به من خلق الانسان اقرب واكثر دلالة واعجب وفيه على ما ذكره ثلث دلالات
خلق ادم اولا من غير اب وام ثم خلق حوا من قصيراه ثم تشعيب الخلق الفائت للحصر منهما
وثم للعطف على محذوف هو صفة نفس مثل خلقها او على معنى واحدة اي من نفس وحدت ثم جعل
منها زوجها فشفعها بها او على خلقكم لتفاوت ما بين الايتين فان الاولى عادة مستمرة
دون الثانية وقيل اخرج من ظهره ذريته كالذر ثم خلق منها حوا وانزل لكم وقضى او قسم
لكم فان قضاياه توصف بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح او احدث لكم باسباب نازلة
كاشعة الكواكب والامطار من الانعام ثمانية ازواج ذكرا وانثى من الابل والبقر والضان
والمعز يخلقكم في بطون امهاتكم بيان لكيفية خلق ما ذكر من الاناسي والانعام اظهارا
لما فيها من عجايب القدرة غير انه غلب اولي العقل او خصهم بالخطاب لانهم المقصودون
خلقا من بعد خلق حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف في ظلمات ثلث ظلمة البطن والرحم والمشيمة او الصلب والرحم
والبطن ذلكم الذي هذه افعاله الله ربكم هو المستحق لعبادتكم والمالك له الملك لا اله
الا هو اذ لا يشاركه في الخلق غيره فانى تصرفون يعدل بكم عن عبادته الى الاشراك ان
تكفروا فان الله غني عنكم عن ايمانكم ولا يرضى لعباده الكفر لاستضرارهم به رحمة
عليهم وان تشكروا يرضه لكم لانه سبب فلاحكم وقرا ابن كثير ونافع في رواية وابو عمرو
والكسائي باشباع ضمة الهاء لانها صارت بحذف الالف موصولة بمتحرك وعن ابي عمرو ويعقوب
اسكانها وهو لغة فيها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم
تعملون بالمحاسبة والمجازاة انه عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه خافية من اعمالكم
واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه لزوال ما ينازع العقل في الدلالة
على ان مبدأ الكل منه ثم اذا خوله اعطاه من الخول وهو التعهد او الخول وهو الافتخار
نعمة منه من الله نسي ما كان يدعو اليه نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه او ربه
الذي كان يتضرع اليه وما مثله الذي في قوله وما خلق الذكر والانثى من قبل من قبل النعمة

وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله وقرا ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح اليا والضلال والاضلال
لما كانا نتيجة جعل صح تعليله بهما وان لم يكونا غرضين قل تمتع بكفرك قليلا امر تهديد فيه
اشعار بان الكفر نوع تشهي لا سند له واقناط للكافرين من التمتع في الاخرة ولذلك علله بقوله
انك من اصحاب النار على سبيل الاستيناف للمبالغة امن هو قانت قائم بوظائف الطاعات
اناء الليل ساعاته وام متصلة بمحذوف تقديره الكافر خير ام من هو قانت او منقطعة
والمعنى بل امن هو قانت كمن ضده وقرا الحجازيان وحمزة بتخفيف الميم بمعنى امن هو قانت
لله كمن جعل له اندادا ساجدا وقائما حالان من ضمير قانت وقرئا بالرفع على الخبر بعد
الخبر والواو للجمع بين الصفتين يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه في موضع الحال او الاستيناف
للتعليل قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون نفي لاستواء الفريقين باعتبار القوة
العلمية بعد نفيه باعتبار القوة العملية على وجه ابلغ لمزيد فضل العلم وقيل تقرير
للاول على سبيل التشبيه اي كما لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون
انما يتذكر اولوا الالباب بامثال هذه البيانات وقرئ يذكر بالادغام قل يا عباد
الذين امنوا اتقوا ربكم للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة اي للذين احسنوا بالطاعات في
الدنيا مثوبة حسنة في الاخرة وقيل معناه للذين احسنوا في الدنيا حسنة هي الصحة والعافية
وفي هذه بيان لمكان حسنة وارض الله واسعة فمن تعسر عليه التوفر على الاحسان في
وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن منه انما يوفى الصابرون على مشاق الطاعة من احتمال
البلاء ومهاجرة الاوطان لها اجرهم بغير حساب اجرا لا يهتدى اليه حساب الحساب وفي
الحديث انه ينصب الموازين يوم القيامة لاهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون اجورهم ولا
تنصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم
تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا
له الدين موحدا له وامرت لان اكون اول المسلمين وامرت بذلك لان اكون مقدمهم في
الدنيا والاخرة لان قصب السبق في الدين بالاخلاص او لان اكون اول من اسلم وجهه لله
من قريش ومن دان بدينهم والعطف لمغايرة الثاني الاول بتقييده بالعلة والاشعار
بان العبادة المقرونة بالاخلاص وان اقتضت لذاتها ان يومر بها فهي ايضا تقتضيه
لما يلزمه من السبق في الدين ويجوز ان تجعل اللام مزيدة كما في اردت لان افعل فيكون
امرا بالتقدم في الاخلاص والبداء بنفسه في الدعا اليه بعد الامر به قل اني اخاف ان
عصيت ربي بترك الاخلاص والميل الى ما انتم عليه من الشرك والريا عذاب يوم عظيم
لعظمة ما فيه قل الله اعبد مخلصا له ديني امر بالاخبار عن اخلاصه بعد الامر بالاخبار
عن كونه مامورا بالعبادة والاخلاص خائفا على المخالفة من العقاب قطعا لاطماعهم
ولذلك رتب عليه قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه تهديدا وخذلانا لهم قل ان الخاسرين
الكاملين في الخسران الذين خسروا انفسهم بالضلال واهليهم بالاضلال يوم القيمة

حين

حين يدخلون النار بدل الجنة لانهم جمعوا وجوه الخسران وقيل وخسروا اهليهم لانهم ان كانوا من
اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع
بعده الا ذلك هو الخسران المبين مبالغة في خسرانهم لما فيه من الاستيناف والتصدير بالا وتوسيط
الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين لهم من فوقهم ظلل من النار شرح لخسرانهم
ومن تحتهم ظلل اطباق من النار هي ظلل للاخرين ذلك يخوف الله به عباده ذلك العذاب
هو الذي يخوفهم به ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي
والذين اجتنبوا الطاغوت البالغ غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين
بني للمبالغة في المصدر كالرحموت ثم وصف به للمبالغة في النعت ولذلك اختص بالشيطان ان
يعبدوها بدل اشتمال منه وانابوا الى الله واقبلوا اليه بشراشرهم عما سواه لهم البشرى
بالثواب على السنة الرسل والملائكة عند حضور الموت فبشر عباد الذين يستمعون
القول فيتبعون احسنه وضع فيه الظاهر موضع ضمير الذين اجتنبوا للدلالة
على مبدا اجتنابهم وانهم نقاد في الدين يميزون الحق والباطل ويؤثرون الافضل فالافضل
اولئك الذين هداهم الله لدينه واولئك هم اولوا الالباب العقول السليمة
عن منازعة الوهم والعادة وفي ذلك دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله وقبول
النفس لها افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار جملة شرطية معطوفة
على محذوف دل عليه الكلام تقديره انت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه
فكررت الهمزة في الجزاء تاكيدا للانكار والاستبعاد ووضع من في النار موضع الضمير
لذلك وللدلالة على ان من حكم عليه بالعذاب كالواقع فيه لامتناع الخلف وان
اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم في دعائهم الى الايمان سعي في انقاذهم من النار ويجوز ان
يكون افانت تنقذ جملة مستانفة للدلالة على ذلك والاشعار بالجزاء المحذوف لكن الذين
اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف علالي بعضها فوق بعض مبنية بنيت بناء المنازل
على الارض تجري من تحتها الانهار اي من تحت تلك الغرف وعد الله مصدر مؤكد لان
قوله لهم غرف في معنى الوعد لا يخلف الله الميعاد لان الخلف نقص وهو على الله محال
الم تر ان الله انزل من السماء ماء هو المطر فسلكه فادخله ينابيع في الارض عيونا
ومجاري كائنة فيها او مياها نابعات فيها اذ الينبوع جاء للمنبع وللنابع كيفياتها من
خضرة وحمرة نصبها على المصدر او الحال ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه اصنافه من
بر وشعير وغيرهما او كيفياته من خضرة وحمرة وغيرهما ثم يهيج ييبس فانه اذا
تم جفافه حان له ان يثور عن منبته فتراه مصفرا من يبسه ثم يجعله حطاما
فتاتا ان في ذلك لذكرى لتذكيرا بانه لا بد من صانع حكيم دبره وسواه او بانه مثل الحياة الدنيا فلا تغتر
بها لاولي الالباب اذ لا يتذكر به غيرهم افمن شرح الله صدره للاسلام حتى تمكن فيه
بيسر عبر به عمن خلق نفسه شديدة الاستعداد لقبوله غير متابية عنه من حيث ان

الصدر محل القلب المنبع للروح المتعلق بالنفس القابل للاسلام فهو على نور من ربه
يعني المعرفة والاهتدا الى الحق وعنه صلى الله عليه وسلم اذا دخل النور القلب انشرح
وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتاهب
للموت قبل نزوله وخبر من محذوف دل عليه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله من اجل ذكره
وهو ابلغ من ان يكون عن مكان من لان القاسية من اجل الشي اشد تابيا عن قبوله من
القاسية عنه لسبب اخر وللمبالغة في وصف اوليك بالقبول وهو بالامتناع ذكر شرح
الصدر واسنده الى الله وذكاه بقساوة القلب واسنده اليه اولئك في ضلال مبين
يظهر للناظر بادنى نظر والاية نزلت في حمزة وعلي وابي لهب وولده الله نزل احسن الحديث
يعني القران روي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا حدثنا فنزلت
وفي الابتدا باسم الله وبنا نزل عليه تاكيد للاسناد اليه وتفخيم للمنزل واستشهاد على حسنه
كتابا متشابها يشبه بعضه بعضا في الاعجاز
وتجاوب النظم وصحة المعنى والدلالة على المنافع العامة مثاني جمع مثنى او مثنى على ما
في الجمع وصف به كتابا باعتبار تفاصيله كقولك القران سور وايات والانسان عظام
وعروق واعصاب او جعل تمييزا من متشابها كقولك رايت رجلا حسنا شمايل تقشعر
منه جلود الذين يخشون ربهم تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل في شدة
الخوف واقشعرار الجلد تقبضه وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس بزيادة
الراء ليصير رباعيا كتركيب اقمطر من القمط وهو الشد ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى
ذكر الله بالرحمة وعموم المغفرة والاطلاق للاشعار بان اصل امره الرحمة وان رحمته
سبقت غضبه والتعدية بالى لتضمين معنى السكون والاطمينان وذكر القلب لتقدم
الخشية التي هي من عوارضها ذلك اي الكتاب هدى الله يهدي به من يشاء هدايته
ومن يضلل الله ومن يخذله فما له من هاد يخرجه من الضلال افمن يتقي بوجهه يجعله
درقة يقي به نفسه لانه يكون مغلولة يداه الى عنقه فلا يقدر ان يتقي الا بوجهه
سوء العذاب يوم القيامة كمن هو امن منه فحذف الخبر كما حذف في نظايره وقيل للظالمين
اي لهم فوضع الظاهر موضعه تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بالموجب لما يقال لهم وهو
ذوقوا ما كنتم تكسبون اي وباله والواو للحال وقد معدرة كذب الذين من قبلهم فاتاهم
العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يخطر ببالهم ان الشر ياتيهم منها فاذاقهم
الله الخزي الذل في الحياة الدنيا كالمسخ والخسف والقتل والسبي والاجلاء ولعذاب الاخرة
المعد لهم اكبر لشدته ودوامه لو كانوا يعلمون لو كانوا من اهل العلم والنظر لعلموا ذلك
واعتبروا به ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل يحتاج اليه الناظر في امر دينه
لعلهم يتذكرون يتعظون به قرانا عربيا حال من هذا والاعتماد فيها على الصفة كقولك
جاني زيد رجلا صالحا او مدح له غير ذي عوج لا اختلال فيه بوجه ما وهو ابلغ من المستقيم

داختص

واختص المعاني وقيل بالشك استشهادا بقوله وقد اتاك يقين غير ذي عوج من الاله وقول غير
وهو تخصيص له ببعض مدلوله لعلهم يتقون علة اخرى مرتبة على الاولى ضرب الله مثلا
للمشرك والموحد رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل مثل المشرك على ما يقتضيه
مذهبه من ان يدعي كل واحد من معبوديه عبوديته ويتنازعون العبد يتشارك فيه
جمع يتجاذبونه ويتعاورونه في مهامهم المختلفة في تحيره وتوزع قلبه والموحد
بمن خلص لواحد ليس لغيره عليه سبيل ورجلا بدل من مثلا وفيه صلة شركا والتشاكس والتشاكس
الاختلاف وقرا نافع وابن عامر والكوفيون سلما بفتحتين وقرئ بفتح السين وكسرها
مع سكون اللام وثلثتها مصادر سلم نعت بها او حذف منها ذو ورجل سالم اي وهناك
رجل سالم وتخصيص الرجل لانه افطن للضر والنفع هل يستويان مثلا صفة او حالا ونصبه
على التمييز ولذلك وحده وقرئ مثلين للاشعار باختلاف النوع او لان المراد هل
يستويان في الوصفية على ان الضمير للمثلين لان التقدير مثل رجل ومثل رجل الحمد لله
كل الحمد لله لا يشاركه فيه على الحقيقة سواه لانه المنعم بالذات والمالك على الاطلاق
بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره من فرط جهلهم انك ميت وانهم ميتون
فان كل من يعد الموت في عداد الموتى وقرئ مائت ومائتون لانه سيحدث
ثم انكم على تغليب المخاطب على الغيب يوم القيامة عند ربكم تختصمون فتحتج عليهم
بانك كنت على الحق في التوحيد وكانوا على الباطل في التشريك واستشهدت في الارشاد
والتبليغ ولجوا في التكذيب والعناد ويعتذرون بالاباطيل مثل اطعنا ساداتنا
ووجدنا اباءنا وقيل المراد به الاختصام العام يخاصم الناس بعضهم بعضا فيما دار
بينهم في الدنيا فمن اظلم ممن كذب على الله باضافة الولد والشريك اليه وكذب بالصدق
وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم اذ جاءه من غير توقف وتفكر في امره اليس في جهنم
مثوى للكافرين وذلك يكفيهم مجازاة لاعمالهم واللام تحتمل العهد والجنس واستدل به
على تكفير المبتدعة فانهم يكذبون بما علم صدقه وهو ضعيف لانه مخصوص بمن فاجا ما
علم مجي الرسول صلى الله عليه وسلم به التكذيب والذي جاء بالصدق وصدق به للجنس
ليتناول الرسل والمومنين لقوله اولئك هم المتقون وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم والمراد
هو ومن تبعه كما في قوله ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وقيل الجائي هو الرسول
صلى الله عليه وسلم والمصدق ابو بكر رضي الله عنه وذلك يقتضي اضمار الذي وهو غير جائز
وقرئ وصدق به بالتخفيف اي صدق به الناس فاداه اليهم كما نزل وصار صادقا بسببه
لانه معجز يدل على صدقه وصدق به على البنا للمفعول لهم ما يشاؤن عند ربهم في الجنة
باحسن الذي كانوا يعملون فيعد لهم محاسن اعمالهم باحسنها في زيادة الاجر وعظمه
لفرط اخلاصهم فيها اليس الله بكاف عبده استفهام انكار للنفي مبالغة في الاثبات
والعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل الجنس ويويده قراة حمزة والكسائي عباده ويخوفونك

مكذب

خس

ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم اسوا الذي عملوا ويجزيهم اجرهم

بالانبيا عليهم الصلاة والسلام ويخوفونك بالذين من دونه يعني قريشا فانهم قالوا له انا نخاف
ان تخبلك الهتنا لعيبك اياها وقيل انه عليه السلام بعث خالدا ليكسر العزى فقال له
سادنها احذركها ان لها شدة فعمد اليها خالد فهشم انفها فنزل تخويف خالد منزلة
تخويفه لانه الامر له بما خوف عليه ومن يضلل الله حتى غفل عن كفاية الله له وخوفه بما لا
ينفع ولا يضر فما له من هاد يهديه الى الرشاد ومن يهد الله فما له من مضل اذ لا راد
لفعله كما قال أليس الله بعزيز غالب منيع ذي انتقام ينتقم من اعدائه ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية قل
أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره اي
ارأيتم بعدما تحققتم ان خالق العالم هو الله وان الهتكم ان اراد الله ان يصيبني ضرا
هل يكشفنه او ارادني برحمة بنفع هل هن ممسكات رحمته فيمسكها عني قل حسبي الله
كافيا في اصابة الخير ودفع الضر اذ تقرر بهذا التقرير انه القادر الذي لا مانع لما يريده
من خير او شر روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سألهم فسكتوا فنزل ذلك وانما قال كاشفات
وممسكات على ما يصفونها به من الانوثة تنبيها على كمال ضعفها عليه يتوكل المتوكلون
لعلمهم بان الكل منه قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالكم اسم للمكان استعير للحال
كما استعير هنا وحيث من المكان للزمان وقرئ على مكاناتكم اني عامل على مكانتي فحذف
للاختصار والمبالغة في الوعيد والاشعار بان حاله لا يقف فانه تعالى يزيده
على مر الايام قوة ونصرة ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين فقال فسوف
تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه فان خزي اعدائه دليل غلبته وقد اخزاهم الله يوم بدر
ويحل عليه عذاب مقيم دائم وهو عذاب النار انا انزلنا عليك الكتاب للناس لاجلهم فانه
مناط مصالحهم في معاشهم ومعادهم بالحق ملتبسا به فمن اهتدى فلنفسه اذ نفع به نفسه
ومن ضل فانما يضل عليها فان وباله لا يتخطاها وما انت عليهم بوكيل وما وكلت عليهم لتجبرهم على
الهدى وانما امرت بالبلاغ وقد بلغت الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في
منامها يقبضها عن الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها اما ظاهرا وباطنا وذلك
عند الموت او ظاهرا لا باطنا وهو في النوم فيمسك التي قضى عليها الموت فلا يردها الى البدن
ويرسل الاخرى اي النائمة الى بدنها عند اليقظة الى اجل مسمى هو الوقت المضروب لموته
وهو غاية جنس الارسال وما روي عن ابن عباس ان في ابن ادم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع
الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والحياة فيتوفيان عند الموت
قريبا مما ذكرنا ان في ذلك من التوفي والامساك والارسال لآيات على كمال قدرته وحكمته
وشمول رحمته لقوم يتفكرون في كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها بالكلية حين الموت
وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة والحكمة في توفيها عن ظواهرها
وارسالها حينا بعد حين الى توفي اجالها أم اتخذوا بل اتخذ قريش من دون الله شفعاء تشفع لهم عند

الله

الله قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون ايشفعون ولو كانوا على هذه الصفة كما تشاهدونهم
جمادات لا تقدر ولا تعلم قل لله الشفاعة جميعا لعله رد لما عسى يجيبون به وهو ان الشفعاء
اشخاص مقربون هي تماثيلهم والمعنى انه مالك الشفاعة كلها لا يستطيع احد شفاعة الا باذنه
ولا يستقل بها ثم قرر ذلك فقال له ملك السموات والارض فانه مالك الملك كله لا يملك احد
ان يتكلم في امره دون اذنه ورضاه ثم اليه ترجعون يوم القيامة فيكون الملك له ايضا حينئذ
واذا ذكر الله وحده دون الهتهم اشمأزت انقبضت ونفرت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة
واذا ذكر الذين من دونه يعني الاوثان اذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم بها ونسيانهم
حق الله ولقد بالغ في الامرين حتى الغاية فيهما فان الاستبشار ان يمتلئ قلبه سرورا حتى
ينبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز ان يمتلئ غيظا وغما حتى ينقبض اديم وجهه والعامل
في اذا المفاجأة قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة التجئ الى الله
بالدعاء لما تحيرت في امرهم وعجزت في عنادهم وشدة شكيمتهم فانه القادر على الاشياء
والعالم بالاحوال كلها انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون فانت وحدك
تقدر ان تحكم بيني وبينهم ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا
به من سوء العذاب يوم القيامة وعيد شديد واقناط كلي لهم من الخلاص وبدا لهم من
الله ما لم يكونوا يحتسبون زيادة مبالغة فيه وهو نظير قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم
في الوعد وبدا لهم سيئات ما كسبوا سيئات اعمالهم او كسبهم حين تعرض صحائفهم وحاق
بهم ما كانوا به يستهزءون واحاط بهم جزاؤه فاذا مس الانسان ضر دعانا اخبار
عن الجنس بما يغلب فيه والعطف على قوله واذا ذكر الله وحده بالفاء لبيان مناقضتهم
وتعكيسهم في التسبب بمعنى انهم يشمئزون عن ذكر الله وحده ويستبشرون بذكر
الالهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا من ذكره دون من استبشروا بذكره وما
بينهما اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم ثم اذا خولناه نعمة منا اعطيناه اياها تفضلا
فان التخويل مختص به قال انما اوتيته على علم على علم مني بوجوه كسبه او باني ساعطاه لما لي
من استحقاقه او من الله بي واستحقاقي والهاء فيه لما ان جعلت موصولة والا فللنعمة والتذكير
لان المراد شيء منها بل هي فتنة امتحان لها ايشكر ام يكفر وهو رد لما قاله وتأنيث الضمير باعتبار
الخبر او اللفظ وقرئ بالتذكير ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك وهو دليل على ان الانسان للجنس
قد قالها الذين من قبلهم الهاء لقوله انما اوتيته على علم لانها كلمة او جملة وقرئ بالتذكير
والذين من قبلهم قارون وقومه فانه قاله ورضي به قومه فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون
من متاع الدنيا فاصابهم سيئات ما كسبوا جزاء سيئات اعمالهم او جزاء اعمالهم وسماه
سيئة لانه في مقابلة اعمالهم السيئة رمزا الى ان جميع اعمالهم كذلك والذين ظلموا بالعتو من هؤلاء
من المشركين ومن للبيان او للتبعيض سيصيبهم سيئات ما كسبوا كما اصاب اولئك وقد
اصابهم فانهم قحطوا سبع سنين وقتل ببدر صناديدهم وما هم بمعجزين بفائتين

أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حيث حبس الرزق عنهم سبعا ثم بسط سبعا
إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون بان الحوادث كلها من الله بوسط او غيره قل يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم افرطوا بالجناية عليها بالاسراف في المعاصي واضافة العباد تخصيص
بالمؤمنين على ما هو عرف القران لا تقنطوا من رحمة الله لا تيأسوا من مغفرته اولا
وتفضله ثانيا ان الله يغفر الذنوب جميعا عفوا ولو بعد بعد وتقييده بالتوبة خلاف
الظاهر ويدل على اطلاقه فيما عدا الشرك قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به الآية والتعليل بقوله
انه هو الغفور الرحيم على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم
ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذلة والاسراف المقتضيين للترحم
وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهي عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة و
اطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب ووضع اسم الله موضع الضمير لدلالته على انه
المستغني والمنعم على الاطلاق والتاكيد بالجمع وما روي انه عليه السلام قال ما احب ان لي
الدنيا وما فيها بها فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك ثلث
مرات وما روي ان اهل مكة قالوا يزعم محمد ان من عبد الوثن وقتل النفس بغير حق لم يغفر له
فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس فنزلت وقيل في عياش والوليد بن الوليد
في جماعة فتنوا فافتتنوا او في الوحشي لا ينفي عمومها وكذا قوله وانيبوا الى ربكم واسلموا
له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون فانها لا تدل على حصول المغفرة لكل احد من
غير توبة وسبق تعذيب ليغني عن التوبة والاخلاص في العمل وتنافي الوعيد بالتعذيب
واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم القران او المامور به دون المنهي عنه او العزايم
دون الرخص او الناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو انجى واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة
من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون بمجيئه فتتداركوا ان تقول نفس كراهة
ان تقول وتنكير نفس لان القائل بعض الانفس او للتكثير كقول الاعشى ورب بقيع لو هتفت
بجوه اتاني كريم ينفض الراس مغضبا يا حسرتا على ما فرطت بما قصرت في جنب الله في جانبه
في جانبه اي في حقه وهو طاعته قال سابق البربري اما تتقين الله في جنب وامق له كبد
حرى عليك تقطع وهو كناية فيها مبالغة كقوله ان السماحة والمروة والندى في قبة
ضربت على ابن الحشرج وقيل في ذاته على تقدير مضاف كالطاعة وقيل في قربه من
قوله والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله تعالى وان كنت لمن الساخرين المستهزئين باهله
ومحل وان كنت نصب على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر او تقول لو ان الله هداني بالارشاد
الى الحق لكنت من المتقين الشرك والمعاصي او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين
في العقيدة والعمل او للدلالة على انه لا يخلو من هذه الاقوال تحيرا او تعللا بما لا طائل تحته بلى
قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين رد من الله عليه لما تضمنه
قوله لو ان الله هداني من معنى النفي وفصله عنه لان تقديمه يفرق القراين وتاخير المردود

تحل

يخل بالنظم المطابق للوجود لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا
ينافي تقدير الله في فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب
على المعنى وقرئ بالتانيث للنفس ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله بان وصفوه
بما لا يجوز كاتخاذ الولد وجوههم مسودة بما ينالهم من الشدة او بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل
والجملة حال اذ الظاهر ان ترى من رؤية البصر واكتفي فيها بالضمير عن الواو اليس في جهنم مثوى
مقام للمتكبرين عن الايمان والطاعة وهو تقرير لانهم يرون كذلك وينجي الله الذين اتقوا
وقرئ وينجي بمفازتهم بفلاحهم مفعلة من الفوز وتفسيرها بالنجاة تخصيص لها باهم اقسامه
وبالسعادة والعمل الصالح اطلاق لها على السبب وقرا الكوفيون غير حفص بالجمع تطبيقا له
بالمضاف اليه والباء فيها للسببية صلة لينجي او لقوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون
وهو حال او استيناف لبيان المفازة الله خالق كل شيء من خير وشر وايمان وكفر وهو على كل
شيء وكيل يتولى التصرف فيه له مقاليد السموات والارض لا يملك امرها ولا يتمكن من التصرف
فيها غيره وهو كناية عن قدرته وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاختصاص لان الخزائن
لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد او مقلاد من قلدته اذا الزمته
وقيل جمع اقليد معرب اكليد على الشذوذ كمذاكير وعن عثمان رضي الله عنه انه سال النبي
صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده
واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي
ويميت وهو على كل شيء قدير والذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون متصل بقوله
وينجي الله الذين اتقوا وما بينهما اعتراض للدلالة على انه مهيمن على العباد مطلع على افعالهم
مجاز عليها وتغيير النظم للاشعار بان العمدة في فلاح المؤمنين فضل الله وفي هلاك الكافرين
ان خسروا انفسهم والتصريح بالوعد والتعريض بالوعيد قضية للكرم او بما يليه والمراد
بآيات الله دلائل قدرته واستبداده بامر السموات والارض او كلمات توحيده وتمجيده
وتخصيص الخسار بهم لان غيرهم له حظ من الرحمة والثواب قل افغير الله تامروني اعبد
ايها الجاهلون اي افغير الله اعبد بعد هذه الدلايل والمواعيد وتامروني اعتراض للدلالة على
انهم امروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض آلهتنا ونؤمن بالهك لفرط غباوتهم ويجوز ان
ينتصب غير بما دل عليه تامروني اعبد لانه بمعنى تعبدونني على ان اصله تامرونني ان اعبد
فحذف ان ورفع كقوله احضر الوغى ويؤيده قراءة اعبد بالنصب وقرا ابن عامر تامرونني
باظهار النونين على الاصل ونافع بحذف الثانية فانها تحذف كثيرا ولقد اوحي اليك والى الذين
من قبلك اي من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين كلام على سبيل الفرض
والمراد به تهييج النبي صلى الله عليه وسلم واقناط الكفرة والاشعار على حكم الامة وافراد الخطاب
باعتبار كل واحد واللام الاولى موطية للقسم والاخريان للجواب واطلاق الاحباط يحتمل ان
يكون من خصائصهم لان شركهم اقبح ويكون على التقييد بالموت كما صرح به في قوله ومن

يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وعطف الخاسرين عليه من عطف
المسبب على السبب بل الله فاعبد رد لما امروه به ولولا دلالة التقديم على الاختصاص لم يكن كذلك وكن من
الشاكرين انعامه عليك وفيه اشارة الى موجب الاختصاص وما قدروا الله حق قدره ما قدروا
عظمته في انفسهم حق عظمته حيث جعلوا له شريكا ووصفوه بما لا يليق به وقرئ بالتشديد والارض
جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه تنبيه على عظمته وحقارة
الافعال العظام التي تتحير فيها الاوهام بالاضافة الى قدرته ودلالة على ان تخريب
العالم اهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة
ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض اطلقت بمعنى القبضة وهي المقدار
المقبوض بالكف تسمية بالمصدر او بتقدير ذات قبضة وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها
للموقت بالمبهم وتاكيد الارض بالجميع لان المراد بها الارضون السبع او جميع ابعاضها البادية
والغائرة وقرئ مطويات على انها حال والسموات معطوفة على الارض منظومة في حكمها سبحانه
وتعالى عما يشركون ما ابعد وما اعلى من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم وما يضيفون اليه
من الشركاء ونفخ في الصور يعني المرة الاولى فصعق من في السموات ومن في الارض خر ميتا او مغشيا
عليه الا من شاء الله قيل جبرائيل وميكائيل واسرافيل فانهم يموتون بعد وقيل حملة العرش ثم نفخ
فيه اخرى نفخة اخرى وهي تدل على ان المراد بالاول ونفخ في الصور نفخة واحدة كما صرح
به في مواضع واخرى تحتمل النصب على المصدر والرفع فاذا هم قيام قائمون من قبورهم
او متوقفون وقرئ بالنصب على ان الخبر ينظرون وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون
ابصارهم في الجوانب كالمبهوتين او ينتظرون ما يفعل بهم واشرقت الارض بنور
ربها بما اقام فيها من العدل سماه نورا لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما سمي الظلم ظلمة
وفي الحديث الظلم ظلمات يوم القيمة ولذلك اضاف اسمه الى الارض او بنور خلق فيها بلا توسط
الاجسام مضيئة ولذلك اضافه الى نفسه ووضع الكتاب الحساب والجزاء من وضع المحاسب
كتاب المحاسبة بين يديه او صحائف الاعمال في ايدي العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل
اللوح المحفوظ يقابل به الصحائف وجيء بالنبيين والشهداء للامم وعليهم من الملائكة
والمؤمنين وقيل المستشهدين وقضي بينهم بين العباد بالحق وهم لا يظلمون بنقص ثواب
او زيادة عقاب على ما جرى به الوعد ووفيت كل نفس ما عملت جزاءه وهو اعلم بما
يفعلون فلا يفوته شيء من افعالهم ثم فصل التوفية فقال وسيق الذين كفروا الى
جهنم زمرا افواجا متفرقة بعضها في اثر بعض على تفاوت اقدامهم في الضلالة والشرارة
جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه او من قولهم شاة
زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروة حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها ليدخلوها
وحتى هي التي يحكى بعدها الجملة وقرأ الكوفيون فتحت بتخفيف التاء وقال لهم خزنتها
تقريعا وتوبيخا الم ياتكم رسل منكم من جنسكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم

لقا

لقاء يومكم هذا وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على انه لا تكليف قبل الشرع من
حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب
على الكافرين كلمة الله بالعذاب علينا وهو الحكم عليهم بالشقاوة وانهم من اهل النار ووضع
الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على اختصاص ذلك بالكفرة وقيل هو قوله لاملان جهنم
من الجنة والناس اجمعين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها ابهم القائل لتهويل ما يقال
لهم فبئس مثوى المتكبرين اللام فيه للجنس والمخصوص بالذم سبق ذكره ولا ينافي اشعاره
بان مثواهم النار لتكبرهم عن الحق ان يكون دخولهم فيها لان كلمة العذاب حقت عليهم
فان تكبرهم وسائر مقابحهم مسببة عنه كما قال عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى اذا
خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت واذا خلقه للنار استعمله على عمل من اعمال
اهل النار فيدخل به النار وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة اسراعا بهم الى دار
الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين زمرا على تفاوت مراتبهم في
الشرف وعلو الطبقة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها حذف جواب اذا للدلالة على ان لهم
حينئذ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف وان ابواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئهم
غير منتظرين وقرأ الكوفيون فتحت بالتخفيف وقال لهم خزنتها سلام عليكم فلا يعتريكم
بعد مكروه طبتم طهرتم من دنس المعاصي فادخلوها خالدين مقدرين الخلود والفاء
للدلالة على ان طيبهم سبب لدخولهم وخلودهم وهو لا يمنع دخول العاصي بعفوه لانه
يطهره وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده بالبعث والثواب واورثنا الارض
يريدون المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من
او تمكينهم من التصرف فيها تمكن الوارث فيما يرثه نتبوأ من الجنة حيث نشاء اي
يتبوأ كل منا في اي مقام اراده من جنته الواسعة مع ان في الجنة مقامات معنوية
لا يتمانع واردوها فنعم اجر العاملين الجنة وترى الملائكة حافين محدقين من حول
العرش اي حوله ومن مزيدة او لابتداء الحفوف يسبحون بحمد ربهم متلبسين بحمده والجملة
حال ثانية او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له بوصفي جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار بان
منتهى درجات العليين واعلى لذائذهم هو الاستغراق في صفات الحق وقضي بينهم بالحق
اي بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة او بين الملائكة باقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم
وقيل الحمد لله رب العالمين اي على ما قضى بيننا بالحق والقائلون هم المؤمنون من المقضي بينهم
او الملائكة وطي ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر
لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة واعطاه الله ثواب الخائفين وعن عائشة رضي الله تعالى عنها
انه كان عليه السلام يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر

سورة مؤمن وهي اثنتان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم اماله ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر صريحا ونافع في رواية

على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخل به الجنة

عليكم

لتعينهم

ورش وابو عمرو بين بين وقرئ بفتح الميم على التحريك لالتقاء الساكنين والنصب باضمار اقرا
ومنع صرفه للتعريف والتانيث او لانها على زنة اعجمي كقابيل وهابيل تنزيل الكتاب من الله
العزيز العليم لعل تخصيص الوصفين لما في القران من الاعجاز والحكم الدال على القدرة
الكاملة والحكمة البالغة غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول
صفات اخر لتحقيق ما فيه من الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود منه والاضافة
فيها حقيقية على انه لم يرد بها زمان مخصوص واريد بشديد العقاب مشدده او الشديد
عقابه بحذف اللام للازدواج وامن الالباس او ابدال وجعله وحده بدلا مشوش النظم وتوسيط
الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما
يتوهم الاتحاد او تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر فيكون لذنب باق وذلك لمن لم
يتب فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل جمعها والطول
الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل رجحانها
لا اله الا هو فيجب الاقبال الكلي على عبادته اليه المصير فيجازي المطيع والعاصي ما يجادل
في ايات الله الا الذين كفروا لما حقق من التنزيل سجل بالكفر على المجادلين فيه بالطعن وادحاض
الحق لقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيه لحل عقده واستنباط حقائقه
وقطع تشبث اهل الزيغ وقطع مطاعنهم عنه فمن اعظم الطاعات ولذلك قال عليه السلام
ان جدالا في القران كفر بالتنكير مع انه ليس جدالا فيه على الحقيقة فلا يغررك تقلبهم
في البلاد فلا يغررك امهالهم واقبالهم في دنياهم وتقلبهم في بلاد الشام واليمن بالتجارات
المربحة فانهم ماخوذون عما قريب بكفرهم اخذ من قبلهم كما قال كذبت قبلهم قوم
نوح والاحزاب من بعدهم والذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح كعاد وثمود
وهمت كل امة من هولاء برسولهم وقرئ برسولها ليأخذوه ليتمكنوا من اصابته
بما ارادوا من تعذيب وقتل من الاخذ بمعنى الاسر وجادلوا بالباطل بما لا حقيقة له ليدحضوا
به الحق ليزيلوه به فاخذتهم بالاهلاك جزاء لهمهم فكيف كان عقاب فانكم
تمرون على ديارهم وترون اثره وهو تقرير فيه تعجيب وكذلك حقت كلمة ربك وعيده
او قضاؤه بالعذاب على الذين كفروا بكفرهم انهم اصحاب النار بدل من كلمة ربك
بدل الكل او الاشتمال على ارادة اللفظ او المعنى الذين يحملون العرش ومن حوله الكروبيون
اعلى طبقات الملائكة واولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم
له وكناية عن قربهم من ذي العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم في نفاذ امره يسبحون بحمد
ربهم يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات الجلال والاكرام وجعل التسبيح اصلا والحمد حالا
لان الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح ويؤمنون به اخبر عنهم بالايمان اظهارا لفضله وتعظيما
لاهله ومساق الاية لذلك كما صرح به بقوله ويستغفرون للذين امنوا واشعارا بان حملة العرش
وسكان الفرش في معرفته سواء ردا على المجسمة واستغفارهم شفاعتهم وحملهم على التوبة والهامهم

ما يوجب

ما يوجب المغفرة وفيه تنبيه على ان المشاركة في الايمان توجب النصح والشفقة وان تخالفا
في الاجناس لانه اقوى المناسبة كما قال انما المؤمنون اخوة ربنا اي يقولون ربنا وهو بيان
ليستغفرون او حال وسعت كل شيء رحمة وعلما اي وسعت رحمته وعلمه فازيل عن اصله
للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة في عمومهما وتقديم الرحمة لانها المقصودة
بالذات ههنا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل
الحق وقهم عذاب الجحيم واحفظهم عنه وهو تصريح بعد اشعار للتاكيد والدلالة على
شدة العذاب ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم اياها ومن صلح من
اباءهم وازواجهم وذرياتهم عطف على هم الاول اي ادخلهم ومن صلح ليتم سرورهم او
الثاني لبيان عموم الوعد وقرئ جنة عدن وصلح بالضم وذريتهم بالتوحيد انك
انت العزيز الذي لا يمتنع عليه مقدور الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه حكمته
ومن ذلك الوفاء بالوعد وقهم السيئات العقوبات او جزاء السيئات وهو تعميم بعد تخصيص
او تخصيص بمن صلح او المعاصي في الدنيا لقوله ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته اي
ومن تقها في الدنيا فقد رحمته في الاخرة كانهم طلبوا السبب بعدما سالوا المسبب وذلك
هو الفوز العظيم يعني الرحمة او الوقاية او مجموعهما ان الذين كفروا ينادون يوم
القيامة فيقال لهم لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اي لمقت الله اياكم اكبر من مقتكم
انفسكم الامارة بالسوء اذ تدعون الى الايمان فتكفرون ظرف لفعل دل عليه المقت
الاول لا له لانه اخبر عنه ولا للثاني لان مقتهم انفسهم يوم القيامة حين عاينوا جزاء اعمالهم
الخبيثة الا ان يأول بنحو الصيف ضيعت اللبن او تعليل للحكم وزمان المقتين واحد
قالوا ربنا امتنا اثنتين اماتتين بان خلقتنا امواتا اولا ثم صيرتنا امواتا عند انقضاء
اجالنا فان الاماتة جعل الشيء عادم الحياة ابتداء او بتصيير كالتصغير والتكبير ولذلك قيل سبحان
من صغر البعوض وكبر الفيل وان خص بالتصيير فاختيار الفاعل احد مقدوريه تصيير له عن الاخر
واحييتنا اثنتين الاحيائين الاولى واحياء البعث وقيل الاماتة الاولى عند انخرام الاجل والثانية
في القبر بعد الاحياء للسؤال والاحياءان ما في القبر والبعث اذ المقصود اعترافهم بعد المعاينة
بما غفلوا عنه ولم يكترثوا به ولذلك تسبب بقوله فاعترفنا بذنوبنا فان اقترافهم
لها من اغترارهم بالدنيا وانكارهم للبعث فهل الى خروج نوع خروج من النار من سبيل
طريق فنسلكه وذلك انما يقولونه من فرط قنوطهم تعللا وتحيرا ولذلك اجيبوا بقوله ذلكم
الذي انتم فيه بانه بسبب انه اذا دعي الله وحده متحدا او توحد وحده فحذف الفعل
واقيم مقامه في الحالية كفرتم بالتوحيد وان يشرك به تؤمنوا بالاشراك فالحكم لله
المستحق للعبادة حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد العلي الكبير من ان يشرك به ويسوى بغيره
حيث حكم على من اشرك وسوى به بعض مخلوقاته في استحقاق العبادة هو الذي يريكم اياته
الدالة على التوحيد وسائر ما يجب ان يعلم تكميلا لنفوسكم وينزل لكم من السماء رزقا اسباب

رزق كالمطر مراعاة لمعاشكم وما يتذكر بالآيات التي هي كالمركوزة في العقول لظهورها
المغفول عنها للانهماك في التقليد واتباع الهوى إلا من ينيب يرجع عن الانكار بالإقبال عليها
والتفكر فيها فان الجازم بشيء لا ينظر فيما ينافيه فادعوا الله مخلصين له الدين من الشرك ولو
كره الكافرون اخلاصكم وشق عليهم رفيع الدرجات ذو العرش خبران آخران للدلالة على
علو صمديته من حيث المعقول والمحسوس على تفرده في الألوهية فان من ارتفعت درجات كماله
بحيث لا يظهر دونها كمال وكان العرش الذي هو أصل العالم الجسماني في قبضة قدرته لا يصح أن
يشرك به وقيل الدرجات مراتب المخلوقات او مصاعد الملائكة الى العرش او السموات او درجات
الثواب وقرئ رفيع بالنصب على المدح يلقي الروح من أمره خبر رابع للدلالة على أن الروحانيات
أيضا مسخرات لأمره باظهار آثارها وهو الوحي في تمهيد النبوة بعد تقرير التوحيد والروح
الوحي ومن أمره بيانه لانه بالخبر او مبتداه والامر هو الملك المبلغ على من يشاء من عباده
يختاره للنبوة وهو دليل على انها عطائية لينذر غاية الإلقاء والمستكن فيه لله او لمن
او للروح واللام مع القرب يؤيد الثاني يوم التلاق يوم القيامة فان فيه تتلاقى الارواح
والاجساد واهل السماء والارض والمعبودون والعباد والاعمال والعمال لا يخفى على الله منهم
شيء من أعيانهم وأعمالهم وأحوالهم وهو تقرير لقوله هم بارزون وازاحة لنحو ما يتوهم في
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يسأل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به او لما دل
عليه ظاهر الحال فيه من زوال الأسباب وارتفاع الوسائط واما حقيقة الحال فناطقة بذلك
دائما اليوم تجزى كل نفس بما كسبت كانه نتيجة لما سبق وتحقيقه ان النفوس تكتسب بالعقائد
والاعمال هيئات توجب لذاتها والمها لكنها لا تشعر بها في الدنيا العوائق تشغلها فاذا
قامت قيامتها زالت العوائق وادركت لذتها والمها لا ظلم اليوم بنقص الثواب وزيادة
العذاب ان الله سريع الحساب اذ لا يشغله شان عن شان فيصل اليهم ما يستحقونه
سريعا وانذرهم يوم الآزفة أي يوم القيامة سميت بها لأزوفها اي قربها
او الخطة الآزفة وهي مشارفتهم النار وقيل الموت اذ القلوب لدى الحناجر فانها ترتفع
عن اماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا كاظمين على الغم
حال من اصحاب القلوب على المعنى لانه على الاضافة او منها او من ضميرها في لدى وجمعه كذلك
لان الكظم من افعال العقلاء كقوله فظلت اعناقهم لها خاضعين او من مفعول انذرهم على انها حال
مقدرة ما للظالمين من حميم قريب مشفق ولا شفيع يطاع ولا شفيع مشفع والضمائر ان كانت
للكفار وهو الظاهر كان وضع الظالمين موضع ضميرهم للدلالة على اختصاص ذلك بهم وانه لظلمهم
يعلم خائنة الاعين النظرة الخائنة كالنظرة الثانية الى المحرم واستراق النظر اليه
او خيانة الاعين وما تخفي الصدور من الضمائر والجملة خبر خامس للدلالة على انه ما من خفي الا وهو
متعلق العلم والجزاء والله يقضي بالحق لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضي بشيء الا وهو حقه
والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء تهكم بهم لان الجماد لا يقال فيه انه يقضي او لا

يوم هم بارزون خارجون من قبورهم او ظاهرون لا يسترهم شيء او ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم غواشي الابدان او اعمالهم وسرائرهم

عن اخرجهم

او خيا

يقضي

وهشام بالتاء ع

يقضي وقرأ نافع بالتاء على الالتفات او اضمار قل ان الله هو السميع البصير تقرير لعلمه بخائنة
الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه
أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم مآل حال الذين كذبوا
الرسل قبلهم كعاد وثمود كانوا هم أشد منهم قوة قدرة وتمكنا وانما جيء بالفصل وحقه ان يقع بين
المعرفتين لمضارعة أفعل من المعرفة في امتناع دخول اللام عليه وقرأ ابن عامر اشد منكم بالكاف
وآثارا في الأرض مثل القلاع والمدائن الحصينة وقيل المعنى اكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا
فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق يمنع العذاب عنهم ذلك الاخذ بأنهم كانت
تأتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الاحكام الواضحة فكفروا فأخذهم الله إنه قوي
متمكن مما يريد غاية التمكن شديد العقاب لا يؤبه بعقاب دون عقابه ولقد أرسلنا
موسى بآياتنا يعني المعجزات وسلطان مبين وحجة قاهرة ظاهرة والعطف لتغاير الوصفين
او لافراد بعض المعجزات كالعصا تفخيما لشأنه إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا
ساحر كذاب يعنون موسى وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان لعاقبة من هو
اشد الذين كانوا من قبلهم بطشا واقربهم زمانا فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا
أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم اولا كي يصدوا
عن مظاهرة موسى عليه السلام وما كيد الكافرين الا في ضلال في ضياع ووضع الظاهر
فيه موضع الضمير لتعميم الحكم والدلالة على العلة وقال فرعون ذروني أقتل موسى كانوا
يكفونه عن قتله ويقولون انه ليس الذي تخافه بل هو ساحر ولو قتلته ظن انك عجزت عن معارضته
بالحجة وتعلله بذلك مع كونه سفاكا في اهون شيء دليل على انه تيقن انه نبي فخاف من قتله
او ظن انه لو حاوله لم يتيسر له ويؤيده قوله وليدع ربه فانه تجلد وعدم مبالاة
بدعائه اني أخاف ان لم اقتله أن يبدل دينكم ان يغير ما انتم عليه من عبادته وعبادة
الاصنام لقوله ويذرك وآلهتك أو أن يظهر في الأرض الفساد ما يفسد دنياكم من التحارب
والتهارج ان لم يقدر ان يبطل دينكم بالكلية وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر بالواو
على معنى الجمع وابن كثير وابن عامر والكوفيون غير حفص بفتح الياء والهاء ورفع الفساد وقال موسى
أي لقومه لما سمع كلامه اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب صدر
الكلام بإن تأكيدا واشعارا على ان السبب المؤكد في دفع الشر هو العياذ بالله وخص اسم الرب لان المطلوب
هو الحفظ والتربية واضافته اليه واليهم حثا لهم على موافقته لما في تظاهر الارواح من استجلاب
الاجابة ولم يسم فرعون وذكر وصفا يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة ورعاية الحق والدلالة على
الحامل له على القول وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي عذت فيه وفي الدخان بالادغام وعن نافع مثله
وقال رجل مؤمن من آل فرعون من اقاربه وقيل من متعلق بقوله يكتم إيمانه والرجل اسرائيلي
او غريب موحد كان ينافقهم أتقتلون رجلا اتقصدون قتله أن يقول لان يقول او وقت ان
يقول من غير روية وتأمل في امره ربي الله وحده وهو في الدلالة على الحصر مثل صديقي زيد وقد

في اهون شيء دليل على انه تيقن انه نبي

ي

لوا

جاءكم بالبينات المتكثرة على صدقه من المعجزات والاستدلالات من ربكم اضافه اليهم بعد ذكر البينات
احتجاجا عليهم واستدراجا لهم الى الاعتراف به ثم اخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال
وان يك كاذبا فعليه كذبه لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج في دفعه الى قتله وان يك صادقا يصبكم
بعض الذي يعدكم فلا اقل من ان يصبكم بعضه وفيه مبالغة في التحذير واظهار للانصاف وعدم
التعصب ولذلك قدم كونه كاذبا او يصبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده كانه خوفهم
بما هو اظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل كقول لبيد تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس
حمامها مردود لانه اراد بالبعض نفسه ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب احتجاج
ثالث ذو وجهين احدهما انه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله الى البينات ولما عضده بتلك المعجزات
وثانيهما ان من خذله الله واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله اراد به المعنى الاول وخيل اليهم
الثاني لتلين شكيمتهم وعرض به لفرعون فانه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب
وسبيل النجاة يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين غالبين عالين في الارض ارض مصر فمن ينصرنا
من باس الله ان جاءنا اي فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لباس الله بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا
منه احد وانما ادرج نفسه في الضميرين لانه كان منهم في القرابة وليريهم انه معهم ومساهمهم
فيما ينصح لهم قال فرعون ما اريكم ما اشير اليكم الا ما ارى واستصوبه من قتله وما اهديكم
وما اعلمكم الا ما علمت من الصواب وقلبي ولساني متواطئان عليه الا سبيل الرشاد طريق
الصواب وقرئ بالتشديد على انه فعال للمبالغة من رشد كعلام او من رشد كعباد لا من
ارشد كجبار من اجبر لانه مقصور على السماع او للنسبة الى الرشد كعواج وبتات وقال
الذي امن يا قوم اني اخاف عليكم في تكذيبه والتعرض له مثل يوم الاحزاب مثل ايام
الامم الماضية يعني وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم مثل داب قوم
نوح وعاد وثمود مثل جزاء ما كانوا عليه دائبا من الكفر وايذاء الرسل والذين من بعدهم
كقوم لوط وما الله يريد ظلما للعباد فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام
وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد من حيث ان المنفي فيه نفي حدوث تعلق ارادته
بالظلم ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم القيامة ينادي بعضهم لبعض للاستغاثة
او يتصايحون بالويل والثبور او يتنادى اصحاب الجنة واصحاب النار كما حكي في الاعراف وقرئ
بالتشديد وهو ان يند بعضهم من بعض يوم يفر المرء من اخيه يوم تولون عن الموقف مدبرين
منصرفين عنه الى النار وقيل فارين عنها ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه ومن يضلل
الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف يوسف بن يعقوب على ان فرعونه فرعون موسى او على
نسبة احوال الاباء الى الاولاد او سبطه يوسف بن ابراهيم بن يوسف من قبل من قبل موسى بالبينات
بالمعجزات فما زلتم في شك مما جاءكم به من الدين حتى اذا هلك مات قلتم لن يبعث الله
من بعده رسولا ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده او جزما بان لا يبعث
بعده رسولا مع الشك في رسالته وقرئ الن يبعث الله على ان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث كذلك

مثل ذلك الاضلال يضل الله في العصيان من هو مسرف مرتاب شاك فيما تشهد به البينات
لغلبة الوهم والانهماك في التقليد الذين يجادلون في ايات الله بدل من الموصول الاول لانه
بمعنى الجمع بغير سلطان بغير حجة بل اما بتقليد او بشبهة داحضة اتاهم كبر مقتا عند الله
وعند الذين امنوا فيه ضمير من وافراده للفظ ويجوز ان يكون الذين مبتدا وخبره كبر على حذف
مضاف اي وجدال الذين يجادلون كبر مقتا او بغير سلطان وفاعل كبر كذلك اي كبر مقتا
مثل ذلك الجدال فيكون قوله كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار استئنافا للدلالة
على الموجب لجدالهم وقرا ابو عمرو وابن ذكوان قلب بالتنوين على وصفه بالتكبر والتجبر لانه
منبعهما كقولهم رات عيني وسمعت اذني او على حذف مضاف اي على كل ذي قلب متكبر
وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا بناء مكشوفا عاليا من صرح الشيء اذا ظهر لعلي ابلغ
الاسباب الطرق اسباب السموات بيان لها وفي ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشانها
وتشويق للسامع الى معرفتها فاطلع الى اله موسى عطفا على ابلغ وقرا حفص بالنصب على جواب
الترجي ولعله اراد ان يبني له رصدا في موضع عال يرصد منه احوال الكواكب التي هي
اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله اياه او
ان يرى فساد قول موسى بان اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه ووصوله اليه وذلك
لا يتاتى الا بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وذلك لجهله بالله وكيفية استنبائه
واني لاظنه كاذبا في دعوى الرسالة وكذلك ومثل ذلك التزيين زين لفرعون سوء عمله
وصد عن السبيل سبيل الرشاد والفاعل على الحقيقة هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ
وزين بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرا الحجازيان والشامي وابو عمرو وصد على ان فرعون
صد الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده وما كيد فرعون الا في
تباب اي خسار وقال الذي امن يعني مؤمن من ال فرعون وقيل موسى عليه السلام يا قوم
اتبعون اهدكم بالدلالة سبيل الرشاد سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان
ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع تمتع يسير لسرعة زوالها
وان الاخرة هي دار القرار لخلودها من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها عدلا من الله وفيه دليل
على ان الجنايات تغرم بمثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون
الجنة يرزقون فيها بغير حساب بغير تقدير وموازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا
منه ورحمة ولعل تقسيم العمل وجعل الجزاء جملة اسمية مصدرة باسم الاشارة وتفضيل الثواب
لتغليب الرحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للدلالة على انه شرط في اعتبار العمل وان ثوابه
اعلى من ذلك ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة
الغفلة واهتماما بالمنادى له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه وعطف على
النداء الثاني الداخل على ما هو بيان لما قبله ولذلك لم يعطف على الاول فان ما بعده ايضا
تفسير لما اجمل فيه تصريحا او تعريضا على الاول تدعونني لاكفر بالله بدل او بيان فيه

تعليل والدعا كالهداية في التعدية بالي واللام وأشرك به ما ليس لي به بربوبيته علم والمراد نفي
المعلوم والاشعار بان الالوهية لا بد لها من برهان واعتقادها لا يصح الا عن ايقان وانا
ادعوكم الى العزيز الغفار المستجمع لصفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه
من العلم والارادة والتمكن من المجازات والقدرة على التعذيب والغفران لا جرم لا رد لما دعوه
اليه وجرم فعل بمعنى حق وفاعله انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة اي حق
عدم دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اي كسب ذلك الدعا اليه ان لا دعوة له
بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته وقيل فعل من الجرم بمعنى القطع كما ان بدا من
لا بد فعل من التبديل وهو التفريق والمعنى لا قطع لبطلان دعوة الوهية الاصنام اي لا
ينقطع في وقت ما فينقلب حقا ويويده قولهم لا جرم انه يفعل لغة فيه كالرشد والرشد
وان مردنا الى الله بالموت وان المسرفين في الضلالة والطغيان كالاشراك وسفك الدماء
هم اصحاب النار ملازموها فستذكرون فسيذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب ما اقول
لكم من النصيحة وافوض امري الى الله ليعصمني من كل سوء ان الله بصير بالعباد فيحرسهم
وكانه جواب لوعيدهم المفهوم من قوله فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وقيل الضمير لموسى
وحاق بآل فرعون بفرعون وقومه واستغنى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك وقيل
بطلبة المؤمن من قومه فانه فر الى جبل فاتبعه طائفة فوجدوه يصلي والوحوش صفوفا
حوله فرجعوا رعبا فقتلهم سوء العذاب الغرق او القتل او النار النار يعرضون عليها
غدوا وعشيا جملة مستانفة او النار خبر محذوف ويعرضون استيناف للبيان او بدل
ويعرضون حال منها او من الآل وقرئت منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل يفسره يعرضون
مثل يصلون فان عرضهم على النار احراقهم من قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به
وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود ان ارواحهم في اجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا
الى يوم القيامة وذكر الوقتين يحتمل التخصيص والتابيد وفيه دليل على بقا النفس وعذاب القبر
ويوم تقوم الساعة اي هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم ادخلوا آل فرعون
يا آل فرعون اشد العذاب عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم وقرا نافع
وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص ادخلوا على امر الملائكة بادخالهم النار واذ يتحاجون في
النار واذكر وقت تخاصمهم فيها ويحتمل عطفه على غدوا فيقول الضعفاء للذين استكبروا
تفصيل له انا كنا لكم تبعا تباعا كخدم جمع خادم او ذوي تبع بمعنى اتباع على الاضمار او
التجوز فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار بالدفع او الحمل ونصيبا مفعول لما دل عليه
مغنون او له بالتضمين او مصدر كشيئا في قوله لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله
شيئا فيكون من صلة لمغنون قال الذين استكبروا انا كل فيها نحن وانتم فكيف نغني عنكم ولو قدرنا
لاغنينا انفسنا وقرئ كلا على التاكيد لانه بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن المضاف اليه ولا يجوز جعله
حالا من المستكن في الظرف فانه لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم كقولك كل يوم لك

[Marginal note: الحكم الى عبادتها اصلا لانها جمادات ليس لها ما يقتضي الوهيتها او عدم دعوة مستجابة او عدم الاستجابة]

ثوب

ثوب ان الله قد حكم بين العباد بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار ولا معقب لحكمه
وقال الذين في النار لخزنة جهنم اي لخزنتها ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل او
لبيان محلهم فيها ويحتمل ان تكون جهنم ابعد دركاتها من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر ادعوا
ربكم يخفف عنا يوما قدر يوم من العذاب شيئا من العذاب ويجوز ان يكون المفعول
يوما بحذف المضاف ومن العذاب بيانه قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات ارادوا به
الزامهم للحجة وتوبيخهم على اضاعتهم اوقات الدعا وتعطيلهم اسباب الاجابة قالوا بلى قالوا
فادعوا فانا لا نجترئ فيه اذ لم يؤذن في الدعا لامثالكم وفيه اقناط لهم عن الاجابة وما دعاء
الكافرين الا في ضلال ضياع لا يجاب انا لننصر رسلنا والذين آمنوا بالحجة والظفر والانتقام
لهم من الكفرة في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد اي في الدارين ولا ينتقض ذلك
بما كان لاعدائهم عليهم من الغلبة احيانا اذ العبرة بالعواقب وغالب الامر والاشهاد
جمع شاهد كصاحب واصحاب والمراد بهم من يقوم يوم القيامة للشهادة على الناس من الملائكة
والانبياء والمؤمنين يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم بدل من الاول وعدم نفع المعذرة
لانها باطلة او لانه لا يؤذن لهم فيعتذرون وقرا الكوفيون ونافع بالتاء ولهم اللعنة
البعد من الرحمة ولهم سوء الدار جهنم ولقد آتينا موسى الهدى ما يهتدى به في
الدين من المعجزات والصحف والشرايع واورثنا بني اسرائيل الكتاب وتركنا عليهم
بعده من ذلك التوراة هدى وذكرى هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا لاولي الالباب
لذوي العقول السليمة فاصبر على اذى المشركين ان وعد الله بالنصر حق لا يخلفه واستشهد
بحال موسى وفرعون واستغفر لذنبك واقبل على امر دينك وتدارك فرطاتك بترك
الاولى والاهتمام بامر العدى بالاستغفار فانه تعالى كافيك في النصر واظهار الامر
وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار ودم على التسبيح والتحميد لربك وقيل صل لهذين
الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتان بكرة وركعتان عشيا ان الذين يجادلون في
آيات الله بغير سلطان اتاهم عام في كل مجادل مبطل وان نزلت في مشركي مكة او اليهود حين
قالوا لست صاحبنا بل هو المسيح بن داود يبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار
ان في صدورهم الا كبر الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم او ارادة الرياسة
او النبوة والملك لا يكون الا لهم ما هم ببالغيه ببالغي دفع الآيات والمراد فاستعذ
بالله فالتجئ اليه انه هو السميع البصير لاقوالكم وافعالكم لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس
فمن قدر على خلقها مع عظمها اولا من غير اصل قدر على خلق الانسان ثانيا من اصل وهو بيان لا
لما يجادلون فيه من امر التوحيد ولكن اكثر الناس لا يعلمون لانهم لا ينظرون ولا يتاملون لفرط
غفلتهم او اتباعهم اهواءهم وما يستوي الاعمى والبصير الغافل والمستبصر ويستوي اذ
يكون لهم حال يظهر فيه التفاوت وهي فيما بعد البعث والذين آمنوا وعملوا الصالحات
ولا المسيء والمحسن والمسيء وزيادة لا في المسيء لان المقصود نفي مساواته للمحسن فيما له من

[Marginal note: لبيان]

[Marginal note: شكل بعد الناس]

النظر والفكرة والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود ... لة بالصراحة والتمثيل قليلا ما يتذكرون اي تذكرا ما قليلا يتذكرونه والضمير ... ر للكفار وقرا الكوفيون بالتاء على تغليب المخاطب او الالتفات او امر الرسول صلى الله عليه وسلم بالمخاطبة ان الساعة لآتية لا ريب فيها في مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون بها لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسون به وقال ربكم ادعوني اعبدوني استجب لكم اثبكم لقوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين صاغرين وان فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلته للمبالغة والمراد بالعبادة الدعاء فانه من ابوابها وقرا ابن كثير وابو بكر سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه لتستريحوا فيه بان خلقه باردا مظلما ليؤدي الى ضعف المحركات وهدو الحواس والنهار مبصرا يبصر فيه او به واسناد الابصار اليه مجاز فيه مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل الى الحال ان الله لذو فضل على الناس لا يوازيه فضل وللاشعار به لم يقل لمفضل ولكن اكثر الناس لا يشكرون لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواقع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ذلكم المخصوص بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استئنافا بما هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون اي كما افكوا افك عن الحق كل من جحد بآيات الله ولم يتاملها الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء استدلال ثان بافعال اخر مخصوصة وصوركم فاحسن صوركم بان خلقكم منتصب القامة بادي البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات متهيئا لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات ورزقكم من الطيبات اللذائذ ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين فان كل ما سواه مربوب مفتقر بالذات معرض للزوال هو الحي المتفرد بالحياة الذاتية لا اله الا هو اذ لا موجود يساويه او يدانيه في ذاته وصفاته فادعوه فاعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة من الشرك والرياء الحمد لله رب العالمين قائلين به قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي من الحجج والآيات او من الآيات فانها مقوية لادلة العقل منبهة عليها وامرت ان اسلم لرب العالمين ان انقاد له او اخلص له ديني هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اطفالا والتوحيد لارادة الجنس او على تاويل كل واحد منكم ثم لتبلغوا اشدكم اللام فيه متعلقة بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذا في قوله ثم لتكونوا شيوخا ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرا نافع وابو عمرو وهشام وحفص شيوخا بضم الشين وقرئ شيخا كقوله طفلا ومنكم من يتوفى من

قبل

قبل الشيخوخة او بلوغ الاشد ولتبلغوا ويفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت او يوم القيامة ولعلكم تعقلون ما في ذلك من الحجج والعبر هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فاذا اراده فانما يقول له كن فيكون فلا يحتاج الى تكوينه وتجشم كلفة والفاء الاولى للدلالة على ان ذلك نتيجة ما سبق من حيث انه يقتضي قدرة ذاتية غير متوقفة على العدد والمواد الم تر الى الذين يجادلون في آيات الله انى يصرفون عن التصديق به وتكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل او المجادل فيه او للتاكيد الذين كذبوا بالكتاب بالقرآن او بجنس الكتب السماوية وبما ارسلنا به رسلنا من سائر الكتب او الوحي والشرائع فسوف يعلمون جزاء تكذيبهم اذ الاغلال في اعناقهم ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال والتعبير بلفظ المضي لتيقنه والسلاسل عطف على الاغلال او مبتدا خبره يسحبون في الحميم والعائد محذوف اي يسحبون بها وهو على الاول حال وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر حملا على المعنى اذ الاغلال في اعناقهم بمعنى اعناقهم في الاغلال او اضمارا للباء ويدل عليه القراءة به ثم في النار يسجرون يحرقون من سجر التنور اذا ملاه بالوقود ومنه السجير للصديق كانه سجر بالحب اي ملئ والمراد انهم يعذبون بانواع من العذاب وينقلون من بعضها الى بعض ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل ان تقرن بهم آلهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد منهم ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا اي بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم فانهم ليسوا شيئا يعتد به كقولك حسبته شيئا فلم يكن كذلك مثل ذلك الضلال يضل الله الكافرين حتى لا يهتدوا الى شيء ينفعهم في الآخرة او يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض تبطرون وتتكبرون بغير الحق وهو الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون في الفرح والعدول الى الخطاب للمبالغة في التوبيخ ادخلوا ابواب جهنم الابواب السبعة المقسومة لكم خالدين فيها مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين عن الحق جهنم وكان مقتضى النظم فبئس مدخل المتكبرين ولكن لما كان الدخول المقيد بالخلود سبب الثواء عبر بالمثوى فاصبر ان وعد الله بهلاك الكفار حق كائن لا محالة فاما نرينك فان نرك وما مزيدة لتاكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا تلحق مع ان وحدها بعض الذي نعدهم وهو القتل والاسر او نتوفينك قبل ان تراه فالينا يرجعون يوم القيامة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم في حياتك او لم نعذبهم فانا نعذبهم في الآخرة اشد العذاب ويدل على شدته الاقتصار بذكر الرجوع في هذا المعرض ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك اذ قيل عدد الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا والمذكور قصتهم

معدودة وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله فإن المعجزات عطايا قسمها بينهم
على ما اقتضته حكمته كسائر القسم ليس لهم اختيار في إيثار بعضها والاستبداد بإتيان
المقترح بها فإذا جاء أمر الله بالعذاب في الآخرة والدنيا قضي بالحق بإنجاء المحق وتعذيب المبطل
وخسر هنالك المبطلون المعاندون باقتراح الآيات بعد ظهور ما يغنيهم عنها الله
الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون فإن من جنسها ما يؤكل منها كالغنم
ومنها ما يؤكل ويركب وهو الإبل والبقر ولكم فيها منافع كالألبان والجلود والأوبار ولتبلغوا
عليها حاجة في صدوركم بالمسافرة عليها وعليها في البر وعلى الفلك في البحر تحملون
وإنما قال على الفلك ولم يقل في الفلك للمزاوجة وتغيير النظم في الأكل لأنه في حيز الضرورة
وقيل لأنه يقصد به التعيش والتلذذ والركوب والمسافرة عليها قد تكون لأغراض دينية
واجبة أو مندوبة أو للفرق بين العين والمنفعة ويريكم آياته دلائله الدالة على كمال
قدرته وفرط رحمته فأي آيات الله أي فأي آية من تلك الآيات تنكرون فإنها لظهورها لا تقبل
الإنكار وهو ناصب أي إذ لو قدرته متعلقا بضميره كان الأولى رفعه والتفرقة بالتاء في
أي أغرب منها في الأسماء غير الصفات لإبهامه أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض ما بقي منهم
من القصور والمصانع ونحوهما وقيل آثار أقدامهم في الأرض لعظم أجرامهم فما أغنى عنهم
ما كانوا يكسبون ما الأولى نافية أو استفهامية منصوبة بأغنى والثانية موصولة أو مصدرية
مرفوعة به فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات أو الآيات الواضحات فرحوا بما عندهم
من العلم واستحقروا علم الرسل والمراد بالعلم عقائدهم الزائغة وشبههم الداحضة كقوله
بل ادارك علمهم في الآخرة وهو قولهم لا نبعث ولا نعذب وما أظن الساعة قائمة ونحوها وسماها
علما على زعمهم تهكما بهم أو علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك أو علم
الأنبياء وفرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده وحاق بهم ما كانوا به
يستهزءون وقيل الفرح أيضا للرسل فإنهم لما رأوا تمادي الكفار وسوء عاقبتهم
فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم فلما رأوا
بأسنا شدة عذابنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يعنون الأصنام
فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قال لم يك
بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الأولى لأن قوله فما أغنى كالنتيجة لقوله كانوا أكثر منهم
والثانية لأن قوله فلما جاءتهم كالتفسير لقوله فما أغنى والباقيتان لأن رؤية البأس مسببة
عن مجيء الرسل وامتناع نفع الإيمان مسبب عن الرؤية سنة الله التي قد خلت في عباده
أي سن الله ذلك سنة ماضية في العباد وهي من المصادر المؤكدة وخسر هنالك الكافرون
أي وقت رؤيتهم البأس اسم مكان استعير للزمان عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن
لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن إلا صلى عليه واستغفر له

سورة السجدة

وآيها ثلاث أو أربع وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم حم إن
جعلته مبتدأ فخبره تنزيل من الرحمن الرحيم وإن جعلته تعديدا للحروف فتنزيل خبر محذوف
أو مبتدأ لتخصصه بالصفة وخبره كتاب وهو على الأول بدل منه أو خبر آخر أو خبر محذوف
ولعل افتتاح هذه السبع بحم وتسميتها به لكونها مصدرة ببيان الكتاب متشاكلة
في النظم والمعنى وإضافة التنزيل إلى الرحمن الرحيم للدلالة على أنه مناط المصالح الدينية والدنيوية
فصلت آياته ميزت باعتبار اللفظ والمعنى وقرئ فصلت أي فصل بعضها من بعض باختلاف
الفواصل والمعاني أو فصلت بين الحق والباطل قرآنا عربيا نصب على المدح أو على الحال من
فصلت وفيه امتنان لسهولة قراءته وفهمه لقوم يعلمون العربية أو لأهل العلم والنظر
وهو صفة أخرى لقرآنا أو صلة لتنزيل أو لفصلت والأول أولى لوقوعه بين الصفات بشيرا
ونذيرا للعاملين به والمخالفين له وقرئ بالرفع على الصفة لكتاب أو الخبر لمحذوف
فأعرض أكثرهم عن تدبره وقبوله فهم لا يسمعون سماع تأمل وطاعة وقالوا قلوبنا
في أكنة مما تدعونا إليه أغطية جمع كنان وفي آذاننا وقر صمم وأصله الثقل وقرئ
بالكسر ومن بيننا وبينك حجاب يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على أن الحجاب مبتدأ
منهم ومنه بحيث استوعب المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ وهذه تمثيلات لنبو
قلوبهم عن إدراك ما يدعوهم إليه واعتقاده ومج أسماعهم له وامتناع مواصلتهم
وموافقتهم للرسول صلى الله عليه وسلم فاعمل على دينك أو في إبطال أمرنا إننا عاملون
على ديننا أو في إبطال أمرك قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد
لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقي منه ولا أدعوكم إلى ما تنبو عنه العقول والأسماع
وإنما أدعوكم إلى التوحيد والاستقامة في العمل وقد يدل عليهما دلائل العقل وشواهد
النقل فاستقيموا إليه فاستقيموا في أفعالكم متوجهين إليه أو فاستووا إليه بالتوحيد
والإخلاص في العمل واستغفروه مما أنتم عليه من سوء العقيدة والعمل ثم هددهم على
ذلك فقال وويل للمشركين من فرط جهالتهم واستخفافهم بالله الذين لا يؤتون الزكاة
لبخلهم وعدم إشفاقهم على الخلق وذلك من أعظم الرذائل وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون
بالفروع وقيل معناه لا يفعلون ما يزكي أنفسهم وهو الإيمان والطاعة وهم بالآخرة
هم كافرون حال مشعرة بأن امتناعهم عن الزكاة لاستغراقهم في طلب الدنيا وإنكارهم
للآخرة إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون لا يمن به عليهم من المن وأصله
الثقل أو لا يقطع من مننت الحبل إذا قطعته وقيل نزلت في المرضى والهرمى إذا عجزوا
عن الطاعة كتب لهم الأجر كأصح ما كانوا يعملون قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق
الأرض في يومين في مقدار يومين أو بنوبتين خلق في كل نوبة ما خلق في أسرع ما
يكون ولعل المراد من الأرض ما في جهة السفل من الأجرام البسيطة ومن خلقها في يومين
أنه خلق لها أصلا مشتركا ثم خلق لها صورا بها صارت أنواعا وكفرهم به إلحادهم في ذاته

والمعنى

إتيناء

وتجعلون له أندادا ولا يصح ان يكون له ند ذلك الذي خلق الارض في يومين رب العالمين
خالق جميع ما وجد من الممكنات ومربيها وجعل فيها رواسي استيناف غير معطوف
على خلق للفصل بما هو خارج عن الصلة من فوقها مرتفعة عليها ليظهر للنظار ما فيها من
وجوه الاستبصار ويكون منافعها معرضة للطلاب وبارك فيها واكثر خيرها بان خلق فيها
انواع النبات والحيوانات وقدر فيها اقواتها اقوات اهلها بان عين لكل نوع ما يصلحه
ويعيش به او اقواتا تنشا منها بان خص حدوث كل قوت بقطر من اقطارها وقرئ وقسم فيها
اقواتها في اربعة ايام في تتمة اربعة ايام كقولك سرت من البصرة الى بغداد في عشرة والى
الكوفة في خمسة عشر ولعله قال ذلك ولم يقل في يومين للاشعار باتصالهما لليومين الاولين
والتصريح على الفذلكة سواء اي استوت سواء بمعنى استواء والجملة صفة ايام ويدل عليه قراءة
يعقوب بالجر وقيل حال من الضمير في اقواتها او فيها وقرئ بالرفع على هي سواء للسائلين متعلق بمحذوف
تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها او بقدر اي قدر فيها الاقوات للطالبين ثم
استوى الى السماء قصد نحوها من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوي على
غيره والظاهر ان ثم لتفاوت ما بين الخلقين لا للتراخي في المدة لقوله والارض بعد ذلك دحاها
ودحوها متقدم على خلق الجبال من فوقها وهي دخان امر ظلماني ولعله اراد به مادتها او الاجزاء
المتصغرة التي ركبت منها فقال لها وللارض ائتيا بما خلقت فيكما من التاثير وابرزا
ما اودعتكما من الاوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة او ائتيا في الوجود على ان الخلق
بمعنى التقدير او الترتيب للرتبة او الاخبار او اتيان السماء حدوثها واتيان الارض ان
تصير مدحوة وقد عرفت ما فيه او ليات كل منكما الاخرى في حدوث ما اريد توليده منكما
ويؤيده قراءة آتيا وآتينا من المؤاتاة اي ليوافق كل واحدة اختها فيما اردت منكما طوعا او كرها
شئتما ذلك او ابيتما والمراد اظهار كمال قدرته ووجوب وقوع مراده لا اثبات الطوع والكره
وهما مصدران وقعا موقع الحال قالتا اتينا طائعين منقادين بالذات والاظهر ان المراد
تصوير تاثير قدرته وتاثرهما بالذات عنها وتمثيلهما بامر المطاع واجابة المطيع الطائع كقوله كن
فيكون وما قيل انه تعالى خاطبهما واقدرهما على الجواب انما يتصور على الوجه الاول والاخير انما
قال طائعين على المعنى باعتبار كونهما مخاطبات كقوله ساجدات فقضاهن سبع سموات
فخلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن والضمير للسماء على المعنى او مبهم وسبع سموات حال على الاول وتمييز
على الثاني في يومين قيل خلق السموات يوم الخميس والشمس والقمر والنجوم يوم الجمعة واوحى في كل سماء امرها
شانها وما يتاتى منها بان حملها عليه اختيارا او طبعا وقيل اوحى الى اهلها باوامره وزينا السماء
الدنيا بمصابيح فان الكواكب كلها ترى كانها تتلألأ عليها وحفظا اي وحفظناها من الآفات
او من المسترقة حفظا وقيل مفعول له كانه قال خصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظا ذلك
تقدير العزيز العليم البالغ في القدرة والعلم فان اعرضوا عن الايمان بعد هذا البيان
فقل انذرتكم صاعقة تحذيرهم ان يصيبهم عذاب شديد الوقع كانه صاعقة مثل صاعقة عاد

وثمود

وثمود وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وهي المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة
صعقا فصعق صعقا اذ جاءتهم الرسل حال من صاعقة عاد ولا يجوز جعله صفة لصاعقة او
ظرفا لانذرتكم لفساد المعنى من بين ايديهم ومن خلفهم من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من
كل جهة او من جهة الزمن الماضي بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير
عما اعد لهم في الآخرة وكل من اللفظين يحتملها او من قبلهم ومن بعدهم اذ قد بلغهم خبر
المتقدمين واخبرهم هود وصالح عن المتاخرين داعين الى الايمان بهم اجمعين ويحتمل ان
يكون عبارة عن الكثرة كقوله تعالى ياتيها رزقها رغدا من كل مكان الا تعبدوا الا الله بان
لا تعبدوا او اي لا تعبدوا قالوا لو شاء ربنا ارسال الرسل لانزل ملائكة برسالته فانا بما
ارسلتم به على زعمكم كافرون اذ انتم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فاما عاد فاستكبروا
في الارض بغير الحق فتعظموا فيها على اهلها بغير استحقاق وقالوا من اشد منا قوة اغترارا
بقوتهم وشوكتهم قيل كان من قوتهم ان الرجل منهم ينزع الصخرة فيقتلعها بيده اولم يروا
ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة قدرة فانه قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى
قوي على ما لا يقدر عليه غيره وكانوا بآياتنا يجحدون يعرفون انها حق وينكرونها وهو عطف
على فاستكبروا فارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردة تهلك بشدة بردها من الصر وهو البرد
الذي يصر اي يجمع او شديد الصوت في هبوبها من الصرير في ايام نحسات جمع نحسة من
نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرا الحجازيان والبصري بالسكون على التخفيف او النعت
على فعل او الوصف بالمصدر وقيل كن آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا في
يوم الاربعاء لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا اضاف العذاب الى الخزي وهو الذل على قصد
وصفه به لقوله ولعذاب الآخرة اخزى وهو في الاصل صفة المعذب وانما وصف به العذاب
على الاسناد المجازي للمبالغة وهم لا ينصرون بدفع العذاب عنهم واما ثمود فهديناهم فدللناهم
على الحق بنصب الحجج وارسال الرسل وقرئ ثمود بالنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده ومنونا
في الحالين وبضم الثاء فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الضلالة على الهدى فاخذتهم
صاعقة العذاب الهون صاعقة من السماء فاهلكتهم واضافتها الى العذاب ووصفه بالهون
للمبالغة بما كانوا يكسبون من اختيار الضلالة ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون من تلك
الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله الى النار وقرئ نحشر على البناء للفاعل وهو الله تعالى فهم
يوزعون يحبس اولهم على آخرهم لئلا يتفرقوا وهي عبارة عن كثرة اهل النار حتى اذا
ما جاؤوها اذا حضروها وما مزيدة لتاكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد عليهم
سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون بان ينطقها الله او يظهر عليها
آثارا تدل على ما اقترفت بها فتنطق بلسان الحال وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا سؤال
توبيخ او تعجب ولعل المراد به نفس التعجب قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء اي ما نطقنا
باختيارنا بل انطقنا الله الذي انطق كل شيء وليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذي انطق

هم

وقرا نافع نحشر بالنون مفتوحة وضم الشين ونصب اعداء

[illegible]

كل حي دلوا وال الجواب النطق بدلالة الحال بقي الشيء عاما في الموجودات الممكنة وهو خلقكم اول
مرة واليه ترجعون يحتمل ان يكون تمام كلام الجلود وان يكون استينافا وما كنتم تستترون
ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم اي كنتم تستترون الناس عند
ارتكاب الفواحش مخافة الفضاحة وما ظننتم ان اعضاكم تشهد عليكم فيما استترتم
عنها وفيه تنبيه على ان المومن ينبغي ان يتحقق انه لا يمر عليه حال الا وعليه رقيب ولكن
ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون فلذلك اجترأتم على ما فعلتم وذلكم اشارة الى
ظنهم هذا وهو مبتدا وقوله ظنكم الذي ظننتم بربكم خبران له ويجوز ان يكون ظنكم بدلا
وارداكم خبر ارداكم اهلككم فاصبحتم من الخاسرين اذ صار ما منحوا للاستسعاد به في الدارين سببا لشقاء
المنزلين فان يصبروا فالنار مثوى لهم لا خلاص لهم عنها وان يستعتبوا يسالوا العتبى
وهي الرجوع الى ما يحبون فما هم من المعتبين المجابين ونظيره قوله تعالى حكاية اجزعنا
ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي ان يسالوا ان يرضوا ربهم
فما هم فاعلون لفوات المكنة وقيضنا لهم وقدرنا للكفرة قرناء اخدانا من الشياطين
يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل اصل القيض البدل ومنه المقايضة
للمعاوضة فزينوا لهم ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امر الاخرة
وانكاره وحق عليهم القول اي كلمة العذاب في امم في جملة امم كقوله ان تك عن احسن الصنيعة
مافوكا ففي اخرين قد افكوا وهو حال من المجرور قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقد عملوا
مثل اعمالهم انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم وقال الذين
كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وعارضوه بالخرافات وارفعوا اصواتكم
بها لتشوشوا على القاري وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغي يلغى ولغا يلغو اذا هذى
لعلكم تغلبون اي تغلبونه على قراءته فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا المراد بهم هولاء
القايلون او عامة الكفار ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون سيئات اعمالهم وقد سبق
مثله ذلك اشارة الى الاسوا جزاء اعداء الله جزاء النار عطف بيان للجزاء او خبر محذوف لهم فيها
النار دار الخلد فانها دار اقامتهم وهو كقولك لك في هذه الدار دار سرور وتعني بالدار عينها
على ان المقصود هو الصفة جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون ينكرون الحق او يلغون
وذكر الجحود الذي هو سبب اللغو وقال الذين كفروا ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن
والانس يعني شيطاني النوعين الحاملين على الضلالة والعصيان وقيل هما ابليس وقابيل فانهما
سنا الكفر والقتل وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب وابو بكر ارنا بالتخفيف كفخذ في فخذ
وقرا الدوري باختلاس كسرة الراء نجعلهما تحت اقدامنا ندوسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما
في الدرك الاسفل ليكونا من الاسفلين مكانا او ذلا ان الذين قالوا ربنا الله اعترافا
بربوبيته واقرارا بوحدانيته ثم استقاموا في العمل وثم لتراخيه عن الاقرار في الرتبة
من حيث انه مبدا الاستقامة او لانها عسرة قل من يتبع الاقرار وما روي عن الخلفاء

الراشدين

الراشدين في معنى الاستقامة من الثبات على الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض فجزئيا
تها تتنزل عليهم الملائكة فيما يعن لهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن
او عند الموت او الخروج من القبر الا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم وان
مصدرية او مخففة مقدرة بالباء او مفسرة وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون في الدنيا
على لسان الرسل نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بدل ما كانت الشياطين
تفعل بالكفرة وفي الاخرة بالشفاعة والكرامة حيث ما يتعادى الكفرة وقرناؤهم ولكم فيها
في الاخرة ما تشتهي انفسكم من اللذائذ ولكم فيها ما تدعون ما تتمنون من الدعاء بمعنى الطلب
وهو اعم من الاول نزلا من غفور رحيم حال مما تدعون للاشعار بان ما يتمنون بالنسبة الى
ما يعطون مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الى عبادته
وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وقال انني من المسلمين تفاخرا به او اتخاذا للاسلام دينا
ومذهبا من قولهم هذا قول فلان لمذهبه والاية عامة لمن استجمع تلك الصفات وقيل
نزلت في النبي عليه السلام وقيل في المؤذنين ولا تستوي الحسنة ولا السيئة في الجزاء وحسن
العاقبة ولا الثانية مزيدة لتاكيد النفي ادفع بالتي هي احسن ادفع السيئة حيث اعترضتك
بالتي هي احسن منها وهي الحسنة على ان المراد بالاحسن الزائد مطلقا او باحسن ما يمكن دفعها
به من الحسنات وانما اخرجه مخرج الاستيناف على انه جواب من قال كيف اصنع للمبالغة
ولذلك وضع الاحسن موضع الحسنة فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم
اي اذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق وما يلقاها وما يلقى هذه
السجية وهي مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين صبروا فانها تحبس النفس عن الانتقام
وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة واما ينزغنك من
الشيطان نزغ نخس شبه به وسوسته لانها بعث على ما لا ينبغي كالدفع بما هو اسوا وجعل
النزغ نازغا على طريقة جد جده او اريد به نازغ وصفا للشيطان بالمصدر فاستعذ
بالله من شره ولا تطعه انه هو السميع لاستعاذتك العليم بنيتك او بصلاحك ومن
اياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لانهما مخلوقان مامور(ان)
مثلكم واسجدوا لله الذي خلقهن الضمير للاربعة المذكورة والمقصود تعليق الفعل
بهما اشعارا بانهما من عداد ما لا يعلم ولا يختار ان كنتم اياه تعبدون فان السجود اخص
وهو موضع السجود عندنا لاقتران الامر به وعند ابي حنيفة اخر الاية الاخرى لانه تمام
المعنى فان استكبروا عن الامتثال فالذين عند ربك من الملائكة يسبحون له بالليل
والنهار اي دائما لقوله وهم لا يسامون اي لا يملون ومن اياته انك ترى الارض
خاشعة يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت
وربت تزخرفت وانتفخت بالنبات وقرئ وربات اي زادت ان الذي احياها
بعد موتها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير من الاماتة والاحياء ان الذين يلحدون في اياتنا

يميلون عن الاستقامة

بالطعن والتحريف والتأويل الباطل والالغاء فيها لا يخفون علينا فنجازيهم على الحادهم أفمن
يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة قابل الالقاء في النار بالاتيان آمنا مبالغة
في احماد حال المؤمنين اعملوا ما شئتم تهديد شديد انه بما تعملون بصير وعيد بالمجازاة
إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله ان الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون
او مستأنف وخبر ان محذوف مثل معاندون او هالكون او اولئك ينادون والذكر القرآن
وانه لكتاب عزيز كثير النفع عديم النظير او منيع لا يتأتى ابطاله وتحريفه لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات او مما فيه من الاخبار
الماضية والامور الآتية تنزيل من حكيم اي حكيم حميد يحمده كل خلق بما ظهر عليه من نعمه
ما يقال لك اي ما يقول لك كفار قومك الا ما قد قيل للرسل من قبلك الا مثل ما قال لهم
ان ربك لذو مغفرة لانبيائه وذو عقاب اليم لاعدائهم وهو على الثاني يحتمل ان يكون
المقول بمعنى ان حاصل ما اوحي اليك واليهم وعد المؤمنين بالمغفرة والكافرين بالعقوبة
ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقولهم هلا انزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا لولا
فصلت آياته بينت بلسان نفقهه أأعجمي وعربي الكلام اعجمي مقرر للتخصيص والاعجمي
يقال للذي لا يفهم كلامه وللكلام وهذا قراءة ابي بكر وحمزة والكسائي وقرأ الباقون
أعجمي وهو منسوب الى العجم وقرأ هشام أعجمي على الاخبار وعلى هذا يجوز ان يكون المراد هلا
فصلت بعضها اعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب والمقصود ابطال
مقترحهم باستلزامه المحذور او الدلالة على انهم لا ينفكون عن التعنت في الآيات
كيف جاءت قل هو للذين آمنوا هدى الى الحق وشفاء لما في الصدور من الشك والشبهة
والذين لا يؤمنون مبتدأ خبره في آذانهم وقر على تقدير هو في آذانهم وقر لقوله وهو عليهم
عمى وذلك لتصامهم عن سماعه وتعاميهم عما يريهم من الآيات ومن جوز العطف على
عاملين عطف ذلك على للذين آمنوا هدى أولئك ينادون من مكان بعيد هو تمثيل
لهم في عدم قبولهم واستماعهم له بمن يصيح به من مسافة بعيدة ولقد آتينا موسى
الكتاب فاختلف فيه بالتصديق والتكذيب كما اختلف في القرآن ولولا كلمة
سبقت من ربك وهي العدة بالقيامة وفصل الخصومة حينئذ او تقدير الآجال لقضي
بينهم باستئصال المكذبين وانهم وان اليهود او الذين لا يؤمنون لفي شك منه من التوراة
او القرآن مريب من عمل صالحا فلنفسه نفعه ومن أساء فعليها ضره وما ربك بظلام
للعبيد فيفعل بهم ما ليس له ان يفعل اليه يرد علم الساعة اي اذا سئل عنها
اذ لا يعلمها الا هو وما تخرج من ثمرة من اكمامها من اوعيتها جمع كم بالكسر
وقرئ بالرفع وابن عامر وحفص من ثمرات بالجمع لاختلاف الانواع وقرئ بجمع الضمير
ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق ويحتمل ان يكون موصولة ومن مبينة بخلاف
قوله وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه الا مقرونا بعلمه واقعا حسب تعلقه به

اي يميلون

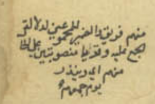
مريب موجب للاضطراب

ويوم يناديهم أين شركائي بزعمكم قالوا آذناك اعلمناك ما منا من شهيد من احد
يشهد لهم بالشركة اذ تبرأنا عنهم لما عاينا الحال فيكون السؤال عنهم للتوبيخ او من احد
يشاهدهم لانهم ضلوا عنا وقيل هو قول الشركاء اي ما منا من يشهد لهم بانهم كانوا محقين
وضل عنهم ما كانوا يدعون يعبدون من قبل لا ينفعهم ولا يرونه وظنوا وايقنوا
ما لهم من محيص مهرب والظن معلق بحرف النفي لا يسأم الانسان لا يمل من دعاء الخير
من طلب السعة في النعمة وقرئ من دعاء الخير وان مسه الشر الضيقة فيؤوس قنوط
من فضل الله ورحمته وهذا صفة الكافر لقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم
الكافرون وقد بولغ فيه من جهة البنية والتكرير وما في القنوط من ظهور اثر
اليأس ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته بتفريجها عنه ليقولن هذا لي
حقي استحقه لما لي من الفضل والعمل او لي دائما لا يزول وما اظن الساعة قائمة
ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى اي ولئن قامت على التوهم كان لي عند الله
الحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه من نعم الدنيا فلاستحقاق
لا ينفك عنه فلننبئن الذين كفروا فلنخبرنهم بما عملوا بحقيقة اعمالهم ولنبصرنهم
عكس ما اعتقدوا فيها ولنذيقنهم من عذاب غليظ لا يمكنهم التقصي عنه واذا
انعمنا على الانسان اعرض عن الشكر ونأى بجانبه وانحرف عنه او ذهب
بنفسه وتباعد عنه بكليته تكبرا والجانب مجاز عن النفس كالجنب في قوله في جنب الله
واذا مسه الشر فذو دعاء عريض كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته
واستمراره وهو ابلغ من الطويل اذ الطول اطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك
فما ظنك بطوله قل أرأيتم اخبروني ان كان من عند الله اي القرآن ثم كفرتم
به من غير نظر واتباع دليل من اضل ممن هو في شقاق بعيد اي من اضل منكم
فوضع الموصول موضع الصلة شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم سنريهم آياتنا
في الآفاق يعني ما اخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم به من الحوادث الآتية وآثار النوازل
الماضية وما يسر الله له ولخلفائه من الفتوح والظهور على ممالك الشرق والغرب على وجه
خارق للعادة وفي انفسهم ما ظهر فيما بين اهل مكة وما حل بهم او ما في بدن الانسان
من عجائب الصنع الدالة على كمال القدرة حتى يتبين لهم انه الحق الضمير للقرآن او
الرسول او التوحيد او الله اولم يكف بربك اي اولم يكف ربك والباء مزيدة للتأكيد كأنه
قيل اولم تحصل الكفاية به ولا يكاد يزاد في الفاعل انه على كل شيء شهيد بدل منه
والمعنى اولم يكفيك ان الله تعالى على كل شيء شهيد محقق له فيحقق امرك باظهار الآيات الموعودة
كما حقق سائر الاشياء الموعودة او مطلع فيعلم حالك وحالهم او اولم يكف الانسان رادعا
عن المعاصي انه تعالى مطلع على كل شيء لا يخفى عليه خافية الا انهم في مرية شك وقرئ
بالضم وهو لغة كخفية وخفية من لقاء ربهم بالبعث والجزاء الا انه بكل شيء محيط عالم

الا مع كفى

بجمل الاشيا وتفاصيلها مقتدر عليها لا يفوته شي منها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة السجدة
اعطاه بكل حرف عشر حسنات سورة حم عسق مكية وثلث وخمسون اية وتسمى سورة الشورى
بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق لعله اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا
ايتين وان كان اسما واحدا فالفصل ليطابق ساير الحواميم وقرى حم سق كذلك يوحي اليك
والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم اي مثل ما في السورة من المعاني اوحي مثل ايحايها
اوحى الله اليك والى الرسل قبلك وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الماضية للدلالة على استمرار
الوحي وان ايحا مثله عادته وقرا ابن كثير بالفتح على ان كذلك مبتدا ويوحي خبره المسند الى ضميره
او مصدر ويوحي مسندا الى اليك والله مرتفع بما دل عليه يوحي والعزيز الحكيم صفتان مقررتان
لعلو شان الموحي به كما مر في السورة السابقة او في الابتدا كما في قراة نوحي بالنون والعزيز وما
بعده اخبار او العزيز الحكيم صفتان وقوله له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم
خبران له وعلى الوجوه الاخر استيناف مقرر لعزته وحكمته تكاد السموات وقرا نافع والكسائي
بالياء يتفطرن يتشققن من عظمة الله وقيل من دعاء
الولد وقرا البصريان وابو بكر ينفطرن والاول ابلغ لانه مطاوع فطر وهذا مطاوع
فطر وقرى يتفطرن بالتا لتاكيد التانيث وهو نادر من فوقهن اي يبتدي الانفطار
من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول لان اعظم الايات وادلها على علو شانه
من تلك الجهة وعلى الثاني ليدل على الانفطار من تحتهن بالطريق الاولى وقيل الضمير
للارض فان المراد بها الجنس والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن
في الارض بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والالهام واعداد الاسباب
المقربة الى الطاعة وذلك في الجملة يعم المومن والكافر بل لو فسر الاستغفار
بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمومنين فالمراد به
الشفاعة الا ان الله هو الغفور الرحيم اذ ما من مخلوق الا وهو ذو حظ من رحمته
والاية على الاول زيادة تقرير لعظمته وعلى الثاني دلالة على تقدسه عما نسب اليه
وان عدم معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعا باستغفار الملائكة وفرط غفرانه
ورحمته والذين اتخذوا من دونه اوليا شركا وانداد الله حفيظ عليهم رقيب
على احوالهم واعمالهم فيجازيهم بها وما انت عليهم بوكيل بموكل بهم او بموكول اليه امرهم
وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا الاشارة الى مصدر يوحي او الى معنى الاية المتقدمة
فانه مكرر في القران في مواضع جمة فيكون الكاف مفعولا به وقرانا عربيا حالا منه
لتنذر ام القرى اهل ام القرى وهي مكة ومن حولها من العرب وتنذر يوم الجمع
يوم القيامة يجمع فيه الخلايق والارواح والاشباح او العمال والاعمال حذف ثاني
مفعولي الاول واول مفعولي الثاني للتهويل وايهام التعميم وقرى لينذر بالياء والفعل
للقران لا ريب فيه اعتراض فريق في الجنة وفريق في السعير اي بعد جمعهم في

الموقف



الموقف يجمعون اولا ثم يفرقون والتقدير متفرقين بمعنى مشارفين للتفريق او مفترقين
في دار الثواب والعقاب ولو شا الله لجعلهم امة واحدة مهتدين او ضالين ولكن يدخل
من يشا في رحمته بالهداية والحمل على الطاعة والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير اي
ويدعهم بغير ولي ولا نصير في عذابه ولعله غير المقابلة للمبالغة في الوعيد اذ الكلام
في الانذار ام اتخذوا بل اتخذوا من دونه اوليا كالاصنام فالله هو الولي
جواب الشرط محذوف مثل ان ارادوا اوليا بحق فالله هو الولي بالحق وهو يحيي الموتى وهو
على كل شي قدير كالتقرير لكونه حقيقا بالولاية وما اختلفتم انتم والكفار فيه من
شي من امر من امور الدنيا والدين فحكمه الى الله مفوض اليه يميز المحق من المبطل بالنصر
او الاثابة والمعاقبة وقيل وما اختلفتم فيه من تاول متشابه فارجعوا فيه الى المحكمات
من كتاب الله ذلكم الله ربي عليه توكلت في مجامع الامور واليه انيب ارجع في المعضلات
فاطر السموات والارض خبر اخر لذلكم او مبتدا خبره جعل لكم وقرى بالجر على البدل
من الضمير او الوصف لالى الله من انفسكم من جنسكم ازواجا نسا ومن الانعام ازواجا
وخلق للانعام من جنسها ازواجا او خلق لكم من الانعام اصنافا او ذكورا واناثا يذروكم
يكثركم من الذر وهو البث وفي معناه الذرو والذرء والضمير على الاول والانعام على تغليب
المخاطبين العقلا فيه في هذا التدبير وهو جعل الناس والانعام ازواجا يكون بينهم توالد
فانه كالمنبع للبث والتكثير ليس كمثله شي اي ليس مثله شي يزاوجه ويناسبه ويسد مسده
كان نفيه عنه اولى ونظيره قول رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب الا وفيهم الطيب
الطاهر لذاته ومن قال الكاف فيه زايدة لعله عنى انه يعطي معنى ليس مثله غير انه اكد لما
ذكرناه وقيل مثله صفته اي ليس كصفته صفة وهو السميع البصير لكل ما يسمع ويبصر
له مقاليد السموات والارض خزاينها يبسط الرزق لمن يشا ويقدر يوسع ويضيق
على وفق مشيته انه بكل شي عليم فيفعله على ما ينبغي شرع لكم من الدين ما وصى
به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى اي شرع
لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من ارباب الشرايع وهو الاصل المشترك فيما بينهم
المفسر بقوله ان اقيموا الدين وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة في احكام الله ومحله
النصب على البدل من مفعول شرع او الرفع على الاستيناف كانه جواب وما ذلك المشروع
او الجر على البدل من هاء به ولا تتفرقوا فيه ولا تختلفوا في هذا الاصل اما فروع
الشرايع فمختلفة كما قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا كبر على المشركين عظم عليهم ما تدعوهم
اليه من التوحيد الله يجتبي اليه من يشا يجتلب اليه والضمير لما تدعوهم او للدين ويهدي
اليه بالارشاد والتوفيق من ينيب يقبل اليه وما تفرقوا يعني الامم السالفة وقيل
اهل الكتاب لقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم
بان التفرق ضلال متوعد عليه او العلم بمبعث الرسول او اسباب العلم من الرسل والكتب

وعيدهما فلم يلتفتوا إليها بغيا بينهم عداوة أو طلبا للدنيا ولولا كلمة سبقت من ربك
بالإمهال إلى أجل مسمى هو يوم القيامة أو آخر أعمارهم المقدرة لقضي بينهم باستئصال
المبطلين حين افترقوا لعظم ما اقترفوا وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم يعني
أهل الكتاب الذين كانوا في عهد الرسول أو المشركين الذين أورثوا القرآن من بعد أهل الكتاب
وقرئ ورثوا وورثوا لفي شك منه من كتابهم لا يعلمونه كما هو أو لا يؤمنون به حق
الإيمان أو من القرآن مريب مقلق أو مدخل في الريبة فلذلك فلأجل ذلك التفرق أو
الكتاب أو العلم الذي أوتيته فادع إلى الاتفاق على الملة الحنيفية أو الاتباع لما أوتيت
وعلى هذا يجوز أن يكون اللام في موضع إلى لإفادة الصلة والتعليل واستقم كما أمرت
واستقم على الدعوة كما أمرك الله ولا تتبع أهواءهم الباطلة وقل آمنت بما أنزل الله من
كتاب في تبليغ المنزل لا كالكفار الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض وأمرت لأعدل
بينكم في تبليغ الشرائع والحكومات والأول إشارة إلى كمال القوة النظرية وهذا إشارة
إلى كمال القوة العملية الله ربنا وربكم خالق الكل ومتولي أمره لنا أعمالنا ولكم أعمالكم
وكل مجازى عليه لا حجة بيننا وبينكم لا حجاج بمعنى لا خصومة إذ الحق قد ظهر
ولم يبق للمحاجة مجال ولا للخلاف مبدأ سوى العناد الله يجمع بيننا يوم القيامة
وإليه المصير مرجع الكل لفصل القضاء وليس في الآية ما يدل على متاركة الكفار رأسا
حتى تكون منسوخة بآية القتال والذين يحاجون في الله في دينه من بعد ما استجيب
له من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه أو من بعد ما استجاب الله لرسوله فأظهر دينه
بنصره يوم بدر أو من بعد ما استجاب له أهل الكتاب بأن أقروا بنبوته واستفتحوا به حجتهم
داحضة عند ربهم زائلة باطلة وعليهم غضب بمعاندتهم ولهم عذاب
شديد على كفرهم الله الذي أنزل الكتاب جنس الكتاب بالحق ملتبسا به بعيدا من الباطل
أو بما يحق إنزاله من العقائد والأحكام والميزان والشرع الذي يوزن به الحقوق
ويسوى بين الناس أو العدل بأن أنزل الأمر به أو آلة الوزن أوحي بإعدادها وما يدريك
لعل الساعة قريب إتيانها فاتبع الكتاب واعمل بالشرع وواظب على العدل قبل أن
يفاجئك اليوم الذي يوزن فيه أعمالك ويوفى جزاؤك وقيل تذكير القريب لأنه بمعنى
ذات قرب أو لأن الساعة بمعنى البعث يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها استهزاء
والذين آمنوا مشفقون منها خائفون منها مع اعتنائهم بها لتوقع الثواب ويعلمون أنها
الحق الكائن لا محالة ألا إن الذين يمارون في الساعة يجادلون فيها من المرية
أو من مريت الناقة إذا مسحت ضرعها لشدة الحلب لأن كلا من المتجادلين يستخرج ما عند
صاحبه بكلام فيه شدة لفي ضلال بعيد عن الحق فإن البعث أشبه الغائبات إلى المحسوسات
فمن لم يهتد لتجويزها فهو أبعد عن الاهتداء إلى ما وراءها الله لطيف بعباده بر بهم بصنوف
من البر على ما اقتضته حكمته وهو القوي الباهر القدرة العزيز المنيع الذي لا يغلب

من كان يريد حرث الآخرة ثوابها شبهه بالزرع من حيث إنه فائدة تحصل بعمل الدنيا
ولذلك قيل الدنيا مزرعة الآخرة والحرث في الأصل إلقاء البذر ويقال للزرع الحاصل منه
نزد له في حرثه فنعطيه بالواحد عشرا إلى سبعمائة فما فوقها ومن كان يريد حرث الدنيا
نؤته منها شيئا منها على ما قسمنا له وما له في الآخرة من نصيب إذ الأعمال بالنيات ولكل
ما نوى أم لهم شركاء بالتقرير من الدين ما لم يأذن به الله بل ألهم شركاء والهمزة للتقرير
والتقريع وشركاؤهم شياطينهم شرعوا لهم بالتزيين من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك
وإنكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم أوثانهم وإضافتها إليهم لأنهم متخذوها
شركاء وإسناد الشرع إليها لأنها سبب ضلالهم وافتتانهم بما تدينوا به أو صور
من سنه لهم ولولا كلمة الفصل أي القضاء السابق بتأجيل الجزاء أو العدة بأن الفصل
يكون يوم القيامة لقضي بينهم بين الكافرين والمؤمنين أو المشركين وشركائهم وإن
الظالمين لهم عذاب أليم وقرئ أن بالفتح عطفا على كلمة الفصل أي ولولا كلمة الفصل
وتقدير عذاب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا فإن العذاب الأليم غالب في
الآخرة ترى الظالمين في القيامة مشفقين خائفين مما كسبوا من السيئات وهو
واقع بهم أي وباله لاحق بهم أشفقوا أو لم يشفقوا والذين آمنوا وعملوا الصالحات
في روضات الجنات في أطيب بقاعها وأنزهها لهم ما يشاؤون عند ربهم أي ما يشتهونه
ثابت لهم عند ربهم ذلك إشارة إلى ما للمؤمنين هو الفضل الكبير الذي يصغر دونه ما
لغيرهم في الدنيا ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات
ذلك الثواب الذي يبشرهم الله به فحذف الجار ثم العائد أو ذلك التبشير الذي
يبشره الله عباده وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي يبشر من بشره قل لا
أسألكم عليه على ما أتعاطاه من التبليغ والبشارة أجرا نفعا منكم إلا المودة في القربى
أن تودوني لقرابتي منكم أو تودوا قرابتي وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا أسألكم
أجرا قط ولكن أسألكم المودة في القربى حال منها أي إلا المودة ثابتة في ذوي
القربى متمكنة في أهلها أو في حق القرابة ومن أجلها كما جاء في الحديث الحب في
الله والبغض في الله روي أنها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت
علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما وقيل القربى التقرب إلى الله أي إلا أن تودوا
الله ورسوله في تقربكم إليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ إلا مودة في القربى ومن
يقترف حسنة ومن يكتسب طاعة سيما حب آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في أبي بكر
ومودته لهم نزد له فيها في الحسنة حسنا بمضاعفة الثواب وقرئ يزد أي يزد الله وحسنى
إن الله غفور لمن أذنب شكور لمن أطاع بتوفيته الثواب والتفضل عليه بالزيادة
أم يقولون بل أيقولون افترى على الله كذبا افترى محمد بدعوى النبوة أو القرآن فإن يشإ
الله يختم على قلبك استبعاد للافتراء عن مثله بالإشعار على أنه إنما يجترئ عليه من كان

من كان محتوما على قلبه جاهلا بربه فاما من كان ذا بصيرة ومعرفة فلا وكانه قال ان يشا الله
خذلانك يختم على قلبك لتجترئ بالافترا عليه وقيل يختم يمسك القران او الوحي عنه او يربط
عليه بالصبر فلا يشق عليك اذاهم ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات
الصدور استيناف لنفي الافترا عما يقوله بانه لو كان مفتريا لمحقه اذ من عادته تعالى محو
الباطل واثبات الحق بوحيه او بقضايه او بوعد لمحو باطلهم واثبات حقه بالقران او بقضايه
الذي لا مرد له وسقوط الواو من يمح في بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله ويدع الانسان بالشر
وهو الذي يقبل التوبة عن عباده بالتجاوز عما تابوا عنه والقبول يعدى الى مفعول ثان
بمن وعن لتضمنه معنى الاخذ والابانة وقد عرفت حقيقة التوبة وعن علي
رضي الله عنه هي اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض
الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقتها مرارة
الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكا بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات
صغيرها وكبيرها لمن يشا ويعلم ما يفعلون فيجازي ويتجاوز عن اتقان وحكمة وقرا
حمزة وحفص والكسائي ما تفعلون بالتا ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات اي يستجيب الله
لهم فحذف اللام كما حذف في واذا كالوهم والمراد اجابة الدعا الحمد لله او يستجيبون لله بالطاعة
اذا دعاهم اليها ويزيدهم من فضله على ما سالوا واستحقوا واستوجبوا له بالاستجابة
والكافرون لهم عذاب شديد بدل ما للمومنين من الثواب والتفضل ولو بسط الله
الرزق لعباده لبغوا في الارض لتكبروا وافسدوا فيها بطرا او لبغى بعضهم على بعض
استيلا وهذا على الغالب واصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى كمية او كيفية
ولكن ينزل بقدر بتقدير ما يشا ما اقتضته مشيته انه بعباده خبير بصير
يعلم خفايا امرهم وجلايا حالهم فيقدر لهم ما يناسب شانهم روي ان اهل الصفة تمنوا
الغنى فنزلت وقيل في العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا
وهو الذي ينزل الغيث المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع وقرا
نافع وابن عامر وعاصم ينزل بالتشديد من بعد ما قنطوا ايسوا منه وقري بكسر النون
وينشر رحمته في كل شي من السهل والجبل والنبات والحيوان وهو الولي الذي يتولى
عباده باحسانه ونشر رحمته الحميد المستحق للحمد على ذلك ومن اياته خلق السموات
والارض فانها بذاتها وصفاتها تدل على وجود صانع قادر حكيم وما بث فيهما
عطف على السموات او الخلق من دابة من حي على اطلاق اسم المسبب على السبب او مما يدب على الارض
وما يكون في احد الشيئين يصدق انه فيهما في الجملة وهو على جمعهم اذا يشا في
اي وقت يشا قدير متمكن منه واذا كما يدخل الماضي يدخل المضارع وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم فبسبب معاصيكم والفا لان ما شرطية او متضمنة
معناه ولم يذكرها نافع وابن عامر استغناء بما في البا من معنى السببية ويعفو عن

كثير

كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها والاية مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم فلاسباب
اخر منها تعريضه للاجر العظيم بالصبر عليه وما انتم بمعجزين في الارض فايتين ما قضي
عليكم من المصايب وما لكم من دون الله من ولي يحرسكم عنها ولا نصير يدفعها عنكم ومن
اياته الجوار السفن الجارية في البحر كالاعلام كالجبال قالت الخنسا شعر وان صخرا لتاتم
الهداة به كانه علم في راسه نار ان يشا يسكن الريح وقري الرياح فيظللن رواكد
على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر البحر ان في ذلك لايات لكل صبار شكور لكل من وكل همته
وحبس نفسه على النظر في ايات الله والتفكر في الاية او لكل مومن كامل فان الايمان
نصفان نصف صبر ونصف شكر او يوبقهن او يهلكهن بارسال الريح العاصفة المغرقة
والمراد اهلها لقوله بما كسبوا واصله او يرسلها فيوبقهن لانه قسيم يسكن فاقتصر فيه
على المقصود كما في قوله ويعف عن كثير اذ المعنى او يرسلها عاصفة فيوبق ناسا بذنوبهم
وينجي ناسا منهم وقري ويعفو على الاستيناف ويعلم الذين يجادلون في اياتنا
عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم ويعلم او على الجزا ونصب نصب الواقع جوابا للاشيا
الستة لانه ايضا غير واجب وقرا نافع وابن عامر بالرفع على الاستيناف وقري بالجزم
عطفا على يعف فيكون المعنى او يجمع بين اهلاك قوم وانجا قوم وتحذير اخرين
ما لهم من محيص محيد من العذاب والجملة معلق عنها الفعل فما اوتيتم من شي فمتاع
الحياة الدنيا تتمتعون به مدة حياتكم وما عند الله من ثواب الاخرة خير وابقى لخلوص
نفعه ودوامه وما الاولى تضمنت معنى الشرط من حيث ان ايتا ما اوتوا سبب للتمتع
بها في الحياة الدنيا فجات الفا في جوابها بخلاف الثانية وعن علي رضي الله عنه تصدق
ابو بكر بماله كله فلامه جمع فنزلت للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون
كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون بما بعده عطف على للذين امنوا ومدح
منصوب او مرفوع وبنا يغفرون على ضميرهم خبرا للدلالة على انهم الاخصا بالمغفرة
حال الغضب وقرا حمزة والكسائي كبير الاثم والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة
نزلت في الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا له وامرهم
شورى بينهم ذو شورى لا ينفردون براي حتى يتشاوروا او يجتمعوا عليه وذلك من
فرط تدبرهم وتيقظهم في الامور وهي مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومما رزقناهم
ينفقون في سبيل الخير والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون على ما جعل الله كراهة
التذلل وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر امهات الفضايل وهو لا يخالف
وصفهم بالغفران فانه ينبئ عن عجز المغفور والانتصار في مقاومة الخصم والحلم
عن العاجز محمود وعن المتغلب مذموم لانه اجرا واغرا على البغي عقب وصفهم
بالانتصار للمنع عن التعدي وجزاء سيئة سيئة مثلها وسمي الثانية سيئة للازدواج
او لانها تسوء من تنزل به فمن عفا واصلح بينه وبين عدوه فاجره على الله عدة مبهمة

تدل على عظم الموعود إنه لا يحب الظالمين المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين في الانتقام ولمن انتصر
بعد ظلمه بعد ما ظلم وقد قرئ به فأولئك ما عليهم من سبيل بالمعاتبة والمعاقبة إنما السبيل
على الذين يظلمون الناس يبتدئونهم بالإضرار ويطلبون ما لا يستحقونه تجبرا عليهم
ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم على ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على
الأذى وغفر ولم ينتصر إن ذلك لمن عزم الأمور أي إن ذلك منه فحذف كما حذف
في قولهم السمن منوان بدرهم للعلم به ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده من ناصر
يتولاه من بعد خذلان الله إياه وترى الظالمين لما رأوا العذاب حين يرونه
فذكر بلفظ الماضي تحقيقا يقولون هل إلى مرد من سبيل أي إلى رجعة إلى الدنيا وتراهم
يعرضون عليها على النار ويدل عليها العذاب خاشعين من الذل متذللين متقاصرين مما
يلحقهم ينظرون من طرف خفي أي يبتدئ نظرهم إلى النار من تحريك لأجفانهم
ضعيف كالمصبور ينظر إلى السيف وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم
وأهليهم بالتعريض للعذاب المخلد يوم القيامة ظرف لخسروا والقول في الدنيا أو لقال
أي يقولون إذا رأوهم على تلك الحال ألا إن الظالمين في عذاب مقيم تمام كلامهم أو
تصديق من الله لهم وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما
له من سبيل إلى الهدى أو النجاة استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله
لا يرده الله بعد ما حكم به ومن صلة لمرد وقيل صلة يأتي أي من قبل أن يأتي يوم من الله
لا يمكن رده ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير إنكار لما اقترفتموه لأنه مدون
في صحائف أعمالكم تشهد عليكم ألسنتكم وجوارحكم فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم
حفيظا رقيبا أو محاسبا إن عليك إلا البلاغ وقد بلغت وإنا إذا أذقنا الإنسان
منا رحمة فرح بها أراد بالإنسان الجنس لقوله وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم
فإن الإنسان كفور بليغ الكفران ينسى النعمة رأسا ويذكر البلية ويعظمها ولم يتأمل
سببها وهذا وإن اختص بالمجرمين جاز إسناده إلى الجنس لغلبتهم واندراجهم فيه وتصدير الشرطية
الأولى بإذا والثانية بإن لأن إذاقة النعمة محققة من حيث إنها عادة مقتضية بالذات بخلاف
إصابة البلية وإقامة علة الجزاء مقامه ووضع الظاهر موضع المضمر في الثانية للدلالة على أن
هذا الجنس موسوم بكفران النعمة لله ملك السموات والأرض فله أن يقسم النعمة والبلية كيف يشاء
يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور من غير لزوم ومجال اعتراض أو
يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما بدل من يخلق بدل البعض والمعنى يجعل أحوال
العباد في الأولاد مختلفة على مقتضى المشيئة فيهب لبعض إما صنفا واحدا من ذكر أو أنثى
أو الصنفين جميعا ويعقم آخرين ولعل تقديم الإناث لأنها أكثر لتكثير النسل أو لأن
مساق الآية للإناث كذلك أو لأن الكلام في البلاء والعرب يعدهن بلاء أو لتطييب
قلوب آبائهن أو للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور أو لجبر التأخير وتغيير العاطف في

للدلالة على أن الواقع
ما يتعلق به مشيئة الله
لا مشيئة الإنسان

الثاني لأنه قسيم المشترك بين القسمين ولم يحتج إليه الرابع لإفصاحه بأنه قسيم المشترك
بين الأقسام المتقدمة إنه عليم قدير فيفعل بحكمة واختيار وما كان لبشر وما صح
له أن يكلمه الله إلا وحيا كلاما خفيا يدرك بسرعة لأنه تمثيل ليس في ذاته مركبا من حروف
مقطعة يتوقف على تموجات متعاقبة وهو ما يعم المشافهة به كما روي في حديث
المعراج وما وعد به في حديث الرؤية والمهتف به كما اتفق لموسى في طوى والطور لكن
عطف على قوله أو من وراء حجاب عليه يخصه بالأول فالآية دليل على جواز الرؤية
لا على امتناعها وقيل المراد به الإلهام والإلقاء في الروع أو الوحي المنزل به الملك
إلى الرسل فيكون المراد بقوله أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء أو يرسل إليه نبيا
فيبلغ وحيه كما أمره وعلى الأول المراد بالرسول الملك الموحى إلى الرسل ووحيا بما عطف
عليه منتصب بالمصدر لأن من وراء صفة كلام محذوف والإرسال نوع من الكلام ويجوز
أن يكون وحيا وأن يرسل مصدرين ومن وراء حجاب ظرفا وقعت أحوالا وقرأ نافع
أو يرسل برفع اللام إنه علي عن صفات المخلوقين حكيم يفعل ما تقتضيه حكمته فيكلم
تارة بوسط وتارة بغير وسط إما عيانا أو من وراء حجاب وكذلك أوحينا إليك
روحا من أمرنا يعني ما أوحي إليه وسماه روحا لأن القلوب تحيى به وقيل جبريل والمعنى
أرسلناه إليك بالوحي ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان أي قبل الوحي وهو دليل
على أنه لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع وقيل المراد هو الإيمان بما لا طريق إليه إلا
السمع ولكن جعلناه أي الروح أو الكتاب أو الإيمان نورا نهدي به من نشاء من عبادنا
بالتوفيق للقبول والنظر فيه وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم هو الإسلام وقرئ لتهدى
أي ليهديك الله صراط الله بدل من الأول الذي له ما في السموات وما في الأرض خلقا وملكا ألا
إلى الله تصير الأمور بارتفاع الوسايط والتعليقات وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم عسق كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويترحمون
سورة الزخرف مكية وقيل إلا قوله واسأل من أرسلنا وآيها تسع وثمانون
بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين إنا جعلناه قرآنا عربيا
أقسم بالقرآن على أنه جعله قرآنا عربيا وهو من البدائع لتناسب القسم والمقسم عليه كقول
أبي تمام وثناياك إنها إغريض ولعل إقسام الله بالأشياء استشهاد بما فيها من الدلالة
على المقسم عليه والقرآن من حيث إنه معجز مبين طرق الهدى وما يحتاج إليه من الديانة
أو بين للعرب يدل على أنه تعالى صيره كذلك لعلكم تعقلون لكي تفهموا معانيه وإنه
عطف على إنا وقرأ حمزة والكسائي بالكسر على الاستئناف في أم الكتاب في اللوح المحفوظ
فإنه أصل الكتب السماوية وقرأ حمزة والكسائي إم الكتاب بالكسر لدينا محفوظ
عندنا عن التغيير لعلي رفيع الشأن في الكتب لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة
أو محكم لا ينسخه غيره وهما خبران لأن وفي أم الكتاب متعلق بعلي واللام لا تمنعه أو حال منه ولدينا

بدا بيننا او حال من ام الكتاب أفنضرب عنكم الذكر صفحا أفنذوده ونبعده عنكم مجاز
من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض قال طرفة شعرا اضرب عنك الهموم طارقها ضربك
بالسيف قونس الفرس والفا للعطف على محذوف اي انهملكم فنضرب عنكم الذكر وصفحا
مصدر من غير لفظه فان تنحية الذكر عنهم اعراض او مفعول له او حال بمعنى صافحين واصله
ان تولي الشي صفحة عنقك وقيل انه بمعنى الجانب فيكون ظرفا ويؤيده انه قرئ صفحا
وحينئذ يحتمل ان يكون تخفيف صفح جمع صفوح بمعنى صافحين والمراد انكار ان يكون
الامر على خلاف ما ذكر من انزال الكتاب على لغتهم ليفهموه ان كنتم قوما مسرفين اي لان كنتم
وهو في الحقيقة علة مقتضية لترك الاعراض وقرا نافع وحمزة والكسائي بالكسر على
ان الجملة الشرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك استجهالا لهم وما قبلها دليل الجزاء
وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزءون تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه فاهلكنا اشد منهم بطشا اي من القوم المسرفين لانه
صرف الخطاب عنهم الى رسول الله مخبرا عنهم ومضى مثل الاولين وسلف في القران
قصتهم العجيبة وفيه وعد للرسول ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين ولئن سالتهم
من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم لعله لازم مقولهم او ما دل
عليه اجمالا اقيم مقامه تقريرا لالزام الحجة عليهم فكانهم قالوا الله كما حكى عنهم
في مواضع اخر وهو الذي من صفته ما سرد من الصفات ويجوز ان لا يكون مقولهم
وما بعده استيناف الذي جعل لكم الارض مهادا فتستقرون فيها وقرا غير الكوفيين
مهادا بالالف وجعل لكم فيها سبلا تسلكونها لعلكم تهتدون لكي تهتدوا الى
مقاصدكم او الى حكمة الصانع بالنظر في ذلك والذي نزل من السماء ماء بقدر بمقدار
ينفع ولا يضر فانشرنا به بلدة ميتا مال عنه النما وتذكيره لان البلدة بمعنى البلد
والمكان كذلك مثل ذلك الانشار تخرجون تنشرون من قبوركم وقرا ابن عامر وحمزة
والكسائي تخرجون بفتح التاء وضم الراء والذي خلق الازواج كلها اصناف المخلوقات وجعل
لكم من الفلك والانعام ما تركبون ما تركبونه على تغليب المتعدي بنفسه الى المتعدي بغيره
اذ يقال ركبت الدابة وركبت في السفينة او المخلوق للركوب على المصنوع له او الغالب
على النادر ولذلك قال لتستووا على ظهوره اي ظهور ما تركبون وجمعه للمعنى ثم تذكروا
نعمة ربكم اذا استويتم عليه تذكروها بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها وتقولوا
سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين مطيقين من اقرن الشي اذا اطاقه واصله
وجده قرينته اذ الصعب لا يكون قرينة الضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وعنه صلى الله
عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله
على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله وانا الى ربنا لمنقلبون اي راجعون واتصاله بذلك
لان الركوب للتنقل والنقلة العظمى هو الانقلاب الى الله او لانه مخطر فينبغي للراكب ان لا يغفل عنه

ويستعد

ويستعد للقاء الله وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله ولئن سالتهم اي وقد جعلوا
له بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا فقالوا الملائكة بنات الله ولعله سماه جزءا
كما سمي بعضا لانه بضعة من الوالد دلالة على استحالته على الواحد الحق في ذاته وقرئ
جزءا بضمتين ان الانسان لكفور مبين ظاهر الكفران ومن ذلك نسبة الولد الى
الله لانها من فرط الجهل به والتحقير لشانه ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم
بالبنين معنى الهمزة في ام الانكار والتعجب من شانهم حيث لم يقنعوا بان جعلوا له
جزءا حتى جعلوا له من مخلوقاته جزءا اخس مما اختير لهم وابغض الاشيا اليهم بحيث اذا
بشر احدهم به اشتد غمه به كما قال واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذي
جعل له مثلا اذ الولد لا بد وان يماثل الوالد ظل وجهه مسودا صار وجهه اسود
في الغاية لما يعتريه من الكآبة وهو كظيم مملو قلبه من الكرب وفي ذلك دلالات على فساد
ما قالوه وتعريف البنين لما مر في الذكور وقرئ مسود ومسواد على ان في ظل ضمير
المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا اومن ينشؤ في الحلية اي او جعلوا له او اتخذ
من يتربى في الزينة يعني البنات وهو في الخصام في المجادلة غير مبين مقرر لما
يدعيه من نقصان العقل وضعف الراي ويجوز ان يكون من مبتدا محذوف الخبر اي ومن
هذا حاله ولده وفي الخصام متعلق بمبين واضافة غير اليه لا يمنعه كما عرفت وقرا
حمزة والكسائي وحفص ينشؤ اي يربى وقرئ ينشؤ وينشا بمعناه ونظيره اعلاه
وعلاه بمعنى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا كفر اخر تضمنه
مقالهم شنع به عليهم وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله انقصهم رايا واخسهم
صنفا وقرئ عبيد وقرا الحجازيان وابن عامر ويعقوب عند على تمثيل زلفاهم وقرئ انثا
وهو جمع الجمع اشهدوا خلقهم احضروا خلق الله اياهم فشاهدوهم اناثا فان ذلك
مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم بهم وقرا نافع أأشهدوا بهمزة
الاستفهام وهمزة مضمومة بين بين واشهدوا بمد بينهما ستكتب شهادتهم
التي شهدوا بها على الملائكة ويسالون اي عنها يوم القيمة وهو وعيد وقرئ سيكتب
وسنكتب بالنون والياء وشهاداتهم وهي ان لله جزءا وان له بنات وهن الملائكة
ويسالون من المسائلة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم اي لو شاء عدم عبادة الملائكة
ما عبدناهم فاستدلوا بنفي مشيئة عدم العبادة على امتناع النهي عنها او على
حسنها وذلك باطل لان المشيئة ترجيح بعض الممكنات على بعض مامورا كان
او منهيا حسنا كان او غيره ولذلك جهلهم فقال ما لهم بذلك من علم ان هم
الا يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا ويجوز ان يكون الاشارة الى اصل الدعوى
كانه لما ابدى وجوه فسادها وحكى شبهتهم المزيفة نفى ان يكون لهم مستند من
جهة النقل فقال ام اتيناهم كتابا من قبله من قبل القران او ادعائهم

بعد ما علم ما طريق العقل ثم اضرب عنه بالابطال
ان يكون لهم [illegible] صح

يبطلون بحجة ما قالوه فهم به مستمسكون لذلك الكتاب متمسكون بل قالوا إنا وجدنا آباءنا
على أمة وإنا على آثارهم مهتدون أي لا حجة لهم على ذلك عقلية ولا نقلية وإنما احتجوا فيه
إلى تقليد آبائهم الجهلة والأمة الطريقة التي تؤم كالرحلة للمرحول إليه وقرئت بالكسر وهي الحالة
التي يكون عليها الآم أي القاصد ومنه الدين وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير
إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون تسلية لرسول الله
ودلالة على أن التقليد في نحو ذلك ضلال قديم وأن مقدميهم أيضا لم يكن لهم سند منظور
إليه وتخصيص المترفين إشعار بأن التنعم وحب البطالة صرفهم عن النظر إلى التقليد قل أولو
جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم أي أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى
من دين آبائكم وهو حكاية أمر ماض أوحي إلى النذير أو خطاب لرسول الله ويؤيد الأول أنه
قرأ ابن عامر وحفص قال وقوله قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون أي وإن كان أهدى إقناطا
للنذير من أن ينظروا أو يتفكروا فيه فانتقمنا منهم بالاستئصال فانظر كيف كان عاقبة
المكذبين ولا تكترث بتكذيبهم وإذ قال إبراهيم واذكر وقت قوله هذا ليروا كيف
تبرأ عن التقليد وتمسك بالدليل أو ليقلدوه إن لم يكن لهم بد من التقليد فإنه أشرف آبائهم
لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون بريء من عبادتكم أو معبودكم مصدر نعت به ولذلك
استوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ برآء وبريء ككرام وكريم إلا الذي
فطرني استثناء منقطع أو متصل على أن ما يعم أولي العلم وغيرهم وأنهم كانوا يعبدون
الله والأوثان أو صفة على أن ما موصوفة أي إنني بريء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني
فإنه سيهدين سيثبتني على الهداية أو سيهدين إلى ما وراء ما هداني إليه وجعلها
وجعل إبراهيم عليه السلام أو الله كلمة التوحيد كلمة باقية في عقبه في ذريته
فيكون فيهم أبدا من يوحد الله ويدعو إلى توحيده وقرئ كلمة وفي عقبه على التخفيف
وفي عاقبه أي فيمن عقبه لعلهم يرجعون يرجع من أشرك منهم بدعاء من وحده بل متعت
هؤلاء وآباءهم هؤلاء المعاصرين للرسول من قريش وآباءهم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا
بذلك وانهمكوا في الشهوات وقرئ متعت بالفتح على أنه تعالى اعترض به على ذاته في قوله
وجعلها كلمة باقية مبالغة في تعييرهم حتى جاءهم الحق دعوة التوحيد أو القرآن ورسول
مبين ظاهر الرسالة بما له من المعجزات أو مبين للتوحيد بالحجج والآيات ولما جاءهم الحق
لينبههم عن غفلتهم قالوا هذا سحر وإنا به كافرون زادوا شرارة فضموا إلى
شركهم معاندة الحق والاستخفاف به فسموا القرآن سحرا وكفروا به واستحقروا
الرسول وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين من إحدى القريتين مكة
والطائف عظيم بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي فإن الرسالة
منصب عظيم لا يليق إلا بعظيم ولم يعلموا أنها رتبة روحانية تستدعي عظم النفس بالتحلي بالفضائل
والكمالات القدسية لا التزخرف بالزخارف الدنيوية أهم يقسمون رحمة ربك

انكار

إنكار فيه تجهيل وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم في
الحياة الدنيا وهم عاجزون عن تدبيرها وهي خويصة أمرهم في دنياهم فمن أين لهم أن يدبروا
أمر النبوة التي هي أعلى المراتب الإنسية وإطلاق المعيشة يقتضي أن يكون حلالها وحرامها
من الله ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات وأوقعنا بينهم التفاوت في الرزق وغيره ليتخذ
بعضهم بعضا سخريا ليستعمل بعضهم بعضا في حوائجهم فيحصل بينهم تآلف وتضام
ينتظم بذلك نظام العالم لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر ثم إنه لا اعتراض
لهم علينا في ذلك ولا تصرف فكيف يكون فيما هو أعلى منه ورحمة ربك يعني هذه النبوة
وما يتبعها خير مما يجمعون من حطام الدنيا والعظيم من رزق منها لا منه ولولا أن
يكون الناس أمة واحدة لولا أن يرغبوا في الكفر إذا رأوا الكفار في سعة وتنعم لحبهم
الدنيا فيجتمعوا عليه لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج ومصاعد
جمع معرج وقرئ ومعاريج جمع معراج عليها يظهرون يعلون السطوح لحقارة
الدنيا ولبيوتهم بدل من لمن بدل الاشتمال أو علة كقولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرأ ابن
كثير وأبو عمرو سقفا اكتفاء بجمع البيوت وقرئ سقفا بالتخفيف وسقوفا وسقفا وهو لغة
في سقف ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون أي أبوابا وسررا من فضة وزخرفا وزينة
عطف على سقفا أو ذهبا عطف على محل من فضة وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا إن
هي المخففة واللام هي الفارقة وقرأ حمزة وعاصم وهشام بخلاف عنه لما بالتشديد بمعنى
إلا وإن نافية وقرئ به مع إن وما والآخرة عند ربك للمتقين عن الكفر والمعاصي وفيه
دلالة على أن العظيم هو العظيم في الآخرة لا في الدنيا وإشعار بما لأجله لم يجعل ذلك للمؤمنين
حتى يجتمع الناس على الإيمان وهو أنه تمتع قليل بالإضافة إلى ما لهم في الآخرة مخل به في الأغلب
لما فيه من الآفات قل من يتخلص عنها كما أشار إليه بقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن يتعام
عنه لفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه في الشهوات وقرئ يعش بالفتح أي يعم يقال
عشي إذا كانت في بصره آفة وعشي إذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو على أن
من موصولة نقيض له شيطانا فهو له قرين يوسوسه ويغويه دائما وقرأ يعقوب بالياء على
إسناده إلى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو ينبغي أن يرفعه وإنهم ليصدونهم عن السبيل
عن الطريق الذي من حقه أن يسبل وجمع الضميرين للمعنى إذ المراد جنس العاشي والشيطان
المقيض له ويحسبون أنهم مهتدون الضمائر الثلاثة الأول له والباقيان للشيطان حتى إذا
جاءنا أي العاشي وقرأ الحجازيان وابن عامر وأبو بكر جاءانا أي العاشي والشيطان قال أي العاشي
للشيطان يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين بعد المشرق من المغرب ونحوه فأضيف البعد
إليهما فبئس القرين أنت ولن ينفعكم اليوم أي ما أنتم عليه من التمني إذ ظلمتم إذ صح أنكم
ظلمتم أنفسكم في الدنيا بدل من اليوم أنكم في العذاب مشتركون لأن حقكم أن تشتركوا
أنتم وشياطينكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه ويجوز أن يسند الفعل إليه بمعنى

ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين في امر صعب معاونتهم في تحمل اعبايه
وتقسيمهم بمكابدة عنايه اذ لكل منكم لا تسعه طاقته وقرئ انكم بالكسر وهو يقوي الاول
افانت تسمع الصم او تهدي العمي انكار تعجب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم
بعد تمرنهم على الكفر واستغراقهم في الضلال بحيث صار عشاوهم مقرونا بالصمم كان
رسول الله يتعب نفسه في دعا قومه وهم لا يزيدون الا غيا فنزلت ومن كان في ضلال
مبين عطف على العمي باعتبار تغاير الوصفين وفيه اشعار بان الموجب لذلك تمكنهم في ضلال
لا يخفى فاما نذهبن بك اي فان قبضناك قبل ان نبصرك عذابهم وما مزيدة مؤكدة بمنزلة
لام القسم في استجلاب النون المؤكدة فانا منهم منتقمون بعدك في الدنيا والاخرة او نرينك
الذي وعدناهم او ان اردنا ان نريك ما وعدناهم من العذاب وقرا يعقوب برواية رويس
او نرينك باسكان النون وكذا نذهبن فانا عليهم مقتدرون لا يفوتوننا فاستمسك بالذي
اوحي اليك من الايات والشرايع وقرئ اوحي على البنا للفاعل وهو الله تعالى انك على صراط
مستقيم لا عوج له وانه لذكر لك لشرف لك ولقومك وسوف تسئلون اي عنه يوم القيمة
وعن قيامكم بحقه واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اي واسئل اممهم وعلما دينهم
اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت في ملة
من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الانبيا على التوحيد والدلالة على انه ليس ببدع
ابتدعه فيكذب ويعادى له فانه كان اقوى ما حملهم على التكذيب والمخالفة ولقد
ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملايه فقال اني رسول رب العالمين يريد باقتصاصه
تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ومناقضة قولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين
عظيم والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام الى التوحيد فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون
فاجاوا وقت ضحكهم منها اي استهزوا بها اول ما راوها ولم يتاملوا فيها وما نريهم من
اية الا هي اكبر من اختها الا وهي بالغة اقصى درجات الاعجاز بحيث يحسب الناظر فيها
انها اكبر مما يقاس اليها من الايات والمراد وصف الكل بالكبر كقولك رايت رجالا بعضهم
افضل من بعض وكقوله من يلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري
او الا وهي مختصة بنوع من الاعجاز مفضلة على غيرها بذلك الاعتبار واخذناهم بالعذاب
كالسنين والطوفان والجراد لعلهم يرجعون على وجه يرجى رجوعهم وقالوا يا ايه الساحر
نادوه بذلك في تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم او لانهم يسمون العالم الباهر
ساحرا وقرا ابن عامر بضم الها ادع لنا ربك اي تدعو لنا فيكشف عنا العذاب بما عهد عندك
بعهده عندك من النبوة او من ان يستجيب دعوتك او ان يكشف العذاب عمن اهتدى
او بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة اننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم
العذاب اذا هم ينكثون فاجاوا نكث عهدهم بالاهتدا ونادى فرعون بنفسه
او بمناديه في قومه في مجمعهم وفيما بينهم بعد كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمن بعضهم

قال

قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون
ونهر دمياط ونهر تنيس تجري من تحتي تحت قصري او امري او بين يدي في جناني والواو اما
عاطفة لهذه الانهار على الملك وتجري حال منها او واو حال وهذه مبتدا والانهار صفتها
وتجري خبرها افلا تبصرون ذلك ام انا خير مع هذه المملكة والبسطة من هذا الذي هو مهين
ضعيف حقير لا يستعد للرياسة من المهانة وهي القلة ولا يكاد يبين الكلام لما به من الرتة
فكيف يصلح للرياسة وام اما منقطعة والهمزة فيها للتقرير اذ قدم من اسباب فضله او متصلة
على اقامة المسبب مقام السبب والمعنى افلا تبصرون ام تبصرون فتعلمون اني خير منه فلولا
القي عليه اسورة من ذهب اي فهلا القي اليه مقاليد الملك ان كان صادقا اذ كانوا اذا
سودوا رجلا سوروه وطوقوه بطوق من ذهب واسورة جمع اسوار بمعنى السوار على
تعويض التاء من ياء اساوير وقد قرئ به وقرا يعقوب وحفص اسورة وهي جمع سوار وقرئ
اساور جمع اسورة والقي عليه اسورة واساور على البنا للفاعل وهو الله تعالى او جاء معه
الملايكة مقترنين مقرونين يعينونه او يصدقونه من قرنته فاقترن او متقارنين من
اقترن بمعنى تقارن فاستخف قومه فطلب منهم الخفة في مطاوعته او فاستخف احلامهم
فاطاعوه فيما امرهم به انهم كانوا قوما فاسقين فلذلك اطاعوا ذلك الفاسق فلما
اسفونا اغضبونا بالافراط في العناد والعصيان منقول من اسف اذا اشتد غضبه انتقمنا
منهم فاغرقناهم اجمعين في اليم فجعلناهم سلفا قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدون
بهم في استحقاق مثل عقابهم مصدر نعت به او جمع سالف كخدم وخادم وقرا حمزة والكسائي
بضم السين واللام جمع سليف كرغف او سالف كصبر او سلف كخشب وقرئ سلفا
بابدال ضمة اللام فتحة او على انه جمع سلفة اي ثلة سلفت ومثلا للاخرين اي عظة
لهم او قصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون ولما ضرب ابن
مريم مثلا اي ضربه ابن الزبعرى لما جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم او غيره بان قال النصارى اهل كتاب وهم
يعبدون عيسى ويزعمون انه ابن الله والملايكة اولى بذلك وعلى قوله واسئل من ارسلنا من قبلك
من رسلنا او ان محمدا يريد ان نعبده كما عبد المسيح اذا قومك منه يصدون
يضجون فرحا لظنهم ان الرسول صلى الله عليه وسلم صار ملزما به وقرا نافع وابن
عامر والكسائي بالضم من الصدود اي يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل هما لغتان
نحو يعكف ويعكف وقالوا االهتنا خير ام هو اي الهتنا خير عندك ام عيسى فان كان في النار
فلتكن الهتنا معه او الهتنا الملايكة خير ام عيسى فاذا جاز ان يعبد ويكون ابن الله كانت
الهتنا اولى بذلك او الهتنا خير ام محمد صلى الله عليه وسلم فنعبده وندع الهتنا ما ضربوه لك
الا جدلا ما ضربوا هذا المثل الا لاجل الجدل والخصومة لا لتمييز الحق من الباطل بل هم قوم
خصمون شداد الخصومة حراص على اللجاج ان هو الا عبد انعمنا عليه بالنبوة وجعلناه

مثلا لبني اسرائيل امرا عجيبا كالمثل السائر لبني اسرائيل وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة ولو
نشاء لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال كما ولدنا عيسى من غير اب او لجعلنا بدلكم ملائكة في الارض
يخلفون يخلفونكم في الارض والمعنى ان حال عيسى وان كانت عجيبة فالله تعالى قادر
على ما هو اعجب من ذلك وان الملائكة مثلكم من حيث انها ذوات ممكنة يحتمل خلقها توليدا
كما جاز خلقها ابداعا فمن اين لهم استحقاق الالوهية والانتساب الى الله سبحانه وتعالى
وانه وان عيسى لعلم للساعة لان حدوثه او نزوله من اشراط الساعة يعلم به دنوها
او لان احياء الموتى يدل على قدرة الله عليه وقرئ لعلم اي علامة ولذكر على تسمية
ما يذكر به ذكرا وفي الحديث ينزل عيسى على ثنية في الارض المقدسة يقال لها افيق وبيده
حربة بها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح فيتاخر الامام
فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر
الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به وقيل الضمير للقرآن فان
فيه الاعلام بالساعة والدلالة عليها فلا تمترن بها فلا تشكن فيها واتبعون واتبعوا
هداي وشرعي او رسولي وقيل قول الرسول عليه السلام امر ان يقوله هذا الذي ادعوكم
اليه صراط مستقيم لا يضل سالكه ولا يصدنكم الشيطان عن المتابعة انه لكم عدو
مبين ثابت عداوته بان اخرجكم من الجنة وعرضكم للبلية ولما جاء عيسى بالبينات
بالمعجزات او بآيات الانجيل او بالشرائع الواضحات قال قد جئتكم بالحكمة بالانجيل او الشريعة
ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه وهو ما يكون من امر الدين لا ما يتعلق بامر الدنيا
فان الانبياء لم تبعث لبيانه ولذلك قال عليه السلام انتم اعلم بامور دنياكم فاتقوا الله
واطيعون فيما ابلغه عنه ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه بيان لما امرهم بالطاعة
فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع هذا صراط مستقيم الاشارة الى مجموع الامرين
وهو تتمة كلام عيسى او استئناف من الله يدل على ما هو المقتضي للطاعة في ذلك فاختلف الاحزاب
الفرق المتحزبة من بينهم من بين النصارى او اليهود والنصارى من قومه المبعوث
اليهم فويل للذين ظلموا من المتحزبين من عذاب يوم اليم هو يوم القيامة هل ينظرون
الا الساعة الضمير لقريش او للذين ظلموا ان تأتيهم بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون
الا اتيان الساعة بغتة فجاة وهم لا يشعرون غافلون عنها لاشتغالهم بامور الدنيا
وانكارهم لها الاخلاء الاحباء يومئذ بعضهم لبعض عدو اي يتعادون يومئذ لانقطاع
العلائق لظهور ما كانوا يتخالون له سببا للعذاب الا المتقين فان خلتهم لما كانت في الله
تبقى نافعة ابد الآباد يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حكاية لما
ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ الذين آمنوا بآياتنا صفة للمنادى وكانوا
مسلمين حال من الواو اي الذين آمنوا مخلصين غير ان هذه العبارة اكد ادخلوا الجنة انتم
وازواجكم نساؤكم المؤمنات تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره على وجوهكم

او تزينون

او تزينون من الحبر وهو حسن الهيئة او تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما
وصف بجميل يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب الصحاف جمع صحفة والاكواب
جمع كوب وهو كوز لا عروة له وفيها وفي الجنة ما تشتهي الانفس وقرا نافع وابن عامر
وحفص ما تشتهيه على الاصل وتلذ الاعين بمشاهدته وذلك تعميم بعد تخصيص ما
يعد من الزوائد في التنعم والتلذذ وانتم فيها خالدون فان كل نعيم زائل موجب
لكلفة الحفظ وخوف الزوال ومستعقب للتحسر في ثاني الحال وتلك الجنة التي اورثتموها
وقرئ ورثتموها شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه عليه العامل وتلك اشارة
الى الجنة المذكورة ووقعت مبتدأ والجنة خبرها والتي اورثتموها صفتها او الجنة صفة
تلك والتي خبرها او صفتها والخبر بما كنتم تعملون وعليه متعلق الباء محذوف لا باورثتموها
لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون بعضها تأكلون لكثرتها ودوام نوعها ولعل
تفصيل التنعم بالمطاعم والملابس وتكريره في القرآن وهو حقير بالاضافة الى سائر نعيم
الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة ان المجرمين الكاملين في الاجرام وهم الكفار لانه
جعل قسيم المؤمنين بالآيات وحكي عنهم ما يخص الكفار في عذاب جهنم خالدون
خبران او خالدون خبر والظرف متعلق به لا يفتر عنهم لا يخفف عنهم من فترت
عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف وهم فيه في العذاب مبلسون آيسون من النجاة
وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين مر مثله غير مرة وهم فصل ونادوا يا مالك وقرئ
يا مال على الترخيم مكسورا او مضموما ولعله اشعار بانهم لضعفهم لا يستطيعون تأدية
اللفظ بالتمام ولذلك اختصروا فقالوا ليقض علينا ربك والمعنى سل ربنا ان يقضي علينا
من قضى عليه اذا اماته وهو لا ينافي ابلاسهم فانه جؤار وتمني للموت من فرط الشدة قال
انكم ماكثون لا خلاص لكم بموت ولا غيره لقد جئناكم بالحق بالارسال والانزال وهو
تتمة الجواب ان كان في قال ضمير الله والا فجواب منه ولعله تعالى تولى جوابهم بعد جواب
مالك ولكن اكثركم للحق كارهون لما في اتباعه من اتعاب النفس وادابة الجوارح ام
ابرموا امرا في تكذيب الحق ورده ولم يقتصروا على كراهته فانا مبرمون امرا في مجازاتهم
والعدول عن الخطاب للاشعار بان ذلك اسوأ من كراهتهم او احكم المشركون امرا من كيدهم
بالرسول عليه السلام فانا مبرمون كيدنا بهم ويؤيده قوله ام يحسبون انا لا نسمع سرهم
حديث نفسهم بذلك ونجواهم وتناجيهم بلى نسمعهما ورسلنا والحفظة مع ذلك لديهم
ملازمون لهم يكتبون ذلك قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين منكم فان النبي اعلم
بالله وبما يصح له وما لا يصح واولى بما يوجب تعظيمه ومن تعظيم الوالد تعظيم ولده ولا يلزم من
ذلك صحة كينونة الولد وعبادته له اذ المحال قد يستلزم المحال بل المراد نفيهما على ابلغ الوجوه
كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا غير ان لو ثم مشعرة بانتفاء الطرفين وان
ههنا لا يشعر به ولا بنقيضه فانها لمجرد الشرطية بل الانتفاء معلوم لانتفاء اللازم الدال

علي انتفا ملزومه والدلالة علي ان انكاره للولد ليس لعناد ومرا بل لو كان لكان اولى الناس
بالاعتراف به وقيل معناه ان كان لله ولد في زعمكم فانا اول العابدين لله الموحدين له
او الانفين منه او من ان كان ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه او ما كان له ولد
فانا اول الموحدين من اهل مكة وقرا حمزة والكسائي ولد بالضم سبحان رب السموات والارض
رب العرش عما يصفون عن كونه ذا ولد فان هذه الاجسام لكونها اصولا ذات استمرار
تبرات عما يتصف به ساير الاجسام من توليد المثل فما ظنك بمبدعها وخالقها فذرهم
يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وهو القيمة
وهو دلالة على ان قولهم هذا جهل واتباع هوي فانهم مطبوع على قلوبهم معذبون في
الاخرة وهو الذي في السما اله وفي الارض اله مستحق لان يعبد فيهما والظرف متعلق به
لانه بمعنى المعبود او متضمن معناه كقولك هو حاتم في البلد كذا فيمن قرا الله الراجع
مبتدا محذوف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا يجوز جعله خبرا له لانه لا يبقى
عايد لكن لو جعل صلة وقدر لانه مبتدا محذوف يكون جملة مبينة للصلة دالة على
ان كونه في السما بمعنى الالوهية دون الاستقرار وفيه نفي الالهية السماوية والارضية
واختصاصه باستحقاق الالهية وهو الحكيم العليم كالدليل عليه وتبارك الذي له
ملك السموات والارض وما بينهما كالهوا وعنده علم الساعة العلم بالتي تقوم القيمة فيها
واليه ترجعون للجزا وقرا نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم وروح باليا على الالتفات
للتهديد ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة كما زعموا انهم شفعاوهم عند الله
الا من شهد بالحق وهم يعلمون بالتوحيد والاستثنا متصل ان اريد بالموصول كل ما عبد
من دون الله لاندراج الملايكة والمسيح فيه ومنفصل ان خص بالاصنام ولين سالتهم
من خلقهم سالت العابدين او المعبودين ليقولن الله لتعذر المكابرة من فرط ظهوره فاني
يوفكون يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره وقيله وقول الرسول صلى الله عليه وسلم ونصبه
للعطف على سرهم او على محل الساعة او لاضمار فعله اي وقال قيله وجره عاصم وحمزة
عطفا على الساعة وقرى بالرفع على انه مبتدا خبره يا رب ان هولا قوم لا يومنون او معطوف
على علم الساعة بتقدير مضاف وقيل هو قسم منصوب بحذف الجار او مجرور باضماره او مرفوع
بتقدير وقيله يا رب قسمي وان هولا جوابه فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم ايسا عن
ايمانهم وقل سلام تسلم منهم ومتاركة فسوف يعلمون تسليه للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد
لهم وقرا نافع وابن عامر باليا على انه من المامور عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الزخرف
كان ممن يقال له يوم القيامة يا عبادي لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون والله سبحانه وتعالى اعلم

سوره دخان

الا قوله انا كاشفوا العذاب الاية وهي سبع او تسع وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين القران والواو للعطف ان كان حم مقسما بها

والا فللقسم

والا فللقسم والجواب قوله انا انزلناه في ليلة مباركة في ليلة القدر او البراة ابتدي فيها
انزاله او انزل فيها جملة الى سما الدنيا من اللوح المحفوظ ثم انزل على الرسول صلى الله عليه وسلم
نجوما وبركتها لذلك فان نزول القران سبب المنافع الدينية والدنيوية او لما فيها
من نزول الملايكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية انا كنا منذرين
استيناف يبين المقتضي للانزال وكذلك قوله فيها يفرق كل امر حكيم فان كونها مفرق
الامور المحكمة او الملتبسة بالحكمة يستدعي ان ينزل فيها القران الذي هو من عظايمها
ويجوز ان يكون صفة ليلة مباركة وما بينهما اعتراض وهو يدل على ان الليلة ليلة القدر
لان صفتها لقوله تنزل الملايكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقري يفرق
بالتشديد كل اي يفرقه الله ونفرق بالنون امرا من عندنا اي اعني بهذا الامر
امرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وفيه مزيد تفخيم للامر ويجوز ان يكون حالا
من كل او امرا وضميره المستكن في حكيم لانه موصوف وان يراد به مقابل النهي وقع مصدرا
ليفرق او لفعله مضمرا من حيث ان الفرق به او حالا من احدي ضميري انزلناه
بمعنى آمرين او مامورا انا كنا مرسلين رحمة من ربك بدل من انا كنا منذرين
اي انا انزلناه القران لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل الرحمة
عليهم ووضع الرب موضع الضمير للاشعار بان الربوبية اقتضت ذلك فانه اعظم
التربية او علة ليفرق او امرا ورحمة مفعول به اي يفصل فيها كل امر من نعمة الارزاق
وغيرها وصدور الاوامر الالهية من باب الرحمة وقري رحمة على تلك رحمة انه هو
السميع العليم يسمع اقوال العباد ويعلم احوالهم وهو بما بعده تحقيق لربوبيته وانها
لا تحق الا لمن هذه صفاته رب السموات والارض وما بينهما خبر اخر او استيناف
وقرا الكوفيون بالجر بدلا من ربك ان كنتم موقنين اي ان كنتم من اهل الايقان في العلوم
في اقراركم اذا سيلتم من خلقها فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا او ان كنتم مريدين
اليقين فاعلموا ذلك لا اله الا هو اذ لا خالق سواه يحيي ويميت كما تشاهدون ربكم
ورب ابايكم الاولين وقرئا بالجر بدلا من رب بل هم في شك يلعبون رد لكونهم
موقنين فارتقب فانتظر لهم يوم تاتي السما بدخان مبين يوم شدة ومجاعة فان
الجايع يري بينه وبين السما كهيية الدخان من ضعف بصره او لان الهوا يظلم عام القحط
لقلة الامطار وكثرة الغبار او لان العرب تسمي الشر الغالب دخانا وقد قحطوا حتى
اكلوا جيف الكلاب وعظامها واسناد الاتيان الى السما لان ذلك يكفه عن الامطار
او يوم ظهور الدخان المعدود في اشراط الساعة لما روي انه عليه السلام لما قال اول
الايات الدخان ونزول عيسى ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر
قيل وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الاية وقال يملا ما بين المشرق والمغرب
يمكث اربعين يوما وليلة اما المومن فيصيبه كهيية الزكام واما الكافر فهو كالسكران

يخرج من منخره واذنيه ودبره او يوم القيامة والدخان يحتمل المعنيين يغشى الناس يحيط بهم
صفة للدخان وقوله هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون مقدر
بقول وقع حالا وانا مؤمنون وعد بالايمان ان كشف العذاب عنهم انى لهم الذكرى من اين لهم
وكيف يتذكرون بهذه الحالة وقد جاءهم رسول مبين بين لهم ما هو اعظم منها في ايجاب
الادكار من الايات والمعجزات ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون قال بعضهم يعلمه غلام
اعجمي لبعض ثقيف وقال اخرون انه مجنون انا كاشفوا العذاب بدعاء النبي عليه السلام
فانه دعا ورفع القحط قليلا كشفا قليلا او زمانا قليلا وهو ما بقي من اعمارهم انكم عائدون
الى الكفر عقيب الكشف ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان غوث الكفار
بالدعاء فيكشفه الله عنهم بعد اربعين فريثما يكشفه عنهم يرتدون ومن فسره بما هو
في القيمة اوله بالشرط والتقدير يوم نبطش البطشة الكبرى يوم القيمة او يوم بدر
ظرف لفعل دل عليه انا منتقمون لا منتقمون فان ان تحجزه عنه او بدل من يوم تاتي وقرئ
نبطش اي نحمل البطشة الكبرى باطشة بهم او نحمل الملائكة على بطشهم وهو التناول
بصولة ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون امتحناهم بارسال موسى اليهم او فتناهم
بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للتاكيد او لكثرة القوم وجاءهم رسول
كريم على الله او على المؤمنين او في نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه ان ادوا الي عباد
الله بان ادوهم الي وارسلوهم معي او بان ادوا الي حق الله من الايمان وقبول الدعوة يا عباد
الله ويجوز ان تكون ان مخففة ومفسرة لان مجي الرسول يكون برسالة ودعوة اني لكم
رسول امين غير متهم لدلالة المعجزات على صدقه او لائتمان الله اياه على وحيه وهو
علة الامر وان لا تعلوا على الله ولا تتكبروا عليه بالاستهانة بوحيه ورسوله
وان كالاولى في وجوهها اني اتيكم بسلطان مبين علة النهي ولذكر الامين مع الاداء
والسلطان مع العلاء شان لا يخفى واني عذت بربي وربكم التجات اليه
وتوكلت عليه ان ترجمون ان تؤذوني ضربا او شتما او ان تقتلوني وقرئ عت
بالادغام فيه وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون فكونوا بمعزل مني لا علي ولا لي ولا تتعرضوا
الي بسوء فانه ليس جزاء من دعاكم الي ما فيه فلاحكم فدعا ربه بعد ما كذبوه ان هؤلاء
بان هؤلاء قوم مجرمون وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه ولذلك سماه دعاء
وقرئ بالكسر على اضمار القول فاسر بعبادي ليلا اي فقال اسر او قال ان كان الامر
كذلك فاسر وقرا ابو عمرو بوصل الهمزة من سرى انكم متبعون يتبعكم فرعون
وجنوده اذا علموا بخروجكم واترك البحر رهوا مفتوحا ذا فجوة واسعة او ساكنا
على هيئته بعد ما جاوزته ولا تضربه بعصاك ولا تغير منه شيئا ليدخله القبط
انهم جند مغرقون وقرئ بالفتح بمعنى لانهم كم تركوا كثيرا تركوا من جنات وعيون
وزروع ومقام كريم محافل مزينة ومنازل حسنة ونعمة تنعم كانوا فيها

فاكهين

فاكهين متنعمين وقرئ فكهين كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها او الامر كذلك واورثناها
عطف على الفعل المقدر او على تركوا قوما اخرين ليسوا منهم في شي وهم بنو اسرائيل
وقيل غيرهم لانهم لم يعودوا الى مصر فما بكت عليهم السماء والارض مجاز عن عدم
الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم كقولهم بكت عليهم السماء وكسفت
لمهلكهم الشمس في نقيض ذلك ومنه ما روي في الاخبار ان المؤمن ليبكي عليه مصلاه
ومحل عبادته ومصعد عمله ومهبط رزقه وقيل تقديره فما بكت عليهم اهل السماء والارض
وما كانوا منظرين ممهلين الى وقت اخر ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من
استعباد فرعون وقتله ابناءهم من فرعون بدل من العذاب على حذف المضاف او جعله
عذابا لافراطه في التعذيب او حال من المهين بمعنى واقعا من جهته وقرئ من فرعون
تنكيرا له لنكر ما كان عليه من الشيطنة انه كان عاليا متكبرا من المسرفين في العتو
والشرارة وهو خبر ثان اي متكبرا مسرفا او حال من الضمير في عاليا اي كان رفيع الطبقة
من بينهم ولقد اخترناهم اخترنا بني اسرائيل على علم عالمين بانهم احقاء بذلك او مع
علم منا بانهم يزيغون في بعض الاحوال على العالمين لكثرة الانبياء فيهم او على عالمي زمانهم
واتيناهم من الايات كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ما فيه بلاء
مبين نعمة جليلة او اختبار ظاهر ان هؤلاء يعني كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون
وقومه مسوقة للدلالة على انهم مثلهم في الاصرار على الضلالة والانذار عن مثل
ما حل بهم ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة
الاولى المزيلة للحياة الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات ثانية كما في قولك حج زيد
الحجة الاولى ومات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها حياة كما تقدمتكم
موتة كذلك قالوا ان هي الا موتتنا الاولى اي الموتة التي من شانها ذلك الا الموتة
الاولى وما نحن بمنشرين بمبعوثين فاتوا باباءنا خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول
عليه السلام والمؤمنين ان كنتم صادقين في وعدكم ليدل عليه اهم خير في القوة
والمنعة ام قوم تبع تبع الحميري الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل
وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم دونه وعنه عليه السلام ما ادري اكان
تبع نبيا او غير نبي وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال
لانهم يتقيلون والذين من قبلهم كعاد وثمود اهلكناهم استئناف بمال قوم تبع
والذين من قبلهم هدد به كفار قريش او حال باضمار قد او خبر من الموصول ان استونف
به انهم كانوا مجرمين بيان للجامع المقتضي للاهلاك وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما وما بين الجنسين وقرئ وما بينهن لاعبين لاهين وهو دليل على صحة الحشر
كما مر في الانبياء وغيرها ما خلقناهما الا بالحق الا بسبب الحق الذي اقتضاه
الدليل من الايمان والطاعة او البعث والجزاء ولكن اكثرهم لا يعلمون لقلة نظرهم

إن يوم الفصل فصل الحق عن الباطل والمحق عن المبطل بالجزاء او فصل الرجل عن اقاربه واحبابه ميقاتهم وقت موعدهم اجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه الاسم اي ان ميعاد جزائهم في يوم الفصل يوم لا يغني بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه الفصل لا لانه للفصل مولى من قرابة او غيرها عن مولى اي مولى كان شيئا شيئا من الاغناء ولا هم ينصرون الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام الا من رحم الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه ومحله الرفع على البدل من الواو او النصب على الاستثناء انه هو العزيز لا ينصر منه من اراد تعذيبه الرحيم لمن اراد ان يرحمه ان شجرت الزقوم وقرئ بكسر الشين ومعنى الزقوم سبق في الصافات طعام الاثيم الكثير الاثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه كالمهل وهو ما يمهل في النار حتى يذوب وقيل دردي الزيت يغلي في البطون وقرا ابن كثير وحفص ورويس بالياء على ان الضمير للطعام او الزقوم لا المهل اذ الاظهر ان الجملة حال من احدهما كغلي الحميم غليا مثل غلي الحميم خذوه على ارادة القول والمقول له الزبانية فاعتلوه فجروه والعتل الاخذ بمجامع الشيء وجره بقهر وقرا الحجازيان وابن عامر ويعقوب بالضم وهما لغتان الى سواء الجحيم وسطه ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم كان اصله يصب من فوق رؤوسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤوسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع ذق انك انت العزيز الكريم اي وقولوا له ذلك استهزاء وتقريعا على ما كان يزعمه وقرا الكسائي انك بالفتح اي ذق لانك او عذاب انك ان هذا العذاب ما كنتم به تمترون تشكون وتمارون فيه ان المتقين في مقام في موضع اقامة وقرا نافع وابن عامر بضم الميم امين يامن صاحبه من الآفة والانتقال في جنات وعيون بدل من مقام جيء به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من الماكل والمشارب يلبسون من سندس واستبرق خبر ثان او حال من الضمير في الجار او استئناف والسندس ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب او مشتق من البراقة متقابلين في مجالسهم ليستانس بعضهم ببعض كذلك الامر كذلك او اثبناهم مثل ذلك وزوجناهم بحور عين قرناهم بهن ولذلك عدي بالباء والحوراء البيضاء والعيناء عظيمة العينين واختلف في انهن نساء الدنيا او غيرها يدعون فيها بكل فاكهة يطلبون ويامرون باحضار ما يشتهون من الفواكه لا يتخصص شيء منها بمكان ولا زمان امنين من الضرر لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى بل يحيون فيها دائما والاستثناء منقطع او متصل والضمير للاخرة والموت اول احوالها او الجنة والمؤمن يشارفها بالموت ويشاهدها عنده فكانه فيها او الاستثناء للمبالغة في تعميم النفي وامتناع الموت فكانه قال لا يذوقون فيها الموت الا اذا امكن

ذوق الموتة الاولى في المستقبل ووقاهم عذاب الجحيم وقرئ ووقاهم على المبالغة فضلا من ربك اي اعطوا كل ذلك عطاء وتفضلا منه وقرئ بالرفع اي ذلك فضل ذلك هو الفوز العظيم لانه خلاص عن المكاره وفوز بالمطالب فانما يسرناه بلسانك سهلناه حيث انزلناه بلغتك وهو فذلكة للسورة لعلهم يتذكرون لعلهم يفهمونه فيتذكرون به ولما لم يتذكروا فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون منتظرون ما يحل بك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة حم الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا له

سورة جاثية

وهي سبع او ست وثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب ان جعلت حم مبتدا خبره تنزيل الكتاب احتجت الى اضمار مثل تنزيل حم وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل مبتدا خبره من الله العزيز الحكيم وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفة وجواب القسم ان في السموات والارض لايات للمؤمنين وهو يحتمل ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان في خلق السموات لقوله وفي خلقكم وما يبث من دابة ولا يحسن عطف ما على الضمير المجرور بل عطفه على المضاف اليه باحد الاحتمالين فان بثه وتنوعه واستجماعه لما يتم به معاشه الى غير ذلك دلائل على وجود الصانع المختار ايات لقوم يوقنون محمول على محل ان واسمها وقرا حمزة والكسائي ويعقوب بالنصب حملا على الاسم واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق من مطر وسماه رزقا لانه سببه فاحيا به الارض بعد موتها يبسها وتصريف الرياح باختلاف جهاتها واحوالها وقرا حمزة والكسائي وتصريف الريح ايات لقوم يعقلون فيه القراءتان ويلزمهما العطف على عاملين في والابتداء او ان الا ان يضمر او ينصب ايات على الاختصاص او يرفع باضمار هي ولعل اختلاف الفواصل الثلث لاختلاف الايات في الدقة والظهور تلك ايات الله اي تلك الايات دلائله نتلوها عليك حال عاملها معنى الاشارة بالحق ملتبسين او ملتبسة به فباي حديث بعد الله واياته يؤمنون اي بعد ايات الله وتقديم اسم الله للمبالغة والتعظيم كما في قولك اعجبني زيد وكرمه او بعد حديث الله وهو القران لقوله نزل احسن الحديث واياته دلائله المتلوة او القران والعطف لتغاير الوصفين وقرا الحجازيان وحفص وابو عمرو وروح يؤمنون بالياء ليوافق ما قبله ويل لكل افاك كذاب اثيم كثير الاثام يسمع ايات الله تتلى عليه ثم يصر يقيم على كفره مستكبرا عن الايمان بالايات وثم لاستبعاد الاصرار بعد سماع الايات كقوله يرى غمرات الموت ثم يزورها كان لم يسمعها كانه مخففة وحذف ضمير الشان والجملة في موقع الحال اي يصر مثل غير السامع فبشره بعذاب اليم على اصراره والبشارة على الاصل او التهكم واذا علم من اياتنا شيئا واذا بلغه شيء من اياتنا وعلم انه منها

اتخذها هزوا لذلك من غير ان يرى فيها ما يناسب الهزوء والضمير لآياتنا وفائدته الاشعار بانه اذا سمع كلاما وعلم انه من الآيات بادر الى الاستهزاء بالآيات كلها ولم يقتصر على ما سمعه او لشيء لانه بمعنى الآية اولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم من قدامهم لانهم متوجهون اليها او من خلفهم لانه بعد آجالهم ولا يغني عنهم ولا يدفع ما كسبوا من الاموال والاولاد شيئا من عذاب الله ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء اي الاصنام ولهم عذاب عظيم لا يتحملونه هذا هدى الاشارة الى القرآن ويدل عليه قوله والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز اليم وقرا ابن كثير ويعقوب وحفص برفع اليم والرجز اشد العذاب الله الذي سخر لكم البحر بان جعله املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص فيه لتجري الفلك فيه بامره بتسخيره وانتم راكبوها ولتبتغوا من فضله بالتجارة والغوص والصيد وغيرها ولعلكم تشكرون هذه النعمة وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه بان خلقها نافعة لكم حال من ما اي سخر هذه الاشيا كائنة منه او خبر لمحذوف اي هي جميعا منه على المفعول له وعلى انه فاعل سخر على الاسناد المجازي او خبر محذوف ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون في صنائعه قل للذين آمنوا يغفروا حذف المقول لدلالة الجواب عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا اي يعفوا ويصفحوا للذين لا يرجون ايام الله لا يتوقعون وقائعه باعدائه من قولهم ايام العرب لوقائعهم او لا يأملون الاوقات التي وقتها الله لنصر المؤمنين وثوابهم ووعدهم بها والآية نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه غفاري فهم ان يبطش به وقيل انها منسوخة بآية القتال ليجزي قوما بما كانوا يكسبون علة للامر والقوم هم المؤمنون او الكافرون او كلاهما فيكون التنكير للتعظيم او التحقير او الشيوع والكسب المغفرة او الاساءة او ما يعمهما وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي لنجزي بالنون وقرئ ليجزى قوم وليجزى قوما اي ليجزى الخير او الشر او الجزاء اعني ما يجزى به لا المصدر فان الاسناد اليه سيما مع المفعول به ضعيف من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها اذ لها ثواب العمل وعليها عقابه ثم الى ربكم ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب التوراة والحكم والحكمة النظرية والعملية او فصل الخصومات والنبوة اذ كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر في غيرهم ورزقناهم من الطيبات مما احل الله من اللذائذ وفضلناهم على العالمين حيث آتيناهم ما لم نؤت غيرهم وآتيناهم بينات من الامر ادلة في امر الدين ويندرج فيها المعجزات وقيل آيات من امر النبي عليه السلام مبينة لصدقه فما اختلفوا في ذلك الامر الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقة الحال بغيا بينهم عداوة وحسدا ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بالمؤاخذة والمجازاة ثم جعلناك على شريعة طريقة من الامر من امر الدين فاتبعها فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون آراء الجهال التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش قالوا له ارجع الى دين آبائك انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا مما اراد بك وان الظالمين بعضهم

اوليا

أولياء بعض اذ الجنسية علة الانضمام فلا توالهم باتباع اهوائهم والله ولي المتقين فواله بالتقى واتباع الشريعة هذا اي القرآن او اتباع الشريعة بصائر للناس بينات تبصرهم وجوه الفلاح وهدى من الضلالة ورحمة ونعمة من الله لقوم يوقنون يطلبون اليقين ام حسب الذين اجترحوا السيئات منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه الجارحة ان نجعلهم ان نصيرهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات مثلهم وهو ثاني مفعولي نجعل وقوله سواء محياهم ومماتهم بدل منه ان كان الضمير للموصول الاول لان المماثلة فيه اذ المعنى انكار ان يكون محياهم ومماتهم سيان في البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص سواء بالنصب على البدل او الحال من الضمير في الكاف والمفعولية والكاف حال وان كان للثاني فحال منه او استئناف يبين المقتضي للانكار وان كان لهما فبدل او حال من الثاني وضمير الاول والمعنى انكار ان يستووا بعد الممات في الكرامة او ترك المؤاخذة كما استووا في الرزق والصحة في الحياة او استئناف مقرر لتساوي محيا كل صنف ومماته في الهدى والضلال وقرئ مماتهم بالنصب على ان محياهم ومماتهم ظرفان كمقدم الحاج ساء ما يحكمون ساء حكمهم هذا او بئس شيئا حكموا به ذلك وخلق الله السموات والارض بالحق كانه دليل على الحكم السابق من حيث ان خلق ذلك بالحق المقتضي للعدل يستدعي انتصار المظلوم من الظالم والتفاوت بين المسيء والمحسن واذا لم يكن في المحيا كان بعد الممات ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف على بالحق لانه في معنى العلة او على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته او ليعدل وليجزى وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف عقاب وتسمية ذلك ظلما ولو فعله الله لم يكن ظلما منه لانه لو فعله غيره لكان ظلما كالابتلاء والاختبار افرأيت من اتخذ الهه هواه ترك متابعة الهدى الى متابعة الهوى فكانه يعبده وقرئ آلهة هواه لانه كان احدهم يستحسن حجرا فيعبده فاذا راى احسن منه رفضه اليه واضله الله وخذله على علم عالما بضلاله وفساد جوهر روحه وختم على سمعه وقلبه فلا يبالي بالمواعظ ولا يتفكر في الآيات وجعل على بصره غشاوة فلا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار وقرا حمزة والكسائي غشوة فمن يهديه من بعد الله من بعد اضلاله افلا تذكرون وقرئ تتذكرون وقالوا ما هي ما الحياة او الحال الا حياتنا الدنيا التي نحن فيها نموت ونحيا اي نكون امواتا نطفا وما قبلها ونحيا بعد ذلك او نموت بانفسنا ونحيا ببقاء اولادنا او يموت بعضنا ويبقى بعضنا او يصيبنا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة ويحتمل انهم ارادوا به التناسخ فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان وما يهلكنا الا الدهر الا مرور الزمان وهو في الاصل مدة بقاء العالم من دهره اذا غلبه وما لهم بذلك من علم يعني نسبة الحوادث الى حركات الافلاك وما يتعلق بها على الاستقلال او انكار البعث او كليهما ان هم الا يظنون اذ لا دليل لهم عليه وانما قالوه بناء على التقليد والانكار لما لم يحسوا به واذا تتلى عليهم آياتنا واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم او مبينات له ما كان حجتهم

ماكان لهم متشبث يعارضونه به الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين وانما سماه حجة على حسبانهم
ومساقهم او على اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع فانه يلزم من عدم حصول الشيء حالا الامتناع مطلقا
قل الله يحييكم ثم يميتكم على ما دلت عليه الحجج ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه فان من
قدر على الابداء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للجزاء لا محالة والوعد المصدق بالآيات
دلت على وقوعها واذا كان كذلك امكن الاتيان بآبائهم لكن الحكمة اقتضت ان يعادوا يوم الجمع للجزاء
ولكن اكثر الناس لا يعلمون لقلة تفكرهم وقصور نظرهم على ما يحسبونه ولله ملك السموات والارض
تعميم للقدرة بعد تخصيصها ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون اي ويخسر يوم
تقوم ويومئذ بدل منه وترى كل امة جاثية مجتمعة من الجثوة وهي الجماعة او باركة مستوفزة على الركب
وقرئ جاذية اي جالسة على اطراف الاصابع لاستيفازهم كل امة تدعى الى كتابها صحيفة اعمالها
وقرئ كل على انه بدل من الاول وتدعى صفة او مفعول ثان اليوم تجزون ما كنتم تعملون
محمول على القول هذا كتابنا اضاف صحائف اعمالهم الى نفسه لانه امر الكتبة ان يكتبوا فيها اعمالهم
ينطق عليكم بالحق يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ونقصان انا كنا نستنسخ نستكتب الملائكة
ما كنتم تعملون اعمالكم فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته التي من
جملتها الجنة ذلك هو الفوز المبين الظاهر لخلوصه عن الشوائب واما الذين كفروا افلم
تكن آياتي تتلى عليكم اي فيقال لهم الم يأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف القول والمعطوف
عليه اكتفاء بالمقصود واستغناء بالقرينة فاستكبرتم عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين عادتهم
الاجرام واذا قيل ان وعد الله يحتمل الموعود والمصدر حق كائن هو او متعلقه لا محالة والساعة
لا ريب فيها افراد للمقصود وقرأ حمزة بالنصب عطفا على اسم ان قلتم ما ندري ما الساعة اي شيء الساعة
استغرابا لها ان نظن الا ظنا اصله نظن ظنا فادخل حرف النفي والاستثناء لاثبات الظن ونفي ما
عداه كانه قال وما نحن الا نظن ظنا او لنفي ظنهم فيما سوى ذلك مبالغة ثم اكده بقوله وما نحن
بمستيقنين اي لامكانه ولعل ذلك القول لبعضهم تحيروا بين ما سمعوا من آبائهم وما تليت عليهم من الآيات
في امر الساعة وبدا لهم ظهر لهم سيئات ما عملوا على ما كانت عليه بان عرفوا قبحها وعاينوا وخامة عاقبتها
او جزاءها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وهو الجزاء وقيل اليوم ننساكم نترككم في العذاب ترك ما ينسى
كما نسيتم لقاء يومكم هذا كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه
ومأواكم النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا استهزأتم
بها ولم تتفكروا فيها وغرتكم الحيوة الدنيا فحسبتم ان لا حياة سواها فاليوم لا يخرجون منها وقرأ حمزة
والكسائي بفتح الياء وضم الراء ولا هم يستعتبون لا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه لفوات اوانه
فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين اذ الكل نعمة منه الدال على كمال قدرته فله الكبرياء
في السموات والارض اذ ظهر فيها آثارها وهو العزيز الذي لا يغلب الحكيم فيما قدر وقضى فاحمدوه
وكبروه واطيعوا له عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف مكية وآيها اربع او خمس وثلثون آية بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا
بالحق وهو ما تقتضيه الحكمة والمعدلة وفيه دلالة على وجود الصانع الحكيم والبعث للمجازاة على ما قررناه
مرارا واجل مسمى وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه الكل وهو يوم القيمة او كل واحد وهو آخر مدة بقائه المقدر له
والذين كفروا عما انذروا من هول ذلك الوقت ويجوز ان تكون ما مصدرية معرضون لا يتفكرون فيه
ولا يستعدون لحلوله قل ارأيتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في
السموات اي اخبروني عن حال آلهتكم بعد تأمل فيها هل يعقل ان يكون لها مدخل في انفسها في خلق شيء من اجزاء
العالم فتستحق العبادة وتخصيص الشرك بالسموات احتراز عما يتوهم ان للوسائط في ايجاد الحوادث
السفلية ائتوني بكتاب من قبل هذا من قبل هذا الكتاب يعني القرآن فانه ناطق بالتوحيد او اثارة
من علم او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين هل فيها ما يدل على استحقاقهم للعبادة او
الامر به ان كنتم صادقين في دعواكم وهو الزام بعدم ما يدل على الوهيتهم بوجه ما نقلا بعد الزامهم
ما ينفيها عقلا وقرئ بآثارة بالكسر اي مناظرة فان المناظرة تثير المعاني واثرة اي شيء اوثرتم
به واثرة بالحركات الثلث في الهمزة وسكون الثاء فالمفتوحة للمرة من مصدر اثر الحديث اذا رواه
والمكسورة بمعنى الاثرة والمضمومة اسم ما يؤثر ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له
انكار ان يكون احد اضل من المشركين حيث تركوا عبادة السميع المجيب القادر الخبير الى عبادة من
لا يستجيب لهم لو سمع دعاءهم فضلا ان يعلم سرائرهم ويراعي مصالحهم الى يوم القيمة ما دامت الدنيا
وهم عن دعائهم غافلون لانهم اما جمادات واما عباد مسخرون مشتغلون باحوالهم واذا حشر
الناس كانوا لهم اعداء يضرونهم ولا ينفعونهم وكانوا بعبادتهم كافرين مكذبين بلسان الحال او المقال
واذا الضمير للعابدين وهو كقوله والله ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات
او مبينات قال الذين كفروا للحق لاجله وفي شأنه والمراد به الآيات ووضعه موضع ضميرها ووضع
الذين كفروا موضع المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق وعليهم بالكفر والانهماك في الضلالة لما جاءهم
حين ما جاءهم من غير نظر وتأمل هذا سحر مبين ظاهر بطلانه ام يقولون افتراه اضراب عن
ذكر تسميتهم سحرا الى ذكر ما هو اشنع منه وانكار له وتعجيب قل ان افتريته على الفرض فلا تملكون
لي من الله شيئا اي ان عاجلني الله بالعقوبة فلا تقدرون على دفع شيء منها فكيف اجترئ عليه
واعرض نفسي للعقاب من غير توقع نفع ولا دفع ضر من قبلكم هو اعلم بما تفيضون فيه تندفعون
فيه من القدح في آياته كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والانكار
وهو وعيد بجزاء افاضتهم وهو الغفور الرحيم وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وآمن واشعار
بحلم الله عنهم مع عظيم جرمهم قل ما كنت بدعا من الرسل بديعا منهم ادعوكم الى ما لا يدعون اليه او اقدر
على ما لم يقدروا عليه وهو الاتيان بالمقترحات كلها ونظيره الخف بمعنى الخفيف وقرئ بفتح الدال
على انه كقيم او مقدر بمضاف اي ذا بدع وما ادري ما يفعل بي ولا بكم في الدارين على التفصيل
اذ لا علم لي بالغيب ولتأكيد النفي المشتمل على ما يفعل بي وما اما موصولة منصوبة او استفهامية
مرفوعة وقرئ يفعل اي يفعل الله ان اتبع الا ما يوحى الي لا اتجاوزه وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار

عما لا يوحى اليه من الغيوب او استعجال المسلمين ان يتخلصوا من اذى المشركين وما انا الا نذير عن عقاب الله
مبين بين الانذار بالشواهد المبينة والمعجزات المصدقة قل ارأيتم ان كان من عند الله اي القران
وكفرتم به وقد يجوز ان تكون الواو عاطفة على الشرط وكذا الواو في قوله وشهد شاهد
من بني اسرائيل لا انها تعطف لما عطف عليه على جملة ما قبله والشاهد هو عبد الله بن سلام وقيل موسى عليه السلام
وشهادته ما في التوراة من نعت الرسول صلى الله عليه وسلم على مثله مثل القران وهو ما في التوراة من المعاني المصدقة
للقران المطابقة لها او مثل ذلك وهو كونه من عند الله فامن اي بالقران لما راه من جنس الوحي مطابقا للحق
واستكبرتم عن الايمان ان الله لا يهدي القوم الظالمين استئناف مشعر بان كفرهم لضلالهم المسبب
عن ظلمهم ودليل على الجواب المحذوف مثل الستم ظالمين وقال الذين كفروا للذين امنوا لاجلهم لو كان خيرا
الايمان او ما اتى به محمد صلى الله عليه وسلم ما سبقونا اليه وهم سقاط اذ عامتهم فقراء وموالي ورعاة
وانما قاله قريش وقيل بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار
او اليهود حين اسلم ابن سلام واصحابه واذ لم يهتدوا به ظرف لمحذوف مثل ظهر عنادهم وقوله
فسيقولون هذا افك قديم مسبب عنه وهو كقولهم اساطير الاولين ومن قبله ومن قبل القران
وهو خبر لقوله كتاب موسى ناصب لقوله اماما ورحمة على الحال وهذا كتاب مصدق لكتاب موسى
او لما بين يديه وقد قرئ به لسانا عربيا حال من ضمير كتاب في مصدق او منه لتخصصه بالصفة
وعاملها معنى الاشارة وفائدتها الاشعار بالدلالة على ان كونه مصدقا للتوراة كما دل على انه حق
دل على انه وحي وتوقيف من الله سبحانه وقيل مفعول لمصدق اي يصدق ذا لسان عربي باعجازه
لينذر الذين ظلموا علة مصدق وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول ويؤيد الاخير قراءة نافع وابن عامر
ويعقوب بالتاء وبشرى للمحسنين عطف على محله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا جمعوا بين التوحيد
الذي هو خلاصة العلم والاستقامة في الامور التي هي منتهى العمل وثم للدلالة على تاخر رتبة العمل
وتوقف اعتباره على التوحيد فلا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون على فوات محبوب والفاء
لتضمن الاسم معنى الشرط اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون من اكتساب
الفضائل العلمية والعملية وخالدين حال من المستكن في اصحاب وجزاء مصدر بفعل دل عليه الكلام اي جوزوا
جزاء ووصينا الانسان بوالديه حسنا وقرا الكوفيون احسانا وقرئ حسنا اي ايصاء حسنا حملته امه كرها
ووضعته كرها ذات كره او حملا ذا كره وهو المشقة وقرا الحجازيان وابو عمرو وهشام بالفتح وهما لغتان
كالضعف والضعف وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وحمله وفصاله ومدة حمله وفصاله والفصال الفطام
ويدل عليه قراءة يعقوب وفصله او وقته والمراد به الرضاع التام المنتهي به ولذلك عبر به كما يعبر بالامد
عن المدة قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى امده ثلاثون شهرا كل ذلك بيان لما تكابده الام في
تربية الولد مبالغة في التوصية بها وفيه دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لانه اذا حط منه للفصال حولان
لقوله تعالى حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقي ذلك وبه قال الاطباء ولعل تخصيص اقل الحمل واكثر الرضاع
لانضباطهما وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما حتى اذا بلغ اشده اذا اكتهل واستحكم قوته وعقله
وبلغ اربعين سنة قيل لم يبعث نبي الا بعد الاربعين قال رب اوزعني الهمني واصله اولعني من اوزعته بكذا

اشكر

اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي يعني نعمة الدين او ما يعمها وغيرها وذلك ما روي انها نزلت في
ابي بكر رضي الله عنه لانه لم يكن احد اسلم هو وابوه من المهاجرين والانصار سواه وان اعمل صالحا ترضاه نكره
للتعظيم او لانه اراد نوعا من الجنس يستجلب رضا الله عز وجل واصلح لي في ذريتي واجعل لي الصلاح ساريا
في ذريتي راسخا فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي اني تبت اليك عما لا ترضاه او يشغل عنك واني
من المسلمين المخلصين لك اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا يعني طاعاتهم فان المباح حسن ولا يثاب
عليه ويتجاوز عن سيئاتهم لتوبتهم وقرا حمزة والكسائي وحفص بالنون فيهما في اصحاب الجنة كائنين في
عدادهم او مثابين او معدودين فيهم وعد الصدق مصدر مؤكد لنفسه فان يتقبل ويتجاوز وعد
الذي كانوا يوعدون اي في الدنيا والذي قال لوالديه اف لكما مبتدا خبره اولئك والمراد به
الجنس وان صح نزولها في عبد الرحمن ابن ابي بكر قبل اسلامه فان خصوص السبب لا يوجب التخصيص وفي اف
قراءات ذكرت في سورة بني اسرائيل اتعدانني ان اخرج ابعث وقرا هشام اتعداني بنون واحدة مشددة وقد
خلت القرون من قبلي فلم يرجع واحد منهم وهما يستغيثان الله يقولان الغياث بالله منك او يسالانه
ان يغيثه بالتوفيق للايمان ويلك امن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين اباطيلهم
التي كتبوها اولئك الذين حق عليهم القول بانهم اهل النار وهو يرد النزول في عبد الرحمن لانه يدل على انه من اهلها
لذلك وقد جب عنه ان كان لاسلامه في امم قد خلت من قبلهم كقوله في اصحاب الجنة من الجن والانس بيان
للامم انهم كانوا خاسرين تعليل للحكم على الاستئناف ولكل من الفريقين درجات مما عملوا مراتب من جزاء
ما عملوا من الخير والشر او من اجل ما عملوا والدرجات غالبة في المثوبة وهاهنا جاءت على التغليب وليوفيهم
اعمالهم جزاءها وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وابن ذكوان بالنون وهم لا يظلمون بنقص ثواب وزيادة عقاب
ويوم يعرض الذين كفروا على النار يعذبون بها وقيل تعرض النار عليهم فقلب مبالغة كقولهم عرضت الناقة على الحوض
اذهبتم اي يقال لهم اذهبتم وهو ناصب اليوم وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالاستفهام غير ان ابن كثير
يقراه بهمزة ممدودة وهما يقرانها بها وبهمزتين محققتين طيباتكم لذائذكم في حياتكم الدنيا
باستيفائها واستمتعتم بها فما بقي لكم منها شيء فاليوم تجزون عذاب الهون الهوان وقد قرئ به
بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون بسبب الاستكبار الباطل والفسوق
عن طاعة الله وقرئ تفسقون بالكسر واذكر اخا عاد يعني هودا اذ انذر قومه بالاحقاف جمع
حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانوا يسكنون بين رمال مشرفة
على البحر بالشحر من اليمن وقد خلت النذر الرسل من بين يديه ومن خلفه قبل هود وبعده والجملة حال او اعتراض
الا تعبدوا الا الله اي لا تعبدوا او بان لا تعبدوا فان النهي عن الشيء انذار عن مضرته اني اخاف عليكم عذاب
يوم عظيم هائل بسبب شرككم قالوا اجئتنا لتافكنا لتصرفنا عن الهتنا عن عبادتها فاتنا بما تعدنا
من العذاب على الشرك ان كنت من الصادقين في وعدك قال انما العلم عند الله لا علم لي بوقت عذابكم ولا مدخل
لي فيه فاستعجل به وانما علمه عند الله فياتيكم به في وقته المقدر له وابلغكم ما ارسلت به وما على الرسول
الا البلاغ ولكني اراكم قوما تجهلون لا تعلمون ان الرسل بعثوا مبلغين منذرين لا معذبين مقترحين
فلما راوه عارضا سحابا عرض في افق السماء مستقبل اوديتهم متوجهة اوديتهم والاضافة فيه لفظية

وكذا في قوله هذا عارض ممطرنا اي ياتينا بالمطر بل هو اي قال هود بل هو ما استعجلتم به من العذاب وقرئ
قيل بل ريح هي ريح ويجوز ان يكون بدله ما فيها عذاب اليم صفتها وكذا قوله تدمر تهلك كل شيء من نفوسهم واموالهم
بامر ربها اذ لا يوجد نابضة حركة ولا قابضة سكون الا بمشيته وفي ذكر الامر والرب واضافته الى
الريح فوايد سبق ذكرها مرارا وقرئ تدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك فيكون العايد محذوفا او الهاء في ربها
ويحتمل ان يكون استينافا للدلالة على ان لكل ممكن فناء مقضيا لا يتقدم ولا يتاخر وتكون الهاء لكل شيء
فانه بمعنى الاشيا فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم اي فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لو حضرت
بلادهم لا ترى الا مساكنهم وقرا عاصم وحمزة والكسائي لا يرى الا مساكنهم باليا المضمومة ورفع المساكن
كذلك نجزي القوم المجرمين روي ان هودا لما احس بالريح اعتزل بالمؤمنين في الحظيرة وجاءت الريح فامالت
الاحقاف على الكفرة وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام ثم كشفت عنهم واحتملتهم وقذفتهم في البحر
ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ان نافية وهي احسن من ما هاهنا لانها توجب التكرير لفظا ولذلك قلبت
الفها هاء في مهما او شرطية محذوفة الجواب والتقدير ولقد مكناهم في الذي او في شيء ان مكناكم فيه
كان بغيكم اكثر او صلة كما في قوله يرجي المرء ما ان لا يراه ويعرض دون ادناه الخطوب والاول اظهر
واوفق لقوله هم احسن اثاثا كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة
ليعرفوا تلك النعم ويستدلوا بها على مانحها ويواظبوا على شكرها فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم
ولا افئدتهم من شيء من الاغنا وهو القليل اذ كانوا يجحدون بايات الله صلة لما اغنى وهو ظرف
جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما اضيف اليه وكذلك حيث وحاق بهم ما كانوا به
يستهزؤن من العذاب ولقد اهلكنا ما حولكم يا اهل مكة من القرى كحجر ثمود وقرى قوم لوط
وصرفنا الايات بتكريرها لعلهم يرجعون عن كفرهم فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله
قربانا الهة فهلا منعتهم من الهلاك الهتهم الذين يتقربون بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا
عند الله واول مفعولي اتخذوا الراجع الى الموصول وثانيهما قربانا والهة بدل او عطف بيان او الهة
وقربانا حال او مفعول له على انه بمعنى التقرب وقرئ قربانا بضم الراء بل ضلوا عنهم غابوا عن نصرهم
وامتنع ان يستمدوا بهم امتناع الاستمداد بالضال وذلك افكهم وذلك الاتخاذ الذي هذا اثره
صرفهم عن الحق وقرئ افكهم بالتشديد للمبالغة وافكهم اي جعلهم افكين وافكهم اي قولهم الافك ذلك
اي ذو الافك وما كانوا يفترون واذ صرفنا اليك نفرا من الجن املناهم اليك والنفر دون
العشرة وجمعه انفار يستمعون القران حال محمولة على المعنى فلما حضروه اي القران او الرسول قالوا
انصتوا قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمعه فلما قضي اتم وفرغ من قراءته وقرئ على بنا الفاعل وهو ضمير الرسول
ولوا الى قومهم منذرين اي منذرين اياهم بما سمعوا روي انهم وافوا رسول الله بوادي النخلة عند منصرفه من الطائف
يقرا في تهجده قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى قيل انما قالوا ذلك لانهم كانوا يهودا او ما
سمعوا بامر عيسى عليه السلام مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق من العقايد والى طريق مستقيم
من الشرايع يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما يكون في خالص
حق الله فان المظالم لا تغفر بالايمان ويجركم من عذاب اليم هو معد للكفار واحتج ابو حنيفة باقتصارهم

على المغفرة

على المغفرة والاجارة على ان لا ثواب لهم والاظهر انهم في توابع التكليف كبني ادم ومن لا يجب داعي الله
فليس بمعجز في الارض اذ لا ينجي منه مهرب وليس له من دونه اولياء يمنعونه منه اولئك في ضلال مبين
حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شانه اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي
بخلقهن ولم يتعب ولم يعجز والمعنى ان قدرته واجبة لا تنقص ولا تنقطع بالايجاد بقادر على ان
يحيي الموتى اي قادر ويدل عليه قراءة يعقوب يقدر والبا مزيدة لتاكيد النفي فانه مشتمل على ان
وما في حيزها ولذلك اجاب عنه بقوله بلى انه على كل شيء قدير تقريرا للقدرة على وجه عام يكون
كالبرهان على المقصود كانه لما صدر السورة بتحقيق المبدا اراد ختمها باثبات المعاد ويوم
يعرض الذين كفروا على النار منصوب بقول مضمر مقوله اليس هذا بالحق والاشارة الى العذاب
قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بكفركم في الدنيا ومعنى الامر هو الاهانة
بهم والتوبيخ لهم فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل اولوا الثبات والجد منهم فانك من
جملتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض واولوا العزم اصحاب الشرايع اجتهدوا في تاسيسها وتقريرها
وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابرهيم وموسى وعيسى
وقيل الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم
على النار وذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن
وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته
اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة ولا تستعجل لهم لكفار قريش بالعذاب فانه نازل بهم في
وقته لا محالة كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار استقصروا من
هوله مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها ساعة بلاغ هذا الذي وعظتم به او هذه السورة
بلاغ اي كفاية او تبليغ من الرسول ويؤيده انه قرئ بلغ وقيل مبتدا خبره لهم وما بينهما اعتراض
اي لهم وقت يبلغون اليه كانهم اذا بلغوه وراوا ما فيه استقصروا مدة عمرهم وقرئ بالنصب
اي بلغوا بلاغا فهل يهلك الا القوم الفاسقون الخارجون عن الاتعاظ او الطاعة وقرئ
يهلك بفتح اللام وكسرها من هلك وهلك ونهلك بالنون ونصب القوم عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا • وهي مدنية تسع او ثمان وثلثون

سورة محمد صلى الله عليه وسلم

• وتسمى سورة القتال وقيل مكية وآيها

بسم الله الرحمن الرحيم

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله امتنعوا عن الدخول في الاسلام وسلوك طريقه او منعوا الناس عنه
كالمطعمين يوم بدر وشياطين قريش او المصرين من اهل الكتاب او عام في جميع من كفر وصد اضل اعمالهم
جعل مكارمهم كصلة الرحم وفك الاسارى وحفظ الجوار ضالة اي ضايعة محبطة بالكفر او مغلوبة
مغمورة فيه كما يضل الماء في اللبن او ضلالا حيث لم يقصدوا به وجه الله او ابطل ما عملوه من الكيد له
والصد عن سبيله بنصر رسوله واظهار دينه على الدين كله والذين امنوا وعملوا الصالحات يعم المهاجرين
والانصار والذين امنوا من اهل الكتاب وغيرهم وامنوا بما نزل على محمد تخصيص للمنزل عليه مما يجب الايمان
به

تعظيماً له وإشعاراً بأن الإيمان لا يتم دونه وأنه الأصل فيه ولذلك أكده بقوله **وهو الحق من ربهم** اعتراضاً على طريقة الحصر وحقيته بكونه ناسخاً لا ينسخ وقرئ نزّل على البناء للفاعل وأنزل على البنائين ونزل بالتخفيف **كفّر عنهم سيئاتهم** سترها بالإيمان وعملهم الصالح **وأصلح بالهم** حالهم في الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد **ذلك** إشارة إلى ما مر من الإضلال والتكفير والإصلاح وهو مبتدأ خبره **بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم** بسبب اتباع هؤلاء الباطل واتباع هؤلاء الحق وهذا تصريح بما أشعر به ما قبلها ولذلك يسمى تفسيراً **كذلك** مثل ذلك الضرب **يضرب الله للناس** يبين لهم **أمثالهم** أحوال الفريقين أو أحوال الناس أو يضرب أمثالهم بأن جعل اتباع الباطل مثلاً لعمل الكفار والإضلال مثلاً لخيبتهم واتباع الحق مثلاً للمؤمنين وتكفير السيئات مثلاً لفوزهم **فإذا لقيتم الذين كفروا** في المحاربة **فضرب الرقاب** أصله فاضربوا الرقاب ضرباً فحذف الفعل وقدم المصدر وأنيب منابه مضافاً إلى المفعول ضماً إلى التأكيد الاختصار والتعبير به عن القتل إشعار بأنه ينبغي أن يكون بضرب الرقبة حيث أمكن وتصوير له بأشنع صوره **حتى إذا أثخنتموهم** أكثرتم قتلهم أو أغلظتموه من الثخين وهو الغليظ **فشدوا الوثاق** فأسروهم واحفظوهم والوثاق بالفتح والكسر ما يوثق به **فإما مناً بعد وإما فداء** أي فإما تمنون مناً أو تفدون فداء والمراد التخيير بعد الأسر بين المن والإطلاق وبين أخذ الفداء وهو ثابت عندنا فإن الذكر الحر المكلف إذا أسر تخير الإمام بين القتل والمن والفداء والاسترقاق ومنسوخ عند الحنفية أو مخصوص بحرب بدر فإنهم قالوا يتعين القتل أو الاسترقاق وقرئ فدى كعصا **حتى تضع الحرب أوزارها** آلاتها وأثقالها التي لا تقوم إلا بها كالسلاح والكراع أي تنقضي الحرب ولم يبق إلا مسلم أو مسالم وقيل آثامها والمعنى حتى يترك أهل الحرب شركهم ومعاصيهم وهو غاية للضرب أو الشد أو للمن والفداء أو للمجموع بمعنى أن هذه الأحكام جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين بزوال شوكتهم وقيل بنزول عيسى عليه السلام **ذلك** أي الأمر ذلك أو افعلوا بهم ذلك **ولو يشاء الله لانتصر منهم** لانتقم منهم بالاستئصال **ولكن ليبلو بعضكم ببعض** ولكن أمركم بالقتال ليبلو المؤمنين بأن يعاجلهم على أيديهم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر **والذين قاتلوا في سبيل الله** أي جاهدوا وقرأ البصريان وحفص قتلوا أي استشهدوا **فلن يضل أعمالهم** فلن يضيعها وقرئ يَضِل من ضل ويُضَل على البناء للمفعول **سيهديهم** إلى الثواب أو سيثبت هدايتهم **ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم** وقد عرفها لهم في الدنيا حتى اشتاقوا إليها فعملوا ما استحقوها به أو بينها لهم بحيث يعلم كل واحد منزله ويهتدي إليه كأنه كان ساكنه منذ خلق أو طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة أو حددها لهم بحيث يكون لكل جنة مفرزة **يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم** إن تنصروا دينه ورسوله ينصركم على عدوكم **ويثبت أقدامكم** في القيام بحقوق الإسلام والمجاهدة مع الكفار **والذين كفروا فتعساً لهم** فعثوراً وانحطاطاً ونقيضه لعاً قال الأعشى فالتعس أولى لها من أن أقول لعا وانتصابه بفعله الواجب إضماره سماعاً والجملة خبر الذين كفروا أو مفسرة لناصبه **وأضل أعمالهم** عطف عليه **ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله** القرآن لما فيه من التوحيد والتكاليف المخالفة لما ألفوه واشتهته أنفسهم وهو تخصيص وتصريح بسببية الكفر بالقرآن للتعس والإضلال **فأحبط أعمالهم**

كرره إشعاراً بأنه يلزم الكفر بالقرآن ولا ينفك عنه بحال **أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم** استأصل عليهم ما اختص بهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم **وللكافرين** من وضع الظاهر موضع المضمر **أمثالها** أمثال تلك العاقبة أو العقوبة أو الهلكة لأن التدمير يدل عليها أو للسنة لقوله تعالى سنة الله التي قد خلت **ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا** ناصرهم على أعدائهم **وأن الكافرين لا مولى لهم** فيدفع العذاب عنهم وهو لا يخالف قوله وردوا إلى الله مولاهم الحق فإن المولى فيه بمعنى المالك **إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون** ينتفعون بمتاع الدنيا **ويأكلون كما تأكل الأنعام** حريصين غافلين عن العاقبة **والنار مثوى لهم** منزل ومقام **وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك** على حذف المضاف وإجراء أحكامه على المضاف إليه والإخراج باعتبار التسبب **أهلكناهم** بأنواع العذاب **فلا ناصر لهم** يدفع عنهم وهو كالحال المحكية **أفمن كان على بينة من ربه** حجة من عنده وهو القرآن أو ما يعمه والحجج العقلية كالنبي والمؤمنين **كمن زين له سوء عمله** كالشرك والمعاصي **واتبعوا أهواءهم** في ذلك لا شبهة لهم عليه فضلاً عن حجة **مثل الجنة التي وعد المتقون** أي فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وقيل مبتدأ خبره كمن هو خالد في النار وتقدير الكلام أمثل أهل الجنة كمثل من هو خالد أو أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فعري عن حرف الإنكار وحذف ما حذف استغناء بجري مثله تصويراً لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع للهوى بمكابرة من يسوي بين الجنة والنار وهو على الأول خبر محذوف تقديره أفمن هو خالد في هذه الجنة كمن هو خالد في النار أو بدل من قوله كمن زين له سوء عمله وما بينهما اعتراض لبيان ما يمتاز به من على بينة في الآخرة تقريراً لإنكار المساواة **فيها أنهار من ماء غير آسن** استئناف لشرح المثل أو حال من العائد المحذوف أو خبر لمثل وآسن من أسن الماء بالفتح إذا تغير طعمه وريحه أو بالكسر على معنى الحدوث وقرأ ابن كثير أسن **وأنهار من لبن لم يتغير طعمه** لم يصر قارصاً ولا حازراً **وأنهار من خمر لذة للشاربين** لذيذة لا يكون فيها كراهة غائلة ريح ولا غائلة سكر وخمار تأنيث لذ أو مصدر نعت به وقرئ بالرفع على صفة الأنهار والنصب على العلة **وأنهار من عسل مصفى** لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي ذلك تمثيل لما يقوم مقام الأشربة في الجنة بأنواع ما يستلذ منها في الدنيا بالتجريد عما ينقصها أو ينغصها والتوصيف بما يوجب غزارتها واستمرارها **ولهم فيها من كل الثمرات** صنف على هذا القياس **ومغفرة من ربهم** عطف على الصنف المحذوف أو مبتدأ خبره محذوف أي لهم مغفرة **كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميماً** مكان تلك الأشربة **فقطع أمعاءهم** من فرط الحرارة **ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك** يعني المنافقين كانوا يحضرون مجلس الرسول ويستمعون كلامه فإذا خرجوا **قالوا للذين أوتوا العلم** لعلماء الصحابة رضي الله عنهم **ماذا قال آنفاً** ما الذي قال الساعة استهزاء أو استعلاماً إذ لم يلقوا له آذانهم تهاوناً به وآنفاً من قولهم أنف الشيء لما تقدم منه مستعاراً من الجارحة ومنه استأنف وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتاً مؤتنفاً أو حال من الضمير في قال

بأن يجاهدوهم فيستوجب الثواب العظيم والكافرين مع

وقرأ ابن كثير أنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم فلذلك استهزءوا بها وتهاونوا
بكلامه والذين اهتدوا زادهم هدى أي زادهم الله بالتوفيق والإلهام أو قول الرسول صلى الله عليه وسلم
وآتاهم تقواهم بين لهم ما يتقون أو أعانهم على تقواهم أو أعطاهم جزاءها فهل ينظرون إلا الساعة
فهل ينتظرون غيرها أن تأتيهم بغتة بدل اشتمال من الساعة وقوله فقد جاء أشراطها كالعلة له وقرئ
إن تأتهم على أنه شرط مستأنف جزاؤه فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم والمعنى إن تأتهم الساعة بغتة لأنه قد
ظهر أماراتها كمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر فكيف لهم ذكراهم أي تذكرهم إذا جاءتهم الساعة
بغتة وحينئذ لا يفرغ له ولا ينفع فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك أي إذا علمت
سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية وتكميل النفس بإصلاح
أحوالها وأفعالها وهضمها بالاستغفار لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ولذنوبهم بالدعاء لهم
والتحريض على ما يستدعي غفرانهم وفي إعادة الجار وحذف المضاف إشعار بفرط احتياجهم وكثرة
ذنوبهم بالدعاء أو أنه جنس آخر فإن الذنب ما له تبعة ما بترك الأولى والله يعلم متقلبكم في الدنيا
فإنها مراحل لا بد من قطعها ومثواكم في العقبى فإنها دار إقامتكم فاتقوا الله واستغفروه وأعدوا
لمعادكم ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة أي هلا نزلت سورة في أمر الجهاد فإذا أنزلت
سورة محكمة مبينة لا تشابه فيها وذكر فيها القتال الأمر به رأيت الذين في قلوبهم مرض ضعف في
الدين وقيل نفاق ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت جبنا ومخافة فأولى لهم فويل لهم أفعل من الولي
وهو القرب أو فعلى من آل ومعنى الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه أو يؤول إليه أمرهم طاعة وقول معروف
استئناف أي أمرهم طاعة أو طاعة وقول معروف خير لهم أو حكاية قولهم كقراءة أبي يقولون طاعة
فإذا عزم الأمر أي جد وهو لأصحاب الأمر وإسناده إليه مجاز وعامل الظرف محذوف وقيل فلو صدقوا
الله أي فيما زعموا من الحرص على الجهاد أو الإيمان لكان الصدق خيرا لهم فهل عسيتم فهل يتوقع منكم
إن توليتم أمور الناس وتأمرتم عليهم أو أعرضتم وتوليتم عن الإسلام أن تفسدوا في الأرض
وتقطعوا أرحامكم تناحرا على الولاية وتجاذبا لها أو رجوعا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من
التغاور ومقاتلة الأقارب والمعنى أنهم لضعفهم في الدين وحرصهم على الدنيا أحقاء بأن يتوقع
ذلك منهم من عرف حالهم ويقول لهم هل عسيتم وهذا على لغة الحجاز فإن بني تميم لا يلحقون الضمير به وخبره
أن تفسدوا وإن توليتم اعتراض وعن يعقوب توليتم أي إن تولاكم ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم
في الإفساد وقطيعة الرحم وتقطعوا من القطع وقرئ تقطعوا من التقطع أولئك إشارة إلى المذكورين الذين
لعنهم الله لإفسادهم وقطعهم الأرحام فأصمهم عن استماع الحق وأعمى أبصارهم فلا يهتدون سبيله
أفلا يتدبرون القرآن يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يجسروا على المعاصي أم على
قلوب أقفالها لا يصل إليها ذكر ولا ينكشف لها أمر وقيل أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وتنكير
القلوب لأن المراد قلوب بعض منهم أو للإشعار بأنها لإبهام أمرها في القساوة أو لفرط جهالتها
ونكرها كأنها مبهمة منكورة وإضافة الأقفال إليها للدلالة على أقفال مناسبة لها مختصة بها
لا تجانس الأقفال المعهودة وقرئ أقفالها على المصدر إن الذين ارتدوا على أدبارهم إلى ما كانوا

عليه من الكفر

عليه من الكفر من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلائل الواضحة والمعجزات الظاهرة الشيطان سول لهم
سهل لهم اقتراف الكبائر من السول وهو الاسترخاء وقيل حملهم على الشهوات من السول وهو التمني وفيه
أن السول مهموز نقدير مضاف أي كيد الشيطان سول لهم وأملى لهم ومد لهم في الآمال والأماني أو أمهلهم
الله ولم يعاجلهم بالعقوبة لقراءة يعقوب وأملي لهم أي وأنا أملي لهم فتكون الواو للحال أو الاستئناف
وقرأ أبو عمرو وأملي على البناء للمفعول فهو ضمير الشيطان أو لهم ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله
قال اليهود الذين كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم سنطيعكم في بعض الأمر في بعض أموركم أو في بعض ما تأمرون
كالقعود عن الجهاد والخروج معهم إن أخرجوا والتظافر على الرسول صلى الله عليه وسلم والله يعلم
إسرارهم ومنها قولهم هذا الذي أفشاه الله عليهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص إسرارهم على المصدر فكيف إذا
توفتهم الملائكة فكيف يعملون ويحتالون حينئذ وقرئ توفاهم وهو يحتمل الماضي والمضارع المحذوف
إحدى تائيه يضربون وجوههم وأدبارهم تصوير لتوفيهم بما يخافون منه ويجبنون عن القتال
ذلك إشارة إلى التوفي الموصوف بأنهم اتبعوا ما أسخط الله من الكفر وكتمان نعت الرسول صلى الله عليه
وعصيان الأمر وكرهوا رضوانه ما يرضاه من الإيمان والجهاد وغيره من الطاعات فأحبط أعمالهم
أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أن لن يبرز الله لرسوله عليه الصلاة والسلام
والمؤمنين أضغانهم أحقادهم ولو نشاء لأريناكهم لعرفناكهم بدلائل تعرفهم بأعيانهم فلعرفتهم
بسيماهم بعلاماتهم التي نسمهم بها واللام لام الجواب كررت في المعطوف ولتعرفنهم في لحن القول جواب
قسم محذوف ولحن القول أسلوبه وإمالته إلى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لأنه
يعدل بالكلام عن الصواب والله يعلم أعمالكم فيجازيكم على حسب قصدكم إذ الأعمال بالنيات ولنبلونكم
بالأمر بالجهاد وسائر التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين على مشاقها ونبلو
أخباركم ما يخبر به عن أعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها أو أخبارهم عن إيمانهم وموالاتهم المؤمنين في
صدقها وكذبها وقرأ أبو بكر الأفعال الثلاثة بالياء ليوافق ما قبلها وعن يعقوب ونبلو بسكون الواو
على تقدير ونحن نبلو إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين
لهم الهدى هم قريظة والنضير أو المطعمون يوم بدر لن يضروا الله شيئا بكفرهم وصدهم أو لن يضروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته وسيحبط أعمالهم
ثواب حسنات أعمالهم بذلك أو مكايدهم التي نصبوها في مشاقته فلا يصلون بها إلى مقاصدهم ولا تثمر
لهم إلا القتل والجلاء عن أوطانهم يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا
أعمالكم بما أبطل به هؤلاء كالكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والأذى وليس فيه دليل على إحباط الطاعات
بالكبائر إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم عام في كل من
مات على كفره وإن صح نزوله في أصحاب القليب ويدل بمفهومه على أنه قد يغفر لمن لم يمت على كفره سائر
ذنوبه فلا تهنوا فلا تضعفوا وتدعوا إلى السلم ولا تدعوا إلى الصلح خورا وتذللا ويجوز نصبه بإضمار
أن وقرئ ولا تدعوا من ادعى بمعنى دعا وقرأ أبو بكر وحمزة بكسر السين وأنتم الأعلون الأغلبون والله
معكم ناصركم ولن يتركم أعمالكم ولن يضيع أعمالكم من وترت الرجل إذا قتلت متعلقا له من قتيل

بقوله يتأولان فذوقه سول له
ولا لا تكرر التسويل وعكس
قلبت همزة واوا لضم ما قبلها
بعد ما تبين لهم نعته للمنافقين
او المنافقون لليهود او احد الفريقين للآخر
والموافقة في الخروج
وسلم
لحنهم ذلك

ادخيم فانه تدعوه من الوتو شبه به تعطيل ثواب العمل وافراده منه انما الحياة الدنيا لعب ولهو
لا ثبات لها وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ثواب ايمانكم وتقواكم ولا يسألكم اموالكم
جميع اموالكم بل يقتصر على جزء يسير كربع العشر وعشره ان يسألكموها فيحفكم فيجهدكم
بطلب الكل والاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى شاربه اذا استاصله تبخلوا
فلا تعطوا ويخرج اضغانكم ويضغنكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير في يخرج لله
ويؤيده القراءة بالنون او البخل لانه سبب الاضغان وقرئ بالياء والتاء ورفع اضغانكم ها انتم
هؤلاء اي انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تدعون لتنفقوا في سبيل الله استيناف مقرر
لذلك او صلة لهؤلاء على انه بمعنى الذين وهو يعم نفقة الغزو والزكاة وغيرهما فمنكم من يبخل ناس يبخلون وهو
كالدليل على الاية المتقدمة ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه فان نفع الانفاق وضرر البخل عائدان اليه
والبخل يعدى بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدي فانه امساك عن مستحق والله الغني وانتم
الفقراء فما يأمركم به لاحتياجكم فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم وان تتولوا عطف على ان
تؤمنوا يستبدل قوما غيركم يقم مقامكم قوما اخرين ثم لا يكونوا امثالكم في التولي والزهد في الايمان
وهم الفرس لانه عليه الصلاة والسلام سئل عنه وكان سلمان الى جنبه فضرب فخذه وقال هذا وقومه او الانصار
او اليمن او الملائكة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة محمد كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة

نزلت في مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية

سورة الفتح مدنية

واياتها تسع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحا مبينا وعد بفتح مكة والتعبير عنه بالماضي لتحققه
او بما اتفق له في تلك السنة كفتح خيبر وفدك او اخبار عن صلح الحديبية وانما سماه فتحا لانه كان بعد ظهوره
على المشركين حتى سألوا الصلح وتسبب لفتح مكة وفرغ به رسول الله صلى الله عليه وسلم لسائر العرب فغزاهم
وفتح مواضع وادخل في الاسلام خلقا عظيما وظهر له في الحديبية اية عظيمة وهي انه نزح ماؤها بالكلية فتمضمض
ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه او فتح الروم فانهم غلبوا على الفرس في تلك السنة
وقد عرفت كونه فتحا للرسول صلى الله عليه وسلم في سورة الروم وقيل الفتح القضاء اي قضينا لك ان تدخل
مكة من قابل ليغفر لك الله علة للفتح من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار والسعي في اعلاء الدين وازاحة
الشرك وتكميل النفوس الناقصة قهرا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة عن ايدي الظلمة
ما تقدم من ذنبك وما تاخر جميع ما فرط منك مما يصح ان يعاتب عليه ويتم نعمته عليك باعلاء الدين
وضم الملك الى النبوة ويهديك صراطا مستقيما في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة وينصرك الله
نصرا عزيزا نصرا فيه عز ومنعة او يعز به المنصور فوصف به مبالغة هو الذي انزل السكينة
الثبات والطمانينة في قلوب المؤمنين حتى يثبتوا حيث تقلق النفوس وتدحض الاقدام ليزدادوا ايمانا
مع ايمانهم يقينا مع يقينهم برسوخ العقيدة واطمئنان النفس عليها او انزل فيها السكون الى ما جاء به
الرسول صلى الله عليه وسلم ليزدادوا ايمانا بالشرائع مع ايمانهم بالله واليوم الاخر ولله جنود السموات والارض
يدبر امره فيسلط بعضها على بعض تارة ويوقع فيما بينهم السلم اخرى كما تقتضيه حكمته وكان الله عليما بالمصالح

حكيما فيما يقدر ويدبر ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
علة لما بعده لما دل عليه قوله ولله جنود السموات والارض من معنى التدبير اي دبر ما دبر من تسليط المؤمنين
ليعرفوا نعمة الله فيه ويشكروها فيدخلوا الجنة ويعذب الكفار والمنافقين لما غاظهم من ذلك او فتحا او انزل
او جميع ما ذكر او ليزدادوا وقيل انه بدل منه بدل الاشتمال ويكفر عنهم سيئاتهم يغطيها ولا يظهرها
وكان ذلك اي الادخال والتكفير عند الله فوزا عظيما لانه منتهى ما يطلب من جلب نفع او دفع ضر وعند
حال من الفوز ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات عطف على يدخل الا اذا جعلته
بدلا فيكون عطفا على المبدل الظانين بالله ظن السوء ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله والمؤمنين
عليهم دائرة السوء دائرة ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين لا يتخطاهم وقرا ابن كثير وابو عمرو دائرة
السوء بالضم وهما لغتان غير ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه والمضموم جرى مجرى الشر
وكلاهما في الاصل مصدر وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم عطف لما استحقوه في الاخرة
على ما استوجبوه في الدنيا والواو في الاخيرين والموضع موضع الفاء اذ اللعن سبب للاعداد والغضب سبب له
لاستقلال الكل في الوعيد بلا اعتبار السببية وساءت مصيرا جهنم ولله جنود السموات والارض وكان الله
عزيزا حكيما انا ارسلناك شاهدا على امتك ومبشرا ونذيرا على الطاعة والمعصية لتؤمنوا بالله ورسوله
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والامة او لهم على انه خطابه منزل منزلة خطابهم وتعزروه وتقووه بتقوية دينه
ورسوله وتوقروه وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه او تصلوا له بكرة واصيلا غدوة وعشيا او دائما
وقرا ابن كثير الافعال الاربعة بالياء وقرئ تعزروه بسكون العين وتعززوه بفتح التاء وضم الزاي وكسرها وتعززوه
وتوقروه من اوقره بمعنى وقره ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله لانه المقصود ببيعته يد الله فوق
ايديهم حال او استيناف مؤكد له على سبيل التخييل فمن نكث نقض العهد فانما ينكث على نفسه
فلا يعود ضرر نكثه الا عليه ومن اوفى بما عاهد عليه الله وفى بمبايعته فسيؤتيه اجرا عظيما هو الجنة
وقرئ عهد وقرا حفص عليه بضم الهاء وابن كثير ونافع وابن عامر وروح فسنؤتيه بالنون والاية نزلت في
بيعة الرضوان سيقول لك المخلفون من الاعراب هم اسلم وجهينة ومزينة وغفار استنفرهم رسول الله
صلى الله عليه عام الحديبية فتخلفوا واعتلوا بالشغل باموالهم واهليهم وانما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة
والخوف من مقابلة قريش ان صدوهم شغلتنا اموالنا واهلونا اذ لم يكن لنا من يقوم باشغالهم وقرئ
بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا من الله على التخلف يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم تكذيب لهم
في الاعتذار والاستغفار قل فمن يملك لكم من الله شيئا فمن يمنعكم من مشيئته وقضائه ان اراد بكم ضرا
ما يضركم كقتل وهزيمة وخلل في المال والاهل وعقوبة على التخلف وقرا حمزة والكسائي بالضم او اراد بكم
نفعا ما يضاد ذلك وهو تعريض بالرد بل كان الله بما تعملون خبيرا فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه بل
ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا لظنكم ان المشركين يستأصلونهم واهلون
جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارضات على ان اصله اهلة واما اهال فاسم جمع كليال وزين ذلك
في قلوبكم فتمكن فيها وقرئ على البناء للفاعل وهو الله تعالى او الشيطان وظننتم ظن السوء الظن المذكور
والمراد التسجيل عليه بالسوء وهو وسائر ما يظنون بالله ورسوله من الامور الزائغة وكنتم قوما بورا هالكين

عند الله لفساد عقيدتكم وسوء نيتكم ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا وضع
الكافرين موضع الضمير ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير
سعيرا للتهويل او لانها نار مخصوصة ولله ملك السموات والارض يدبره كيف يشا يغفر لمن يشا ويعذب من
يشا اذ لا وجوب عليه وكان الله غفورا رحيما فان الغفران والرحمة من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه
بالعرض ولذلك جا في الحديث الالهي سبقت رحمتي غضبي سيقول المخلفون يعني المذكورين اذا انطلقتم
الى مغانم لتاخذوها يعني مغانم خيبر فانه عليه الصلاة والسلام رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة
ست واقام بالمدينة بقيتها واوايل المحرم ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها
بهم ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله ان يغيروا وهو وعده لاهل الحديبية ان يعوضهم
من مغانم مكة مغانم خيبر وقيل قوله لن تخرجوا معي ابدا والظاهر انه في تبوك والكلام اسم للتكليم غلب
في الجملة المفيدة وقرا حمزة والكسائي كلم الله وهو جمع كلمة قل لن تتبعونا نفي في معنى النهي كذلكم قال الله
من قبل من قبل تهيئهم للخروج الى خيبر فسيقولون بل تحسدوننا ان نشارككم في الغنايم وقرئ بالكسر
بل كانوا لا يفقهون لا يفهمون الا قليلا الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا والاضراب الاول
رد منهم ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني رد من الله لذلك واثبات لجهلهم
بامور الدين قل للمخلفين من الاعراب كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة في الذم واشعارا بشناعة
التخلف ستدعون الى قوم اولي باس شديد بني حنيفة او غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
او المشركين فانه قال تقاتلونهم او يسلمون اي يكون احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام لا غير كما دل عليه
قراءة او يسلموا ومن عداهم يقاتل حتى يسلم او يعطي الجزية وهي تدل على امامة ابي بكر رضي الله تعالى عنه
اذ لم تتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن فان ذلك كان في عهد النبوة وقيل
فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون ليتناول تقبلهم الجزية فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا
هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الاخرة وان تتولوا كما توليتم من قبل عن الحديبية يعذبكم عذابا
اليما لتضاعف جرمكم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج لما اوعد
على التخلف نفى الحرج عن هولا المعذورين استثناء لهم عن الوعيد ومن يطع الله ورسوله يدخله
جنات تجري من تحتها الانهار فصل الوعد واجمل الوعيد مبالغة في الوعد لسبق رحمته ثم جبر
ذلك بالتكرير على سبيل التعميم فقال ومن يتول يعذبه عذابا اليما اذ الترهيب ههنا انفع من الترغيب
لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة روي انه صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية بعث
جواس بن امية الخزاعي الى مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان فحبسوه فارجف
بقتله فدعا النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه وكانوا الفا وثلثمائة او واربعمائة او خمسمائة وبايعهم على ان يقاتلوا
قريشا ولا يفروا عنهم وكان جالسا تحت سمرة او سدرة فعلم ما في قلوبهم من الاخلاص فانزل
السكينة عليهم الطمانينة وسكون النفس بالتشجيع او الصلح واثابهم فتحا قريبا فتح خيبر عن
انصرافهم وقيل مكة او هجر ومغانم كثيرة ياخذونها يعني مغانم خيبر وكان الله عزيزا حكيما
غالبا مراعيا مقتضى الحكمة وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها وهي ما يفي على المؤمنين الى يوم القيامة

فعجل

فعجل لكم هذه يعني مغانم خيبر وكف ايدي الناس عنكم ايدي اهل خيبر وحلفائهم من بني اسد وغطفان او ايدي
قريش بالصلح ولتكون هذه الكفة او الغنيمة آية للمؤمنين امارة يعرفون بها انهم من الله بمكان او صدق
الرسول صلى الله عليه وسلم في وعده لهم فتح خيبر في حين رجوعه عن الحديبية او وعد الغنايم او عنوانا لفتح مكة
والعطف على محذوف هو علة لكف او عجل مثل لتسلموا او لتاخذوا او لعلة لمحذوف مثل فعل ذلك
ويهديكم صراطا مستقيما هو الثقة بفضل الله والتوكل عليه واخرى ومغانم اخرى معطوفة على
هذه او منصوبة بفعل يفسره قد احاط الله بها مثل قضى ويحتمل رفعها بالابتداء لانها موصوفة وجرها
باضمار رب لم تقدروا عليها بعد لما كان فيها من الجولة قد احاط الله بها استولى فاظفركم بها
وهي مغانم هوازن وفارس وكان الله على كل شي قديرا لان قدرته ذاتية لا تختص بشي دون شي
ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل مكة ولم يصالحوا لولوا الادبار لانهزموا ثم لا يجدون وليا يحرسهم
ولا نصيرا ينصرهم سنة الله التي قد خلت من قبل اي سن غلبة انبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم
كما قال لاغلبن انا ورسلي ولن تجد لسنة الله تبديلا تغييرا وهو الذي كف ايديهم عنكم اي ايدي
كفار مكة وايديكم عنهم ببطن مكة في داخل مكة من بعد ان اظفركم عليهم اظهركم عليهم وذلك ان
عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة الى الحديبية فبعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند فهزمهم
حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان ذلك يوم الفتح واستشهد به على ان مكة فتحت عنوة وهو
ضعيف اذ السورة نزلت قبله وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم اولا طاعة لرسوله صلى الله عليه وسلم
وكفهم ثانيا لتعظيم بيته وقرا ابو عمرو بالياء بصيرا فيجازيهم عليه هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد
الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله يدل على ان ذلك كان عام الحديبية والهدي ما يهدى الى مكة وقرئ
الهدي وهو فعيل بمعنى مفعول ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره والمراد مكانه المعهود وهو منى لا مكانه
الذي لا يجوز ان ينحر في غيره والا لما نحره الرسول صلى الله عليه وسلم حيث احصر فلا ينتهض حجة للحنفية
على ان مذبح هدي المحصر هو الحرم ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم لم تعرفوهم
باعيانهم لاختلاطهم بالمشركين ان تطؤوهم ان توقعوا بهم وتبيدوهم قال ووطئتنا وطأ على حنق
وطء المقيد نابت الهرم وقال عليه السلام ان اخر وطأة وطئها الله بوج وهو واد بالطايف
كان اخر وقعة النبي صلى الله عليه وسلم بها واصله الدوس وهو بدل الاشتمال من رجال ونساء او من ضميرهم
في تعلموهم فتصيبكم منهم من جهتهم معرة مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتاسف
عليهم وتعيير الكفار بذلك والاثم بالتقصير في البحث عنهم مفعلة من عره اذا عراه ما يكرهه
بغير علم متعلق بان تطؤوهم غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا
كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين اظهر الكافرين جاهلين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه
لما كف ايديكم عنهم ليدخل الله في رحمته علة لما دل عليه كف الايدي من اهل مكة صونا لمن فيها
من المؤمنين اي كان ذلك ليدخل الله في رحمته اي في توفيقه لزيادة الخير او للاسلام من يشاء
من مؤمنيهم او مشركيهم لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ تزايلوا لعذبنا الذين
كفروا منهم عذابا اليما بالقتل والسبي اذ جعل الذين كفروا مقدر باذكر او ظرف لعذبنا او صدوا

في قلوبهم الحمية الانفة حمية الجاهلية التي تمنع اذعان الحق فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين
فانزل عليهم الوقار والثبات وذلك ما روي انه عليه السلام لما هم بقتالهم بعثوا سهيل بن عمرو و
حويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص ليسالوه ان يرجع من عامه على ان يخلي له قريش مكة من القابل
ثلثة ايام فاجابهم وكتبوا بينهم كتابا فقال صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم
فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل مكة
فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله
اهل مكة فقال عليه السلام اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان يابوا ذلك ويبطشوا عليهم فانزل الله السكينة
فتوقروا وتحلموا والزمهم كلمة التقوى كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله اختارها الله لهم او الثبات
او الوفاء بالعهد واضافة الكلمة الى التقوى لانها سببها او كلمة اهلها وكانوا احق بها من غيرهم واهلها
والمتاهل لها وكان الله بكل شيء عليما فيعلم اهل كل شيء وييسره له لقد صدق الله رسوله الرؤيا
راى عليه السلام انه واصحابه دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا او قصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا
وحسبوا ان ذلك في عامهم فلما تاخر قال بعضهم والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا راينا البيت فنزلت والمعنى
صدقه في رؤياه بالحق ملتبسا به فان ما راه كائن لا محالة في وقته المقدر له وهو العام القابل ويجوز ان
يكون بالحق صفة مصدر محذوف اي صدقا ملتبسا بالحق وهو القصد الى التمييز بين الثابت على الايمان
والمتزلزل فيه وان يكون قسما اما باسم الله تعالى او بنقيض الباطل وقوله لتدخلن المسجد الحرام جوابه
وعلى الاولين جواب قسم محذوف ان شاء الله تعليق للعدة بالمشية تعليما للعباد او اشعارا بان
بعضهم لا يدخل لموت او غيبة او حكاية لما قاله ملك الرؤيا او النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه آمنين
حال من الواو والشرط معترض محلقين رؤوسكم ومقصرين اي محلقا بعضكم ومقصرا آخرون لا تخافون
حال مؤكدة او استئناف اي لا تخافون بعد ذلك فعلم ما لم تعلموا من الحكمة في تاخير ذلك فجعل من دون ذلك
من دون دخولكم المسجد او فتح مكة فتحا قريبا هو فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الموعود
هو الذي ارسل رسوله بالهدى ملتبسا به او بسببه او لاجله ودين الحق وبدين الاسلام ليظهره على الدين
كله ليعليه على جنس الدين كله بنسخ ما كان حقا واظهار فساد ما كان باطلا او بتسليط المسلمين على اهله
اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه تاكيد لما وعده من الفتح وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده
كائن او على نبوته باظهار المعجزات محمد رسول الله جملة مبينة للمشهود به ويجوز ان يكون رسول الله صفة
ومحمد خبر محذوف او مبتدا والذين معه معطوف عليه وخبرهما اشداء على الكفار رحماء بينهم
واشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يغلظون على من خالف دينهم ويتراحمون فيما بينهم
كقوله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين تراهم ركعا سجدا لانهم مشتغلون بالصلاة في اكثر اوقاتهم
يبتغون فضلا من الله ورضوانا الثواب والرضا سيماهم في وجوههم من اثر السجود يريد السمة التي
تحدث في جباههم من كثرة السجود فعلى من سامه اذا اعلمه وقد قرئ سيمياؤهم بالمد من اثر السجود بيانها
او حال من المستكن في الجار ذلك اشارة الى الوصف المذكور او اشارة مبهمة يفسرها كزرع مثلهم في التوراة
صفتهم العجيبة الشان المذكورة فيها ومثلهم في الانجيل عطف عليه اي ذلك مثلهم في الكتابين كزرع

تمثيل

تمثيل مستانف او تفسير او مبتدا وكزرع خبره اخرج شطاه فراخه يقال اشطا الزرع اذا فرخ وقرا ابن كثير
وابن عامر شطاه بفتحات وهو لغة فيه وقرئ شطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بنقل حركة
الهمزة وحذفها وشطوه بقلبها واوا فآزره فقواه من الموازرة بمعنى المعاونة او من الايزار وهي الاعانة
وقرا ابن عامر فازره كاجره فاستغلظ فصار من الدقة الى الغلظ فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه
جمع ساق وعن ابن كثير سؤقه بالهمز يعجب الزراع بكثافته وقوته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله
للصحابة قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم بحيث اعجب الناس ليغيظ بهم الكفار علة
لتشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه او لقوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم
مغفرة واجرا عظيما فان الكفار لما سمعوه غاظهم ذلك ومنهم للبيان عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة والله سبحانه اعلم

سورة الحجرات وايها ثماني عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا
لا تقدموا اي لا تقدموا امرا فحذف المفعول ليذهب الوهم الى كل ما يمكن او ترك لان المقصود نفي التقديم راسا
او لا تتقدموا ومنه مقدمة الجيش لمتقدميهم ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم
بين يدي الله ورسوله مستعار مما بين الجهتين المسامتين ليدي الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى
لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله تعظيم له واشعار
بانه من الله بمكان يوجب اجلاله واتقوا الله في التقديم او مخالفة الحكم ان الله سميع لاقوالكم عليم بافعالكم
يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اي اذا كلمتموه فلا تجاوزوا اصواتكم عن
صوته ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ولا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا اصواتكم
اخفض من صوته محاماة على الترحيب ومراعاة للادب وقيل معناه ولا تخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب
بعضكم بعضا وخاطبوه بالنبي والرسول وتكرير النداء لاستدعاء مزيد الاستبصار والمبالغة في الايقاظ والدلالة
على استقلال المنادى له وزيادة الاهتمام به ان تحبط اعمالكم كراهة ان تحبط فتكون علة للنهي او لان
تحبط على ان النهي عن الفعل المعلل باعتبار التادية لان في الرفع والجهر استخفافا قد يؤدي الى
الكفر المحبط وذلك اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة وقد روي ان ثابت بن قيس كان
في اذنه وقر وكان جهوريا فلما نزلت تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفقده ودعاه فقال
يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الاية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال عليه السلام
لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة وانتم لا تشعرون انها محبطة ان الذين
يغضون اصواتهم يخفضونها عند رسول الله مراعاة للادب او مخافة عن مخالفة النهي قيل كان
ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما بعد ذلك يسرانه حتى يستفهمهما اولئك الذين امتحن الله قلوبهم
للتقوى جربها للتقوى ومرنها عليها او عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب
المعرفة واللام صلة محذوف او للفعل باعتبار الاصل او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف
الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه

ومنه ابو برزة بن خيثم **لهم مغفرة** لذنوبهم **واجر عظيم** لغضهم وسائر طاعاتهم والتنكير للتعظيم
والجملة خبر ثان لان او استيناف لبيان ما هو جزاء الغاضين احمادا لحالهم كما اخبر عنهم بجملة مبنية
من معرفتين والمبتدا اسم الاشارة المتضمن لما جعل عنوانا لهم والخبر الموصول بصلته دل على بلوغهم
اقصى الكمال مبالغة في الاعتداد بغضهم والارتضاء له تعريضا بشناعة الرفع والجهر وان حال المرتكب
لهما على خلاف ذلك **ان الذين ينادونك من وراء الحجرات** من خارجها خلفها او قدامها ومن ابتدائية
فان المناداة نشأت من جهة الوراء وفائدتها الدلالة على ان المنادي داخل الحجرة اذ لا بد وان
يختلف المبدا والمنتهى بالجهة وقرئ الحجرات بفتح الجيم وسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهي القطعة
من الارض المحجورة بحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل فعلة بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد
حجرات نساء النبي صلى الله عليه وسلم وفيها كناية عن خلوته بالنساء ومناداتهم من ورائها اما بانهم
اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له فاسند فعل الابعاض
الى الكل وقيل ان الذي ناداه عيينة بن حصين والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا وانما اسند الى الجميع
لانهم رضوا بذلك او امروا به او لانه وجد فيما بينهم **اكثرهم لا يعقلون** اذ العقل يقتضي حسن الادب
ومراعاة الحشمة سيما لمن كان بهذا المنصب **ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم** اي ولو ثبت صبرهم
وانتظارهم حتى تخرج اليهم فان ان وان دلت بما في حيزها على المصدر دلت بنفسها على الثبوت
ولذلك وجب اضمار الفعل وحتى تفيد ان الصبر ينبغي ان يكون مغيا بخروجه فان حتى مختصة
بغاية الشيء في نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى راسها ولا تقول حتى نصفها بخلاف الى فانها
عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغي ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه
اليهم **لكان خيرا لهم** لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول صلى الله
عليه وسلم **يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا** فتعرفوا وتفحصوا روي انه عليه السلام
بعث الوليد بن عقبة مصدقا الى بني المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه
فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فهم بقتالهم
فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلاة متهجدين فسلموا اليه الصدقات
فرجع وتنكير الفاسق والنبا للتعميم وفي تعليق الامر بالتبين على فسق المخبر جواز قبول العدل من
حيث ان المعلق على شيء بكلمة ان عدم عند عدمه وان خبر الواحد العدل لو وجب تبينه من حيث هو
كذلك لما رتب على الفسق اذ الترتيب يفيد التعليل وما بالذات لا يعلل بالغير وقرا حمزة والكسائي
فتثبتوا اي فتوقفوا الى ان يتبين لكم الحال **ان تصيبوا** كراهة اصابتكم **قوما بجهالة** جاهلين بحالهم
فتصبحوا فتصيروا **على ما فعلتم نادمين** مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع وتركيب هذه
الاحرف الثلاثة دائرة مع الدوام **واعلموا ان فيكم رسول الله** ان بما في حيزه ساد مسد مفعولي
اعلموا باعتبار ما قيد به من الحال وهو قوله **لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم** فانه حال من احد
الضميري فيكم ولو جعل استئنافا لم يظهر للامر فائدة والمعنى ان فيكم رسول الله على حال يجب تغييرها وهو انكم

الموجبين للثناء والثواب والاسعاف بالمسؤول اذ روي انهم وفدوا شافعين في اساري بني العنبر فاطلق النصف وفادى النصف **والله غفور رحيم** حيث اقتصر على النصح والتقريع لهؤلاء المسيئين الادب التاركين تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم

تريدون

تريدون ان يتبع رايكم في الحوادث ولو فعل ذلك لعنتم اي لوقعتم في الجهد من العنت وفيه اشعار بان
بعضهم اشار عليه بالايقاع ببني المصطلق وقوله **ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم**
وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان استدراك ببيان عذرهم وهو انهم من فرط حبهم للايمان
وكراهتهم للكفر حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد او بصفة من لم يفعل ذلك منهم احمادا لفعلهم وتعريضا
بذم من فعل ويؤيده قوله **اولئك هم الراشدون** اي اولئك المستثنون هم الذين اصابوا الطريق السوي
وكره متعد بنفسه الى مفعول واحد فاذا شدد زاد له اخر لكنه لما تضمن معنى التبغيض نزل اليكم
منزلة مفعول اخر والكفر تغطية نعم الله بالجحود والفسوق الخروج عن القصد والعصيان الامتناع
عن الانقياد **فضلا من الله ونعمة** تعليل لكره او حبب وما بينهما اعتراض لا للراشدين فان الفضل فعل
الله والرشد وان كان مسببا عن فعله مسند الى ضميرهم او مصدر لغير فعله فان التحبيب والرشد فضل من
الله وانعام **والله عليم** باحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل **حكيم** حين يفضل وينعم بالتوفيق عليهم
وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فان كل طائفة جمع **فاصلحوا بينهما**
بالنصح والدعاء الى حكم الله **فان بغت احداهما على الاخرى** تعدت عليها **فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء**
الى امر الله ترجع الى حكمه او ما امر به وانما اطلق الفيء على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس والغنيمة لرجوعها
من الكفار الى المسلمين **فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل** بفصل ما بينهما على ما حكم الله وتقييد الاصلاح
بالعدل ههنا لانه مظنة الحيف من حيث انه بعد المقاتلة **واقسطوا** واعدلوا في كل الامور **ان الله يحب المقسطين**
يحمد فعلهم بحسن الجزاء والاية نزلت في قتال حدث بين الاوس والخزرج في عهده صلى الله عليه وسلم بالسعف
والنعال وهو يدل على ان الباغي مؤمن وانه اذا قبض عن الحرب ترك كما جاء في الحديث لانه فيء الى امر الله وانه
يجب معاونة من بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة **انما المؤمنون اخوة** من حيث انهم
منتسبون الى اصل واحد وهو الايمان الموجب للحياة الابدية وهو تعليل وتقرير للامر بالاصلاح ولذلك كرره
مرتبا عليه بالفاء فقال **فاصلحوا بين اخويكم** ووضع الظاهر موضع الضمير مضافا الى المامورين للمبالغة في التقرير
والتحضيض وخص الاثنين بالذكر لانهما اقل من يقع بينهما الشقاق وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج
وقرئ بين اخوتكم واخوانكم **واتقوا الله** في مخالفة حكمه والاهمال فيه **لعلكم ترحمون** على تقواكم **يا ايها**
الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا
منهن اي لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض اذ قد يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر والقوم مختص
بالرجال لانه اما مصدر نعت به فشاع في الجمع او جمع لقائم كزائر وزور والقيام بالامور وظيفة الرجال
كما قال الرجال قوامون على النساء وحيث فسر بالقبيلين كقوم عاد وفرعون فاما على التغليب او الاكتفاء
بذكر الرجال عن ذكرهن لانهن توابع واختيار الجمع لان السخرية تغلب في المجامع وعسى باسمها استئناف
بالعلة الموجبة للنهي ولا خبر لها لاغناء الاسم عنه وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فهي على هذا
ذات خبر **ولا تلمزوا انفسكم** ولا يعب بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلمزون
به فان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرا يعقوب بالضم **ولا تنابزوا**
بالالقاب ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز مختص بلقب السوء عرفا **بئس الاسم الفسوق بعد**

اي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسق بعد دخولهم في الايمان او اشتهارهم به والمراد به اما تهجين نسبة الكفر
والفسوق الى المؤمنين خصوصا اذ روي ان الاية نزلت في صفية بنت حيي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
ان النساء يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت ان ابي هرون وعمي موسى وزوجي محمد صلى الله عليه وسلم
او الدلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان مستقبح ومن لم يتب عما نهي عنه فاولئك هم الظالمون
بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن
كونوا على جانب منه وابهام الكثير ليحتاط في كل ظن ويتأمل حتى يعلم انه من اي القبيل فان من الظن
ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله وما يحرم كالظن في الالهيات
والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين وما يباح كالظن في الامور المعاشية ان
بعض الظن اثم تعليل مستأنف للامر والاثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليه والهمزة فيه من
الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها ولا تجسسوا ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس
باعتبار ما فيه من معنى الطلب كالتلمس وقرئ بالحاء من الحس الذي هو اثر الجس وغايته ولذلك
قيل للحواس الجواس وفي الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فان من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته
حتى يفضحه ولو في جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته
وسئل عليه السلام عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبته وان
لم يكن فيه فقد بهته ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا تمثيل لما يناله المغتاب من عرض
المغتاب على افحش وجه مع مبالغات الاستفهام المقرر واسناد الفعل الى احد للتعميم وتعليق
المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل الماكول اخا وميتا
وتعقيب ذلك بقوله فكرهتموه تقريرا وتحقيقا لذلك والمعنى ان صح ذلك او عرض عليكم
هذا فقد كرهتموه ولا يمكنكم انكار كراهته وانتصاب ميتا على الحال من اللحم او الاخ وشدده
هنا نافع واتقوا الله ان الله تواب رحيم لمن اتقى ما نهي عنه وتاب مما فرط منه والمبالغة في
التواب لانه بليغ في قبول التوبة اذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب او لكثرة المتوب عليهم او لكثرة
ذنوبهم روي ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما اداما
وكان اسامة على طعامه فقال ما عندي فاخبرهما فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار
ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما
فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر
وانثى من ادم وحوا او خلقنا كل واحد منكم من اب وام فالكل سواء في ذلك فلا وجه
للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون تقريرا للاخوة المانعة عن الاغتياب وجعلناكم شعوبا
وقبائل الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر
والعمارة تجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة
قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ وعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل
بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر بالاباء والقبائل وقرئ لتعارفوا

بالادغام

بالادغام ولتعارفوا ولتعرفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم فان التقوى بها تكمل النفوس وتتفاضل الاشخاص
فمن اراد شرفا فليلتمس منها كما قال عليه السلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال يا ايها الناس انما الناس
رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ان الله عليم بكم خبير ببواطنكم قالت الاعراب امنا
نزلت في نفر من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدبة فاظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم
جئناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون قل لم تؤمنوا اذ الايمان
تصديق مع ثقة وطمانينة قلب لم يحصل لكم والا لما مننتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاسلام
وترك المقاتلة كما دل عليه اخر السورة ولكن قولوا اسلمنا فان الاسلام انقياد ودخول في السلم واظهار
الشهادة وترك المحاربة يشعر به وكان نظم الكلام ان يقول لا تقولوا امنا ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا
ولكن اسلمتم فعدل عنه الى هذا النظم احترازا من النهي عن القول بالايمان والجزم بالاسلام وقد فقد
شرط اعتباره شرعا ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لقولوا فان نحاله من ضميره اي ولكن قولوا
اسلمنا ولم تواطئ قلوبكم السنتكم بعد وان تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص وترك النفاق لا يلتكم
من اعمالكم لا ينقصكم من اجورها شيئا من لات ليتا اذا نقص وقرا البصريان لا يالتكم من الالت وهو
لغة غطفان ان الله غفور لما فرط من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم انما المؤمنون الذين امنوا بالله
ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة وفيه اشارة
الى ما اوجب نفي الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الايمان ليس حال الايمان
فقط بل وفيما يستقبل فهي كما في قوله ثم استقاموا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك
هم الصادقون الذين صدقوا في ادعاء الايمان قل اتعلمون الله بدينكم اتخبرونه به بقولكم امنا
والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ روي انه لما نزلت
الاية المتقدمة جاؤوا وحلفوا انهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه يمنون عليك ان اسلموا يعدون
... عليك منة وهي النعمة التي لا يستثيب موليها ممن يزلها اليه من المن بمعنى القطع لان المقصود
... حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن قل لا تمنوا علي اسلامكم اي باسلامكم فنصب بنزع
... وتضمين الفعل معنى الاعتداد بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان على ما زعمتم مع ان
الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم بالكسر واذ هداكم ان كنتم صادقين في ادعاء الايمان وجوابه
محذوف يدل عليه ما قبله اي فلله المنة عليكم وفي سياق الاية لطف وهو انهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا
ومنوا به فنفى انه ايمان وسماه اسلاما قال يمنون عليك بما هو في الحقيقة اسلام وليس بجدير ان يمن به بل لو
صح ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية له لا لهم ان الله يعلم غيب السموات والارض ما غاب فيهما
والله بصير بما تعملون في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم وقرا ابن كثير بالياء لما في الاية
من الغيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه والله اعلم

وهي خمس واربعون اية

سورة ق

بسم الله الرحمن الرحيم

ق والقران المجيد الكلام فيه كما مر في ص والقران الذي الذكر والمجيد ذو المجد والشرف على سائر الكتب او لانه

كلام المجيد ولان من علم معانيه وامتثل احكامه مجد **بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم** انكار لتعجبهم
وهذا اشارة الى اختيار الله محمدا صلى الله عليه وسلم للرسالة وذكر بهم ثم اظهاره للاشعار بتعينهم
لهذا المقال ثم التسجيل على كفرهم بذلك او عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة والمبالغة
فيه بوضع الظاهر موضع المضمر وحكاية تعجبهم مبهما او مجملا ان كانت الاشارة الى مبهم يفسره
ما بعده وان كانت الاشارة الى محذوف دل عليه منذر وقيل بعينه او مفصله لانه ادخل في الانكار
اذ الاول استبعاد لان يفضل عليهم مثلهم والثاني استقصار لقدرة الله على ما هو اهون مما يشاهدون
من صنعه **ائذا متنا وكنا ترابا** اي انرجع اذا متنا وصرنا ترابا ويدل على المحذوف قوله **ذلك رجع
بعيد** اي بعيد عن الوهم او العادة او الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع **قد علمنا ما تنقص الارض منهم**
ما تاكل من اجسادهم رد لاستبعادهم بازاحة ما هو الاصل فيه وقيل انه جواب القسم واللام
محذوف لطول الكلام **وعندنا كتاب حفيظ** حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ عن التغير والمراد اما
تمثيل علمه بتفاصيل الاشياء بعلم من عنده كتاب محفوظ يطالعه او تاكيد لعلمه بها بثبوتها في
اللوح المحفوظ عنده **بل كذبوا بالحق** يعني النبوة الثابتة بالمعجزات او النبي صلى الله عليه وسلم او القران
لما جاءهم وقرئ لما بالكسر **فهم في امر مريج** مضطرب من مرج الخاتم في اصبعه اذا خرج وذلك قولهم
تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه كاهن **افلم ينظروا** حين كفروا بالبعث **الى السماء فوقهم**
الى اثار قدرة الله في خلق العالم **كيف بنيناها** رفعناها بلا عمد **وزيناها** بالكواكب **وما لها من
فروج** فتوق بان خلقها ملسا متلاصقة الطباق **والارض مددناها** بسطناها **والقينا فيها رواسي**
جبالا ثوابت **وانبتنا فيها من كل زوج** من كل صنف **بهيج** حسن **تبصرة وذكرى لكل عبد منيب** راجع الى ربه
متفكر في بدايع صنعه وهما علتان للافعال المذكورة معنى وان نصبا على الفعل الاخير **ونزلنا
من السماء ماء مباركا** كثير المنافع **فانبتنا به جنات** اشجارا واثمارا **وحب الحصيد** وحب الزرع
الذي من شانه ان يحصد كالبر والشعير **والنخل باسقات** طوالا او حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت
فيكون من افعل فهو فاعل وافرادها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها وقرئ باصقات لاجل
لها طلع نضيد منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة ما فيها من الثمر **رزقا للعباد**
علة لانبتنا او مصدر فان الانبات رزق **واحيينا به** بذلك الماء **بلدة ميتا** ارضا جدبة لا نما
فيها **كذلك الخروج** كما حييت هذه البلدة يكون خروجكم احياء بعد موتكم **كذبت قبلهم قوم نوح
واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون** اراد اياه وقومه ليلايم ما قبله وما بعده **واخوان لوط**
ولعله سماهم كذلك لانهم كانوا اصهاره **واصحاب الايكة وقوم تبع** سبق في الحجر والدخان **كل كذب الرسل** اي
كل واحد او قوم منهم او جميعهم وافراد الضمير لافراد لفظه **فحق وعيد** فوجب وحل عليهم وعيدي
وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم **افعيينا بالخلق الاول** افعجزنا عنه عن الابداء حتى نعجز عن
الاعادة من عيي بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة فيه للانكار **بل هم في لبس من خلق جديد** اي هم
لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول بل هم في خلط وشبهة في خلق مستانف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير
الخلق الجديد لتعظيم شانه والاشعار بانه على وجه غير متعارف ولا معتاد **ولقد خلقنا الانسان ونعلم**

ما توسوس به نفسه ما تحدثه به وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفي ومنه وسواس الحلي والضمير لما
ان جعلت موصولة والباء مثلها في صوت بكذا او للانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدية **ونحن اقرب
اليه من حبل الوريد** اي ونحن اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد تجوز بقرب الذات لقرب
العلم لانه موجبه وحبل الوريد مثل في القرب قال والموت ادنى لي من الوريد والحبل العرق واضافته
للبيان والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الراس
اليه وقيل سمي وريدا لان الروح ترده **اذ يتلقى المتلقيان** مقدر باذكر ومتعلق باقرب اي هو اعلم
بحاله من كل قريب حين يتلقى اي يتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بانه غني عن استحفاظ
الملكين فانه اعلم منهما ومطلع على ما يخفى عليهما لكنه لحكمة اقتضته وهي ما فيه من تشديد تثبط
العبد عن المعصية وتاكيد في اعتبار الاعمال وضبطها للجزاء والزام للحجة يوم يقوم الاشهاد **عن
اليمين وعن الشمال قعيد** اي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد اي مقاعد كالجليس فحذف الاول لدلالة
الثاني عليه كقوله فاني وقيار بها لغريب وقد يطلق الفعيل للواحد والمتعدد كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير
ما يلفظ من قول ما يرمي به من فيه **الا لديه رقيب** ملك يرقب عمله **عتيد** حاضر ولعله يكتب عليه ما فيه
ثواب او عقاب وفي الحديث كاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا
واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر **وجاءت سكرة
الموت بالحق** لما ذكر استبعادهم البعث للجزاء وازاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه اعلمهم بانهم يلاقون
ذلك عن قريب عند الموت وقيام الساعة ونبه على اقترابه بان عبر عنه بلفظ الماضي وسكرة الموت شدته
الذاهبة بالعقل والباء للتعدية كما في قولك جاء زيد بعمرو والمعنى واحضرت سكرة الموت حقيقة الامر
او الموعود الحق او الحق الذي ينبغي ان يكون من الموت او الجزاء فان الانسان خلق له او مثل الباء في تنبت
بالدهن وقرئ سكرة الموت بالحق على انها لشدتها اقتضت الزهوق او لاستعقابها له كانها
جاءت به او على ان الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله واضافتها اليه للتهويل وقرئ سكرات الموت
ذلك اي الموت **ما كنت منه تحيد** تميل وتنفر عنه والخطاب للانسان **ونفخ في الصور** يعني نفخة البعث
ذلك يوم الوعيد اي وقت ذلك يوم تحقق الوعيد وانجازه والاشارة الى مصدر نفخ **وجاءت
كل نفس معها سائق وشهيد** ملكان احدهما يسوقه والاخر يشهد بعمله او ملك جامع للوصفين وقيل
السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد جوارحه
واعماله ومحل معها النصب على الحال من كل لاضافته الى ما هو في حكم المعرفة **لقد كنت في غفلة من
هذا** على اضمار القول والخطاب لكل نفس اذ ما من احد الا وله اشتغال ما عن الاخرة او للكافر
فكشفنا عنك غطاءك الغطاء الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات
والالف بها وقصور النظر عليها **فبصرك اليوم حديد** نافذ لزوال المانع للابصار وقيل الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى كنت في غفلة من امر الديانة فكشفنا غطاء الغفلة بالوحي وتعليم
القران فبصرك اليوم حديد ترى ما لا يرون وتعلم ما لا يعلمون ويؤيد الاول قراءة من كسر التاء
والكافات على خطاب النفس **وقال قرينه** وقال الملك الموكل عليه **هذا ما لدي عتيد** هذا ما هو مكتوب

عتيد حاضر لدي او الشيطان الذي قيض له هذا ما عندي وفي ملكي عتيد لجهنم هيأته لها باغوائي له واضلالي
وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فبدلها او خبر بعد خبر او خبر محذوف القيا
في جهنم كل كفار خطاب من الله للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار او لواحد وتثنية الفاعل
منزلة منزلة تثنية الفعل وتكريره كقوله فان تزجراني يا ابن عفان انزجر وان تدعاني احم عرضا ممنعا
او الالف بدل من نون التاكيد اجرآ للوصل مجرى الوقف ويؤيده انه قرئ القين بالنون الخفيفة
عنيد معاند للحق مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان
الاية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني اخيه عنه معتد متعد مريب شاك في الله وفي دينه
الذي جعل مع الله الها اخر مبتدأ متضمن معنى الشرط وخبره فالقياه في العذاب الشديد او بدل
من كل كفار فيكون فالقياه تكريرا للتوكيد او مفعول لمضمر يفسره فالقياه قال قرينه اي الشيطان المقيض له
وانما استؤنفت كما استؤنفت الجمل الواقعة في حكاية التقاول فانه جواب لمحذوف دل عليه ربنا ما اطغيته كان الكافر
قال هو اطغاني فقال قرينه ربنا ما اطغيته بخلاف الاولى فانها واجبة العطف على ما قبلها للدلالة
على الجمع بين مفهوميهما في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ولكن كان في ضلال بعيد فاعنته
عليه فان اغواء الشيطان انما يؤثر فيمن كان مختل الرأي مائلا الى الفجور كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لي قال اي الله لا تختصموا لدي اي في موقف الحساب فانه لا فائدة فيه وهو استئناف مثل الاول
وقد قدمت اليكم بالوعيد على الطغيان في كتبي وعلى السنة رسلي فلم يبق لكم حجة وهو حال فيه تعليل للنهي
اي لا تختصموا عالمين باني اوعدتكم والباء مزيدة او معدية على ان قدم بمعنى تقدم ويجوز ان يكون بالوعيد
حالا والفعل واقعا على قوله ما يبدل القول لدي اي بوقوع الخلف فيه فلا تطمعوا ان ابدل وعيدي وعفو بعض
المذنبين لبعض الاسباب ليس من التبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد وما انا بظلام للعبيد فاعذب
من ليس لي تعذيبه يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد سؤال وجواب جيء بهما للتخييل والتصوير
والمعنى انها مع اتساعها تطرح فيها الجنة والناس فوجا فوجا حتى تمتلئ لقوله لاملأن او انها من السعة
بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ او انها من شدة زفيرها وحدتها وتشبثها بالعصاة كالمستكثر لهم
او الطالب لزيادتهم وقرأ نافع وابو بكر يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمحيد او مفعول كالمبيع ويوم مقدر
باذكر او ظرف لنفخ فيكون ذلك اشارة اليه فلا يفتقر الى تقدير مضاف وازلفت الجنة للمتقين قربت
لهم غير بعيد مكانا غير بعيد ويجوز ان يكون حالا وتذكيره لانه صفة محذوف اي شيئا غير بعيد او على زنة المصدر
او لان الجنة بمعنى البستان هذا ما توعدون على اضمار القول والاشارة الى الثواب او مصدر ازلفت
وقرأ ابن كثير بالياء لكل اواب رجاع الى الله بدل من المتقين باعادة الجار حفيظ حافظ لحدوده
من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب بدل بعد بدل او بدل من موصوف اواب ولا يجوز ان يكون في حكمه لان من
لا يوصف به او مبتدأ خبره ادخلوها على تأويل يقال لهم ادخلوها فان من بمعنى الجمع وبالغيب حال من الفاعل او
صفة لمصدر اي خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب او العقاب بعد غيب عن الاعين
لا يراه احد وتخصيص الرحمن للاشعار بانهم رجوا رحمته وخافوا عذابه او بانهم يخشون مع علمهم بسعة رحمته
ووصف القلب بالانابة اذ الاعتبار برجوعه الى الله بسلام سالمين من العذاب وزوال النعم او مسلما عليكم من الله

وملايكة

كما يستانف

وملائكته ذلك يوم الخلود يوم تقدير الخلود كقوله فادخلوها خالدين لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد وهو
ما لا يخطر ببالهم مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وكم اهلكنا قبلهم قبل قومك من قرن هم
اشد منهم بطشا قوة كعاد وفرعون فنقبوا في البلاد فخرقوا في البلاد وتصرفوا فيها او جالوا في الارض كل
مجال حذر الموت فالفاء على الاول للتسبيب وعلى الثاني لمجرد التعقيب واصل التنقيب التنقير عن الشيء
والبحث عنه هل من محيص اي لهم من الله او الموت وقيل الضمير في نقبوا لاهل مكة اي ساروا في اسفارهم
في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يتوقعوا مثله لانفسهم ويؤيده انه قرئ فنقبوا على الامر وقرئ فنقبوا
بالكسر من النقب وهو ان ينتقب خف البعير اي اكثروا السير حتى نقبت اقدامهم او اخفاف مراكبهم ان
في ذلك فيما ذكر في هذه السورة لذكرى لمن كان له قلب اي قلب واع يتفكر في حقائقه او القى السمع
او اصغى لاستماعه وهو شهيد حاضر بذهنه ليفهم معانيه او شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره وينزجر
بزواجره وفي تنكير القلب وابهامه تفخيم واشعار بان كل قلب لا يتفكر ولا يتدبر ولقد خلقنا السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام مر تفسيره مرارا وما مسنا من لغوب من تعب واعياء وهو رد لما زعمت
اليهود من انه تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى
على العرش فاصبر على ما يقولون ما يقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم بلا
اعياء قدر على بعثهم والانتقام منهم او ما يقول اليهود من الكفر والتشبيه وسبح بحمد ربك ونزهه
عن العجز عما يمكن والوصف بما يوجب التشبيه حامدا له على ما انعم عليك من اصابة الحق وغيرها قبل طلوع
الشمس وقبل الغروب يعني الفجر والعصر وقد عرفت فضيلة الوقتين ومن الليل فسبحه وسبحه بعض الليل
وادبار السجود واعقاب الصلاة جمع دبر من ادبرت الصلاة اذا انقضت وقرأ الحجازيان وحمزة وخلف
بالكسر وقيل المراد بالتسبيح الصلاة فالصلاة قبل طلوع الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل
العشاءان والتهجد وادبار السجود النوافل بعد المكتوبات وقيل الوتر بعد العشاء واستمع لما اخبرك
به من احوال القيامة وفيه تهويل وتعظيم للمخبر به يوم يناد المنادي اسرافيل او جبريل عليهما السلام فيقول
ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء
من مكان قريب بحيث يصل نداؤه الى الكل على سواء ولعله في الاعادة نظير كن في الابداء ويوم نصب بما
دل عليه يوم الخروج يوم يسمعون الصيحة بدل منه والصيحة النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والمراد
به البعث للجزاء ذلك يوم الخروج من القبور وهو من اسماء يوم القيامة وقد يقال للعيد انا نحن نحيي ونميت في الدنيا
والينا المصير للجزاء في الاخرة يوم تشقق تتشقق وقرئ تشقق وقرئ يشقق وقرأ عاصم وحمزة والكسائي
وخلف وابو عمرو بتخفيف الشين الارض عنهم سراعا مسرعين ذلك حشر بعث وجمع علينا يسير هين وتقديم
الظرف للاختصاص فان ذلك لا يتيسر الا على العالم القادر لذاته الذي لا يشغله شان عن شان كما قال
ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة نحن اعلم بما يقولون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم وما
انت عليهم بجبار بمسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت داع فذكر بالقرآن من يخاف
وعيد فانه لا ينتفع به غيره عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

سورة والذاريات مكية وآيها ستون آية بسم الله الرحمن الرحيم

الدنيا

والذاريات ذروا يعني الرياح تذروا التراب وغيره او النسا الولود فانهن تذرين الاولاد او الاسباب
التي تذري الخلايق من الملايكة وغيرهم وقرا ابو بكر وحمزة والكسايي بادغام التا في الذال فالحاملات
وقرا فالسحب الحاملة للامطار او الرياح الحاملة للسحاب او النسا الحوامل او اسباب ذلك وقري وقرا
على تسمية المحمول بالمصدر فالجاريات يسرا فالسفن الجارية في البحر سهلا او الرياح الجارية في مهابها
او الكواكب التي تجري في منازلها ويسرا صفة مصدر محذوف او حال اي ميسرا فالمقسمات امرا
الملايكة التي تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او ما يعمهم وغيرها من اسباب القسمة او الرياح
يقسمن الامطار بتصريف السحاب فان حملت على ذوات مختلفة فالفا لترتيب الاقسام بها باعتبار
ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة والا فالفا لترتيب الافعال اذ الريح مثلا تذرو الابخرة
الى الجو حتى تنعقد سحابا فتحمله فتجري به باسطة له الى حيث امرت به فتقسم المطر انما توعدون لصادق
وان الدين لواقع جواب القسم كانه استدل باقتداره على هذه الاشيا العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة
على اقتداره على البعث الموعود وما موصولة او مصدرية والسما ذات الحبك ذات الطرايق والمراد
اما الطرايق المحسوسة التي هي مسير الكواكب او المعقولة التي يسلكها النظار ويتوصل بها الى المعارف
او النجوم فان لها طرايق او انها تزينها كما تزين الموشي طرايق الوشي جمع حبيكة كطريقة وطرق او حباك
كمثال ومثل وقري الحبك بالسكون والحبك كالابل والحبك كالسلك والحبك كالجبل والحباك كالنعم والحبك
كالبرق انكم لفي قول مختلف في الرسول صلى الله عليه وسلم وهو قولهم تارة ساحر وتارة شاعر وتارة
كاهن او في القران او القيامة او امر الديانة ولعل النكتة في هذا القسم تشبيه اقوالهم في اختلافها وتنافي
اغراضها بالطرايق للسموات في تباعدها واختلاف غاياتها يؤفك عنه من افك يصرف عنه الرسول
صلى الله عليه وسلم او القران او الايمان من صرف اذ لا صرف اشد منه فكانه لا صرف بالنسبة اليه او
من صرف في علم الله وقضايه ويجوز ان يكون الضمير للقول على معنى يصدر افك من افك عن القول
المختلف وبسببه كقوله ينهون عن اكل وعن شرب اي يصدر تناهيهم عنهما وبسببهما وقري
افك بالفتح اي من افك الناس وهم قريش كانوا يصدون الناس عن الايمان قتل الخراصون الكذابون
من اصحاب القول المختلف واصله الدعا بالقتل اجري مجرى اللعن الذين هم في غمرة في جهل يغمرهم
ساهون غافلون عما امروا به يسالون ايان يوم الدين اي فيقولون متى يوم الجزا اي وقوعه وقري ايان
بالكسر يوم هم على النار يفتنون يحرقون جواب للسوال اي يقع يوم هم على النار يفتنون اي الجزا يوم هم
على النار يفتنون وفتح يوم لاضافته الى غير متمكن ويدل عليه انه قري بالرفع ذوقوا فتنتكم اي مقولا
لهم هذا القول هذا الذي كنتم به تستعجلون هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون هذا
بدلا من فتنتكم والذي صفته ان المتقين في جنات وعيون اخذين ما اتاهم ربهم قابلين لما اعطاهم
راضين به ومعناه ان كل ما اتاهم حسن مرضي متلقى بالقبول انهم كانوا قبل ذلك محسنين قد احسنوا
اعمالهم وهو تعليل لاستحقاقهم ذلك كانوا قليلا من الليل ما يهجعون تفسير لاحسانهم وما مزيدة اي يهجعون
في طايفة من الليل او يهجعون هجوعا قليلا او مصدرية او موصولة اي في قليل من الليل هجوعهم او ما يهجعون
فيه ولا يجوز ان تكون نافية لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وفيه مبالغات لتقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل

الذي هو

الذي هو وقت السبات والهجوع الذي هو الفرار من النوم وزيادة ما وبالاسحار هم يستغفرون اي انهم
مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم اذا اسحروا اخذوا في الاستغفار كانهم اسلفوا في ليلهم الجرايم وفي بنا
الفعل على الضمير اشعار بانهم احقا بذلك لوفور علمهم بالله وخشيتهم منه وفي اموالهم حق نصيب يستوجبونه
على انفسهم تقربا الى الله واشفاقا على الناس للسايل والمحروم للمستجدي والمتعفف الذي يظن غنيا
فيحرم الصدقة وفي الارض ايات للموقنين اذ فيها دلايل من انواع المعادن والحيوان او وجوه دلالات
من الدحو والسكون وارتفاع بعضها من الما واختلاف اجزايها في الكيفيات والخواص والمنافع تدل
على وجود الصانع وعلمه وقدرته وارادته ووحدته وفرط رحمته وفي انفسكم اي وفي انفسكم ايات
اذ ما في العالم شي الا وفي الانسان له نظير يدل دلالته مع ما انفرد به من الهيات النافعة والمناظر
البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال الغريبة واستنباط الصنايع المختلفة واستجماع
الكمالات المتنوعة افلا تبصرون تنظرون نظر من يعتبر وفي السما رزقكم اسباب رزقكم او تقديره
وقيل المراد بالسما السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات وما توعدون من الثواب لان الجنة فوق
السما السابعة او لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في السما وقيل انه مستانف خبره مثل ما انكم
تنطقون اي مثل نطقكم كما انه لا شك لكم في انكم تنطقون ينبغي ان لا تشكوا في تحقق ذلك ونصبه على
الحال من المستكن في لحق او الوصف لمصدر محذوف اي انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبني على الفتح
لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت بمعنى شي وان بما في حيزها ان جعلت زايدة ومحله الرفع على انه صفة
لحق ويويده قراة حمزة والكسايي وابي بكر بالرفع هل اتاك حديث ضيف ابراهيم فيه تفخيم لشان
الحديث وتنبيه على انه اوحي اليه والضيف في الاصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد والمتعدد
قيل كانوا اثني عشر ملكا وقيل ثلثة جبريل وميكايل واسرافيل وسماهم ضيفا لانهم كانوا
في صورة الضيف المكرمين اي مكرمين عند الله او عند ابراهيم اذ خدمهم بنفسه وزوجته اذ
دخلوا عليه ظرف لحديث او الضيف او المكرمين فقالوا سلاما اي نسلم عليكم سلاما قال
سلام اي عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتدا لقصد الثبات حتى تكون تحيته احسن من تحيتهم
وقريا مرفوعين وقرا حمزة والكسايي قال سلم وقري منصوبا والمعنى واحد قوم منكرون
اي انتم قوم منكرون وانما انكرهم لانه ظن انهم بنو ادم ولم يعرفهم او لان السلام لم يكن تحيتهم
فانه علم الاسلام وهو كالتعرف عنهم فراغ الى اهله فذهب اليهم في خفية من ضيفه فان
من ادب المضيف ان يبادر بالقرى حذرا من ان يكفه الضيف او يصير منتظرا فجا بعجل سمين
لانه كان عامة ماله البقر فقربه اليهم بان وضعه بين ايديهم قال الا تاكلون اي منه وهو
مشعر بكونه حنيذا والهمزة للعرض والحث على الاكل على طريقة الادب ان قاله اول ما
وضعه وللانكار ان قاله حيث ما راى اعراضهم فاوجس منهم خيفة فاضمر منهم
خوفا لما راى اعراضهم عن طعامه لظنه انهم جاوا للشر وقيل وقع في نفسه انهم ملايكة
ارسلوا للعذاب قالوا لا تخف انا رسل الله قيل مسح جبريل العجل بجناحه فقام يدرج حتى

لحق

بأمة تعرفهم ولم تكن منهم وبشروه بغلام هو إسحق عليم يكمل علمه إذا بلغ فأقبلت امرأته سارة
إلى بيتها وكانت تنظر إليهم في صرة في صيحة من الصرير ومحله النصب على الحال أو المفعول إن أول
أقبلت بأخذت فصكت وجهها فلطمت بأطراف الأصابع جبهتها فعل المتعجب وقيل وجدت حرارة
دم الحيض فلطمت وجهها من الحياء وقالت عجوز عقيم أي أنا عجوز عاقر فكيف ألد قالوا
كذلك مثل ذلك الذي بشرنا به قال ربك وإنما نخبرك به عنه إنه هو الحكيم العليم فيكون قوله
حقا وفعله محكما قال فما خطبكم أيها المرسلون لما علم أنهم ملائكة وأنهم لا ينزلون مجتمعين
إلا لأمر عظيم سأل عنه قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين يعنون قوم لوط لنرسل عليهم حجارة
من طين يريد السجيل فإنه طين متحجر مسومة عند ربك مرسلة من أسمت الماشية أو معلمة
من السومة وهي العلامة للمسرفين المجاوزين الحد في الفجور فأخرجنا من كان فيها في
قرى قوم لوط وإضمارها ولم يجر ذكرها لكونها معلومة من المؤمنين ممن آمن بلوط فما
وجدنا فيها غير بيت من المسلمين غير أهل بيت من المسلمين واستدل به على اتحاد الإيمان
والإسلام وهو ضعيف لأن ذلك لا يقتضي إلا صدق المؤمن والمسلم على من اتبعه وذلك لا يقتضي اتحاد
مفهوميهما لجواز صدق المفهومات على ذات واحدة وتركنا فيها آية علامة للذين يخافون العذاب
الأليم فإنهم المعتبرون بها وهي تلك الأحجار أو صخر منضود فيها أو ماء أسود منتن وفي موسى عطف على
وفي الأرض أو وتركنا فيها على معنى وجعلنا في موسى كقوله علفتها تبنا وماء باردا إذ أرسلناه إلى
فرعون بسلطان مبين هو معجزاته كاليد والعصا فتولى بركنه فأعرض عن الإيمان به كقوله ونأى
بجانبه أو فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وهو اسم لما يركن إليه الشيء ويتقوى به وقرئ بضم الكاف
وقال ساحر أي هو ساحر أو مجنون كأنه جعل ما ظهر عليه من الخوارق منسوبا إلى الجن وتردد في أنه
حصل ذلك باختياره وسعيه أو بغيرهما فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فأغرقناهم
في البحر وهو مليم آت بما يلام عليه من الكفر والعناد والجملة حال من الضمير في فأخذناه وفي عاد
إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم سماها عقيما لأنها أهلكتهم وقطعت دابرهم أو لأنها لم تتضمن
منفعة وهي الدبور أو الجنوب أو النكباء ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم كالرماد من
الرم وهو البلى والتفتت وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين تفسيره قوله تعالى تمتعوا في داركم ثلاثة أيام
فعتوا عن أمر ربهم فاستكبروا عن امتثاله فأخذتهم الصاعقة أي العذاب بعد الثلاث وقرئ
الكسائي الصعقة وهي المرة من الصعق وهم ينظرون إليها فإنها جاءتهم معاينة بالنهار فما استطاعوا
من قيام كقوله فأصبحوا في دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم يقوم به إذا عجز عن دفعه وما كانوا منتصرين
ممتنعين منه وقوم نوح أي وأهلكنا قوم نوح لأن ما قبله يدل عليه أو اذكر ويجوز أن يكون عطفا
على محل وفي عاد ويؤيده قراءة أبي عمرو والكسائي بالجر من قبل من قبل هؤلاء المذكورين إنهم كانوا قوما فاسقين
خارجين عن الاستقامة بالكفر والعصيان والسماء بنيناها بأيد بقوة وإنا لموسعون لقادرون
من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الإنفاق أو لموسعون السماء أو ما بينها وبين الأرض أو الرزق

والأرض

والأرض فرشناها مهدناها لتستقروا عليها فنعم الماهدون أي نحن ومن كل شيء من الأجناس خلقنا زوجين
نوعين لعلكم تذكرون فتعلمون أن التعدد من خواص الممكنات وأن الواجب بالذات لا يقبل التعدد
والانقسام ففروا إلى الله من عقابه بالتوحيد والإيمان وملازمة الطاعة إني لكم منه أي من عذابه المعد
لمن أشرك أو عصى نذير مبين بين كونه منذرا من الله بالمعجزات أو مبين ما يجب أن يحذر عنه ولا تجعلوا
مع الله إلها آخر إفراد لأعظم ما يجب أن يفر منه إني لكم منه نذير مبين تكرير للتأكيد والأول
على ترك الإيمان والطاعة والثاني على الإشراك كذلك الأمر مثل ذلك والإشارة إلى تكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم
وتسميتهم إياه ساحرا أو مجنونا وقوله ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون
كالتفسير له ولا يجوز نصبه بأتى أو بما يفسره لأن ما بعد ما النافية لا يعمل فيما قبلها أتواصوا به
أي كأن الأولين والآخرين منهم أوصى بعضهم بعضا بهذا القول حتى قالوه جميعا بل هم قوم طاغون إضراب
عن أن التواصي جامعهم لتباعد أيامهم إلى أن الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم في الطغيان الحامل عليه
فتول عنهم فأعرض عن مجادلتهم بعد ما كررت عليهم الدعوة فأبوا إلا الإصرار والعناد فما أنت بملوم
على الإعراض بعد ما بذلت جهدك في البلاغ وذكر ولا تدع التذكير والموعظة فإن الذكرى تنفع
المؤمنين من قدر الله إيمانه أو من آمن فإنه يزداد بها بصيرة وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون
لما خلقهم على صورة متوجهة إلى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم مغيا بها مبالغة في ذلك ولو حمل على ظاهره
مع أن الدليل يمنعه لنافى ظاهر قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس وقيل معناه إلا لآمرهم
بالعبادة أو ليكونوا عبادا لي ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون أي ما أريد أن أصرفهم في تحصيل
رزقي فاشتغلوا بما أنتم كالمخلوقين له والمأمورين به والمراد أن يبين أن شأنه مع عباده ليس
كشأن السادة مع عبيدهم فإنهم إنما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم ويحتمل أن يقدر بقل
فيكون بمعنى قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إن الله هو الرزاق يرزق كل ما يفتقر إلى الرزق وفيه إيماء
باستغنائه عنه وقرئ إني أنا الرزاق ذو القوة المتين شديد القوة وقرئ بالجر صفة للقوة
فإن للذين ظلموا ذنوبا أي للذين ظلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب نصيبا من العذاب
مثل ذنوب أصحابهم مثل نصيب نظرائهم من الأمم السالفة وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء
بالدلاء فإن الذنوب هو الدلو العظيم المملوء فلا يستعجلون جواب لقولهم متى هذا الوعد إن كنتم صادقين
فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون من يوم القيامة أو يوم بدر عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة والذاريات أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا والله أعلم
وهي تسع أو ثمان وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والطور يريد طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى كلام الله والطور الجبل بالسريانية أو ما طار من
أوج الإيجاد إلى حضيض المواد أو من عالم الغيب إلى عالم الشهادة وكتاب مسطور مكتوب والسطر
ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن أو ما كتبه الله في اللوح المحفوظ أو ألواح موسى أو في قلوب
أوليائه من المعارف والحكم أو ما تكتبه الحفظة في رق منشور الرق الجلد الذي يكتب فيه

استعير لما كتب فيه الكتاب وتنكيره للتعظيم او للاشعار بانهما ليسا من المتعارف فيما بين الناس والبيت
المعمور يعني الكعبة وعمارتها بالحجاج والمجاورين او الضراح وهو في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته
من الملائكة او قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص والسقف المرفوع يعني السماء والبحر المسجور اي المملوء
وهو المحيط او الموقد من قوله واذا البحار سجرت روي ان الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار نارا تسجر بها
نار جهنم او المختلط من السجير وهو الخليط ان عذاب ربك لواقع لنازل ما له من دافع يدفعه ووجه دلالة
الامور المقسم بها على ذلك انها امور تدل على كمال قدرة الله وحكمته وصدق اخباره وضبط اعمال العباد
للمجازاة يوم تمور السماء مورا تضطرب والمور تردد في المجيء والذهاب وقيل تحرك في تموج ويوم ظرف لواقع وتسير
الجبال سيرا اي تسير عن وجه الارض فتصير هباء فويل يومئذ للمكذبين اي اذا وقع ذلك فويل لهم
الذين هم في خوض يلعبون اي في الخوض في الباطل يوم يدعون الى نار جهنم دعا يدفعون اليها
بعنف وذلك بان تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم ويوم بدل من يوم تمور او ظرف
لقول مقدر محكيه هذه النار التي كنتم بها تكذبون اي فيقال لهم ذلك افسحر هذا اي كنتم تقولون
للوحي هذا سحر افهذا المصداق ايضا سحر وتقديم الخبر لانه المقصود بالانكار والتوبيخ ام انتم لا تبصرون
هذه ايضا كما كنتم لا تبصرون في الدنيا ما يدل عليه وهو تقريع وتهكم ام سدت ابصاركم كما سدت في الدنيا
على زعمكم حين قلتم انما سكرت ابصارنا اصلوها فاصبروا او لا تصبروا اي ادخلوها على اي وجه
شئتم من الصبر وعدمه فانه لا محيص لكم عنها سواء عليكم اي الامران الصبر وعدمه انما تجزون ما كنتم تعملون
تعليل للاستواء فانه لما كان الجزاء واجب الوقوع كان الصبر وعدمه سيان في عدم النفع ان المتقين في
جنات ونعيم اي في جنات واي نعيم او في جنات ونعيم مخصوصة بهم فاكهين ناعمين متلذذين
بما آتاهم ربهم وقرئ فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو ووقاهم ربهم عذاب الجحيم عطف
على آتاهم ان جعل ما مصدرية او في جنات او حال باضمار قد من المستكن في الظرف او الحال او من فاعل
آتى او مفعوله او منهما كلوا واشربوا هنيئا بقيد او بدله وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا والمعنى هنأكم
ما كنتم تعملون اي جزاؤه متكئين على سرر مصفوفة مصطفة وزوجناهم بحور عين الباء لما في التزويج
من معنى الالصاق او للسببية اذ المعنى صيرناهم ازواجا بسببهن او لما في التزويج من معنى الالصاق
والقرن ولذلك عطف والذين آمنوا اي على حور اي قرناهم بازواج حور ورفقاء مؤمنين وقيل انه مبتدأ
خبره الحقنا بهم وقوله واتبعناهم ذريتهم بايمان اعتراض للتعليل وقرأ ابن عامر ويعقوب ذرياتهم
للمبالغة في كثرتهم والتصريح بان الذرية تقع على الواحد والكثير وقرأ ابو عمرو واتبعناهم ذرياتهم
اي جعلناهم تابعين لهم في الايمان وقيل بايمان حال من الضمير او الذرية او منهما وتنكيره للتعظيم او الاشعار
بانه يكفي للالحاق المتابعة في اصل الايمان الحقنا بهم ذريتهم في دخول الجنة او الدرجة لما روي انه عليه السلام
قال ان الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية وقرأ نافع وابن عامر
والبصريان ذرياتهم وما ألتناهم وما نقصناهم من عملهم من شيء بهذا الالحاق فانه يحتمل ان يكون بنقص مرتبة
الآباء باعطاء الابناء بعض مثوباتهم ويحتمل ان يكون بالتفضل عليهم وهو اللائق بكمال لطفه وقرأ ابن كثير بكسر
اللام من ألت يألت وعنه لتناهم من لات يليت وآلتناهم من آلت يؤلت وولتناهم من ولت يلت

ومعنى

ومعنى الكل واحد كل امرئ بما كسب رهين بعمله مرهون عند الله تعالى فان عمل صالحا فكها والا
اهلكها وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون اي وزدناهم وقتا بعد وقت ما يشتهون
من انواع التنعم يتنازعون فيها يتعاطون هم وجلساؤهم بتجاذب كاسا خمرا سماها باسم محلها ولذلك
انث الضمير في قوله لا لغو فيها ولا تاثيم اي لا يتكلمون بلغو الحديث في اثناء شربها ولا يفعلون ما يؤثم به
فاعله كما هو عادة الشاربين في الدنيا وذلك مثل قوله لا فيها غول وقرأهما ابن كثير والبصريان بالفتح
ويطوف عليهم اي بالكاس غلمان لهم اي مماليك مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم كانهم
لؤلؤ مكنون مصون في الصدف من بياضهم وصفائهم وعنه صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان فضل
المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب واقبل بعضهم على بعض يتساءلون يسأل بعضهم
بعضا عن احواله واعماله قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين خائفين من عصيان الله معتنين
بطاعته او وجلين من العاقبة فمن الله علينا بالرحمة او بالتوفيق ووقانا عذاب السموم عذاب النار
النافذة في المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد انا كنا من قبل من قبل ذلك في الدنيا ندعوه
نعبده او نسأله الوقاية انه هو البر المحسن الرحيم الكثير الرحمة فذكر فاثبت على التذكير ولا تكترث
بقولهم فما انت بنعمة ربك بحمد ربك وانعامه بكاهن ولا مجنون كما يقولون ام يقولون شاعر
نتربص به ريب المنون ما يقلق النفوس من حوادث الدهر وقيل المنون الموت فعول من منه اذا قطعه
قل تربصوا فاني معكم من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي ام تامرهم احلامهم
عقولهم بهذا بهذا التناقض في القول فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى عقله
والشاعر يكون ذا كلام موزون متسق مخيل ولا يتاتى ذلك من المجنون وامر الاحلام به مجاز عن ادائها
اليه ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد في العناد وقرئ بل هم ام يقولون تقوله اختلقه من تلقاء
نفسه بل لا يؤمنون فيرمون بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم فلياتوا بحديث مثله مثل القرآن ان
كانوا صادقين في زعمهم اذ فيهم كثير ممن عدوا فصحاء فهو رد للاقوال المذكورة بالتحدي ويجوز ان يكون
ردا للتقول فان سائر الاقسام ظاهر الفساد ام خلقوا من غير شيء ام احدثوا وقدروا من غير محدث
ومقدر فلذلك لا يعبدونه او من اجل لا شيء من عبادة ومجازاة ام هم الخالقون يؤيد الاول فان معناه
ام خلقوا انفسهم ولذلك عقبه بقوله ام خلقوا السموات والارض وام في هذه الآية منقطعة ومعنى
الهمزة فيها الانكار بل لا يوقنون اذا سئلوا من خلقكم ومن خلق السموات والارض قالوا الله اذ لو تيقنوا
ذلك لما اعرضوا عن عبادته ام عندهم خزائن ربك خزائن رزقه حتى يرزقوا النبوة من شاءوا او خزائن
علمه حتى يختاروا لها من اختاره حكمته ام هم المسيطرون الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف
شاءوا ام لهم سلم مرتقى الى السماء يستمعون فيه صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم
الغيب حتى يعلموا ما هو كائن فليات مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماعه ام له
البنات ولكم البنون فيه تسفيه لهم واشعار بان من هذا رايه لا يعد من العقلاء فضلا ان يترقى
بروحه الى عالم الملكوت فيطلع على الغيوب ام تسالهم اجرا على تبليغ الرسالة فهم من مغرم من التزام
غرم مثقلون محملون الثقل فلذلك زهدوا في اتباعك ام عندهم الغيب اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات

فهم يكتبون منه ام يريدون كيدا وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله صلى الله عليه وسلم فالذين كفروا
يحتمل العموم والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير للتسجيل على كفرهم والدلالة على انه الموجب للحكم المذكور
هم المكيدون هم الذين يحيق بهم الكيد ويعود عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر او المغلوبون
في الكيد من كايدته فكدته ام لهم اله غير الله يعينهم ويحرسهم من عذابه سبحان الله عما يشركون عن اشراكهم
او عن شركة ما يشركونه به وان يروا كسفا قطعة من السماء ساقطا يقولوا من فرط طغيانهم
وعنادهم سحاب مركوم هذا سحاب تراكم بعضها فوق بعض وهو جواب قولهم فاسقط علينا كسفا من السماء
فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون وهو عند النفخة الاولى وقرئ يلقوا وقرا ابن عامر وعاصم
يصعقون على المبني للمفعول من صعقه او اصعقه يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا اي شيئا من الاغناء
في رد العذاب ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله وان للذين ظلموا يحتمل العموم والخصوص عذابا دون
ذلك اي دون عذاب الاخرة وهو عذاب القبر او المؤاخذة في الدنيا كقتلهم ببدر والقحط سبع سنين ولكن
اكثرهم لا يعلمون واصبر لحكم ربك بامهالهم وابقائك في عنائهم فانك باعيننا في حفظنا بحيث نراك
ونكلؤك وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة بكثرة اسباب الحفظ وسبح بحمد ربك حين تقوم من اي
مكان قمت او من منامك او الى الصلاة ومن الليل فسبحه فان العبادة فيه اشق على النفس وابعد عن الرياء
ولذلك افرده بالذكر وقدمه على الفعل وادبار النجوم واذا ادبرت النجوم من اخر الليل وقرئ بالفتح اي
في اعقابها اذا غربت او خفيت وعنه عليه الصلاة والسلام من قرا سورة الطور كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان
ينعمه في جنته

واىها احدى او اثنان وستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

والنجم اذا هوى اقسم بجنس النجوم او الثريا فانه غلب فيه اذا غرب او انتثر يوم القيامة او انقض او طلع
فانه يقال هوى هويا بالفتح اذا سقط وغرب وهويا بالضم اذا علا وصعد او بالنجم من نجوم القران اذا نزل
او النبات اذا سقط على الارض او اذا نما وارتفع على قوله ما ضل صاحبكم ما عدل محمد عن الطريق المستقيم
والخطاب لقريش وما غوى وما اعتقد باطلا والمراد نفي ما ينسبون اليه وما ينطق عن الهوى وما يصدر
نطقه بالقران عن الهوى ان هو ما القران او الذي ينطق به الا وحي يوحى الا وحي يوحيه الله اليه
واحتج به من لم ير الاجتهاد له واجيب عنه بانه اذا اوحي اليه بان يجتهد كان اجتهاده وما يستند اليه وحيا وفيه
نظر لان ذلك حينئذ يكون بالوحي لا الوحي علمه شديد القوى ملك شديد قواه وهو جبريل عليه السلام فانه الواسطة
في ابداء الخوارق روي انه قلع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين
ذو مرة حصافة في عقله ورايه فاستوى فاستقام على صورته الحقيقية التي خلقه الله تعالى عليها قيل
ما راه احد من الانبيا في صورته غير محمد صلى الله عليه وسلم مرتين مرة في السماء ومرة في الارض وقيل استوى بقوته
على ما جعل له من الامر وهو بالافق الاعلى افق السماء والضمير لجبريل ثم دنا من النبي صلى الله عليه وسلم فتدلى
فتعلق به وهو تمثيل لعروجه صلى الله عليه وسلم وقيل ثم تدلى من الافق الاعلى فدنا من الرسول صلى الله عليه وسلم
فيكون اشعارا بانه عرج به غير منفصل عن محله وتقريرا لشدة قوته فان التدلي استرسال
مع تعلق كتدلي الثمرة ويقال دلى رجله من السرير وادلى دلوه والدوالي الثمر المعلق فكان

نراك

جبريل

جبريل كقولك مني معقد الازار او المسافة بينهما قاب قوسين مقدارهما او ادنى على تقديركم كقوله
او يزيدون والمقصود تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما اوحي اليه بنفي البعد الملتبس فاوحى الى
عبده جبريل الى عبد الله واضماره قبل الذكر لكونه معلوما كقوله على ظهرها ما اوحى جبريل وفيه
تفخيم للموحى به او الله اليه وقيل الضمائر كلها لله تعالى وهو المعني بشديد القوى كما في قوله هو الرزاق
ذو القوة المتين ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه بشراشره الى جناب القدس ما كذب الفؤاد
ما راى ما راى ببصره من صورة جبريل او الله تعالى اي ما كذب بصره بما حكاه له فان الامور القدسية
تدرك اولا بالقلب ثم ينتقل منه الى البصر او ما قال فؤاده لما راه لم اعرفك ولو قال ذلك كان كاذبا
ويدل عليه انه عليه السلام سئل هل رايت ربك فقال رايته بفؤادي وقرئ ما كذب اي صدقه ولم يشك
فيه افتمارونه على ما يرى افتجادلونه عليه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مري الناقة كان كلا
من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرا حمزة والكسائي وخلف ويعقوب افتمرونه اي افتغلبونه
في المراء من ماريته فمريته او افتجحدونه من مراه حقه اذا جحده وعلى لتضمين الفعل معنى الغلبة
فان الماري والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم ولقد راه نزلة اخرى مرة اخرى فعلة من
النزول اقيمت مقام المرة ونصبت نصبها اشعارا بان الرؤية في هذه المرة كانت ايضا بنزول ودنو
والكلام في المرئي والدنو ما سبق وقيل تقديره ولقد راه نازلا نزلة اخرى ونصبها على المصدر والمراد
به نفي الريبة عن المرة الاخيرة عند سدرة المنتهى التي ينتهي اليها علم الخلائق واعمالهم او ما ينزل من
فوقها ويصعد من تحتها ولعلها شبهت بالسدرة وهي شجرة النبق لانهم يجتمعون في ظلها وروي
مرفوعا انها في السماء السابعة عندها جنة الماوى الجنة التي ياوي اليها المتقون او ارواح الشهداء
اذ يغشى السدرة ما يغشى تعظيم وتكثير لما يغشاها بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها عدد
وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها ما زاغ البصر ما زاغ بصر رسول الله
صلى الله عليه وسلم عما راه وما طغى وما تجاوزه بل اثبته اثباتا صحيحا مستيقنا او ما عدل عن
رؤية العجائب التي امر برؤيتها وما جاوزها لقد راى من ايات ربه الكبرى اي والله لقد راى
الكبرى من اياته وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقيل انها المعنية بما راى
ويجوز ان تكون الكبرى صفة للايات على ان المفعول محذوف اي شيئا من ايات ربه او من مزيده
افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى هي اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف
بالطائف او لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها اي يعطفون وقرا هبة الله
عن البزي ورويس عن يعقوب اللات بالتشديد على انه سمي به لانه صورة رجل كان يلت السويق بالسمن
ويطعم الحاج والعزى سمرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن
الوليد فقطعها واصلها تانيث الاعز ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة او لثقيف وهي فعلة
من مناه فانهم كانوا يذبحون عندها القرابين ومنه منى وقرئ مناءة وهي مفعلة من النوء كانهم يستمطرون
الانواء عندها تبركا بها وقوله الثالثة الاخرى صفتان للتاكيد كقوله يطير بجناحيه او الاخرى
من التاخر في الرتبة الكم الذكر وله الانثى انكار لقولهم الملائكة بنات الله وهذه الاصنام استوطنها

جبريل

لانه عرفه بقلبه كما راه ببصره وقيل ما راه بقلبه والمعنى لم يكن تخيلا كاذبا

عدل عن

اذا قطعه

جنيات هن بناته او هياكل الملائكة وهو المفعول الثاني لقوله افرايتم **تلك اذا قسمة ضيزى** جائرة حيث
جعلتم له ما تستنكفون منه وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه ليسلم الياء كما فعل في بيض فان
فعلى بالكسر لم يات وصفا وقرا ابن كثير بالهمز من ضازه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به **ان هي الا اسماء**
الضمير للاصنام اي ما هي باعتبار الالوهية او للصفة التي تصفونها بها من كونها الهة وبناتا وشفعاء
او للاسماء المذكورة فانهم كانوا يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها
والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم انها تستحق ان يتقرب اليها بالقرابين **سميتموها انتم واباؤكم**
سميتم بهواكم **ما انزل الله بها من سلطان** برهان يتعلقون به **ان يتبعون** وقرئ بالياء **الا الظن**
الا توهم ان ما هم عليه حق تقليدا او توهما باطلا **وما تهوى الانفس** وما تشتهيه انفسهم **ولقد جاءهم من ربهم**
الهدى الرسول صلى الله عليه وسلم او الكتاب فتركوه **ام للانسان ما تمنى** ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار
والمعنى ليس له كل ما يتمناه والمراد نفي طمعهم في شفاعة الالهة وقولهم لئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى
وقولهم لولا انزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وغيرها **فلله الاخرة والاولى** يعطي منهما ما يشاء
لمن يريد وليس لاحد ان يتحكم عليه في شيء منهما **وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا** وكثير من الملائكة
لا تغني شفاعتهم شيئا ولا تنفع **الا من بعد ان ياذن الله** في الشفاعة **لمن يشاء** من الملائكة ان تشفع او من
الناس ان يشفع له **ويرضى** ويراه اهلا للشفاعة فكيف تشفع الاصنام لعبدتهم **ان الذين لا يؤمنون بالاخرة**
ليسمون الملائكة اي كل واحد منهم **تسمية الانثى** بان سموه بنتا **وما لهم به من علم** اي بما يقولون وقرئ
بها اي بالملائكة او بالتسمية **ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا** فان الحق الذي هو
حقيقة الشيء لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتبار له في المعارف الحقيقية وانما العبرة به في العمليات وما
يكون وصلة اليها **فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا** فاعرض عن دعوته
والاهتمام بشانه فان من غفل عن الله واعرض عن ذكره وانهمك في الدنيا بحيث كانت همته
ومبلغ علمه لا تزيده الدعوة الا عنادا واصرارا على الباطل **ذلك** اي امر الدنيا او كونها شهية
مبلغهم من العلم لا يتجاوزه علمهم والجملة اعتراض مقرر لقصور هممهم بالدنيا وقوله
ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى تعليل للامر بالاعراض اي انما
يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب فلا تتعب نفسك في دعوتهم اذ ما عليك الا البلاغ وقد
بلغت **ولله ما في السموات وما في الارض** خلقا وملكا **ليجزي الذين اساءوا بما عملوا** بعقاب ما عملوا
من السوء او بمثله او بسبب ما عملوا من السوء وهو علة لما دل عليه ما قبله اي خلق العالم وسواه
للجزاء او ميز الضال عن المهتدي وحفظ احوالهم لذلك **ويجزي الذين احسنوا بالحسنى** بالمثوبة
الحسنى وهي الجنة او باحسن من اعمالهم او بسبب الاعمال الحسنى **الذين يجتنبون كبائر الاثم**
ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب الوعيد عليه بخصوصه وقيل ما اوجب عليه الحد وقرا
حمزة والكسائي وخلف كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك **والفواحش** ما فحش من الكبائر
الا اللمم الا ما قل وصغر فانه مغفور من مجتنبي الكبائر والاستثناء منقطع ومحل الذين النصب
على الصفة او المدح او الرفع على انه خبر محذوف **ان ربك واسع المغفرة** حيث يغفر الصغائر

او ما هي باعتبار الصفة الا اسماء
او ما هي باعتبار الالوهية الا اسماء تطلقونها عليها لانكم تقولون انها الهة وليس فيها شيء من المعنى الالوهية صح

ممن اهتدى ع

باجتناب الكبائر

باجتناب الكبائر وله ان يغفر ما يشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعله عقب به وعيد
المسيئين ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب على الله
هو اعلم بكم اعلم باحوالكم منكم **اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم**
علم احوالكم ومصارف اموركم حين ابتدا خلقكم من التراب بخلق ادم وحيث ما صوركم في الارحام صح
فلا تزكوا انفسكم فلا تثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة الخير او بالطهارة عن المعاصي
والرذائل **هو اعلم بمن اتقى** فانه يعلم التقي وغيره قبل ان يخرجكم من صلب ادم **افرايت**
الذي تولى عن اتباع الحق والثبات عليه **واعطى قليلا واكدى** وقطع العطاء من قولهم
اكدى الحافر اذا بلغ الكدية وهي الصخرة الصلبة فترك الحفر والاكثر انها نزلت
في الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بعض المشركين وقال
تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب
ان اعطاه بعض ماله فارتد واعطى بعض المشروط ثم بخل بالباقي **اعنده علم الغيب فهو**
يرى يعلم ان صاحبه يتحمل عنه **ام لم ينبا بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى**
وفر واتم ما التزمه او امر به او بالغ في الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله
ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى اتاه جبريل حين يلقى في النار فقال الك حاجة فقال
اما اليك فلا وذبح الولد وانه كان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه
والا نوى الصوم وتقديم موسى لان صحفه وهي التوراة كانت اشهر واكثر عندهم **الا**
تزر وازرة وزر اخرى ان هي المخففة من الثقيلة وهي بما بعدها في محل الجر بدلا مما في
صحف موسى او الرفع على هو ان لا تزر كانه قيل ما في صحفهما فاجاب به والمعنى انه
لا يؤاخذ احد بذنب غيره ولا يخالف ذلك قوله تعالى كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل
نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا وقوله عليه السلام من سن
سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة فان ذلك للدلالة والتسبب
الذي هو وزره **وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى** اي الا سعيه
كما لا يؤاخذ احد بذنب الغير لا يثاب بفعله وما جاء في الاخبار ان الصدقة والحج ينفعان الميت
فلكون الناوي له كالنائب عنه **ثم يجزاه الجزاء الاوفى** اي يجزى العبد سعيه بالجزاء
الاوفى فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون مصدرا وان تكون الهاء للجزاء المدلول عليه بيجزى
والجزاء بدله **وان الى ربك المنتهى** انتهاء الخلائق ورجوعهم وقرئ بالكسر على انه منقطع
عما في الصحف وكذلك ما بعده **وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيا** لا يقدر على
الاماتة والاحياء غيره فان القاتل ينقض البنية والموت يحصل عنده بفعل الله تعالى على
سبيل العادة **وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى** تدفق في الرحم او
تخلق او يقدر منها الولد من منى اذا قدر **وان عليه النشاة الاخرى** الاحياء بعد الاماتة بوعده
وقرا ابن كثير وابو عمرو النشاءة بالمد وهو ايضا مصدر نشا **وانه هو اغنى واقنى** واعطى القنية

وهي ما يتأمل من الاموال وافرادها لانها اشرف الاموال او ارضى وتحقيقه جعل الرضا قنيته وانه هو
رب الشعرى يعني العبور وهي اشد ضياء من الغميصا عبدها ابو كبشة احد اجداد الرسول
صلى الله عليه وسلم وخالف قريشا في عبادة الاوثان ولذلك كانوا يسمون الرسول صلى الله عليه وسلم ابن ابي كبشة
ولعل تخصيصها للاشعار بانه عليه الصلاة والسلام وان وافق ابا كبشة في مخالفتهم خالفه ايضا في عبادتها
وانه اهلك عادا الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد نوح وقيل عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى
ارم وقرئ عادا لولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى لام التعريف وعاد لولى بادغام التنوين في اللام
وثمودا عطف على عادا ولان ما بعده لا يعمل فيه فما ابقى الفريقين وقوم نوح ايضا عطف عليه من قبل
من قبل عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين لانهم كانوا يؤذونه وينفرون عنه
ويضربونه حتى لا يكون به حراك والمؤتفكة والقرى التي ائتفكت باهلها اي انقلبت وهي قرى قوم لوط
اهوى بعد ان رفعها فقلبها فغشاها ما غشى فيه تهويل وتعميم لما اصابهم فبأي آلاء ربك تتمارى
تتشكك والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل واحد والمعدودات وان كانت نعما ونقما سماها آلاء من
قبل ما فيها من العبر والمواعظ للمعتبرين والانتقام للانبياء والمؤمنين هذا نذير من النذر الاولى
اي هذا القرآن انذار من جنس الانذارات المتقدمة او هذا الرسول صلى الله عليه وسلم نذير من جنس
المنذرين الاولين ازفت الآزفة دنت الساعة الموصوفة بالدنو في اقتربت الساعة ليس لها
من دون الله كاشفة ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله لكنه لا يكشفها او
الآن بتأخيرها الا الله او ليس لها كاشفة لوقتها الا الله اذ لا يطلع عليه سواه او ليس لها
من غير الله كشف على انها مصدر كالعافية افمن هذا الحديث يعني القرآن تعجبون
انكارا وتضحكون استهزاء ولا تبكون تحزنا على ما فرطتم وانتم سامدون لاهون
او مستكبرون من سمد البعير في مسيره اذا رفع راسه او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه
من السمود وهو الغناء فاسجدوا لله واعبدوا اي واعبدوه دون الآلهة عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة النجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحد به بمكة

وآيها خمس وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقتربت الساعة وانشق القمر روي ان الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر
وقيل معناه سينشق يوم القيامة ويؤيد الاول انه قرئ وقد انشق القمر اي اقتربت الساعة
وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر وقوله وان يروا آية يعرضوا عن تأملها
والايمان بها ويقولوا سحر مستمر مطرد وهو يدل على انهم رأوا قبله آيات اخر مترادفة ومعجزات
متتابعة حتى قالوا ذلك او محكم من المرة يقال امر ربه فاستمر اذا احكمه فاستحكم
او مستبشع من استمر اذا اشتدت مرارته او مار ذاهب لا يبقى وكذبوا واتبعوا اهواءهم
وهو ما زين لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره وذكرهما بلفظ الماضي للاشعار بانهما من عادتهم
القديمة وكل امر مستقر منته الى غاية من خذلان او نصر في الدنيا وشقاوة او سعادة

في الاخرة

فان الشيء

في الاخرة فان الشيء اذا انتهى الى غايته ثبت واستقر وقرئ بالفتح اي ذو استقرار بمعنى استقرار
وبالكسر والجر على انه صفة امر وكل معطوف على الساعة ولقد جاءهم في القرآن من الانباء انباء القرون
الخالية او انباء الآخرة ما فيه مزدجر ازدجار من تعذيب او وعيد حكمة بالغة غايتها
لا خلل فيها وهي بدل من ما او خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا من ما فانها موصولة او مخصوصة
بالصفة فيجوز نصب الحال عنها فما تغني النذر نفي او استفهام انكار اي فاي غناء تغني النذر وهو
جمع نذير بمعنى المنذر او المنذر منه او مصدر بمعنى الانذار فتول عنهم لعلمك ان الانذار لا يغني فيهم يوم يدع
الداع اسرافيل ويجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر في قوله كن فيكون واسقاط الياء اكتفاء بالكسرة
للتخفيف وانتصاب يوم بيخرجون او باضمار اذكر الى شيء نكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو
هول القيامة وقرأ ابن كثير نكر بالتخفيف وقرئ نكر بمعنى انكر خشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث
اي يخرجون من قبورهم خاشعا ذليلا ابصارهم من الهول وافراده وتذكيره لان فاعله ظاهر غير حقيقي
التأنيث وقرئ خاشعة على الاصل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم خشعا وانما حسن ذلك
ولا يحسن مررت برجال قائمين غلمانهم لانه ليس على صيغة تشبه الفعل وقرئ خشع ابصارهم على
الابتداء والخبر فيكون الجملة حالا كانهم جراد منتشر في الكثرة والتموج والانتشار في الامكنة مهطعين الى الداع
مسرعين مادي اعناقهم اليه او ناظرين اليه يقول الكافرون هذا يوم عسر صعب كذبت قبلهم
قوم نوح قبل قومك فكذبوا عبدنا نوحا وهو تفصيل بعد اجمال وقيل معناه كذبوا تكذيبا على عقب
تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب او كذبوه بعدما كذبوا الرسل وقالوا مجنون هو
مجنون وازدجر وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل انه من جملة قيلهم اي هو مجنون وقد ازدجرته
به الجن وتخبطته فدعا ربه اني اي باني وقرئ بالكسر على ارادة القول مغلوب من قومي فانتصر فانتقم
لي منهم وذلك بعد يأسه منهم فقد روي ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه
فيفيق ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر منصب وهو مبالغة
وتمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقرأ ابن عامر ويعقوب ففتحنا بالتشديد لكثرة
الابواب وفجرنا الارض عيونا وجعلنا الارض كلها عيونا متفجرة واصله وفجرنا عيون
الارض فغير للمبالغة فالتقى الماء ماء السماء وماء الارض وقرئ الماآن لاختلاف النوعين والماوان
بقلب الهمزة واوا على امر قد قدر على حال قدرها الله في الازل من غير تفاوت او على حال قدرت
وسويت وهو ان قدر ما انزل على قدر ما اخرج او على امر قدره الله وهو هلاك قوم نوح
بالطوفان وحملناه على ذات الواح ذات اخشاب عريضة ودسر ومسامير جمع دسار من
الدسر وهو الدفع الشديد وهي صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها كالشرح
لها تؤدي مؤداها تجري باعيننا بمرأى منا اي محفوظة باعيننا جزاء لمن كان كفر اي
فعلنا ذلك جزاء لنوح لانه نعمة كفروها فان كل نبي نعمة من الله ورحمة على امته ويجوز ان يكون
على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير وقرئ لمن كفر اي للكافرين ولقد تركناها اي السفينة
او الفعلة آية يعتبر بها اذ شاع خبرها واشتهر فهل من مدكر معتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر

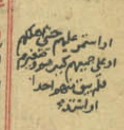
وتاء الافتعال تبدل دالا مع الدال والذال والزاي للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زايا وادغامها

جراد

منتشر

اي

بقلب التاء دالا والادغام فيها فكيف كان عذابي ونذر استفهام تعظيم ووعيد والنذر يحتمل المصدر والجمع
ولقد يسرنا القرآن سهلناه او هيأناه من يسر ناقته للسفر اذا رحلها للذكر للادكار والاتعاظ
بان صرفنا فيه انواع المواعظ والعبر او للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ فهل من مدكر متعظ كذبت
عاد فكيف كان عذابي ونذر وانذاراتي لهم بالعذاب قبل نزوله او لمن بعدهم في تعذيبهم انا ارسلنا عليهم
ريحا صرصرا باردا او شديد الصوت في يوم نحس شؤم مستمر استمر شؤمه او مرارته وكان يوم الاربعاء
آخر الشهر تنزع الناس تقلعهم روي انهم دخلوا الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم
الريح منها وصرعتهم موتى كانهم اعجاز نخل منقعر اصول نخل منقلع عن مغارسه ساقط على الارض
وقيل شبهوا بالاعجاز لان الريح طيرت رؤوسهم وطرحت اجسادهم وتذكير منقعر للحمل على اللفظ والتانيث
في قوله اعجاز نخل خاوية للمعنى فكيف كان عذابي ونذر كرره للتهويل وقيل الاول لما حاق بهم في
الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الآخرة كما قال ايضا في قصتهم لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا
ولعذاب الآخرة اخزى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر بالانذار
والمواعظ او الرسل فقالوا ابشرا منا من جنسنا او من جملتنا لا فضل له علينا وانتصابه بفعل يفسره
ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء والاول اوجه على الاستفهام واحدا منفردا لا تبع له او من آحادهم
دون اشرافهم نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر كانهم عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم اياه ما رتبه على ترك اتباعهم
له وقيل السعر الجنون ومنه ناقة مسعورة أألقي الذكر الكتاب والوحي عليه من بيننا وفينا من هو احق
منه بذلك بل هو كذاب اشر حمله بطره على الترفع علينا بادعائه سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم او يوم
القيامة من الكذاب الاشر الذي حمله اشره على الاستكبار عن الحق وطلب الباطل أصالح عليه السلام ام من كذبه
وقرأ ابن عامر وحمزة ورويس عليه ستعلمون على الالتفات او حكاية ما اجابهم به صالح وقرئ الاشر كقولهم
حذر في الحذر وقرئ الاشر اي الابلغ في الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير انا مرسلوا الناقة مخرجوها وباعثوها فتنة
لهم امتحانا لهم فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما يصنعون واصطبر على اذاهم ونبئهم ان الماء قسمة
بينهم مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء كل شرب محتضر يحضره صاحبه في نوبته
او يحضر عنه غيره فنادوا صاحبهم قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى فعقر فاجترأ على تعاطي
قتلها او فتعاطى السيف فقتلها والتعاطي تناول الشيء بتكلف فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا
عليهم صيحة واحدة صيحة جبريل فكانوا كهشيم المحتظر كالشجر اليابس والمنكسر الذي يتخذه من يعمل
الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء وقرئ بفتح الظاء اي كهشيم
الحظيرة او الشجر المتخذ لها ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا
عليهم حاصبا ريحا تحصبهم بالحجارة اي ترميهم الا آل لوط نجيناهم بسحر في سحر وهو آخر الليل او مسحرين
نعمة من عندنا انعاما منا وهو علة لنجينا كذلك نجزي من شكر نعمتنا بالايمان والطاعة
ولقد انذرهم لوط بطشتنا اخذتنا بالعذاب فتماروا بالنذر فكذبوا بالنذر متشاكين ولقد
راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا اعينهم فمسحناها وسويناها كسائر الوجه روي
انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل بصفقه فاعماهم فذوقوا عذابي ونذر فقلنا لهم ذوقوا على



السنة الملائكة او ظاهر الحال ولقد صبحهم بكرة وقرئ بكرة غير منصرف على ان المراد بها اول نهار
معين عذاب مستقر يستقر بهم حتى يسلمهم الى النار فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن
للذكر فهل من مدكر كرر ذلك في كل قصة اشعارا بان تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب واستماع
كل قصة مستدع للادكار والاتعاظ واستئنافا للتنبيه والايقاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة وهكذا
تكرير قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين ونحوهما ولقد جاء آل فرعون النذر اكتفى
بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك كذبوا بآياتنا كلها يعني الآيات التسع فاخذناهم اخذ
عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء أكفاركم خير من اولئكم الكفار المعدودين قوة وعدة
او مكانة ودينا عند الله ام لكم براءة في الزبر ام نزلت لكم في الكتب السماوية ان من كفر منكم فهو في امان
من العذاب ام يقولون نحن جميع جماعة امرنا مجتمع منتصر ممتنع لا نرام او منتصر من الاعداء لا نغلب
او متناصر ينصر بعضنا بعضا والتوحيد على لفظ الجميع سيهزم الجمع ويولون الدبر اي الادبار وافرادها
لارادة الجنس او لان كل واحد يولي دبره وقد وقع ذلك يوم بدر وهو من دلائل النبوة وعن عمر
رضي الله عنه انه لما نزلت قال لم اعلم ما هو فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس
الدرع ويقول سيهزم الجمع فعلمته بل الساعة موعدهم موعد عذابهم الاصلي وما يحيق بهم
في الدنيا فمن طلائعه والساعة ادهى اشد والداهية امر فظيع لا يهتدى لدوائه وامر
مذاقا من عذاب الدنيا ان المجرمين في ضلال عن الحق في الدنيا وسعر ونيران في الآخرة يوم يسحبون
في النار على وجوههم يجرون عليها ذوقوا مس سقر اي يقال لهم ذوقوا حر النار وألمها فان مسها
سبب للتألم بها وسقر علم لجهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته انا كل شيء
خلقناه بقدر انا خلقنا كل شيء مقدرا مرتبا على مقتضى الحكمة او مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه
وكل شيء منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء وعلى هذا فالاولى ان يجعل خلقناه
خبرا لا نعتا ليطابق المشهورة في الدلالة على ان كل شيء مخلوق بقدر ولعل اختيار النصب ههنا مع الاضمار
لما فيه من النصوصية على المقصود وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر الا فعلة واحدة وهو الايجاد بلا معالجة
ومعاناة او الا كلمة واحدة وهو قوله كن كلمح بالبصر في اليسر والسرعة وقيل معناه معنى قوله وما امر الساعة
الا كلمح البصر ولقد اهلكنا اشياعكم اشباهكم في الكفر ممن قبلكم فهل من مدكر متعظ وكل شيء
فعلوه في الزبر مكتوب في كتب الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال مستطر مسطور في اللوح ان المتقين
في جنات ونهر انهار واكتفى باسم الجنس او سعة او ضياء من النهار وقرئ نهر بضم الهاء جمع نهر كاسد
واسد في مقعد صدق في مكان مرضي وقرئ مقاعد صدق عند مليك مقتدر مقربين عند من
تعالى امره في الملك والاقتدار بحيث ابهمه ذوو الافهام عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
القمر في كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر

او مدنية او متبعضة وآيها ست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن
علم القرآن لما كانت السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والاخروية صدرها بالرحمن

وقدم ما هو اصل النعم الدينية واجلها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه فانه اساس الدين
ومنشا الشرع واعظم الوحي واعز الكتب اذ هو باعجازه واشتماله على خلاصتها مصدق لنفسه
ومصداق لها ثم اتبعه قوله خلق الانسان علمه البيان ايماء بان خلق البشر وما تميز به
عن سائر الحيوان من البيان وهو التعبير عما في الضمير وافهام الغير لما ادركه لتلقي الوحي
وتعرف الحق وتعلم الشرع واخلاء الجمل الثلث التي هي اخبار مترادفة للرحمن عن العاطف لمجيئها على نهج
التعديد الشمس والقمر بحسبان يجريان بحساب معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما ويتسق بذلك
امور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والاوقات ويعلم السنون والحساب والنجم والنبات
التي ينجم اي يطلع من الارض ولا ساق له والشجر والذي له ساق يسجدان ينقادان لله فيما يريد
بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا وكان حق النظم في الجملتين ان يقال واجرى
الشمس والقمر واسجد النجم والشجر او والشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له ليطابقا ما
قبلهما وما بعدهما في اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا عما يدل على الاتصال اشعارا بان وضوحه
يغنيه عن البيان وادخال العاطف بينهما لاشتراكهما في الدلالة على ان ما يحس به
من تغيرات احوال الاجرام العلوية والسفلية بتقديره وتدبيره والسماء رفعها خلقها
مرفوعة محلا ومرتبة فانها منشا اقضيته ومتنزل احكامه ومحل ملائكته وقرئ
بالرفع على الابتداء ووضع الميزان العدل بان وفر على كل مستعد مستحقه ووفى كل ذي
حق حقه حتى انتظم امر العالم واستقام كما قال عليه الصلاة والسلام بالعدل قامت السموات
والارض او ما يعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما كانه لما وصف السما بالرفعة
بالرفعة التي هي من حيث انها مصدر القضايا والاقدار اراد وصف الارض بما فيها مما يظهر به
التفاوت ويعرف المقدار ويسوى به الحقوق والمواجب الا تطغوا في الميزان لئلا تطغوا
فيه اي لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف وقرئ لا تطغوا على ارادة القول واقيموا
الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه فان من حقه ان يسوى لانه المقصود
من وضعه وتكريره مبالغة في التوصية به وزيادة حث على استعماله وقرئ ولا تخسروا
بفتح التاء وضم السين وكسرها على ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل
والارض وضعها خفضها مدحوة للانام للخلق وقيل الانام كل ذي روح فيها فاكهة
ضروب مما يتفكه به والنخل ذات الاكمام اوعية التمر جمع كم او كل ما يكم اي يغطى من ليف وسعف
وكفرى فانه ينتفع به كالمكموم كالجذع والحب والتمر ذو العصف كالحنطة والشعير
وسائر ما يتغذى به والعصف ورق النبات اليابس كالتبن والريحان يعني المشموم او الرزق
من قولهم خرجت اطلب ريحان الله وقرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان اي وخلق الحب والريحان
او اخص ويجوز ان يراد وذا الريحان فحذف المضاف وهو فيعلان من الروح فقلبت الواو
ياء وادغمت ثم خفف وقيل روحان فقلبت واوه ياء للتخفيف فباي آلاء ربكما تكذبان الخطاب
للثقلين المدلول عليهما بقوله للانام وقوله ايها الثقلان خلق الانسان من صلصال كالفخار

الصلصال

الصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله آدم من تراب جعله طينا
ثم حما مسنونا ثم صلصالا فلا ينافي ذلك قوله خلقه من تراب وخلق الجان الجن او ابا الجن
من مارج من صاف من الدخان من نار بيان لمارج فانه في الاصل للمضطرب من مرج اذا
اضطرب فباي آلاء ربكما تكذبان مما افاض عليكما في اطوار خلقتكما حتى صيركما افضل المركبات
وخلاصة الكائنات رب المشرقين ورب المغربين مشرقي الشتاء والصيف ومغربيهما فباي
آلاء ربكما تكذبان مما في ذلك من الفوائد التي لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب
كل فصل فيه الى غير ذلك مرج البحرين ارسلهما من مرجت الدابة اذا ارسلتها والمعنى ارسلت البحر الملح
والبحر العذب يلتقيان يتجاوران ويتماس سطوحهما او بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما
خليجان يتشعبان منه بينهما برزخ حاجز من قدرة الله او من الارض لا يبغيان لا يبغي احدهما
على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية او لا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما فباي آلاء ربكما تكذبان
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان كبار الدر وصغاره وقيل المرجان الخرز الاحمر وان صح ان الدر
يخرج من الملح فعلى الاول انما قال منهما لانه يخرج من مجتمع الملح والعذب او لانهما لما اجتمعا صارا كالشيء
الواحد فكان المخرج من احدهما كالمخرج منهما وقرأ نافع وابو عمرو ويعقوب يخرج وقرئ نخرج ويخرج
بنصب اللؤلؤ والمرجان فباي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار السفن جمع جارية وقرئ بحذف الياء ورفع الراء
كقوله لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان المنشآت المرفوعات الشرع او المصنوعات وقرأ
حمزة وابو بكر بكسر الشين اي الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن الامواج او السير في البحر كالاعلام كالجبال
جمع علم وهو الجبل الطويل فباي آلاء ربكما تكذبان من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية
تركيبها واجرائها في البحر باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها غيره كل من عليها على الارض من الحيوانات
او المركبات ومن للتغليب او من الثقلين فان ويبقى وجه ربك ذاته ولو استقريت جهات الموجودات
وتفحصت وجوهها وجدتها باسرها فانية في حد ذاتها الا وجه الله اي الوجه الذي يلي جهته
ذو الجلال والاكرام ذو الاستغناء المطلق والفضل العام يسئله من في السموات والارض فانهم مفتقرون
اليه في ذواتهم وصفاتهم وسائر ما يهمهم ويعن لهم والمراد بالسؤال ما يدل على الحاجة الى تحصيل الشيء نطقا
كان او غيره كل يوم هو في شان كل وقت يحدث اشخاصا ويجدد احوالا على ما سبق به قضاؤه وفي الحديث
من شانه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وهو رد لقول اليهود ان الله لا يقضي يوم السبت
شيئا فباي آلاء ربكما تكذبان اي مما يسعف به سؤالكما وما يخرج لكما من مكمن العدم حينا فحينا سنفرغ لكم
ايها الثقلان اي سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة فانه تعالى لا يشغله شان وقيل تهديد
مستعار من قولك لمن تهدده سافرغ لك فان المتجرد للشيء كان اقوى عليه واجد فيه وقرأ حمزة والكسائي بالياء
وقرئ سنفرغ اليكم اي سنقصد اليكم والثقلان الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض او لرزانة
رأيهم وقدرهم او لانهما مثقلان بالتكليف فباي آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان
تنفذوا من اقطار السموات والارض ان قدرتم ان تخرجوا من جوانب السموات والارض هاربين من الله فارين من
قضائه فانفذوا فاخرجوا لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان الا بقوة وقهر واني لكم ذلك

فباي آلاء ربكما تكذبان اي مما ذكرنا
قبل و ابقانا ما لا يحصى مما هو على صدد
افنائنا رحمة وفضلا او مما يترتب على
افناء الكل من الاعادة والحياة
الدائمة والنعيم المقيم

اوان قدرتم ان تنفذوا والتعلموا ما في السموات والارض فانفذوا والتعلموا لكن لا تنفذون ولا تعلمون الا ببينة
نصبها الله فتعرجون عليها بافكاركم فباي الاء ربكما تكذبان اي من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال
القدرة اوما نصب من المصاعد العقلية والمعارج النقلية فتنفذون بها الى ما فوق السموات العلى
يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس لهب ودخان قال يضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه دخانا
اوصفر مذاب يصب على رؤسهم وقرا ابن كثير شواظ بالكسر وهو لغة ونحاس بالجر عطفا على نار ووافقه فيه
ابو عمرو ويعقوب في رواية وقرئ ونحس وهو جمع كلحف فلا تنتصران فلا تمتنعان فباي الاء ربكما تكذبان
فان التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار في عداد الالاء فاذا انشقت
السماء فكانت وردة اي حمراء كالوردة وقرئت بالرفع على كان التامة فيكون من باب التجريد كقوله
فلئن بقيت لارحلن بغزوة تحوي الغنائم او يموت كريم كالدهان مذابة كالدهن وهو اسم لما يدهن
به كالحزام او جمع دهن وقيل هو الاديم الاحمر فباي الاء ربكما تكذبان اي مما يكون بعد ذلك فيومئذ اي فيوم
تنشق السماء لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان لانهم يعرفون بسيماهم وذلك حين ما يخرجون من قبورهم
ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما قوله فوربك لنسألنهم ونحوه فحين يحاسبون
في المجمع والهاء للانس باعتبار اللفظ فانه وان تأخر لفظا تقدم رتبة فباي الاء ربكما تكذبان اي مما انعم
على عباده المؤمنين في هذا اليوم يعرف المجرمون بسيماهم وهو ما يعلوهم من الكآبة والحزن فيؤخذ
بالنواصي والاقدام مجموعا بينهما وقيل يؤخذون بالنواصي تارة وبالاقدام اخرى فباي الاء ربكما تكذبان
هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها بين النار يحرقون بها وبين حميم ماء حار
ان بلغ النهاية في الحرارة يصب عليهم او يسقون منه واذا استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم فباي الاء ربكما
تكذبان ولمن خاف مقام ربه موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب او قيامه على احواله من قام
عليه اذا راقبه او مقام الخائف عند ربه للحساب باحد المعنيين فاضاف الى الرب تفخيما وتهويلا
او ربه ومقام مقحم للمبالغة كقوله ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين جنتان جنة للخائف الانسي
والاخرى للخائف الجني فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما او لكل واحد جنة لعقيدته واخرى
لعمله او جنة لفعل الطاعات واخرى لترك المعاصي او جنة يثاب بها واخرى يتفضل بها عليه
او روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد فباي الاء ربكما تكذبان ذواتا افنان انواع من
الاشجار والثمار جمع فن او اغصان جمع فنن وهي الغصنة التي تتشعب من فرع الشجر
وتخصيصها لانها تورق وتثمر وتمد الظل فباي الاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان حيث
شاؤا في الاعالي والاسافل قيل احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل فباي الاء ربكما تكذبان
فيهما من كل فاكهة زوجان غريب ومعروف او رطب ويابس فباي الاء ربكما تكذبان
متكئين على فرش بطائنها من استبرق البطائن من ديباج ثخين واذا كانت البطائن
كذلك فما ظنك بالظهائر ومتكئين مدح للخائفين او حال منهم لان من خاف في معنى الجمع وجنى
الجنتين دان قريب يناله القاعد والمضطجع وجنى اسم بمعنى مجني وقرئ بكسر الجيم فباي
الاء ربكما تكذبان فيهن في الجنان فان جنتان تدل على جنان هي للخائفين او فيما فيهما من الاماكن

والقصور

والقصور او في هذه الالاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش قاصرات الطرف نساء
قصرن ابصارهن على ازواجهن لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان لم يمس الانسيات انس والجنيات جن وفيه
دليل على ان الجن يطمثون وقرأ الكسائي بضم الميم فباي الاء ربكما تكذبان كانهن الياقوت والمرجان
اي في حمرة الوجنة وبياض البشرة وصفائها فباي الاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان
في الثواب فباي الاء ربكما تكذبان ومن دونهما ومن دون تلك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين
جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين فباي الاء ربكما تكذبان مدهامتان خضراوان تضربان الى السواد من
شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض
وعلى الاوليين الاشجار والفواكه دلالة على ما بينهما من التفاوت فباي الاء ربكما تكذبان فيهما عينان
نضاختان فوارتان بالماء وهو ايضا اقل مما وصف به الاوليين وكذا ما بعده فباي الاء ربكما تكذبان
فيهما فاكهة ونخل ورمان عطفهما على الفاكهة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء
وثمرة الرمان فاكهة ودواء واحتج به ابو حنيفة على ان من حلف لا ياكل فاكهة فاكل رطبا او رمانا
لم يحنث فباي الاء ربكما تكذبان فيهن خيرات اي خيرات فخفف لان خير الذي بمعنى اخير لا يجمع
وقد قرئ على الاصل حسان حسان الخلق والخلق فباي الاء ربكما تكذبان حور مقصورات
في الخيام قصرن في خدورهن يقال امراة قصيرة ومقصورة وقصورة اي مخدرة او مقصورات
الطرف على ازواجهن فباي الاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان كحور الاوليين
وهم اصحاب الجنتين فانهما يدلان عليهم فباي الاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف وسائد او نمارق
جمع رفرفة وقيل الرفرف ضرب من البسط او ذيل الخيمة وقد يقال لكل ثوب عريض خضر وعبقري
حسان فباي الاء ربكما تكذبان العبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون
اليه كل شيء عجيب والمراد به الجنس ولذلك جمع حسان حملا على المعنى تبارك اسم ربك تعالى
اسمه من حيث انه مطلق على ذاته فما ظنك بذاته وقيل الاسم بمعنى الصفة او مقحم كما في قوله
الى الحول ثم اسم السلام عليكما ذي الجلال والاكرام وقرأ ابن عامر بالرفع صفة للاسم عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ادى شكر ما انعم الله عليه

اية
وايها سبع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا وقعت الواقعة اذا حدثت القيامة سماها واقعة لتحقق وقوعها وانتصاب اذا
بمحذوف مثل اذكر او كان كيت وكيت ليس لوقعتها كاذبة اي لا يكون حين تقع نفس تكذب على الله
او تكذب في نفيها كما تكذب الان واللام مثلها في قوله قدمت لحياتي او ليس لاجل وقعتها
كاذبة فان من اخبر عنها صدق او ليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها باطاقة شدتها
واحتمالها وتغريه عليها من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته عليه
وسولت له انه يطيقه خافضة رافعة تخفض قوما وترفع اخرين وهو تقرير لعظمتها فان
الوقائع العظام كذلك او بيان لما يكون حينئذ من خفض اعداء الله ورفع اوليائه او ازالة الاجرام

عن مجاوزها بنثر الكواكب وتسيير الجبال في الجو وقرئتا بالنصب على الحال إذا رجت الأرض
رجا حركت تحريكا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل والظرف متعلق بخافضة او بدل
من اذا وقعت وبست الجبال بسا اي فتتت حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق اذا
لته او سيقت وسيرت من بس الغنم اذا ساقها فكانت هباء غبارا منبثا منتشرا وكنتم أزواجا اصنافا
ثلاثة وكل صنف يكون او يذكر مع صنف اخر زوج فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة
وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة فاصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية من
تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل او اصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة الذين
يؤتون صحائفهم بايمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم او اصحاب اليمن والشؤم فان السعداء ميامين
على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم والجملتان الاستفهاميتان خبران
لما قبلهما باقامة الظاهر مقام الضمير ومعناهما التعجب من حال الفريقين والسابقون السابقون
والذين سبقوا الى الايمان والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم وتوان او سبقوا في حيازة
الفضائل والكمالات او الانبياء فانهم مقدموا اهل الاديان هم الذين عرفت حالهم وعرفت
مآلهم كقول ابي النجم وشعري شعري او الذين سبقوا الى الجنة أولئك المقربون في جنات
النعيم الذين قربت درجاتهم في الجنة واعليت مراتبهم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين
اي هم كثير من الاولين يعني الامم السالفة من لدن آدم الى محمد عليه السلام وقليل من الآخرين يعني
امة محمد عليه الصلاة والسلام ولا يخالف ذلك قوله عليه الصلاة والسلام ان امتي يكثرون سائر
الامم لجواز ان يكون سابقوا سائر الامم اكثر من سابقي هذه الامة وتابعوا هذه اكثر من تابعيهم
ولا يرده قوله في اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان كثرة الفريقين
لا ينافي اكثرية احدهما وروي مرفوعا انهما من هذه الامة واشتقاقها من الثل وهو القطع
على سرر موضونة خبر آخر للضمير المحذوف والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر
والياقوت او المتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع متكئين عليها متقابلين حالان من
الضمير في على يطوف عليهم للخدمة ولدان مخلدون مبقون ابدا على هيئة الولدان وطراوتهم
باكواب وأباريق حال الشرب وغيره والكوب اناء بلا عروة ولا خرطوم له والابريق اناء
لذلك وكاس من معين من خمر لا يصدعون عنها بخمار ولحم طير مما يشتهون يتمنون
وحور عين عطف على ولدان او مبتدأ محذوف الخبر اي وفيها او ولهم حور وقرأ الكسائي
بالجر عطفا على جنات بتقدير مضاف اي هم في جنات ومصاحبة حور او على اكواب لان معنى
يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وقرئ بالنصب على ويؤتون
حورا كأمثال اللؤلؤ المكنون المصون عما يضربه في الصفاء والنقاء جزاء بما كانوا يعملون
اي يفعل ذلك كله بهم جزاء لاعمالهم لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما ولا نسبة
الى الاثم اي يقال لهم اثمتم إلا قيلا إلا قولا سلاما سلاما بدل من قيلا كقوله لا يسمعون
فيها لغوا الا سلاما او صفته او مفعوله بمعنى الا ان يقولوا سلاما او مصدر والتكرير للدلالة

ولا ينزفون ولا ينفد عقولهم او لا ينفد شرابهم وقرأ الكوفيون بكسر الزاء وقرئ لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون اي لا يتفرقون وفاكهة مما يتخيرون اي يختارون صح

وحور عين

على فشو

على فشو السلام بينهم وقرئ سلام على الحكاية وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين
في سدر مخضود لا شوك له من خضد الشوك اذا قطعه او مثني اغصانه من كثرة حمله
من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب وطلح وشجر موز او ام غيلان وله انوار كثيرة
طيبة الرائحة وقرئ بالعين منضود نضد حمله من اسفله الى اعلاه وظل ممدود
منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت وماء مسكوب يسكب لهم اين شاءوا وكيف شاءوا بلا تعب
او مصبوب سائل كأنه لما شبه حال السابقين في التنعم باعلى ما يتصور لاهل المدن شبه
حال اصحاب اليمين باكمل ما يتمناه اهل البوادي اشعارا بالتفاوت بين الحالين وفاكهة
كثيرة كثيرة الاجناس لا مقطوعة لا تنقطع في وقت ولا ممنوعة لا تمنع عن متناولها بوجه
وفرش مرفوعة رفيعة القدر او منضدة مرتفعة وقيل الفرش النساء وارتفاعها انها
على الارائك ويدل عليه قوله إنا أنشأناهن إنشاء اي ابتدأناهن ابتداء جديدا من غير
ولادة ابداء او اعادة وفي الحديث هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا
جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فجعلناهن
أبكارا عربا متحببات الى ازواجهن جمع عروب وسكن راءه حمزة وابو بكر وروي عن نافع
وعاصم مثله أترابا فان كلهن بنات ثلاث وثلاثين وكذا ازواجهن لأصحاب اليمين
متعلق بانشأنا او جعلنا او صفة لابكارا او خبر لمحذوف مثل هن او لقوله ثلة من الأولين
وثلة من الآخرين وهي على الوجه الاول خبر محذوف وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في
سموم في حر نار ينفذ في المسام وحميم وماء متناه في الحرارة وظل من يحموم من دخان اسود
يفعول من الحممة لا بارد كسائر الظل ولا كريم ولا نافع نفي بذلك ما اوهم الظل من
الاسترواح إنهم كانوا قبل ذلك مترفين منهمكين في الشهوات وكانوا يصرون
على الحنث العظيم الذنب العظيم يعني الشرك ومنه بلغ الغلام الحنث اي الحلم ووقت
المؤاخذة بالذنب وحنث في يمينه خلاف بر فيها وتحنث اذا تأثم وكانوا يقولون
أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون كررت الهمزة للدلالة على انكار البعث مطلقا
وخصوصا في هذا الوقت كما ادخل العاطف في قوله أوآباؤنا الأولون للدلالة على ان ذلك
اشد انكارا في حقهم لتقادم زمانهم وللفصل بها حسن العطف على المستكن في لمبعوثون
وقرأ نافع وابن عامر أو بالسكون وقد سبق مثله والعامل في الظرف ما دل عليه مبعوثون
لا هو للفصل بان والهمزة قل إن الأولين والآخرين لمجموعون وقرئ لمجمعون إلى ميقات
يوم معلوم الى ما وقتت به الدنيا وحدت من يوم معين عند الله ثم إنكم أيها الضالون
المكذبون اي بالبعث والخطاب لاهل مكة واضرابهم لآكلون من شجر من زقوم من الاولى
للابتداء والثانية للبيان فمالئون منها البطون من شدة الجوع فشاربون عليه من الحميم
لغلبة العطش وتأنيث الضمير في منها وتذكيره في عليه على معنى الشجر ولفظه وقرئ من شجرة
فيكون التذكير للزقوم فانه تفسيرها فشاربون شرب الهيم الابل التي بها الهيام وهي داء يشبه

الاستسقاء

جمع اهيم وهيما قال ذو الرمة فاصبحت كالهيما لا الما مبرد صداها ولا يقضي عليها هيامها
وقيل الرمال الذي لا يتماسك جمع هيم كسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض وكل من المعطوف
والمعطوف عليه اخص من الاخر بوجه فلا اتحاد وقرا نافع وعاصم وحمزة شرب بضم الشين
هذا نزلهم يوم الدين يوم الجزا فما ظنك بما يكون لهم بعد ما استقروا في الجحيم وفيه
تهكم كما في قوله فبشرهم بعذاب اليم لان النزل ما يعد للنازل تكرمة له وقرئ
نزلهم بالتخفيف نحن خلقناكم فلولا تصدقون بالخلق متيقنين محققين للتصديق
بالاعمال الدالة عليه او بالبعث فان من قدر على الابدا قدر على الاعادة افرايتم ما تمنون
اي ما تقذفون في الارحام من النطف وقرئ بفتح التا من منى النطفة بمعنى امناها ءانتم تخلقونه
تجعلونه بشرا سويا ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت قسمناه عليكم واقتنا موت
كل بوقت معين وقرا ابن كثير بتخفيف الدال وما نحن بمسبوقين لا يسبقنا احد فيهرب من
الموت او يغير وقته او لا يغلبنا احد من سبقته على كذا اذا غلبته عليه على ان نبدل
امثالكم على الاول حال وعلة لقدرنا وعلى معنى اللام وما نحن بمسبوقين اعتراض وعلى الثاني صلة
والمعنى على ان نبدل منكم اشباهكم فنخلق بدلكم او نبدل صفاتكم على ان امثالكم جمع مثل
وننشئكم فيما لا تعلمون في خلق وصفات لا تعلمونها ولقد علمتم النشاة الاولى فلولا تذكرون
ان من قدر عليها قدر على النشاة الاخرى فانها اقل صنعا لحصول المواد وتخصيص
الاجزا وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس افرايتم ما تحرثون تبذرون حبه
ءانتم تزرعونه تنبتونه ام نحن الزارعون المنبتون لو نشا لجعلناه حطاما هشيما
فظلتم تفكهون تعجبون او تندمون على اجتهادكم فيه او على ما اصبتم لاجله من المعاصي
فتتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ
فظلتم بالكسر وظللتم على الاصل انا لمغرمون لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك
رزقنا من الغرام وقرا ابو بكر ءانا على الاستفهام بل نحن قوم محرومون حرمنا رزقنا او محدودون
لا مجدودون افرايتم الما الذي تشربون اي العذب الصالح للشرب ءانتم انزلتموه من
المزن من السحاب واحده مزنة وقيل المزن السحاب الابيض وماؤه اعذب ام نحن
المنزلون بقدرتنا والروية ان كانت بمعنى العلم فمعلقة بالاستفهام لو نشاء
جعلناه اجاجا ملحا او من الاجيج فانه يحرق الفم وحذف اللام الفاصلة بين جواب
ما يتمحض للشرط وما يتضمن معناه لعلم السامع بمكانه او الاكتفا بسبق ذكرها او تخصيص
ما يقصد لذاته ويكون اهم وفقده اصعب بمزيد التاكيد فلولا تشكرون امثال
هذه النعم الضرورية افرايتم النار التي تورون تقدحون ءانتم انشاتم شجرتها
ام نحن المنشئون يعني الشجرة التي منها الزناد نحن جعلناها جعلنا نار الزناد تذكرة
تبصرة في امر البعث كما في سورة يس او في الظلام او تذكيرا وانموذجا لنار جهنم ومتاعا
ومنفعة للمقوين الذين ينزلون القوا وهي القفر او للذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام

من اقوات الدار اذا خلت من ساكنيها فسبح باسم ربك العظيم فاحدث التسبيح بذكر اسمه
او بذكره فان اطلاق الاسم للشي ذكره والعظيم صفة للاسم او الرب وتعقيب الامر بالتسبيح
لما عدد من بدايع صنعه وانعامه اما لتنزيهه تعالى عما يقول الجاحدون لوحدانيته
الكافرون لنعمته او للتعجب من امرهم في غمط نعمه او للشكر على ما عدها من النعم فلا اقسم
اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم او فاقسم ولا مزيدة للتاكيد كما في لئلا يعلم او فلانا
اقسم فحذف المبتدا واشبع فتحة لام الابتدا ويدل عليه قراءة فلاقسم او فلا رد الكلام
يخالف المقسم عليه بمواقع النجوم بمساقطها وتخصيص المغارب لما في غروبها من زوال
اثرها والدلالة على وجود مؤثر لا يزول تاثيره او بمنازلها ومجاريها وقيل النجوم نجوم
القران ومواقعها اوقات نزولها وقرا حمزة والكسائي بموقع وانه لقسم لو تعلمون عظيم
لما في المقسم به من الدلالة على عظم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته ان لا يترك
عباده سدى وهو اعتراض في اعتراض فانه اعتراض بين المقسم والمقسم عليه ولو تعلمون اعتراض بين
الموصوف والصفة انه لقران كريم كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة في اصلاح المعاش
والمعاد او حسن مرضي في جنسه في كتاب مكنون مصون وهو اللوح المحفوظ لا يمسه الا المطهرون
لا يطلع على اللوح الا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة او لا يمس القران
الا المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى نهي او لا يطلبه الا المطهرون من الكفر
وقرئ المتطهرون والمطهرون والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون
اي انفسهم وغيرهم بالاستغفار لهم والالهام تنزيل من رب العالمين صفة ثالثة
او رابعة للقران وهو مصدر نعت به وقرئ بالنصب اي نزل تنزيلا افبهذا الحديث
يعني القران انتم مدهنون متهاونون به كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب
فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم اي شكر رزقكم انكم تكذبون اي بمانحه حيث تنسبونه
الى الانوا وقرئ شكركم اي وتجعلون شكركم لنعمة القران انكم تكذبون به وتكذبون
اي بقولكم في القران انه سحر وشعر او في المطر انه من الانوا فلولا اذا بلغت الحلقوم
اي النفس وانتم حينئذ تنظرون حالكم والخطاب لمن حول المحتضر والواو للحال ونحن اقرب
اي ونحن اعلم اليه الى المحتضر منكم عبر عن العلم بالقرب الذي هو اقوى سبب الاطلاع ولكن
لا تبصرون لا تدركون كنه ما يجري عليه فلولا ان كنتم غير مدينين اي مجزيين يوم القيامة
او مملوكين مقهورين من دانه اذا اذله واستعبده واصل التركيب للذل والانقياد ترجعونها
ترجعون النفس الى مقرها وهو عامل الظرف والمحضض عليه بلولا الاولى والثانية تكرير للتوكيد
وهي بما في حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مملوكين مجزيين كما دل عليه جحدكم افعال الله
وتكذيبكم باياته ان كنتم صادقين في تعطيلكم فلولا ترجعون الارواح الى الابدان
بعد بلوغها الحلقوم فاما ان كان من المقربين اي ان كان المتوفى من السابقين فروح فله
استراحة وقرئ فروح بالضم وفسر بالرحمة لانها كالسبب لحياة المرحوم وبالحياة الدائمة وريحان ورزق

طيب وجنة نعيم ذات تنعم فأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك يا صاحب اليمين
من أصحاب اليمين أي من إخوانك يسلمون عليك وأما إن كان من المكذبين الضالين
يعني أصحاب الشمال وإنما وصفهم بأفعالهم زجراً عنها وإشعاراً بما أوجب لهم ما أوعدهم
فنزل من حميم وتصلية جحيم وذلك ما يجد في القبر من سموم النار ودخانها إن هذا
أي الذي ذكر في السورة أو في شأن الفرق لهو حق اليقين أي حق الخبر اليقين فسبح
باسم ربك العظيم فنزهه بذكر اسمه عما لا يليق بعظمة شأنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً

وقيل مكية وآيها تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات والأرض ذكر هنا وفي الحشر والصف بلفظ الماضي وفي الجمعة والتغابن بلفظ
المضارع إشعاراً بأن من شأن ما أسند إليه أن يسبحه في جميع أوقاته لأنه دلالة جبلية لا تختلف
باختلاف الحالات ومجيء المصدر مطلقاً في بني إسرائيل أبلغ من حيث إنه يشعر بإطلاقه على
استحقاق التسبيح من كل شيء وفي كل حال وإنما عدي باللام وهو معدى بنفسه مثل نصحت له
في نصحته إشعاراً بأن إيقاع الفعل لأجل الله وخالصاً لوجهه وهو العزيز الحكيم حال
يشعر بما هو المبدأ للتسبيح له ملك السموات والأرض فإنه الموجد لها والمتصرف فيها يحيي ويميت
استئناف أو خبر لمحذوف أو حال من المجرور في له وهو على كل شيء من الإحياء والإماتة وغيرهما
قدير تام القدرة هو الأول السابق على سائر الموجودات من حيث إنه موجدها ومحدثها
والآخر الباقي بعد فنائها ولو بالنظر إلى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها أو هو الأول الذي
تبتدئ منه الأسباب وتنتهي إليه المسببات أو الأول خارجاً والآخر ذهناً والظاهر
والباطن الظاهر وجوده لكثرة دلائله والباطن حقيقة ذاته فلا تكتنهها العقول أو الغالب
على كل شيء والعالم بباطنه والواو الأولى والأخيرة للجمع بين الوصفين والمتوسطة للجمع بين
المجموعين وهو بكل شيء عليم يستوي عنده الظاهر والخفي هو الذي خلق السموات والأرض في
ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض كالبذور وما يخرج منها كالزروع
وما ينزل من السماء كالأمطار وما يعرج فيها كالأبخرة وهو معكم أينما كنتم لا ينفك
علمه وقدرته عنكم بحال والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه ولعل تقديم الخلق
على العلم لأنه دليل عليه له ملك السموات والأرض ذكره مع الإعادة كما ذكره مع الإبداء لأنه كالمقدمة
لهما وإلى الله ترجع الأمور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو
عليم بذات الصدور بمكنوناتها آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم
مستخلفين فيه من الأموال التي جعلكم خلفاء في التصرف فيها فهي في الحقيقة له لا لكم
أو التي استخلفكم عمن قبلكم في تملكها والتصرف فيها وفيه حث على الإنفاق وتهوين
له على النفس فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير وعد فيه مبالغات جعل الجملة اسمية وإعادة

ذكر الإيمان والإنفاق وبناء الحكم على الضمير وتنكير الأجر ووصفه بالكبير وما لكم لا تؤمنون
بالله وما تصنعون غير مؤمنين به كقولك ما لك قائماً والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم
حال من ضمير لا تؤمنون والمعنى أي عذر لكم في ترك الإيمان والرسول يدعوكم إليه بالحجج والآيات
وقد أخذ ميثاقكم أي وقد أخذ الله ميثاقكم بالإيمان قبل ذلك بنصب الأدلة والتمكين
من النظر والواو للحال من مفعول يدعوكم وقرأ أبو عمرو على البناء للمفعول إن كنتم مؤمنين
لموجب ما فإن هذا موجب لا مزيد عليه هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم
أي الله أو العبد من الظلمات إلى النور من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان وإن الله بكم لرؤوف رحيم حيث نبهكم
بالرسل والآيات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية وما لكم ألا تنفقوا وأي
شيء لكم في أن لا تنفقوا في سبيل الله فيما يكون قربة إليه ولله ميراث السموات والأرض
يرث كل شيء فيهما ولا يبقى لأحد مال وإذا كان كذلك فإنفاقه حيث يستخلف عوضاً يبقى
وهو الثواب كان أولى لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة
بيان لتفاوت المنفقين باختلاف أحوالهم من السبق وقوة اليقين وتحري الحاجات حثاً
على تحري الأفضل منها بعد الحث على الإنفاق وذكر القتال للاستطراد وقسيم من أنفق
محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه والفتح فتح مكة إذ عز الإسلام وكثر أهله
وقلت الحاجة إلى المقاتلة والإنفاق من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا أي من بعد الفتح
وكلا وعد الله الحسنى أي وعد الله كلاً من المنفقين المثوبة الحسنى وهي الجنة وقرأ ابن عامر
وكل بالرفع على الابتداء أي وكل وعده ليطابق ما عطف عليه والله بما تعملون خبير عالم
بظاهره وباطنه فيجازيكم على حسبه والآية نزلت في أبي بكر رضي الله تعالى عنه
فإنه أول من آمن وأنفق في سبيل الله وخاصم حتى ضرب ضرباً أشرف به على الهلاك
من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً أي من ذا الذي ينفق ماله في سبيله رجاء أن
يعوضه فإنه كمن يقرضه وحسن الإنفاق بالإخلاص فيه وتحري أكرم المال وأفضل الجهات
له فيضاعفه له أي يعطي أجره أضعافاً وله أجر كريم أي وذلك الأجر المضموم إليه
الأضعاف كريم في نفسه ينبغي أن يتوخى وإن لم يضاعف فكيف وقد يضاعف أضعافاً
وقرئ فيضاعفه بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى فكأنه قال أيقرض
الله أحد فيضاعفه له وقرأ ابن كثير فيضعفه مرفوعاً وابن عامر ويعقوب فيضعفه
منصوباً يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله وله أو فيضاعفه أو مقدر باذكر
يسعى نورهم ما يوجب نجاتهم وهدايتهم بين أيديهم وبأيمانهم لأن السعداء
يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين بشراكم اليوم جنات أي يقول لهم من
يتلقاهم من الملائكة أي المبشر به جنات أو بشراكم دخول جنات تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم الإشارة إلى ما تقدم من النور والبشرى
بالجنات المخلدة يوم يقول المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى للذين آمنوا انظرونا

انظرونا فانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم
بوجوههم فيستضيئون بنور بين ايديهم وقرأ حمزة انظرونا على ان اتئادهم ليلحقوا بهم امهال
لهم نقتبس من نوركم نصب منه قيل ارجعوا وراءكم الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل المعارف
الالهية والاخلاق الفاضلة فانه يتولد منها او الى الموقف فانه من ثم يقتبس او الى حيث
شئتم فاطلبوا نورا آخر فانه لا سبيل لكم الى هذا وهو تهكم بهم وتخييب من المؤمنين
او الملائكة فضرب بينهم بين المؤمنين والمنافقين بسور بحائط له باب يدخل
فيه المؤمنون باطنه باطن السور او الباب فيه الرحمة لانه يلي الجنة وظاهره من قبله
العذاب من جهته لانه يلي النار ينادونهم الم نكن معكم يريدون موافقتهم في
الظاهر قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم بالنفاق وتربصتم بالمؤمنين الدوائر
وارتبتم وشككتم في الدين وغرتكم الاماني كامتداد العمر حتى جاء امر الله
وهو الموت الاجل وغركم بالله الغرور الشيطان او الدنيا فاليوم لا يؤخذ منكم
فدية فداء وقرأ ابن عامر ويعقوب بالتاء ولا من الذين كفروا ظاهرا وباطنا
مأواكم النار هي مولاكم هي اولى بكم كقول لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى
المخافة خلفها وامامها وحقيقته محراكم اي مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم
كقولك هو مئنة الكرم اي مكان قول القائل انه لكريم او مكانكم عما قريب من الولي وهو
القرب او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع او متوليكم تتولاكم كما توليتم
موجباتها في الدنيا وبئس المصير النار الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم
لذكر الله الم يأت وقته يقال أنى الامر يأني أنيا وأنا وإنى اذا جاء إناه وقرئ الم
يئن من آن يئين بمعنى انى يأني ولما يأن روي ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا
اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وما نزل من الحق اي القرآن
وهو عطف على الذكر عطف احد الوصفين على الآخر ويجوز ان يراد بالذكر ان يذكر الله وقرأ
نافع وحفص ويعقوب نزل بالتخفيف وقرئ انزل ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب
من قبل عطف على تخشع وقرأ رويس بالتاء والمراد النهي عن مماثلة اهل الكتاب فيما
حكى عنهم بقوله فطال عليهم الامد فقست قلوبهم اي فطال عليهم الزمان لطول اعمارهم
او آمالهم او ما بينهم وبين انبيائهم فقست قلوبهم وقرئ الامد وهو الوقت الاطول وكثير منهم
فاسقون خارجون عن دينهم رافضون لما في كتابهم من فرط القسوة اعلموا ان الله يحيي
الارض بعد موتها تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة او لاحياء الاموات
ترغيبا في الخشوع وزجرا عن القساوة قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون كي
يكمل عقلكم ان المصدقين والمصدقات ان المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ بهما وقرأ
ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد اي الذين صدقوا الله ورسوله واقرضوا الله قرضا حسنا عطف على
معنى الفعل في المحلى باللام لان معناه الذين اصدقوا او صدقوا وهو على الاول للدلالة على ان المعتبر هو

التصدق

التصدق المقرون بالاخلاص يضاعف لهم ولهم اجر كريم معناه والقراءة في يضاعف ما مر
غير انه لم يجزم لانه خبر ان وهو مسند الى لهم او الى ضمير المصدر والذين آمنوا بالله ورسله
اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم اي اولئك عند الله بمنزلة الصديقين
والشهداء او هم المبالغون في الصدق فانهم آمنوا وصدقوا جميع اخبار الله ورسله والقائمون
بالشهادة لله ولهم او على الامم يوم القيامة وقيل والشهداء عند ربهم مبتدأ وخبر والمراد به
الانبياء من قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد او الذين استشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم
ونورهم مثل اجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم ولكن من غير تضعيف ليحصل التفاوت
او الاجر والنور الموعودان لهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم فيه
دليل على ان الخلود في النار مخصوص بالكفار من حيث ان التركيب يشعر بالاختصاص
تدل على الملازمة عرفا اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال
والاولاد لما ذكر حال الفريقين في الآخرة حقر امور الدنيا اعني ما لا يتوصل به الى الفوز
الآجل بان بين انها امور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال لانها لعب يتعب الناس فيه
انفسهم جدا اتعاب الصبيان في الملاعب من غير فائدة ولهو يلهون به انفسهم عما يهمهم
ومنها زينة كالملابس الحسنة والمراكب البهية والمنازل الرفيعة وتفاخر بالانساب
او تكاثر بالعدد والعدد ثم قرر ذلك بقوله كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج
فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وهو تمثيل لها في سرعة تقضيها وقلة جدواها بحال
نبات انبته الغيث فاستوى اعجب به الحراث او الكافرون بالله لانهم اشد اعجابا بزينة
الدنيا ولان المؤمن اذا رأى معجبا انتقل فكره الى قدرة صانعه فاعجب بها والكافر لا يتخطى فكره
عما احس به فيستغرق فيه اعجابا ثم هاج اي يبس بعاهة فاصفر ثم صار حطاما ثم عظم
امور الآخرة الابدية بقوله وفي الآخرة عذاب شديد تنفيرا عن الانهماك في الدنيا وحثا
على ما يوجب كرامة العقبى ثم اكد ذلك بقوله ومغفرة من الله ورضوان اي لمن اقبل عليها ولم يطلب
الآخرة وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور سابقوا سارعوا مسارعة السابقين في
المضمار الى مغفرة من ربكم الى موجباتها وجنة عرضها كعرض السماء والارض اي عرضها
كعرضهما واذا كان العرض كذلك فما ظنك بالطول وقيل المراد به البسط كقوله فذو دعاء عريض
اعدت للذين آمنوا بالله ورسله فيه دليل على ان الجنة مخلوقة وان الايمان وحده كاف
في استحقاقها ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ذلك الموعود يتفضل به على من يشاء من غير
ايجاب والله ذو الفضل العظيم فلا يبعد منه التفضل بذلك وان عظم قدره ما اصاب
من مصيبة في الارض كجدب وعاهة ولا في انفسكم كمرض وآفة الا في كتاب الا مكتوبة
في اللوح مثبتة في كتاب الله من قبل ان نبرأها نخلقها والضمير للمصيبة او للارض او الانفس
ان ذلك ان ثبته في كتاب على الله يسير لاستغنائه فيه عن العدة والمدة لكيلا
تأسوا اي اثبت وكتب لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا بما آتاكم

بما اعطاكم الله منها فان من علم ان الكل مقدرهان عليه الامر وقرا ابو عمرو بما اتاكم من الاتيان ليعادل ما فاتكم وعلى الاول فيه اشعار بان فواتها يلحقها اذا خليت وطباعها واما حصولها وبقاؤها فلابد لها من سبب يوجدها ويبقيها والمراد نفي الاسي المانع من التسليم لامر الله والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقبه بقوله والله لا يحب كل مختال فخور اذ قل من يثبت نفسه حالي الضرا والسرا الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن به غالبا او مبتدا خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد لان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غني عنه وعن انفاقه محمود في ذاته لا يضره الاعراض عن شكره والتقرب اليه بشي من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرا نافع وابن عامر ان الله الغني لقد ارسلنا رسلنا اي الملايكة الي الانبيا او الانبيا الي الامم بالبينات بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب ليبين الحق ويميز صواب العمل والميزان ليسوي به الحقوق ويقام به العدل كما قال ليقوم الناس بالقسط وانزاله انزال اسبابه والامر باعداده وقيل انزل الي نوح عليه السلام ويجوز ان يراد به العدل ليقام به السياسة وتدفع به الاعدا كما قال وانزلنا الحديد فيه باس شديد فان الات الحروب متخذة منه ومنافع للناس اذ ما من صنعة الا والحديد التها وليعلم الله من ينصره ورسله باستعمال الاسلحة في مجاهدة الكفار والعطف على محذوف دل عليه ما قبله فانه متضمن تعليلا او اللام صلة لمحذوف اي انزله ليعلم الله بالغيب حال من المستكن في ينصره ان الله قوي على اهلاك من اراد اهلاكه عزيز لا يفتقر الي نصرة وانما امرهم بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب بان استنبأناهم واوحينا اليهم الكتاب وقيل المراد بالكتاب الخط فمنهم فمن الذرية او من المرسل اليهم وقد دل عليهم ارسلنا مهتد وكثير منهم فاسقون خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم والدلالة على ان الغلبة للضلال ثم قفينا على اثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم اي ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الي عيسى والضمير لنوح وابراهيم ومن ارسلا اليهم او من عاصرهما من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية واتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة وامره اهون من امر البرطيل لانه اعجمي وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة وقرئ رافة على فعالة ورحمة ورهبانية ابتدعوها اي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها او رهبانية مبتدعة على انها من المجعولات وهي المبالغة في العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس منسوبة الي الرهبان وهو المبالغ في الخوف من الرهب كالخشيان من خشي وقرئت بالضم كانها منسوبة الي الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان ما كتبناها عليهم ما فرضناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع اي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء

رضوان

رضوان الله وقيل متصل فان ما كتبناها عليهم بمعنى ما تعبدناهم بها وهو كما ينفي الايجاب المقصود منه دفع العقاب ينفي الندب المقصود منه مجرد تحصيل مرضاة الله وهو يخالف قوله ابتدعوها الا ان يقال ابتدعوها ثم ندبوا اليها او ابتدعوها بمعنى استحدثوها واتوا بها اولا لانهم اخترعوها من تلقا انفسهم فما رعوها اي فما رعوها جميعا حق رعايتها بضم التثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة والكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم فاتينا الذين امنوا منهم من المتسمين باتباعه اجرهم وكثير منهم فاسقون خارجون عن حال الاتباع يا ايها الذين امنوا بالرسل المتقدمة اتقوا الله فيما نهاكم عنه وامنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد وايمانكم بمن قبله ولا يبعد ان يثابوا على دينهم السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا في عصره ويجعل لكم نورا تمشون به يريد المذكور في قوله يسعى نورهم او الذي يسلك به الي جناب القدس ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم اهل الكتاب اي ليعلموا ولا مزيدة ويؤيده انه قرئ ليعلم ولكي يعلم ولان يعلم بادغام النون في اليا الا يقدرون على شي من فضل الله ان هي المخففة والمعنى انه لا ينالون شيا مما ذكر من فضله ولا يتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالايمان به او لا يقدرون على شي من فضله فضلا عن ان يتصرفوا في اعظمه وهو النبوة فيخصونها بمن ارادوا ويؤيده قوله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشا والله ذو الفضل العظيم وقيل لا غير مزيدة والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبي والمؤمنون به على شي من فضل الله ولا ينالونه فيكون وان الفضل عطفا على ان لا يعلم وقرئ ليلا يعلم ووجهه ان الهمزة حذفت وادغمت النون في اللام ثم ابدلت يا وقرئ ليلا على ان الاصل في الحروف المفردة الفتح عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحديد كتب من الذين امنوا بالله ورسله اجمعين صلى الله عليه وسلم وآله وسلم

وقيل العشر الاول مكي والباقي مدني وايها اثنتان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الي الله روي ان خولة بنت ثعلبة ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت ما طلقني فقال حرمت عليه فاغتمت لصغر اولادها وشكت الي الله فنزلت هذه الاية الاربع وقد تشعر بان الرسول او المجادلة تتوقع ان الله يسمع مجادلتها وشكواها ويفرج عنها كربها وادغم حمزة والكسائي الدال في السين والله يسمع تحاوركما تراجعكما الكلام وهو على تغليب الخطاب ان الله سميع بصير للاقوال والاحوال الذين يظهرون منكم من نسائهم الظهار ان يقول الرجل لامراته انت علي كظهر امي مشتق من الظهر والحق به الفقها تشبيهها بجزء محرم وفي منكم تهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان الجاهلية واصل يظهرون يتظهرون وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي يظاهرون من اظاهر وعاصم

يظاهرون من ظاهر ما هن أمهاتهم أي على الحقيقة إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم
فلا يشبه بهن في الحرمة الا من ألحقها الله بهن كالمرضعات وأزواج الرسول وعن عاصم
أمهاتهم بالرفع على لغة تميم وقرئ بأمهاتهم وهو ايضا على لغة من ينصب وإنهم
ليقولون منكرا من القول إذ الشرع أنكره وزورا محرفا عن الحق فإن الزوجة لا تشبه
الأم وإن الله لعفو غفور لما سلف منه مطلقا أو إذا تيب عنه والذين يظاهرون
من نسائهم ثم يعودون لما قالوا أي إلى قولهم بالتدارك ومنه المثل عاد الغيث على ما
أفسد وهو بنقض ما يقتضيه وذلك عند الشافعي بإمساك المظاهر عنها في النكاح زمانا
يمكنه مفارقتها فيه إذ التشبيه يتناول حرمته لصحة استثنائها عنه وهو أقل ما ينتقض
به وعند أبي حنيفة باستباحة استمتاعها ولو بنظرة شهوة وعند مالك بالعزم وعند
الحسن بالجماع أو بالظهار في الاسلام على أن قوله يظاهرون بمعنى يعتادون الظهار
إذ كانوا يظاهرون في الجاهلية وهو قول الثوري أو بتكراره لفظا وهو قول الظاهرية
أو معنى بأن يحلف على ما قال وهو قول أبي مسلم أو إلى المقول فيها بإمساكها أو استباحة
استمتاعها أو وطئها فتحرير رقبة أي فعليهم أو فالواجب إعتاق رقبة والفاء للسببية
ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار والرقبة مقيدة بالإيمان
عندنا قياسا على كفارة القتل من قبل أن يتماسا أن يستمتع كل من المظاهر والمظاهر عنها
بالآخر لعموم اللفظ ومقتضى التشبيه أو أن يجامعا وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير
ذلكم أي ذلكم الحكم بالكفارة توعظون به لأنه يدل على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة ويردع
عنه والله بما تعملون خبير لا يخفى عليه خافية فمن لم يجد أي الرقبة والذي غاب ماله واجد
فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فإن أفطر لغير عذر لزمه الاستئناف وإن
أفطر لعذر ففيه خلاف وإن جامع المظاهر عنها ليلا لم ينقطع التتابع عندنا خلافا لأبي
حنيفة ومالك رضي الله عنهما فمن لم يستطع أي الصوم لهرم أو مرض مزمن أو شبق مفرط
فإنه عليه الصلاة والسلام رخص للأعرابي المفطر أن يعدل لأجله فإطعام ستين مسكينا
ستين مدا بمد النبي صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث رطل لأنه أقل ما قيل في الكفارات
وجنسه المخرج في الفطرة وقال أبو حنيفة رضي الله عنه يعطي كل مسكين نصف صاع
من غيره وإن لم يذكر التماس مع الطعام اكتفاء بذكره مع الآخرين أو لجوازه في خلال
الطعام كما قال أبو حنيفة رضي الله عنه ذلك أي ذلك البيان أو التعليم للأحكام ومحله
النصب بفعل معلل بقوله لتؤمنوا بالله ورسوله أي فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله في
قبول شرائعه ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك حدود الله لا يجوز تعديها
وللكافرين أي الذين لا يقبلونها عذاب أليم وهو نظير قوله ومن كفر فإن الله غني عن
العالمين إن الذين يحادون الله ورسوله يعادونهما فإن كلا من المتعاديين في حد
غير حد الآخر أو يضعون أو يختارون حدودا غير حدودهما كبتوا أخزوا أو أهلكوا وأصل

الكبت

الكبت الكب كما كبت الذين من قبلهم يعني كفار الأمم الماضية وقد أنزلنا آيات بينات
تدل على صدق الرسول وما جاء به وللكافرين عذاب مهين يذهب عزهم وتكبرهم يوم
يبعثهم الله منصوب بمهين أو بإضمار اذكر جميعا كلهم لا يدع أحدا غير مبعوث
أو مجتمعين فينبئهم بما عملوا أي على رؤوس الأشهاد تشهيرا لحالهم وتقريرا لعذابهم
أحصاه الله أحاط به عددا لم يغب منه شيء ونسوه لكثرته أو تهاونهم به والله
على كل شيء شهيد لا يغيب عنه شيء ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض كليا وجزئيا
ما يكون من نجوى ثلاثة أي ما يقع من تناجي ثلاثة ويجوز أن يقدر مضاف أو يأول
نجوى بمتناجين ويجعل ثلاثة صفة لها واشتقاقها من النجوة وهي ما ارتفع من الأرض
فإن السر أمر مرفوع إلى الذهن لا يتيسر لكل أحد أن يطلع عليه إلا هو رابعهم إلا الله
يجعلهم أربعة من حيث أنه يشاركهم في الاطلاع عليها والاستثناء من أعم الأحوال
ولا خمسة ولا نجوى خمسة إلا هو سادسهم وتخصيص العددين إما لخصوص الواقعة
فإن الآية نزلت في تناجي المنافقين أو لأن الله وتر يحب الوتر والثلاثة أول الأوتار
أو لأن التشاور لا بد له من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسط بينهما وقرئ
ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال بإضمار يتناجون أو تأويل نجوى بمتناجين ولا أدنى من
ذلك ولا أقل مما ذكر كالواحد والاثنين ولا أكثر إلا هو معهم ما يجري بينهم وقرأ يعقوب
ولا أكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى أو محل لا أدنى إن جعلت لا لنفي الجنس أينما كانوا
فإن علمه بالأشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الأمكنة ثم ينبئهم بما عملوا
يوم القيامة تفضيحا لهم وتقريرا لما يستحقونه من الجزاء إن الله بكل شيء عليم لأن
نسبة ذاته المقتضية للعلم إلى الكل على سواء ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم
يعودون لما نهوا عنه نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم
ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله ثم عادوا لمثل فعلهم ويتناجون
بالإثم والعدوان ومعصيت الرسول أي بما هو إثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول
وقرأ حمزة وينتجون وروي عن يعقوب وهو يفتعلون من النجوى وإذا جاؤوك
حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون السام عليك أو أنعم صباحا والله تعالى يقول
وسلام على عباده الذين اصطفى ويقولون في أنفسهم فيما بينهم لولا يعذبنا الله
بما نقول هلا يعذبنا بذلك لو كان محمد نبيا حسبهم جهنم عذابا يصلونها
يدخلونها فبئس المصير جهنم يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم
والعدوان ومعصية الرسول كما يفعله المنافقون وعن يعقوب فلا تنتجوا
وتناجوا بالبر والتقوى بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول واتقوا
الله الذي إليه تحشرون فيما تأتون وتذرون فإنه مجازيكم عليه إنما النجوى
أي النجوى بالإثم والعدوان من الشيطان فإنه المزين لها والحامل عليها ليحزن

اي الشيطان او التناجي الذين امنوا بتوهمهم انها في نكبة اصابتهم وليس الشيطان او التناجي بضار
المؤمنين شيئا الا باذن الله الا بمشيته وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالوا بنجواهم
يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم
افسح عني اي تنح وقرئ تفاسحوا والمراد بالمجلس الجنس ويدل عليه قراءة عاصم بالجمع او مجلس رسول الله فانهم
كانوا يتضامون تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه فافسحوا يفسح الله لكم فيما تريدون
التفسح فيه من المكان والرزق والصدر وغيرها واذا قيل انشزوا انهضوا للتوسعة او لما امرتم
به كصلاة او جهاد او ارتفعوا في المجالس فانشزوا وقرا نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما
يرفع الله الذين امنوا منكم بالنصر وحسن الذكر في الدنيا وايواهم غرف الجنان في الاخرة والذين
اوتوا العلم درجات ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل فان العلم مع علو
درجته يقتضي للعمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك يقتدي بالعالم في افعاله ولا يقتدي بغيره
وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب والله بما تعملون خبير
تهديد لمن لم يمتثل الامر او استكرهه يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي
نجواكم صدقة فتصدقوا قدامها مستعار ممن له يدان وفي هذا الامر تعظيم الرسول وانفاع الفقراء والنهي
عن الافراط في السؤال والميز بين المخلص والمنافق ومحب الاخرة ومحب الدنيا واختلف في انه للندب او
الوجوب لكنه منسوخ بقوله ااشفقتم وهو وان اتصل به تلاوة لم يتصل به نزولا وعن علي كرم الله
وجهه ان في كتاب الله اية ما عمل بها احد غيري كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت
بدرهم وهو على القول بالوجوب لا يقدح في غيره فلعله لم يتفق للاغنياء مناجاة في مدة بقائه
اذ روي انه لم يبق الا عشرا او ساعة ذلك اي ذلك التصدق خير لكم واطهر اي لانفسكم من الريبة
وحب المال وهو يشعر بالندبية لكن قوله فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم لمن لم يجد حيث رخص
له في المناجاة بلا تصدق ادل على الوجوب ااشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات
اخفتم الفقر من تقديم الصدقة او اخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات
لجمع المخاطبين او لكثرة التناجي فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم بان رخص لكم ان لا تفعلوا
وفيه اشعار بان اشفاقكم ذنب تجاوز الله عنه لما راى منكم مما قام مقام توبتهم واذ على بابها
وقيل بمعنى اذا او ان فاقيموا الصلاة واتوا الزكاة فلا تفرطوا في ادائهما واطيعوا الله ورسوله
في سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر للتفريط في ذلك والله خبير بما تعملون ظاهرا وباطنا
الم تر الى الذين تولوا والوا قوما غضب الله عليهم يعني اليهود ما هم منكم ولا منهم لانهم منافقون
مذبذبون بين ذلك ويحلفون على الكذب وهو ادعاء الاسلام وهم يعلمون ان المحلوف عليه كذب
لمن يحلف بالغموس وفي هذا التقييد دليل على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته وما لا يعلم
وروي انه عليه السلام كان في حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الان رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين
شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان ازرق العينين فقال عليه السلام له علام تشتمني
انت واصحابك فحلف بالله ما فعل ثم جاء باصحابه فحلفوا فنزلت اعد الله لهم عذابا شديدا نوعا من العذاب

متفاقما

متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون فتمرنوا على سوء العمل واصروا عليه اتخذوا ايمانهم التي حلفوا بها وقرئ
بالكسر اي ايمانهم الذي اظهروه جنة وقاية دون دمائهم واموالهم فصدوا عن سبيل الله فصدوا الناس
في خلال امنهم عن دين الله فلهم عذاب مهين وعيد ثان بوصف اخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر
وهذا عذاب الاخرة لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون قد سبق مثله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له اي على الله انهم مسلمون ويقولون كما يحلفون
لكم في الدنيا انهم لمنكم ويحسبون انهم على شيء في حلفهم الكاذب لان تمكن النفاق في نفوسهم بحيث يخيل
اليهم في الاخرة ان الايمان الكاذبة تروج الكذب على الله كما تروجه عليكم في الدنيا الا انهم هم الكاذبون
البالغون الغاية في الكذب حيث يكذبون مع عالم الغيب والشهادة ويحلفون عليه استحوذ عليهم الشيطان
استولى عليهم من حذت الابل وحزتها اذا استوليت وهو مما جاء على الاصل فانساهم ذكر الله لا يذكرونه
بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك حزب الشيطان جنوده واتباعه الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون
لانهم فوتوا على انفسهم النعيم المؤبد وعرضوها للعذاب المخلد ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في
الاذلين في جملة من هو اذل خلق الله كتب الله في اللوح لاغلبن انا ورسلي وقرا نافع وابن عامر ورسلي
بفتح الياء ان الله قوي على نصر انبيائه عزيز لا يغلب عليه في مراده لا تجد قوما يؤمنون بالله
واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله اي لا ينبغي ان تجدهم وادين اعداء الله والمراد انه
لا ينبغي ان يوادوهم ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم ولو كان المحادون اقرب
الناس اليهم اولئك اي الذين لم يوادوهم كتب في قلوبهم الايمان اثبته فيها وهو دليل على خروج
العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت في القلب يكون ثابتا فيه واعمال الجوارح لا تثبت
فيه وايدهم بروح منه اي من عند الله وهو نور القلب او القران او النصر على العدو وقيل الضمير للايمان
فانه سبب لحياة القلب ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم
بطاعتهم ورضوا عنه بقضائه او بما وعدهم من الثواب اولئك حزب الله جنده وانصار دينه
الا ان حزب الله هم المفلحون الفائزون بخير الدارين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المجادلة
كتب من حزب الله يوم القيامة من لطفه وكرمه

سورة الحشر مدنية

وايها اربع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم روي انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة صالح بني النضير
على ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر يوم بدر قالوا انه النبي المبعوث في التوراة بالنصرة فلما هزم المسلمون يوم احد
ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة وحالفوا ابا سفيان فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
محمد بن مسلمة اخا كعب من الرضاعة فقتله غيلة ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوا على الجلاء فجلا
اكثرهم الى الشام ولحقت طائفة بخيبر والحيرة فانزل الله سبح لله الى قوله والله على كل شيء قدير هو الذي اخرج الذين
كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر اي في اول حشرهم من جزيرة العرب اذ لم يصبهم هذا
الذل قبل ذلك او في اول حشرهم للقتال او الجلاء الى الشام واخر حشرهم اجلاء عمر رضي الله عنه اياهم من خيبر الى الشام

او في اول حشر الناس الى الشام واخر حشرهم انهم يحشرون اليه عند قيام الساعة فيدركهم هناك او ان نارا تخرج
من المشرق فتحشرهم الى المغرب والحشر اخراج جمع من مكان الى اخر ما ظننتم ان يخرجوا لشدة باسهم ومنعتهم
وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله اي ان حصونهم تمنعهم من باس الله وتغيير النظم وتقديم
الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة
بسببها ويجوز ان تكون حصونهم فاعلا لمانعتهم فاتاهم الله اي عذابه وهو الرعب والاضطرار
الى الجلاء وقيل الضمير للمؤمنين اي فاتاهم نصر الله وقرئ فآتاهم اي العذاب او النصر من حيث لم يحتسبوا
لقوة وثوقهم وقذف في قلوبهم الرعب واثبت فيها الخوف الذي يرعبها اي يملاها يخربون
بيوتهم بايديهم ضنا بها على المسلمين واخراجا لما استحسنوا من الالتها وايدي المؤمنين فانهم
ايضا كانوا يخربون ظواهرها نكاية وتوسيعا لمجال القتال وعطفها على ايديهم من حيث ان تخريب
المؤمنين مسبب عن نقضهم فكانهم استعملوهم فيه والجملة حال او تفسير للرعب وقرا ابو عمرو يخربون بالتشديد
وهو ابلغ لما فيه من التكثير وقيل الاخراب التعطيل وترك الشيء خرابا والتخريب الهدم فاعتبروا يا اولي
الابصار فاتعظوا بحالهم فلا تغدروا ولا تعتمدوا على غير الله واستدل به على ان القياس حجة من حيث
انه امر بالمجاوزة من حال الى حال وحملها عليها في حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له على ما قررناه في الكتب
الاصولية ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء الخروج من اوطانهم لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي كما
فعل ببني قريظة ولهم في الاخرة عذاب النار استيناف معناه انهم ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا
من عذاب الاخرة ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب
الاشارة الى ما ذكر مما حاق بهم وما كانوا بصدده وما هو معد لهم او الى الاخير ما قطعتم من لينة اي شيء
قطعتم من نخلة فعلة من اللون ويجمع على الوان وقيل من اللين ومعناها النخلة الكريمة وجمعها اليان
او تركتموها الضمير لما وتانيثه لانه مفسر باللينة قائمة على اصولها وقرئ اصلها اكتفاء بالضمة
عن الواو وعلى انه كرهن فباذن الله فبامره وليخزي الفاسقين علة لمحذوف اي وفعلتم او واذن
لكم في القطع ليخزيهم على فسقهم بما غاظهم منه روي انه صلى الله عليه وسلم لما امر بقطع نخيلهم قالوا قد كنت
يا محمد تنهى عن الفساد في الارض فما بال القطع والتحريق فنزلت وما افاء الله على رسوله وما اعاده عليه بمعنى
صيره له او رده عليه فانه كان حقيقا بان يكون له لانه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق لهم ليتوسلوا
به الى طاعته فهو جدير بان يكون للمطيعين منهم من بني النضير او من الكفرة فما اوجفتم عليه فما اجريتم
على تحصيله من الوجيف وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب ما يركب من الابل غلب فيه كما غلب
الراكب على راكبه وقيل انكان المراد في بني النضير فلان قراهم كانت على ميلين من المدينة فمشوا اليها
رجالا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ركب جملا او حمارا ولم يجر مزيد قتال ولذلك لم يعط الانصار
منه شيئا الا ثلاثة كانت بهم حاجة ولكن الله يسلط رسله على من يشاء بقذف الرعب في قلوبهم والله على
كل شيء قدير فيفعل ما يريد تارة بالوسائط الظاهرة وتارة بغيرها ما افاء الله على رسوله من اهل القرى
بيان للاول فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل اختلف في قسم الفيء
فقيل يسدس لظاهر الاية ويصرف سهم الله في عمارة الكعبة وساير المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله للتعظيم

ويصرف

ويصرف الان سهم الرسول صلى الله عليه وسلم الى الامام على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين
على قول وقيل يخمس خمسة كالغنيمة فانه صلى الله عليه وسلم كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء
والان على خلاف المذكور كي لا يكون اي الفيء الذي حقه ان يكون للفقراء وقرا هشام في رواية بالتاء دولة
بين الاغنياء منكم الدولة ما يتداوله الاغنياء ويدور بينهم كما كان في الجاهلية وقرئ دولة بمعنى كيلا
يكون الفيء ذا تداول بينهم او اخذ غلبة يكون بينهم وقرا هشام دولة بالرفع على كان التامة اي كيلا
تقع دولة جاهلية وما اتاكم الرسول وما اعطاكم من الفيء او من الامر فخذوه لانه حلال لكم او فتمسكوا به لانه
واجب الطاعة وما نهاكم عنه عن اخذه منه او عن اتيانه فانتهوا عنه واتقوا الله في مخالفة رسوله
ان الله شديد العقاب لمن خالفه للفقراء المهاجرين بدل من لذي القربى وما عطف عليه فان الرسول
لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوي القربى خصص الابدال بما بعده او الفيء بفيء بني النضير الذين اخرجوا
من ديارهم واموالهم فان كفار مكة اخرجوهم واخذوا اموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا
حال مقيدة لاخراجهم بما يوجب تفخيم شانهم وينصرون الله ورسوله بانفسهم واموالهم اولئك هم
الصادقون الذين ظهر صدقهم في ايمانهم والذين تبوءوا الدار والايمان عطف على المهاجرين والمراد بهم
الانصار فانهم لزموا المدينة والايمان وتمكنوا فيهما وقيل المعنى تبوءوا دار الهجرة ودار الايمان فحذف
المضاف من الثاني والمضاف اليه من الاول وعوض عنه اللام او تبوءوا الدار واخلصوا الايمان كقوله
علفتها تبنا وماء باردا وقيل سمى المدينة بالايمان لانه مظهره ومصيره من قبلهم من قبل هجرة المهاجرين
وقيل تقدير الكلام والذين تبوءوا الدار من قبلهم والايمان يحبون من هاجر اليهم ولا يثقل عليهم ولا
يجدون في صدورهم في انفسهم حاجة ما تحمل عليه الحاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ مما اوتوا
مما اعطي المهاجرون من الفيء وغيره ويؤثرون على انفسهم ويقدمون المهاجرين على انفسهم حتى ان من كان
عنده امراتان نزل عن واحدة وزوجها احدهم ولو كان بهم خصاصة حاجة من خصاص البناء وهي
فرجه ومن يوق شح نفسه حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق فاولئك هم المفلحون
الفايزون بالثناء العاجل والثواب الاجل والذين جاءوا من بعدهم هم الذين هاجروا بعد ما قوي
الاسلام او التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيامة ولذلك قيل ان الاية استوعبت
جميع المؤمنين يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان اي لاخواننا في الدين ولا تجعل في
قلوبنا غلا للذين امنوا حقدا لهم ربنا انك رءوف رحيم فحقيق بان تجيب دعاءنا الم تر الى الذين
نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب يريدون الذين بينهم وبينهم اخوة الكفر
او الصداقة والموالاة لئن اخرجتم من دياركم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم في قتالكم او خذلانكم
احدا ابدا اي من رسول الله والمسلمين وان قوتلتم لننصرنكم لنعاوننكم والله يشهد انهم لكاذبون
لعلمه بانهم لا يفعلون ذلك كما قال لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم
وكان ذلك فان ابن ابي واصحابه راسلوا بني النضير بذلك ثم اخلفوهم وفيه دليل على صحة النبوة واعجاز
القران ولئن نصروهم على الفرض والتقدير ليولن الادبار انهزاما ثم لا ينصرون بعد بل يخذلهم
ولا ينفعهم نصرة المنافقين او نفاقهم اذ ضمير الفعلين يحتمل ان يكون لليهود وان يكون للمنافقين

لأنتم أشد رهبة أي أشد مرهوبية مصدر للفعل المبني للمفعول في صدورهم فإنهم كانوا يضمرون
مخافتهم من المؤمنين من الله على ما يظهرونه نفاقا فإن استبطان رهبتكم سبب لإظهار رهبة الله
ذلك بأنهم قوم لا يفقهون لا يعلمون عظمة الله حتى يخشوه حق خشيته ويعلموا أنه الحقيق بأن
يخشى لا يقاتلونكم اليهود والمنافقون جميعا مجتمعين إلا في قرى محصنة بالدروب والخنادق
أو من وراء جدر لفرط رهبتهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو جدار وأمال أبو عمرو فتحة الدال بأسهم بينهم شديد
أي وليس ذلك لضعفهم وجبنهم فإنه يشتد بأسهم إذا حارب بعضهم بعضا بل لقذف الله الرعب في
قلوبهم ولأن الشجاع يجبن والعزيز يذل إذا حارب الله ورسوله تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين وقلوبهم
شتى متفرقة لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ما فيه صلاحهم وأن
تشتت القلوب يوهن قواهم كمثل الذين من قبلهم أي مثل اليهود كمثل أهل بدر أو بني قينقاع إن صح أنهم
أخرجوا قبل النضير أو المهلكين من الأمم الماضية قريبا في زمان قريب وانتصابه بمثل إذ التقدير
كوجود مثل ذاقوا وبال أمرهم سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ولهم عذاب أليم في الآخرة كمثل الشيطان
أي مثل المنافقين في إغراء اليهود على القتال إذ قال للإنسان اكفر إغراء على الكفر إغراء الآمر المأمور
فلما كفر قال إني بريء منك تبرأ عنه مخافة أن يشاركه في العذاب ولم ينفعه ذلك كما قال إني أخاف
الله رب العالمين فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين والمراد من الإنسان
الجنس وقيل أبو جهل قال له إبليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم الآية وقيل راهب حمله
على الفجور والارتداد وقرئ عاقبتهما وخالدان على أنهما الخبر وفي النار لغو يا أيها الذين آمنوا
اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ليوم القيامة سماه به لدنوه أو لأن الدنيا كيوم والآخرة غده
وتنكيره للتعظيم وأما تنكير النفس فلاستقلال الأنفس النواظر فيما قدمن للآخرة كأنه قال ولتنظر نفس
واحدة في ذلك إن الله خبير بما تعملون وهو كالوعيد على المعاصي ولا تكونوا كالذين نسوا الله نسوا
حقه فأنساهم أنفسهم فجعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها أو أراهم
يوم القيامة من الهول ما أنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون الكاملون في الفسوق لا يستوي أصحاب
النار وأصحاب الجنة الذين استكملوا نفوسهم فاستأهلوا الجنة والذين استمهنوها فاستحقوا النار
واحتج به أصحابنا على أن المسلم لا يقتل بالكافر أصحاب الجنة هم الفائزون بالنعيم المقيم لو أنزلنا
هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله تمثيل وتخييل كما مر في قوله إنا عرضنا
الأمانة ولذلك عقبه بقوله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون فإن الإشارة إليه
وإلى أمثاله والمراد توبيخ الإنسان على عدم تخشعه عند تلاوة القرآن لقساوة قلبه وقلة تدبره والتصدع
التشقق وقرئ مصدعا على الإدغام هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ما غاب عن الحس
من الجواهر القدسية وأحوالها وما حضر له من الأجرام وأعراضها وتقديم الغيب لتقدمه في الوجود وتعلق
العلم القديم به أو المعدوم والموجود أو السر والعلانية وقيل الدنيا والآخرة هو الرحمن الرحيم هو الله
الذي لا إله إلا هو الملك القدوس البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه
السلام ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة المؤمن واهب الأمن وقرئ بالفتح بمعنى

المؤمن به

المؤمن به على حذف الجار المهيمن الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل من الأمن قلبت همزته هاء العزيز الجبار الذي
جبر خلقه على ما أراده أو جبر حالهم أي أصلحه المتكبر الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة أو نقصانا سبحان الله عما
يشركون إذ لا يشاركه في شيء من ذلك هو الله الخالق المقدر للأشياء على مقتضى حكمته البارئ الموجد لها بريئا
من التفاوت المصور الموجد لصورها وكيفياتها كما أراد ومن أراد الإطناب في شرح هذه الأسماء فعليه
بكتابي المسمى بمنتهى المنى له الأسماء الحسنى لأنها دالة على محاسن المعاني يسبح له ما في السماوات والأرض لتنزهه
عن النقائص وهو العزيز الحكيم الجامع للكمالات بأسرها فإنها راجعة إلى الكمال في القدرة والعلم
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر والله سبحانه وتعالى أعلم

سورة الممتحنة مدنية

وآيها ثلاث عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء نزلت في حاطب بن أبي بلتعة فإنه لما علم أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو أهل مكة كتب إليهم أن رسول الله يريدكم فخذوا حذركم وأرسل مع سارة
مولاة بني المطلب فنزل جبريل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد
وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب حاطب إلى أهل مكة فخذوه
منها وخلوها فإن أبت فاضربوا عنقها فأدركوها ثم جحدت فسل علي رضي الله عنه السيف فأخرجته
من عقيصتها فاستحضر رسول الله حاطبا وقال ما حملك عليه فقال ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك
منذ نصحتك ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش ليس فيهم من يحمي أهلي فأردت أن آخذ عندهم يدا
وقد علمت أن كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره تلقون إليهم بالمودة
تقضون إليهم المودة بالمكاتبة والباء مزيدة أو أخبار رسول الله بسبب المودة والجملة حال من فاعل لا تتخذوا
أو صفة لأولياء جرت على غير من هي له فلا حاجة فيها إلى إبراز الضمير لأنه مشروط في الاسم دون الفعل
وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال من فاعل أحد الفعلين يخرجون الرسول وإياكم أي من مكة وهو حال من كفروا
أو استئناف لبيانه أن تؤمنوا بالله ربكم بأن تؤمنوا به وفيه تغليب المخاطب والالتفات من التكلم
إلى الغيبة للدلالة على ما يوجب الإيمان إن كنتم خرجتم عن أوطانكم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي
علة للخروج وعمدة للتعليق وجواب الشرط محذوف دل عليه لا تتخذوا تسرون إليهم بالمودة
بدل من تلقون أو استئناف معناه أي طائل لكم في إسرار المودة أو الإخبار بسبب المودة وأنا أعلم بما
أخفيتم وما أعلنتم أي منكم وقيل أعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة أو مصدرية ومن يفعله
منكم أي من يفعل الاتخاذ فقد ضل سواء السبيل أخطأه إن يثقفوكم يظفروا بكم يكونوا لكم أعداء
ولا ينفعكم إلقاء المودة إليهم ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ما يسوؤكم كالقتل والشتم
وودوا لو تكفرون وتمنوا ارتدادكم ومجيئه وحده بلفظ الماضي للإشعار بأنهم ودوا ذلك قبل كل شيء وأن
ودادتهم حاصلة وإن لم يثقفوكم لن تنفعكم أرحامكم قراباتكم ولا أولادكم الذين توالون
المشركين لأجلهم يوم القيامة يفصل بينكم يفرق بينكم بما عراكم من الهول فيفر بعضكم من بعض
فما لكم ترفضون اليوم حق الله لمن يفر عنكم غدا وقرأ حمزة والكسائي بالتشديد وكسر الصاد وفتح الفاء

وقرا ابن عامر يفصل على البنا للمفعول مع التشديد وهو بينكم وقرا عاصم يفصل والله بما تعملون بصير فيجازيكم
عليه قد كانت لكم اسوة حسنة قدوة اسم لما يؤتسى به في ابراهيم والذين معه صفة ثانية او خبر
كان ولكم لغو او حال من المستكن في حسنة او صلة لها لا لاسوة لانها وصفت اذ قالوا لقومهم ظرف لخبر
كان انا برآء منكم جمع بريء كظريف وظرفا ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم اي بدينكم او بمعبودكم
او بكم وبه فلا نعتد بشانكم والهتكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده
فتنقلب العداوة والبغضاء الفة ومحبة الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك استثنا من قوله اسوة
حسنة فان استغفاره لابيه الكافر ليس مما ينبغي ان تاتسوا به فانه كان قبل النهي او لموعدة وعدها اياه
وما املك لك من الله من شيء من تمام قول المستثنى ولا يلزم من استثنا المجموع استثنا جميع اجزائه ربنا عليك
توكلنا واليك انبنا واليك المصير متصل بما قبل الاستثنا او امر من الله للمؤمنين بان يقولوه تتميما
لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بان تسلطهم
علينا فيفتنونا بعذاب لا نتحمله واغفر لنا ما فرط ربنا انك انت العزيز الحكيم ومن كان كذلك كان
حقيقا بان يجير المتوكل ويجيب الداعي لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة تكرير لمزيد الحث على التاسي
بابراهيم ولذلك صدر بالقسم وابدل قوله لمن كان يرجو الله واليوم الآخر بدلا من لكم فانه يدل على انه
لا ينبغي لمؤمن ان يترك التاسي بهم وان تركه مؤذن بسوء العقيدة ولذلك عقبه بقوله ومن يتول فان
الله هو الغني الحميد فانه جدير بان يوعد به الكفرة عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم
منهم مودة لما نزل لا تتخذوا عادى المؤمنين اقاربهم المشركين وتبرؤا عنهم فوعدهم الله بذلك
وانجز اذ اسلم اكثرهم وصاروا لهم اولياء والله قدير على ذلك والله غفور رحيم لما فرط منكم [illegible] لا ينهاكم
الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم اي لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء لان قوله
ان تبروهم بدل من الذين وتقسطوا اليهم تفضوا اليهم بالقسط اي العدل ان الله يحب المقسطين
العادلين روي ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على اسما بنت ابي بكر بهدايا فلم تقبلها
ولم تاذن لها بالدخول فنزلت انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم
وظاهروا على اخراجكم كمشركي مكة فان بعضهم سعوا في اخراج المؤمنين وبعضهم اعانوا المخرجين ان
تولوهم بدل من الذين بدل الاشتمال ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون لوضعهم
الولاية في غير موضعها يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن فاختبروهن
بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن الله اعلم بايمانهن فانه المطلع على ما في قلوبهن فان علمتموهن
مؤمنات العلم الذي يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات وانما سماه
علما ايذانا بانه كالعلم في وجوب العمل به فلا ترجعوهن الى الكفار اي الى ازواجهن الكفرة لقوله
لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن والتكرير للمطابقة والمبالغة او الاولى لحصول الفرقة والثانية
للمنع عن الاستيناف وآتوهم ما انفقوا ما دفعوا اليهن من المهور وذلك لان صلح الحديبية جرى على ان
من جاءنا منكم رددناه فلما تعذر عليه ردهن لورود النهي عنه لزمه رد مهورهن اذ روي انه عليه السلام
كان بعد بالحديبية اذ جاءته سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة فاقبل زوجها مسافر المخزومي طالبا

فعفوا الاشهم من قبل والمابقي في قلوبهم من ميل الرحم صح

لسانهن في الايمان صح

لها

لها فنزلت فاستحلفها رسول الله فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر رضي الله عنه ولا جناح عليكم
ان تنكحوهن فان الاسلام حال بينهن وبين ازواجهن الكفار اذا آتيتموهن اجورهن شرط ايتاء المهر
في نكاحهن ايذانا بان ما اعطي ازواجهن لا يقوم مقام المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر بما تعتصم به
الكافرات من عقد ونسب جمع عصمة والمراد نهي المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات وقرا البصريان
ولا تمسكوا بالتشديد واسألوا ما انفقتم من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار وليسألوا ما انفقوا
من مهور ازواجهم المهاجرات ذلكم حكم الله يعني جميع ما ذكر في الآية يحكم بينكم استيناف او حال
من الحكم على حذف الضمير او جعل الحكم حاكما على المبالغة والله عليم حكيم يشرع ما تقتضيه حكمته وان
فاتكم وان سبقكم وانفلت منكم شيء من ازواجكم احد من ازواجكم وقد قرئ به وايقاع شيء موقعه
للتحقير والمبالغة في التعميم او شيء من مهورهن الى الكفار فعاقبتم فجاءت عقبتكم اي نوبتكم من اداء
المهر شبه الحكم باداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون
فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من مهر المهاجرة
ولا تؤتوه زوجها الكافر روي انه لما نزلت الآية المتقدمة ابى المشركون ان يؤدوا مهر الكوافر فنزلت
وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة واتقوا الله الذي
انتم به مؤمنون فان الايمان به يقتضي التقوى منه يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على
ان لا يشركن بالله شيئا نزلت يوم الفتح فانه عليه السلام لما فرغ عن بيعة الرجال اخذ في بيعة النساء
ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن يريد وأد البنات ولا يأتين ببهتان يفترينه
بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف في حسنة تامرهن بها والتقييد بالمعروف مع ان
الرسول لا يامر الا به تنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق واستغفر لهن الله ان الله
غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعني عامة الكفار او اليهود
اذ روي انها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم قد يئسوا من
الآخرة لكفرهم بها او لعلمهم بانه لا خلاق لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التوراة المؤيد بالآيات
كما يئس الكفار من اصحاب القبور ان يبعثوا او يثابوا او ينالهم خير منهم وعلى الاول وضع الظاهر
فيه موضع المضمر للدلالة على ان الكفر آيسهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الممتحنة كان المؤمنون
والمؤمنات شفعاء له يوم القيامة

سورة الصف اربعة عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله
ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم سبق تفسيره يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا
تفعلون روي ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله تعالى لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فانزل
الله ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله فولوا يوم احد فنزلت ولم مركبة من لام الجر وما الاستفهامية
والاكثر حذف الفها مع حذف الجار لكثرة استعمالها معا واعتناقهما في الدلالة على المستفهم عنه
كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون المقت اشد البغض ونصبه على التمييز للدلالة
على ان قولهم هذا مقت خالص كبير عند من يحقر دونه كل عظيم مبالغة في المنع عنه ان الله يحب الذين

حال مقدرة

فبايعهن اذا بايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الاشياء صح

يقاتلون في سبيله صفا مصطفين مصدر وصف به كأنهم بنيان مرصوص في تراصهم من غير فرجة
حال من الحال الاولى والرص اتصال بعض البنا بالبعض واستحكامه وإذ قال موسى لقومه مقدر باذكر او كان
كذا يا قوم لم تؤذونني بالعصيان والرمي بالأدرة وقد تعلمون أني رسول الله إليكم بما جئتكم من
المعجزات والجملة حال مقررة للانكار فان العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع ايذاءه وقد لتحقيق العلم
فلما زاغوا عن الحق أزاغ الله قلوبهم صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب والله لا يهدي القوم
الفاسقين هداية موصلة الى معرفة الحق او الى الجنة وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل ولعله
لم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة
ومبشرا برسول يأتي من بعدي في حال تصديقي لما تقدمني من التوراة وتبشيري برسول يأتي من بعدي
والعامل في الحالين ما في الرسول من معنى الارسال لا الجار لانه لغو اذ هو صلة للرسول فلا يعمل اسمه
أحمد يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى ان ديني التصديق بكتب الله وانبيائه فذكر اول الكتب المشهورة
الذي حكم به النبيون والنبي الذي هو خاتم المرسلين فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين الاشارة
الى ما جاء به او اليه وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة حمزة والكسائي هذا ساحر على ان الاشارة الى عيسى
عليه السلام ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام اي لا احد اظلم ممن يدعى الى الاسلام
الظاهر حقيته المقتضي له خير الدارين فيضع موضع اجابته الافترا على الله بتكذيب رسوله وتسمية
آياته سحرا فانه يعم اثبات المنفي ونفي الثابت وقرئ يدعي يقال دعاه وادعاه كما زيدت للاضافة
تأكيدا لها في لا ابا لك او يريدون الافترا ليطفئوا نور الله يعني دينه او كتابه او حجته بأفواههم بطعنهم
فيه والله متم نوره مبلغ غايته بنشره واعلائه وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بالاضافة
ولو كره الكافرون ارغاما لهم هو الذي أرسل رسوله بالهدى بالقرآن او المعجزة ودين الحق
والملة الحنيفية ليظهره على الدين كله ليغلبه على جميع الاديان ولو كره المشركون لما فيه من محض
التوحيد وابطال الشرك يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم وقرأ ابن عامر
تنجيكم بالتشديد تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم استئناف
مبين للتجارة وهو الجمع بين الايمان والجهاد المؤدي الى كمال عزهم والمراد به الامر وانما جيء بلفظ الخبر
ايذانا بان ذلك مما لا يترك ذلكم خير لكم يعني ما ذكر من الايمان والجهاد إن كنتم تعلمون ان كنتم من اهل
العلم اذ الجاهل لا يعتد بفعله يغفر لكم ذنوبكم جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر او لشرط او استفهام
دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم ويبعد جعله جوابا
لهل ادلكم لان مجرد دلالته لا يوجب المغفرة ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن
طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم الاشارة الى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنة وأخرى تحبونها
ولكم الى هذه النعمة المذكورة نعمة اخرى عاجلة محبوبة وفي تحبونها تعريض بانهم يؤثرون العاجل على
الآجل وقيل اخرى منصوبة باضمار يعطكم او تحبون او مبتدأ خبره نصر من الله وهو على الاول بدل او
بيان وعلى قول النصب خبر محذوف وقد قرئ بما عطف عليه بالنصب على البدل او الاختصاص او المصدر وفتح قريب
عاجل وبشر المؤمنين عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين امنوا وبشر او على تؤمنون فانه في معنى الامر كانه

كلمسه والتمسه والله لا يهدي القوم الظالمين لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم يريدون ليطفئوا اي يريدون ان يطفئوا واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة

قال

قال آمنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم يا رسول الله بما وعدتهم عليهما آجلا وعاجلا يا أيها الذين آمنوا
كونوا أنصار الله وقرأ الحجازيان وابو عمرو بالتنوين واللام لان المعنى كونوا بعض انصار الله كما قال
عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله اي من جندي متوجها الى نصرة الله ليطابق قوله
قال الحواريون نحن أنصار الله والاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص
والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اذ المراد قل لهم كما قال عيسى او كونوا انصارا
كما قال الحواريون من الحور وهو البياض حين قال لهم عيسى من انصاري الى الله والحواريون اصفياؤه وهم
اول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة اي بعيسى فأيدنا
الذين آمنوا على عدوهم بالحجة او بالحرب وذلك بعد رفع عيسى فأصبحوا ظاهرين فصاروا غالبين عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه

وآيها احدى عشرة آية

سورة الجمعة مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في
السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم وقد قرئ الصفات الاربع بالرفع على المدح
هو الذي بعث في الأميين اي في العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤون رسولا منهم من جملتهم
اميا مثلهم يتلو عليهم آياته مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم ويزكيهم من خبائث العقائد
والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن او الشريعة او معالم الدين من المنقول والمعقول ولو لم يكن
له سواه معجزة لكفاه وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة
احتياجهم الى نبي يرشدهم وازاحة لما يتوهم ان الرسول تعلم ذلك من معلم وان هي المخففة واللام تدل عليها
وآخرين منهم عطف على الاميين او المنصوب في يعلمهم وهم الذين جاؤوا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته
وتعليمه يعم الجميع لما يلحقوا بهم لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون وهو العزيز في تمكينه من هذا
الامر الخارق للعادة الحكيم في اختياره وتعليمه ذلك فضل الله ذلك الفضل الذي امتاز به عن اقرانه
يؤتيه من يشاء تفضلا وعطية والله ذو الفضل العظيم الذي يستحقر دونه نعيم الدنيا ونعيم الآخرة
مثل الذين حملوا التوراة علموها وكلفوا العمل بها ثم لم يحملوها لم يعملوا او لم ينتفعوا بما فيها
كمثل الحمار يحمل أسفارا كتبا من العلم يتعب في حملها ولا ينتفع بها ويحمل حال والعامل فيه معنى
المثل او صفة اذ ليس المراد من الحمار معينا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله اي مثل الذين
كذبوا وهم المكذبون بآيات الله الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون الذين صفة للقوم
والمخصوص بالذم محذوف والله لا يهدي القوم الظالمين قل يا أيها الذين هادوا تهودوا إن زعمتم
أنكم أولياء لله من دون الناس اذ كانوا يقولون نحن اولياء الله واحباؤه فتمنوا الموت فتمنوا من الله
ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى دار الكرامة إن كنتم صادقين في زعمكم ولا يتمنونه أبدا
بما قدمت أيديهم بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصي والله عليم بالظالمين فيجازيهم على اعمالهم قل إن
الموت الذي تفرون منه وتخافون ان تتمنوه بلسانكم مخافة ان يصيبكم فتؤخذوا باعمالكم فإنه ملاقيكم
لاحق بكم والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وكان فرارهم يسرع لحوقه بهم وقد قرئ بغيرها

ويجوز ان يكون الموصول اجرا والفاء عاطفة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون
بان يجازيكم عليه يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلاة اي اذا اذن من يوم الجمعة بيان لاذا وانما سمي
جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة وكانت العرب تسميه العروبة وقيل سماه كعب بن لوي لاجتماع الناس
فيه اليه واول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لما قدم المدينة نزل قبا واقام بها الى الجمعة ثم
دخل المدينة وصلى الجمعة في دار لبني سالم بن عوف فاسعوا الى ذكر الله فامضوا اليه مسرعين قصدا
فان السعي دون العدو والذكر الخطبة وقيل الصلاة والامر بالسعي اليها يدل على وجوبها وذروا البيع
واتركوا المعاملة ذلكم خير لكم اي السعي الى ذكر الله خير لكم من المعاملة فان نفع الاخرة خير وابقى
ان كنتم تعلمون الخير والشر الحقيقيين او ان كنتم من اهل العلم فاذا قضيت الصلاة اديت
وفرغ منها فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله اطلاق لما حظر عليهم واحتج به من
جعل الامر بعد الحظر للاباحة وفي الحديث وابتغوا من فضل الله ليس لطلب الدنيا وانما هي عيادة وحضور
جنازة وزيارة اخ في الله واذكروا الله كثيرا واذكروه في مجامع احوالكم ولا تخصوا ذكره بالصلاة
لعلكم تفلحون بخير الدارين واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها روي انه عليه السلام كان يخطب
للجمعة فمرت عليه عير تحمل الطعام فخرج الناس اليهم الا اثنى عشر رجلا وافراد التجارة برد الكناية
لانها المقصودة لان المراد من اللهو الطبل الذي كانوا يستقبلون به العير والترديد للدلالة على ان
منهم من انفض لمجرد سماع الطبل ورويته او للدلالة على ان الانفضاض الى التجارة مع الحاجة اليها
والانتفاع بها اذا كان مذموما كان الانفضاض الى اللهو اولى بذلك وقيل تقديره اذا راوا
تجارة انفضوا اليها واذا راوا لهوا انفضوا اليه وتركوك قائما اي على المنبر قل ما عند الله من
الثواب خير من اللهو ومن التجارة فان ذلك محقق مخلد بخلاف ما يتوهمون من نفعهما والله خير
الرازقين فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر
حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم ياتها في امصار المسلمين

سورة المنافقين مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الشهادة اخبار
عن علم من الشهود وهو الحضور والاطلاع ولذلك صدق المشهود به وكذبهم في الشهادة بقوله
والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون لانهم لم يعتقدوا ذلك اتخذوا ايمانهم
حلفهم الكاذب وشهادتهم هذه فانها تجري مجرى الحلف في التوكيد وقرئ ايمانهم جنة وقاية
عن القتل والسبي فصدوا عن سبيل الله صدا او صدودا انهم ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم
ذلك اشارة الى الكلام المتقدم اي ذلك القول الشاهد على سوء اعمالهم او الى الحال المذكورة من
النفاق والكذب والاستجنان بالايمان بانهم امنوا بسبب انهم امنوا ظاهرا ثم كفروا سرا او
ارادوا ايه ثم كفروا حينما سمعوا من شيا طينهم شبهة فطبع على قلوبهم حتى يموتوا على الكفر
واستحكموا فيه فهم لا يفقهون حقيقة الايمان ولا يعرفون صحته واذا رايتهم تعجبك اجسامهم
لضخامتها وصباحتها وان يقولوا تسمع لقولهم لذلاقتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابي جسيما
فصيحا يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمع مثله فيعجب بهياكلهم ويصغي الى كلامهم كانهم خشب مسندة

حال من

وبالاهد كثيرا

حال من الضمير المجرور في لقولهم اي تسمع لما يقولون مشبهين باخشاب منصوبة مسندة الى الحائط في كونهم
اشباحا خالية عن العلم والنظر وقيل الخشب جمع خشبا وهي الخشبة التي نخر جوفها شبهوا بها في حسن
المنظر وقبح المخبر وقرا ابو عمرو والكسائي وقنبل عن ابن كثير بسكون الشين على التخفيف او على انه كبدن
جمع بدنة يحسبون كل صيحة عليهم اي واقعة عليهم لجبنهم واتهامهم فعليهم ثاني مفعولي يحسبون
ويجوز ان يكون صلته والمفعول هم العدو وعلى هذا يكون الضمير للكل وجمعه بالنظر الى الخبر لكن
ترتب قوله فاحذرهم عليه يدل على ان الضمير للمنافقين قاتلهم الله دعاء عليهم وهو طلب من ذاته
ان يلعنهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق واذا قيل لهم تعالوا
يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم عطفوها اعراضا واستكبارا عن ذلك وقرا نافع بتخفيف الواو
ورايتهم يصدون يعرضون عن الاستغفار وهم مستكبرون عن الاعتذار سواء عليهم
استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم لرسوخهم في الكفر ان الله لا يهدي القوم الفاسقين
الخارجين عن مظنة الاستصلاح لانهماكهم في الكفر والنفاق هم الذين يقولون اي للانصار
لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا يعنون فقراء المهاجرين ولله خزائن السموات والارض
بيده الارزاق والقسم ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله يقولون لئن رجعنا
الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روي ان اعرابيا نازع انصاريا في بعض الغزوات
على ماء فضرب الاعرابي راسه بخشبة فشكى الى ابن ابي فقال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى
ينفضوا واذا رجعنا الى المدينة ليخرجن بفتح اليا وليخرجن على بنا المفعول ولنخرجن بالنون
ونصب الاعز والاذل وعلى هذه القراات مصدرا او حال على تقدير مضاف كخروج او اخراج او مثل
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين ولكن المنافقين
لا يعلمون من فرط جهلهم يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله
لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن ذكره كالصلوات وسائر العبادات المذكورة للمعبود
والمراد نهيهم عن اللهو بها وتوجيه النهي اليها للمبالغة ولذلك قال ومن يفعل ذلك اي اللهو بها
وهو الشغل بها فاولئك هم الخاسرون لانهم باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وانفقوا مما رزقناكم
بعض اموالكم ادخارا للاخرة من قبل ان ياتي احدكم الموت ان يرى دلائله فيقول رب لولا اخرتني
امهلتني الى اجل قريب امد غير بعيد فاصدق واكن من الصالحين بالتدارك وجزم اكن للعطف
على موضع الفاء وما بعده وقرا ابو عمرو واكون منصوبا عطفا على اصدق وقرئ بالرفع على انا اكون فيكون
عدة بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا ولن يمهلها اذا جاء اجلها اخر عمرها والله خبير بما تعملون
فمجاز عليه وقرا ابو بكر باليا ليوافق ما قبله في الغيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المنافقين برئ من النفاق

سورة التغابن

مختلف فيها وايها ثمان عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم
يسبح لله ما في السموات وما في الارض بدلالتها على كماله واستغنائه له الملك وله الحمد تقديم
الظرفين للدلالة على اختصاص الامرين به من حيث الحقيقة وهو على كل شيء قدير لان نسبة
ذاته المقتضية للقدرة الى الكل على سواء ثم شرع فيما ادعاه فقال هو الذي خلقكم فمنكم كافر

من النفاق

فليخرج الاعز الاذل عنى بالاعز نفسه
وبالاذل رسول الله وقريء

ومنكم مؤمن

مقدر كفره موجه اليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه والله بما تعملون بصير
فيعاملكم بما يناسب اعمالكم خلق السموات والارض بالحق بالحكمة وصوركم فاحسن صوركم فصوركم من جملة
ما خلق فيهما باحسن صورة حيث زينكم بصفوة اوصاف الكائنات وخصكم بخلاصة خصائص المبدعات
وجعلكم انموذج جميع المخلوقات واليه المصير فاحسنوا سرائركم حتى لا يمسخ بالعذاب ظواهركم يعلم
ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه ما يصح
ان يعلم كليا او جزئيا لان نسبة المقتضي لعلمه الى الكل واحدة وتقديم تقرير القدرة على العلم لان
دلالة المخلوقات على قدرته اولا وبالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء
الم ياتكم ايها الكفار نبؤا الذين كفروا من قبل كقوم نوح وهود وصالح عليهم السلام فذاقوا
وبال امرهم ضرر كفرهم في الدنيا واصل الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل
المطر الثقيل القطار ولهم عذاب اليم في الآخرة ذلك اي المذكور من الوبال والعذاب بانه بسبب ان الشان
كانت تاتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فقالوا ابشر يهدوننا انكروا وتعجبوا من ان يكون
الرسول بشرا والبشر يطلق للواحد والجمع فكفروا بالرسل وتولوا عن التدبر في البينات
واستغنى الله عن كل شيء فضلا عن طاعتهم والله غني عن عبادتهم وغيرها حميد يدل على حمده
كل مخلوق زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا الزعم ادعاء العلم ولذلك يتعدى الى مفعولين وقد قام
مقامهما ان بما في حيزه قل بلى اي بلى تبعثون وربي لتبعثن قسم اكد به الجواب ثم لتنبؤن بما
عملتم بالمحاسبة والمجازاة وذلك على الله يسير لقبول المادة وحصول القدرة التامة فآمنوا
بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم والنور الذي انزلنا يعني القرآن فانه باعجازه ظاهر بنفسه
مظهر لغيره مما فيه شرحه وبيانه والله بما تعملون خبير فمجاز عليه يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن
او مقدر باذكر وقرا يعقوب نجمعكم ليوم الجمع لاجل ما فيه من الحساب والجزاء والجمع جمع الملائكة والثقلين
ذلك يوم التغابن يغبن فيه بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس
مستعار من تغابن التجار واللام فيه للدلالة على ان التغابن الحقيقي هو التغابن في امور الآخرة
لعظمها ودوامها ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا اي عملا صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرا نافع وابن عامر بالنون فيهما ذلك الفوز العظيم
الاشارة الى مجموع الامرين ولذلك جعله الفوز العظيم لانه جامع للمصالح من دفع المضار وجلب
المنافع والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير كانها والآية
المتقدمة بيان للتغابن وتفصيل له ما اصاب من مصيبة الا باذن الله الا بتقديره وارادته
ومن يؤمن بالله يهد قلبه للثبات والاسترجاع عند حلولها وقرئ يهد قلبه بالرفع على اقامته مقام
الفاعل وبالنصب على طريقة سفه نفسه ويهدأ بالهمزة اي يسكن والله بكل شيء عليم حتى
القلوب واحوالها واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين
فان توليتم فلا باس عليه اذ وظيفته التبليغ وقد بلغ الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل
المؤمنون لان ايمانهم بان الكل منه يقتضي ذلك يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم

عدوا

عدوا لكم يشغلكم عن طاعة الله او يخاصمكم في امر الدين والدنيا فاحذروهم ولا تأمنوا غوائلهم
وان تعفوا عن ذنوبهم بترك المعاقبة وتصفحوا بالاعراض وترك التثريب عليها وتغفروا باخفائها
وتمهيد معذرتهم فيها فان الله غفور رحيم يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم انما اموالكم واولادكم
فتنة اختبار لكم والله عنده اجر عظيم اي ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه
واطيعوا اوامره وانفقوا في وجوه الخير خالصا لوجهه خيرا لانفسكم اي افعلوا ما هو خير لها
وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الاوامر ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف او خبرا لكان مقدرا
جوابا للامر ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون سبق تفسيره ان تقرضوا الله بصرف المال
فيما امره قرضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب القلب يضاعفه لكم يجعل لكم بالواحد عشرا الى سبعمائة واكثر
وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفه لكم ويغفر لكم ببركة الانفاق والله شكور يعطي الجزيل بالقليل
حليم لا يعاجل بالعقوبة عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شيء العزيز الحكيم تام القدرة والعلم
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التغابن دفع عنه موت الفجاة والله اعلم سورة الطلاق
واياتها اثنا عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اذا طلقتم
النساء خص النداء وعم الخطاب بالحكم لانه امام امته فنداؤه كندائهم او لان الكلام معه
والحكم يعمهم والمعنى اذا اردتم تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع فيه فطلقوهن
لعدتهن اي وقتها وهو الطهر فان اللام في الازمان وما يشبهها للتاقيت ومن عد العدة بالحيض علق
اللام بمحذوف مثل مستقبلات وظاهره يدل على ان العدة بالاطهار وان طلاق المعتدة بالاقراء ينبغي ان يكون
في الطهر وانه يحرم في الحيض من حيث ان الامر بالشيء يستلزم النهي عن ضده ولا يدل على عدم وقوعه
اذ النهي لا يستلزم الفساد كيف وقد صح ان ابن عمر رضي الله عنهما لما طلق امرأته حائضا
امره عليه السلام بالرجعة وهو سبب نزوله واحصوا العدة واضبطوها واكملوها ثلثة
اقراء واتقوا الله ربكم في تطويل العدة والاضرار بهن لا تخرجوهن من بيوتهن من مساكنهن وقت
الفراق حتى تنقضي عدتهن ولا يخرجن باستبدادهن اما لو اتفقا على الانتقال جاز اذ الحق
لا يعدوهما وفي الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها السكنى ولزومها ملازمة مسكن الفراق
وقوله الا ان ياتين بفاحشة مبينة مستثنى من الاول والمعنى الا ان تبذو على الزوج فانه كالنشوز
في اسقاط حقها او الا ان تزني فتخرج لاقامة الحد عليها او من الثاني للمبالغة في النهي والدلالة على ان
خروجها فاحشة وتلك حدود الله الاشارة الى الاحكام المذكورة ومن يتعد حدود الله فقد
ظلم نفسه بان عرضها للعقاب لا تدري اي النفس او انت ايها النبي او المطلق لعل الله يحدث
بعد ذلك امرا وهو الرغبة في المطلقة برجعة او استيناف فاذا بلغن اجلهن شارفن آخر عدتهن
فامسكوهن فراجعوهن بمعروف بحسن عشرة وانفاق مناسب او فارقوهن بمعروف بايفاء الحق
واتقاء الضرار مثل ان يراجعها ثم يطلقها تطويلا لعدتها واشهدوا ذوي عدل منكم على الرجعة او الفرقة
تبريا عن الريبة وقطعا للتنازع وهو ندب كقوله واشهدوا اذا تبايعتم وعن الشافعي وجوبه
في الرجعة واقيموا الشهادة ايها الشهود عند الحاجة لله خالصا لوجهه ذلكم المنتفع به والمتقرر

لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعي لهم فاتقوا الله ما استطعتم

تذكيره يريد الحث على الاشهاد والاقامة او على جميع ما في الاية يوعظ به من كان يؤمن بالله
واليوم الآخر فانه المنتفع به والمقصود تذكيره ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من
حيث لا يحتسب جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على الاتقاء عما نهي عنه
صريحا او ضمنا من الطلاق في الحيض والاضرار بالمعتدة واخراجها من المسكن وتعدي
حدود الله وكتمان الشهادة وتوقع فرجا وخلفا من وجه لم يخطر بباله او بالوعد
لعامة المتقين بالخلاص من مضار الدارين والفوز بخير من حيث لا يحتسبون او كلام جيء به
للاستطراد عند ذكر المؤمنين وعنه عليه الصلاة والسلام اني لاعلم اية لو اخذ الناس بها
لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرأها ويعيدها وروي ان سالم بن عوف بن مالك الاشجعي اسره
العدو فشكا ابوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتق الله واكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل
فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها ومن يتوكل
على الله فهو حسبه كافيه ان الله بالغ امره يبلغ ما يريده ولا يفوته مراد وقرأ حفص بالاضافة
وقرئ بالغ امره اي نافذ وبالغا على انه حال والخبر قد جعل الله لكل شيء قدرا تقديرا او
مقدارا او اجلا لا يتأتى تغييره وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدم من تأقيت الطلاق
بزمان العدة والامر باحصائها وتمهيد لما سيأتي من مقاديرها واللائي يئسن من المحيض من
نسائكم لكبرهن ان ارتبتم شككتم في عدتهن اي جهلتم فعدتهن ثلاثة اشهر روي انه لما نزل
والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قيل فما عدة اللائي لم يحضن فنزلت واللائي
لم يحضن اي واللائي لم يحضن بعد كذلك واولات الاحمال اجلهن منتهى عدتهن ان يضعن
حملهن وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى عنهن ازواجهن والمحافظة على عمومه اولى من محافظة عموم
قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا لان عموم اولات الاحمال بالذات وعموم ازواجا
بالعرض والحكم معلل هاهنا بخلافه ثم ولانه صح ان سبيعة بنت الحارث وضعت بعد وفاة
زوجها بليال فذكرت لرسول الله فقال قد حللت فتزوجي ولانه متأخر النزول فتقديمه تخصيص
وتقديم الآخر بناء للعام على الخاص والاول راجح للوفاق عليه ومن يتق الله في احكامه فيراعي
حقوقها يجعل له من امره يسرا يسهل عليه امره ويوفقه للخير ذلك اشارة الى ما ذكر من الاحكام
امر الله انزله اليكم ومن يتق الله في احكامه فيراعي حقها يكفر عنه سيئاته فان الحسنات يذهبن
السيئات ويعظم له اجرا بالمضاعفة اسكنوهن من حيث سكنتم اي مكانا من سكناكم
من وجدكم من وسعكم اي مما تطيقونه وهو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم ولا تضاروهن
في السكنى لتضيقوا عليهن فتلجئوهن الى الخروج وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن
حملهن فيخرجن من العدة وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات والاحاديث
تؤيده فان ارضعن لكم بعد انقطاع علقة النكاح فآتوهن اجورهن على الارضاع وأتمروا
بينكم بمعروف وليأمر بعضكم بعضا بجميل في الارضاع والاجر وان تعاسرتم تضايقتم فسترضع
له اخرى مرأة اخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه

جعل على اقامتها بان يجعل الله له مخرجا مما في شان الازواج من المضايق والغموم ويرزقه صح

رزقه

رزقه فلينفق مما آتاه الله اي فلينفق كل من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه لا يكلف الله نفسا الا ما
آتاها فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك وعده باليسر فقال سيجعل الله
بعد عسر يسرا اي عاجلا او آجلا وكأين من قرية اهل قرية عتت عن امر ربها ورسله
اعرضت عنه اعراض العاتي المعاند فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة
وعذبناها عذابا نكرا منكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير بلفظ الماضي للتحقيق فذاقت
وبال امرها عقوبة كفرها ومعاصيها وكان عاقبة امرها خسرا لا ربح فيها اصلا اعد الله
لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المأمور به في قوله فاتقوا الله يا اولي
الالباب ويجوز ان يكون المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها في صحف الحفظة وبالعذاب
ما اصيبوا به عاجلا الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يعني بالذكر جبريل عليه السلام لكثرة
ذكره او لنزوله بالذكر وهو القرآن او لانه مذكور في السموات او ذا ذكر اي شرف او محمد صلى الله عليه وسلم
لمواظبته على تلاوة القرآن او تبليغه وعبر عن ارساله بالانزال ترشيحا او لانه مسبب عن انزال الوحي
اليه وابدل عنه رسولا للبيان او اراد به القرآن ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل او ذكرا والرسول
مفعوله او بدل على انه بمعنى الرسالة يتلو عليكم آيات الله مبينات حال من اسم الله او صفة
رسولا والمراد بالذين ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي ليحصل لهم ما هم عليه الان من
الايمان والعمل الصالح او ليخرج من علم او قدر انه يؤمن من الظلمات الى النور من الضلالة الى
الهدى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
وقرأ نافع وابن عامر بالنون قد احسن الله له رزقا فيه تعجب وتعظيم لما رزقوا من الثواب
الله الذي خلق سبع سموات مبتدأ وخبر ومن الارض مثلهن اي وخلق مثلهن في العدد
من الارض وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر يتنزل الامر بينهن اي يجري امر الله وقضاؤه
بينهن وينفذ حكمه فيهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما علة لخلق
او يتنزل او مضمر يعمهما فان كلا منهما يدل على كمال قدرته وعلمه عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة التحريم مدنية وآيها اثنا عشر
بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك روي انه صلى الله عليه وسلم خلا
بمارية في يوم عائشة رضي الله عنها او حفصة فاطلعت على ذلك حفصة فعاتبته فيه فحرم مارية
فنزلت وقيل شرب عسلا عند حفصة فواطأت عائشة سودة وصفية فقلن له انا نشم
منك ريح المغافير فحرم العسل فنزلت تبتغي مرضات ازواجك تفسير لتحرم او حال من فاعله
او استئناف ببيان الداعي اليه والله غفور لك هذه الزلة فانه لا يجوز تحريم ما احله الله
رحيم رحمك حيث لم يؤاخذك به وعاتبك محاماة على عصمتك قد فرض الله لكم تحلة
ايمانكم قد شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة او الاستثناء فيها بالمشيئة حتى لا يحنث
من قولهم حلل في يمينه اذا استثنى فيها واحتج به من رأى التحريم مطلقا او تحريم المرأة يمينا
وهو ضعيف اذ لا يلزم من وجوب كفارة اليمين فيه كونه يمينا مع احتمال انه عليه السلام اتى بلفظ اليمين

المؤمنون بعد انزال

كما قيل والله مولاكم متولي امركم وهو العليم بما يصلحكم الحكيم المتقن في افعاله واحكامه واذ اسر النبي الى بعض ازواجه يعني حفصة حديثا تحريم مارية او العسل او ان الخلافة بعده لابي بكر وعمر رضي الله عنهما فلما نبأت به اي فلما اخبرت حفصة عايشة رضي الله عنها واظهره الله عليه واطلع النبي صلى الله عليه وسلم على الحديث اي على افشائه عرف بعضه عرف الرسول حفصة بعض ما فعلت واعرض عن بعض عن اعلام بعض تكرما او جازاها على بعضه بتطليقه اياها وتجاوز عن بعض ويويده قراءة الكسائي بالتخفيف فانه لا يحتمل ههنا غير الجزاء لكن المشدد من باب اطلاق اسم المسبب للسبب والمخفف بالعكس ويويد الاول فلما نبأها به قالت من انبأك هذا قال نبأني العليم الخبير فانه اوفق للاعلام ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعايشة على الالتفات للمبالغة في المعاتبة فقد صغت قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب من مخالصة رسول الله بحب ما يحبه وكراهة ما يكره وان تظاهرا عليه وان تتظاهرا عليه بما يسوءه وقرا الكوفيون بالتخفيف فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين فلن يعدم من يظاهره من الله والملائكة وصلحاء المؤمنين فان الله ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين اتباعه واعوانه والملائكة بعد ذلك ظهير متظاهرون وتخصيص جبريل لتعظيمه والمراد بالصالح الجنس ولذلك عم بالاضافة وقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة ما ينصره الله به عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن على التغليب او تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على انه لم يطلق حفصة وان في النساء خيرا منهن لان تعليق طلاق الكل لا ينافي تطليق واحدة والمعلق بما لم يقع لا يجب وقوعه وقرا ابن عامر يبدله بالتخفيف مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات قانتات مواظبات على الطاعة تائبات عن الذنوب عابدات متعبدات او متذللات لامر الرسول صلى الله عليه وسلم سائحات صائمات سمي الصائم سائحا لانه يسيح بالنهار بلا زاد او مهاجرات ثيبات وابكارا وسط العاطف بينهما لتنافيهما ولانهما في حكم صفة واحدة اذ المعنى مشتملات على الثيبات والابكار يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات واهليكم بالنصح والتاديب وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا فيكون انفسكم انفس القبيلين على التغليب للمخاطبين نارا وقودها الناس والحجارة نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب عليها ملائكة تلي امرها وهم الزبانية غلاظ شداد غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ الخلق شداد الخلق اقوياء على الافعال الشديدة لا يعصون الله ما امرهم فيما مضى ويفعلون ما يؤمرون فيما يستقبل او لا يمتنعون عن قبول الاوامر والتزامها ويؤدون ما يؤمرون به يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون اي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار والنهي عن الاعتذار لانه لا عذر لهم او العذر لا ينفعهم يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا بالغة في النصح وهو صفة التائب فانه ينصح نفسه بالتوبة وصفت به على الاسناد المجازي مبالغة او في النصاحة وهي الخياطة كانها تنصح ما خرق الذنب وقرا ابو بكر بالضم وهو مصدر بمعنى النصح كالشكر والشكور او النصاحة كالثبات والثبوت تقديره ذات نصوح او تنصح نصوحا او توبوا نصوحا لانفسكم وسئل علي رضي الله عنه عن التوبة فقال يجمعها ستة اشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان يعزم

[او منقادات معترفات قانتات مصليات]

ان لا يعود

ان لا يعود وان تربي نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ذكر بصيغة الاطماع جريا على عادة الملوك واشعارا بانه تفضل والتوبة غير موجب وان العبد ينبغي ان يكون بين خوف ورجا يوم لا يخزي الله النبي ظرف ليدخلكم والذين امنوا معه عطف على النبي احمادا لهم وتعريضا لمن ناواهم وقيل مبتدا خبره نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم اي على الصراط يقولون اذا طفي نور المنافقين ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير وقيل تتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فيسالون اتمامه تفضلا يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم واستعمل الخشونة فيما تجاهدهم اذ بلغ الرفق مداه ومأواهم جهنم وبئس المصير جهنم او ما ضرب الله مثلا للذين كفروا امرات نوح وامرات لوط مثل الله تعالى حالهم بانهم يعاقبون بكفرهم ولا يحابون بما بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالنسبة بحالهما كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما بالنفاق فلم يغنيا عنهما من الله شيئا فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج اغناء ما وقيل اي لهما عند موتهما ادخلا النار مع الداخلين مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء عليهم الصلاة والسلام وضرب الله مثلا للذين امنوا امرات فرعون شبه حالهم في ان وصلة الكافرين لا تضرهم بحال اسية ومنزلتها عند الله مع انها كانت تحت اعدى اعداء الله اذ قالت ظرف للمثل المحذوف رب ابن لي عندك بيتا في الجنة قريبا من رحمتك او في درجات المقربين ونجني من فرعون وعمله من نفسه الخبيثة وعمله السيء ونجني من القوم الظالمين من القبط التابعين له في الظلم ومريم ابنة عمران عطف على امرات فرعون تسلية للارامل التي احصنت فرجها من الرجال فنفخنا فيه في فرجها وقرئ فيها اي مريم او الحملة من روحنا من روح خلقناه بلا توسط اصل وصدقت بكلمات ربها بصحفه المنزلة او بما اوحى الى انبيائه وكتابه وبما كتب في اللوح المحفوظ او جنس الكتب المنزلة ويدل عليه قراءة البصريين وحفص بالجمع وقرئ بكلمة الله وكتابه اي بعيسى عليه السلام او الانجيل وكانت من القانتين من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم او من نسلهم فيكون من ابتدائية عن النبي صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع اسية بنت مزاحم امرات فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وفضل عايشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التحريم اتاه الله توبة نصوحا سورة الملك مكية وتسمى الواقية والمنجية لانها تقي صاحبها وتنجيه من عذاب القبر واياتها ثلثون بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي بيده الملك بقبضة قدرته التصرف في الامور كلها وهو على كل شيء قدير على كل ما يشاء قدير الذي خلق الموت والحياة قدرهما او اوجد الحياة وازالها حسبما قدره وقدم الموت لقوله وكنتم امواتا فاحياكم ولانه ادعى الى حسن العمل ليبلوكم ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف ايها المكلفون

[واسم]

أيكم أحسن عملا أصوبه وأخلصه وجاء مرفوعا أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعته
جملة واقعة موقع المفعول ثانيا لفعل البلوى المتضمن معنى العلم وليس هذا من باب التعليق لأنه
يخل به وقوع الجملة خبرا فلا يعلق الفعل عنها بخلاف ما إذا وقعت موقع المفعولين وهو العزيز
الغالب الذي لا يعجزه من أساء العمل الغفور لمن تاب منهم الذي خلق سبع سموات طباقا مطابقة
بعضها فوق بعض مصدر طابقت النعل إذا خصفتها طبقا على طبق وصف به أو طوبقت طباقا أو ذات
طباق جمع طبق كجبل وجبال أو طبقة ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت وقرأ حمزة والكسائي من
تفوت ومعناهما واحد كالتعاهد والتعهد وهو الاختلاف وعدم التناسب من الفوت فإن كلا
من المتفاوتين فات عنه بعض ما في الآخر والجملة صفة ثانية للسبع وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير
للتعظيم والإشعار بأنه تعالى يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضلا وأن في إبداعها نعما جليلة
لا تحصى والخطاب فيها للرسول أو لكل مخاطب وقوله فارجع البصر هل ترى من فطور متعلق
به على معنى التسبب أي قد نظرت إليها مرارا فانظر إليها مرة أخرى متأملا فيها لتعاين ما أخبرت به
من تناسبها واستقامتها عنها ما ينبغي لها والفطور الشقوق والمراد الخلل من فطره إذا شقه
ثم ارجع البصر كرتين أي رجعتين أخريين في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير كما في لبيك
وسعديك ولذلك أجاب الأمر بقوله ينقلب إليك البصر خاسئا بعيدا عن إصابة المطلوب
كأنه طرد عنه طردا بالصغار وهو حسير كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة ولقد زينا
السماء الدنيا أقرب السموات إلى الأرض بمصابيح بكواكب مضيئة بالليل إضاءة السرج فيها والتنكير
للتعظيم ولا يمنع ذلك كون بعض الكواكب مركوزة في سموات فوقها إذ التزيين بإظهارها عليها
وجعلناها رجوما للشياطين وجعلنا لها فائدة أخرى هي رجم أعدائكم بانقضاض الشهب المسببة
عنها وقيل معناه وجعلناها رجوما وظنونا لشياطين الإنس وهم المنجمون والرجوم جمع رجم بالفتح وهو مصدر
سمي به ما يرجم به وأعتدنا لهم عذاب السعير في الآخرة بعد الإحراق بالشهب في الدنيا وللذين كفروا
بربهم من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وبئس المصير وقرئ بالنصب على أن للذين عطف على لهم
وعذاب على عذاب السعير إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا صوتا كصوت الحمير وهي تفور
تغلي بهم غليان المرجل بما فيه تكاد تميز من الغيظ تتفرق غضبا عليهم وهي تمثيل لشدة اشتعالها
بهم ويجوز أن يراد غيظ الزبانية كلما ألقي فيها فوج جماعة من الكفرة سألهم خزنتها ألم
يأتكم نذير يخوفكم هذا العذاب وهو توبيخ وتبكيت قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل
الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير أي فكذبنا الرسل وأفرطنا في التكذيب حتى نفينا الإنزال والإرسال
رأسا وبالغنا في نسبتهم إلى الضلال فالنذير إما بمعنى الجمع لأنه فعيل أو مصدر مقدر بمضاف أي أهل
إنذار أو منعوت به للمبالغة أو الواحد والخطاب له ولأمثاله على التغليب أو إقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب
الكل أو على أن المعنى قالت الأفواج قد جاء إلى كل فوج منا رسول فكذبناهم وضللناهم ويجوز أن يكون الخطاب
من كلام الزبانية للكفار على إرادة القول فيكون الضلال ما كانوا عليه في الدنيا أو عقابه يكون نتيجته
وقالوا لو كنا نسمع كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على ما لاح من صدقهم بالمعجزات

أو نعقل

أو نعقل فنتفكر في حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين ما كنا في أصحاب السعير في عدادهم ومن جملتهم
فاعترفوا بذنبهم حين لا ينفعهم والاعتراف إقرار عن معرفة والذنب لم يجمع لأنه في الأصل مصدر أو
المراد به الكفر فسحقا لأصحاب السعير فأسحقهم الله سحقا أي أبعدهم من رحمته والتغليب للإيجاز
والمبالغة والتعليل وقرأ الكسائي بالتثقيل إن الذين يخشون ربهم بالغيب يخافون عذابه غائبا
عنهم لم يعاينوه بعد أو غائبين عنه أو عن أعين الناس أو بالمخفي عنهم وهو قلوبهم لهم مغفرة
لذنوبهم وأجر كبير تصغر دونه لذائذ الدنيا وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور
بالضمائر قبل أن تعبر عنها سرا أو جهرا ألا يعلم من خلق ألا يعلم السر والجهر من أوجد الأشياء حسبما
قدرته حكمته وهو اللطيف الخبير المتوصل علمه إلى ما ظهر من خلقه وما بطن أو ألا يعلم الله من خلقه وهو
بهذه المثابة والتقييد بهذه الحال يستدعي أن يكون لمن مفعولا ليفيد روي أن المشركين
كانوا يتكلمون فيما بينهم بأشياء فيخبر الله رسوله فيقولون أسروا قولكم لئلا يسمع إله محمد فنبه الله
على جهلهم هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا لينة يسهل لكم السلوك فيها فامشوا في مناكبها في
جوانبها أو جبالها وهو مثل لفرط التذلل فإن منكب البعير ينبو عن أن يطأه الراكب ولا يتذلل له
فإذا جعل الأرض في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يبق شيء لم يتذلل وكلوا من رزقه والتمسوا
من نعم الله وإليه النشور المرجع فيسألكم عن شكر ما أنعم عليكم أأمنتم من في السماء يعني الملائكة
الموكلين على تدبير هذا العالم أو الله تعالى على تأويل من في السماء أمره أو قضاؤه أو على زعم العرب
فإنهم زعموا أن الله تعالى في السماء وعن ابن كثير وأمنتم بقلب الهمزة الأولى واوا لانضمام ما قبلها و
بقلب الهمزة الثانية ألفا وهو قراءة نافع وأبي عمرو ورويس أن يخسف بكم الأرض فيغيبكم فيها كما فعل
بقارون وهو بدل من من بدل الاشتمال فإذا هي تمور تضطرب والمور التردد في المجيء والذهاب أم أمنتم
من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا أي يمطر عليكم حصباء فستعلمون كيف نذير كيف إنذاري إذا
شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير
إنكاري عليهم بإنزال العذاب وهو تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لقومه أولم يروا
إلى الطير فوقهم صافات باسطات أجنحتهن في الجو عند طيرانها فإنهن إذا بسطنها صففن
قوادمها ويقبضن ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن وقتا بعد وقت للاستظهار به على التحرك
ولذلك عدل به إلى صيغة الفعل للتفرقة بين الأصيل في الطيران والطارئ عليه ما يمسكهن
في الجو على خلاف الطبع إلا الرحمن الشامل رحمته كل شيء بأن خلقهن على أشكال وخصائص هيأتهن
للجري في الهواء إنه بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر العجائب أمن هذا الذي هو
جند لكم ينصركم من دون الرحمن عديل لقوله أولم يروا على معنى أولم ينظروا في أمثال هذه الصنائع
فلم يعلموا قدرتنا على تعذيبهم بنحو خسف وإرسال حاصب أم لكم جند ينصركم من دون الله
إن أرسل عليكم عذابه فهو كقوله أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا إلا أنه أخرج مخرج الاستفهام
عن تعيين من ينصرهم إشعارا بأنهم اعتقدوا هذا القسم ومن مبتدأ وهذا خبره والذي بصلته
صفته وينصركم وصف لجند محمول على لفظه إن الكافرون إلا في غرور لا معتمد لهم أمن هذا الذي

يرزقكم

او من يشار اليه ويقال هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه بامساك المطر وسائر الاسباب المحصلة والموصلة
اليكم بل لجوا تمادوا في عتو عناد ونفور شراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه افمن يمشي مكبا على وجهه
اهدى يقال كببته فاكب وهو من الغرائب كقشع الله السحاب فانقشع والتحقيق انهما من باب انفض
بمعنى صار ذا كب وذا قشع وليسا مطاوعي كب وقشع بل المطاوع لهما انكب وانقشع ومعنى مكبا انه يعثر
كل ساعة ويخر على وجهه لوعورة طريقه واختلاف اجزائه ولذلك قابله بقوله امن يمشي سويا
قائما سالما من العثار على صراط مستقيم مستوي الاجزاء والجهة والمراد تمثيل المشرك والموحد بالسالكين
والدينين بالمسلكين ولعل الاكتفاء بما في الكب من الدلالة على حال المسلك للاشعار بان ما عليه المشرك
لا يستاهل ان يسمى طريقا كمشي المتعسف في مكان متعاد غير مستو وقيل المراد بالمكب الاعمى فانه يعتسف
فينكب وبالسوي البصير وقيل من يمشي مكبا هو الذي يحشر على وجهه الى النار ومن يمشي سويا الذي يحشر على قدميه
الى الجنة قل هو الذي انشاكم وجعل لكم السمع لتسمعوا المواعظ والابصار لتنظروا صنايع الله والافئدة
لتتفكروا وتعتبروا قليلا ما تشكرون باستعمالها فيما خلقت لاجلها قل هو الذي ذراكم في الارض
واليه تحشرون للجزاء ويقولون متى هذا الوعد اي الحشر او ما وعدوا من الخسف والحاصب ان كنتم صادقين
يعني النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين قل انما العلم اي علم وقته عند الله لا يطلع عليه غيره وانما انا نذير مبين
والانذار يكفي له بل الظن بوقوع المحذر منه فلما راوه اي الوعد فانه بمعنى الموعود زلفة ذا زلفة اي
قرب منهم سيئت وجوه الذين كفروا بان علتها الكآبة وساءتها رؤية العذاب وقيل هذا الذي كنتم به
تدعون تطلبون وتستعجلون تفتعلون من الدعاء او تدعون ان لا بعث فهو من الدعوى قل ارايتم
ان اهلكني الله اماتني ومن معي من المؤمنين او رحمنا بتاخير اجالنا فمن يجير الكافرين من عذاب
اليم اي لا ينجيهم احد من العذاب متنا او بقينا وهو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون قل هو الرحمن
الذي ادعوكم اليه مولي النعم كلها امنا به وعليه توكلنا للوثوق عليه والعلم بان غيره بالذات لا يضر ولا ينفع
وتقديم الصلة للتخصيص والاشعار به فستعلمون من هو في ضلال مبين منا ومنكم وقرا الكسائي بالياء قل
ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا غائرا في الارض بحيث لا تناله الدلاء مصدر وصف به فمن ياتيكم بماء معين جار
او ظاهر سهل المأخذ عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الملك فكانما احيى ليلة القدر والله تعالى اعلم

سورة ن مكية واياتها ثنتان وخمسون بسم الله الرحمن الرحيم ن من اسماء الحروف وقيل
اسم الحوت والمراد به الجنس او البهموت وهو الذي عليه الارض او الدواة فان بعض الحيتان يستخرج منه شيء اشد سوادا
من النقس يكتب به ويؤيد الاول سكونه وكتبته بصورة الحرف والقلم هو الذي خط اللوح او الذي يخط به
وذكره لكثرة فوائده واخفى ابن عامر والكسائي ويعقوب النون اجراء للواو المنفصل مجرى المتصل فان النون
الساكنة تخفى مع حروف الفم اذا اتصلت بها وقد روي ذلك عن نافع وعاصم وقرئت بالكسر والفتح كص
وما يسطرون وما يكتبون والضمير للقلم بالمعنى الاول على التعظيم او بالمعنى الثاني على ارادة الجنس
واسناد الفعل الى الالة واجرايه مجرى اولي العلم لاقامته مقامهم او لاصحابه او للحفظة وما مصدرية
او موصولة ما انت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والمعنى ما انت بمجنون منعما عليك بالنبوة وحصافة
الراي والعامل في الحال معنى النفي وقيل بمجنون والباء لا تمنع عمله فيما قبله لانها مزيدة وفيه نظر من حيث

المعنى

المعنى وان لك لاجرا على الاحتمال او الابلاغ غير ممنون مقطوع او ممنون به عليك من الناس
فانه تعالى يعطيك بلا توسط وانك لعلى خلق عظيم اذ تحتمل من قومك ما لم يحتمله امثالك
وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه فقالت كان خلقه القران الست تقرا القران قد افلح المؤمنون فستبصر ويبصرون
بايكم المفتون ايكم الذي فتن بالجنون والباء مزيدة او بايكم الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول
والمجلود او باي الفريقين منكم المجنون الفريق المؤمنين او الفريق الكافرين اي في ايهما يوجد من يستحق
هذا الاسم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهم المجانين على الحقيقة وهو اعلم بالمهتدين الفائزين
بكمال العقل فلا تطع المكذبين تهييج للتصميم على معاصاتهم ودوا لو تدهن تلاينهم بان تدع
نهيهم عن الشرك او توافقهم فيه احيانا فيدهنون فيلاينونك بترك الطعن والموافقة والفاء للعطف
اي ودوا التداهن وتمنوه لكنهم اخروا ادهانهم حتى تدهن او للسببية اي ودوا لو تدهن فهم يدهنون
حينئذ او ودوا ادهانك فهم الان يدهنون طمعا فيه وفي بعض المصاحف فيدهنوا على جواب التمني
ولا تطع كل حلاف كثير الحلف في الحق والباطل مهين حقير الراي من المهانة وهي الحقارة هماز عياب
مشاء بنميم نقال للحديث على وجه السعاية مناع للخير يمنع الناس عن الخير من الايمان والانفاق
والعمل الصالح معتد متجاوز في الظلم اثيم كثير الاثام عتل جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة
بعد ذلك بعد ما عد من مثالبه زنيم دعي ماخوذ من زنمتي الشاة وهما المتدليتان من اذنها
وحلقها قيل هو الوليد بن المغيرة ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة من مولده وقيل الاخنس بن شريق اصله في
ثقيف وعداده في زهرة ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين قال ذلك
حينئذ لان كان متمولا مستظهرا بالبنين من فرط غروره لكن العامل مدلول قال لا نفسه لان ما بعد الشرط
لا يعمل فيما قبله ويجوز ان يكون علة للا تطع يعني ولا تطع من هذا مثالبه لان كان ذا مال وقرا ابن عامر وحمزة
ويعقوب وابو بكر ءان كان على الاستفهام غير ان ابن عامر جعل الهمزة الثانية بين بين اي الان كان
ذا مال كذب او اتطيعه لان كان وقرئ ان بالكسر على ان شرط الغنى في النهي عن الطاعة كالتعليل
بالفقر في النهي عن قتل الاولاد او ان شرطه للمخاطب اي لا تطع شارطا يسارا لانه اذا اطاع للغنى
فكانه شرطه في الطاعة سنسمه بالكي على الخرطوم على الانف وقد اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر
فبقي اثره وقيل هو عبارة عن ان يذله غاية الاذلال كقولهم جدع انفه ورغم انفه لان السمة على الوجه
سيما على الانف شين ظاهر او نسود وجهه يوم القيامة انا بلوناهم بلونا اهل مكة بالقحط
كما بلونا اصحاب الجنة يريد البستان الذي كان دون صنعاء بفرسخين وكان لرجل صالح وكان
ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطاه المنجل والقته الريح او بعد من البساط الذي يبسط
تحت النخلة فيجتمع لهم شيء كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعله ابونا ضاق علينا فحلفوا
ليصرمنها وقت الصباح خفية عن المساكين كما قال اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ليقطعنها داخلين في الصباح
ولا يستثنون ولا يقولون ان شاء الله وانما سماه استثناء لما فيه من الاخراج غير ان المخرج به خلاف المذكور
والمخرج بالاستثناء عينه او لان معنى لا اخرج ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد او لا يستثنون
حصة المساكين كما كان يخرج ابوهم فطاف عليها على الجنة طائف بلاء طائف من ربك مبتدا منه وهم نائمون

فأصبحت كالصريم كالبستان الذي صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شيء فعيل بمعنى مفعول أو كالليل باحتراقها
واسودادها أو كالنهار بابيضاضها من فرط اليبس سميا بالصريم لأن كلا منهما ينصرم عن صاحبه أو كالرمال
فتنادوا مصبحين أن اغدوا على حرثكم أي اخرجوا إليه غدوة وتعدية الفعل بعلى
إما لتضمنه معنى الإقبال أو لتشبيه الغدو للصرام بغدو العدو المتضمن معنى الاستيلاء إن كنتم صارمين
قاطعين له فانطلقوا وهم يتخافتون يتشاورون فيما بينهم وخفي وخفت وخفد بمعنى الكتم
ومنه الخفدود للخفاش أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين أن مفسرة وقرئ بطرحها على إضمار
القول والمراد بنهي المسكين عن الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه من الدخول كقوله لا أرينك ههنا وغدوا على حرد
قادرين وغدوا قادرين على نكد لا غير من حاردت السنة إذا لم يكن فيها مطر وحاردت الإبل إذا منعت
درها والمعنى أنهم عزموا أن ينكدوا على المساكين فنكد عليهم بحيث لا يقدرون فيها إلا على النكد أو غدوا
حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ به
أي لم يقدروا إلا على حنق بعضهم لبعض كقوله يتلاومون وقيل القصد والسرعة قال أقبل سيل
جاء من أمر الله يحرد حرد الجنة المغلة أي غدوا قاصدين إلى جنتهم بسرعة قادرين عند أنفسهم على صرامها
وقيل علم للجنة فلما رأوها أول ما رأوها قالوا إنا لضالون طريق جنتنا وما هي بها بل نحن أي بعد
ما تأملوا وعرفوا أنها هي محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا على أنفسنا قال أوسطهم رأيا أو سنا
ألم أقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرونه وتتوبون إليه من خبث نيتكم وقد قاله حينما
عزموا على ذلك ويدل على هذا المعنى قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين أو لولا تستثنون فسمي
الاستثناء تسبيحا لتشاركهما في التعظيم أو لأنه تنزيه عن أن يجري في ملكه ما لا يريده
فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون يلوم بعضهم فإن منهم من أشار بذلك ومنهم من استصوبه
ومنهم من سكت راضيا ومنهم من أنكره قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين متجاوزين حدود الله تعالى
عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة وقد روي أنهم أبدلوا
خيرا منها وقرئ يبدلنا بالتخفيف إنا إلى ربنا راغبون راجعون العفو طالبون الخير وإلى
لانتهاء الرغبة أو لتضمنها معنى الرجوع كذلك العذاب مثل ذلك الذي بلونا به أهل
مكة وأصحاب الجنة العذاب في الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر أعظم منه لو كانوا يعلمون لاحترزوا
عما يؤديهم إلى العذاب إن للمتقين عند ربهم في الآخرة أو في جوار القدس جنات النعيم جنات
ليس فيها إلا التنعم الخالص أفنجعل المسلمين كالمجرمين إنكار لقول الكفرة فإنهم كانوا يقولون
إن صح أنا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون أحسن حالا منهم كما نحن في الدنيا
ما لكم كيف تحكمون التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له وإشعار بأنه صادر من اختلال
فكر واعوجاج رأي أم لكم كتاب من السماء فيه تدرسون تقرؤون إن لكم فيه لما تخيرون إن
لكم ما تختارونه وتشتهونه وأصله أن لكم بالفتح لأنه المدروس فلما جيء باللام كسرت ويجوز أن
تكون حكاية للمدروس أو استئنافا وتخير الشيء واختاره أخذ خيره أم لكم أيمان علينا عهود
مؤكدة بالأيمان بالغة متناهية في التوكيد وقرئ بالنصب على الحال والعامل فيها أحد الظرفين إلى يوم القيامة

متعلق

متعلق بالمقدر في لكم أي ثابتة لكم علينا إلى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم في ذلك اليوم أو ببالغة
أي أيمان تبلغ ذلك اليوم إن لكم لما تحكمون جواب القسم لأن معنى أم لكم أيمان علينا أم أقسمنا
لكم سلهم أيهم بذلك زعيم بذلك الحكم قائم يدعيه ويصححه أم لهم شركاء يشاركونهم في هذا القول
فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين في دعواهم إذ لا أقل من التقليد وقد نبه سبحانه وتعالى في
هذه الآيات على نفي جميع ما يمكن أن يتشبثوا به من عقل أو نقل يدل عليه لاستحقاق أو وعد أو محض تقليد
على الترتيب تنبيها على مراتب النظر وتزييفا لما لا سند له وقيل المعنى أم لهم شركاء يعني الأصنام
يجعلونهم مثل المؤمنين في الآخرة كأنه لما نفى أن تكون التسوية من الله نفى بهذا أن يكون مما يشاركون
الله به يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الأمر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل في ذلك وأصله تشمير
المخدرات عن سوقهن في الهرب قال حاتم أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا
أو يوم يكشف عن أصل الأمر وحقيقته بحيث يصير عيانا مستعار من ساق الشجر وساق الإنسان وتنكيره
للتهويل أو التعظيم وقرئ بالتاء على بناء الفاعل والمفعول والفعل للساعة أو الحال ويدعون إلى السجود
توبيخا على تركهم السجود إن كان اليوم يوم القيامة أو يدعون إلى الصلوات لأوقاتها إن كان وقت
النزع فلا يستطيعون لذهاب وقته أو زوال القدرة عليه خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة تلحقهم
ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود في الدنيا أو زمان الصحة وهم سالمون متمكنون منه مزاحو العلل فيه
فذرني ومن يكذب بهذا الحديث كله إلي فإني أكفيكه سنستدرجهم سندنيهم من العذاب درجة درجة
بالإمهال وإدامة الصحة وازدياد النعمة من حيث لا يعلمون أنه استدراج وهو الإنعام عليهم لأنهم
حسبوه تفضيلا لهم على المؤمنين وأملي لهم وأمهلهم إن كيدي متين لا يدفع بشيء وإنما سمي إنعامه استدراجا
بالكيد لأنه في صورته أم تسألهم أجرا على الإرشاد فهم من مغرم من غرامة مثقلون بحملها فيعرضون
عنك أم عندهم الغيب اللوح أو المغيبات فهم يكتبون منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك فاصبر لحكم ربك وهو إمهالهم
وتأخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت يونس عليه الصلاة والسلام إذ نادى في بطن الحوت وهو مكظوم
مملوء غيظا في الضجرة فتبتلى ببلائه لولا أن تداركه نعمة من ربه يعني توفيق التوبة وقبولها وحسن
تذكير الفعل للفصل وقرئ تداركته وتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا أن كان يقال فيه
تتداركه لنبذ بالعراء بالأرض الخالية عن الأشجار وهو مذموم مليم مطرود عن الرحمة والكرامة وهو
حال يعتمد عليها الجواب لأنها المنفية دون النبذ فاجتباه ربه بأن رد الوحي إليه أو استنبأه إن
صح أنه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة فجعله من الصالحين من الكاملين في الصلاح بأن عصمه من أن يفعل
ما تركه أولى وفيه دليل على خلق الأفعال والآية نزلت حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو على ثقيف
وقيل بأحد حين حل به ما حل فأراد أن يدعو على المنهزمين وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك
بأبصارهم إن هي المخففة واللام دليلها والمعنى أنهم لشدة عداوتهم ينظرون إليك شزرا بحيث يكادون
يزلقون قدمك أو يرمونك من قولهم نظر إلي نظرا يكاد يصرعني أي لو أمكنه بنظره الصرع لفعله
أو أنهم يكادون يصيبونك بالعين إذ روي أنه كان في بني أسد عيانون فأريد بعضهم على أن يعين
رسول الله فنزلت وفي الحديث إن العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله يكون من خصائص بعض

التنوين وقرا نافع ليزلقونك من زلقته فزلق كحزنته فحزن وقرئ ليزهقونك اي ليهلكونك لما سمعوا الذكر اي القران اي ينبعث عن سماعه بغضهم وحسدهم ويقولون انه لمجنون حيرة في امره وتنفيرا عنه وما هو الا ذكر للعالمين لما جننوه لاجل القران بين انه ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه الا من كان اكمل الناس عقلا وامتنهم رايا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

سورة الحاقة مكية وايها احدى وخمسون ايه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحاقة اي الساعة او الحالة التي يحق وقوعها او التي تحق فيها الامور اي يعرف حقيقتها او يقع فيها حواق الامور من الحساب والجزاء على الاسناد المجازي وهي مبتدا خبرها ما الحاقة واصله ما هي اي اي شيء هي على التعظيم لشانها والتهويل لها فوضع الظاهر موضع المضمر لانه اهول لها وما ادراك ما الحاقة واي شيء اعلمك ما هي اي انك لا تعلم كنهها فانها اعظم من ان يبلغها دراية احد وما مبتدا وادراك خبره كذبت ثمود وعاد بالقارعة بالحالة التي تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتثار وانما وضعت موضع ضمير الحاقة زيادة في شدتها فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة وهي الصيحة او الرجفة لتكذيبهم بالقارعة او بسبب طغيانهم بالتكذيب وغيره على انها مصدر كالعافية وهو لا يطابق قوله واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي شديدة الصوت او البرد من الصرة والصر عاتية شديدة العصف كانها عتت على خزانها فلم يستطيعوا ضبطها او على عاد فلم يقدروا على ردها سخرها عليهم سلطها عليهم بقدرته وهو استيناف او صفة جيء به لنفي ما يتوهم من انها كانت من اتصالات فلكية اذ لو كانت لكان هو المقدر لها والمسبب سبع ليال وثمانية ايام حسوما متتابعات جمع حاسم من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها او نحسات حسمت كل خير واستاصلته او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او المصدر لفعله المقدر حالا اي تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهي كانت ايام العجوز من صبيحة اربعاء الى غروب الاربعاء الاخر وانما سميت عجوزا لانها عجز الشتاء او لان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في الثامن فاهلكتها فترى القوم ان كنت حاضرهم فيها في مهابها او في الليالي والايام صرعى موتى جمع صريع كانهم اعجاز نخل اصول نخل خاوية متاكلة الاجواف فهل ترى لهم من باقية من بقية او نفس باقية او بقاء وجاء فرعون ومن قبله ومن تقدمه اي ومن عنده من اتباعه ويدل عليه انه قرئ ومن معه والمؤتفكات قرى قوم لوط والمراد اهلها بالخاطئة بالخطا او بفعلة او الافعال ذات الخطا فعصوا رسول ربهم اي فعصى كل امة رسولها فاخذهم اخذة رابية زائدة في الشدة زيادة اعمالهم في القبح انا لما طغى الماء جاوز حده المعتاد او طغى على خزانه وذلك في الطوفان ويؤيد من قبله حملناكم اي اباكم وانتم في اصلابهم في الجارية في سفينة نوح لنجعلها لكم لنجعل الفعلة وهي انجاء المؤمنين واغراق الكافرين تذكرة عبرة ودلالة على قدرة الصانع وحكمته وكمال قهره ورحمته وتعيها وتحفظها وعن ابن كثير تعيها بسكون العين تشبيها بكتف والوعي ان تحفظ الشيء في نفسك والايعاء ان تحفظه في غيرك اذن واعية من شانها ان تحفظ ما يجب حفظه بتذكره واشاعته والتفكر فيه والعمل بموجبه والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شانه مع قلته تسبب

لاتخا

وقرا البصري والكسائي ومن قبله

لانجاء الجم الغفير وادامة نسلهم وقرا نافع بالتخفيف فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة لما بالغ في تهويل القيامة وذكر مال المكذبين بها تفخيما لشانها وتنبيها على امكانها عاد الى شرحها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقيده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة بالنصب على اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التي عندها خراب العالم وحملت الارض والجبال رفعت عن اماكنها بمجرد القدرة الكاملة او بتوسط زلزلة او ريح عاصفة فدكتا دكة واحدة فضربت الجملتان بعضها ببعض ضربة واحدة فيصير الكل هباء او فبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا لا عوج فيها ولا امتا لان الدك سبب للتسوية ولذلك قيل بانه دكا للتي لا اسنام لها وارض دكا للمتسعة المستوية فيومئذ فحينئذ وقعت الواقعة قامت القيامة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية ضعيفة مسترخية والملك والجنس المتعارف بالملك على ارجائها جوانبها جمع رجا بالقصر ولعله تمثيل لخراب السماء بخراب البنيان وانضواء اهلها الى اطرافها وحواليها وان كان على ظاهرها فلعل هلاك الملائكة اثر ذلك ويحمل عرش ربك فوقهم فوق الملائكة الذين على الارجاء او فوق الثمانية لانها في نية التقديم يومئذ ثمانية ثمانية املاك لما روي مرفوعا انهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله تعالى باربعة اخرى وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله ولعله ايضا تمثيل لعظمته بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام وعلى هذا قال يومئذ تعرضون تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكر ليعرف احوالهم وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما للزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال اهل الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم خافية سريرة على الله حتى يكون العرض للاطلاع عليها وانما المراد افشاء الحال والمبالغة في العدل او على الناس كما قال تبلى السرائر وقرا حمزة والكسائي بالياء للفصل فاما من اوتي كتابه بيمينه تفصيل للعرض فيقول تبجحا هاؤم اقرؤا كتابيه ها اسم لخذ وفيه لغات اجودها ها يا رجل وهاء يا امراة وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لانه اقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث امكن والهاء فيه وفي حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت في الوقف وتسقط في الوصل واستحب الوقف لثباتها في الامام ولذلك قرئ باثباتها في الوصل اني ظننت اني ملاق حسابيه اي علمت ولعله عبر عنه بالظن اشعارا بانه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات التي لا ينفك عنها العلوم النظرية غالبا فهو في عيشة راضية ذات رضى على النسبة بالصيغة او جعل الفعل لها مجازا وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم في جنة عالية مرتفعة المكان لانها في السماء او الدرجات او الابنية والاشجار قطوفها جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح المصدر دانية يتناولها القاعد والنائم كلوا واشربوا باضمار القول وجمع الضمير للمعنى هنيئا اكلا وشربا هنيئا او هنيتم هنيئا بما اسلفتم بما قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية الماضية من ايام الدنيا واما من اوتي كتابه بشماله فيقول لما يرى من قبح العمل وسوء العاقبة يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه يا ليتها يا ليت الموتة التي متها كانت القاضية القاطعة لامري فلم ابعث بعدها او يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي كانه

صادفتها امراً من الموت فتمناه عندها او بالبيت حياة الدنيا لانت الموتة ولم اخلق فيها حياة ما اغنى عني ماليه مالي من المال والتبع وما نفي والمفعول محذوف او استفهام انكار مفعول لاغنى هلك عني سلطانيه ملكي وتسلطي على الناس او حجتي التي احتج بها في الدنيا خذوه يقول الله لخزنة النار فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى لانه كان يتعظم على الناس ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا اي طويلة فاسلكوه فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده وهو فيما بينها مرهق لا يقدر على حركة وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر انواع ما يعذب به وثم لتفاوت ما بينهما في الشدة انه كان لا يؤمن بالله العظيم تعليل على طريقة الاستئناف للمبالغة وذكر العظيم للاشعار بانه المستحق للعظمة فمن تعظم فيها استوجب ذلك ولا يحض على طعام المسكين ولا يحث على بذل طعامه او على اطعامه فضلا ان يبذل ماله ويجوز ان يكون ذكر الحض للاشعار بان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع ولعل تخصيص الامرين بالذكر لانه اقبح العقائد الكفر بالله واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب فليس له اليوم ها هنا حميم قريب يحميه ولا طعام الا من غسلين غسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل لا ياكله الا الخاطئون اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب لا من الخطا المضاد للصواب وقرئ الخاطيون بقلب الهمزة ياء والخاطون بطرحها فلا اقسم لوضوح الامر واستغنائه عن التحقيق بالقسم او فاقسم ولا مزيدة او فلا رد لانكارهم البعث واقسم مستانف بما تبصرون وما لا تبصرون بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول الخالق والمخلوقات باسرها انه ان القرآن لقول رسول يبلغه عن الله فان الرسول لا يقول عن نفسه كريم على الله وهو محمد او جبريل عليهما الصلاة والسلام وما هو بقول شاعر كما تزعمون تارة قليلا ما تؤمنون تصدقون لما ظهر لكم صدقه تصديقا قليلا لفرط عنادكم ولا بقول كاهن كما تدعون اخرى قليلا ما تذكرون تذكرون تذكرا قليلا فلذلك يلتبس الامر عليكم وذكر الايمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع نفي الكاهنية لان عدم مشابهة القرآن للشعر امر بين لا ينكرها الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر احوال الرسول ومعاني القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعاني اقوالهم وقرأ ابن كثير ويعقوب بالياء فيهما تنزيل هو تنزيل من رب العالمين نزله على لسان جبريل عليه السلام ولو تقول علينا بعض الاقاويل سمي الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا لها كانها جمع افعولة من القول كالاضاحيك لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين اي نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما تفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان ياخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب جيده وقيل اليمين بمعنى القوة فما منكم من احد عنه عن القتل او المقتول حاجزين دافعين وصف لاحد فانه عام والخطاب للناس وانه وان القرآن لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون به وانا لنعلم ان منكم مكذبين فنجازيهم على تكذيبهم وانه لحسرة على الكافرين اذا راوا ثواب المؤمنين به وانه لحق اليقين لليقين الذي لا ريب فيه فسبح باسم ربك العظيم فسبح الله بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضا بالتقول وشكرا على ما اوحى اليه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

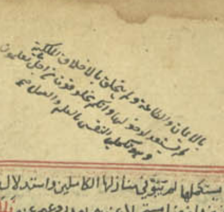
سورة المعارج مكية وآيها اربع واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سأل سائل بعذاب واقع اي دعا داع به بمعنى استدعاه ولذلك عدي الفعل بالباء والسائل نضر بن الحارث فانه قال ان كان هذا الحق من عندك وابو جهل فانه قال فاسقط علينا كسفا من السماء سأله استهزاء او الرسول صلى الله عليه وسلم استعجل بعذابهم وقرأ نافع وابن عامر سال وهو اما من السؤال على لغة قريش قال سالت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما سالت ولم تصب او من السيلان ويؤيده انه قرئ سال سيل على ان السيل مصدر بمعنى السائل كالغور والمعنى سال واد بعذاب ومضي الفعل لتحقق وقوعه اما في الدنيا وهو قتل بدر او في الآخرة وهو عذاب النار للكافرين صفة اخرى لعذاب او صلة لواقع وان صح السؤال كان لمن يقع به العذاب كانه جواب السائل على هذا المعنى سال بمعنى اهتم ليس له دافع يرده من الله من جهته لتعلق ارادته به ذي المعارج المصاعد وهي الدرجات التي تصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح او يترقى فيها المؤمنون في سلوكهم او في دار ثوابهم او مراتب الملائكة او السموات فان الملائكة يعرجون فيها تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على التمثيل والتخييل والمعنى انها لو قدر قطعها في زمان لكان في زمان يقدر بخمسين الف سنة من سني الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه في يوم كان مقداره كمقدار خمسين الف سنة من حيث انهم يقطعون فيه ما يقطع الانسان فيها لو فرض ان ما بين اسفل العالم واعلى شرفات العرش مسيرة خمسين الف سنة لان ما بين مركز الارض ومقعر السماء الدنيا على ما قيل مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحد من السموات السبع والكرسي والعرش كذلك وحيث قال في يوم كان مقداره الف سنة يريد به زمان عروجهم من الارض الى محدب السماء الدنيا وقيل في متعلق بواقع او بسال اذا جعل من السيلان والمراد به يوم القيامة واستطالته اما لشدته او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات او لانه على الحقيقة كذلك والروح جبريل وافراده لفضله او خلق اعظم من الملائكة فاصبر صبرا جميلا لا يشوبه استعجال واضطراب قلب وهو متعلق بسال لان السؤال كان عن استهزاء او تعنت وذلك مما يضجره او عن تضجر واستبطاء للنصر او بسائل لان المعنى قرب وقوع العذاب فاصبر فقد شارفت الانتقام انهم يرونه الضمير للعذاب او ليوم القيامة بعيدا من الامكان ونراه قريبا منه او من الوقوع يوم تكون السماء كالمهل ظرف لقريبا اي يمكن يوم تكون او لمضمر دل عليه واقع او بدل عن في يوم ان علق به والمهل المذاب في مهل كالفلزات او دردي الزيت وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال مختلفة الالوان فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسال حميم حميما ولا يسال قريب قريبا عن حاله وعن ابن كثير ولا يسال على بناء المفعول اي لا يطلب من حميم حميم او لا يسال منه حاله يبصرونهم استئناف او حال يدل على ان المانع من هذا السؤال هو التشاغل دون الخفاء او ما يغني عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده وجمع الضميرين لعموم الحميم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه حال من احد الضميرين

او استئناف يدل على ان استغال كل مجرم بنفسه بحيث يتمنى ان يفتدي باقرب الناس اليه واعلقهم
بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسال عنها وقرئ بتنوين عذاب ونصب يومئذ به لانه بمعنى
تعذيب وفصيلته وعشيرته الذين فصل عنهم التي تؤويه تضمه في النسب او عند الشدائد
ومن في الارض جميعا من الثقلين او الخلائق ثم ينجيه عطف على يفتدي اي ثم لو ينجيه
الافتداء وثم للاستبعاد كلا ردع للمجرم عن الوداده ودلالة على ان الافتداء لا ينجيه انها الضمير
للنار او مبهم يفسره لظى وهو خبر او بدل او للقصة ولظى مبتدا خبره نزاعة للشوى وهو اللهب الخالص وقيل
علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب وقرئ نزاعة بالنصب على الاختصاص او الحال المؤكدة او المنتقلة
على ان لظى بمعنى متلظية والشوى الاطراف او جمع شواة وهي جلدة الراس تدعو تجذب وتحضر كقول ذي
الرمة تدعو انفه الريب مجاز من جذبها واحضارها لمن فرعنها وقيل تدعو زبانيتها وقيل
تدعو تهلك من قولهم دعاه الله اذا اهلكه من ادبر عن الحق وتولى عن الطاعة وجمع فاوعى وجمع
المال فجعله في وعاء وكنزه حرصا وتاملا ان الانسان خلق هلوعا شديد الحرص قليل الصبر اذا
مسه الشر الضر جزوعا يكثر الجزع واذا مسه الخير السعة منوعا يبالغ في الامساك والاوصاف
الثلثة احوال مقدرة او محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها واذا الاولى ظرف لجزوعا والاخرى
لمنوعا الا المصلين استثناء للموصوفين بالصفات المذكورة بعد من المطبوعين على الاحوال المذكورة والايمان
بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الاجل على العاجل وتلك ناشية من الانهماك في حب العاجل
وقصور النظر عليها الذين هم على صلاتهم دائمون لا يشغلهم عنها شاغل والذين في اموالهم حق
معلوم كالزكوات والصدقات الموظفة للسائل الذي يسال والمحروم والذي لا يسال فيحسب غنيا فيحرم والذين
يصدقون بيوم الدين تصديقا باعمالهم وهو ان يتعب نفسه ويصرف ماله طمعا في المثوبة والذين
هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون على انفسهم ان عذاب ربهم غير مامون اعتراض يدل على
انه لا ينبغي لاحد ان يامن من عذاب الله وان بالغ في طاعته والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم
او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون سبق تفسيره في سورة
المؤمنين والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون حافظون وقرا ابن كثير لامانتهم يعني لا يخونون ولا
ينكرون او لا يخفون ما علموه من حقوق الله وحقوق العباد والذين هم بشهاداتهم قائمون وقرا
يعقوب وحفص بشهاداتهم لاختلاف الانواع والذين هم على صلاتهم يحافظون فيراعون
شرائطها ويكملون فرائضها وسننها وتكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها اولا واخرا باعتبارين
للدلالة على فضلها وانافتها على غيرها وفي نظم هذه الصلات مبالغة لا تخفى اولئك في جنات مكرمون
بثواب الله تعالى فمال الذين كفروا قبلك حولك مهطعين مسرعين عن اليمين وعن الشمال عزين فرقا
شتى جمع عزة من العزو وكان كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى كان المشركون يحلقون
حول رسول الله حلقا حلقا ويستهزئون بكلامه ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان
وهو انكار لقولهم لو صح ما يقوله لنكون فيها افضل حظا منهم كما في الدنيا كلا ردع لهم عن هذا الطمع
انا خلقناهم مما يعلمون تعليل له والمعنى انهم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس فمن لم

يستكمل



يستكملها لم يتبوأ في منازل الكاملين واستدلال بالنشاة الاولى على النشاة الثانية التي بنوا الطمع على
فرضها فرضا مستحيلا عندهم بعد ردعهم عنه فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون
على ان نبدل خيرا منهم ان نهلكهم ونأتي بخلق امثل منهم او نعطي محمدا بدلكم من هو خير منهم وهم الانصار
وما نحن بمسبوقين بمغلوبين ان اردنا فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون
مر في اخر الطور يوم يخرجون من الاجداث سراعا مسرعين جمع سريع كانهم الى نصب منصوب
للعبادة او علم يوفضون يسرعون وقرا ابن عامر وحفص نصب بالضم على انه تخفيف نصب او جمع خاشعة
ابصارهم ترهقهم ذلة مر تفسيره ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون في الدنيا عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة سال سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

سورة نوح مكية

وايها تسع او ثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر
بان انذر اي بانذار او بان قلنا له انذر ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن الارسال معنى القول وقرئ بغير ها
على ارادة القول قومك من قبل ان ياتيهم عذاب اليم عذاب الاخرة او الطوفان قال يا قوم اني لكم نذير
مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون مر في الشعراء نظيره وفي ان يحتمل الوجهان يغفر لكم من
ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما سبق فان الاسلام يجبه فلا يؤاخذكم به في الاخرة ويؤخركم الى اجل مسمى
هو اقصى ما قدر لكم بشرط الايمان والطاعة ان اجل الله ان [illegible] الذي قدره اذا جاء انه الاجل
الذي قدره لا يؤخر فبادروا في اوقات الامهال والتاخير لو كنتم تعلمون لو كنتم من اهل العلم
والنظر لعلمتم ذلك وفيه انهم لانهماكهم في حب الحياة كانهم شاكون في الموت قال رب اني دعوت
قومي ليلا ونهارا اي دائما فلم يزدهم دعائي الا فرارا عن الايمان والطاعة واسناد الزيادة الى
الدعاء على السببية كقوله فزادتهم رجسا واني كلما دعوتهم الى الايمان لتغفر لهم بسببه جعلوا اصابعهم
في اذانهم سدوا مسامعهم عن دعوتي واستغشوا ثيابهم تغطوا بها لئلا يروني كراهة النظر
الي من فرط كراهة دعوتي او لئلا اعرفهم فادعوهم والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة واصروا
اكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها واستكبروا
عن اتباعي استكبارا عظيما ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا
اي دعوتهم مرة بعد اخرى وكرة بعد اولى على اي وجه امكنني وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اغلظ
من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد او لتراخي بعضها عن بعض وجهارا نصب على المصدر
لانه احد نوعي الدعاء او صفة مصدر محذوف بمعنى دعاء جهارا اي مجاهرا به او الحال فيكون بمعنى مجاهرا
فقلت استغفروا ربكم بالتوبة عن الكفر انه كان غفارا للتائبين وكانهم لما امرهم بالعبادة
قالوا ان كنا على حق فلا نتركه وان كنا على باطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا من عصيناه فامرهم
بما يجب معاصيهم ويجلب اليهم المنح ولذلك وعدهم عليه ما هو اوقع في قلوبهم وقيل لما
طالت دعوتهم وتمادى اصرارهم حبس الله عنهم القطر اربعين سنة واعقم ارحام نسائهم
فوعدهم بذلك على الاستغفار عما كانوا عليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين

ويجعل

ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقا والسما يحتمل المظلة
والسحاب والمدرار كثير الدرور ويستوي في هذا البنا المذكر والمونث والمراد بالجنات البساتين ما لكم
لا ترجون لله وقارا لا تاملون له توقيرا اي تعظيما لمن عبده واطاعه فتكونون على حال تاملون فيها تعظيمه
اياكم ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار او لا تعتقدون له عظمة فتخافون عصيانه وانما
عبر عن الاعتقاد بالرجا التابع الادنى منه مبالغة وقد خلقكم اطوارا حال مقررة للانكار من حيث انها
موجبة للرجا فانه خلقهم اطوارا اي تارات اذ خلقهم اولا عناصر ثم مركبات تغذي الانسان ثم اخلاطا ثم
نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشاهم خلقا اخر فانه يدل على انه يمكن ان يعيدهم تارة اخرى فيعظمهم
بالثواب وعلى انه تعالى عظيم القدرة تام الحكمة ثم اتبع ذلك ما يويده من ايات الافاق فقال الم تروا كيف
خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا اي في السموات وهو في السماء الدنيا وانما نسبه اليهن لما بينهن من الملابسة
وجعل الشمس سراجا مثلها به لانها تزيل ظلمة الليل عن وجه الارض كما يزيلها السراج عما حوله والله
انبتكم من الارض نباتا انشاكم منها فاستعير الانبات للانشا لانه ادل على الحدوث والتكون من
الارض واصله انبتكم فنبتم نباتا فاختصر اكتفا بالدلالة الالتزامية ثم يعيدكم فيها مقبورين
ويخرجكم اخراجا بالحشر واكده بالمصدر كما اكد الاول دلالة على ان الاعادة محققة كالابدا وانها
تكون لا محالة والله جعل لكم الارض بساطا تتقلبون عليها لتسلكوا منها سبلا فجاجا واسعة جمع
فج ومن لتضمين الفعل معنى الاتخاذ قال نوح رب انهم عصوني فيما امرتهم به واتبعوا من لم
يزده ماله وولده الا خسارا واتبعوا روساهم البطرين باموالهم المغترين باولادهم بحيث صار
ذلك سببا لزيادة خسارتهم في الاخرة وفيه انهم انما اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم بالاموال والاولاد
وادت بهم الى الخسار وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي والبصريان وولده بالضم والسكون على انه لغة
كالحزن او جمع كالاسد ومكروا عطف على لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى مكرا كبارا كبيرا في الغاية
فانه ابلغ من كبار وهو من كبير وذلك احتيالهم في الدين وتحريش الناس على اذى نوح وقالوا لا تذرن
الهتكم اي عبادتها ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ولا تذرن
هولا خصوصا قيل هي اسما رجال صالحين كانوا بين ادم ونوح فلما ماتوا صوروا تبركا بهم
فلما طال الزمان عبدوا وقد انتقلت الى العرب وكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج
ويعوق لمراد ونسر لحمير وقرا نافع ودا بالضم وقرى يغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما
للعلمية والعجمة وقد اضلوا كثيرا الضمير للروسا او للاصنام كقوله انهن اضللن كثيرا ولا تزد
الظالمين الا ضلالا عطف على رب انهم عصوني ولعل المطلوب هو الضلال في ترويج مكرهم
ومصالح دنياهم او الضياع والهلاك كقوله ان المجرمين في ضلال وسعر مما خطيئاتهم من
اجل خطيئاتهم وما مزيدة للتوكيد والتفخيم وقرا ابو عمرو مما خطاياهم اغرقوا بالطوفان فادخلوا
نارا المراد عذاب القبر او عذاب الاخرة والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الاغراق والادخال او لان
المسبب كالمتعقب للسبب وان تراخى عنه لفقد شرط او وجود مانع وتنكير النار للتعظيم او لان المراد نوع من النيران

فلم يجدوا

فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا تعريض باتخاذهم الهة من دون الله لا تقدر على نصرهم وقال
نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا اي احدا وهو مما يستعمل في النفي العام
فيعال من الدار او الدور واصله ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد لا فعال والا لكان
دوارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا قال ذلك لما جربهم واستقرى
احوالهم الف سنة الا خمسين عاما فعرف شيمهم وطباعهم رب اغفر لي ولوالدي لمك بن متوشلخ
وشمخا بنت انوش كانا مومنين ولمن دخل بيتي منزلي او مسجدي او سفينتي مومنا
وللمومنين والمومنات الى يوم القيامة ولا تزد الظالمين الا تبارا هلاكا عن النبي صلى
من قرا سورة نوح كان من المومنين الذين تدركهم دعوة نوح سورة الجن مكية وايها ثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم قل اوحي الي وقري احي واصله وحي من وحى اليه فقلبت الواو
همزة لضمتها ووحي على الاصل وفاعله انه استمع نفر من الجن والنفر ما بين الثلاثة الى
العشرة والجن اجسام عاقلة خفية تغلب عليهم النارية او الهوائية وقيل نوع من
الارواح المجردة وقيل نفوس بشرية مفارقة عن ابدانها وفيه دلالة على انه عليه السلام
ما راهم ولم يقرا عليهم وانما اتفق حضورهم في اوقات قراءته فسمعوه فاخبر الله به رسوله
فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن نظمه ودقة
معناه وهو مصدر وصف به للمبالغة يهدي الى الرشد الى الحق والصواب فامنا به بالقران
ولن نشرك بربنا احدا على ما نطق به الدلائل القاطعة على التوحيد وانه تعالى جد ربنا
قراه ابن كثير والبصريان بالكسر على انه من جملة المحكي بعد القول وكذا ما بعده الا قوله
وان لو استقاموا وان المساجد وانه لما قام فانها من جملة الموحى به ووافقهم
نافع وابو بكر الا في قوله وانه لما قام على انه استيناف او مقول وفتح الباقون الكل
الا ما صدر بالفا على ان ما كان من قولهم فمعطوف على محل الجار والمجرور في به كانه
قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا عظمته من جد فلان في عيني اذا عظم
او سلطانه او غناه مستعار من الجد الذي هو البخت والمعنى وصفه بالاستغنا
عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه او لغناه وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا
بيان لذلك وقري جدا ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر اي صدق ربوبيته كانهم
سمعوا من القران ما نبههم على خطا ما اعتقدوه من الشرك واتخاذ الصاحبة والولد
وانه كان يقول سفيهنا ابليس او مردة الجن على الله شططا قولا ذا شطط وهو البعد
ومجاوزة الحد او هو شطط لفرط ما اشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله وانا
ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا اعتذار عن اتباعهم للسفيه في ذلك بظنهم
ان احدا لا يكذب على الله وكذبا نصب على المصدر لانه نوع من القول او الوصف لمحذوف
اي قولا مكذوبا فيه ومن قرا ان لن تقول كيعقوب جعله مصدرا لان التقول لا يكون الا كذبا
وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن كان الرجل اذا امسى بقفر قال اعوذ

بعزيز هذا

بعيد هذا الوادي من شر سفها قومه فزادوهم فزادوا الجن باستعاذتهم بهم رهقا كبرا وعتوا او فزاد الجن الانس غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم والرهق في الاصل غشيان الشي وانهم ظنوا كما ظننتم ايها الجن او بالعكس والآيتان من كلام الجن بعضهم لبعض او استينا منه كلام من الله ومن فتح ان فيهما جعلهما من الموحى به ان لن يبعث الله احدا ساد مسد مفعولي ظنوا وانا لمسنا السما طلبنا بلوغ السما او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه فوجدناها ملئت حرسا حراسا اسم جمع كالخدم شديدا اقويا وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها وشهبا جمع شهاب وهو المضي المتولد من النار وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع مقاعد خالية عن الحرس والشهب او صالحة للترصد والاستماع وللسمع صلة لنقعد او صفة لمقاعد فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا اي شهابا راصدا له ولاجله يمنعه عن الاستماع بالرجم او ذوي شهاب راصدين على انه اسم جمع للراصد وقد مر بيان ذلك في الصافات وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض بحراسة السما ام اراد بهم ربهم رشدا خيرا وانا منا الصالحون المومنون الابرار ومنا دون ذلك اي قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون كنا طرائق ذوي طرائق اي مذاهب او مثل طرائق في اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا طرائق قددا متفرقة مختلفة جمع قدة من قد اذا قطع وانا ظننا علمنا ان لن نعجز الله في الارض كائنين في الارض اينما كنا فيها ولن نعجزه هربا هاربين منها الى السما او لن نعجزه في الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا وانا لما سمعنا الهدى اي القرآن آمنا به فمن يومن بربه فلا يخاف فهو لا يخاف والاول ادل على تحقيق نجاة المومنين واختصاصها بهم بخسا ولا رهقا نقصا في الجزا او ان يرهقه ذلة او جزا بخس لانه لم يبخس حقا ولم يرهق ظلما لان من حق المومن بالقرآن ان يجتنب ذلك وانا منا المسلمون ومنا القاسطون الجائرون عن طريق الحق وهو الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار السلام واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد بكفار الانس وان لو استقاموا اي ان الشان لو استقام الجن او الانس او كلاهما على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا على الطريقة المثلى لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الما الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة وعزة وجوده بين العرب لنفتنهم فيه لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه ان لو استقام الجن على طريقتهم القديم ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم في كفرانه ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته او موعظته او وحيه نسلكه ندخله عذابا صعدا شاقا يعلو المعذب ويغلبه مصدر وصف به وان المساجد لله مختصة

او نقص

به فلا تدعوا مع الله احدا فلا تعبدوا فيها غيره ومن جعل ان مقدرة باللام علة للنهي الغى فائدة الفا وقيل المراد بالمساجد الارض كلها لانها جعلت للنبي صلى الله عليه وسلم مسجدا وقيل المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومواضع السجود على ان المراد النهي عن السجود لغير الله وآرابه السبعة والسجدات على انه جمع مسجد وانه لما قام عبد الله اي النبي صلى الله عليه وسلم وانما ذكر بلفظ العبد للتواضع فانه واقع موقع كلامه عن نفسه والاشعار بما هو المقتضي لقيامه يدعوه يعبده كادوا كاد الجن يكونون عليه لبدا متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما راوا من عبادته وسمعوا من قراءته او كاد الانس والجن يكونون عليه مجتمعين لابطال امره وهو جمع لبدة وهي لغة وقرئ لبدا كسجدا جمع لابد و لبدا كصبر جمع لبود قال انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم او اطباقكم على مقتي وقرا عاصم وحمزة قل على الامر للنبي صلى الله عليه وسلم ليوافق ما بعده قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا ولا نفعا ولا غيا ولا رشدا عبر عن احدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه او مسببه اشعارا بالمعنيين قل اني لن يجيرني من الله احد ان اراد بي سوا ولن اجد من دونه ملتحدا منحرفا او ملتجا الا بلاغا من الله استثنا من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد وانفاع وما بينهما اعتراض موكد لنفي الاستطاعة او من ملتحدا او معناه ان لا ابلغ بلاغا وما قبله دليل الجواب ورسالاته عطف على بلاغا ومن الله صفته فان صلته عن كقوله بلغوا عني ولو آية ومن يعص الله ورسوله في الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه فان له نار جهنم وقرئ فان على فجزاوه خالدين فيها ابدا جمعه للمعنى حتى اذا راوا ما يوعدون في الدنيا كوقعة بدر او في الآخرة والغاية لقوله يكونون لبدا بالمعنى الثاني او المحذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار له وعصيانهم له فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا هو ام هم قل ان ادري ما ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا غاية تطول مدتها كانه لما سمع المشركون حتى اذا راوا ما يوعدون قالوا متى يكون انكارا فقيل قل انه كاين لا محالة ولكن لا ادري وقته عالم الغيب هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع على غيبه احدا اي على الغيب المخصوص به علمه الا من ارتضى لعلم بعضه حتى يكون له معجزة من رسول بيان لمن واستدل به على ابطال الكرامات وجوابه تخصيص الرسول بالملك والاظهار بغير وسط وكرامات الاوليا على المغيبات انما يكون تلقيا من الملائكة كاطلاعنا على احوال الآخرة بتوسط الانبيا فانه يسلك من بين يديه من بين يدي المرتضى ومن خلفه رصدا حرسا من الملائكة يحرسونه من اختطاف الشياطين وتخاليطهم ليعلم ان قد ابلغوا ليعلم النبي الموحى اليه ان قد ابلغ جبريل والملائكة النازلون بالوحي او ليعلم الله ان قد ابلغ الانبيا بمعنى ليتعلق علمه به موجودا رسالات ربهم كما هي محروسة من التغيير واحاط بما لديهم بما عند الرسل واحصى كل شي عددا حتى القطر والرمل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا او كذب به عتق رقبة سورة المزمل مكية وآيها تسع عشرة او عشرون بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل اصله المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التا في الزاي وقد قرئ به وبالمزمل مفتوحة الميم ومكسورتها اي الذي زمله غيره او زمل نفسه

سمي به النبي صلى الله عليه وسلم تهجينا لما كان عليه فانه كان نائما او مرتعدا مما دهشه بداء
الوحي متزملا في قطيفة او تحسينا له اذ روي انه كان يصلي متلففا بمرط مفروش على
عائشة رضي الله عنها فنزلت وتشبيها له في تثاقله بالمتزمل لانه لم يتمرن بعد في قيام
الليل او من تزمل الزمل اذا تحمل الحمل اي الذي تحمل اعباء النبوة قم الليل اي قم الى الصلاة او داوم
عليها وقرئ بضم الميم وفتحها للاتباع او التخفيف الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد
عليه الاستثناء من الليل ونصفه بدل من قليلا وقلته بالنسبة الى الكل والتخيير بين قيام النصف
والزائد عليه كالثلثين والناقص عنه كالثلث او نصفه بدل من الليل والاستثناء منه والضمير في منه
وعليه للاقل من النصف كالثلث فيكون التخيير بينه وبين الاقل منه كالربع والاكثر منه
كالنصف او للنصف والتخيير بين ان يقوم اقل منه على الثلث وان يختار احد الامرين من الاقل
والاكثر او الاستثناء من اعداد الليل فانه عام والتخيير بين قيام النصف والناقص عنه والزائد
عليه ورتل القرآن ترتيلا اقرأه على تؤدة وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم
ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا انا سنلقي عليك قولا ثقيلا يعني القرآن فانه لما فيه من التكاليف
الشاقة ثقيل على المكلفين سيما على الرسول فانه كان عليه السلام يتحملها ويحملها امته والجملة اعتراض
يسهل التكليف عليه بالتهجد ويدل على انه مشق مضاد للطبع مخالف للنفس او رصين لرزانة
لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتامل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد النظر
او ثقيل في الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل تلقيه لقول عائشة رضي الله عنها رايته عليه السلام
ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا وعلى هذا يجوز ان يكون
صفة للمصدر والجملة على هذا الوجه للتعليل مستانف فان التهجد يعد للنفس ما به يعالج ثقله
ان ناشئة الليل ان النفس التي تنشأ من مضجعها الى العبادة من نشأ من مكانه اذا نهض قال
نشأنا الى خوص برى نيها السرى والصق منها مشرفات القماحد او قيام الليل على ان الناشئة
له او العبادة التي تنشأ بالليل اي تحدث او ساعات الليل لانها تحدث واحدة بعد اخرى او ساعاتها
الاول من نشأت اذا ابتدأت هي اشد وطئا اي كلفة او ثبات قدم وقرأ ابو عمرو وابن عامر وطاء
اي مواطاة القلب اللسان لها او فيها او موافقة لما يراد من الخضوع والاخلاص واقوم قيلا واسد مقالا
او اثبت قراءة بحضور القلب وهدو الاصوات ان لك في النهار سبحا طويلا تقلبا في مهماتك واشتغالا
فعليك بالتهجد فان مناجاة الحق تستدعي فراغا وقرئ سبخا اي تفرق قلب بالشواغل مستعار
من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه واذكر اسم ربك ودم على ذكره ليلا ونهارا وذكر
الله يتناول كل ما يذكر به من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم وتبتل اليه
تبتيلا وانقطع اليه بالعبادة وجرد نفسك عما سواه ولهذه الرمزة ومراعاة الفواصل
وضعه موضع تبتلا رب المشرق والمغرب خبر محذوف او مبتدا خبره لا اله الا هو وقرأ ابن عامر والكوفيون
غير حفص ويعقوب بالجر على البدل من ربك وقيل باضمار حرف القسم وجوابه لا اله الا هو فاتخذه
وكيلا مسبب عن التهليل فان توحده بالالوهية يقتضي ان يوكل اليه الامور واصبر على ما يقولون

من الخرافات واهجرهم هجرا جميلا بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم وتكل امرهم الى الله كما
قال وذرني والمكذبين دعني واياهم وكل الي امرهم فان بي غنية عنك في مجازاتهم
اولي النعمة ارباب التنعم يريد صناديد قريش ومهلهم قليلا زمانا او امهالا ان لدينا
انكالا تعليل للامر والنكل القيد الثقيل وجحيما وطعاما ذا غصة طعاما ينشب
في الحلق كالضريع والزقوم وعذابا اليما ونوعا آخر من العذاب مولما لا يعرف كنهه
الا الله ولما كانت العقوبات الاربع مما يشترك فيها الاشباح والارواح فان النفوس
العاصية المنهمكة في الشهوات تبقى مقيدة بحبها والتعلق بها عن التخلص الى عالم
المجردات متحرقة بحرقة الفرقة متجرعة غصة الهجران بالحرمان عن تجلي انوار القدس فسر
العذاب بالحرمان عن لقاء الله تعالى يوم ترجف الارض والجبال تضطرب وتتزلزل
ظرف لما في لدينا انكالا من معنى الفعل وكانت الجبال كثيبا رملا مجتمعا كانه فعيل
بمعنى مفعول من كثبت الشيء اذا جمعته مهيلا منثورا من هيل هيلا اذا نثر انا ارسلنا
اليكم رسولا يا اهل مكة شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم القيامة بالاجابة والامتناع
كما ارسلنا الى فرعون رسولا يعني موسى ولم يعينه لان المقصود لم يتعلق به فعصى
فرعون الرسول عرف لسبق ذكره فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا من قولهم طعام وبيل
لا يستمرأ لثقله ومنه الوابل للمطر العظيم فكيف تتقون انفسكم ان كفرتم بقيتم
على الكفر يوما عذاب يوم يجعل الولدان شيبا من شدة هوله وهذا على الفرض او
التمثيل واصله ان الهموم تضعف القوى وتسرع بالشيب ويجوز ان يكون وصف اليوم
بالطول السماء منفطر به منشق والتذكير على تاويل السقف او اضمار شيء به لشدة ذلك
اليوم على عظمها واحكامها فضلا عن غيرها والباء للآلة كان وعده مفعولا الضمير
لله عز وجل او لليوم على اضافة المصدر الى المفعول ان هذه الآيات الموعدة تذكرة
عظة فمن شاء ان يتعظ اتخذ الى ربه سبيلا اي يتقرب اليه بسلوك التقوى ان ربك
يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه استعار الادنى للاقل لان
الاقرب الى الشيء اقل بعدا منه وقرأ ابن كثير والكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب عطفا
على ادنى وطائفة من الذين معك ويقوم ذلك جماعة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار
ولا يعلم مقادير ساعاتهما كما هي الا الله تعالى فان تقديم اسمه مبتدا مبنيا عليه
يقدر يشعر بالاختصاص ويؤيده قوله علم ان لن تحصوه اي لن تحصوا عدد الاوقات
ولن تستطيعوا ضبط الاوقات فتاب عليكم بالترخيص في ترك القيام المقدر ورفع التبعة
فيه فاقرءوا ما تيسر من القرآن فصلوا ما تيسر عليكم من صلاة الليل عبر عن الصلاة
بالقراءة كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام
به فنسخ هذا بالصلوات الخمس او فاقرءوا القرآن بعينه كيفما تيسر عليكم علم ان سيكون منكم
مرضى استئناف يبين حكمة اخرى مقتضية للترخيص والتخفيف ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه

وقال وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله والضرب في الأرض ابتغاء
للفضل المسافرة للتجارة وتحصيل العلم من علم الله تعالى وآخرون يقاتلون في سبيل الله
فاقرؤوا ما تيسر منه وأقيموا الصلاة المفروضة وآتوا الزكاة الواجبة وأقرضوا
الله قرضا حسنا يريد به الأمر في سائر الانفاقات في سبيل الخير او باداء الزكاة على احسن
وجه والترغيب فيه بوعد العوض كما صرح به في قوله وما تقدموا لأنفسكم من خير
من اجر تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا من الذي تؤخرونه الى الوصية عند الموت
او من متاع الدنيا وخيرا ثاني مفعولي تجدوه وهو تأكيد او فصل لان افعل من كالمعرفة
ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ خير على الابتدا والخبر واستغفروا الله في مجامع
احوالكم فان الانسان لا يخلو من تفريط ان الله غفور رحيم عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة المزمل دفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة سورة المدثر مكية
وآيها ست وخمسون بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها المدثر اي المتدثر
وهو لابس الدثار روي انه صلى الله عليه وسلم قال كنت بحرا فنوديت فنظرت عن يميني وشمالي
فلم ار شيئا فنظرت فوقي فاذا هو على عرش بين السما والارض يعني الملك الذي ناداه
فرعبت فرجعت الى خديجة فقلت دثروني فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر ولذلك
قيل هي اول سورة نزلت وقيل تأذى من قريش فتغطى بثوبه مفكرا او كان نائما متدثرا
فنزلت وقيل المراد بالمدثر المتدثر بالنبوة والكمالات النفسانية او المختفي فانه
كان بحرا كالمختفي فيه على سبيل الاستعارة وقرئ المدثر اي الذي دثر هذا الامر وعصب به
قم من مضجعك او قم قيام عزم وجد فانذر مطلق للتعميم او مقدر بمفعول دل عليه
قوله وانذر عشيرتك الاقربين او قوله وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا
وربك فكبر وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبريا عقدا او قولا روي انه لما نزل
كبر رسول الله وايقن انه الوحي وذلك لان الشيطان لا يأمر بذلك والفاء فيه وفيما بعده
لافادة معنى الشرط وكانه قال وما يكن فلا تدع تكبيره او للدلالة على ان المقصود الاول
من الامر بالقيام ان يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فان اول ما يجب معرفة الصانع واول
ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به وثيابك فطهر من النجاسات
فان التطهير واجب في الصلوات محبوب في غيرها وذلك بغسلها او بحفظها عن النجاسة
كتقصيرها مخافة جر الذيول وهو اول ما امر به من رفض العادات المذمومة او طهر نفسك
من الاخلاق الذميمة والافعال الدنية فيكون امرا باستكمال القوة العملية بعد
امره باستكمال القوة النظرية والدعا اليه او فطهر دثار النبوة عما يدنسه من الحقد
والضجر وقلة الصبر والرجز فاهجر واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي اليه من الشرك
وغيره من القبائح وقرأ يعقوب وحفص والرجز بالضم وهو لغة كالذكر ولا تمنن
تستكثر اي لا تعط مستكثرا نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا طامعا في عوض اكثر

نهي تنزيه

نهي تنزيه او نهيا خاصا به لقوله عليه السلام المستغزر يثاب من هبته والموجب
له ما فيه من الحرص والضنة او لا تمنن على الله بعبادتك مستكثرا اياها او على الناس
بالتبليغ مستكثرا به الاجر منهم او مستكثرا اياه وقرئ تستكثر بالسكون للوقف او الابدال
من تمنن على انه من من بكذا او تستكثر بمعنى تجده كثيرا وبالنصب على اضمار ان وقد
قرئ بها وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بحذفها وابطال عملها كما روي واحضر الوغى
بالرفع ولربك ولوجهه او امره فاصبر فاستعمل الصبر او فاصبر على مشاق التكاليف
واذى المشركين فاذا نقر في الناقور نفخ في الصور فاعول من النقر بمعنى
التصويت واصله القرع الذي هو سبب الصوت والفا للسببية كانه قال
اصبر على زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك واعداؤك عاقبة ضرهم واذا ظرف
لما دل عليه قوله فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين لان معناه عسر الامر على
الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر وهو مبتدا خبره يوم عسير ويومئذ بدل له
او ظرف لخبره اذ التقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير غير يسير تاكيد يمنع ان يكون
عسيرا عليهم من وجه دون وجه ويشعر بيسره على المؤمنين ذرني ومن خلقت و
نزل في الوليد بن المغيرة وحيدا حال من اليا اي ذرني وحدي معه فاني اكفيكه او من
التا اي ومن خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد او من العائد المحذوف اي من
خلقته فريدا لا مال له ولا ولد او ذم فانه كان ملقبا به فسماه الله به تهكما او اراد
به وحيدا ولكن في الشرارة او عن ابيه فانه كان زنيما وجعلت له مالا ممدودا كثيرا
مبسوطا او ممدودا بالنما وكان له الزرع والضرع والتجارة وبنين شهودا حضورا
معه بمكة يتمتع بلقائهم لا يحتاجون الى سفر لطلب المعاش استغناء بنعمته ولا يحتاج
الى ان يرسلهم في مصالحه لكثرة خدمه او في المحافل والاندية لوجاهتهم واعتبارهم
قيل كان له عشرة بنين او اكثر كلهم رجال واسلم منهم ثلاثة خالد وعمارة وهشام
ومهدت له تمهيدا وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش
والوحيد باستحقاق الرياسة والتقدم ثم يطمع ان ازيد على ما اوتيه وهو استبعاد
لطمعه اما لانه لا مزيد على ما اوتي او لانه لا يناسب ما هو عليه من كفران النعم ومعاندة
المنعم ولذلك قال كلا انه كان لآياتنا عنيدا فانه ردع له عن الطمع وتعليل للردع
على سبيل الاستئناف بمعاندة آيات المنعم المناسبة لازالة النعمة المانعة عن الزيادة قيل
ما زال بعد نزول الآية في نقصان ماله حتى هلك سأرهقه صعودا سأغشيه عقبة
شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من الشدائد وعنه صلى الله عليه وسلم الصعود جبل
من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا انه فكر وقدر تعليل للوعيد
او بيان للعناد والمعنى فكر فيما يخيل طعنا في القرآن وقدر في نفسه ما يقول فيه
فقتل كيف قدر تعجيب من تقديره استهزاء به او لانه اصاب اقصى ما يمكن ان يقال عليه

من قولهم قتله الله ما اشجعه اي بلغ في الشجاعة مبلغا يحق ان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك
روي انه مر بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرا حم السجدة فاتى قومه وقال لقد سمعت من محمد آنفا
كلاما ما هو من كلام الانس والجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله
لمغدق وانه ليعلو ولا يعلى فقال قريش صبا الوليد فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه
فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقام فناداهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل
رايتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رايتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رايتموه
يتعاطى شعرا فقالوا لا فقال ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله
وولده ومواليه ففرحوا بقوله وتفرقوا متعجبين منه **ثم قتل كيف قدر** تكرير للمبالغة
وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها **ثم نظر** اي في امر القرآن
مرة بعد اخرى **ثم عبس** قطب وجهه لما لم يجد فيه طعنا ولم يدر ما يقول او نظر الى
رسول الله وقطب في وجهه **وبسر** اتباع لعبس **ثم ادبر** عن الحق او الرسول صلى الله عليه وسلم
واستكبر عن اتباعه **فقال ان هذا الا سحر يؤثر** يروى ويتعلم والفاء للدلالة على انه
لما خطرت هذه الكلمة بباله تفوه بها من غير تلبث وتفكر **ان هذا الا قول البشر**
كالتاكيد للجملة الاولى ولذلك لم يعطف عليها **سأصليه سقر** بدل من سارهقه
صعودا **وما ادراك ما سقر** تفخيم لشانها وقوله **لا تبقي ولا تذر** بيان لذلك
او حال من سقر والعامل فيها معنى التعظيم والمعنى لا تبقي على شيء يلقى فيها ولا تدعه
حتى يهلكه **لواحة للبشر** مسودة لاعالي الجلد او لائحة للناس وقرئت بالنصب
على الاختصاص **عليها تسعة عشر** ملكا او صنفا من الملائكة يلون امرها والمخصص
لهذا العدد ان اختلال النفوس البشرية في النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثني
عشرة والطبيعية السبع او ان جهنم سبع دركات ست منها لاصناف الكفار وكل
صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا من العذاب يناسبها وعلى
كل نوع ملك او صنف يتولاه وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا
يناسبه ويتولاه ملك او صنف او ان الساعات اربعة وعشرون خمسة منها مصروفة
في الصلاة فيبقى تسعة عشر قد تصرف فيما يؤاخذ به بانواع من العذاب يتولاها
الزبانية وقرئ تسعة عشر بسكون العين كراهة توالي حركات فيما هو كاسم واحد
وتسعة اعشر جمع عشير كيمين وايمن اي تسعة كل عشير جمع يعني نقيبهم او جمع
عشر فيكون تسعين **وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة** ليخالفوا جنس المعذبين
فلا يرقوا لهم ولا يستروحوا اليهم ولانهم اقوى الخلق باسا واشدهم غضبا لله
روي ان ابا جهل لما سمع عليها تسعة عشر قال لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان
يبطشوا برجل منهم فنزلت **وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا** وما جعلنا
عددهم الا العدد الذي اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر فعبر عن الاثر

بالموثر تنبيها على انه لا ينفك منه وافتتانهم استقلالهم له واستهزاؤهم
به واستبعادهم ان يتولى هذا العدد القليل تعذيب اكثر الثقلين ولعل المراد
الجعل بالقول ليحسن تعليله **ليستيقن الذين اوتوا الكتاب** اي ليكتسبوا اليقين
بنبوة محمد وصدق القرآن لما رأوا ذلك موافقا لما في كتابهم **ويزداد الذين آمنوا
ايمانا** بالايمان به او بتصديق اهل الكتاب له **ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب
والمؤمنون** اي في ذلك وهو تاكيد للاستيقان وزيادة الايمان ونفي لما يعرض
المتيقن حيثما عراه شبهة **وليقول الذين في قلوبهم مرض** شك او نفاق فيكون اخبارا
بمكة عما سيكون في المدينة بعد الهجرة **والكافرون** الجازمون في التكذيب **ماذا
اراد الله بهذا مثلا** اي شيء اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل
لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب **كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء**
مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي المؤمنين **وما يعلم
جنود ربك** جموع خلقه على ما هو عليه **الا هو** اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات
والاطلاع على حقائقها وصفاتها وما يوجب اختصاص كل منها بما يخصه من كم
وكيف واعتبار ونسبة **وما هي** وما سقر او عدة الخزنة او السورة **وما هي الا ذكرى
للبشر** الا تذكرة لهم **كلا** ردع لمن انكرها او انكار لان يتذكروا بها **والقمر والليل اذ ادبر**
اي ادبر كقبل بمعنى اقبل وقرأ نافع وحمزة وحفص اذ ادبر على المضي **والصبح اذا اسفر** اضاء **انها
لاحدى الكبر** اي لاحدى البلايا الكبر اي البلايا الكبر كثيرة وسقر واحدة منها وانما جمع
على كبر الحاقا لها بفعلة تنزيلا للالف منزلة التاء كما الحقت قاصعاء بقاصعة فجمع على قواصع
والجملة جواب القسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتاكيد **نذيرا للبشر** تمييز اي لاحدى الكبر
انذارا او حال عما دلت عليه الجملة اي كبرت منذرة وقرئ بالرفع خبرا ثانيا او خبرا لمحذوف
لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر بدل من للبشر اي نذيرا للمتمكنين من السبق الى الخير والتخلف عنه
او لمن شاء خبر لان يتقدم فيكون في معنى قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر **كل نفس بما كسبت
رهينة** مرهونة عند الله مصدر كالشتيمة اطلقت للمفعول كالرهن ولو كانت صفة لقيل رهين
الا اصحاب اليمين فانهم فكوا رقابهم بما احسنوا من اعمالهم وقيل هم الملائكة والاطفال **في جنات**
لا يكتنه وصفها وهي حال من اصحاب اليمين او ضميرهم في قوله **يتساءلون عن المجرمين** اي يسال بعضهم بعضا
او يسالون غيرهم عن حالهم كقولك تداعيناه اي دعوناه وقوله **ما سلككم في سقر**
بجوابه حكاية لما جرى بين المسؤولين والمجرمين اجابوا بها **قالوا لم نك من المصلين** الصلاة الواجبة
ولم نك نطعم المسكين ما يجب اعطاؤهم وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع **وكنا
نخوض مع الخائضين** مع الشارعين فيه **وكنا نكذب بيوم الدين** اخره لتعظيمه اي وكنا بعد ذلك
كله مكذبين بالقيامة **حتى اتانا اليقين** الموت ومقدماته **فما تنفعهم شفاعة الشافعين**
لو شفعوا لهم جميعا **فما لهم عن التذكرة معرضين** اي معرضين عن التذكير يعني القرآن او ما يعمه ومعرضين حال

كأنهم حمر مستنفرة شبههم في اعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة فرت من قسورة اي اسد
فعولة من القسر وهو القهر بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة قراطيس تنشر وتقرا وذلك انهم
قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تاتي كلا منا بكتاب من السماء فيه من الله الى فلان اتبع محمدا كلا
ردع عن اقتراحهم الايات بل لا يخافون الاخرة فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا امتناع ايتاء الصحف
كلا ردع عن اعراضهم انه تذكرة واي تذكرة فمن شاء ذكره فمن شاء ان يذكره وما يذكرون الا ان يشاء
الله او مشيتهم كقوله وما تشاؤون الا ان يشاء الله وهو تصريح بان فعل العبد بمشيئة الله وقرا نافع
ذكرهم
تذكرون بالتاء وقرئ بهما مشددا هو اهل التقوى حقيق بان يتقى عقابه واهل المغفرة حقيق بان
يغفر عباده سيما المتقين منهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من
صدق بمحمد عليه السلام وكذب به بمكة سورة القيامة مكية وايها تسع وثلاثون اية
بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بيوم القيامة ادخال لا النافية على فعل القسم للتاكيد
شائع في كلامهم قال امرؤ القيس لا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني افر وقد مر الكلام فيه في
قوله بمواقع النجوم ولا اقسم بالنفس اللوامة بالنفس المتقية التي تلوم النفوس المقصرة في التقوى يوم القيامة
على تقصيرهن او التي تلوم نفسها ابدا وان اجتهدت في الطاعة او النفس المطمئنة اللائمة للنفس
الامارة او بالجنس لما روي انه عليه الصلاة والسلام ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيامة
ان عملت خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت يا ليتني كنت قصرت او نفس ادم فانها لم تزل
تتلوم على ما خرجت به من الجنة وضمها الى يوم القيامة لان المقصود من اقامتها مجازاتها ايحسب الانسان
يعني الجنس واسناد الفعل اليه لان فيهم من يحسب او الذي نزل فيه وهو عدي بن ربيعة سال رسول الله
عن امر القيامة فاخبره به فقال لو عاينت هذا اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام ألن
نجمع عظامه بعد تفرقها وقرئ ان لن يجمع على البناء للمفعول بلى نجمعها قادرين على ان نسوي بنانه
نجمع سلامياته ونضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام او على ان
نسوي بنانه الذي هو اطرافه فكيف بغيرها وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى وقرئ بالرفع
اي نحن قادرون بل يريد الانسان عطف على ايحسب فيجوز ان يكون استفهاما وان يكون ايجابا لجواز
ان يكون الاضراب عن المستفهم وعن الاستفهام ليفجر امامه ليدوم على فجوره فيما يستقبله من زمان
يسئل ايان يوم القيامة متى يكون يوم القيامة استبعادا واستهزاء فاذا برق البصر تحير فزعا من
برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرا نافع بالفتح وهو لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه
وقرئ بلق من بلق الباب اي انفتح وخسف القمر وذهب ضوءه وقرئ على البناء للمفعول وجمع الشمس
والقمر في ذهاب الضوء او الطلوع من المغرب ولا ينافيه الخسوف فانه مستعار للمحاق ولمن حمل ذلك
على امارات الموت ان يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع باستتباع الروح الحاسة في الذهاب
او بوصوله الى من كان يقتبس منه نور العقل من سكان القدس وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف
يقول الانسان يومئذ اين المفر اي الفرار يقوله قول الايس من وجدانه المتمني وقرئ بالكسر وهو المكان
كلا ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجا مستعار من الجبل واشتقاقه من الوزر وهو الثقل الى ربك يومئذ المستقر

اليه

اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه استقرار امرهم او الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار ينبؤ
الانسان يومئذ بما قدم واخر بما قدم من عمل عمله وبما اخر منه لم يعمله او بما قدم من عمل عمل به وبما اخر من سنة
عمل بها بعده او بما قدم من ماله تصدق به وبما اخر فخلفه او باول عمله واخره بل الانسان على نفسه بصيرة حجة
بينة على اعمالها لانه شاهد بها وصفها بالبصارة على المجاز او عين بصيرة بها فلا يحتاج الى الانباء ولو
القى معاذيره ولو جاء بكل ما يمكن ان يعتذر به جمع معذار وهو العذر او جمع معذرة على غير قياس كالمناكير في
المنكر فان قياسه معاذر وذلك اولى وفيه نظر لا تحرك يا محمد به بالقران لسانك قبل ان يتم وحيه لتعجل
لتاخذه على عجلة مخافة ان يتفلت منك ان علينا جمعه في صدرك وقرانه واثبات قراءته في لسانك وهو
تعليل للنهي فاذا قراناه بلسان جبريل عليك فاتبع قرانه قراءته وتكرر فيه حتى يرسخ في ذهنك ثم ان علينا
بيانه بيان ما اشكل عليك من معانيه وهو دليل على جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض بما
يؤكد التوبيخ على حب العجلة لان العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو اهم الامور واصل الدين فكيف بها في غيره
او بذكر ما اتفق في اثناء نزول هذه الايات وقيل الخطاب مع الانسان المذكور والمعنى انه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه
من سرعة قراءته خوفا فيقال له لا تحرك به لسانك لتعجل به فان علينا بمقتضى الوعد جمع ما فيه من اعمالك
وقراءته فاذا قراناه فاتبع قراءته بالاقرار والتامل فيه ثم ان علينا بيان امره بالجزاء عليه كلا ردع للرسول
عن عادة العجلة او للانسان عن الاغترار بالعاجل بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة تعميم للخطاب
اشعارا بان بني ادم مطبوعون على الاستعجال وان كان الخطاب للانسان والمراد به الجنس فجمع الضمير
للمعنى ويؤيده قراءة ابن كثير وابن عامر وابي عمرو بالياء فيهما وجوه يومئذ ناضرة بهية متهللة الى ربها
ناظرة تراه مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول وليس هذا في
كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه
وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا يعدى بالى وقول الشاعر واذا نظرت اليك
من ملك والبحر دونك زدتني نعماء بمعنى السؤال فان الانتظار لا يستعقب العطاء ووجوه
يومئذ باسرة شديدة العبوس والباسل ابلغ من الباسر لكنه غلب في الشجاعة اذا اشتد كلوحه
تظن تتوقع اربابها ان يفعل بها فاقرة داهية تكسر الفقار كلا ردع عن ايثار الدنيا على
الاخرة اذا بلغت التراقي اذا بلغت النفس اعالي الصدر واضمارها من غير ذكر لدلالة الكلام عليها
وقيل من راق وقال حاضروا صاحبها من يرقيه مما به من الرقية او قال ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه
ق بملائكة الرحمة
ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب وظن انه الفراق وظن المحتضر ان الذي نزل به فراق الدنيا المحبوبة والتفت الساق
بالساق التوت ساقه بساقه فلا يقدر تحريكها او شدة فراق الدنيا بشدة خوف الاخرة الى ربك يومئذ
المساق سوقه الى الله وحكمه فلا صدق ما يجب تصديقه او فلا صدق ماله اي فلا زكاه ولا صلى
ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور في ايحسب الانسان ولكن كذب وتولى عن الطاعة ثم
ذهب الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا بذلك من المط فان المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من
المطا وهو الظهر فانه يلويه اولى لك فاولى ويل لك من الويل واصله اولاك الله ما تكرهه واللام
مزيدة كما في ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل افعل من الويل بعد القلب كادنى من دون او فعلى

من آل يوك يعني عقابك النار ثم أولى لك فأولى تكرير له عليه مرة بعد اخرى أيحسب الانسان أن
يترك سدى مهملا لا يكلف ولا يجازى وهو يتضمن تكرير انكاره للحشر والدلالة عليه من حيث ان
الحكمة تقتضي الامر بالمحاسن والنهي عن القبائح والتكليف لا يتحقق الا بمجازاة وهي قد لا تكون في
الدنيا فتكون في الاخرة ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فقدره فعدله
فجعل منه الزوجين الصنفين الذكر والانثى وهو استدلال آخر بالابداء على الاعادة على ما مر تقريره
مرارا ولذلك رتب عليه قوله أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان
اذا قراها قال سبحانك بلى وعنه من قرا سورة القيامة شهدت له انا وجبريل يوم القيامة انه كان مؤمنا

سورة الانسان مكية وآيها احدى وثلثون بسم الله الرحمن الرحيم هل أتى على
الانسان استفهام تقرير وتقريب ولذلك فسر بقد واصله اهل راونا بسفح القاع ذي الاكم
حين من الدهر طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود لم يكن شيئا مذكورا بل كان شيئا
منسيا غير مذكور بالانسانية كالعنصر والنطفة والجملة حال من الانسان او وصف لحين بحذف
الراجع والمراد بالانسان الجنس لقوله انا خلقنا الانسان من نطفة او آدم بين اولا خلقه ثم
ذكر خلق بنيه امشاج جمع مشج او مشيج من مشجت الشيء اذا خلطته وجمع النطفة به لان المراد
مجموع مني الرجل والمراة وكل منهما مختلفة الاجزاء في الرقة والقوام والخواص ولذلك يصير كل جزء منهما
مادة عضو وقيل مفرد كاعشار واكياش وقيل الوان فان ماء الرجل ابيض وماء المراة اصفر فاذا
اختلطا اخضرا او اطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة نبتليه في موضع
الحال اي مبتلين له بمعنى مريدين اختباره او ناقلين له من حال الى حال فاستعير له الابتلاء فجعلناه
سميعا بصيرا ليتمكن انا هديناه السبيل اي بنصب الدلايل وانزال الايات اما شاكرا واما
كفورا حالان من الهاء واما للتفصيل او التقسيم اي هديناه في حاليه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم
شاكرا بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه او من السبيل ووصفه بالشكر والكفر
مجاز وقرئ اما بالفتح على حذف الجواب ولعله لم يقل كافرا ليطابق قسيمه محافظة على الفواصل
واشعارا بان الانسان لا يخلو عن كفران غالبا وانما المأخوذ به التوغل فيه انا اعتدنا للكافرين
سلاسل بها يقادون واغلالا بها يقيدون وسعيرا بها يحرقون وتقديم وعيدهم وقد
تأخر ذكرهم لان الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن وقرا نافع والكسائي
وابو بكر سلاسلا للمناسبة ان الابرار جمع بر كارباب او بار كاشهاد يشربون من كأس من
خمر وهي في الاصل القدح تكون فيه كان مزاجها ما يمزج بها كافورا لبرده وعذوبته وطيب
عرفه وقيل اسم ماء في الجنة يشبه الكافور في رائحته وبياضه وقيل يخلق فيها كيفيات الكافور
فتكون كالممزوجة به عينا بدل من كافورا ان جعل اسم ماء او من محل من كأس على تقدير مضاف اي
ماء عين او خمرها او نصب على الاختصاص او بفعل يفسره ما بعدها يشرب بها عباد الله اي
ملتذا بها او ممزوجا وقيل الباء مزيدة او بمعنى من لان الشرب مبتدا منها كما هو يفجرونها تفجيرا
يجرونها حيث شاؤوا اجراء سهلا يوفون بالنذر استئناف ببيان ما رزقوه لاجله كانه سئل عنه

فاجيب بذلك وهو ابلغ في وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه على نفسه
لله اوفى بما اوجبه الله عليه ويخافون يوما كان شره شدايده مستطيرا فاشيا منتشرا غاية
الانتشار من استطار الحريق والفجر ويطعمون الطعام على حبه حب الله او الطعام او الاطعام
مسكينا ويتيما واسيرا يعني اسارى الكفار فانه عليه السلام كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض
المسلمين فيقول احسن اليه او الاسير المؤمن ويدخل فيه المملوك والمسجون وفي الحديث غريمك اسيرك
فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله على ارادة القول بلسان الحال او المقال ازاحة لتوهم المن
وتوقع المكافاة المنقصة للاجر وعن عائشة رضي الله عنها انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت
ثم تسال المبعوث ما قالوا فان ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا
عند الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا اي شكرا انا نخاف من ربنا فلذلك نحسن اليكم ولا نطلب
المكافاة منكم يوما عذاب يوم عبوسا تعبس فيه الوجوه او يشبه الاسد العبوس في ضراوته
قمطريرا شديد العبوس كالذي يجمع ما بين عينيه من قمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت
قطريها مشتق من القطر والميم مزيدة فوقاهم الله شر ذلك اليوم بسبب خوفهم وتحفظهم عنه ولقاهم
نضرة وسرورا بدل عبوس الفجار وحزنهم وجزاهم بما صبروا بصبرهم على اداء الواجبات واجتناب
المحرمات وايثار الاموال جنة بستانا ياكلون منه وحريرا يلبسونه وعن ابن عباس ان الحسن والحسين
مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي
وفاطمة رضي الله عنهما وفضة جارية لهما صوم ثلثة ان برئا فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علي
من شمعون الخيبري ثلث اصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة اقراص فوضعوها
بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم مسكين فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما
امسوا ووضعوا الطعام وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم في الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك
فنزل جبريل عليه السلام بهذه السورة وقال خذها يا رسول الله هناك الله في اهل بيتك متكئين فيها
على الارائك حال من هم في جزاهم او صفة لجنة لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا يحتملها وان يكون
حالا من المستكن في متكئين والمعنى انه يمر عليهم فيها هواء معتدل لا حار محمي ولا بارد مؤذي وقيل الزمهرير
القمر في لغة طي قال وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر والمعنى ان هواءها مضيء بذاته
لا يحتاج الى الشمس والقمر ودانية عليهم ظلالها حال او صفة اخرى معطوفة على ما قبلها او عطف
على جنة اي وجنة اخرى دانية على انهم وعدوا جنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئ
بالرفع على انها خبر ظلالها والجملة حال او صفة وذللت قطوفها تذليلا معطوفة على ما قبله
او حال من دانيتها وتذليل القطوف ان تجعل سهل التناول لا تمتنع على قطافها كيف شاؤوا
ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب واباريق بلا عروة كانت قوارير قوارير من فضة
اي تكون جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة ولينها وقد نون قوارير
من نون سلاسل وابن كثير الاولى لانها راس الاية وقرئ قوارير من فضة على هي قوارير قدروها
تقديرا اي قدروها في انفسهم فجاءت مقاديرها واشكالها كما تمنوه او قدروها باعمالهم

باعمالهم الصالحة نجات على حسبها او قدر الطايفون بها المدلول عليهم بقوله يطاف شرابها على
قدر اشتهايهم وقري قُدّروها اي جعلوا قادرين عليها كما شاوا من قدر منقولا من قدرت الشي
ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا ما يشبه الزنجبيل في الطعم وكانت العرب
يستلذون الشراب الممزوج به عينا فيها تسمى سلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة
مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد ان ينفي عنها لذع
الزنجبيل ويصفها بنقيضه وقيل اصله سل سبيلا تسمية به كتأبط شرا لانه لا يشرب منها الا من سأل
اليها سبيلا بالعمل الصالح ويطوف عليهم ولدان مخلدون دايمون اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا
من صفا الوانهم وانبثاثهم في مجالسهم وانعكاس شعاع بعضهم الى بعض واذا رايت ثم ليس له مفعول ملفوظ
ولا مقدر لانه عام معناه ان بصرك اينما وقع رايت نعيما وملكا كبيرا واسعا وفي الحديث ادنى منزلة
ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه هذا وللعارف اكبر من ذلك وهو ان ينتقش نفسه
بجلايا الملك وخفايا الملكوت فيستضي بانوار قدس الجبروت عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق
يعلوهم ثياب الحرير الخضر مارق منها وما غلظ ونصبه على الحال من هم في عليهم او حسبتهم او ملكا
على تقدير مضاف اي واهل ملك كبير عاليهم وقرا نافع وحمزة بالرفع على انه خبر ثياب وقرا ابن كثير
خضر بالجر حملا على سندس بالمعنى فانه اسم جنس واستبرق بالرفع عطفا على ثياب وقرا ابن عامر وابو عمرو
بالعكس وقرا نافع وحفص بالرفع وحمزة والكسائي بالجر فيهما وقري واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه
استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب وحلوا اساور من فضة عطف على ويطوف
عليهم ولا يخالفه قوله اساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلي اهل الجنة تختلف
اختلاف اعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزا ما عملوه يكون لهذا المجرد وذلك للمتجردين وسقاهم
ربهم شرابا طهورا يريد به نوعا اخر يفوق على النوعين المتقدمين ولذلك اسند سقيه الى
الله عز وجل ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه عن الميل الى اللذات الحسية والركون
الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهي منتهى درجات الصديقين
ولذلك ختم بها ثواب الابرار ان هذا كان لكم جزا على اضمار القول والاشارة الى ما عد من
ثوابهم وكان سعيكم مشكورا مجازى عليه غير مضيع انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا
مفرقا منجما لحكمة اقتضته وتكرير الضمير مع ان مزيد لاختصاص التنزيل به فاصبر
لحكم ربك بتاخير نصرك على كفار مكة وغيرهم ولا تطع منهم اثما او كفورا اي كل واحد من مرتكب
الاثم الداعي لك اليه ومن الغالي في الكفر الداعي اليه واو للدلالة على انهما سيان في استحقاق
العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعون اليه فان ترتب النهي على الوصفين مشعر بانه لهما
وذلك يستدعي ان يكون المطاوعة في الاثم والكفر فان مطاوعتهما فيما ليس باثم ولا كفر غير محظور
واذكر اسم ربك بكرة واصيلا وداوم على ذكره او دم على صلاة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل
يتناول وقتيهما ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له ولعل المراد به صلاة المغرب والعشا
وتقديم الظرف لما في صلاة الليل من مزيد الكلفة والخلوص وسبحه ليلا طويلا وتهجد له طايفة طويلا من

الليل

الليل ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم امامهم او خلف ظهورهم يوما ثقيلا شديدا
مستعار من الثقيل الباهظ للحامل كالتثقيل لما امر به ونهي عنه نحن خلقناهم وشددنا اسرهم
واحكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا واذا شئنا اهلكناهم و
بدلنا امثالهم في الخلقة وشدة الاسر يعني النشاة الثانية ولذلك جي باذا او بدلنا
غيرهم ممن يطيع واذا لتحقيق القدرة وقوة الداعية ان هذه تذكرة الاشارة الى السورة او الايات
القريبة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا تقرب اليه بالطاعة وما تشاؤون الا ان يشاء الله
وما تشاؤون ذلك الا ان يشاء الله مشيتكم وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر يشاؤون بالياء ان الله كان
عليما بما يستاهل كل احد حكيما لا يشاء الا ما تقتضيه حكمته يدخل من يشاء في رحمته بالهداية والتوفيق
للطاعة والظالمين اعد لهم عذابا اليما نصب الظالمين بفعل يفسره اعد لهم مثل اوعد وكافا
ليطابق الجملة المعطوف عليها وقري بالرفع على الابتدا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة هل اتى كان جزاؤه
على الله جنة وحريرا

سورة والمرسلات مكية وايها خمسون بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا فالعاصفات
عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا اقسم بطوايف من الملائكة ارسلهن الله باوامره
متتابعة فعصفن عصف الرياح في امتثال امره ونشرن الشرايع في الارض او نشرن النفوس الموتى بالجهل بما
اوحين من العلم ففرقن بين الحق والباطل فالقين الى الانبياء ذكرا عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين او بايات
القرآن المرسلة بكل عرف الى محمد صلى الله عليه وسلم فعصفن ساير الكتب والاديان بالنسخ ونشرن آثار
الهدى والحكم في الشرق والغرب وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق فيما بين العالمين او بالنفوس
الكاملة المرسلة الى الابدان لاستكمالها فعصفن ما سوى الحق ونشرن اثر ذلك في جميع الاعضاء ففرقن
بين الحق بذاته والباطل في نفسه فيرون كل شي هالكا الا وجهه فالقين ذكرا بحيث لا يكون في القلوب والالسنة
الا ذكر الله او برياح عذاب ارسلن فعصفن ورياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن فالقين ذكرا
اي تسببن له فان العاقل اذا شاهد هبوبها وآثارها ذكر الله تعالى وتذكر كمال قدرته وعرفا اما
نقيض النكر وانتصابه على العلة اي ارسلن للاحسان والمعروف او بمعنى المتتابعة من عرف الفرس
وانتصابه على الحال عذرا او نذرا مصدران لعذر اذا محا الاساءة وانذر اذا خوف او جمعان لعذير
بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والمنذر ونصبهما على الاول على العلة اي عذرا للمحقين او نذرا
للمبطلين او البدلية من ذكرا على ان المراد به الوحي او ما يعم التوحيد والشرك والايمان والكفر وعلى
الثالث بالحالية وقراهما ابو عمرو وحمزة والكسائي وحفص بالتخفيف انما توعدون لواقع جواب القسم
ومعناه ان الذي توعدونه من مجي القيامة كاين لا محالة فاذا النجوم طمست محقت او ذهب نورها
واذا السماء فرجت صدعت واذا الجبال نسفت كالحب ينسف بالمنسف واذا الرسل اقتت
عين لها وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على الامم بحصوله فانه لا يتعين لهم قبله او بلغت
ميقاتها الذي كانت تنتظره وقرا ابو عمرو وقتت على الاصل لاي يوم اجلت اي يقال لاي يوم اخرت
وضرب الاجل للجمع وهو تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ويجوز ان يكون ثاني مفعولي اقتت على انه بمعنى اعلمت
ليوم الفصل بيان ليوم التاجيل وما ادراك ما يوم الفصل ومن اين تعلم كنهه ولم تر مثله ويل يومئذ للمكذبين

بذلك وويل في الاصل مصدر منصوب باضمار فعله عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك للمدعو عليه ويومئذ ظرفه او صفته **الم نهلك الاولين** كقوم نوح وعاد وثمود وقرئ نهلك من هلكه بمعنى اهلكه **ثم نتبعهم الآخرين** اي ثم نحن نتبعهم نظراءهم ككفار مكة وقرئ بالجزم عطفا على نهلك فيكون الآخرين المهلكين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام **كذلك** مثل ذلك الفعل **نفعل بالمجرمين** بكل من اجرم **ويل يومئذ للمكذبين** بآيات الله وانبيائه فليس تكريرا وكذا ان اطلق التكذيب او علق في الموضعين بواحد لان الويل الاول لعذاب الآخرة وهذا للاهلاك في الدنيا مع ان التكرير للتوكيد حسن شائع في كلام العرب **الم نخلقكم من ماء مهين** من نطفة مذرة ذليلة **فجعلناه في قرار مكين** هو الرحم **الى قدر معلوم** الى مقدار معلوم من الوقت قدره الله للولادة **فقدرنا** او فقدرناه ويدل عليه قراءة نافع والكسائي بالتشديد **فنعم القادرون** نحن **ويل يومئذ للمكذبين** بقدرتنا على ذلك او على الاعادة **الم نجعل الارض كفاتا** كافتة اسم لما يكفت اي يضم ويجمع كالضمام والجماع اسم لما يضم ويجمع او مصدر نعت به او جمع كافت كصائم وصيام او كفت وهو الوعاء اجري على الارض باعتبار اقطارها **احياء وامواتا** منتصبان على المفعولية وتنكيرهما للتفخيم او لان احياء الانس وامواتهم بعض الاحياء والاموات او للحال من مفعوله المحذوف للعلم به وهو الانس او بجعل على المفعولية وكفاتا حال او الحال فيكون المعنى بالاحياء ما ينبت وبالاموات ما لا ينبت **وجعلنا فيها رواسي شامخات** جبالا ثوابت طوالا والتنكير للتفخيم او الاشعار بان فيها ما لم يعرف ولم ير **واسقيناكم ماء فراتا** بخلق الانهار والمنابع فيها **ويل يومئذ للمكذبين** بامثال هذه النعم **انطلقوا** اي يقال لهم انطلقوا **الى ما كنتم به تكذبون** من العذاب **انطلقوا** خصوصا وعن يعقوب انطلقوا على الاخبار من امتثالهم للامر اضطرارا **الى ظل** يعني ظل دخان جهنم كقوله وظل من يحموم **ذي ثلاث شعب** يتشعب لعظمه كما ترى الدخان العظيم يتفرق ذوائب وخصوصية الثلاث اما لان حجاب النفس عن انوار القدس الحس المشترك والخيال والوهم او لان المؤدي الى هذا العذاب هو القوة الواهمة الحالة في الدماغ والغضبية التي في يمين القلب والشهوية التي في يساره ولذلك قيل شعبة تقف فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره **لا ظليل** تهكم بهم ورد لما اوهم لفظ الظل **ولا يغني من اللهب** وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا **انها ترمي بشرر كالقصر** اي كل شررة كالقصر في عظمها ويؤيد انه قرئ بشرار وقيل هو جمع قصرة وهي الشجرة الغليظة وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وكالقصر جمع قصرة كحاجة وحوج وكالقصر وهي اصل العنق والهاء للشرر **كأنه جمالات** جمع جمال او جمالة جمع جمل **صفر** فان الشرار بما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود فان سواد الابل يضرب الى الصفرة والاول تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة وقرأ حمزة والكسائي وحفص جمالة وعن يعقوب جمالات بالضم جمع جمالة وقد قرئ بها وهي الحبل الغليظ من حبال السفينة شبهه بها في امتداده والتفافه **ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون** اي بما يستحق فان النطق بما لا ينفع كلا نطق او يمنعون من فرط الدهشة والحيرة وهذا في بعض المواقف وقرئ بنصب اليوم اي هذا الذي ذكر واقع يومئذ **ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ**

للمكذبين

للمكذبين عطف فيعتذرون على يؤذن ليدل على نفي الاذن والاعتذار عقيبه مطلقا ولو جعله جوابا لدل على ان عدم اعتذارهم لعدم الاذن واوهم ذلك لان لهم عذرا لكن لم يؤذن فيه **هذا يوم الفصل** بين المحق والمبطل **جمعناكم والاولين** تقرير وبيان للفصل **فان كان لكم كيد فكيدون** تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا واظهار لعجزهم **ويل يومئذ للمكذبين** اذ لا حيلة لهم في التخلص من العذاب **ان المتقين** من الشرك لانهم في مقابلة المكذبين **في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون** مستقرون في انواع الترفه **كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون** اي مقولا لهم ذلك **انا كذلك نجزي المحسنين** في العقيدة والعمل **ويل يومئذ للمكذبين** يمحض لهم العذاب المخلد ولخصومهم الثواب المؤبد **كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون** حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم المقيم **ويل يومئذ للمكذبين** حيث عرضوا انفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل **واذا قيل لهم اركعوا** اطيعوا واخشعوا او صلوا واركعوا في الصلاة اذ روي انه نزل حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفا بالصلاة فقالوا لا نجبي فانها مسبة وقيل هو يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون **لا يركعون** لا يمتثلون واستدل به على ان الامر للوجوب وان الكفار مخاطبون بالفروع **ويل يومئذ للمكذبين فبأي حديث بعده** بعد القرآن **يؤمنون** اذا لم يؤمنوا به وهو معجز في ذاته مشتمل على الحجج الواضحة والمعاني الشريفة قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة والمرسلات كتب له انه ليس من المشركين

سورة النبأ مكية

وآيها اربعون بسم الله الرحمن الرحيم

عم يتساءلون اصله عن ما فحذف الالف لما مر ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شان ما يتساءلون عنه كأنه لفخامته خفي جنسه فيسأل عنه والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم او يسألون الرسول والمؤمنين عنه استهزاء كقولهم يتداعون ويتراءون اي يدعونهم ويرونهم او للناس **عن النبإ العظيم** بيان للشان المفخم او صلة يتساءلون وعم متعلق بمضمر مفسر به ويدل عليه قراءة يعقوب عمه **الذي هم فيه مختلفون** بجزم النفي والشك فيه او بالاقرار والانكار **كلا سيعلمون** ردع عن التساؤل ووعيد عليه **ثم كلا سيعلمون** تكرير للمبالغة وثم للاشعار بان الوعيد الثاني اشد وقيل الاول عند النزع والثاني في القيامة او الاول للبعث والثاني للجزاء وعن ابن عامر ستعلمون بالتاء على تقدير قل لهم ستعلمون **الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا** تذكير ببعض ما عاينوا من عجائب صنعه الدالة على كمال قدرته ليستدلوا بذلك على صحة البعث كما مر تقريره مرارا وقرئ مهدا اي انها لهم كالمهد للصبي مصدر سمي به ما يمهد لينوم عليه **وخلقناكم ازواجا** ذكرا وانثى **وجعلنا نومكم سباتا** قطعا عن الاحساس والحركة استراحة للقوى الحيوانية وازاحة لكلالها او موتا لانه احد التوفيين ومنه المسبوت للميت واصله القطع ايضا **وجعلنا الليل لباسا** غطاء يستتر بظلمته من اراد الاختفاء **وجعلنا النهار معاشا** وقت معاش تتقلبون فيه لتحصيل ما تعيشون به او حياة تنبعثون فيها عن نومكم **وبنينا فوقكم سبعا شدادا** سبع سموات اقوياء محكمات لا يؤثر فيها مرور الدهور **وجعلنا سراجا وهاجا** متلألئا

وقادا

وقادا من وهجت النار اذا اضاءت او بالغ في الحرارة من الوهج وهو الحر وانزلنا من المعصرات
السحائب اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك احصد الزرع اذا حان
له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او من الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب
او الرياح ذوات الاعاصير وانما جعلت مبدا للانزال لانها تنشئ السحاب وتدر اخلافه ويؤيده
انه قرئ بالمعصرات ماء ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث افضل الحج العج
والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وقرئ ثجاحا ومثاجح الماء مصابه لنخرج به
حبا ونباتا ما يقتات به ويعتلف من التبن والحشيش وجنات الفافا ملتفة بعضها ببعض
جمع لف كجذع قال جنة لف وعيش مغدق او لفيف كشريف او لف جمع لفا كخضرا وخضر
واخضرار او ملتفة بحذف الزوائد ان يوم الفصل كان في علم الله تعالى او في حكمه ميقاتا
حدا يوقت به الدنيا وينتهي عنده او حدا للخلايق ينتهون اليه يوم ينفخ في الصور بدل او بيان
ليوم الفصل فتاتون افواجا جماعات من القبور الى المحشر روي انه صلى الله عليه وسلم سئل عنه
فقال يحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون
ارجلهم فوق وجوههم يسحبون على وجوههم وبعضهم عمي وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون
السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة
ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلوبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم
ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم ثم فسرهم بالقتات واهل السحت واكلة الربو
والجائرين في الحكم والمعجبين باعمالهم والعلماء الذين خالف قولهم عملهم والموذين جيرانهم والساعين بالناس
الى السلطان والتابعين للشهوات المانعين حق الله والمتكبرين الخيلاء وفتحت السماء وشققت وقرا الكوفيون
بالتخفيف فكانت ابوابا فصارت من كثرة الشقوق كان الكل ابواب او فصارت ذات ابواب وسيرت
الجبال اي في الهوا كالهباء فكانت سرابا مثل سراب اذ ترى على صورة الجبال ولم تبق على حقيقتها لتفتت
اجزايها وانبثاثها ان جهنم كانت مرصادا موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار او خزنة
الجنة المومنين ليحرسوهم من فيحها في مجازهم عليها كالمضمار فانه الموضع الذي يضمر فيه الخيل او مجدة
في ترصد الكفرة ليلا يشذ منها واحد كالمطعان وقرئ ان بالفتح على التعليل للطاغين مابا مرجعا
وماوى لابثين فيها وقرا حمزة وروح لبثين وهو ابلغ احقابا دهورا متتابعة وليس فيها ما يدل على
خروجهم منها اذ لو صح ان الحقب ثمانون سنة او سبعون الف سنة فليس فيه ما يقتضي تناهي تلك الاحقاب
لجواز ان يكون المراد احقابا مترادفة كلما مضى حقب تبعه اخر وان كان فمن قبيل المفهوم فلا يعارض
المنطوق الدال على خلود الكفار ولو جعل قوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا
حالا من المستكن في لابثين او نصب احقابا بلا يذوقون احتمل ان يلبثوا فيها احقابا غير ذائقين الا حميما
او غساقا ثم يبدلون جنسا اخر من العذاب ويجوز ان يكون جمع حقب من حقب الرجل اذا اخطاه الرزق وحقب
العام اذا قل مطره وخيره فيكون حالا بمعنى لابثين فيها حقبين وقوله لا يذوقون تفسير له والمراد بالبرد ما يروحهم
وينفس عنهم حر النار او النوم وبالغساق ما يغسق اي يسيل من صديدهم وقيل الزمهرير وهو مستثنى من البرد الا انه

اخر

اخر لتوافق رؤوس الاي وقرا حمزة والكسائي وحفص بالتشديد جزاء وفاقا اي جوزوا بذلك جزاء ذا وفاق لاعمالهم
او موافقا لها او وافقها وفاقا وقرئ وفاقا فعال من وفقه كذا انهم كانوا لا يرجون حسابا بيان لما وافقه
هذا الجزاء وكذبوا باياتنا كذابا تكذيبا وفعال بمعنى تفعيل مطرد شايع في كلام الفصحا وقرئ بالتخفيف
وهو بمعنى الكذب كقوله فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وانما اقيم مقام التكذيب للدلالة على انهم
كذبوا في تكذيبهم او المكاذبة فانهم كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون كاذبين عندهم فكان بينهم مكاذبة
او كانوا مبالغين في الكذب مبالغة المغالبين وعلى المعنيين يجوز ان يكون حالا بمعنى كاذبين او مكاذبين
ويؤيده انه قرئ كذابا وهو جمع كاذب ويجوز ان يكون للمبالغة فيكون صفة لمصدر اي تكذيبا مفرطا كذبه
وكل شيء احصيناه وقرئ بالرفع على الابتداء كتابا مصدر لاحصيناه فان الاحصاء والكتبة يتشاركان في معنى الضبط
او لفعله المقدر او حال بمعنى مكتوبا في اللوح او في صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله فذوقوا فلن نزيدكم
الا عذابا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم الايات ومجيئه على طريقة الالتفات للمبالغة وفي الحديث
هذه الاية اشد ما في القران على اهل النار ان للمتقين مفازا فوزا او موضع فوز حدائق واعنابا
بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال او البعض وكواعب نساء فلكت ثديهن
اترابا لدات وكاسا دهاقا ملانا وادهق الحوض ملاه لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا وقرا الكسائي
بالتخفيف اي كذبا او مكاذبة اذ لا يكذب بعضهم بعضا جزاء من ربك بمقتضى وعده عطاء تفضلا منه
اذ لا يجب عليه شيء وهو بدل من جزاء وقيل منتصب به نصب المفعول به حسابا كافيا من احسبه الشيء اذا كفاه حتى
قال حسبي او على حسب اعمالهم وقرئ حسابا اي محسبا كالدراك بمعنى المدرك رب السموات والارض وما بينهما
بدل من ربك وقد رفعه الحجازيان وابو عمرو على الابتداء الرحمن صفة له في قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب وحده
على انه خبر محذوف او مبتدا خبره لا يملكون منه خطابا والواو لاهل السموات والارض اي لا يملكون خطابه
والاعتراض عليه في ثواب او عقاب لانهم مملوكون له على الاطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضا وذلك لا ينافي الشفاعة
باذنه يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا تقرير وتوكيد
لقوله لا يملكون فان هؤلاء الذين هم افضل الخلائق واقربهم الى الله اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما يكون صوابا
كالشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم ويوم ظرف للا يملكون او للا يتكلمون والروح ملك موكل
على الارواح او جنسها او جبريل او خلق اعظم من الملائكة ذلك اليوم الحق الكائن لا محالة فمن شاء اتخذ الى
ربه مابا مرجعا بالايمان والطاعة انا انذرناكم عذابا قريبا يعني عذاب الاخرة وقربه لتحققه فان كل
ما هو ات قريب ولان مبداه الموت يوم ينظر المرء ما قدمت يداه يرى ما قدمه من خير او شر والمرء عام
وقيل هو الكافر لقوله انا انذرناكم فيكون الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم وما موصولة
منصوبة بينظر او استفهامية منصوبة بقدمت اي ينظر اي شيء قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا
في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد ترابا
فيود الكافر حالها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة عم سقاه الله برد الشراب يوم القيامة العظيم

سورة والنازعات مكية وايها خمس او ست واربعون بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات
غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا هذه صفات

ملائكة الموت فانهم ينزعون ارواح الكفار من ابدانهم غرقا اي اغراقا في النزع فانهم ينزعونها من اقاصي
الابدان او نفوسا غرقة في الاجساد وينشطون اي يخرجون ارواح المومنين برفق من نشط الدلو من البير
اذا اخرجها ويسبحون في اخراجها سبح الغواص الذي يخرج الشي من اعماق البحر فيسبقون بارواح الكفار
الي النار وبارواح المومنين الي الجنة فيدبرون امر عقابها وثوابها بان يهيئوها لادراك ما اعد لها من الالام
واللذات او الاوليان لهم والباقيات لطوايف من الملائكة يسبحون في مضيها اي يسرعون فيه فيسبقون
الي ما امروا به فيدبرون امره او صفات النجوم فانها تنزع من المشرق الي المغرب غرقا في النزع بان تقطع
الفلك حتي تنحط اقصي المغرب وتنشط من برج الي برج اي تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الي بلد
وتسبح في الفلك فيسبق بعضها في السير لكونه اسرع حركة فتدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول
وتقدير الازمنة وظهور مواقيت العبادات ولما كانت حركاتها من المشرق الي المغرب قسرية وحركاتها من
برج الي برج ملائمة سمي الاولي نزعا والثانية نشطا او صفات النفوس الفاضلة حال المفارقة فانها
تنزع عن الابدان غرقا اي نزعا شديدا من اغراق النازع في القوس فتنشط الي عالم الملكوت وتسبح فيه
فتسبق الي حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات او حال سلوكها فانها تنزع عن الشهوات
وتنشط الي عالم القدس فتسبح في مراتب الارتقاء فتسبق الي الكمالات حتي تصير من المكملات او صفات
انفس الغزاة او ايديهم تنزع القسي باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمي ويسبحون في
البر والبحر فيسبقون الي حرب العدو فيدبرون امرها او صفات خيلهم فانها تنزع في
اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها وتخرج من دار الاسلام الي دار الكفر وتسبح
في جريها فتسبق الي العدو فتدبر امر الظفر اقسم الله بها علي قيام الساعة وانما حذف لدلالة
ما بعده عليه يوم ترجف الراجفة وهو منصوب به والمراد بالراجفة الاجرام الساكنة
التي تشتد حركتها حينئذ كالارض والجبال لقوله يوم ترجف الارض والجبال او الواقعة
التي ترجف الاجرام عندها وهي النفخة الاولي تتبعها الرادفة التابعة وهي السماء والكواكب
تنشق وتنتثر او النفخة الثانية والجملة في موقع الحال قلوب يومئذ واجفة شديدة الاضطراب
من الوجيف وهي صفة القلوب والخبر ابصارها خاشعة اي ابصار اصحابها ذليلة من الخوف
ولذلك اضافها الي القلوب يقولون ائنا لمردودون في الحافرة في الحالة الاولي يعني الحياة
بعد الموت من قولهم رجع فلان في حافرته اي طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه علي
النسبة كقوله في عيشة راضية او تشبيه القابل بالفاعل وقري في الحفرة بمعني المحفورة يقال
حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهي حفرة ائذا كنا وقرا نافع وابن عامر والكسائي اذا كنا علي الخبر
عظاما نخرة بالية وقرا الحجازيان والشامي وحفص وروح نخرة وهو ابلغ قالوا تلك اذا
كرة خاسرة ذات خسران او خاسر اصحابها والمعني انها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا
وهو استهزاء منهم فانما هي زجرة واحدة متعلق بمحذوف اي لا يستصعبوها فما هي الا
صيحة واحدة يعني النفخة الثانية فاذا هم بالساهرة فاذا هم احياء علي وجه الارض بعد ما كانوا
امواتا في بطنها والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم

عين ساهرة

عين ساهرة للتي يجري ماؤها وفي ضدها نائمة او لان سالكها لا ينام خوفا وقيل اسم جهنم هل اتاك
حديث موسي اليس قد اتاك حديثه فيسليك علي تكذيب قومك ويهددهم عليه بان يصيبهم مثل ما اصاب
من هو اعظم منهم اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوي قد مر بيانه في سورة طه اذهب الي فرعون انه
طغي علي ارادة القول وقري ان اذهب لما في النداء من معني القول فقل هل لك الي ان تزكي هل لك ميل
الي ان تتطهر من الكفر والطغيان وقرا الحجازيان ويعقوب تزكي بالتشديد واهديك الي ربك وارشدك
الي معرفته فتخشي باداء الواجبات وترك المحرمات اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة وهذا كالتفصيل
لقوله فقولا له قولا لينا فاراه الاية الكبري اي فذهب وبلغ فاراه المعجزة الكبري وهي قلب العصا حية
فانه كان المقدم والاصل او مجموع معجزاته فانها باعتبار دلالتها كالاية الواحدة فكذب وعصي
فكذب موسي وعصي الله بعد ظهور الاية وتحقق الامر ثم ادبر عن الطاعة يسعي ساعيا في ابطال
امره او ادبر بعد ما راي الثعبان مرعوبا مسرعا في مشيه فحشر فجمع السحرة او جنوده فنادي في
المجمع بنفسه او بمناد فقال انا ربكم الاعلي اعلي كل من يلي امركم فاخذه الله نكال الاخرة والاولي اخذا
منكلا لمن راه او سمعه في الاخرة بالاحراق وفي الدنيا بالاغراق او علي كلمته الاخرة وهي هذه او كلمته الاولي
وهو قوله ما علمت لكم من اله غيري او للتنكيل فيهما او لهما ويجوز ان يكون مصدرا موكدا مقدرا بفعله
ان في ذلك لعبرة لمن يخشي لمن كان من شانه الخشية ءانتم اشد خلقا اصعب خلقا ام السماء ثم بين كيف
خلقها فقال بناها ثم بين البناء فقال رفع سمكها اي جعل مقدار ارتفاعها من الارض او ثخنها
الذاهب في العلو رفيعا فسواها فعدلها او فجعلها مستوية او فتممها بما يتم به كمالها من الكواكب
والتداوير وغيرها من قولهم سوي فلان امره اذا اصلحه واغطش ليلها اظلمه منقول من غطش الليل
اذا اظلم وانما اضافه اليها لانه يحدث بحركتها واخرج ضحاها وابرز ضوء شمسها كقوله والشمس وضحاها
يريد النهار والارض بعد ذلك دحاها بسطها ومهدها للسكني اخرج منها ماءها بتفجير العيون
ومرعاها ورعيها وهو في الاصل لموضع الرعي وتجريد الجملة عن العاطف لانها حال باضمار قد او بيان للدحو
والجبال ارساها اثبتها وقري والجبال بالرفع علي الابتداء وهو مرجوح لان العطف علي فعلية متاعا
لكم ولانعامكم تمتيعا لكم ولمواشيكم فاذا جاءت الطامة الداهية التي تطم اي تعلو علي ساير الدواهي
الكبري التي هي اكبر الطامات وهي القيامة او النفخة الثانية او الساعة التي يساق فيها اهل الجنة
الي الجنة واهل النار الي النار يوم يتذكر الانسان ما سعي بان يراه مدونا في صحيفته وكان قد نسيه من فرط
الغفلة او طول المدة وهو بدل من اذا جاءت وما موصولة او مصدرية وبرزت الجحيم واظهرت لمن يري
لكل راء بحيث لا تخفي علي احد وقري وبرزت ولمن راي وتري علي ان فيه ضمير الجحيم كقوله اذا راتهم من مكان
بعيد او انه خطاب للرسول اي لمن تراه من الكفار وجواب فاذا جاءت محذوف دل عليه يوم يتذكر او ما بعده
من التفصيل فاما من طغي حتي كفر واثر الحياة الدنيا فانهمك فيها ولم يستعد للاخرة بالعبادة وتهذيب
النفس فان الجحيم هي الماوي هي ماواه واللام سادة مسد الاضافة للعلم بان صاحب الماوي هو الطاغي
وهي فصل او مبتدا واما من خاف مقام ربه مقامه بين يدي ربه لعلمه بالمبدا والمعاد ونهي النفس
عن الهوي لعلمه بانه مرد فان الجنة هي الماوي ليس له سواها ماوي يسالونك عن الساعة ايان مرساها

متى ارساها اي اقامتها واثباتها او منتهاها ومستقرها من مرسى السفينة وهو حيث تنتهي اليه وتستقر فيه فيم انت
من ذكراها في اي شيء انت من ان تذكر وقتها لهم اي ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء فان ذكرها لا يزيدهم
الا غيا ووقتها مما استاثره الله بعلمه وقيل فيم انكار لسؤالهم وانت من ذكراها مستانف معناه انت ذكر من
ذكراها اي علامة من اشراطها فان ارساله خاتم الانبيا امارة من اماراتها وقيل انه متصل بسؤالهم والجواب
الى ربك منتهاها اي منتهى علمها انما انت منذر من يخشاها انما بعثت لانذار من يخاف هولها وهو
لا يناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لانه المنتفع به وعن ابي عمرو منذر بالتنوين والاعمال على
الاصل لانه بمعنى الحال كانهم يوم يرونها لم يلبثوا في الدنيا او في القبور الا عشية او ضحاها
اي عشية يوم او ضحاه كقوله الا ساعة من نهار ولذلك اضاف الضحى الى العشية لانهما من يوم واحد
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والنازعات كان ممن حبسه الله في القيمة حتى يدخل الجنة قدر صلاة المكتوبة
سورة عبس مكية وآيها احدى واربعون بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى ان جاءه الاعمى روي ان
ابن ام مكتوم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام فقال يا رسول الله علمني
مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان
رسول الله يكرمه ويقول اذا راه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبّس بالتشديد
للمبالغة وان جاءه علة لتولى او عبس على اختلاف المذهبين وقرئ ءان بهمزتين وبالف بينهما بمعنى الان
جاءه الاعمى فعل ذلك وذكر الاعمى للاشعار بعذره في الاقدام على قطع كلام الرسول بالقوم والدلالة
على انه احق بالرافة والرفق او لزيادة الانكار كانه قال تولى لكونه اعمى كالالتفات في قوله
وما يدريك لعله يزكى اي واي شيء يجعلك داريا بحاله لعله يتطهر من الاثام بما يتلقف منك وفيه ايما
بان اعراضه كان لتزكية غيره او يذكر فتنفعه الذكرى او يتعظ فتنفعه موعظتك وقيل الضمير
في لعله للكافر اي انك طمعت في تزكيته بالاسلام وتذكره بالموعظة ولذلك اعرضت عن غيره فما يدريك ان
ما طمعت فيه كاين وقرا عاصم بالنصب جوابا لعل اما من استغنى فانت له تصدى تتعرض بالاقبال عليه
واصله تتصدى وقرا ابن كثير ونافع تصّدى بالادغام وقرئ تُصدى اي تعرض وتدعى الى التصدي
وما عليك الا يزكى وليس عليك باس في ان لا يتزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن اسلم
ان عليك الا البلاغ واما من جاءك يسعى يسرع طالبا للخير وهو يخشى الله او اذية الكفار في اتيانك
او كبوة الطريق لانه اعمى لا قايد له فانت عنه تلهى تتشاغل يقال لها عنه والتهى وتلهى ولعل
ذكر التصدي والتلهي للاشعار بان العتاب على اهتمام قلبه بالغني وتلهيه عن الفقير ومثله لا ينبغي له
ذلك كلا ردع عن المعاتب عليه او عن معاودة مثله انها تذكرة فمن شاء ذكره حفظه او اتعظ به والضميران
للقران او العتاب وتانيث الاول لتانيث خبره في صحف مثبتة فيها صفة لتذكرة او خبر ثان او خبر محذوف
مكرمة عند الله مرفوعة القدر مطهرة منزهة عن ايدي الشياطين بايدي سفرة كتبة من الملائكة
او الانبيا ينتسخون الكتب من اللوح المحفوظ او الوحي او سفرا يسفرون بالوحي بين الله ورسله او الامة
جمع سافر او السفارة والتركيب للكشف يقال سفرت المراة اذا كشفت وجهها كرام اعزا على الله او
متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم بررة اتقيا قتل الانسان ما اكفره دعا عليه

باشنع

باشنع الدعوات وتعجب من افراطه في الكفران وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ من اي
شيء خلقه بيان لما انعم عليه خصوصا من مبدا حدوثه والاستفهام للتحقير ولذلك اجاب عنه بقوله
من نطفة خلقه فقدره فهياه لما يصلح له من الاعضا والاشكال او فقدره اطوارا الى ان تم خلقه
ثم السبيل يسره ثم سهل مخرجه من بطن امه بان فتح فوهة الرحم والهمه ان ينتكس او ذلل له سبيل الخير
والشر ونصب السبيل بفعل يفسره الظاهر للمبالغة في التيسير وتعريفه باللام دون الاضافة للا
بانه سبيل عام وفيه على المعنى الاخير ايما بان الدنيا طريق والمقصد غيرها ولذلك عقبه بقوله
لما يقض ما امره لم يقض بعد من لدن ادم الى هذه الغاية ما امره الله باسره اذ لا يخلو احد
من تقصير ما فلينظر الانسان الى طعامه اتباع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية انا صببنا الماء صبا
استيناف مبين لكيفية احداث الطعام وقرا الكوفيون بالفتح على البدل منه بدل الاشتمال
ثم شققنا الارض شقا اي بالنبات او بالكراب واسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى
السبب فانبتنا فيها حبا كالحنطة والشعير وعنبا وقضبا يعني الرطبة سميت بمصدر
قضبه اذا قطعه لانها تقضب مرة بعد اخرى وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا عظاما وصف
به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات اشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب
وفاكهة وابا ومرعى من اب اذا ام لانه يؤم وينتجع او من ابّ لكذا اذا تهيا له لانه متهيا
للرعي او فاكهة يابسة تؤب للشتا متاعا لكم ولانعامكم فان الانواع المذكورة بعضها
طعام وبعضها علف فاذا جاءت الصاخة اي النفخة وصفت بها مجازا لان الناس يصخون لها
يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لاشتغاله بشانه وعلمه بانهم
لا ينفعونه او للحذر من مطالبتهم بما قصر في حقهم وتاخير الاحب فالاحب للمبالغة كانه
قيل يفر من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه يكفيه في الاهتمام
به وقرئ يعنيه اي يهمه وجوه يومئذ مسفرة مضيئة من اسفار الصبح ضاحكة مستبشرة
لما ترى من النعيم ووجوه يومئذ عليها غبرة غبار وكدورة ترهقها قترة يغشاها سواد
وظلمة اولئك هم الكفرة الفجرة الذين جمعوا الى الكفر الفجور فلذلك جمع الى سواد وجوههم
الغبرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة عبس جاء يوم القيمة ووجهه ضاحك مستبشر
سورة التكوير مكية وآيها تسع وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم اذا الشمس كورت
لفت من كورت العمامة اذا لففتها بمعنى رفعت لان الثوب اذا اريد رفعه لف او لف ضوؤها فذهب
انبساطه في الافاق وزال اثره او القيت من فلكها من طعنه فكوره اذا القاه مجتمعا والتركيب للادارة
والجمع وارتفاع الشمس بفعل يفسره ما بعدها اولى لان اذا الشرطية تطلب الفعل واذا النجوم
انكدرت انقضت قال ابصر خربان فضاء فانكدر او اظلمت من كدرت الماء فانكدر
واذا الجبال سيرت عن وجه الارض او في الجو واذا العشار النوق اللواتي اتى على حملهن عشرة
اشهر جمع عشرا عطلت تركت مهملة او السحاب عطلت عن المطر وقرئ بالتخفيف واذا الوحوش
حشرت جمعت من كل جانب او بعثت للقصاص ثم ردت ترابا او اميتت من قولهم اذا اجحفت السنة بالناس

شعار

ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره
وعد الاماتة والاقبار في النعم
لان الاماتة وصلة في الجملة الى الحيوة
الابدية واللذات الخالصة والامر بالقبر تكرمة
وصيانة عن السباع وفي اذا شاء انشره اشعار بان
وقت النشور غير متعين في نفسه وانما
هو موكول الى مشيته كلا ردع للانسان
عما هو عليه

حشرتهم وقرئ بالتشديد وإذا البحار سجرت احميت وملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا
من سجر التنور اذا ملاه بالحطب ليحميه وقرا ابن كثير وابو عمرو وروح بالتخفيف وإذا النفوس زوجت
قرنت بالابدان او كل منها بشكلها او بكتابها وعملها او نفوس المومنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين
وإذا الموؤدة المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق او لحوق العار بهم من اجلهن
سئلت بأي ذنب قتلت تبكيتا لوائدها كتبكيت النصارى بقوله تعالى لعيسى أأنت قلت للناس وقرئ
سألت اي خاصمت عن نفسها وقتلت على الاخبار عنها وقرئ قتلت على الحكاية وإذا الصحف نشرت يعني
صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر وقت الحساب وقيل نشرت بين اصحابها وقرا ابن كثير
وابو عمرو وحمزة والكسائي بالتشديد للمبالغة في النشر او لكثرة الصحف او شدة التطاير وإذا السماء كشطت
قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة وقرئ قشطت واعتقاب القاف والكاف كثير وإذا الجحيم سعرت
اوقدت ايقادا شديدا وقرا نافع وابن عامر وحفص ورويس بالتشديد وإذا الجنة ازلفت قربت من المومنين علمت
نفس ما احضرت جواب اذا وانما صح والمذكور في سياقها ثنتا عشرة خصلة ستة منها في مبادي قيام الساعة قبل فناء
الدنيا وست بعده لان المراد زمان متسع شامل لها ولمجازاة النفوس على اعمالها ونفس في معنى العموم كقولهم
تمرة من جرادة فلا اقسم بالخنس بالكواكب الرواجع من خنس اذا تاخر وهي ما سوى النيرين من السيارات ولذلك
وصفها بقوله الجوار الكنس اي السيارات التي تختفي تحت ضوء الشمس من كنس الوحش اذا دخل كناسه وهو
بيته المتخذ من اغصان الشجر والليل اذا عسعس اقبل ظلامه او ادبر وهو من الاضداد يقال عسعس
وسعسع الليل اذا ادبر والصبح اذا تنفس اي اضاء غبرته عند اقبال روح ونسيم انه اي القرآن لقول
رسول كريم يعني جبريل فانه قاله عن الله ذي قوة كقوله شديد القوى عند ذي العرش مكين عند الله
ذي مكانة مطاع في ملائكته ثم امين على الوحي وثم يحتمل اتصاله بما قبله وما بعده وقرئ ثم تعظيما
للامانة وتفضيلا لها على سائر الصفات وما صاحبكم بمجنون كما تبهته الكفرة واستدل بذلك على فضل
جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام واقتصر على نفي الجنون عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف اذ المقصود منه نفي قولهم
انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما ولقد رآه ولقد رأى
رسول الله جبريل عليه السلام بالافق المبين بمطلع الشمس الاعلى وما هو وما محمد عليه السلام على الغيب على ما
يخبره من الوحي اليه وغيره من الغيوب بظنين بمتهم من الظنة وهي التهمة وقرئ بضنين وهو البخيل اي
لا يبخل بالتبليغ والتعليم والضاد من اصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان او يساره
والظاء من طرف اللسان واصول الثنايا العليا وما هو بقول شيطان رجيم بقول بعض المسترقة للسمع وهو
نفي لقولهم انه لكهانة وسحر فاين تذهبون استضلال لهم فيما يسلكونه في امر الرسول والقرآن كقولك
لتارك الجادة اين تذهب ان هو الا ذكر للعالمين تذكير لمن يعلم لمن شاء منكم ان يستقيم بتحري الحق وملازمة
الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير وما تشاؤون الاستقامة يا من يشاؤها الا ان
يشاء الله الا وقت ان يشاء الله مشيئتكم فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم رب العالمين مالك الخلق كله
قال عليه الصلاة والسلام من قرا سورة التكوير اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته سورة الانفطار
مكية وآيها تسع عشرة بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انفطرت انشقت واذا الكواكب انتثرت تساقطت

متفرقة

متفرقة وإذا البحار فجرت فتح بعضها الى بعض فصار الكل بحرا واحدا وإذا القبور بعثرت قلب ترابها
واخرج موتاها وقيل انه مركب من بعث وراء الاثارة كبسمل ونظيره بحثر لفظا ومعنى علمت نفس ما قدمت
من عمل او صدقة واخرت من سنة او تركة ويجوز ان يراد بالتاخير التضييع وهو جواب اذا يا ايها الانسان
ما غرك بربك الكريم اي شيء خدعك وجراك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار فان
محض الكرم لا يقتضي اهمال الظالم وتسوية الموالي والمعادي والمطيع والعاصي فكيف اذا انضم صفة القهر
والانتقام والاشعار بما به يغره الشيطان فانه يقول له افعل ما شئت فربك كريم لا يعذب احدا
ولا يعاجل بالعقوبة والدلالة على ان كثرة كرمه تستدعي الجد في طاعته لا الانهماك في عصيانه
اغترارا بكرمه الذي خلقك فسواك فعدلك صفة ثانية للربوبية مبينة للكرم منبهة على ان من
قدر على ذلك اولا قدر عليه ثانيا والتسوية جعل الاعضاء سليمة مسواة معدة لمنافعها والتعديل
جعل البنية معتدلة متناسبة الاعضاء او معدلة بما يستعدها من القوى وقرا الكوفيون فعدلك
بالتخفيف اي عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت او فصرفك عن خلقة غيرك وميزك بخلقة
فارقت خلقة سائر الحيوانات في اي صورة ما شاء ركبك اي ركبك في اي صورة شاءها وما مزيدة
وقيل شرطية وركبك جوابها والظرف صلة عدلك وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك
كلا ردع عن الاغترار بكرم الله وقوله بل تكذبون بالدين اضراب الى بيان ما هو السبب الاصلي في
اغترارهم والمراد بالدين الجزاء او الاسلام وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون
تحقيق لما تكذبون به ورد لما يتوقعون من التسامح والاهمال وتعظيم الكتبة بكونهم كراما
عند الله لتعظيم الجزاء ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم بيان لما يكتبون لاجله يصلونها
يقاسون حرها يوم الدين وما هم عنها بغائبين لخلودهم فيها وقيل معناه وما يغيبون عنها
قبل ذلك اذ كانوا يجدون سمومها في القبور وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين
تعجيب وتفخيم لشان اليوم اي كنه امره بحيث لا يدركه دراية دار يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر
يومئذ لله تقرير لشدة هوله وفخامة امره اجمالا ورفع ابن كثير والبصريان يوم على البدل من يوم الدين
او الخبر لمحذوف عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السما حسنة
سورة المطففين مختلف فيها وآيها ست وثلاثون بسم الله الرحمن الرحيم ويل
للمطففين التطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس طفيف اي حقير روي ان اهل المدينة كانوا
اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوه وفي الحديث خمس بخمس ما نقض العهد قوم الا سلط الله عليهم
عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت
ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر
الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون اي اذا اكتالوا من الناس حقوقهم ياخذونها وافية
وانما ابدل على بمن للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس او اكتيال يتحامل فيه عليهم وإذا كالوهم او
وزنوهم اي اذا كالوا للناس او وزنوا لهم يخسرون فحذف الجار واوصل الفعل كقوله
ولقد جنيتك عساقلا بمعنى جنيت لك او كالوا مكيلهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه

وبعدد كل قبر حسنة

ولا يحسن جعل المنفصل تاكيدا للمتصل فانه يخرج الكلام عن مقابلته ما قبله اذ المقصود بيان حالهم في الاخذ والدفع لا في المباشرة وعدمها ويستدعي اثبات الالف بعد الواو كما هو خط المصحف في نظايره الا يظن اولئك انهم مبعوثون فان من ظن ذلك لم يتجاسر على امثال هذه القبايح فكيف بمن تيقنه وفيه انكار وتعجيب من حالهم ليوم عظيم عظمه لعظم ما يكون فيه يوم يقوم الناس نصب بمبعوثون او بدل من الجار والمجرور ويويده القراءة بالجر لرب العالمين لحكمه وفي هذا الانكار والتعجيب وذكر الظن ووصف اليوم بالعظيم وقيام الناس فيه والتعبير عنه برب العالمين مبالغات في المنع عن التطفيف وتعظيم اثمه كلا ردع عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب ان كتاب الفجار ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم لفي سجين كتاب جامع لاعمال الفجرة من الثقلين كما قال وما ادراك ما سجين كتاب مرقوم اي مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من راه انه لا خير فيه فعيل من السجن لقب به الكتاب لانه سبب الحبس او لانه مطروح كما قيل تحت الارضين في مكان وحش وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب السجين او محل كتاب مرقوم فحذف المضاف ويل يومئذ للمكذبين بالحق او بذلك الذين يكذبون بيوم الدين صفة مخصصة او موضحة او ذامة وما يكذب به الا كل معتد متجاوز عن النظر غال في التقليد حتى استقصر قدرة الله وعلمه فاستحال منه الاعادة اثيم منهمك في الشهوات المخدجة بحيث اشغلته عما وراءها وحملته على الانكار لما عداها اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين من فرط جهله واعراضه عن الحق فلا تنفعه شواهد النقل كما لا تنفعه دلايل العقل كلا ردع عن هذا القول بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون رد لما قالوه وبيان لما ادى بهم الى هذا القول بان غلب عليهم حب المعاصي بالانهماك حتى صار ذلك صدا على قلوبهم فعمي عليهم معرفة الحق والباطل فان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات كما قال عليه السلام ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه والرين الصدأ وقرا حفص بل ران باظهار اللام كلا ردع عن الكسب الراين انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فلا يرونه بخلاف المومنين ومن انكر الروية جعله تمثيلا لاهانتهم باهانة من يمنع الدخول على الملوك او قدر مضافا مثل رحمة ربهم او قرب ربهم ثم انهم لصالوا الجحيم ليدخلون النار ويصلون بها ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون تقول لهم الزبانية كلا تكرير للاول ليعقب بوعد الابرار كما عقب بوعيد الفجار اشعارا بان التطفيف فجور والايفاء بر او ردع عن التكذيب ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم الكلام فيه ما مر في نظيره يشهده المقربون يحضرونه او يشهدون على ما فيه يوم القيمة ان الابرار لفي نعيم على الارايك على الاسرة في الحجال ينظرون الى ما يسرهم من النعيم والمتفرجات تعرف في وجوههم نضرة النعيم بهجة التنعم وبريقه وقرا يعقوب تعرف على بناء المفعول ونضرة بالرفع يسقون من رحيق شراب خالص مختوم ختامه مسك اي مختوم

اوانيه

اوانيه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لنفاسته او الذي له ختام اي مقطع هو رائحة المسك وقرا الكسائي خاتمه بفتح التاء اي ما يختم به ويقطع وفي ذلك يعني الرحيق او النعيم فليتنافس المتنافسون فليرتغب المرتغبون ومزاجه من تسنيم علم لعين بعينها سميت تسنيما لارتفاع مكانها او رفعة شرابها عينا يشرب بها المقربون فانهم يشربونها صرفا لانهم لم يشتغلوا بغير الله ويمزج لساير اهل الجنة وانتصاب عينا على المدح او الحال من تسنيم والكلام في الباء كما في يشرب بها عباد الله ان الذين اجرموا يعني روساء قريش كانوا من الذين امنوا يضحكون كانوا يستهزؤن بفقراء المومنين واذا مروا بهم يتغامزون يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين ملتذين بالسخرية منهم وقرا حفص فكهين واذا راوهم قالوا ان هولاء لضالون واذا راوا المومنين نسبوهم الى الضلال وما ارسلوا عليهم على المومنين حافظين يحفظون عليهم اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون حيث يرونهم اذلاء مغلولين في النار وقيل يفتح لهم باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اغلق دونهم فيضحك المومنون منهم على الارايك ينظرون حال من يضحكون هل ثوب الكفار اي هل اثيبوا ما كانوا يفعلون وقرا حمزة والكسائي بادغام اللام في الثاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيمة

سورة الانشقاق مكية وايها خمس وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انشقت بالغمام ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضي الله عنه تنشق من المجرة واذنت لربها واستمعت له اي انقادت لتاثير قدرته حين اراد انشقاقها انقياد المطواع الذي ياذن للامر ويذعن له وحقت وجعلت حقيقة بالاستماع والانقياد يقال حق بكذا فهو محقوق وحقيق واذا الارض مدت بسطت بان تزال جبالها واكامها والقت ما فيها ما في جوفها من الكنوز والاموات وتخلت وتكلفت في الخلو اقصى جهدها حتى لم يبق شيء في باطنها واذنت لربها في الالقاء والتخلي وحقت للاذن وتكرير اذا لاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة وجوابه محذوف للتهويل او الابهام او الاكتفاء بما مر في سورة التكوير والانفطار او الدلالة قوله يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه عليه وتقديره لاقى الانسان كدحه اي جهدا يوثر فيه من كدحه اذا خدشه او فملاقيه ويا ايها الانسان انك كادح الى ربك اعتراض والكدح اليه السعي الى لقاء جزائه فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا سهلا لا يناقش فيه وينقلب الى اهله مسرورا الى عشيرته او فريق المومنين او اهله في الجنة من الحور واما من اوتي كتابه وراء ظهره اي يوتى كتابه بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فسوف يدعوا ثبورا يتمنى الثبور ويقول يا ثبوراه وهو الهلاك ويصلى سعيرا وقرا الحجازيان والشامي والكسائي ويصلى كقوله وتصلية جحيم وقرئ ويصلى كقوله ونصله

انه كان في اهله اي في الدنيا مسرورا بطرا بالمال والجاه فارغا عن الاخرة انه ظن ان لن يحور لن يرجع الى الله بلى ايجاب لما بعد لن ان ربه كان به بصيرا عالما باعماله فلا يهمله بل يرجعه ويجازيه فلا اقسم بالشفق الحمرة التي ترى في افق المغرب بعد الغروب وعن ابي حنيفة رحمه الله انه البياض الذي يليها سمي به لرقته من الشفقة والليل وما وسق وما جمعه وستره من الدواب وغيرها يقال وسقه اذا الشق واستوثق فاستوسقت لو يجدن سائقا او طرده الى ما اكمنه من الوسيقة والقمر اذا اتسق اجتمع وتم بدرا لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال مطابقة لاختها في الشدة وهو لما طابق غيره فقيل للحال المطابقة او مراتب من الشدة بعد المراتب هي الموت ومواطن القيامة واهوالها وما قبلها من الدواهي على انه جمع طبقة وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي لتركبن حالا بالفتح على خطاب الانسان ومرتبة عالية بعد حال ومرتبة او طبقا من اطباق السما بعد طبق ليلة المعراج وبالكسر على خطاب النفس وبالياء على الغيبة وعن طبق صفة لطبقا او حال من الضمير بمعنى مجاوزين الطبق او مجاوزين له فما لهم لا يؤمنون بيوم القيامة واذا قرئ عليهم القران لا يسجدون لا يخضعون او لا يسجدون للتلاوة لما روي انه عليه الصلاة والسلام قرا واسجد واقترب فسجد ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم فنزلت واحتج به ابو حنيفة على وجوب السجود فانه ذم لمن سمعه ولم يسجد وعن ابي هريرة انه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها الا بعد ان رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها بل الذين كفروا يكذبون اي بالقران والله اعلم بما يوعون بما يضمرون في صدورهم من الكفر والعداوة فبشرهم بعذاب اليم استهزا بهم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات استثنا منقطع او متصل والمراد من تاب وامن منهم لهم اجر غير ممنون مقطوع به او ممنون به عليهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الانشقاق اعاذه الله ان يعطيه كتابه وراء ظهره

سورة البروج مكية وايها ثنتان وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم

والسما ذات البروج يعني البروج الاثني عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات وتكون فيها الثوابت او منازل القمر او عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها او ابواب السما فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور واليوم الموعود يوم القيامة وشاهد ومشهود ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما احضر فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام في الوصف اي وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما او للمبالغة في الكثرة كما قيل ما افرطت كثرته من شاهد ومشهود او النبي عليه السلام وامته او امته وسائر الامم او كل نبي وامته او الخالق والخلق او عكسه فان الخالق مطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده او الملك الحفيظ والمكلف او يوم النحر او عرفة والحجيج او يوم الجمعة والجمع فانه يشهد له او كل يوم واهله قتل اصحاب الاخدود قيل انه جواب القسم على تقدير لقد قتل والاظهر انه دليل جواب محذوف كانه قيل انهم ملعونون يعني كفار مكة كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على

اذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم والاخدود الخد وهو الشق في الارض ونحوهما بنا ومعنى الحق والاحقوق وروي مرفوعا ان ملكا كان له ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه وكان في طريقه راهب فمال قلبه اليه فراى في طريقه ذات يوم حية حبست الناس فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان الغلام بعد يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس للملك فابراه فساله الملك عمن ابراه فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الراهب فقده بالمنشار وارسل الغلام الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف فهلكوا ونجا واجلسه في سفينة ليغرق فدعا فانكفات السفينة بمن معه فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني وتاخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب العالمين ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فمات فامن الناس فامر باخدود فاوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جات امراة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا اماه اصبري انك على الحق فاقتحمت وعن علي رضي الله عنه ان بعض ملوك المجوس خطب الناس وقال ان الله احل نكاح الاخوات فلم يقبلوه فامر باخدود النار وطرح فيها من ابى وقيل لما تنصر نجران غزاهم ذو نواس اليهودي من حمير فاحرق في الاخاديد من لم يرتد النار بدل من الاخدود بدل الاشتمال ذات الوقود صفة لها بالعظم وكثرة ما يرتفع به لهبها واللام في الوقود للجنس اذ هم عليها على حافة النار قعود قاعدون وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود يشهد بعضهم لبعض عند الملك بانه لم يقصر فيما امروا به او يشهدون على ما يفعلون يوم القيمة حين تشهد عليهم السنتهم وايديهم وما نقموا وما انكروا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد استثنا على طريقة قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ووصفه بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا منعما يرجى ثوابه وقرر ذلك بقوله الذي له ملك السموات والارض والله على كل شي شهيد للاشعار بما يستحق ان يؤمن به ويعبد ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات بلوهم بالاذى ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق العذاب الزايد في الاحراق بفتنتهم وقيل المراد فتنوا اصحاب الاخدود وبعذاب الحريق ما روي ان النار انقلبت عليهم واحرقتهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير اذ الدنيا وما فيها تصغر دونه ان بطش ربك لشديد مضاعف عنفه فان البطش اخذ بعنف انه هو يبدئ ويعيد يبدئ الخلق ويعيده او يبدئ البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الاخرة وهو الغفور لمن تاب الودود المحب لمن اطاع ذو العرش خالقه وقيل المراد بالعرش الملك وقرئ ذي العرش صفة لربك المجيد العظيم في ذاته وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة والحكمة وجره حمزة والكسائي صفة لربك او للعرش ومجده علوه وعظمته فعال لما يريد لا يمتنع عليه مراد من افعاله وافعال غيره هل اتاك حديث الجنود فرعون وثمود ابدلهما من الجنود لان المراد فرعون وقومه والمعنى قد عرفت تكذيبهم للرسل

وما حفهم فتسل واصبر على تكذيب قومك وحذرهم مثل ما حاق بهم بل الذين كفروا في تكذيب
لا يرعوون عنه ومعنى الاضراب ان حالهم اعجب من حال هولاء فانهم سمعوا قصتهم وراوا
اثار هلاكهم وكذبوا اشد من تكذيبهم والله من ورائهم محيط لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط
المحيط بل هو قرآن مجيد بل هذا الذي كذبوا به كتاب شريف وحيد في النظم والمعنى وقرئ
قرآن مجيد بالاضافة اي قرآن رب مجيد في لوح محفوظ من التحريف وقرأ نافع محفوظ
بالرفع صفة للقرآن وقرئ في لوح وهو الهوا يعني ما فوق السما السابعة الذي فيه اللوح عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة البروج اعطاه الله بعدد كل جمعة وعرفة تكون في الدنيا عشر حسنات

سورة الطارق مكية وايها سبع عشرة بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق
والكوكب البادي بالليل وهو في الاصل لسالك الطريق واختص عرفا بالاتي ليلا ثم استعمل للبادي
فيه وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب المضي كانه يثقب الظلام بضوءه فينفذ فيه او الافلاك
والمراد الجنس او معهود بالثقب وهو زحل عبر عنه اولا بوصف عام وفسره بما يخصه تفخيما
لشانه ان كل نفس لما عليها حافظ اي ان الشان كل نفس لعليها حافظ رقيب فان هي المخففة واللام
الفاصلة وما مزيدة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما على انها بمعنى الا وان نافية والجملة على
الوجهين جواب القسم فلينظر الانسان مم خلق لما ذكر ان كل نفس لها عليها حافظ اتبعه
توصية الانسان بالنظر في مبدأه ليعلم صحة اعادته فلا يملي على حافظه الا ما يسره في
عاقبته خلق من ماء دافق جواب استفهام وماء دافق بمعنى ذي دفق وهو صب فيه دفع والمراد
الممتزج من الماءين في الرحم يخرج من بين الصلب والترائب بين صلب الرجل وترائب المراة وهي
عظام صدرها ولو صح ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء
حتى تستعد لان يتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين
فلا شك ان الدماغ اعظم الاعضاء معونة في توليدها ولذلك تشبهه ويسرع الافراط في
الجماع بالضعف فيه وله خليفة وهو النخاع وهو في الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب
وهما اقرب الى اوعية المني فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بضمتين وفيه لغة رابعة وهي صالب
انه على رجعه لقادر والضمير للخالق ويدل عليه خلق يوم تبلى السرائر يتعرف ويميز
ما طاب من الضمائر وما خفي من الاعمال وما خبث منها وهو ظرف لرجعه فما له فما للانسان
من قوة من منعة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر يمنعه والسماء ذات الرجع ترجع في كل دورة الى الموضع
الذي تحرك عنه وقيل الرجع المطر سمي به كما سمي اوبا لان الله يرجعه وقتا فوقتا او لما قيل من السحاب يحمل الماء
من البحار ثم يرجعه الى الارض وعلى هذا يجوز ان يراد بالسماء السحاب والارض ذات الصدع ما تتصدع
عنه الارض من النبات او الشق بالنبات والعيون انه القرآن لقول فصل فاصل بين الحق والباطل
وما هو بالهزل فانه جد كله انهم يعني اهل مكة يكيدون كيدا في ابطاله واطفاء نوره واكيد كيدا
واقابلهم بكيدي في استدراجي لهم وانتقامي منهم بحيث لا يحتسبون فمهل الكافرين فلا تشتغل
بالانتقام ولا تستعجل باهلاكهم امهلهم رويدا امهالا يسيرا والتكرير وتغيير البنية لزيادة

التسكين

التسكين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الطارق اعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات

سورة الاعلى مكية وايها تسع عشرة بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك
نزه اسمه عن الالحاد بالتاويلات الزائغة واطلاقه على غيره زاعما انهما فيه سوا وذكره لا على وجه
التعظيم وقرئ سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عليه السلام اجعلوها
في ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم
لك ركعت اللهم لك سجدت الذي خلق فسوى خلق كل شي فسوى خلقه بما به يتاتى كماله ويتم معاشه
والذي قدر اجناس الاشيا وانواعها واشخاصها ومقاديرها وصفاتها وافعالها واجالها
فهدى فوجهه الى افعاله طبعا واختيارا بخلق الميول والالهامات ونصب الدلايل وانزال الايات
والذي اخرج المرعى انبت ما ترعاه الدواب فجعله بعد خضرته غثاء احوى يابسا اسود
وقيل احوى حال من المرعى اي اخرجه احوى من شدة خضرته سنقرئك على لسان جبريل عليه السلام او سنجعلك
قارئا بالهام القراءة فلا تنسى اصلا من قوة الحفظ مع انك امي ليكون ذلك اية اخرى لك مع ان الاخبار به عما
يستقبل ووقوعه كذلك ايضا من الايات وقيل نهي والالف للفواصل كقوله السبيلا الا ما شاء الله
نسيانه بان نسخ تلاوته وقيل المراد القلة والندرة روي انه عليه السلام اسقط اية في قراءته في الصلاة
فحسب ابي انها نسخت فساله فقال نسيتها او نفي النسيان راسا فان القلة تستعمل للنفي انه يعلم
الجهر وما يخفى ما ظهر من احوالك وما بطن او جهرك بالقرآن مع جبريل عليه السلام وما دعاك اليه من
مخافة النسيان فيعلم ما فيه صلاح احوالكم من ابقا وانسا ونيسرك لليسرى ونعدك للطريقة
اليسرى في حفظ الوحي والتدين به ولهذه النكتة قال نيسرك لا نيسر لك عطف على
سنقرئك وانه يعلم اعتراض فذكر بعد ما استتب لك الامر ان نفعت الذكرى لعل هذه
الشرطية انما جاءت بعد تكرير التذكير وحصول الياس عن البعض لئلا يتعب نفسه ويتلهف عليهم
كقوله وما انت عليهم بجبار الاية او لذم المذكورين واستبعاد تاثير الذكرى فيهم او للاشعار بان
التذكير انما يجب اذا ظن نفعه ولذلك امر بالاعراض عمن تولى سيذكر من يخشى سيتعظ وينتفع
بها من يخشى الله فانه يتامل فيها فيعلم حقيقتها وهو يتناول العارف والمتردد ويتجنبها
ويتجنب الذكرى الاشقى الكافر فانه اشقى من الفاسق او الاشقى من الكفرة لتوغله في الكفر الذي
يصلى النار الكبرى نار جهنم فانه عليه السلام قال ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم
او ما في الدرك الاسفل منها ثم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه قد افلح من تزكى
تطهر من الكفر والمعصية او تكثر من التقوى من الزكاة او تطهر للصلاة او ادى الزكاة وذكر اسم
ربه بقلبه ولسانه فصلى لقوله اقم الصلاة لذكري ويجوز ان يراد بالذكر تكبيرة التحريم وقيل تزكى
تصدق للفطر وذكر اسم ربه كبره يوم العيد فصلى صلاته بل تؤثرون الحياة الدنيا فلا تفعلون
ما يسعدكم في الاخرة والخطاب للاشقين على الالتفات او على اضمار قل او للكل فان السعي للدنيا
اكثر في الجملة وقرا ابو عمرو بالياء والاخرة خير وابقى فان نعيمها ملذ بالذات خالص عن الغوائل
لا انقطاع له ان هذا لفي الصحف الاولى الاشارة الى ما سبق من قد افلح فانه جامع بين

الديانة وخلاصة الكتب المنزلة صحف ابراهيم وموسى بدل من الصحف الاولى عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابراهيم وموسى ومحمد عليهم السلام

سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتاك حديث الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها يعني يوم القيامة او النار من قوله
وتغشى وجوههم النار وجوه يومئذ خاشعة ذليلة عاملة ناصبة تعمل ما تتعب فيه كجر السلاسل
وخوضها في النار خوض الابل في الوحل والصعود والهبوط في تلالها ووهادها او عملت
ونصبت في اعمالها لا تنفعها يومئذ تصلى نارا تدخلها وقرأ يعقوب وحمزة وابو بكر
تصلى من اصلاه الله وقرئ تصلى بالتشديد للمبالغة حامية متناهية في الحر تسقى من عين آنية
بلغت اناها في الحر ليس لهم طعام الا من ضريع يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام
رطبا وقيل شجرة نارية تشبه الضريع ولعله طعام هؤلاء والزقوم والغسلين طعام غيرهم او المراد
طعامهم مما تتحاماه الابل وتتعافاه لضره وعدم نفعه كما قال لا يسمن ولا يغني من جوع
والمقصود من الطعام احد الامرين وجوه يومئذ ناعمة ذات بهجة او متنعمة لسعيها راضية
رضيت بعملها لما رأت ثوابه في جنة عالية علية المحل او القدر لا تسمع يا مخاطب او الوجوه
وقرأ على بناء المفعول بالياء ابن كثير وابو عمرو ورويس وبالتاء نافع فيها لاغية لغوا او كلمة ذات لغو
او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة الذكر والحكم فيها عين جارية يجري ماؤها ولا ينقطع
والتنكير للتعظيم فيها سرر مرفوعة رفيعة السمك او القدر واكواب جمع كوب وهو اناء
لا عروة له موضوعة بين ايديهم ونمارق وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم مصفوفة
بعضها الى بعض وزرابي مبثوثة مبسوطة افلا ينظرون نظر اعتبار الى الابل كيف
خلقت خلقا دالا على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها لجر الاثقال الى البلاد النائية
فجعلها عظيمة باركة ناهضة بالحمل منقادة لمن اقتادها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار وترعى
كل نابت وتحمل العطش الى عشر فصاعدا ليتأتى لها قطع البوادي والمفاوز مع ما لها
من منافع اخر ولذلك خصت بالذكر لبيان الآيات المنبثة في الحيوانات التي هي اشرف المركبات
واكثرها صنعا ولانها اعجب ما عند العرب من هذا النوع وقيل المراد بها السحاب
على الاستعارة والى السماء كيف رفعت بلا عمد والى الجبال كيف نصبت راسخة لا تميل والى
الارض كيف سطحت بسطت حتى صارت مهادا وقرئ الافعال الاربعة على بناء الفاعل
المتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى افلا ينظرون الى انواع المخلوقات من البسائط
والمركبات ليتحققوا كمال قدرة الخالق فلا ينكروا اقتداره على البعث ولذلك عقب به
امر المعاد ورتب عليه الامر بالتذكير فقال فذكر انما انت مذكر فلا عليك ان لم ينظروا
ولم يذكروا اذ ما عليك الا البلاغ لست عليهم بمصيطر بمتسلط وعن الكسائي بالسين على الاصل
وحمزة بالاشمام الا من تولى وكفر لكن من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر
يعني عذاب الآخرة وقيل متصل فان جهاد الكفار وقتلهم تسلط وكأنه اوعدهم بالجهاد

في الدنيا وعذاب النار في الآخرة وقيل هو استثناء من قوله فذكر اي فذكر الا من تولى واصر
فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويؤيد الاول انه قرئ الا على التنبيه ان الينا
ايابهم رجوعهم وقرئ بالتشديد على انه فيعال مصدر ايب فيعل من الاياب او فعال من
اوب قلبت واوه الاولى ياء كديوان ثم الثانية للادغام ثم ان علينا حسابهم
في المحشر وتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة في الوعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة الفجر مكية وآيها تسع وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم

والفجر اقسم بالصبح او فلقه كقوله والصبح اذا تنفس او بصلاته وليال عشر عشر ذي الحجة ولذلك
فسر الفجر بفجر عرفة او النحر او عشر رمضان الاخير وتنكيرها للتعظيم وقرئ وليال عشر بالاضافة
على ان المراد بالعشر الايام والشفع والوتر والاشياء كلها شفعها ووترها او الخلق لقوله
ومن كل شيء خلقنا زوجين والخالق لانه فرد ومن فسرهما بالعناصر والافلاك او البروج
والسيارات او شفع الصلوات ووترها او بيومي النحر وعرفة وقد روي مرفوعا او بغيرها
فلعله افرد بالذكر من انواع المدلول ما رآه اظهر دلالة على التوحيد او مدخلا في الدين
او مناسبة لما قبلها او اكثر منفعة موجبة للشكر وقرئ الوتر وهما لغتان كالحبر والحبر
والليل اذا يسر كقوله والليل اذا ادبر والتقييد بذلك لما في التعاقب من قوة الدلالة على كمال
القدرة ووفور النعمة او يسرى فيه من قولهم صلى المقام وحذف الياء للاكتفاء بالكسرة
تخفيفا وقد خصه نافع وابو عمرو بالوقف لمراعاة الفواصل ولم يحذفها ابن كثير ويعقوب
اصلا وقرئ يسر بالتنوين المبدل من حرف الاطلاق هل في ذلك القسم او المقسم به قسم
حلف او محلوف به لذي حجر يعتبره ويؤكد به ما يريد تحقيقه والحجر العقل سمي به لانه يحجر
عما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية وحصاة من الاحصاء وهو الضبط والمقسم عليه محذوف
وهو ليعذبن يدل عليه قوله الم تر كيف فعل ربك بعاد يعني اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام
ابن نوح قوم هود سموا باسم ابيهم كما سمي بنو هاشم باسمه ارم عطف بيان لعاد على تقدير
مضاف اي سبط ارم او اهل ارم ان صح انه اسم بلدتهم وقيل سمي اوائلهم وهم عاد الاولى
باسم جدهم ومنع صرفه للعلمية والتأنيث ذات العماد ذات البناء الرفيع او القدود الطوال
او الرفعة والثبات وقيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد
فخلص الامر لشداد وملك المعمورة ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فبنى على مثالها في بعض
صحاري عدن جنة وسماها ارم فلما تمت سار اليها باهله فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة
بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها
التي لم يخلق مثلها في البلاد صفة اخرى لارم والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة او البلدة
وثمود الذين جابوا الصخر قطعوه واتخذوه منازل لقوله وتنحتون من الجبال بيوتا
بالواد وادي القرى وفرعون ذي الاوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها
اذا نزلوا او لتعذيبه بالاوتاد الذين طغوا في البلاد صفة للمذكورين عاد وثمود وفرعون

او ذو قر منصوب او مرفوع فأكثروا فيها الفساد بالكفر والظلم فصب عليهم ربك سوط عذاب
ما خلط لهم من انواع العذاب واصله الخلط وانما سمي به الجلد المضفور الذي يضرب به لكونه مخلوط
الطاقات بعضها ببعض وقيل شبه بالسوط ما احل بهم في الدنيا اشعارا بانه بالقياس الى
ما اعد لهم في الآخرة من العذاب كالسوط اذا قيس بالسيف ان ربك لبالمرصاد المكان الذي يترقب
فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهو تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب
فاما الانسان متصل بقوله ان ربك لبالمرصاد من الآخرة فلا يريد الا السعي لها فاما
الانسان فلا يهمه الا الدنيا ولذاتها اذا ما ابتلاه ربه اختبره بالغنى واليسر فاكرمه
ونعمه بالجاه والمال فيقول ربي اكرمن فضلني بما اعطاني وهو خبر المبتدأ
الذي هو الانسان والفاء لما في اما من معنى الشرط والظرف المتوسط في تقدير التأخير
كانه قيل فاما الانسان فقائل ربي اكرمني وقت ابتلائه بالانعام وكذا قوله واما اذا
ما ابتلاه فقدر عليه رزقه اذ التقدير واما الانسان اذا ما ابتلاه اي بالفقر والتقتير
ليوازن قسيمه فيقول ربي اهانن لقصور نظره وسوء فكره فان التقتير قد يؤدي الى
كرامة الدارين والتوسعة قد تفضي الى قصد الاعداء والانهماك في حب الدنيا ولذلك
ذمه على قوله وردعه عنه بقوله كلا مع ان قوله الاول مطابق لاكرمه ولم يقل فاهانه وقدر عليه
كما قال فاكرمه ونعمه لان التوسعة تفضل والاخلال به لا يكون اهانة وقرا ابن عامر
والكوفيون اكرمن واهانن بغير يا في الوصل والوقف وعن ابي عمرو مثله ووافقهم نافع
في الوقف وقرا ابن عامر فقدر بالتشديد بل لا تكرمون اليتيم ولا تحضون على طعام
المسكين اي بل فعلهم اسوأ من قولهم وادل على تهالكهم وهو انهم لا يكرمون اليتيم بالتفقد
والمبرة ولا يحثون اهلهم على طعام المسكين فضلا عن غيرهم وقرا الكوفيون تحاضون
وتأكلون التراث الميراث واصله وراث اكلا لما ذا لم اي جمع بين الحلال والحرام
فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم او يأكلون ما جمعه المورث
من حلال وحرام عالمين بذلك وتحبون المال حبا جما كثيرا مع حرص وشهوة وقرا
ابو عمرو وسهل ويعقوب لا يكرمون الى ويحبون بالياء والباقون بالتاء كلا ردع لهم عن
ذلك وانكار لفعلهم ووعيد عليه اذا دكت الارض دكا دكا دكا بعد دك حتى صارت
منخفضة الجبال والتلال او هباء منبثا وجاء ربك اي ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل
ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته والملك صفا صفا بحسب
منازلهم ومراتبهم وجيء يومئذ بجهنم كقوله وبرزت الجحيم وفي الحديث يؤتى بجهنم
يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها يومئذ بدل من
اذا دكت والعامل فيهما يتذكر الانسان اي يتذكر معاصيه او يتعظ لانه يعلم قبحها
فيندم عليها وانى له الذكرى اي منفعة الذكرى لئلا يناقض ما قبله واستدل به
على عدم وجوب قبول التوبة فان هذا التذكر توبة غير مقبولة يقول يا ليتني قدمت

لحياتي

لحياتي اي لحياتي هذه او وقت حياتي في الدنيا اعمالا صالحة وليس في هذا التمني دلالة على استقلال
العبد بفعله فان المحجور عن الشيء قد يتمنى ان كان ممكنا منه فيومئذ لا يعذب عذابه احد
ولا يوثق وثاقه احد الهاء لله اي لا يتولى عذاب الله ووثاقه يوم القيامة سواه اذ الامر
كله له او للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرا الكسائي ويعقوب على البناء
يا ايتها النفس المطمئنة على ارادة القول وهي التي اطمأنت بذكر الله فان النفس تترقى
في سلسلة الاسباب والمسببات الى الواجب بذاته فتستقر دون معرفته وتستغني به
عن غيره او الى الحق بحيث لا يريبها شك او الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وقد
قرئ بها ارجعي الى ربك الى امره او موعده بالموت ويشعر ذلك بقول من قال كانت النفوس
قبل الابدان موجودة في عالم القدس او البعث راضية بما اوتيت مرضية عند الله تعالى
فادخلي في عبادي في جملة عبادي الصالحين وادخلي جنتي معهم او في زمرة المقربين
فتستضيء بنورهم فان الجواهر القدسية كالمرآة المتقابلة او ادخلي في اجساد عبادي التي
فارقت عنها وادخلي دار ثوابي التي اعددت لك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قراها في سائر الايام كان له نورا يوم القيامة

سورة البلد

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد اقسم سبحانه بالبلد الحرام
وقيده بحلول الرسول عليه السلام فيه اظهارا لمزيد فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف اهله
وقيل حل مستحل تعرضك فيه كما يستحل تعرض الصيد في غيره او حلال لك ان تفعل ما تريد فيه
ساعة من النهار فهو وعد بما احل له عام الفتح ووالد عطف على هذا البلد والوالد آدم
او ابراهيم عليهما السلام وما ولد ذريته او محمد عليه السلام والتنكير للتعظيم وايثار
ما على من بمعنى التعجب كما في قوله والله اعلم بما وضعت لقد خلقنا الانسان في كبد تعب ومشقة
من كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده ومنه المكابدة والانسان لا يزال في شدائد مبدؤها
ظلمة الرحم ومضيقها ومنتهاها الموت وما بعده وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بما كان يكابده من قريش والضمير في ايحسب لبعضهم الذي كان يكابد منه او يغتر بقوته
كابي الاشد بن كلدة فانه كان يبسط تحت قدمه اديم عكاظي ويجذبه عشرة فيتقطع
ولا تزال قدماه او لكل احد منهم او للانسان ان لن يقدر عليه احد فينتقم منه يقول
اي في ذلك الوقت اهلكت مالا لبدا كثيرا من تلبد الشيء اذا اجتمع والمراد ما انفقه سمعة
ومفاخرة او معاداة للرسول صلى الله عليه وسلم ايحسب ان لم يره احد حين كان ينفق او بعد
ذلك فيسأله عنه يعني ان الله يراه فيجازيه او يجده فيحاسبه عليه ثم قرر ذلك بقوله
الم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين يستر بهما فاه
ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها وهديناه النجدين طريقي الخير
والشر او الثديين واصله المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة اي فلم يشكر تلك الايادي
باقتحام العقبة وهي الدخول في امر شديد والعقبة الطريق في الجبل استعارها لما فسرها

من الفك والاطعام في قوله وما ادراك ما العقبة فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة
يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة لما فيهما من مجاهدة النفس ولتعدد المراد بها حسن
وقوع لا موقع لم فانها لا تكاد تقع الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا اطعم يتيما او مسكينا
والمسغبة والمتربة مفعلان من سغب اذا جاع وترب اذا افتقر وقرا ابن
كثير وابو عمرو والكسائي فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم وقوله ما العقبة اعتراض معناه
~~بثم لتباعد الايمان عن العتق والاطعام في الرتبة~~ معناه انك لم تدر كنه صعوبتها وثوابها
ثم كان من الذين آمنوا عطف على اقتحم او فك بثم لتباعد الايمان عن العتق والاطعام في
الرتبة لاستقلاله واشتراط سائر الطاعات به وتواصوا بالصبر واوصى بعضهم بعضا بالصبر
على طاعة الله وتواصوا بالمرحمة بالرحمة على عباده او بموجبات رحمة الله اولئك اصحاب
الميمنة اليمين او اليمن والذين كفروا بآياتنا بما نصبناه دليلا على حق من كتاب وحجة
هم اصحاب المشأمة الشمال او الشؤم ولتكرير ذكر المؤمنين باسم الاشارة والكفار بالضمير شأن
لا يخفى عليهم نار مؤصدة مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته وقرا ابو عمرو وحمزة
وحفص بالهمز من آصدته عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة لا اقسم بهذا البلد اعطاه
الله تعالى الامان من غضبه يوم القيامة سورة والشمس مكية وآيها خمس عشرة بسم الله الرحمن الرحيم
والشمس وضحاها وضوئها اذا اشرقت وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك
والضحاء بالمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف والقمر اذا تلاها تلا طلوعه طلوع
الشمس اول غرة الشهر او غروبها ليلة البدر او في الاستدارة او كمال النور والنهار اذا
جلاها جلى الشمس فانها تنجلي اذا انبسط النهار او الظلمة او الدنيا او الارض ولما كانت
واوات العطف نوائب للواو الاولى القسمية الجارة بنفسها النائبة مناب
فعل القسم استلزمت طرحه معها ربطن المجرورات والظروف المقدمين ربط
الواو لما بعدها في قولك ضرب زيد عمرا وبكر خالدا على الفاعل والمفعول من غير
عطف على عاملين مختلفين والسماء وما بناها وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية
كانه قيل والشيء القادر الذي بناها ودل على وجوده وكمال قدرته بناؤها ولذلك
افرد ذكره وكذا الكلام في قوله والارض وما طحاها ونفس وما سواها وجعل
الماآت مصدرية يجرد الفعل عن الفاعل ويخل بنظم قوله فالهمها فجورها وتقواها
لقوله وما سواها الا ان يضمر فيها اسم الله للعلم به وتنكير نفس للتكثير كما في قوله
علمت نفس او للتعظيم والمراد نفس آدم والهام الفجور والتقوى افهامهما وتعريف
حالهما والتمكين من الاتيان بهما قد افلح من زكاها انماها بالعلم والعمل جواب القسم
وحذف اللام للطول وكانه لما اراد به الحث على تكميل النفوس والمبالغة فيه
اقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته وكمال صفاته الذي
هو اقصى درجات القوة النظرية ويذكرهم عظائم آلائه ليحملهم على الاستغراق في شكر نعمائه

الذي هو منتهى

الذي هو منتهى كمالات القوة العملية وقيل استطراد بذكر احوال النفس والجواب محذوف تقديره ليدمدمن
الله على كفار مكة لتكذيبهم رسوله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا وقد خاب
من دساها نقصها بسبب طغيانها او بما اوعدت به من عذابها ذي الطغوى لقوله بالطاغية
واصله طغيا وانما قلبت ياؤه واوا تفرقة بين الاسم والصفة وقرئ بالضم كالرجعى اذ انبعث
حين قام ظرف لكذبت او طغوى اشقاها اشقى ثمود وهو قدار بن سالف او هو ومن ولاه على
قتل الناقة فان افعل التفضيل اذا اضفته صلح للواحد والجمع وفضل شقاوتهم لتوليهم العقر
فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها فلا تذودوها عنها فكذبوه فيما حذرهم منه من
حلول العذاب ان فعلوا فعقروها فدمدم عليهم ربهم فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير
قولهم ناقة مدمومة اذا البسها الشحم بذنبهم بسببه فسواها فسوى الدمدمة بينهم
او عليهم فلم تفلت منها صغير ولا كبير او ثمود بالاهلاك ولا يخاف عقباها اي عاقبة
الدمدمة او عاقبة هلاك ثمود وتبعتها فيبقي بعض الابقاء والواو للحال وقرا نافع وابن عامر
فلا على العطف عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والشمس فكانما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر
سورة والليل مكية وآيها احدى وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم والليل
اذا يغشى اي يغشى الشمس او النهار وكل ما يواريه بظلامه والنهار اذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل
او تبين بطلوع الشمس وما خلق الذكر والانثى والقادر الذي خلق صنفي الذكر والانثى من
كل نوع له توالد او آدم وحواء وقيل ما مصدرية ان سعيكم لشتى ان مساعيكم لاشتات
مختلفة جمع شتيت فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى تفصيل مبين لتشتت المساعي
والمعنى من اعطى الطاعة واتقى المعصية او صدق بالكلمة الحسنى وهي ما دلت على حق ككلمة
التوحيد فسنيسره لليسرى فسنهيئه للخلة التي تؤدي الى يسر وراحة كدخول الجنة
من يسر الفرس اذا هياه للركوب بالسرج واللجام واما من بخل بما امر به واستغنى بشهوات
الدنيا عن نعيم العقبى وكذب بالحسنى بانكار مدلولها فسنيسره للعسرى للخلة المؤدية
الى العسر والشدة كدخول النار وما يغني عنه ماله نفي او استفهام انكار اذا
تردى هلك تفعل من الردى او تردى في حفرة القبر او قعر جهنم ان علينا للهدى
للارشاد الى الحق بموجب قضائنا او بمقتضى حكمتنا او ان علينا طريقة الهدى كقوله
وعلى الله قصد السبيل وان لنا للآخرة والاولى فنعطي في الدارين ما نشاء لمن نشاء او ثواب
الهداية للمهتدين او فلا يضرنا ترككم الاهتداء فانذرتكم نارا تلظى تتلهب لا يصلاها
لا يلزمها مقاساة شدتها الا الاشقى الا الكافر فان الفاسق وان دخلها لم يلزمها
ولذلك سماه اشقى ووصفه بقوله الذي كذب وتولى اي كذب بالحق واعرض عن
الطاعة وسيجنبها الاتقى الذي اتقى الشرك والمعاصي فانه لا يدخلها فضلا ان يصلاها
ومفهوم ذلك ان من اتقى الشرك دون المعصية لا يجنبها ولا يلزم ذلك صليها فلا يخالف
الحصر السابق الذي يؤتي ماله يصرفه في مصارف الخير لقوله يتزكى فانه بدل من يؤتي

او حال من فاعله **وما لاحد عنده من نعمة تجزى** فيقصد باتيانه مجازاتها **الا ابتغاء وجه
ربه الاعلى** استثنا منقطع او متصل عن محذوف مثل لا يوتي الا ابتغا وجه ربه
لا لمكافاة نعمة **ولسوف يرضى** وعد بالثواب الذي يرضيه والايات نزلت في ابي بكر
رضي الله عنه حين اشترى بلالا في جماعة يوذيهم المشركون فاعتقهم ولذلك قيل المراد
بالاشقى ابو جهل او امية بن خلف عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والليل اعطاه
الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر **سورة والضحى مكية** وآيها احدى عشرة
بسم الله الرحمن الرحيم **والضحى** ووقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لان النهار يقوى
فيه او لان فيه كلم موسى ربه والقى السحرة سجدا او النهار ويويده قوله ان ياتيهم باسنا ضحى
في مقابلة بياتا **والليل اذا سجى** سكن اهله او ركد ظلامه من سجى البحر سجوا اذا سكنت
امواجه وتقديم الليل في السورة المتقدمة باعتبار الاصل وتقديم النهار هاهنا باعتبار
الشرف **ما ودعك ربك** ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف بمعنى ما تركك وهو جواب القسم **وما
قلى** وما ابغضك وحذف المفعول استغنا بذكره من قبل ومراعاة للفواصل روي ان
الوحي تاخر عنه اياما لتركه الاستثنا كما مر في الكهف او لزجره سائلا ملحا او لان جروا
ميتا كان تحت سريره او لغيره فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا
عليهم **وللآخرة خير لك من الاولى** فانها باقية خالصة عن الشوائب وهذه فانية
مشوبة بالمضار كانه لما بين انه تعالى لا يزال يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا وعد
له ما هو اعلى واجل من ذلك في الآخرة او لنهاية امرك خير من بدايته فانه لا يزال
يتصاعد في الرفعة والكمال **ولسوف يعطيك ربك فترضى** وعد شامل لما اعطاه
من كمال النفس وظهور الامر واعلا الدين ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه سواه واللام
للابتدا دخل الخبر بعد حذف المبتدا اي ولانت سوف يعطيك لا للقسم فانها لا تدخل
على المضارع الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان العطا وان تاخر
لا محالة لحكمة **الم يجدك يتيما فآوى** تعديد لما انعم عليه تنبيها على انه كما احسن اليه
فيما مضى يحسن اليه فيما يستقبل وان تاخر ووجد من الوجود بمعنى العلم ويتيما
مفعوله الثاني او المصادفة ويتيما حال **ووجدك ضالا** عن علم الحكم والاحكام **فهدى**
فعلمك بالوحي والالهام والتوفيق للنظر وقيل وجدك ضالا في الطريق حين خرج بك
ابو طالب الى الشام او حين فطمتك حليمة وجات بك لتردك على جدك فازال ضلالك
عن عمك او جدك **ووجدك عائلا** فقيرا ذا عيال **فاغنى** بما حصل لك من ربح التجارة
فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه على ماله لضعفه وقرئ فلا تكهر اي فلا تعبس في
وجهه **واما السائل فلا تنهر** فلا تزجره **واما بنعمة ربك فحدث** فان التحدث
بها شكرها وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة والضحى جعله الله تعالى فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد

سورة الم نشرح مكية وآيها ثمان بسم الله الرحمن الرحيم **الم نشرح لك صدرك** الم
نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائبا حاضرا او الم نفسحه بما اودعنا فيه
من الحكم وازلنا عنه ضيق الجهل او بما يسرنا لك تلقي الوحي بعدما كان يشق عليك وقيل انه
اشارة الى ما روي ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله في صباه او يوم الميثاق فاستخرج
قلبه فغسله ثم ملاه ايمانا وعلما ولعله اشارة الى نحو ما سبق ومعنى الاستفهام انكار نفي
الانشراح مبالغة في اثباته ولذلك عطف عليه **ووضعنا عنك وزرك** عبئك الثقيل
الذي انقض ظهرك الذي حمله على النقيض وهو صوت الرحل عند الانتقاض من ثقل
الحمل وهو ما ثقل عليه من فرطاته قبل البعثة او جهله بالحكم والاحكام او حيرته او تلقي
الوحي او ما كان يرى من ضلال قومه مع العجز عن ارشادهم او من اصرارهم وتعديهم في ايذائه حين دعاهم
الى الايمان **ورفعنا لك ذكرك** بالنبوة وغيرها واي رفع مثل ان قرن اسمه باسمه في كلمتي
الشهادة وجعل طاعته طاعته وصلى عليه في ملائكته وامر المومنين بالصلاة وخاطبه بالالقاب
وانما زاد لك ليكون ابهاما قبل ايضاح فيفيد مبالغة **فان مع العسر** كضيق الصدر والوزر
المنقض للظهر وضلال القوم وايذائهم **يسرا** كالشرح والوضع والتوفيق للاهتدا والطاعة
فلا تياس من روح الله اذا عراك ما يغمك وتنكيره للتعظيم والمعنى بما في مع من المصاحبة المبالغة
في معاقبة اليسر للعسر واتصاله به اتصال المتقاربين **ان مع العسر يسرا** تكرير للتاكيد او استيناف
وعده بان العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك ان للصائم فرحتين اي فرحة عند
الافطار وفرحة عند لقا الرب وقوله عليه السلام لن يغلب عسر يسرين فان العسر معرف
فلا يتعدد سوا كان للعهد او للجنس واليسر منكر فيحتمل ان يراد بالثاني فرد مغاير لما اريد
بالاول **فاذا فرغت** من التبليغ **فانصب** فاتعب في العبادة او فاذا فرغت من الصلاة
فانصب بالدعا **والى ربك فارغب** بالسوال ولا تسال غيره فانه القادر وحده على اسعافه
وقرئ فرغب اي رغب الناس الى طلب ثوابه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا الم نشرح فكانما
جاني وانا مغتم ففرج عني **سورة التين مختلف فيها** وآيها ثمان بسم الله الرحمن الرحيم
والتين والزيتون خصهما من الثمار بالقسم لان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذا لطيف
سريع الهضم ودوا كثير النفع فانه يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل رمل
المثانة ويفتح سدد الكبد والطحال ويسمن البدن وفي الحديث انه يقطع البواسير وينفع
من النقرس والزيتون فاكهة وادام ودوا وله دهن لطيف كثير المنافع مع انه قد ينبت
حيث لا دهنية فيه كالجبال وقيل المراد بهما جبلان من الارض المقدسة او مسجدا دمشق
وبيت المقدس او البلدان **وطور سينين** يعني الجبل الذي ناجى عليه موسى عليه السلام
ربه وسينين وسينا اسمان للموضع الذي هو فيه **وهذا البلد الامين** اي الآمن من
امن الرجل امانة فهو امين او المامون فيه يامن فيه من دخله والمراد به مكة **لقد خلقنا
الانسان** يريد به الجنس **في احسن تقويم** تعديل بان خص بانتصاب القامة وحسن

واستجماع خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات ثم رددناه اسفل سافلين بان
جعلناه من اهل النار او الى اسفل السافلين وهو النار وقيل هو ارذل العمر فيكون الا
الذين آمنوا وعملوا الصالحات منقطعا فلهم اجر غير ممنون لا ينقطع ولا يمن به عليهم
وهو على الاول حكم مرتب على الاستثناء مقرر له فما يكذبك بعد فاي شيء يكذبك يا محمد دلالة
او نطقا بعد بالدين بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب
للانسان على الالتفات والمعنى فما الذي يحملك على هذا الكذب اليس الله باحكم
الحاكمين تحقيق لما سبق والمعنى اليس الذي فعل ذلك من الخلق والرد باحكم الحاكمين
صنعا وتدبيرا ومن كان كذلك كان قادرا على الاعادة والجزاء على ما مر مرارا عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والتين اعطاه الله العافية واليقين ما دام
حيا فاذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قرا هذه السورة

سورة العلق مكية

وآيها تسعة عشر بسم الله الرحمن الرحيم اقرا باسم ربك اي القرآن مفتتحا
باسمه او مستعينا به الذي خلق اي الذي له الخلق او الذي خلق كل شيء ثم افرد ما
هو اشرف واظهر صنعا وتدبيرا وادل على وجوب العبادة المقصودة من القراءة
فقال خلق الانسان او الذي خلق الانسان فابهم اولا ثم فسر تفخيما لخلقه ودلالة
على عجيب فطرته من علق جمعه لان الانسان [illegible] في معنى الجمع ولما كان اول
الواجبات معرفة الله تعالى نزل اولا ما يدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته
اقرا تكرير للمبالغة او الاول مطلق والثاني للتبليغ او في الصلاة ولعله لما قيل له
اقرا باسم ربك فقال ما انا بقارئ فقيل له اقرا وربك الاكرم الزائد في الكرم على كل
كريم فانه ينعم بلا عوض ويحلم من غير تخوف بل هو الكريم وحده على الحقيقة الذي علم
بالقلم اي الخط بالقلم ونصب الدلائل وانزال الآيات فيعلمك القراءة وان لم تكن قارئا
وقد عدد سبحانه مبدا امر الانسان ومنتهاه اظهارا لما انعم عليه من ان نقله من اخس المراتب
الى اعلاها تقريرا لربوبيته وتحقيقا لاكرميته واشار اولا الى ما يدل على معرفته عقلا
ثم نبه على ما يدل سمعا كلا ردع لمن كفر بنعمة الله لطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه
ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى اي ان راى نفسه واستغنى مفعوله الثاني
لانه بمعنى علم ولذلك جاز ان يكون فاعله ومفعوله ضميرين لواحد ان الى ربك الرجعى الخطاب
للانسان على الالتفات تهديدا وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى
ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى نزلت في ابي جهل قال لو رايت محمدا ساجدا لوطئت
عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له ما لك فقال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا
واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة في تقبيح النهي والدلالة على كمال
عبودية المنهي ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارايت تكرير للاول وكذا
الذي في قوله ارايت ان كذب وتولى الم يعلم بان الله يرى والشرطية مفعوله الثاني

وجواب الشرط

وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب الشرط الثاني الواقع موقع القسم له والمعنى اخبرني عمن ينهى
بعض عباد الله عن صلاته ان كان ذلك الناهي على هدى فيما ينهى عنه او آمرا بالتقوى فيما يامر به
من عبادة الاوثان كما يعتقده وان كان على التكذيب للحق والتولي عن الصواب كما تقول الم
يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله وقيل المعنى ارايت الذي ينهى عبدا يصلي
والمنهي على الهدى آمر بالتقوى والناهي مكذب متول فما اعجب من ذا وقيل الخطاب في الثانية
مع الكافر فانه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر اخرى وكانه قال يا كافر
اخبرني ان كان صلاته هدى ودعاؤه الى الله امرا بالتقوى اتنهاه ولعل ذكر الامر بالتقوى
في التعجب والتوبيخ ولم يتعرض له في النهي لان النهي كان عن الصلاة والامر بالتقوى فاقتصر
على ذكر الصلاة لانه دعوة بالفعل او لان نهي العبد اذا صلى يحتمل ان يكون لها ولغيرها وعامة
احواله محصورة في تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة كلا ردع للناهي لئن لم ينته
عما هو فيه لنسفعا بالناصية لناخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع
القبض على الشيء وجذبه بشدة وقرئ لنسفعن بنون مشددة ولاسفعن وكتبته في
المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء باللام عن الاضافة للعلم بان المراد ناصية المذكور
ناصية كاذبة خاطئة بالكذب والخطا وهما لصاحبها على الاسناد المجازي للمبالغة
فليدع ناديه سندع الزبانية اي اهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدي فيه
القوم روي ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله
فقال اتهددني وانا اكثر الوادي ناديا سندع الزبانية ليجروه الى النار وهو في الاصل
الشرط واحدها زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع او زبني على النسب واصلها
زباني والتاء معوضة عن الياء كلا لا تطعه اي واثبت انت على طاعتك واسجد ودم على سجودك
واقترب وتقرب الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد من ربه اذا سجد عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرا المفصل كله

سورة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه في ليلة القدر الضمير للقرآن فخمه باضماره
من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح كما عظمه بان اسند انزاله اليه وعظم
الوقت الذي انزل فيه وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر وانزاله
فيها بان ابتدا بانزاله فيها او انزله جملة من اللوح الى السماء الدنيا على السفرة ثم كان جبريل
ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة وقيل المعنى انزلناه في فضلها
وهي في اوتار العشر الاخير من رمضان ولعلها السابعة منها والداعي الى اخفائها ان يحيي
من يريدها الليالي الكثيرة وتسميتها بذلك لشرفها او لتقدير الامور فيها لقوله تعالى فيها
يفرق كل امر حكيم وذكر الالف اما للتكثير او لما روي انه صلى الله عليه وسلم ذكر اسرائيليا لبس
السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من
مدة ذلك الغازي تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم بيان لما له فضلت على الف شهر

وتنزلهم الى الارض او الى السما الدنيا او تنزلهم الى المومنين من كل امر من اجل كل امر قدر في تلك السنة
وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان سلام هي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله فيها الا السلامة
ويقضي في غيرها السلامة والبلا او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المومنين حتى مطلع
الفجر اي وقت مطلعه اي طلوعه وقرا الكسائي بالكسر على انه كالمرجع او اسم زمان على غير قياس
كالمشرق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر

سورة لم يكن مختلف فيها وايها ثمان ايات بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا من اهل
الكتاب اليهود والنصارى فانهم كفروا بالالحاد في صفات الله ومن للتبيين والمشركين
وعبدة الاصنام منفكين عما كانوا عليه من دينهم او الوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول
حتى تاتيهم البينة الرسول او القران فانه مبين للحق او معجز الرسول باخلاقه والقران
بافحامه من تحدى به رسول من الله بدل من البينة بنفسه او بتقدير مضاف او مبتدا يتلو صحفا
مطهرة صفة او خبره والرسول وان كان اميا لكنه لما تلا مثل ما في الصحف كان كالتالي لها وقيل
المراد جبريل عليه السلام وكون الصحف مطهرة ان الباطل لا ياتي ما فيها وانها لا يمسها الا المطهرون
فيها كتب قيمة مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق وما تفرق الذين اوتوا الكتاب عما كانوا
عليه بان امن بعضهم او تردد في دينه او عن وعدهم بالاصرار على الكفر الا من بعد ما
جاءتهم البينة فيكون كقوله وكانوا يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به
وافراد اهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا
مع علمهم كان غيرهم بذلك اولى وما امروا في كتبهم بما فيها الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
لا يشركون به حنفاء مائلين عن العقائد الزائغة ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة ولكنهم
حرفوا وعصوا وذلك دين القيمة دين الملة القيمة ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
في نار جهنم خالدين فيها اي يوم القيامة او في الحال لملابستهم ما يوجب ذلك واشتراك الفريقين
في جنس العذاب لا يوجب اشتراكهما في نوعه فلعله يختلف لتفاوت كفرهما اولئك هم شر البرية
اي الخليقة وقرا نافع البريئة بالهمز على الاصل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم
خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا فيه مبالغات
تقديم المدح وذكر الجزا المؤذن بان ما منحوا في مقابلة ما وصفوا به والحكم عليه بانه من عند
ربهم وجمع جنات وتقييدها اضافة ووصفا بما يزداد لها نعيما وتاكيد الخلود بالتابيد
رضي الله عنهم استيناف بما يكون لهم زيادة على جزائهم ورضوا عنه لانه بلغهم اقصى
امانيهم ذلك اي المذكور من الجزا والرضوان لمن خشي ربه فان الخشية ملاك الامر والباعث
على كل خير عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة لم يكن الذين كان يوم القيامة مع خير البرية مسا ومقيلا

سورة الزلزلة مختلف فيها وايها تسع بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت
الارض زلزالها اضطرابها المقدر لها عند النفخة الاولى او الثانية او الممكن لها او اللائق بها
في الحكمة وقرئ بالفتح وهو اسم الحركة وليس في الابنية فعلال الا في المضاعف واخرجت الارض اثقالها ما في

جوفها من الدفائن او الاموات جمع ثقل وهو متاع البيت وقال الانسان ما لها لما
يبهرهم من الامر الفظيع وقيل المراد بالانسان الكافر فان المومن يعلم ما لها يومئذ
تحدث تحدث الخلق بلسان الحال اخبارها ما لاجله زلزالها واخراجها وقيل ينطقها
فتخبر بما عمل عليها ويومئذ بدل من اذا وناصبها تحدث او اصل واذا منتصب بمضمر
بان ربك اوحى لها اي تحدث بسبب ايحاء ربك لها بان احدث فيها ما دلت على الاخبار
او انطقها بها ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها اذ يقال حدثته كذا وبكذا واللام
بمعنى الى او على اصلها اذ لها في ذلك تشفي من العصاة يومئذ يصدر الناس من مخارجهم
من القبور الى الموقف اشتاتا متفرقين بحسب مراتبهم ليروا اعمالهم جزاء اعمالهم وقرئ
بفتح اليا فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره تفصيل ليروا ولذلك قرئ يره
بالضم ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر يوثران في نقص الثواب والعقاب
وقيل الاية مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة ومن الاولى مخصوصة بالسعدا والثانية
بالاشقيا لقوله اشتاتا والذرة النملة الصغيرة او الهبا عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا اذا زلزلت الارض اربع مرات كان كمن قرا القران كله

سورة والعاديات مختلف فيها بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات ضبحا اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحا وهو
صوت انفاسها عند العدو ونصبه بفعله المحذوف او بالعاديات فانها تدل بالالتزام
على الضابحات او ضبحا حال بمعنى ضابحة فالموريات قدحا فالتي توري النار والايراء
اخراج النار يقال قدح الزند فاورى فالمغيرات يغير اهلها على العدو صبحا
اي في وقته فاثرن فهيجن به بذلك الوقت نقعا غبارا او صياحا فوسطن به فتوسطن
بذلك الوقت او بالعدو او بالنقع او ملتبسات به جمعا من جموع الاعدا روي انه
صلى الله عليه وسلم بعث خيلا فمضى شهر لم يات منهم خبر فنزلت ويحتمل ان يكون القسم
بالنفوس العادية اثر كمالهن الموريات بافكارهن انوار المعارف والمغيرات على الهوى
والعادات اذا ظهر لهن مبدا انوار القدس فاثرن به شوقا فوسطن به جمعا من جموع
العليين ان الانسان لربه لكنود لكفور من كند النعمة كنودا او لعاص بلغة
بني مالك وانه على ذلك وان الانسان على كنوده لشهيد يشهد على نفسه لظهور اثره
عليه او ان الله على كنوده لشهيد فيكون وعيدا وانه لحب الخير المال من قوله تعالى ان
ترك خيرا لشديد لبخيل او لقوي مبالغ فيه افلا يعلم اذا بعثر بعث ما في القبور
من الموتى وقرئ بحثر وبحث وحصل جمع محصلا في الصحف او ميز ان ربهم بهم يومئذ
وهو يوم القيامة لخبير عالم بما اعلنوا وما اسروا فيجازيهم عليه وانما قال ما ثم قال
بهم لاختلاف شانهم في الحالين وقرئ انه وخبير بلا لام عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا العاديات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة مكية وايها عشر بسم الله الرحمن الرحيم القارعة ما القارعة

أدراك ما القارعة سبق بيانه في الحاقة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث في كثرتهم
وذلتهم وانتشارهم واضطرابهم وانتصاب يوم بمضمر دلت عليه القارعة وتكون الجبال
كالعهن كالصوف ذي الألوان المنفوش المندوف لتفرق أجزائها وتطايرها في الجو فأما
من ثقلت موازينه بأن ترجحت مقادير أنواع حسناته فهو في عيشة في عيش راضية
ذات رضى أي مرضية وأما من خفت موازينه بأن لم يكن له حسنة يعبأ بها أو ترجحت سيئاته
على حسناته فأمه هاوية فمأواه النار المحرقة والهاوية من أسماء النار ولذلك قال وما أدراك
ما هيه نار حامية ذات حمى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة
سورة التكاثر مختلف فيها وآيها ثمان بسم الله الرحمن الرحيم ألهاكم شغلكم
وأصله الصرف إلى اللهو منقول من لهي إذا غفل التكاثر التباهي بالكثرة حتى زرتم المقابر
إذا استوعبتم عدد الأحياء صرتم إلى المقابر فتكاثرتم بالأموات عبر عن انتقالهم إلى ذكر الموتى
بزيارة المقابر روي أن بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا بالكثرة فكثرهم بنو عبد مناف
فقال بنو سهم إن البغي أهلكنا في الجاهلية فعادونا بالأحياء والأموات فكثرهم بنو سهم وإنما
حذف الملهى عنه وهو ما يعنيهم من أمر الدين للتعظيم والمبالغة وقيل معناه ألهاكم التكاثر
بالأموال والأولاد إلى أن قبرتم ومتم مضيعين أعماركم في طلب الدنيا عما هو أهم لكم وهو
السعي لأخراكم فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت كلا ردع وتنبيه على أن العاقل ينبغي له
أن لا يكون جميع همه ومعظم سعيه للدنيا فإن عاقبة ذلك وبال وحسرة سوف تعلمون خطأ
رأيكم إذا عاينتم ما وراءكم وهو إنذار ليخافوا وينتبهوا من غفلتهم ثم كلا سوف تعلمون
تكرير للتأكيد وثم للدلالة على أن الثاني أبلغ من الأول أو الأول عند الموت أو في القبر والثاني
عند النشور كلا لو تعلمون علم اليقين أي لو تعلمون ما بين أيديكم علم الأمر اليقين أي كعلمكم
ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره أو لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب
للتفخيم ولا يجوز أن يكون قوله لترون الجحيم جوابا لأنه محقق الوقوع بل هو جواب قسم
محذوف أكد به الوعيد وأوضح به ما أنذرهم منه بعد إبهامه تفخيما ثم لترونها
تكرير للتأكيد أو الأولى إذا رأتهم من مكان بعيد والثانية إذا وردوها والمراد بالأولى المعرفة
وبالثانية الإبصار عين اليقين أي الرؤية التي هي نفس اليقين فإن علم المشاهدة أعلى مراتب
اليقين ثم لتسألن يومئذ عن النعيم الذي ألهاكم والخطاب مخصوص بكل من ألهاه دنياه
عن دينه والنعيم بما يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله من حرم زينة الله كلوا من الطيبات
وقيل يعمان إذ كل يسأل عن شكره وقيل الآية مخصوصة بالكفار عن النبي صلى الله عليه وسلم من
قرأ ألهاكم لم يحاسبه الله بالنعيم الذي أنعم به عليه في دار الدنيا وأعطي من الأجر كأنما قرأ ألف آية من القرآن
سورة والعصر مكية وآيها ثلاث بسم الله الرحمن الرحيم والعصر أقسم بصلاة العصر
لفضلها أو بعصر النبوة أو بالدهر لاشتماله على الأعاجيب والتعريض بنفي ما يضاف إليه من الخسران
إن الإنسان لفي خسر إن الناس لفي خسران في مساعيهم وصرف أعمارهم في مطالبهم والتعريف للجنس

الا ربحهم

والتنكير للتعظيم إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فإنهم اشتروا الآخرة بالدنيا ففازوا
بالحياة الأبدية والسعادة السرمدية وتواصوا بالحق بالثابت الذي لا يصح إنكاره
من اعتقاد أو عمل وتواصوا بالصبر عن المعاصي أو على الحق أو ما يبلو الله به عباده وهذا من
عطف الخاص على العام للمبالغة إلا أن يخص العمل بما يكون مقصورا على كماله ولعله سبحانه
إنما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود وإشعارا بأن ما عداه يؤدي
إلى خسران ونقص حظ أو تكرما فإن الإبهام في جانب الخسر كرم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة العصر غفر الله له وكان ممن تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر سورة الهمزة مكية
وآيها تسع بسم الله الرحمن الرحيم ويل لكل همزة لمزة الهمز الكسر كالهزم واللمز
الطعن كاللهز فشاعا في الكسر من أعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على الاعتياد
فلا يقال ضحكة ولعنة إلا للمتكثر المتعود وقرئ همزة ولمزة بالسكون على بناء المفعول وهو
المسخرة التي يأتي بالأضاحيك فيضحك منه ويشتم ونزولها في الأخنس بن شريق فإنه
كان مغتابا أو في الوليد بن المغيرة واغتيابه رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جمع مالا
بدل من كل أو ذم منصوب أو مرفوع وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتشديد للتكثير وعدده
وجعله عدة للنوازل أو عده مرة بعد أخرى ويؤيده أنه قرئ وعدده على فك الإدغام
يحسب أن ماله أخلده تركه خالدا في الدنيا فأحبه كما يحب الخلود أو حب المال أغفله
عن الموت أو طول أمله حتى حسب أنه مخلد فعمل عمل من لا يظن الموت وفيه تعريض بأن المخلد
هو السعي للآخرة كلا ردع عن حسبانه لينبذن ليطرحن في الحطمة في النار التي من شأنها
أن تحطم كل ما يطرح فيها وما أدراك ما الحطمة ما النار التي لها هذه الخاصية نار الله
تفسير لها الموقدة التي أوقدها الله وما أوقده لا يقدر أن يطفئه غيره التي تطلع على الأفئدة
تعلو أوساط القلوب وتشتمل عليها وتخصيصها بالذكر لما أن الفؤاد ألطف ما في البدن وأشده تألما
أو لأنه محل العقائد الزائغة ومنشأ الأعمال القبيحة إنها عليهم مؤصدة مطبقة من أوصدت
الباب إذا أطبقته قال تحن إلى أجبال مكة ناقتي ومن دونها أبواب صنعاء موصدة
في عمد ممددة أي موثقين في أعمدة ممدودة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص وقرأ الكوفيون
غير حفص بضمتين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله عشر حسنات بعدد من
سورة الفيل مكية وهي خمس آيات بسم الله الرحمن الرحيم ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب
الفيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو وإن لم يشهد تلك الواقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر
أخبارها فكأنه رآها وإنما قال كيف ولم يقل ما لأن المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال
علم الله وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله صلى الله عليه وسلم فإنها من الإرهاصات إذ روي
أنها وقعت في السنة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصتها أن أبرهة بن الصباح الأشرم
ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد أن يصرف الحاج إليها فخرج
رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فأغضبه ذلك فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوي

لأن الفؤاد

استهزأ بمحمد عليه السلام وأصحابه رضي الله عنهم

اسمه محمود وفيلة اخرى فلما تهيأ للدخول وعبأ جيشه وقدم الفيل وكان كلما وجهوه الى الحرم
برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى جهة اخرى هرول فارسل الله طيرا كل في منقاره حجر
وفي رجليه حجران اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فرمتهم فيقع الحجر في راس الرجل فيخرج من
دبره فهلكوا جميعا وقرئ الم تر جدا في اظهار اثر الجازم وكيف نصب بفعل لا بتر لما فيه من معنى
الاستفهام الم يجعل كيدهم في تعطيل الكعبة وتخريبها في تضليل في تضييع وابطال
بان دمرهم وعظم شانها وارسل عليهم طيرا ابابيل جماعات جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت
بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل لا واحد لها كعباديد وشماطيط ترميهم بحجارة
وقرئ بالياء على تذكير الطير لانه اسم جمع او اسناده الى ضمير ربك من سجيل من طين متحجر
معرب سنك كل وقيل من السجل وهو الكتاب او الاسجال وهو الارسال ومن السجل ومعناه
من جملة العذاب المكتوب المدون فجعلهم كعصف ماكول كورق زرع وقع فيه الاكال
وهو ان ياكله الدود او اكل حبه فبقي صفرا منه او كتبن اكلته الدواب وراثته عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفيل اعفاه الله ايام حياته من الخسف والمسخ سورة
قريش مكية واياتها اربع بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش متعلق بقوله تعالى
فليعبدوا رب هذا البيت والفا لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله عليهم
لا تحصى فان لم يعبدوه لساير نعمه فليعبدوه لاجل ايلافهم رحلة الشتا والصيف
اي الرحلة في الشتا الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون او بمحذوف
مثل اعجبوا او بما قبله كالتضمين في الشعر اي فجعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش ويؤيده
انهما في مصحف ابي سورة واحدة وقرئ ليالف قريش الفهم رحلة الشتا وقريش ولد
النضر بن كنانة منقول من تصغير قرش وهي دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن فلا تطاق
الا بالنار فشبهوا بها لانها تاكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وصغر الاسم للتعظيم واطلاق
الايلاف ثم ابدال المقيد للتفخيم وقرا ابن عامر لالاف بغير يا بعد الهمزة فليعبدوا رب
هذا البيت الذي اطعمهم من جوع اي بالرحلتين والتنكير للتعظيم وقيل المراد
به شدة اكلوا فيها الجيف والعظام وامنهم من خوف خوف اصحاب الفيل او التخطف
في مسايرهم او الجذام فلا يصيبهم ببلدهم الكعبة واعتكف بها سورة الماعون
مختلف فيها واياتها سبع بسم الله الرحمن الرحيم ارايت استفهام معناه
التعجب وقرئ اريت بلا همزة الحاقا بالمضارع ولعل تصديرها بحرف الاستفهام
سهل امرها وارايتك بزيادة الكاف الذي يكذب بالدين بالجزا او الاسلام والذي
يحتمل الجنس والعهد ويؤيده الثاني قوله فذلك الذي يدع اليتيم يدفعه دفعا
عنيفا وهو ابو جهل كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يساله من مال نفسه فدفعه او ابو سفيان
نحر جزورا فساله يتيم لحما فقرعه بعصاه او الوليد بن المغيرة او منافق بخيل
وقرئ يدع اي يترك ولا يحض اهله وغيرهم على طعام المسكين لعدم اعتقاده بالجزا

ولذلك

ولذلك رتب الجملة على يكذب بالفاء فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون اي غافلون
غير مبالين بها الذين هم يراءون يرون الناس اعمالهم ليروهم الثنا عليها ويمنعون
الماعون الزكاة او ما يتعاور في العادة والفاء جزائية والمعنى اذا كان عدم
المبالاة باليتيم من ضعف الدين والموجب للذم والتوبيخ فالسهو عن الصلاة التي هي عماد الدين
والريا الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة التي هي قنطرة الاسلام احق بذلك ولذ
رتب عليها الويل او للسببية على معنى فويل لهم وانما وضع المصلين موضع الضمير للدلالة على
معاملتهم مع الخالق والخلق عن النبي صلى الله عليه وسلم من [قرا] سورة ارايت الذي غفر له ان كان
سورة الكوثر مكية واياتها ثلث بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك وقرئ انطيناك
الكوثر الخير المفرط الكثرة من العلم والعمل وشرف الدارين وروي عنه عليه السلام انه
نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير احلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج
والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة لا يظما من شرب منه وقيل
حوض فيها وقيل اولاده واتباعه او علما امته او القران العظيم فصل لربك
فدم على الصلاة خالصا لوجه الله خلاف الساهي عنها المرائي فيها شكرا لانعامه
فان الصلاة جامعة لاقسام الشكر وانحر البدن التي هي خيار اموال العرب
وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع عنهم الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة
المتقدمة وقد فسرت الصلاة بصلاة العيد والنحر بالتضحية ان شانئك ان من ابغضك
لبغضه لك هو الابتر الذي لا عقب له اذ لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما انت
فتبقى ذريتك وحسن صيتك واثار فضلك الى يوم القيامة ولك في الاخرة ما لا يدخل
تحت الوصف عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر له في الجنة
ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر العظيم سورة الكافرون
مكية واياتها ست بسم الله الرحمن الرحيم قل يا ايها الكافرون يعني كفرة
مخصوصين قد علم الله منهم انهم لا يؤمنون روي ان رهطا من قريش قالوا يا محمد تعبد الهتنا
سنة ونعبد الهك سنة فنزلت لا اعبد ما تعبدون اي فيما يستقبل فان لا لا تدخل الا
على مضارع بمعنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع بمعنى الحال ولا انتم عابدون
ما اعبد اي فيما يستقبل لانه في قران لا اعبد ولا انا عابد ما عبدتم اي في الحال او فيما
سلف ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت ما انا عابده ويجوز ان يكونا
تاكيدين على طريقة ابلغ ولم يقل ما عبدت ليطابق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل
المبعث بعبادة الاصنام وهو لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله وانما قال ما دون من لان المراد
الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق او للمطابقة وقيل انها مصدرية
وقيل الاوليان بمعنى الذي والاخريان مصدريان لكم دينكم الذي انتم عليه لا تتركونه
ولي دين ديني الذي انا عليه لا ارفضه فليس فيه اذن في الكفر ولا منع عن الجهاد ليكون

منسوخا باية القتال لهم الا اذا فسر بالمتاركة وتقرير كل من الفريقين الاخر على دينه
وقد فسر الدين بالحساب والجزاء والدعاء والعبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
الكافرون فكانما قرا ربع القران وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك
سورة النصر مدنية واياتها ثلث بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله
اظهاره اياك على اعدائك والفتح وفتح مكة وقيل المراد جنس نصر الله للمومنين وفتح مكة
وساير البلاد عليهم وانما عبر عن الحصول بالمجي تجوزا للاشعار بان المقدرات متوجهة
من الازل الى اوقاتها المعينة لها فتقرب منها شيئا فشيئا وقد قرب النصر من وقته
فكن مترقبا لوروده مستعدا لشكره ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا
جماعات كثيفة كاهل مكة والطايف واليمن وهوازن وساير قبايل العرب ويدخلون
حال على ان رايت بمعنى ابصرت او مفعول ثان على انه بمعنى علمت فسبح بحمد ربك
فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببال احد حامدا له عليه او فصل له حامدا له على صفات
الاكرام واستغفره هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا لما فرط منك
من الالتفات الى غيره وعنه عليه السلام اني استغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة
وقيل استغفره لامتك وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على طريقة النزول من الخالق
الى الخلق كما قيل ما رايت شيئا الا ورايت الله قبله انه كان توابا لمن استغفر منذ خلق
المكلفين والاكثر على ان السورة نزلت قبل فتح مكة وانه نعي لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لما قراها بكى العباس فقال عليه السلام ما يبكيك فقال نعيت اليك نفسك قال انها
لكما تقول ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال امر الدين كقوله اليوم اكملت لكم دينكم
او لان الامر بالاستغفار تنبيه على دنو الاجل ولهذا سميت سورة التوديع وعنه عليه
الصلاة والسلام من قراها اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد عليه السلام يوم فتح مكة رفع الله تعالى

سورة تبت مكية واياتها خمس بسم الله الرحمن الرحيم تبت هلكت
او خسرت والتباب خسران يودي الى الهلاك يدا ابي لهب نفسه كقوله ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة وقيل انما خصتا لانه عليه السلام لما نزل عليه وانذر عشيرتك الاقربين
جمع اقاربه فانذرهم فقال ابو لهب الهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه فنزلت وقيل
المراد بهما دنياه واخرته وانما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته ولان اسمه
عبد العزى فاستكره ذكره ولانه لما كان من اصحاب النار كانت الكنية اوفق بحاله او لمجانسة
قوله ذات لهب وقرئ ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب رضي الله عنه وتب اخبار بعد اخبار
والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه كقوله جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل
ويدل عليه انه قرئ وقد تب والاول اخبار عما كسبت يداه والثاني عن عمل نفسه
ما اغنى عنه ماله نفي لاغناء المال عنه حين نزل به التباب او استفهام انكار له
ومحلها النصب وما كسب وكسبه او مكسوبه بماله من النتايج والارباح والوجاهة

والاتباع او عمله الذي ظن انه ينفعه او ولده عتبة وقد افترسه اسد في طريق الشام وقد
احدق به العير ومات ابو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر بايام معدودة وترك ثلثا حتى
انتن ثم استاجروا بعض السودان حتى دفنوه فهو اخبار عن الغيب طابقه وقوعه سيصلى
نارا ذات لهب اشتعال يريد نار جهنم وليس فيه ما يدل على انه لا يومن لجواز ان يكون صليها
للفسق وقرئ سيصلى بالضم مخففا او مشددا وامراته عطف على المستكن في سيصلى او مبتدا
وهي ام جميل اخت ابي سفيان حمالة الحطب يعني حطب جهنم فانها كانت تحمل الاوزار
بمعاداة الرسول وتحمل زوجها على ايذائه او النميمة فانها توقد نار الخصومة او حزمة
الشوك والحسك فانها كانت تنثرها في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرا عاصم
بالنصب على الشتم في جيدها حبل من مسد اي مما مسد اي فتل ومنه رجل ممسود
الخلق مجدوله وهو ترشيح للمجاز او تصوير لها بصورة الحطابة التي تحمل الحزمة وتربطها
في جيدها تحقيرا لشانها او بيانا لحالها في نار جهنم حيث يكون على ظهرها حزمة من
حطب جهنم كالزقوم والضريع وفي جيدها سلسلة من النار والظرف في موضع الحال
او الخبر وحبل مرتفع به عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة تبت رجوت الله ان لا يجمع
الله بينه وبين ابي لهب في دار واحدة

سورة الاخلاص مختلف فيها واياتها اربع
بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله احد الضمير للشان كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه
بالابتدا وخبره الجملة ولا حاجة الى العايد لانها هي هو او لما سئل عنه اي الذي سالتموني
عنه هو الله اذ روي ان قريشا قالوا يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت واحد بدل
او خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات الكمال اذ الواحد الحقيقي
ما يكون منزه الذات عن انحاء التركيب والتعدد وما يستلزم احدهما كالجسمية
والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة
التامة المقتضية للالوهية وقرئ هو الله بلا قل مع الاتفاق على انه لابد منه في قل يا ايها
الكافرون ولا يجوز في تبت ولعل ذلك لان سورة الكافرون مشاقة الرسول او موادعة
لهم وتبت معاتبة عمه فلا يناسب ان يكون منه واما هذا فتوحيد يقول به تارة ويومر
به بان يدعو اليه اخرى الله الصمد السيد المصمود اليه في الحوايج من صمد اذا قصد وهو
الموصوف به على الاطلاق فانه يستغني عن غيره مطلقا وكل ما عداه محتاج اليه في جميع
جهاته وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير لفظ الله للاشعار بان من
لم يتصف به لم يستحق الالوهية واخلاء الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى او الدليل
عليها لم يلد لانه لم يجانس ولم يفتقر الى ما يعينه او يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء
عليه ولعل الاقتصار على لفظ الماضي لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله والمسيح
ابن الله او ليطابق قوله ولم يولد وذلك لانه لا يفتقر الى شي ولا يسبقه عدم ولم يكن
له كفوا احد اي ولم يكن احد يكافئه اي يماثله من صاحبة وغيرها وكان اصله

ان يؤخر لانه صلة لكن لما كان المقصود نفي المكافات عن ذاته تعالى قدم تقديما للاهم ويجوز ان يكون
حالا من المستكن في كفوا او خبرا ويكون كفوا حالا من احد ولعل ربط الجمل الثلث بالعطف
لان المراد نفي اقسام الامثال فهي كجملة واحدة منبهة عليها بالجمل وقرا حمزة ويعقوب
ونافع في رواية كفوا بالتخفيف وحفص كفوا بالحركة وقلب الهمزة واوا ولاشتمال هذه
السورة مع قصرها جميع المعارف الالهية والرد على من الحد فيها جاء في الحديث انها تعدل
ثلث القران فان مقاصده محصورة في بيان العقايد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله
اعتبر المقصود بالذات من ذلك وعنه صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يقراها فقال
وجبت قيل يا رسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الفلق ما يفلق عنه كالفرق فعل بمعنى مفعول
وهو يعم جميع الممكنات فانه تعالى فلق ظلمة العدم بنور الايجاد سيما ما يخرج من اصل
كالعيون والامطار والنبات والاولاد ويختص عرفا بالصبح ولذلك فسر به وتخصيصه
لما فيه من تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النور ومحاكاة فاتحة يوم القيامة
والاشعار بان من قدر ان يزيل ظلمة الليل عن هذا العالم قدر ان يزيل عن العايذ ما يخافه
ولفظ الرب هنا اوقع من ساير اسمائه لان الاعاذة من المضار تربية من شر ما خلق
خص عالم الخلق بالاستعاذة عنه لانحصار الشر فيه فان عالم الامر خير كله وشره اختياري
لازم ومتعد كالكفر والظلم وطبيعي كاحراق النار واهلاك السموم ومن شر غاسق ليل
عظيم ظلامه من قوله الى غسق الليل واصله الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلات
دمعا وقيل السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعه اذا وقب
دخل ظلامه في كل شيء وتخصيصه لان المضار فيه تكثر ويعسر الدفع ولذلك قيل الليل اخفى للويل
وقيل المراد به القمر فانه يكسف فيغسق ووقوبه دخوله في الكسوف ومن شر النفاثات
في العقد ومن شر النفوس او النساء السواحر التي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث
النفخ مع ريق وتخصيصه لما روي ان يهوديا سحر النبي صلى الله عليه وسلم في احدى عشرة عقدة
في وتر دسه في بير فمرض النبي صلى الله عليه وسلم ونزلت المعوذات واخبره جبريل عليه السلام
بموضع السحر فارسل عليا رضي الله عنه فجاء به فقراهما عليه فكان كلما قرا اية انحلت عقدة
ووجد بعض الخفة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في انه مسحور لانهم ارادوا به انه مجنون
بواسطة السحر وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزايم الرجال بالحيل مستعار من تليين
العقد بنفث الريق ليسهل حلها وافرادها بالتعريف لان كل نفاثة شريرة بخلاف كل
غاسق وحاسد ومن شر حاسد اذا حسد اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه فانه لا يعود
ضرر منه قبل ذلك الى المحسود بل يخص لاغتمامه بسروره وتخصيصه لانه العمدة في
اضرار الانسان بل الحيوان غيره ويجوز ان يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه
كالقوى وبالنفاثات النباتات فان قواها النباتية من حيث انها تزيد في طولها

وعرضها

وعرضها وعمقها كانها تنفث في العقد الثلث وبالحاسد الحيوان فانه انما يقصد غيره
غالبا طمعا فيما عنده ولعل افرادها من عالم الخلق لانها الاسباب القريبة للمضرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم لقد انزلت علي سورتان ما انزل مثلهما وانك لن تقرا سورتين
احب ولا ارضى عند الله منهما يعني المعوذتين

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ وقرئ في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها
الى اللام برب الناس لما كانت الاستعاذة في السورة المتقدمة من المضار البدنية
وهي تعم الانسان وغيره والاستعاذة في هذه من الاضرار التي تعرض للنفوس البشرية
وتخصها عمم الاضافة ثم وخصصها بالناس ها هنا فكانه قيل اعوذ من شر الموسوس الى
الناس بربهم الذي يملك امورهم ويستحق عبادتهم ملك الناس اله الناس عطفا بيان له
فان الرب قد لا يكون ملكا والملك قد لا يكون الها وفي هذا النظم دلالة على انه حقيق بالاعاذة
قادر عليها غير ممنوع عنها واشعار على مراتب الناظر في المعارف فانه يعرف اولا بما يرى عليه
من النعم الظاهرة والباطنة ان له ربا ثم يتغلغل في النظر حتى يتحقق انه غني عن الكل وذات
كل شيء له ومصارف امره منه فهو الملك الحق ثم يستدل به على انه المستحق للعبادة لا غير وتدرج
في وجوه الاستعاذة تنزيلا لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات واشعارا بعظم
الافة المستعاذ منها وتكرير الناس لما في الاظهار من مزيد البيان والاشعار بشرف الانسان
من شر الوسواس اي الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر كالزلزال
والمراد به الموسوس وسمي بفعله مبالغة الخناس الذي عادته ان يخنس اي يتاخر اذا ذكر الانسان ربه
الذي يوسوس في صدور الناس اذا غفلوا عن ذكر ربهم وذلك كالقوة الوهمية فانها تساعد
العقل في المقدمات فاذا ال الامر الى النتيجة خنست واخذت توسوسه وتشككه ومحل الذي
الجر على الصفة او الرفع على الذم من الجنة والناس بيان للوسواس او للذي او متعلق بيوسوس
اي يوسوس في صدورهم من جهة الجنة والناس وقيل بيان للناس على ان المراد به ما يعم
الثقلين وفيه تعسف الا ان يراد به الناسي كقوله يوم يدع الداع فان نسيان حق الله يعم الثقلين
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المعوذتين فكانما قرا الكتب التي انزلها الله تبارك وتعالى

تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه
وصلى الله على نبيه محمد خير خلقه
وعلى اله وصحبه وغفر الله لكاتبه
ولوالديه ولجميع المسلمين امين رجب سنه

